موسوعة

سليم حسن

مصر القديمة



الجزء الثاني عشر

في عهد
النهضة المصرية
ولمحة في
تاريخ الإغريق

موسوعة مصر القديمة

الجزء الثانى عشر

لوحة الغلاف

خرطوشتان

والخرطوشة عبارة عن إطار زخرفى بيضاوى الشكل ، يميل إلى الاستطالة ، وهو غالباً ما يكون منحوتاً أو محفوراً ، ويخصص لاحتواء نقش أو زخرفة ، أو يضم اسماً لفرعون مصرى ، مع وضع قاعدة مستوية تحت الاسم الملكى .

وفى الخرطوشتين نجد أن كل خرطوشة ترتكز على علامة «الذهب» التى تقوم بدور الربط بين القاعدة والخرطوشة ، أما القاعدة فتحتوى كتابات هيروغليفية ، يعلوها الخرطوشة الذهبية المؤطرة بالعقيق ، وفى الخرطوشة يظهر قرص الشمس أعلى الشخص الملكى الجالس فى وضع الاسترخاء ، ويحمى الشمس صل ذو رأسين واحدة باليمين والأخرى باليسار ، والصلان متحفزان ، وفى رقبة كل منهما علق (عنخ) مفتاح الحياة .

ويدين هذا الطراز البديع من المشغولات الذهبية إلى أفكار أخناتن ، والفنان فيهما يحاول تصوير الواقع فى رقة متناهية ، ويتغلغل فى الكشف عن عذوبة الحياة .

محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الجزء الثانى عشر

فى عهد النهضة المصرية ولمحة فى تاريخ الإغريق

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(موسوعة مصر القديمة)

موسوعة مصر القديمة

الجـــزء الثانى عشر

سـليم حســـن

الغـلاف

والإشراف الفنى:

الفنـان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

تمهيد

وصل بنا المطاف فى الجزء الأخير من هذه الموسوعة عن تاريخ أرض الكنانة الى نقطة تحول فى الحياة المصرية فى الداخل والخارج • فقد كانت مصر منذ باكورة النصف الثانى من القرن الثامن قبل الميلاد نهبا مقسما بين دولة الكوشيين فى الجنوب وبين دولة الآشوريين فى الشمال ، وقد كانت مصر وشعبها فى يد القدر آنذاك ، فقد رأيناها تارة فى يد ملوك كوش وتارة أخرى فى يد الآشوريين ، وكان هوى المصريين آنفسهم أحيانا مع ملوك كوش وأحيانا مع حكام آشور ، غير أن ميولهم الحقيقية كانت مع قوم كوش • ولا غرابة فى ذلك فقد كان يجمع بين المصريين والكوشيين رابطة الدم والدين ، لكن ذلك لم يجد نفعا أمام جحافل الآشوريين الذين اجتاحت جيوشهم جند الكوشيين الذين كانوا يسيطرون على البلاد المصرية جملة • وعلى أية حال لم تبق مصر فى قبضة الآشوريين فترة طويلة من الزمن وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية التى كانت متفشية فى أنحاء الامبراطورية الآشورية مما آذن بقرب أفول نجمها واختفائها من بين الدول صاحبة السلطان فى العالم •

وقد انتهز أحد أمراء مصر العظام تلك الفرصة السانحة الفذة لتخليص بلاده من الحكم الآشورى بعد أن خلصت آشور مصر من الحكم الكوشى •

وهذا الأمير الذى حرر مصر مرة أخرى من محبسيها فى الشمال والجنوب هو «بسمتيك الأول» مؤسس الأسرة السادسة والعشرين حوالى عام ٦٦٣ق•م• حقا كانت الفرصة مواتية لهذا الأمير من كل الوجوه فقد زال عنه خطر الكوشيين الذين انزووا فى عقر دارهم بنباتا عاصمة بلاد كوش ورضوا من الغنيمة بالاياب ؛

ولم نسمع عنهم بعد ذلك حتى عهد الملك « بسمتيك الثانى » . أما الآشوريون فقد شغلتهم الثورات والاضطرابات التى كانت متفشية فى أنحاء امبراطوريتهم ورضوا عن طيب خاطر بالتحالف مع « بسمتيك الأول » الذى لم يلبث أن انتهز الفرصة وحرر بلاده نهائيا من الحكم الآشورى على أن يبقى حليفا لمليكهم .

وقد دخلت مصر فى عهد «بسمتيك الأول» فى طور جديد من أطوار حياتها كان لملوك كوش فضل المبادرة فيه ، غير أن «بسمتيك» وأسرته من بعده قد ساروا بهذا التطور الى غايته وزادوا عليه حتى اكتمل . وهذا التطور أطلق عليه المؤرخون المحدثون عصر النهضة . وكانت نهضة مصر فى تلك الفترة نسيج وحدها ، اذ لم تكتف باحياء مجد مصر القديم وبخاصة بعث ما كان للكنانة من حضارة يانعة سامية فى عهد الدولتين القديمة والوسطى فى فنون الأدب والدين والعمارة، بل بدأت فضلا عن ذلك صفحة جديدة فى تاريخ حياتها من حيث الفنون الحربية والعلاقات الخارجية . ولقد أراد ملوك الأسرة الساوية أن يعيدوا لمصر مجدها الغابر ويحافظوا على كيانها وحدودها حتى لا تعود لقمة سائغة فى أفواه الدول المجاورة التى كانت تتنمر لها وتتحفز للوثوب عليها .

وقد كان أول ما قام به « بسمتيك » من اصلاح أن جمع شمل البلاد وجعلها وحدة متماسكة بعد أن كانت ممزقة مقاطعات مستقلة وشبه مستقلة ، وقد اضطر ـ ليصل الى هذه النتيجة ـ الى استخدام الجنود الأجانب من الأغريق والكاريين وغيرهم ممن برعوا فى فنون الحرب بدرجة عظيمة لم تكن معروفة فى مصر ، وقد كان من نتائج دخول هؤلاء الأجناد الأجانب مصر أن نشأت علاقات تجارية بين مصر وبلاد اليونان وبلاد بحر ايجه ، ولم تلبث هذه العلاقات أن تطورت الى علاقات أسمى وأرفع ، اذ فى هذا العهد بدأت العلاقات الثقافية والعلمية تضرب بأعراقها فى بلاد اليونان ومصر ، ومنذ ذلك العهد بدأ علماء الأغريق وكتابها يفدون على مصر وكانوا ينظرون اليها على أنها مهد الحضارة

والعرفان فنقلوا الى بلادهم من مصر كل أنواع العلوم من رياضة وفلك ودين وهندســة وقوانين ؛ فهضموها وادمجوها فى علومهم بما يتفق وأســاليبهم وطرائق تفكيرهم •

والواقع أن مصر كانت قبلة علماء اليونان فى تلك الفترة من تاريخ أرض الكنانة وكان حكام اليونان ينظرون الى مصر على أنها مثلهم الأعلى ، ولا أدل على ذلك من أن « ســولون » مشرع اليونان الأعظم قد أخــذ بعض تشريعاته عن القانون المصرى • والغريب المدهش أن علماء أوروبا المحدثين قد ظلوا الى عهد قريب جــدا ينكرون ما أخذه اليــونان عن مصر الى أن وضعت الكتب التى تثبت ذلك بما لا يتطرق اليه أى شك •

سارت مصر بعد عهد مؤسس النهضة فيها الى مدارج الرقى بخطا واسعة فى شئون التجارة والحرب فقد خلق «نيكاو» بن «بستيمك» لبلاده أسطولا تجاريا سيطر على البحار المعروفةوقتئذ وقهر بهملوك بابل،وعلى الرغم منأن سياسة«مصر» التى وضعها مؤسس الأسرة كانت دفاعية فان « نيكاو » الثانى (٦٠٩ ق٠م) فكر فى اعادة امبراطورية « تحتمس الثالث » المترامية الأطراف فى آسيا فزحف على فلسطين واستولى عليهــا وليس ببعيد أن يكون « نيكاو » قد فكر فى اعادة امبراطورية « تحتمس الثالث » اذ نراه قد انتحل لقب هذا العاهل لنفسه،بل يُظن أن أطماعه قد تخطت أطماع «تحتمس» اذ على ما يبدو خيل اليه أن يسيطر على كل الشرق بأسطوله وجيوشه • ولا أدل على ذلك من أنه بدأ فى حفر قناة نيلية تربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض ، وتلك هى قناة الســويس مصــدر أطماع الأمم الاستعمارية الحديثة ، غير أن الأحوال لم تساعد على اتمام مشروعه فقد ناداه هاتف الهى أن قف لا تلق ببلادك الى التهلكة ، ولكن طموحه لم يقف أمام هذا التهديد اذ نراه اتجه وجهة أخرى لتنمية تجارته ومد نفوذ سلطان بلاده فحاول أن يلف حول بلاد «افريقيا» عن طريق «الرجاء الصالح» بأسطول مصرى ، وقد أفلح فى محاولته

للمرة الأولى فى تاريخ العالم . وهكذا سار «نيكاو» ببلاده شوطا بعيدا فى سبيل التجارة والفتوح ، غير أن «بابل» وقفت حجر عثرة فى سبيله فعاد بجيشه الى مصر مهزوما ، ولكنه حافظ على حدودها الأصلية . ولما تولى «بسمتيك الثانى» مقاليد الأمور كانت مصر مهددة بخطرين حربيين أحدهما من الشمال والآخر من الجنوب ، فقد كانت « بابل » مرابطة على حدود «فلسطين» ترقب مصر وتتحفز لغزوها من الشمال ، كما كان ملوك كوش قد بدءوا يفكرون فى غزو مصر مرة ثانية واعادتها الى سلطانهم . وقد خرج « بسمتيك الثانى » من هذين الخطرين المداهمين بسلام اذ تغلب على البابليين فى الشمال ، وهزم الكوشيين هزيمة منكرة فى الجنوب لم تقم لهم بعدها قائمة وقضى على كل ما كان لهم من بقايا نفوذ فى البلاد المصرية وذلك على الرغم من أن ملوكهم استمروا يلقبون أنفسهم بلقب ملك الوجهين القبلى والبحرى كما سيرى القارىء فى الجزء الذى خصصناه لتاريخهم فى هذا الكتاب . كل ذلك كان بفضل الجنود المرتزقة الذين أتى بهم من بلاد اليونان وغيرها .

لم يمكث «بسمتيك الثانى» طويلا على عرش مصر فقد وافته المنية بعد حكم دام حوالى ست سنين وتولى بعده ابنه « ابريز » مقاليد الحكم (٥٨٨ ق.م.) وقد كانت الأحوال الدولية فى تلك الفترة تنذر بالخطر ، وذلك أن مصر كانت دائما تخاف شر «بابل» التى كانت جيوشها مرابطة فى فلسطين التى كانت تحتلها وقتئذ وكانت يهوذا تنظر الى مصر لتخلصها من نير البابليين ، وقامت الحرب بين الفريقين وساعدت مصر «فلسطين» ودارت الدائرة على الجيوش والأساطيل البابلية واستولى المصريون على « صيدا » والمدن الساحلية الأخرى وبذلك حقق « ابريز » ما كانت تصبو اليه نفس « نيكاو » ، غير أن « ابريز » لم يتمتع كثيرا بهذا النصر المبين ، اذ قامت بينه وبين أغريق بلاد لوبيا حرب طاحنة انتهت بخلعه على يد قائده « أمسيس » الذى تولى عرش الملك بعده على الرغم من أنه كان لا يجرى فى عروقه الدم الملكى .

وقد سار « أمسيس » بالبلاد سيرة عطرة بما أوتي من ذكاء وحسن تدبير وقد عده الاغريق أحد عظماء الملوك المشرعين فى مصر ، وفى عهده أخذ اختلاط الاغريق بالمصريين يزداد زيادة مطردة حتى أنهم أسسوا لأنفسهم مستعمرات فى مصر مما أغضب المصريين وأحفظهم عليهم ، ولكن «أمسيس» بحسن سياسته وفق بين مصالح الأغريق الذين كان يعتمد عليهم فى مد جيشه بالرجال المدربين وبما تربحه مصر من تجارتهم وبما كانت تجنيه مصر من الضرائب التى كانت تفرض على السلع الداخلة مصر والخارجة منها ، وبين المصريين الذين كانوا يكرهون وجود الأجانب فى مدنهم وبخاصة أنهم كانوا يعتبرون كل ما هو غير مصرى نجسا ، ومن أجل ذلك حصر « أمسيس » اقامة الاغريق فى مدينة واحدة وهى «نقراش» (كوم جعيف الحالية) ، وبذلك منع كل احتكاك أو اصطدام بين الفريقين .

لم يتخذ الملك أمسيس خلال حكمه سياسة هجومية بل اتبع سياسة الدفاع بالنسبة لما حوله من البلاد المجاورة ، وفضلا عن ذلك عقد معاهدة دفاعية مع عاهل «بابل» وكذلك مع ملك لوبيا ، غير أنه فى هذا الوقت كانت دولة الفرس قد أخذت تظهر فى الأفق ولم تلبث طويلا حتى اكتسحت ما حولها من الممالك ثم جاء الدور على مصر التى لم يكن لها قبل بمقاومتها والوقوف فى وجهها . وقد زحف «قمبيز» ملك الفرس بجيشه على مصر وفى أثناء ذلك الزحف عاجلت «أمسيس» المنية فتولى بعده حكم البلاد ابنه « بسمتيك الثالث » عام ٥٢٥ ق.م. فقاوم الغزاة بكل شجاعة واقدام ، غير أن جيوش الفرس الجرارة والخيانة التى حدثت فى قلب الجيش المصرى على يد أجنبى اضطرت بسمتيك الى التسليم بعد هزيمة نكراء ، وهكذا قضى على استقلال مصر نهائيا وظلت بعد ذلك تتقلب على حكمها أسرات أجنبية لا تمت الى مصر بصلة اللهم الا مدة قصيرة بعد العهد الفارسى الأول فقد هبت مصر خلالها واستعادت استقلالها ، ثم وقعت فى قبضة الفرس ثانية،ولم تتخلص بعد ذلك من النير الأجنبى منذ عام ٣٤١ ق.م . الا عام ١٩٥٢م.

عندما هب الشعب المصرى كله ونفض عن نفسه غبار وأوساخ آخر طاغية من دم أجنبى ، ومن ثم بدأت لأول مرة مصر تحكم بمصريين من دم مصرى خالص وتشعر بكيانها وعزتها وكرامتها بين دول العالم الحرة .

هذا وقد اتبعنا تاريخ هذا العهد بلمحة فى تاريخ بلاد اليونان لارتباطها بمصر فى تلك الفترة والتى ستأتى بعدها فى الجزء التالى ان شاء الله .

وانى أتقدم هنا بعظيم شكرى لصديقى الأستاذ محمد النجار المفتش بوزارة التربية والتعليم لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة كما أتقدم بالشكر للأستاذ أحمد عزت لما قام به من قراءة التجارب وعمل الفهـارس بكل دقة . ولا يسعنى الا أن أشكر السيد زكى خليل مدير مطبعة الجامعة على ما بذله من جهد فى طبع هذا الكتاب والله اسأل أن يوفقنى الى مافيه خير مصر ومجدها .

اول مايو سنة ١٩٥٧

عصر النهضة
الأسرة السادسة والعشرون

مقدمة عن اصل الأسرة السادسة والعشرين :

ذكرنا فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة أن الجنود المرتزقة من اللوبيين الذين كانوا يعملون فى جيش ملوك الأسرة الواحدة والعشرين قد منحوا أحد قوادهم وهو « شيشنق الأول » مؤسس الأسرة الثانيـة والعشرين ملك مصر • والواقع أن الجيش المصرى منذ نهاية الأسرة العشرين كان مؤلفا فعلا من الجنود اللوبيين المرتزقة الذين كانوا يطيعون رؤساءهم طاعة عمياء ، وقد جاء ذلك على ما يظهر تمهيدا لاحلال « شيشنق » أحد عظماء قواد هؤلاء الجنود المرتزقة محل آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين • وقد كان الضعف المتناهى الذى وصل اليه نفوذ ملوك هذه الأسرة حافزا قويا ودافعا أغرى هؤلاء الجنود المرتزقة الذين قضت عليهم الأحـوال بالفراغ وعدم الصبر بالسيطرة على البـلاد ، أو بشن الغارات فى خارجهـا • وكان نتيجة ذلك أن آل ملك مصر الى رئيس هؤلاء الأجناد فان جموعهم المنبثة فى أنحاء البلاد ــ التى كان من الصعب توحيـدها ــ لم يجعل لهم مطمحا الا التمتع فى وادى النيل الخصيب باستقلال سياسى تام بقدر المستطاع • هذا ولم يكن فى قدرة الملك رئيسهم الأعلى أن يقف فى وجه طائفة قوية لها مطالبها الملحة ، يضاف الى ذلك أن الانقسام فى صفوف كهنة « طيبة » كان سببا فى حرمانه مساعدتهم وهى من الأهمية بمكان ، ولا أدل على ذلك من أن مصر العليا لم تعترف فى الحال بالملك الجديد ، ومن المحتمل فى هذه الفترة أن كان جزء كبير من كهنة « آمون » قد نفوا أنفسهم عن طيب خاطر الى بلاد

« النوبة العليا » ، يضاف الى ذلك أن كل مقاطعة من مقاطعات «مصر الوسطى» و « مصر السفلى » كانت محكومة وقتئذ برئيس « لوبى » ، وتفسير ذلك كما أسلفنا من قبل أن رؤساء اللوبيين كان لهم حاميات منذ زمن بعيد فى المدن الرئيسية فى أنحاء القطر ، وبذلك كان فى مقدورهم دون أية صعوبة أن يستولوا على مراكز القيادة المحلية ، وبذلك كان فى استطاعة رئيس كل فرقة من الجيش أن يكدىء جنوده ويجعلهم بوجه خاص يلتفون حوله ، وسبيل ذلك أنه كان يثبتهم فى اقطاعاتهم الغنية ، وكان ملوك الأسرة الواحدة والعشرين قد وزعوا فعلا قطعا من الأرض على الجنود اللوبيين ، ولكن الظاهر على وجه التأكيد أن الجنود كانوا قد استتبوا فعلا على حسب الادارة الجديدة فى اقطاعات كبيرة المساحة أغنى بكثير مما سبق (راجع Herodotus, II, § 168).

وتدل ظواهر الأحوال على أنه فى خلال القرنين من ٩٥٠ — ٧٥٠ ق٠م قد بقيت الأسرتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون على عرش الملك لسببين :

أولهما : أن الرؤساء التابعين لهما من اللوبيين كانوا يطيعون حكام المقاطعات، وكان مجرد مظهرهم كفيلا بحفظ التوازن بين قوى عدة متكافئة يعارض بعضها بعضا ٠

ثانيهما : أن جيران مصر من أمم العالم لم يكونوا يؤلفون خطرا عليها ٠ وكانت البلاد الأجنبية التى يخشى بأسها وقتئذ هى دولة « العبرانيين » ، غير أنها كانت لحسن حظ مصر قد قسمت بعد عهد « سليمان » قسمين متناحرين ٠

ولكن النظام الذى وضعه « شيشنق الأول » — وكان يشابه كثيرا النظام الاقطاعى فى القرون الوسطى — كان لا يلتئم الا قليلا مع دولة نفس تكوينها الجغرافى لا يمكن أن ينسجم الا مع نظام ثابت غاية فى التقدم من حيث الادارة ٠ هذا وما دام الذين كانوا على عرش الملك يعرفون قوة شخصياتهم وفرض ارادتهم فان سلطاتهم كانت تحترم فى كل مكان،ولكن عندما كان يعتلى عرش « بوبسطة»

فى ذلك الوقت ملوك ضعفاء أو عاجزون عن ادارة حكومة البلاد ، كانت الفوضى تسرى فى جسم البلاد وتثبت فيها أقدامها . والواقع أن البلاد المصرية كانت تنوء بعبء الانقسام وقتئذ ، فمنذ بداية القرن الحادى عشر قبل الميلاد كانت تحكم أرض الكنانة أسرتان ، احداهما فى الوجه القبلى والأخرى فى الدلتا . وحوالى عام ٧٥٠ ق.م شاهدنا « مصر الوسطى » و « مصر السفلى » مقسمتين بين ثلاث أو أربع أسرات ، فى حين أن الوجه القبلى كان تحت حكم « الكوشيين » ، وفى تلك الفترة رأى أمير شجاع من أبناء مصر أن الفرصة مواتية لتحقيق مطامحه الشخصية والقومية وذلك بجمع شمل مصر كلها وتوحيدها تحت حكمه .

اصل الأسرة السادسة والعشرين :

يدل ما لدينا من وثائق على أن « تفنخت » أمير « سايس » كان من أصل لوبى كما حدثتنا بذلك لوحة « بيعنخى » . واذا كنا لا نعرف شيئا عن أسرته ولا عن حالة أملاكه عند ما أصبح سيدا مطاعا فى الدلتا ومصر الوسطى حوالى عام ٧٣٠ ق.م ، فان المصادر التاريخية لا تعوزنا كثيرا فى تاريخ كفاحه المجيد لاسترداد استقلال « مصر » من يد « بيعنخى » . ويدل ما كتبه عدوه «بيعنخى» على أنه كان رئيسا صاحب نشاط ومشاريع تؤكد طموحه ، اذ قد أصبح فى زمن قصير ملكا مطاعا فى كل أنحاء الدلتا الشرقية من أول شواطىء « البحر الأبيض » حتى « منف » ، وقد أفاد من ضعف حكام المقاطعات المجاورين لها وانقسام بعضهم على بعض ، ففرض قوانينه وأنظمته الحكومية على الأسرات التى كانت تحكم فى وسط الدلتا وغربيها ، وقد اعترفوا دون أية صعوبة بسلطانه، وقدموا له المساعدة والعون عندما قرر الشروع فى اخضاع الأمراء اللوبيين فى « مصر الوسطى » لسلطانه تمهيدا لطرد « الكوشيين » من « مصر العليا » .

والظاهر أن « تفنخت » لم يقابل وقتئذ الا مقاومة ضئيلة فى تأمين قوته على شاطىء النيل حتى مشارف « بنى حسن » . ولم يقف فى وجهه عقبات فى تحقيق

مشاريعه الا مدينتين وهما : « اهناسيا المدينة » التى كان مضطرا أن يضرب عليها حصارا قويا ، ثم مدينة « الأشمونيين » التى لم تلبث أن سلمت له وانضمت الى لوائه •

والواقع أن « الكوشيين » كانوا فى تلك الفترة قد استولوا فعلا على كل « الوجه القبلى » ووضعوا فيه حاميات من الجنود « الكوشيين » فى المراكز الرئيسية على النيل بعد «طيبة» ، وكانت مدينة «هيراكليو بوليس» = اهناسيا المدينة تعد الحد الشمالى لنفوذهم ، وقد ذعر « بيعنخى » بحق عندما سمع بأخبار حصار هذه المدينة ، وأرسل جيشين أوقفا زحف «تفنخت» نحو الجنوب وحاصرا « اهناسيا المدينة » ، غير أن جنوده أهملوا متابعة جنود أمير « سايس » الذين حولوا طريقهم محاولين الاستيلاء على « الأشمونين » •

وقد أغضب ذلك « بيعنخى » وصمم على قيادة جيشه بنفسه ، ولم يلبث أن أخضع أمير « الأشمونين » قبل أن ينحدر فى النيل الى « منف » التى استولى عليها بهجوم مفاجىء • وعلى الرغم من الجهود اليائسة التى بذلها « تفنخت » فان الجيش « الكوشى » قد استمر فى تقدمه الظافر فى ربوع الدلتا • ولما كان أمير « سايس » موطدا العزم على المقاومة فانه احتمى فى مناقع الدلتا الوعرة المسالك على الجنود الأجانب ، غير أن حلفاءه انفضوا من حوله الواحد تلو الآخر دون أن يحارب أحد منهم معه مما جعله يقدم خضوعه للملك «بيعنخى» الذى قبله بلهف وكرم وعلى اثر ذلك عقد له « تفنخت » يمين الطاعة والولاء •

ومما يؤسف له أن الحوادث التى أعقبت ذلك الاستسلام ليست معروفة لنا تماما ، وكل ما نعلمه أن « بيعنخى » بعد أن أتم فتوحه لمصر كلها عاد الى « نباتا » عاصمة ملكه البعيدة الواقعة بالقرب من « الشلال الرابع » فهل يا ترى قدر هذا الفاتح العظيم قيمة عدوه « تفنخت » وما كان له من أنصار وأتباع وعهد اليه بالسيطرة على الأمراء « اللوبيين » حتى يعوقه عن تأليف حلف آخر من الأمراء ليقاوم الغزو « الكوشى » ؟

وكذلك تساءل هل سمح لأمير « سايس » بعـد تسليمه أن يضع اسمه فى طغراء ملكية فى مقابل ولائه وبذلك يصبح ملكا على البلاد ولو اسما ؟ والواقع أن عدم وجود « تفنخت » فى زمرة المهزومين الذين نراهم مصورين فى الجزء العلوى من لوحة « بيعنخى » يجعل أمامنا مجالا للاعتقاد فى ذلك ، ولكن الأرجح أن « بيعنخى » بارتكابه غلطة ترك بلاد الدلتا دون احتلالها عسكريا ثم ترك كل الأمراء المحليين فى مقاطعاتهم قد مهد فرصة مواتيـة للأمير « تفنخت » ليحتل المكانة العليا التى كان قد فقدها مؤقتا ، ومع ذلك فانه قد عرف كيف يضع حدا لمطامعه فقنع بتمكين سلطانه على الدلتـا بقوة فاعترفت به ملـكا ، وقد مكث حكمه عليها على أقل تقدير ثمانية أعوام (راجع L. R., III P. 409) .

ومهما يكن من أمر فان حملة « بيعنخى » الهائلة قد أظهرت الضعف المتناهى الذى وصل اليه نسل « شيشنق الأول » فى أواخر أيامه . فقد كانوا لا يعرفون كيف ينظمون المقاومة أو يفيدون من الفرص التى أتيحت لهم ليستولوا من جديد على السلطان فى البلاد . وعلى أية حال فانه بعد ارتداد «الكوشيين» الى «نباتا» تسلط « تفنخت » على « الوجـه البحرى » كما كان يسيطر عليـه قبـل وصولهم اليه .

وهكذا أسست فى الدلتا أسرة ثالثة « لوبية » تناسلت من أمراء «سايس» ، وقد قضت الأحداث التاريخية أن يواجه أخلاف الفاتحين اللوبيين غزوات عدة لأرض الكنانة من « كوشيين » و « آشوريين » و « فرس » ، فيما بعد .

ونجد فى كل مرة أن روح المقـاومة للغاصبين يأتى من أحـد أمراء بيت « سايس » ، فنشاهد كلا من « بوكوريس » و « نيكاو » و « بسمتيك » قد قفا نهج « تفنخت » مؤسس الأسرة (الرابعة والعشرين ومن نسله ملوك الأسرة السادسة والعشرين على حسب ما جاء فى « مانيتون ») ولكن بحظوظ متباينة .

خلف « بوكوريس » والده « تفنخت » دون معارضة ، وعلى الرغم من أن

رقعة ملــكه كانت ضيقة المساحة الا أنها كانت منظمة تنظيما حســنا • وتعــد الأساطير التى انحدرت الينا من هذا العهد ــ الملك « بوكوريس » [1] واحدا من ستة المشرعين العظام الدين ظهروا فى مصر القديمة • ولا نزاع فى أن الدلتا كانت تتمتع فى عهده بســلام ورخاء كافيين يسمحان له بأن يلعب دورا هــاما خارج حدود بلاده •

والواقع أن هذا الملك « الساوى » كان يقلقه تقدم « الآشوريين » الذين كانوا قد أضاعوا النفود المصرى الذى أعاده « شيشنق الأول » فى «فلسطين» وقد خاف وقوع غزوة مصر على يد جنود «سرجون الثانى» (٧٢١ــ٧٠٥ ق٠م) وقد اتبع « بوكوريس » سياسة والده الواقعية التى لم تتردد فى الاتحــاد مع اسرائيــل على « آشــور » ، وقد اهتم بتكوين حلف من أمراء « فلسطين » و « صيدا » وأمده بمساعدة عسكرية ، غير أن جيش الحلف هزم هزيمة نكراء ، وأرخت النجدة المصرية لساقيها العنان مولية الأدبار • وقد كانت هــذه الخيبة الحربية سببا فى أن نفض « بوكوريس » يده من كل تدخل فى الشرق ، وعلى أية حال فانه كان مهددا بغزوة « كوشية » جديدة (راجع Leclant Revue D'Egypt, T. VIII, P. III, note I)

وقد أعد «بوكوريس» نفسه ليحارب داخل بلاده اذا أغار عليه العدو ، غير أن الحرب دارت دائرتها عليــه ولم يكن ملك « كوش » وقتئذ وهو « شــبكا » رحيما كما كان سلفه « بيعنخى » ، فقد أخذ « بوكوريس » أسيرا وحرقه حيا (حوالى ٧١٥ ق٠م) كما قيل •

والواقع أن معلوماتنا ناقصة عن هذا الفتح « الكوشى » الثانى ، وكذلك لا نعرف نتائجه على مملكة « سايس » ويمكن تفسير كره « شــبكا » للملك

---

(١) راجع Diodorus Siculus. Loeb. Ed., Vol. I, P. 321 f.

« بوكوريس » بأن « بيمنخى » كان قد أعاد « تفنخت » الى عرش « سايس» وأن ابنه قد اقترف خيانة حقيقية ، وتدل شـواهد الأحوال على أن المملـكة « الساوية » قد أقيمت دون موافقة « الكوشيين » ولكن لما كان الملك «شبكا» يشعر بالخطر « الآشورى » فانه رأى من الصـواب أن يسمح بوجود أسرة « لوبية » ثالثة فى « سايس » . ولابد أن أخلاف « بوكوريس » قد اتخذوا من موته موعظة ، وعلموا أن مصيرهم سيكون كمصيره ان هم شقوا عصا الطاعة وحلوا عقدة تبعيتهم وخضوعهم أو قاموا بمعارضة الخطط « الكوشـية » . ويتساءل الانسـان هل أعطوا ضمانا لذلك ؟ وهل اكتفوا بأن يقوموا بادارة البلاد وحسب ؟ وهل كانوا دائما ملاحظين من جانب جنود الاحتلال «الكوشى» الذين كانوا بعيدين عن قواعدهم وخافوا قيام ثورة وطنية ؟ ولا شـك فى أن هؤلاء كانوا يتكلون على مساعدة مصريى الدلتا فى حالة تهديد غزو «آشورى» لهم ، ولذلك فضلوا أن يشعروا الملوك الشرعيين ظاهرا بالقوة . غير أنه لم يبد مؤكدا من هذا الا شىء واحد وهو أنه بعد موت « بوكوريس » نجد أن رجال أسرته قد حافظوا على امتيازاتهم الملكية .

وقد ظل ملوك « سايس » ما بين عامى ٧١٥ــ ٦١٥ ق.م خاضعين تمام الخضوع للفاتحين « الكوشيين » ، وقد كان من العسير عليهم أن يحصلوا على الطاعة التامة من أتباعهم القدامى ، وكان من مصلحة المحتلين تماما ألا تهـدأ المشاحنات التى تسهل لهم عملهم . وتاريخ الملوك المصريين الذين عاشوا فى عهد « شبكا » و « شبتاكا » غامض جدا بوجه خاص . وقد حفظت لنـا أسماؤهم غير أنه من المستحيل أن نقرر بوجه التأكيد الروابط الأسرية التى تربط بعضهم ببعض حتى يمكننا القطع بالحوادث التى اشتركوا فيها .

والملك « نيكاو » جد المتعبدة الآلهية « نيتوكريس » من جهة أبيها معروف لنـا جيدا . ولا يدل حكمه « سايس » وسلوكه فى أثناء الغزوات «الآشورية»

أو الفتوح الجديدة « الكوشية » بصــورة قاطعة على أنه ينتسب الى الأسرة « اللوبية » الثالثة التى قامت فى « سايس » ، اذ الواقع أنه كان فى مقدور كل من « شبكا » و « شبتاكا » أن يتصرف فى عرش « سايس » على حسب ميله ، وان كانت شــواهد الأحوال تدل على أنه فى عهــد « شبتاكا » قامت حروب داخلية استدعت مجيء « تهرقا » وأخوته معه لمعاونة أخيهم الملك . (راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ٢٢٠) .

ونكتفى هنا أن نفرض — وهو أمر محتمل — أن « نيكاو » كان من نسل « بوكوريس » دون أن نحكم بأنه ابنه أو حفيده من الفرع الأكبر أو من الفرع الأصــغر للأسرة . وقد حكم « نيكاو » حوالى ثمانى ســنين وقد كان بداية توليه العرش عندما عزا « الأشوريون » مصر وكانت الامبراطورية العظيمة التى أسسها « بيعنخى » وتمتد من « الشلال الرابع » الى « البحر الأبيض » فى يد «تهرقا العظيم» . وكان متخــذا «تانيس» مقرا لحكمه ليشرف عن كثب على حدوده الشرقية . وكان يحلم كما فصلنا القول فى ذلك من قبل فى اعادة «سوريا» للنفوذ المصرى . وفى تلك الفترة كان «أسرحدون» ملك «آشور» الجديد مضطرا الى اعادة استقرار ملكه الذى كان مهددا لمدة بسبب قتل والده غيلة . وقد رأى «تهرقا» أن الفرصة سانحة لنيل مأربه ، فأثار الاضطرابات والثورات فى «آسيا» على الحكم « الآشــورى » غير أن « أسرحدون » لم يجد عنــاء كبيرا فى قمع الثائرين ، وبعد ذلك بقليل دخل الجيش « الآشورى » مصر ، وقد سهل عليــه غزو « مصر » التقهقر السريع الذى قام به « تهرقا » . فقد وصل الى « طيبة » بسرعة ثم تابع تقهقره حتى وصل الى « نباتا » عاصمة ملكه . على أنه باســتيلاء « أسرحدون » على « منف » خضعت له الدلتا بسرعة ، وعندئذ أسرع الملك

(١) راجع Unger, Chronologie des Manetho. P. 271.

« نيكاو » ملك « ســـايس » بالاعتراف بســيادة « أسرحدون » ولما كان « نيكاو » يأمل بعد موت ملك « آشور » فى أن يحصل على بعض الفائدة ، فانه أسبغ اسما آشوريا على عاصمة ملكه كما سمى ابنــه « بسمتيك » إسما آشوريا أيضا . وهذا الملق المشين قد ينم عن خور ونذالة فى وطنيته ، ولا عليه فى ذلك أكثر من اللوم الذى كان يقع على عاتق « منتومحات » أمير « طيبة » آنذاك ، فقد سلك مسلك الرجل الذى يبيع وطنه بأبخس الأثمان وهو بعيد عن كل خطر وتهديد من « الآشوريين » . فقد ذهب الى « أسرحدون » عن طيب خاطر مقدما له الجزية ، ولم يكن لديه من الأسباب ما يدل على زحف العــدو على مدينته ، هذا الى أنه كان لديه الوقت الكافى لأن يعمل حســـابه لامكان تقهقره نحو بلاد « النوبة » أو بلاد « كوش » نفسها ولا يستسلم للعدو دون أية مقاومة ، ولكن قد يكون من الخير ما فعله اذ حفظ المدينة المقدسة من يد التخريب والعبث بآثارها ، كما فعل الفرنسيون فى الحرب الأخيرة عندما سلموا « باريس » فحفظوها من الدمار ولم يكن فى مقدور « أسرحدون » بعد احراز هذا النصر أن يبقى مدة طويلة أكثر من اللازم بعيدا عن مقر ملكه فى « نينوه » ولذلك فانه اكتفى بالغنائم التى جمعها من الجزية وباخضاع أمراء « الدلتـــا » فى نفس الوقت ثم عاد الى « آشور » .

أما « تهرقا » فانه نزل فى النيل ثانيــة غازيا وبعــد هزيمة « الآشــوريين » صفح عن « نيكاو » كمـــا صفح عن « منتومحات » ، وبذلك أصبحت مملكة « سايس » من جديد تحت سيادة « الكوشيين » .

أما « أسرحدون » فانه اســتعد لفتح مصر مرة أخرى عنــدما علم بحملة « تهرقا » ولكن المنية عاجلته .

وبعد ذلك قام ابنه وخليفته « آشور بنيبال » عام ٦٦٨ق.م بمشروع فتح مصر تنفيذا لخطة والده ، فوضع أحد قواده على رأس جيش عظيم وتقابل مع

جيش « تهرقا » فهزمه وولى « تهرقا » هاربا الى « الوجه القبلى » ، وعلى أثر ذلك أصبحت « منف » والدلتا من جديد تحت السيادة الآشورية . وعندما أراد قائد « آشور بنيبال » اقتفاء أثر « تهرقا » حتى « طيبة » أمده « نيكاو » الذى كان يحكم « سايس » و « منف » وقتئذ بجنود من جيشه ، غير أنه لم ينقطع عن الاتصال بالكوشيين سرا رغبة فى اعادتهم ثانية . وقد كشف أمر هذه الخيانة الأشوريون وعلى ذلك قبض على « نيكاو » وابنه « بسمتيك » وبعض أتباعهما ، وسيقوا الى « نينوه » فى السلاسل والأغلال .

وقد عرف ملك « سايس » و « منف » وهو فى الأسر كيف يستهوى الملك « آشور بنيبال » ويكسب ثقته حتى أنه عفا عنه وأعاده الى « مصر » محملا بالهدايا ، واعتلى عرش ملك بلاده ثانية ، وكذلك أنعم على ابنه « بسمتيك » فضلا عن ذلك بولاية بلدة « اتريب » بمثابة اقطاع له . وقد كان لزاما على « نيكاو » أن يبقى مقابل ذلك مواليا للملك « آشور بنيبال » . هذا ولم يكن فى مقدور « تهرقا » أن يسترد سلطانه على « الوجه البحرى » . ولكن خلفه على عرش ملك « كوش » وهو « تانو تأمون » قرر على حسب رؤيا فى منام له أن ينحدر من « نباتا » ويخلص الدلتا من يد الآشوريين ، وقد اصطدم بالقرب من « منف » مع حامية « آشور بنيبال » وجنود « نيكاو » وهزمهم وأسر « نيكاو » فى الواقعة التى دارت بين الفريقين فى عام ٦٦٣ ق.م (وليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن « نيكاو » الذى أخذه « تانو تأمون » أسيرا قد أعدم) . (راجع De laporte, Le proche Orient, P. 260)

والظاهر أن سياسة « نيكاو » كانت سياسة واقعية جدا وذلك أنه لما رأى أن كلا من الملك « تفنخت » والملك « بوكوريس » سلفيه ليس لهما الا عدو واحد يناهضهما فى الملك هو ملك « كوش » وجد من العبث القيام فى وجهه فى تلك الفترة ، غير أنه فى عهده كان الموقف معقدا ، وذلك لأن مصر كانت محط

أنظار كل من « الكوشيين » و « الآشوريين » وقد أصابها الضعف فلم تصبح قادرة على محاربة غزاتها من « الآشوريين » و « الكوشيين » ولذلك وجد من الحكمة أن يسـير على حسب مقتضيات الأحوال . والواقع أنه كان على رأس مملكة « سايس » الملك السياسى المحنك الذى تتقلبه الأحوال وقتئـذ ، وفى الحق لقد قام « نيكاو » بدور حرج جـدا ولكن بمهارة بين « الكوشـيين » و « الآشـوريين » عدوى مصر . فنجد أنه كان فى بادىء الأمر تابعا للملك « تهرقا » ، ولذلك فانه تلقى أخبار الحملة الأولى « الآشورية » بكل حماس وهى التى خلصته من ملك غير مشرف ، غـير أن اعادة فتح البـلاد على يد «الآشوريين» قد جعله يفكر مليا اذ نظر باحتقار وازدراء الى مقاصد الآشوريين من فتحهم لبلاده ، وفهم أنهم لم يكونوا يفكرون فى جعل « مصر » مديرية من امبراطوريتهم وحسب ، بل ان ملك « نينوه » لم يكن يبحث الا على التغلب على بلاده التى دلت التقاليد على أنها كانت مصدر ثروة طائلة . ومن أجل ذلك بقى « نيكاو » مواليا «لتهرقا» منذ الحملة الثانية الآشورية . ومع ذلك فان مدة مكثه أسيرا فى « نينوه » قد فتحت عينيه وغيرت أفكاره ، وعندما عاد الى «مصر» وجد من الحكمة ألا يخدع باغراء « الكوشيين » له ، فقد أملت عليه مصالحه الخاصة أن يكون على ود ومصافاة مع « آشور بنيبال » ملك « آشـور » والمسيطر على «مصر» . وقد كان ملك «كوش» وقتئذ « تانو تأمون » يفضل « مصر » على بلاده « كوش » ، أما « آشور بنيبال » الذى كان وقتئذ يسيطر على امبراطورية شـاسعة المساحة مترامية الأطراف مليئة بالثـورات ، حافلة بالاضطرابات ، فكان لا يهتم بوادى النيل ولذلك فانه بعد سحق « الكوشيين » لم يهتم بوادى النيل الا من الوجهة السياسية ، ومن ثم كانت الفرصة التى طالما ارتقبها ملك « سايس » سـانحة لتوحيد ملك « مصر » ولم يخطىء « نيكاو » فى حسابه ولم تكن آماله بعيدة المنال ، فقد حققتها حوادث المستقبل على يد ابنه « بسمتيك » (؟) .

والواقع أن الحوادث التى وقعت بين « كوش » و « آشور » قد سببت تأخير تولى « بسمتيك » عرش مصر وذلك أن الملك « تانو تأمون » قد استمر عبثا فى مطاردة أتباع ملك « سايس » فى الدلتا . وقد أبوا منازلته واعتصموا فى حصون بلادهم ، وفى خلال تلك المدة التى خاف فيهـا الملك الشاب أن يكون مصيره مصير « بوكوريس » فر الى « سوريا » وعاد بجيش آشـورى الى « مصر » ليستولى به عليها . وكان عليه أن يطارد « تانو تأمون » ويقفو أثره حتى « الشلال الأول » . والواقع أن اعادة فتح « مصر » كان سهلا ميسورا ، فقد طورد « تانو تأمون » حتى « الوجه القبلى » وبعد ذلك هرب الى « نباتا » بعد أن خربت « طيبة » خرابا شاملا . وبعد ذلك استولى « بسمتيك الأول » على ارث والده اثر وفاته . وقد اعترف صغار الأمراء فى كل أنحاء الدلتا بسلطان « بسمتيك الأول » عليهم .

هذه نظرة عابرة الى الأحداث التى سبقت اعتلاء بسمتيك الأول عرش مصر وتأسيس الاسرة السادسة والعشرين التى أعادت لأرض الكنانة بعض غابر مجدها وسؤددها فى العالم المتمدين وقتئذ .

الأسرة السادسة والعشرون
أو عصر النهضة

لا نزاع فى أن أول ظهور للأسرة الساوية كان فى عهد الملك « بيعنخى » الكوشى كما أشرنا الى ذلك من قبل (راجع الجزء الحادى عشر ص ١٠ الخ) وذلك عند ما ظهر الحاكم « تفنخت » أمير « سايس » وأخذ فى مناهضة العاهل الكوشى « بيعنخى » . وقد أفلح « تفنخت » فى ضم كثير من جهات القطر المصرى ولكنه اضطر فى آخر الأمر الى الخضوع الى سلطان « بيعنخى » مؤقتا . ومن ثم نرى أن سلطان الأسرة « الساوية » قد بدأ منذ نهاية الأسرة الثالثة والعشرين عند ما احتل « كشتا » الوجه القبلى ، وتدل شواهد الأحوال على أن « تفنخت » هو مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين أو الأسرة اللوبية الثالثة على الرغم من أن « مانيتون » لم يذكره فى قائمة هذه الأسرة بل قال : ان الملك الوحيد الذى تتألف منه هذه الأسرة هو الملك « بوكوريس » (باكنريف) الذى تحدثنا عنه فى الجزء الحادى عشر (راجع ص ١٠٥ الخ) . والآثار المصرية القليلة التى بقيت لنا من هذا العهد تمكننا مع ذلك من التعرف على سلسلة من الأمراء الساويين مما يسهل علينا ربط « بوكوريس » والملوك الذين تسموا باسم « نيكاو » ، وكذلك الذين تسموا باسم « بسمتيك » وهم الذين تتألف منهم الأسرة السادسة والعشرون « المانيتونيه » ، ويكاد يكون من المؤكد أن الأسرة السادسة والعشرين ليست الا امتدادا للأسرة الرابعة والعشرين ، ولا شك فى أن الانزواء المؤقت للأمراء الساويين الذى حدث فى خلال الأسرة الرابعة والعشرين ونهاية الخامسة والعشرين يقابل الفترة التى استولى فيها على «مصر» ملوك « كوش » الذين كانوا يؤلفون الأسرة الخامسة والعشرين ، ولكن لا بد من أن نلفت النظر هنا بوجه عام الى أن نسل هؤلاء « الساويين » الذين قهرهم

« بيعنخى » وغــيره من ملوك « الكوشيين » هم بدورهم الذين انتقموا من الغزاة وانتصروا عليهم انتصــارا باهرا وردوهم على أعقابهم الى عقر دارهم « نباتا » فى الجنوب .

وهؤلاء الملوك وعددهم خمســة قد تحدثنا من قبــل عن اثنين منهم وهمــا « تفنخت » و « بوكوريس » (راجــع الجزء ١١ ص ١١ الخ) . وقد اختلف علماء الآثار فى تحقيق أسماء الملوك الثلاثة الآخرين كمــا اختلفوا فى ترتيبهم (راجع فى هذا الموضوع ماكتبه Petrie, History of Egypt, vol. III (P. 312-24; Gauthier, L.R. IV P. 406-16).

وعلى أية حال نجد أن آخر هــؤلاء الملوك « نيكاو الأول » الذى قاوم « الآشوريين » وهو والد « بسمتيك » مؤسس الأسرة السادســة والعشرين .

الملك « بسمتيك الأول »[١]
مؤسس الأسرة السادسة والعشرين
٦٦٣ — ٦٠٩ ق . م


بسمتيك


واح اب رع

تعد الأسرة التى تبتدىء بالملك « بسمتيك الأول » ابن الملك « نيكاو » وتنتهى بالملك « بسمتيك الثالث » من الأسر التى نعرف تاريخها بصورة مرضية على وجه عام . وتحتوى هذه الأسرة على ستة ملوك حكموا جميعا حوالى تسع وثلاثين ومائة سنة . ويبتدىء حكمها بالسنة الرابعة والستين والستمائة ، وينتهى بالسنة الخامسة والعشرين والخمسمائة قبل الميلاد (٦٦٤ — ٥٢٥ ق.م) .

ولكن « مانيتون » قد وضع لهذه الأسرة ثمانية ملوك وذلك لأنه أضاف قبل « بسمتيك الأول » ثلاثة ملوك وهؤلاء فى الواقع يعدون بقية ملوك الأسرة الرابعة والعشرين وهى أسرة « ساوية » كما ذكرنا من قبل ، أو الأسرة اللوبية الثالثة . وهؤلاء الملوك هم « واح — ايب رع » « تفنحت الثانى » وحكم سبع سنين ، والملك « ار — اب رع » « نيكاوبا » وحكم ست سنوات ، ثم الملك « من — ايب — رع » « نيكاو » الأول وحكم ثمانى سنين[٢] .

وقد كان بداية عهد « بسمتيك الأول » فاتحة عهد جديد فى تاريخ مصر وبداية حكم أسرة جديدة بلا نزاع .

ان أول عقبة تصادفنا فى حياة « بسمتيك » هى : لماذا عدّ مؤسس أسرة جديدة وهى الأسرة السادسة والعشرون مع أنه من سلسلة أسرة ملوك متتابعين

---

(١) انظر الصورة رقم (١) .

(٢) راجع Petrie, Hist. III, PP. 317-319

وهم ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ؟ وفي اعتقادي أن الجواب الشافي على ذلك هو أنه ابتدأ عصرا جديدا في حياة « مصر » . فقد أصبحت البلاد في عهـده مستقلة بعد أن كانت ترزح تحت نير الحكم الآشوري . ولدينا حادث يعد نظيرا لذلك في تاريخ الأسرة الثامنة عشرة التي ابتدأها « أحمس الأول » ، فقد كان أخا للملك « كامس » آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة ومع ذلك عد مؤسسا لأسرة جديدة ، حقا أسس هذا العاهل أسرة جديدة في تاريخ مصر ، فقد سار بهـا في طريق الاســـتقلال حتى بلغت غايتــه ، ثم أخذ بعـد ذلك في تأسيس امبراطورية جديدة على أنقاض دولة « الهكسوس » الذين هزمهم ، وها نحن أولاء نرى « بسمتيك » يلعب نفس الدور ، فانه خلص « مصر » من النـير الآشوري والكوشي ونهض بها نهضة كانت مضرب الأمثال في تاريخ « مصر » بل في تاريخ الشرق عامة ، فقد خلص البلاد من حكم « الآشوريين » الغاشمين ثم سار بالكنانة نحو المجد فأعاد لها بعض عظمتها القديمة ، فأحيا فنونها واسترد كثيرا من ممتلكاتها خارج حدودها .

وقد عزا الأستاذ « بترى » تأسيس الأسرة الجديدة الى سبب آخر ، فرأى أن ذلك يرجع الى تأثير « كوش » ، فقال ان شـــواهد الأحوال تدل على أنه حوالى ٦٩٠ ق.م عند ما كان الملك « تهرقا » في أوج عظمته وقـوته في بلاد الدلتـا وفي بلاد « فلسطين » عمل على أن يضم أمير « ســـايس » « نيكاو » بالمحالفة الى جانبه ، فزوجه ابنته التي أصبحت فيما بعد أم « بسمتيك » مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ، وقال أنه من البدهي أن اسم « بسمتيك » في تركيبه هو من طراز تركيب اسم « شبتاكا » ومعنى هذا الاسم هو : ابن القط البرى ، وعلى هذا النمط يكون معنى « بسمتيك » « ابن سام » والمقطع « با » = أداة التعريف (الـ) للمذكر كما توجد أداة التأنيث « تا » في اسم « تاسمتيك » . ومعنى « بسمتيك » معناه (ابن الأسد) وذلك لأن كلمة « سام » معناه الأسد باللوبيـة ، وكذلك لدينـا في العربية اسم « أسامة » = (أسـ -) . وقد وافق

« بترى » فى اشتقاق اسم « بسمتيك » على أنه من أصل « كوشى » الأثرى « بروكش » . (راجع Brugsch, Gesch. Aegypten P. 737)

ولكن من جهة أخرى نجد أن « لبسيوس » و « سترن » و « ارمان » يعدون هذا الاسم من أصل « لوبى » ، وعلى العكس من ذلك قد برهن « فيدمان » بوضوح أن هذا الاسم « مصرى » بحت وأخيرا يقول الأستاذ « شبيجلبرج » أن التفسير اللغوى للاسم هو انسان الاله « متك » ، وقد ذهب الى أن « متك » هو الاله المحلى للمكان الذى نشأت فيه هذه الأسرة (راجع المصادر عن ذلك فى Gauthier L.R. IV P. 66, N. 2).

وعلى أية حال فنحن نعرف من مصادر مختلفة اغريقية أن « بسمتيك الأول » كان ابن « نيكاو » . من ذلك ما جاء فى « هردوت » (راجع Herod. II 152) و « بسمتيكوس » هذا الذى فر أمام « سبكون » «الأثيوبى» الذى قتل والده « نيكاو » وكان قد هرب فى ذلك الوقت الى « سوريا » وقد أحضره المصريون التابعون لاقليم « سايس » عند ما تقهقر الأثيوبيون بسبب رؤيا فى منام (راجع عن هذا الحلم Herod. II 139) وجاء فى « مانيتون » أن « بسمتيك » حكم أربعا وخمسين سنة . (راجع Unger Chronologie des Manetho P. 271)

وقد أكد هذا التاريخ ما جاء فى لوحة « السربيوم » الموجودة بمتحف « اللوفر » . (راجع Louvre N. 193.; L.R. IV P. 74-9 XXXI-XXXII)

ومن بين الأساطير التى كانت شائعة فى « سايس » فى القرن الخامس قبل الميلاد قصة تحدثنا أنه فى ذلك الوقت كانت كل البلاد قسمة بين اثنى عشر أميرا ، وأنهم كانوا يعيشون فى أمان جنبا لجنب الى أن أوحى اليهم وحى بأن كل الوادى سيكون فى نهاية الأمر فى قبضة أمير منهم وهو الذى سيصب القربان للاله « بتاح » فى كأس من النحاس ، ومن ذلك الوقت أخذ كل واحد منهم يرقب الآخر بغيرة شديدة فى كل مرة يجتمعون فيها سويا فى معبد « منف » ليقيموا

الصلاة ويقدموا القرابين ، واتفق ذات يوم عند ما اجتمعوا معا رسميا وقدم لهم الكاهن الأكبر كئوسا من الذهب لعتادوا استعمالها ، أن وجـد أنه قد أخطأ فى الكئوس وأنه قد أعد أحد عشر كأسا بدلا من اثنتى عشرة ، وقد ترك من أجل ذلك « بسمتيكوس » بدون كأس ، ولكن لأجل ألا يرتبـك الاحتفال أخـذ «بسمتيكوس» قبعته المصنوعة من النحاس واستعملها كأسا ليأخذ فيها قربانه ، وعنـدما لحظ سـائرهم ذلك مرت بأذهـانهم كلمـات الوحي ، فنفوا « بسمتيكوس » الأمير الطائش الى المستنقعات الراقعة على سـاحل « البحر الأبيض » وحذروه أن يغادرها أبدا . ولكنه استشار وحى « ايزيس »[1] صاحبة بلدة « بوتو » ليعرف ماذا ينتظر من الآلهة ، وقد أجابتـه أن طريقة الانتقام ستصل اليه من البحر فى اليوم الذى سيخرج من مياهه جنود من نحاس . وقد ظن فى بادئ الأمر أن الكهنة يهزءون منـه ، ولكنه لم يمض طويل وقت حتى نزل الى البر قرصان من « ايونيا » و « كاريا » لابسين دروعهم على مسـافة قريبة من مسـكنه ، ولم يكن الرسول الذى جاء ليخبر بوصولهم قد رأى من قبل جنـديا مدججا بسلاحه مثل الذين رآهم ، وقد أخبر أن رجالا من نحاس قد خرجوا من أمواج البحر وأنهم ينهبون البلاد . ولما لحظ « بسمتيكوس » أن نبوءته قد تحققت هرول ليقابل هؤلاء الأجانب وخرطهم فى خدمته وبمساعدتهم تغلب على مناهضيه الأحد عشر أميرا حكام المقاطعات على التـوالى . (راجع (Herod. II 152-57 .

وعلى ذلك نجد أن قبعة من النحاس ووحيا قد خلعاه عن العرش وأن وحيا آخر ورجالا من النحاس قد وضعاه على العرش . وقد وصلت الينا رواية أقصر من السابقة عن هذه الحوادث لم تذكر الاثنى عشر ملكا ولكن ذكرت بدلا منهم ملكا يدعى « تمنتس » "Tementhes" حذره وحى « آمون » أن يحترس

(١) وهى التى تقابل الآلهة « لاتونة » عند اليونان (Latone) .

من الديوك . وقد كان « لبسمتيكوس » رفيق فى النفى وهو رجـل من بلاد « كاريا » يدعى « بجرس » وفى أثناء الحديث معه ذات يوم عرف بطريق الصدفة أن « الكاريين » كانوا أول أناس يلبسون القبعات ذات العرف ، وعلى ذلك تذكر فى الحال كلمات الوحى ، واستأجر من « آسيا » عددا من هـذه « الديوك » (الأعراف) وبمساعدتهم ثار على ملكه وهزمه فى موقعة تحت جدران « منف » على مقربة من معبد « ازيس » . (راجع Polyaenus, Stratagemata VII 3) [1]

هذه هى الأسطورة التى تعزى الى نهضة العصر « الساوى » ، وتاريخها الحقيقى لم يعرف على وجه الدقة حتى الآن ومن المحتمل جدا أنها تشير الى التحالف الذى عقد بين «جيجز» ملك « ليديا » وبين « بسمتيك » على طرد «الآشوريين» والتخلص من نيرهم . حقا كانت مصر فى حالة انحلال تام عند ما أخذ «بسمتيك» فى نهاية الأمر يحيى مشاريع أسرته الطموحة ، غير أن القضاء على أجزائها التى تتألف منها لم يحدث على وتيرة واحدة فى كل مكان . فكان الشمال أى «الدلتا» ووادى النيل حتى « سيوط » فى يد سلطة حربية أرستقراطية يشد أزرها جنود وطنيون غير نظاميين بالاضافة الى فرق من الجنود المرتزقة الذين كان معظمهم من أصل « لوبى » وهم الذين كانوا يطلق عليهم اسم قبيلتهم « المشوش » . ومعظم هؤلاء الأشراف كان الواحد منهم لا يحكم أكثر من مدينتين أو ثلاث ، وكان لديهم مجرد العدد الكافى من المعاضدين للمحافظة على كيانهم المهدد فى أملاكهم المحددة ، وقد كان الأمير منهم يخضع فى الحال لسلطان جاره القوى اذا هاجمه عند ما لم يجد له مساعدا قويا يحمى ذماره . وانتهى أمرهم أخـيرا بأن انقسموا جماعتين يفصل الواحدة عن الأخرى فرع النيل الأوسط . وتحتوى احداهما على المراكز التى يمكن أن يطلق عليها « الدائرة الآسـيوية » وتشمل

(١) بولينوس كاتب بيانى وحربى اغريقى ولد فى مقدونيا وكتب كتابا سماه « خدع الحرب » .

« هليــو بوليس » و « بوبسطة » و « منديس » و « تانيس » و « سمنود » وكان يتزعمها سيد من أسياد المدن الفتية ، فكانت مرة تدين بالطاعة لحــاكم « بوبسطة » وأخرى لحاكم « تانيس » وأخيرا لصاحب « پاســـبد » (صفط الحنة) المسمى « باكرورو » .

وكانت المجموعة الثانية تلتف حول أسياد مدينــة « ســايس » التى كانت بسيطرتها على « منف » قد أصبح لها الكلمة العليا فى مجالس الدولة أكثر من قرن من الزمن . وهـــذا التقسيم كان ممكنــا أن نلحظه مما جاء على الآثار « الآشورية » و « المصرية » فى ذلك العصر ، فقد رأينا أن أمراء الأقطاع كانوا يلتفون حول « نيكاو الأول » و « باكرورو » . وقد وصلت الينا قصة كتبت بالديموطيقية أساسها وصف حالة مصر فى عهد الاثنى عشر ملكا التى تحدث عنها الكتاب الاغريق ، وعلى الرغم من أن هذه القصة قد لا تكون لها قيمة تاريخية قط ، الا أنها مع ذلك تضع أمامنا مختصرا مقبولا عن الأحوال فى بلاد الدلتــا الاقطاعية فى حوالى القرن السابع قبل الميلاد . ومما يؤسف له جد الأسف أن هذه القصــة لم تصل الينا سليمة ، بل وصلت الينا فى صــورة أخرى مكتوبة بالديموطيقية أيضا (راجع Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt P. 217-264 وهاك ملخص هذه القصة اتماما للفائدة :

فى الوقت الذى كان يحكم فيه الفرعون « بدى باست » فى « تانيس » ، كانت كل البلاد مقسمة بين حزبين معاديين ، وكان على رأس حزب منهما السيد العظيم صاحب « آمون » فى « طيبة » أمير « منديس » وهو الذى سرق صدرية « أناروس » أمير « هليوبوليس » . وبدون هذه الصدرية أصبح لا يمكن أن يكون حفل جنازه تاما ، وقد شكا « بمبى » ابن أمير « هليو بوليس » هذا الى الملك « بدى باست » فى « تانيس » مما حــدث ، وكان الرئيس الأعلى لــكل الدلتا وقتئذ . غير أن السيد العظيم صــاحب « آمون » فى « طيبة » لم يطع

أوامر الملك . وكان لكل فريق منهما أتباع كثيرون ، وبذلك كانت كل الدلتـا على أهبة الدخول فى حروب داخلية . وقد نظم « بدى باست » الحرب وأمر بتأليف جمع رسمى مكون من الرؤساء الاقطاعيين ، ووضعهم فى صفين متقابلين. ونشبت الحرب ودارت الدائرة على حزب السيد العظيم « صـاحب آمون فى طيبة » على الرغم من أن الملك « بدى باست » كان يميل اليه ، وانتهى الأمر باعادة الصدرية الى « هليو بوليس » .

والآن يتساءل الانسان لماذا كانت الصدرية تحتل هذه المكانة فى مراسيم الدفن ؟

والواقع أن القصـة لم تقدم لنا جوابا عن ذلك . ولكن يقول « بترى » (راجع Petrie, Hist. III, p. 322) . انـنا اذا تأملنا موميات هـذا العصر وجدنا أنه توجد صدريات عظيمة مذهبة محلاة بأشكال آلهة وشياطين ، وهذه كانت تؤلف جزءا أصليا من المراسيم الجنازية فى هذا العصر ، وهذه الصدريات التى كانت تصنع من نسيج مقوى فى العادة كانت فى الواقع تقليدا لصدريات من الذهب أو من الفضة المذهبة (راجع صدرية «حوروزا» Petrie, Kahun p. 19) وكانت تصنع خصيصا لعظماء الرجال فى ذلك العصر . ومن ثم لابد أن الصدرية المسروقة كانت على أغلب الظن عظيمة وذات قيمة كبيرة .

وقد كانت الحرب بوجه عام قائمة بين الاقليم المتحد الجديد الذى نشأ فى الشمال الشرقى من الدلتا وبين مقاطعات الجزء الأعلى من الدلتا وغيرها (راجع (Petrie, Ibid p. 322) .

ومن أسماء أمراء المقاطعات يتبين لنـا أن ثلاثة منهم ذكروا فى القائمة التى تركها لنا « أسرحدون » بوصفهم من أتباعه وهم : « بدى باست » (بوتوبيستى صاحب « تانيس ») و « باكرورو » صـاحب « پاسـبد » (صفط الحنة)

و « ناهكى » صاحب « اهناسيا المدينة » . ومن هذه الأسماء نفهم أن هذه القصة لا يمكن أن نضعها قبل عام ٦٧٠ ق.م. وأنها تحدثنا فى الوقت نفسه عن أشخاص تاريخيين .

ومن دراسة هذه القصة نعلم أن « بدى باست » كان الرئيس الأعلى لكل حكام الاقطاع فى الدلتا وأنه هو الذى كان يرجع اليه للفصل بينهم فى مشاكلهم . وأنه عندما كانت الأحوال تحتم الحرب بين الفريقين كان هو الذى ينظمها ، غير أنه لم يكن فى مقدوره أن يصدر أوامره بمنعها كلية . ففى الحرب التى نشبت بسبب الصدريه نجد أنه قد وعد مرارا باعادتها ، غير أنه لم يكن فى استطاعته ارغام السيد العظيم « صاحب آمون فى طيبة » على الخضوع لأمره ، وعند ما تحرجت الأحوال وأصبح لابد من الحرب ، وجد أن « باكرورو » رئيس الشرق قد أرسل رسائل يطلب فيها حضور حلفائه المختلفين ، ويحدد لهم أن يجتمعوا عند بحيرة « الغزال » (نبيشة) . وبعد ذلك تقص علينا القصة وصف وصول « بدوخنسو » صاحب « اتريب » ومعه أربعون سفينة كبيرة وستون ومائة سفينة صغيرة هذا الى خيل وجنود رجالة بمقدار عظيم لدرجة أن النهر وشاطئيه قد ضاقا بهم . وقد تدخل الملك راجيا « بدوخنسو » ألا يحارب حتى يحضر كل الأحزاب الأخرى ، وبعد أن وصلوا جميعا أمر الملك أن يحضر صفان من المقاعد المرتفعة أو الشرفات يقابل أحدهما الآخر ، وذلك لأجل قعود الفريقين المتعاديين . وبعد ذلك أمر الملك أن تنشب حرب منظمة ، ويظهر أن كل رئيس كان يقود فيها جيشه بنفسه وقد وصفت لنا تسليح « باكرورو » .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الحرب لم تكن حرب مبارزة ينازل فيها المحارب قرنه كما كانت الحال فى حروب القرون الوسطى أو الحروب التى نسمع عنها فى القصص الشعبى أمثال قصة « عنترة العبسى » و« الزناتى خليفة » و « دياب بن غانم » . بل كانت حربا منظمة تستعمل فيها كل قوة الجيش ولم

يكن يسمح فيها بالهجوم المباغت أو الخدع الحربية . ويحتمل أن هـذا النظام فى الحرب كان نتيجة لحروب قد استمرت عدة أجيال ، كانت المشاحنات فيهـا قائمة على قدم وساق دون انقطاع مما دعا الى وضع قواعد دقيقة لابد من السير على مقتضاها كما كانت الحال فى حروب القرون الوسطى فى « أوروبا » .

وقد حضر « منتو بعل » السورى واشتبك فى المعركة وهاجم جيش صـاحب « سمنود » بشدة لدرجة أن جنوده أرسلوا للملك وأخبروه بما أصـابهم مما جعله يرتعـد فرقا ، ورجا « باكرورو » أن يأمر حليفه بالكف عن القتـال والانسحاب . وقد صمم « باكرورو » على أن يذهب الملك معه الى ساحة القتال وقد وعد الملك مرة أخرى باعادة الصدرية . ولما كان السيد العظيم « صاحب آمون فى طيبة » على وشك أن يقتله « بمبى » ابن « اناروس » فانه سلم أخيرا بمطلب عدوه . وفى هذه الأثناء كان « بدو ـ خنسو » صـاحب « منديس » يقاتل « عنخ حور » ابن الملك « بدى باست » ويتغلب عليـه ، وعندئذ أسرع الملك ورجا المنتصر أن يكف عن القتال . وفى خلال ذلك ظهر أمير « الفنتين » بجيشه وهاجم « تاحر » قائد « منديس » وهو الذى كان يحرس الصدرية وفى نهاية الأمر أعيدت الصدرية ، وكان القوم يحفونها بمظاهر السرور والفرح من خلف ومن قدام . وهذه الحروب المنظمة التى شبت وفق قواعد موضوعة هى التى كانت تقوم بسبب مناهضة أمير مقاطعة لآخر ، وقد تظهر أمامنا هامة وبخاصة لأن منظمها كان ملكا يعلن انحيازه لأحد الفريقين المتحاربين . ومن ذلك تكونت فكرة غريبة عن ذلك العصر المضطرب فى تاريخ مصر .

وتدل الأحوال على أن مقاطعات « مصر الوسطى » واماراتها الصغيرة كانت تتأرجح فى ولائها من حين لآخر بين الحزبين السـابقين اللذين تتـألف منهما بلاد الدلتا ، وكان عملها سلبيا ، فقد كانت بلاد مصر الوسطى فى الحقيقة تستسلم لتيار الحوادث وليس لهـا أى دخل فى توجيهه ، فكانت أحيـانا تدين بالطاعة

« لسايس » وأميرها ، وأحيانا تستسلم « لتانيس » وفرعونها على التوالى على حسب فوز فريق على الآخر . واذا ما انتقلنا الى اقليم « طيبـة » وجدنا عالما آخر مختلفا اختلافا تاما فقد كان الاله « آمون » كما عرفنا من قبل هو صاحب السيطرة التامة ، وقد حول نفوذه المتزايد وأملاكه الى دولة دينية حيث كانت أعظم وظيفة فيها فى يد امرأة تلقب « زوج الاله » وهى التى كانت وحدها مصدر السلطات . وقد شرحنا من قبل أن هذه السلطة كانت فى يد ابن الملك أو أحد أفراد أسرته (راجع مصر القديمة الجزء العـاشر ص ٥٠٤) ثم انتقلت الى يد المتعبدة الآلهية التى كانت احدى بنات الملك الحاكم أو السالف .

بداية حكم « پسمتيك » (١)

ليس لدينا وثائق تدل دلالة صريحة على تحديد بداية المدة التى سيطر فيها « آشور بنيبال » على زمام الأمور فى شمالى مصر ، ولا على المدة التى ظل فيها سلطان « تانو تأمون » سائدا فى جنوبى مصر . ويظهر أن بداية حكم «بسمتيك» فى مصر كانت مفعمة بالمصاعب والعقبات ولذلك فانه من الجائز أن الأخبار التى تتحدث عنه بأنه قد نفى على يد مناهضيه وأنه قد حوصر فى مستنقعات ساحل « البحر الأبيض » ترتكز على شىء من الحقيقة . وذلك أن « باكرورو » الذى جعل كل مقاطعات الجزء الغربى من الدلتـا تحت نفـوذه ـــ وقد كان معروفا بتذبذبه باستمرار بين كل من ملك « آشور » وملك « كوش » مما مكنه من المحافظة على قوته وعلى حياته ـــ لم يتنح من تلقاء نفسـه عن أمله فى أن يضع على رأسه تاج الفراعنة المزدوج .

ولا بد أنه قد بدأ فى عهد « بسمتيك » أو فى عهـد سلفه على ما يظن شن الحروب على « آشور » ليخلص البـلاد من نيرها . ومن المحتمل أن الحزب الموالى « لآشور » من المقـاطعات المصرية هو الذى طرده الى الساحل . وتدل

(١) انظر الصورة رقم ٢

الأحوال على أنه قد خلص نفسه من هذا المأزق الحرج بمساعدة الجنود المرتزقين من « الأيونيين » (الاغريق) و « الكاريين » ويقرر بعض المؤرخين أن الواقعة الفاصلة قد وقعت بالقرب من « منف » عند معبد « ازيس » (راجع Polyaenus Strat. VII, 3) . ويقول آخرون أنها وقعت فى « مومنفس » (كوم الحصن) وكان من نتائجها أن كثيرا من الأمراء لاقوا حتفهم فى حومة الوغى ، ومن بقى منهم فر الى بلاد « لوبيا » ولم يعودوا منها قط . (راجع Diodorus, I, 66) غير أن فى ذلك شكا كبيرا .

وتحدث آخرون كذلك عن وقوع حرب على النيـــل وذلك عند ما شتت أسطول ملك « سايس » شمل أسطول مناهضيه (Strabo, XVII, 1§ I8. P.67)

ففى ذلك يقول « استرابون » : انه فى وقت « بسمتيك » (الذى عاش فى زمن « سياكسارس » (Cyaxares) الميدى) رسا « الميليزيون » بثلاثين سفينة فى فرع النيل « البولبيتى » ثم نزلوا وتحصنوا بجدار المؤسسة السالفة الذكر ولكنهم أقلعوا فى الوقت المناسب الى المقاطعة « الساوية » وهزموا مدينــــة « أراتوس » فى واقعة بحرية وأسســـوا « نقراش » التى لا تبعد كثـــيرا عن « شديا » Schedia (وهى كوم جعيف الحالية) .

ومن المحتمل أن « بسمتيك » قد تغلب على الأمراء الاقطاعيين فى موقعة أو موقعتين كما حـــدث ذلك فى خلال الفتح « الكوشى » ، غير أن أمراء الاقطاع كانوا يأملون فى أنهم بعـــد ذلك سيفيقون من هزيمتهم ويستردون سلطانهم المفقود . ولكن الحوادث أظهرت لهم أنهم كانوا مخدوعين فى زعمهم ؛ وذلك أن « بسمتيك » كان قد وجد فى الجنود المرتزقة من « الاغريق » خداما مخلصين أكثر مما وجده « تفنخت » أو « بوكوريس » فى الجنـــود « اللوبيين » ، أو ما وجده « بيعنخى » أو « تانو تأمون » فى جنوده الكوشيين ، وقد ســاعده ذلك على توطيد حكمه على البلاد التى فتحها .

ولا نزاع فى أنه منذ حوالى عام ٦٦٠ ق.م قد سيطر على مصر بحزم وعزم حتى أن الأجانب و « الآشوريين » أنفسهم أطلقوا عليه عادة ملك مصر . ولا نزاع فى أن تداعى الحكم « الآشورى » فى مصر يرجع الى حكام الاقطاع وقيامهم فى وجه الغاصب ، غير أن الرأى السائد أن « آشور بنيبال » كان لايترك وسيلة دون أن يسلكها لجعل بلاد وادى النيل تدين له بالطاعة . وقد كان « بسمتيك » يعلم ذلك كما كان يعلم أن الجيش الآشورى سيعود الى فتح مصر عند فراغه من الثورات والحروب التى كانت تنشب أظفارها فى جهات ممتلكاته الأخرى . ومن أجل ذلك عقد « بسمتيك » محالفة مع « جيجيز » ملك «ليديا».

والواقع أن الثورات المختلفة قد قامت فى أنحاء الامبراطورية الآشورية وقتئذ ، ولا نزاع فى أن قيام مثل هذه الثورات المستمرة لا يمكن أن ينتهى دون أن يحط من نفوذ الامبراطورية . حقا ان الرعايا والحلفاء القدامى قد بقوا موالين بعض الشيء لآشور ، ولكن البلاد التى أخضعت حديثا — هذا بالاضافة الى الممالك المجاورة المستقلة — قد قبلت دون أى تردد ظهر المجن لآشور ونزعت عنها نير سيادتها أو نبذت الصداقة التى فرضتها عليها والتى كانت تئن تحت عبئها . ولا غرابة اذا فى أن نرى « بسمتيك » صاحب « سايس » — وهو ابن « نيكاو » أحد الأمراء الذين كانوا من أعظم الأمراء المصريين حظوة فى البلاط الآشورى — يطرد الحاميات الآشورية ويخضع أمراء الاقطاع الوطنيين ويؤلف مرة أخرى مملكة الفراعنة القديمة من أول « الفنتين » حتى صحراء « سوريا » فى الوقت الذى لم يكن فى استطاعة « آشور بنيبال » أن يقتصد جنديا واحدا يمنعه من عمله هذا أو يجعله يعود الى ولائه لآشور . حقا ان تفاصيل [1] العمل الذى قام به « بسمتيك » مجهولة لنا حتى الآن غير أننا نعلم أن نجاحه يرجع الى الجنود المرتزقة الذين جلبوا من « آسيا الصغرى » .

---

(١) راجع Luckenbill, II 298, 326; 352—354

ولما كان المؤرخون الآشــوريون لم يتعودوا التمييز بين الأقــوام المختلفة القاطنين على شواطىء بحر « ايجة » فانهم قد اعتقدوا أن هؤلاء الجنود المرتزقة قد وردهم الى فرعون « مصر » والملك الوحيد الذى كان يتعامل معه « جيجز » هو « بسمتيك » ، ولــكن لم يثبت بعد أنهــا أدت الى نتيجة ، غــير أنه من جهة أخرى تدل كل ما لدينــا من معلومات عن حكمه على أنه كان ملكا جريئا فى المشاريع السياسية ، ويميل الى عقد محالفات مع أقصى البلاد . ولا نزاع فى أن الرجل الذى سعى لمحالفة « آشــور بنيبال » على « السميريين » لم يكن ليتردد فى عقد محالفة بينه وبين « بسمتيك » اذا كان يأمل أنه سيجنى أى كسب من وراء ذلك . ولا شك فى أنه كانت هناك مبادلات تجارية بحرية بين «أيونيا» أو « كاريا » من جهة و «مصر» من جهة أخرى ، وكذلك لم تكن لتقع أية حادثة هامة فى الدلتا دون أن يصل خبرها الى « افيسوس » أو « ميليتس » .

وبعد أن طرد « بسمتيك » الجنود الآشوريين من الدلتا أصبحت مملكة سايس مستقلة ومن ثم أخذ بسمتيك فى تحقيق المشروع الذى كان يرمى اليه جده « تفنخت » وهو توحيد كل البلاد المصرية . فبعد أن أعلن نفسه سيدا على الدلتا عمل على اخضاع مصر الوسطى ، وفعلا لم يمض طويل زمن حتى أعلن أمير أهناسيا المدينة ولاءه ، ولكن كان لابد من مفاوضات طويلة صــعبة مع « منتومحات » حاكم اقليم طيبة وسيدته المتعبدة الآلهية شبنوبت الثانية التى كانت تحكم طيبة باسم ملك كوش الذى لم يكن يفارق عاصمة ملكه « نباتا » أبدا . وأخيرا تم « الاتفاق » على أن يحتفظ كل من « منتومحات » وشبنوبت الثانية بألقابهما ولكن المتعبدة الآلهية قد أجبرت وقتئذ على أن تتبنى نبتوكريس ابنة بسمتيك الأول (راجع Kees zu Innepolitik des Saiten Dynastie, Nachrichten-zur Gottengen Phil-Hist.,Klasse 1936. P.96-106) هذا ولم تكن محيتنوسخت زوج بسمتيك الأول وأم نيتوكريس من فرع ملكى

بل كان والدها « حورسا ازيس » رئيسا لكهنة عين شمس (راجع Daressy, Rec. Trav. XIX. P. 21, and XX P. 83—85) وكان اسم « محيتنوسخت » هو اسم جده الملك « شيشنق » الأول (L. R III. P. 318—319)

وقد أدى توحيد الاسمين الى الاعتقاد بأن أم نيتوكريس كانت من أصل لوبى • وقد رأينا فى أوائل الأسرة الثانية والعشرين أن الرؤساء اللوبيين عندما أصبحوا أسياد مصر قسموا كل الوظائف الادارية العالية فيما بينهم ، وكذلك استولوا لأنفسهم على كل الوظائف الدينية الهامة جدا فى مصر الوسطى وكذلك فى الدلتاه وعلى ذلك فانه من الجائز أن نفرض أن جد « حورسا ازيس » قد صار فى تلك الفترة الكاهن الأكبر للاله رع فى هليوبوليس وأن هذه الوظيفة الرفيعة الشأن قد توارثها على التوالى نسله على الأقل حتى الأسرة السادسة والعشرين ، هذا وتشبه ألقاب الملكة « محيتنوسخت » ألقاب ملكات الأسر السابقة • ومن المستحيل التسليم بأنها كانت تحمل لقب المتعبدة الآلهية « شبنوبت » الثالثة أو «نيتو كريس» • ويلحظ هنا أن التعبير الزوجة الالهية العظيمة غير معروف فى ألقاب المتعبدات الالهيات ، وعلى ذلك يجب أن تقرأ بصورة أكيدة على تمثال «أبا» الزوجة الالهية العظيمة (راجع A. S,V.P. 94—9, وهو نعت كثير الاستعمال للملكات فى مصر القديمة • ومن جهة أخرى نجد أنه فى التماثيل المجيبة الموجودة فى متحف برلين L.R.III, 319 note 1 ; IV P. 82. g & note 3 وهى التى يوجد عليها لقب المتعبدة الالهية « لامون » تمثال خاص بامرأة تدعى «محيتنوسخت»، غير أنها ليست جدة شيشنق الأول ولا أم نيتوكريس • وعلى ذلك فان «محيتنوسخت» الثالثة التى نحن بصددها يحتمل جدا أنها من أصل لوبى فقد كانت منصبة فى طيبة فى وظيفة زوج آمون فى خلال الأسرة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين كما يشعرنا بذلك النعت الذى تحمله « وهو محبوبة آمون » وقد وجدناه فى طغرائها ، غير أن قراءة اسم هذه الملكة ليس محققا • وهذه التماثيل المجيبة الخاصة بهذه الملكة قد عثر عليها فى قبر صاحبتها • والواقع أن

الملكة «محيتنوسخت» لم تقم بسياحة فى الوجه القبلى ، ولابد أنها كانت قد دفنت بالقرب من بسمتيك الأول الذى يوجد قبره فى سايس (Herod. II, 169) أما مسألة وجود مقصورة جنازية للملكة محيتنوسخت فى مدينة هابو فيمكن حلها بسهولة جدا . والواقع أنه يوجد غربى الأثر الجنازى الذى كان خاصا بعبادة أمنردس الأولى ثلاث مقصورات صغيرة تؤلف وحدة قائمة بذاتها (راجع Porter and Moss. II.P.177, P.176) والظاهر أن اقامة هـذه المقاصير كان بأمر من المتعبدة الالهية « شبنوبت الثانية » التى كانت تحتل المقصورة الوسطى أما المقصـورتان الأخريان فقـد خصصتا لربيبتيها اللتين تبنتهما وهمـا على التوالى امنردس الثانية ونيتوكريس . وقد زينت فى مدة حياة امنردس الثانية المقصورة الوسطى . وبعد موتها تولت نيتوكريس مكانها وقررت الأخيرة أن تستولى على المقصورة الشرقية . وعلى ذلك فان الموضوع لا يمكن أن يكون خاصا بالمتعبدة الآلهية امنردس الثانية ابنة ملك كوش تهرقا المقوت (يحتمل أن امنردس الثانية كانت قد ماتت قبل شبنوبت الثانية وكذلك من المحتمل أنها كانت قد عادت الى « نباتا » عنـدما حلت محلهـا نيتوكريس) وقد أهدت نيتوكريس ــ تدينا منها ــ المقصورة الغربيـة لأمها الملكة محيتنوسخت التى توفيت فى سـايس وعلى ذلك فان المجموعة البنائية التى صممتها « شبنوبت الثانية » لنفسها ولابنتيها اللتين تبنتهما لتحلا محلهما بوصف كل منهما متعبدة الهية قد أصبحت الأثر الجنازى الذى خلفته نيتو كريس .

وفى السنة التاسعة من حكم الملك بسمتيك الأول (عام ٦٥٥ق.م.) اليوم الثامن والعشرون من الشهر الأول من فصل أخت (أى فصل الزرع) صـدر أمر مختصر بتحريك السفينة المزينة التى كانت تحمل المتعبدة الالهية نيتوكريس مقلعة نحو طيبة لتتبوأ عرشها الجديد كما سنرى بعد .

وهكذا نرى أنه فى حين كان « آشور بنيبال » يشن حربا على « عيلام »

و « كلديا » زحف « بسمتيك » جنوبا فى عام ٦٥٨ ق٠م واستولى على اقليم « طيبة » دون أن يلاقى أية مقاومة من « الكوشيين » كما لاقى سلفه «تفنخت» عنـــد محاربة « بيعنخى » ٠ والظاهر أن « منتومحات » قد فاوض فى تسليم « طيبة » كما فاوض من قبل فى النزول عن أشياء أخرى عدة ٠

وقد كوفىء على خدمته هـــذه بأن ثبت فى وظيفته واحتفظت ملكته الزوجة الالهية بمركزها العالى ٠ على أن « بسمتيك » لو كان قد عاش قبل ذلك بقرن أو قرنين لتزوج من امرأة من ســـلالة الكهنة ، وهذا الزواج كان كافيا لشرعية توليه الملك ٠ ويقول « ماسبرو » من المحتمل أنه قد أوجد رابطة فعلية بينـــه وبين « شبنوبت » بمظهر زواج ولكن على أية حال فانه جعلها تتبنى ابنته على حسب السنة التى وضعها الفراعنة « الكوشيون » ٠

والواقع أنها كانت قبل ذلك قد تبنت ابنة أخرى وهى ابنة « تهرقا » وهى التى عنـــدما غيرت أسرتها سميت باسم « امنردس » تشريفا للملكة التى كانت قبل « شبنوبت » ٠ وكان « بسمتيك » قد أجبرها على أن تتبنى بدلا من الأميرة الكوشية « امنردس » الثانيـــة أميرة أخرى من « طيبة » وهى « نيتو كريس » ابنته ، وهى التى عنـــد تسلمها مهـــام أمور وظيفتها الجديدة جاء اليها وفد من الأشراف وكهنة « طيبة » ليرافقوها فى أثناء رحلتها من « منف » الى « طيبة » فى شهر « طوبة » من السنة التاسعة من حكم والدها ٠

وقد قدمها لهم « بسمتيك » رسميا ، وبعـــد أن استمع السفراء الى خطابه ردوا عليـــه بالمدائح المعتادة ذاكرين بهاءه وكرمه قائلين : « انهـــا ستبقى ما بقيت الدنيا وأن كل ما تأمر به سيخلد ٠ ما أجمل ما فعله الاله لك ، وما أفخر ما فعله والدك الالهى لك ! وأنه مسرور بأن روحك سيحتفل بها ، وأنه ينشرح بالنطق باسمك لأن سيدنا « بسمتيك » قد قدم هـــدية لوالده « آمون » فقد أهداه كبرى بنـــاته وهى ابنته المحبوبة « نيتو كريس » « شبنوبت الثالثـــة » لتكون

زوجه الآلهية ولتلعب بالصناجات أمامه » . وفى الثامن والعشرين من شـهر « طوبه » غادرت الأميرة الخدر مرتدية الكتان الجميل ومحلاة بزينة من الفيروزج ونزلت الى الثغر يتبعها حشد ضخم لتذهب الى موطنها الجديد . وقد سهل عليها وعثاء السفر أنه قد أقيمت لهـا محاط على طول النهر فى أماكن متتابعة ، ولم يمض أكثر من ستة عشر يوما حتى بدت أمامها مشـارف « طيبة » . وغادرت سفينتها فى الرابع عشر من شهر « كيهك » بين تصفيق الأهلين وترحابهم قائلين : « ان ابنة ملك الجنوب « نيتوكريس » تأتى الى مثوى « آمون » حتى يمكن أن تكون ملك يمينه ويضمها الى نفسه ، ان ابنـة ملك الشمال « شبنوبت » تأتى الى معبد « الكرنك » لأجل أن يتغنى الآلهة بمديحها » . وعلى اثر رؤية « شبنوبت » المسنة ابنتها أحبتها أكثر من كل شىء ، وقدمت لها مهرا يعادل المهر الذى منحه اياها والدها ومثل الذى منحته ابنتها الأولى « امنردس » الثانية .

هذا وقد تبارى عظماء « طيبة » ومن بينهم « منتومحات » المسن وابنـه « نسبتاح » وكهنة « آمون » فى تقديم الهـدايا لها ترحيبـا بمقدمها وقد كان « بسمتيك » من جانبه غاية فى السخاء . ولاشك فى أن المعابد المصرية قد منحت الأميرة دخلا سنويا من محاصيلها أو أغدقت عليها منحا من البيوت والأراضى مما كان يتألف منه ارث ضخم قد عزى بعض الشىء أهل « طيبـة » عن خضوعهم الى حكم أسرة يرجع أصلها الى مدن الشمال (راجع A Z, XXXV. P. 24) .

وقد قلدت مهام كل الامارة الطيبية ، وبعد ذلك أصبحت كل مصر مرة أخرى من سواحل « البحر الأبيض المتوسط » حتى صخور « الشلال الأول » موحدة تحت صولجان ملك واحد مصرى . وقد تبع حركة الضم هذه جزء صغير من بلاد النوبة وهـو الجزء القريب جدا من « الفنتين » ، غير أن الجزء الأعظم من هذه البلاد أبى أن ينفصل عن بلاد « كوش » . وكانت تنحصر أملاك الكوشيين

(١) كما حدث عند زواج « قطر النـدى » بنت امير مصر « خمارويه » من الخليفة العباسى فى العهود الأخيرة .

فى الأقاليم الواقعة على المجرى الأوسط لنهر النيل ، وكانوا منفصلين عن باقى العالم بالصحراء و « البحر الأحمر » ومصر . ومن المحتمل أنهم بعد طردهم من مصر لم ينفكوا عن شن الغارات أملا فى استرداد ما فقدوه [١] . والواقع أن سكان اقليم « طيبة » كانوا يرون فى « الكوشيين » أنهم الممثلون الأمناء لأخلاف « آمون » الشرعيين ، ولذلك كانوا فى قرارة أنفسهم لا يزالون على ولائهم لهم. ومن المحتمل أنهم كانوا من وقت لآخر يفلحون فى غاراتهم حتى يصلوا الى العاصمة القديمة ، غير أنهم اذا كانوا فعلا قد أفلحوا فى تحقيق هذا الغرض فانه لم يكن الا فلاحا مؤقتا غير دائم وأن مقامهم هناك لم يترك أية آثار باقية . على أن الأسباب التى مزقت شمل العناصر التى تألفت منها وحدة مصر الكبرى فى نهاية العصر الطيبى كانت لا تزال تعمل عملها فى العصر « الساوى » لتكوين بناء الامبراطورية المصرية من جديد ، وذلك أن حفظ توازن القوة فى هذا الوادى الطويل الضيق كان يتوقف على نقطة الجاذبية فيه ، وعلى أن يكون مقر الحكومة فيه فى نقطة وسط بين طرفيه . وقد كان هذا الشرط متوفرا ما دامت عاصمة الملك فى « طيبة » ، ولكن نقل عاصمة البلاد الى الدلتا سبب ضياع الأقاليم الجنوبية وفصلها عن البلاد ، فنقل العاصمة فجأة الى أقصى الجنوب وجعل مقرها مؤقتا فى « نباتا » قد سبب بضرورة الحال نفس التأثير مما أدى الى فصل الأقاليم الشمالية بسرعة .

وفى كل من الحالتين نجد أن الأسرة التى كانت تتخذ مقرها فى أقصى حدود الامبراطورية ، فى الجنوب أو فى الشمال لم يكن فى مقدور ملوكها أن يقوموا بأعباء الجهة الأخرى البعيدة عن مقر الملك ، ولذلك فانه عندما كان يختل الميزان بعض الشىء يعجز الملك الحاكم وقتئذ أن يعيد التوازن الى ماكان عليه ، ومن ثم كان يحدث انحراف مفاجىء فى ميزان الحكومة .

---

(١) وسنرى فيما بعد محاولة «الكوشيين» فى عهد الفرعون «بسمتيك» الثانى غزو « مصر » أملا فى استرداد ملكهم لها وقد أصابهم الفشل والهزيمة .

والواقع أن النصر الباهر فى ظاهره الذى أحرزه « بسمتيك » كان فى حقيقة الأمر القضاء المبرم على كيان الامبراطورية التى بدأ بتكوينها ملوك الأسرة الثانية عشرة والتى بلغت ذروتها فى عهد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فقد محيت « مصر الكبرى » (التى كانت تتكون من مصر وكوش وبلاد آسيا) بعد أن استمرت شامخة الذرا ما يقرب من عشرين قرنا من الزمان ، وحلت محلها « مصر الصغرى » للمرة الأولى فى التاريخ . وتدل الآثار على أن هزيمة الأمراء الحربيين الشماليين وضم امارة « طيبة » التى كان يسيطر عليها « آمون » وطرد « الكوشيين » و « الآشوريين » نهائيا من « مصر » لم يستغرق أكثر من تسع سنين ، غير أن هذه الأعمال العظيمة التى حققها « بسمتيك » لم تؤلف الا جزءا صغيرا من مشاريعه العظيمة . اذ كان واجبه بعد ذلك ينحصر فى اعادة الرخاء الى بلاده أو على أية حال كان عاقدا آماله على أن ينتشلها من البؤس الذى استمرت ترزح تحت عبئه قرنين من الزمان قضتها فى حروب داخلية وغزوات خارجية . وقد تأثرت — فى خلال تلك الفترة الطويلة من تاريخ البلاد — المدن الكبيرة تأثرا بالغا . فقد حاصر « بيعنخى » مدينة « منف » ومن بعده حاصرها « اسرحدون » ، وكذلك نهبت مدينة « طيبة » مرتين على يد جنود « آشور بنيبال » وقد كان خرابها فى المرة الثانية شاملا مما جعلها مضرب الأمثال ، هذا الى أنه لم توجد مدينة من مدن مصر من أول « أسوان » حتى « بلزيوم » لم تصل اليها أيدى التخريب سواء أكان ذلك على أيدى الأجانب أم المصريين أنفسهم . حقا ان مصر قد أخذت تتنفس الصعداء بعض الشىء فى عهد ملوك « الكوشيين » وبخاصة فى مدة حكم كل من « شبكا » و « تهرقا » غير أنها لم تلبث بعد عهد الأخير أن عادت الى سيرتها الأولى من الحروب الداخلية والغزو الأجنبى مما أدى الى اهمال حفر الترع واقامة السدود ، وتراخى الشرطة فى حفظ الأمن ، وكذلك أخذ عدد السكان يتناقص أو كانوا يضطرون الى الاحتماء فى المعاقل مما أدى الى اهمال فلاحة الأرض ، ومن ثم انتشر القحط فزاد الطين

بلة . وكان ظهور « بسمتيك » فى هذه اللحظة حاسما اذ أنه بعد أن أجبر أمراء الاقطاع على الخضـــوع الى سلطانه حرمهم ألقابهم الملكية التى كانوا يدعونها بدون حق ، وما أشبه اليوم بالبارحة . هذا الى أنه لم يقض نهائيا على الحروب الداخلية التى كانت تقوم بين حاكم مقاطعة وجاره ، ولم يترك لهم من السلطان فى مقاطعاتهم الا وظائفهم الوراثية وهى التى كان يتمتع بهـــا أجدادهم فى الأزمان الغابرة فى العهد « الكوشى » . والواقع أنه قد كشف عن سجلات بعض أشخاص تدل أسماؤهم وأحوالهم على أنهم كانوا منحدرين من أمراء شـــبه مستقلين من العهد « الكوشى » والعهد « اللوبى » . فمن هؤلاء شخص يدعى « اكنشو » الذى كان أمير « سمنود » فى عهد « بسمتيك » الأول . (راجع Naville, The Mound of the Jews of the City of Onias pp. 14—25, Pl. V).

ومن المحتمل أنه كان حفيد « اكنشو » أمير نفس المدينة فى عهد « بيعنخى » (راجع نقوش « بيعنخى » سطر ١١٥) وكذلك نجد أن « شينشق » صاحب « بوصير » ويحتمل أنه من نسل « شيشنق » أمير « بوصير » فى عهد «بيعنخى» أيضا . (راجع Naville, Ibid. p. 28, Pl. VII c)

وقد كان من نتائج هذه الاجراءات التى اتخذها « بسمتيك » أن ســـــاد السلام والأمن ، مما مهد الطريق أمام الفلاحين الى مزاولة أعمالهم العادية بقلوب فرحة مطمئنة ، ولا نزاع فى أن زراعة أرض مثمرة خصبة كالتربة المصرية سنتين أو ثلاثا كان فى خلالها الفلاح يعمل وهو مطمئن من غارات المغيرين الذين كانوا يعيثون فى الأرض فســـادا ، كانت كافيـــة الى اعادة الرخاء ان لم تكن الثروة الى البلاد . وقد نجح « بسمتيك » فى تحقيق تلك الضمانات وغيرها من الفوائد لمصر ، ويرجع الفضل فى ذلك الى الصرامة واليقظة والحزم التى اختطها لنفسه فى ادارة البلاد ، على أنه لم يكن فى استطاعته أن ينجز هذه الاصلاحات لو اعتمد فقط على القوى التى كانت فى متناول أسلافه ، وأعنى بذلك الجنود الوطنيين

الذين أفسد الفقر اخلاقهم ، وكذلك الجنود المرتزقين من « اللوبيين » الذين فقدوا كل نظام وهم الذين كانت تتألف منهم جيوش الدولتين « التانيسية » و « البوبسطية » ، وكذلك جيوش أمراء الاقطاع فى الدلتا ومصر الوسطى . وقد عقد « بسمتيك » العزم بعد تجربته لهذين الصنفين من الجنود أن يبحث عن عماد يرتكز عليه فى حروبه أحسن من هؤلاء ، ومنذ أن قادته الصدف الى الاختلاط « بالأيونيين » و « الكاريين » أحاط نفسه بجيش منظم من الجنود المرتزقين من هؤلاء « الاغريق » و « الكاريين » وكذلك « الآسيويين » .

والظاهر أن الفزع الذى أحدثه ظهور هؤلاء الجنود المرتزقة من «الاغريق» و « الكاريين » كان عظيما جدا فى عقول أقوام أفريقيا ، ولن يكون فى مقدورنا أن نصف مقدار أثر الثورة التى أوجدها هؤلاء الجنود فى السلم أو فى الحرب فى الحكومات الشرقية . (راجع Mallet, Les Premiers Etablissements des Grecs en Egypte pp. 38-45) (انظر الصورة رقم ٣) .

والواقع أن هجوم جنود المشاة « الاسبان » على مشاة الجنود «المكسيك» و « بيرو » لم يكن ليسبب ذعرا أكثر من الذى سببه جنود « الاغريق » المدججون بالسلاح ـ الوافدون من وراء البحار ـ للرماة المصريين نصف العراة و « اللوبيين » المرتزقة ، ولا نزاع فى أن هؤلاء الجنود « الاغريق » بزردياتهم البارزة وهى التى كانت تحمى صفحتاها الظهر والصدر ، ودروعهم المصنوعة من قطعة واحدة من البرونز ، وتصل من الكعب الى الركبة ودرقاتهم المربعة أو البيضية المغطاة بالمعدن ، وقبعاتهم الثقيلة الوزن المستديرة المحكمة تماما على الرأس والرقبة والمحاطة بأعراف من الريش المتماوج ، كانوا فى حقيقة الأمر رجالا قدوا من نحاس فلا يمكن أن يصل الى أجسادهم أى سلاح شرقى . وقد كانوا عند ما يصطفون فى صفوف متراصة تحت دروعهم يتلقون وابلا من السهام والأحجار دون أن يصيبهم أى أذى من المشاة الذين كانت أسلحتهم

خفيفة ، وعند ما ينفخ لهم فى الأبواق ايذانا بالهجوم ينقضون بكل قواهم على كتل الأعداء ملوحين بحرابهم من فوق حافة تروسهم ، فلم يكن فى استطاعة قوة من الجنود الوطنيين أو فرق « المشوش » أن تقف أمامهم بل كانوا يتأرجحون من هول الهجــوم ولا تمضى الا لحظة حتى يستسلموا مهزومين . وقد عرف المصريون أنه ليس فى استطاعتهم التغلب عليهم الا بأعداد كبيرة تفوق عددهم أو بالحيلة ، ولا غرابة اذاً فى أن نرى حكام الاقطاع يحجمون عن طلب الانتقام من « بسمتيك » عند ما ثبت لهم أن قوتهم الحربية تتضاءل أمام قوته . على أنهم لو أرادوا أن يكونوا على قدم المساواة من حيث القوة لكان عليهم اما أن يستخدموا جنودا مثل جنوده ، وهذا لم يكن لهم قبل به ، واما أن يغروا الجنود الذين كان يستخدمهم مليكهم الى جانبهم ، غــير أن السخاء الذى عامل به « بسمتيك » جنوده المرتزقة جعلهم يخلصون فى خدمته ، اذا كان الشرف العســكرى وحده ليس كافيا لجعلهم مخلصين لســـيدهم . فقد منحهم « بسمتيك » كمـا منح مواطنيهم الذين اجتذبتهم شهرة مصر اقطاعات من أرض الدلتا الخصيبة الممتدة على الفرع « البلوزى » للنيــل وقد اتخذ الحيطة فى أن يفصــل بين اقطاع « الاغريق » واقطاع الجنود « الكاريين » بعرض كل النيل ، وهذا كان اجراء يعد حيطة حازمه ، وذلك لأن اجتماعهم تحت علم واحــد كان يزيد بل ويلهب ما بينهم من حقد متوارث ، هذا الى أن سلطان القائد لم يكن دائما كافيا لمنع نشوب شجار تراق فيه الدماء بين فرق جنود من قوميات مختلفة .

ويقــول فى ذلك « هيردوت » (راجع Herod., II, 154) : وقد أعطى « بسمتيك » « الأيونيين » وأولئك الذين ساعدوه أراضى متقابلة يجرى النيل بينها فاصلا وهذه الأراضى قد سميت « معسكرات » . وقد منحهم غير هذه الأراضى كل ما وعدهم به ، وفضلا عن ذلك وضع أولادا مصريين تحت رعايتهم ليتعلموا اللغــة الاغريقية ، ومن أولئك الذين تعلموا اللغــة الاغريقية نَسَلَ المترجمون الحاليون . وقد استمر « الأيونيون » و « الكاريون » مدة طويلة

يسكنون هذه الأراضى وهى واقعة بالقرب من البحر على مسافات قليلة فى أسفل مدينة « بوبسطة » على فرع النيل الذى يسمى الآن الفرع «البلوزى» . وهؤلاء نقلهم فيما بعد الملك « أحمس الثانى » وأسكنهم « منف » متخذا منهم حرسه ضد « الميليزيين » . ومنذ أن سكن هؤلاء القوم مصر وجدنا المصريين على نضال مستمر معهم ، ومن ثم أصبحنا نعرف بالضبط كل ما كان يحدث فى مصر منذ بداية حكم « بسمتيك » وكان هؤلاء حتى هذا الوقت هم أول قوم سكنوا مصر يتحدثون لغة مختلفة . وكانت أحواض مراكبهم وخرائب مبانيهم ترى فى زمنى فى الأماكن التى نزحوا عنها . وهكذا أصبح « بسمتيك » سيد مصر . وهؤلاء الجنود كانوا فضلا عن ذلك يسكنون بانتظام معسكرات محوطة بخنادق حولها سور ذو جدران سميكة تحتوى على مجموعة من الأكواخ المصنوعة من الطين ، أو بيوت مقامة من اللبنات ، وكان هذا السور كله يشرف عليه قلعة تحتلها رجال القيادة وقائدهم كما كانت الحال فى « دفنى » = « ادفينا » التى كشف عن خرائبها الأستاذ « بترى » فى « تل ادفينا » الحالى . (راجع W. Flinders Petrie, Nebesheh and Defenneh pp. 47-67)

وقد شجع بعض التجار من أهالى « ميليتوس » Miletus [1] وجود مواطنيهم فى مصر ، فساحوا بسفنهم التى كانت تتألف من احدى وثلاثين قطعة فى فرع النيل « البولبيتى » وهناك أسسوا مستعمرة أطلقوا عليها اسم حصن « الميليزيين » . وقد ذكر لنا « استرابون » قصة تأسيس هذا الحصن حيث نجد أنه قد خلط ذلك بتأسيس مستعمرة « نقراش » (راجع Strabo, XVII, I § 18, p. 801) غير أن المؤرخ « مالت » يميل الى أن هذه الحادثة قد وقعت قبل العصر « الساوى » كما سترى بعد . (راجع Mallet, les Premiers Etab. des Grecs en Egypte pp. 28-34, 37, 38 etc.)

---

(١) ميناء فى « آسيا الصغرى » على « البحر الأيجى » وكانت من اغنى الموانىء فى القرن السادس ق.م .

وقد قفا أثر هؤلاء المستعمرين جماعات متتابعة من المهاجرين الى هذه الجهة مما قوى هذه المستعمرة الناشئة ، وفضلا عما ذكره « هيردوت » جعـل الملك بعض « الاغريق » يعلمون المصريين اللغة الاغريقية . ويؤكد لنا « ديدور » أن « بسمتيك » قـد ذهب الى أبعـد من ذلك فربى أولاده هو تربيـة اغريقية (Diodorus I, 67) ومن الجائز بل ومن المحتمل أنه قد علمهم اللغة الاغريقية . ولدينا فى المتحف المصرى تمثال « أبيس » أهداه مترجم ، نقش عليه متن باللغتين « الهيروغليفية » و « الكارية » . (راجع Mariette, Monuments divers Pl. 106.a. & p. 30; & Maspero Guide du Vesiteur, p. 180 no. 1576) .

ولقد أدى انتشار « اللغة الاغريقية » الى جعل التعامل التجارى والثقافى بين البلدين سهلا ميسورا . وكان على ما يظهر غرض « بسمتيك » من اختلاط رعاياه برجال هـذه الأمة التى اشتهر رجالها بالنشـاط والجد والاقدام وقوة الشباب المتوقدة أن يبعث فيهم روح التحلى بالصفات التى شاهدها فى هؤلاء المستعمرين ، غير أن مصر كانت قد ذاقت الألم الموجع من الأجانب من كل صنف فلم تكن على استعداد لمصافاة هؤلاء الأجانب الجدد الوافدين عليهـا ، وربما كانت الحـالة تختلف لو كان هؤلاء « الاغريق » و « الكاريون » قد قدموا أنفسهم فى تواضع كما حدث مع « الآسيويين » و « الافريقيين » الذين فتحت لهم مصر أبوابها على مصاريعها بعد عهد الأسرة الثامنة عشرة ، أو اذا كانوا قد انتحلوا مظاهر الخضوع والمسكنة التى أظهرها تجار « فنيقيا » وبلاد اليهود ، ولكن هؤلاء قد نزلوا من سفنهم مدججين بأسلحتهم معجبين بشجاعتهم وقدرتهم مناهضين المواطنين الأصليين للبلاد سواء أكانوا من عامة الشعب أو من علية القوم ، وذلك بفضل ما حباهم به الفرعون من حظوة .

وقد أصبحوا موضع كره المصريين والغيرة منهم من جراء لغتهم التى كانوا يتحدثون بها ، وحيلهم الخداعة فى معاملاتهم التجـارية ، وكذلك من جـراء

الدهشـــة التى أظهروها من حضـــارة البـــلاد المصرية ، يضـــاف الى ذلك أن الطعام الذى كانوا يأكلونه جعلهم نجســـين فى نظر الأهلين حتى أن الفـــلاح البسيط كان ينفر من الاختلاط بهم خوفا من تدنيس نفسه فكان يتحاشى الأكل معهم أو استعمال السكاكين أو الآنية التى استعملوها .

وفى ذلك يقول « هيردوت » (راجع Herod. II. 41) : وعلى ذلك كان كل المصريين يضحون بذكر البقر والعجول النظيفة ، ولم يسمح لهم بتضحية أنثى البقر لأنها كانت مقدسة عند الآلهة « ايزيس » ، وذلك لأن صورة « ايزيس » كانت تصور فى هيئة امرأة بقرنى بقرة كما يمثل « الاغريق » الآلهة « أو » (IO)[1] وكان كل المصريين على السواء يظهرون احتراما عظيما للبقرات أكثر من أى ماشية أخرى ، وعلى ذلك لم يسمح لأى رجل مصرى أن يقبل اغريقيا من فيه أو يستعمل سكينا أو سـفودا أو قدرا اغريقيـا أو يذوق لحم ثور طاهر قطعـه سكين « اغريقى » . هذا وكان الكتاب المصريون وأفراد الطبقة العليا مندهشين من جهلهم فيعاملونهم معاملة الأطفال الذين ليس لهم ماض ، وأن أجدادهم الذين يرجع عهدهم الى أجيال قليلة الى الوراء كانوا مجرد متـوحشين . (وكان المصرى يسمى كل فرد ليس مصرى الجنس همجاً) .

وعلى الرغم من أن هذا العداء للاغريق لم يكن فى بادىء الأمر سافرا فانه لم يلبث طويلا حتى أصبح علنا وقد نسبته التقاليد الســاوية الى حركة قوامها جرح كبريائهم وذلك أن « بسمتيك » عند ما أراد أن يكافىء شجاعة جنوده من « الأيونيين » و « الكاريين » قربهم الى شخصه ومنحهم مرتبة الشرف فى جناح جيشه الايمن عند ما كان يستعرض جيشه للواقعة (راجع Diodorus Siculus, I, 67) كما حدثنـا بذلك « ديدور الصقلى » اذ يقول : ان الملك فى أثنـاء حروبه فى « سوريا » قد حبا جنوده المرتزقة . غير أن الأثرى « فيدمان » يعارض

(١) الهة فى صورة عجلة .

ذلك الرأى ويخطئه . (راجع Wiedemann-Herodots Zweites Buch PP. 128.) .

وعلى حسب الرأى الأول كان الجنـود المرتزقة يجنون فائدة مزدوجة من الفخار الذى كانوا يقدرونه كثيرا ، ومن الأجر العالى الذى كان يتسلمه حامل لقب « الحرس الملكى » ، وقد حدثنا « هردوت » عن تفاصيل الأجور العالية التى كان يتسلمها كل جندى منهم (راجع Herod. II 168) .

وقد أعطى هؤلاء وحـدهم دون كل المصريين باستثناء الكهنة كثـيرا من الميزات الخاصـة فقد منح كل فرد منهم اثنى عشر اورورا خاليـة من الضرائب والأرورا تعادل مائة ذراع مربعة ، والذراع المصرى تسـاوى ذراع ساموسى ، وهذه الامتيازات وكانوا يعطونها ولكن آخرين كانوا يتمتعون بهـا بالتبادل ولم يتمتع بها نفس الشخص أكثر من مرة قط . وقد كان ألف من جنود الكلازير ومثلهم من جنود الهرموتيبى يخدم كل منهم مدة سنة فى الحرس الملكى ، وقد أعطى هؤلاء على حسب ذلك الجرايات اليوميـة التاليـة ، غير الأرورات التى منحوها : وزن خمسة مينـات من الخبز المعجون ومينـات من اللحم البقرى وخمسة aryster [1] من النبيذ . وهذه كانت الجراية الدائمة للحرس الملكى .

غير أن الجنود الذين كانوا يتمتعون بهذه الميزات حتى الآن أخذوا بطبيعة الحال يتذمرون ويظهرون غضبهم بسبب فقدانها وقد حدث ظرف مقلق بوجه خاص دعاهم الى عصيان الحكومة فى آخر الأمر وذلك أن الحدود الشرقيـة والجنوبية للبـلاد المصرية كانت مشتركة مع حدود الدولتين « الآشـورية » و « الكوشية » على التوالى ومن جهة الغرب كانت القبائل « اللوبية » القاطنة على سواحل « البحر الأبيض المتوسط » قوية لدرجة تدعو الى اليقظة المستديمة من جهة حاميات الحـدود المصرية . وكان من بين الاصلاحات التى قام بهـا « بسمتيك » أنه أعاد نظام طريقة الدفاع القديمة ، ففى حين أنه قد وضع فقط

حراسة عند مدخل الممرات المؤدية من الصحراء الى وادى النيل فانه قد ركز فرقا عظيمة من الجنود عند النقط الضعيفة الثلاث التى كان يمكن للعدو أن ينفذ منها الى داخل البلاد بسهولة وهى منافذ الطرق المؤدية الى « سوريا » والاقليم الذى يحيط ببحيرة « مريوط » ثم « الشلال الأول » .

ومن أجل ذلك حصن بلدة « دفنى »[1] (تل أدفينا الحالى) الواقعة بجوار مدينة « زالو » القديمة لتكون نقطة دفاع فى وجه « الآشوريين » وحصن « مرا » لدفع عدوان أهل بدو بلاد « لوبيا » ، وحصن « الفنتين » لمقاومة أى هجوم من بلاد « كوش » . وهذه الحاميات الأمامية كانت مجهزة بجنود وطنيين ، وكانوا يقيمون هناك لمدة سنة ثم يحل محلهم غيرهم ، وقد كان نفيهم لمدة طويلة كهذه بعيدين عن أسرهم سببا فى اشعال نار حقد عميق فى نفوسهم على الجنود الأجانب ، ولكن زاد الطين بلة أن تركهم « بسمتيك » ثلاث سنوات فى هذه الحاميات دون أن يرسل اليهم جنودا يحلون محلهم فغضبوا غضبا لا حد له ، وعزموا على أن يضعوا حدا لهذه المعاملة القاسية . ولما كان أملهم فى القيام بثورة ناجحة ضعيفا وطدوا العزم على هجر بلادهم كلية فاجتمع أربعون ومائتا ألف منهم فى يوم معلوم ومعهم أسلحتهم ومتاعهم وساروا فى نظام نحو بلاد « كوش » .

وقد علم « بسمتيك » بمقاصدهم فى وقت متأخر وأسرع فى أثرهم يرافقه حفنة من أتباعه وعندما لحق بهم رجاهم ألا يهجروا آلهتهم وأزواجهم وأولادهم . وكاد ينجح فى اغرائهم بالعودة الى وطنهم لولا أن جنديا باشارة معبرة منه بعضو التذكير قال : انه ما دامت الرجولة باقية فانه يكون لديهم القوة لانشاء أسر جديدة فى أى مكان تؤدى بهم الصدفة الى سكناه . (راجع Herod., II p. 30)

وتفاصيل هذه القصة تدل على أنها أسطورة شعبية ومع ذلك فانها تحمل فى ثناياها نواة من الحقيقة ولا أدل على ذلك من أن قوم « المشوش » الذين

---

(١) انظر الصورة رقم ٤ حصن « دفنى » .

ظهروا من عهد « مرنبتاح » ولعبوا أدوارا هامة فى تاريخ البلاد فى عهد الدولة الحديثة وما بعدها لم يأت ذكرهم فى النقوش المصرية منذ عهد « بسمتيك » وما بعده ، ومن ثم يمكن القول أنهم هم ورؤساؤهم قد اختفوا من البلاد وكذلك قضى على الشقاق والسرقة فى الحال فى المقاطعات المصرية ، ومن المحتمل جدا أن المشاغبين منهم هم الذين غادروا البلاد فى الحالة الخاصة التى قصصنا قصتها فيما سبق . وقد رأى هذا الفريق الذى هاجر الى بلاد « كوش » أنه لم يعد فى مقدورهم التفوق على مناهضيهم من « الاغريق » فأيقنوا أن دورهم فى تاريخ البلاد قد انتهى وأن الأكرم لهم أن يغادروا البلاد كتلة واحدة عن أن يقوموا فيها بدور ثانوى . وقد عارض فى صحة هذه القصة « فيدمان » (راجع Aegyp. Gesch. pp617-618) فى حين أن « ماسبرو » يعتقد بأن لها أصلا تاريخيا (راجع Etudes de Myth. et D,arch. Egyptiennes Vol. III p. 398-402) والآن بعد أن تحدثنا عن هذا الحادث اجمالا يجب أن نتناوله بشىء من التفصيل لأهميته فنورد أولا ما قاله « هيردوت » حرفيا ثم نستعرض ما جاء فى نقده .

١ — ذكر « هردوت » هذه القصة فى أثناء حديثه عن بلاد « النوبة » (راجع Herod. II, 30) فبعد أن تكلم عن مدينة « مروى » يقول : « واذا سحت من هذه المدينة (أى مروى) فانك تصل الى اقليم « أوتومولى » فى مدة من الزمن تساوى المسافة التى أخذتها فى مجيئك من « الفنتين » الى عاصمة « الأثيوبيين » ، وهؤلاء « الأتومولى » يطلق عليهم اسم « أسماك Asmak » وهى بلغة الاغريق تعنى « هؤلاء الذين يقفون على يسار الملك » وهؤلاء وعددهم أربعون ومائتا ألف من قبائل الحرب ثاروا ذاهبين الى « الأثيوبيين » فى المناسبة التالية ، وذلك أنه فى عهد الملك « بسمتيك » كانت توضع حاميات فى «الفنتين» لمواجهة « الأثيوبيين » وأخرى فى « بلزيوم » و « دفنى » لمواجهة « العرب »

و « السوريين » وثالثة فى « ماريا » لمواجهة « اللوبيين » ، وحتى فى زمنى كانت حاميات من الفرس موضوعة فى نفس الأماكن كما كانت فى عهد « بسمتيك » وذلك لأنها تقوم بالحراسة عند « الفنتين » و « دفنى » (ادفينـا الحالية) . وحدث أن هؤلاء المصريين قاموا بنوبتهم فى الحراسة ثلاث سنين لم يحل محلهم آخرون ، فتشاوروا فيما بينهم ، ووصلوا الى قرار بالاجماع نتيجته أنهم خرجوا على «بسمتيك» وذهبوا الى «أثيوبيا» ، وعندما لحق بهم رجاهم بحجج عدة واستحلفهم بأن لا يهجروا آلهة أبائهم وأطفالهم وأزواجهم ، ولكن يقال ان واحدا من بينهم قد كشف عن عورته وقال « انه فى أى مكان توجد هذه فانها ستجد أطفالا وزوجات » . وهؤلاء الرجال قدموا خدماتهم للملك « الأثيوبيين » عندما وصلوا الى « أثيوبيا » وقد كان بعض الأثيوبيين ساخطين عليه فأمر الرجال الوافدين بطرد هؤلاء وبأخذ أرضهم مكافأة لهم ، وباستقرار هؤلاء الرجال بين الأثيوبيين أصبح الأثيوبيون أكثر تمدينا وتعلموا طبائع المصريين » .

٢ — كان أكبر المعارضين لفكرة خروج هؤلاء الأجناد من « مصر » الى بلاد « أثيوبيا » الأثرى « فيدمان » (راجع Wiedemann, Geschichte Aegyptens vom Psammetich I, bis äuf Alexander des grossen p. 136 sqq.; Herodots Zweites Buch. p. 131 ff.)

وأهم اعتراض لهـذا الأثرى « أنه من المستحيل على حاميـات « دفنى » و « ماريا » أن يخترق جنودها كل البلاد المصرية من الشمال الى الجنوب دون أن يستوقفوا فى أثناء مسيرهم ، وأنه اذا كان رجال هذه الحاميات على جانب عظيم من القوة لينفذوا هذا الخروج المظفر فانهم لم يكونوا فى حاجة الى نفى أنفسهم الى أعماق بلاد « أثيوبيا » بل كانوا يبقون فى مصر ويؤسسون لأنفسهم ولرؤسائهم حكومة أو عدة حكومات مستقلة » .

والواقع أن هذه الحجة ليست دامغة ، وذلك لأننا لا نعرف القدر الكافى

من تفاصيل هذه الثورات التى أدت الى تأسيس الأسرة السادسة والعشرين حتى يحق لنـــا أن نقول ان « بسمتيك » كان تحت تصرفه العدد الكافى من الرجال لمنع هؤلاء الجنود الافريقيين من مغـــادرة البـــلاد فى ذلك الظرف الغامض ، ولم يكن فى مقدوره أن يكون معه الا عدد صغير من الجنود المرتزقة «الاغريق» و « الكاريون » ، ومن جهة أخـــرى فان الثائرين قد علمتهم تجارب الحروب الحديثة احترام الجنود المدججين بالسلاح ، وأن حربا طويلة مع هؤلاء ليس فيهـــا ما يبشر بأى نصر لهم ، وعلى ذلك فانه كان من الأوفق لهم أن ينتهزوا فرصة ضعف الملك المؤقت ليذهبوا بأقصى سرعة قبل أن يجمع معظم جيشه الأجنبى ويمنعهم وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الهجرة قد وقعت فعلا لانه كما أسلفنا نجد أن ذكر قوم « المشوش » قد اختفى أثره فى تاريخ البلاد منذ عهد « بسمتيك » • وفى اعتقادى أن هؤلاء هم القوم الذين تتألف منهم جنود الحاميات الفارون الى بلاد « أثيوبيا » ولا غرابة فى ذلك فان هؤلاء القوم كانوا منذ الأسرة الحادية والعشرين يؤلفون الحرس الملكى •

وفى عهد الأسرة الثانية والعشرين استولوا على زمام الحكم فى البلاد ، وكان لهم حاميات فى كل مقاطعات البلاد تتألف جنودها من رجال « المشوش » أيضا ، وحتى بعـــد أن سقطت دولة « اللوبيين » فى مصر وجـــدنا أن حكام المقاطعات استمروا أسياد البلاد فى الخفاء ، وقد بقيت هذه الحال حتى نهاية العهد الآشورى • ولن نستغرب أن « بسمتيك » عنـــدما استولى على زمام الأمور فى البلاد — بدأ يفكر فى القضاء على هذه الفئة التى كان فى قبضتها زمام الحكم فعلا ، فبدأ أولا بوضعهم فى حاميات بعيدة على الحدود ، ثم هجرهم مدة فى تلك البقاع النائية عن البلاد وفى خلالها أخذ يعد جيشه من الاغريق والكاريين ليقضى على جنـــود « المشوش » القضـــاء المبرم ، وهذا هو نفس ما عمله « محمد على » عندما أخذ يدرب جيشا من أهل البلاد ليقضى به على أمراء المماليك الذين كانوا أصحاب الحل والعقد فى مختلف مديريات القطر

المصرى . وبعد أن أعمل فيهم السيف فى مذبحة القلعة فرت البقية الباقية منهم الى « الوجه القبلى » ، فطاردهم هناك ففروا الى بلاد « النوبة » حتى وصلوا الى « دنقلة » . (راجع تاريخ مصر من الفتح العثمانى ص ١٣١) .

ومن المحتمل جدا أن هؤلاء « المشوش » كانوا قد بدءوا يشعرون بما كان يدبره لهم « بسمتيك » ، فآثروا النجاة بأنفسهم الى بلاد « اثيوبيا » ، وبخاصة أنهم كانوا على ما يظهر يأملون فى أن يعيد ملوك « اثيوبيا » فتح مصر من جديد بسهولة لما كان بين « الكوشيين » و « المصريين » من وحدة فى الدين والجنسية . وقد أراد « بسمتيك » أن يستدرجهم كما استدرج « محمد على » المماليك الى القلعة وأعمل السيف فى رقابهم — ولكنهم فطنوا لذلك عندما أتى يستعطفهم ويطلب اليهم العودة الى آلهتهم وأوطانهم وأولادهم — فأجابوه بأنهم برجولتهم يمكنهم أن يؤلفوا أسرا ووطنا فى أى مكان يحلون فيه ، وبذلك خاب تدبير « بسمتيك » للفتك بهم جملة . على أن فرارهم الى بلاد « أثيوبيا » كان فيه نفع للقطرين وذلك أنهم بوجودهم بين ظهرانى « الكوشيين » أفادوهم فنقلوا الى هذه البلاد كثيرا من الحضارة المصرية كما يقول « هيردوت » كما أنهم بثوا الروح المصرية فى بلاد « كوش » .

ومما سبق يظهر أن قصة هؤلاء الجنود ليس فيها من الغرابة شىء ، وبخاصة أن لها نظيرتها فى تاريخ البلاد الحديث .

والواقع أن تخلص مصر من هؤلاء القوم قد جاء فى وقته المناسب ، وذلك لأن مصر كانت فى حاجة حتى هذه اللحظة الى أن تسترد مكانتها الحقة بين دول العالم ، ووجودهم جنبا لجنب مع جنود بسمتيك الأجانب كان يعد عقبة لابد من ازالتها اذا أراد تنظيم جيشه على أساس متين فى جو صاف . والظاهر أن « بسمتيك » لم يعتمد كثيرا على فرقه الذين جندهم من الوجه القبلى ، وهم

الدين وكل اليهم أمر المحافظة على الحدود النوبية لأنه كان يرى أن سحبهم من هناك يكون مآله غزو البلاد أو الثورة من جانب « الكوشيين » ، غير أن مصدر الخطر الداهم لم يكن من جهة بلاد « اثيوبيا » وقتئذ اذ كانت قد أنهكتا الحروب التى قام بهــا « تهرقا » و « تانو تأمون » من بعــده على جيوش « آشور » التى غزت وادى النيل فكانت فى حاجة الى الراحة والسلم ولو مؤقتا أكثر من مصر ، بل الخطر كل الخطر كان من ناحيــة الآشوريين ، وذلك لأن « آشور بنيبال » على الرغم من الارتباكات والثورات التى كانت دائما قائمة على قدم وساق فى « كردونياش » و « عيلام » وغيرهما من القبائل الثائرة على الحكم الآشورى ، لم يكن قد نفض يده من ادعائه التسلط على مصر . وقد قسم الفرعون « بسمتيك » جنود الاقطاع فى الدلتا قسمين يسكن كل فريق منهما منفصلا عن الآخر فى مقاطعات معينــة ، واسم الجماعة الأولى جنــود « هرموتيبى » والجمــاعة الثانيــة جنــود « كالازيرى » وكان عدد الأولى ١٦٠٫٠٠٠ مائة وستين ألف مقاتل وعدد الثانية ٢٥٠٫٠٠٠ مائتين وخمسين ألف مقاتل على حسب رأى « هيردوت » وقد تحدثنا عن هؤلاء الجنود بالتفصيل فى غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء التــاسع ص ٤٨٥ — ٤٨٩) .

ولا نزاع فى أن رحيل « المشوش » كان آخر صفقة ربحتها البلاد بعد قيام العاصفة ، فقد برئت البلاد شيئا فشيئا وساد السلام فى داخلها . هذا ونرى أن « طيبة » قد أصلحت من شأنها وجارت النظام الجديد بقدر المستطاع فى ظل الادارة الاسمية التى كانت فى يد الزوجة الالهية « شبنوبت الثانية » وابنتها بالتبنى « نيتوكريس » ابنــة « بسمتيك الأول » وأمهــا التى وضــعتها هى « محيتنوسخت » كما أسلفنا .

وقد تركت لنا « نت كرت » « نيتوكريس » لوحة تدل على ما كان لهذه الزوجة الالهية من مكانة دينية فى هذا العصر . وهذه اللوحة عثر عليها «لجران»

فى « الكرنك » وقد ترجمها وعلق عليها الأستاذ « ارمان » [1] (راجع .A.Z.35 p. 24 ff) .

وتقص علينا هذه اللوحة كيف أن « بسمتيك الأول » فى السنة التاسعة من حكمه جعل « شبنوبت الثانية » تتبنى ابنته « نيتوكريس » بدلا من ابنة « تهرقا » الذى أقصيت أسرته من حكم البلاد ، وهى التى تسمى « أمنرديس الثانية » ، غير أننا لا نعلم كيف تم ذلك ، لأن الجزء الأول من اللوحة ناقص ، ومن المحتمل أن « بسمتيك » حضر الى « طيبة » وجعل الكهنة يحلفون يمين الولاء لها وما تبقى فى أول المتن هو خطاب للملك يظهر أنه يشكر الاله «آمون» والده . وهذه الوثيقة قد ألقت فيضا من الضوء على العلاقات الأسرية فى العهدين « الكوشى » و « الساوى » . وقد كان العثور عليها مغنما كبيرا للتاريخ المصرى فى ذلك العهد الذى كان فقيرا فى الآثار التاريخية . ويمكن أن نصفها بأنها منشور تَبَنٍّ ونقل ملكية . وهى تسجل لنا تبنى « شبنوبت » لابنة الملك « تهرقا » التى كانت تحمل لقب « المتعبدة الآلهية » أو زوج الاله فى طيبة ، واسمها « أمنرديس الثانية » ثم نزول الأخيرة لابنة « بسمتيك » المسماة « نيتوكريس » . وقد نزلت « شبنوبت الثانية » عن كل ممتلكاتها للأخيرة « نيتوكريس » ،وكان الغرض من هذا التبنى هو أن تصبح أسرة « بسمتيك » بعد وفاة « شبنوبت » صاحبة هذه الممتلكات بالاضافة الى وظيفة « زوج الاله آمون طيبة » .

ومما يؤسف له أن بداية هذه الوثيقة قد فقد والجزء الباقى يبتدىء فى وسط خطاب « بسمتيك الأول » لرجال حاشيته معلنا غرضه من جعل «شبنوبت»

---

(١) لوحة من الجرانيت الوردى يبلغ ارتفاعها ١٨٠ سنتيمترا وعرضها ٤٣ر١ سنتيمترا وجزؤها الأعلى فقد . عثر عليها الأثرى « لجران » فى « الكرنك » عام ١٨٩٦ وهى الآن بمتحف القاهرة .

تتبنى ابنته « نيتوكريس » • وتجيبه الحاشية بالمديح العادى المتبع فى مثل هذه الأحوال •

وعلى ذلك فانه فى السنة التاسعة من حكم « بسمتيك الأول » أقلعت « نيتوكريس » الى « طيبة » حيث قوبلت بمظاهر الفرح والابتهاج ، وأعطيت ممتلكات « شبنوبت » رسميا ، ويلى ذلك قائمة بكل ضياعها •

ومن منطوق هذه اللوحة نفهم أن « بسمتيك » كان صاحب السيطره التامة على « طيبة » كما ذكرنا من قبل فى السنة التاسعة من حكمه ، وأن « تاتوتأمون » كان على ذلك قد فقد سلطانه على الوجه القبلى قبل ذلك التاريخ • وكانت حالة « طيبة » تشبه كثيرا ما كانت عليه فى عهد الكوشيين ، فكان « منتومحات » حظى « تهرقا » لا يزال حاكم المدينة ، مما يدل على أن بقايا الحكم الاقطاعى كان لا يزال موجودا فى عهد « بسمتيك الأول » • ويلفت النظر فى نقوش هذه اللوحة أن الكاهن الأكبر لآمون كان يشغل مكانة ثانوية ، وأنه لم يكن له أى نفوذ سياسى ، وان تابعه أى الكاهن الثالث لآمون قدم للدخل « نيتوكريس » مثل ما قدم هو • وهاك ترجمة ما بقى من اللوحة :

« انى ابنه ، والأول فى حظوة والد الآلهة ، والمقدم قربانا للآلهة ، والذى أنجبه لنفسه ليرضى قلبه • لقد أعطيته ابنتى لتكون « الزوجة الالهية » لأجل أن تلتمس الحماية للملك أكثر من أولئك اللائى كن قبلها ، وحتى يكون راضيا حقا بصلواتها ، ولأجل أن يحمى أرض من أعطاه اياها » •

« تأمل ! لقد سمعت الآن القول أن ابنة [1] الملك « حور كاخع » (عالى التاج) الاله الطيب (تهرقا) المرحوم موجودة هناك ، وهى التى قد أعطاها أخته

(١) ابنة « تهرقا » هذه كما لاحظ الأثرى « ارمان » فى شرحه هى بلا نزاع « امنرديس الثانية » التى كانت قد أخذت نصيبها فى تلك الوظيفة المقدسة ، ولكن لما كانت سلفها « شبنوبت » لا تزال حية بعد فان « امنردس » لم تكن قد خلفتها فعلا بوصفها « متعبدة الهية » . و « امنرديس » هذه قد حل محلها الآن بوصف انها ابنة عظيمة « نيتوكريس » بنت الملك « بسمتيك » .

« شبنوبت » لتكون ابنتها الكبرى وهى الموجودة هناك بوصفها « المتعبدة الآلهية » . وانى لست بالانسان الذى يقصى وارثا عن مكان والده ، لأنى ملك يحب الصدق ؛ وأن ما أمقته (خاصة) هو الافتراء . وانى تفسى ابن حامى والده (حور) مستوليا على ارث « جب » (اله الأرض) وموحدا الجزئين (أى الوجه القبلى والوجه البحرى) بوصفى شابا ، وعلى ذلك فانى أعطيتها (أى نيتوكريس) اياها (أى شبنوبت) لتكون ابنتها الكبرى ، كما قلها (أى شبنوبت أخت تهرقا) والدها (بيعنخى) مرة لأخته (أى امنرديس اخت بيعنخى وابنة تهرقا) » .

« وعندئذ انحنوا الى الأرض وقدموا الشكر لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « واح — اب — رع » (بسمتيك الأول) عاش أبديا وقالوا : ليمكث وليخلد فى الأبدية ! ان كل أمر لك سيمكث ويخلد . ما أجمل هذا الذى يفعله الاله لك ! وما أفخر ذلك الذى يفعله لك والدك !.... انه يجب أن يذكر حضرتك ، وانه ينعم عند ذكر اسمك يا « حور » يا عظيم القلب ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بسمتيك الأول » عاش أبديا . انه فعل ذلك أثرا لوالده « آمون » رب السماء وحاكم الآلهة . لقد أهدى ابنته المحبوبة « نيتو كريس » صاحبة الاسم الجميل الى « شبنوبت » لتكون زوجة الاله ، ولتضرب الصاجات أمام وجهه (أى آمون) الجميل » .

« نيتو كريس » تقلع الى « طيبة » :

وفى السنة التاسعة الشهر الأول من الفصل الأول (الشهر الأول) اليوم الثامن والعشرون ، غادرت كبرى بناته خدر أسرة الملك مرتدية الكتان الجميل ، ومزينة حديثا باللازورد ، وكان التابعون المرافقون لها عددا عظيما ، وقد أفسح لها الطريق الشرطة لتبتدىء الطريق السوية الى الميناء لتصعد فى النيل الى « طيبة » . وكانت السفن التى تقلها عديدة جدا ، وكان الملاحون رجالا أقوياء ،

وقد كانت مثقلة جدا حتى السطح بكل شيء طريف من قصر الملك . وكان القائد هناك هو السمير الوحيد حاكم مقاطعة « اهناسيا [١] المدينة [٢] والقائد الأعلى للجيش ورئيس السفن المسمى « سماتوى تفنخت » . وسافر الرسل الى الجنوب ليقوموا بالتجهيزات الفاخرة أمامها . وأقلعت السفينة (...) وأخذ عظماء الرجال أسلحتهم ، وكان مع كل شريف مؤنته . مجهزا بكل شيء طيب : من خبز وجعة وثيران وبط وتمر وخضر وكل شيء طيب . وقد نقلها والواحد الى جانبه حتى وصلت الى « طيبة » (وهذا يعنى أن الملك كان معها فى رحلتها الى « طيبة » ؟) .

استقبال الأميرة فى « طيبة » :

« فى السنة التاسعة (الشهر الثانى) من الفصل الأول — اليوم الرابع عشر (أى بعد مغادرتها « سايس » بأربعة عشر يوما) وصلوا الى مدينة الآلهة « طيبة » . وكلما تقدمت (فى المسير) وجدت أن رجال « طيبة » ونساءها واقفون مبتهجين باقترابها محيطين اياها بالقربات العظيمة ، وكان عددهم جما غفيرا . وبعد ذلك قالوا : ان ابنة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى تأتى الى بيت « آمون » ليستقبلها ويسر بها . ان ابنة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « شبنوبت » تأتى الى « الكرنك » لأجل أن يشرفها الآلهة الذين فيه . وأن كل أثر لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بسمتيك الأول » يمكث ويخلد الى أبد الآبدين .

---

(١) كانت « اهناسيا » مقرا لرئيس السفن الذى كان يحكم كل الوجه القبلى . من جنوب منف حتى أسوان .

(٢) وجد اسم اهناسى بنفس الاسم ويحمل نفس الألقاب فى عهد بيعنخى فهل الاسمان واحد ؟ أم لأب ولابن ؟ لأن المدة التى تفصل احدهما عن الآخر تبلغ حوالى ٧٥ سنة ؟ (راجع ما ذكر عن « سماتوى تفنخت » فى الحديث عن ظلامة « بتيسى ») .

ان « آمون » سيد السماء وملك الآلهة قد تسلم ما عمله له ابنه « حور » العظيم القلب العائش أبد الآبدين • وان « آمون » حاكم الآلهة قد مدح ما عمله له ابنه محبوب الآلهتين « نب عا » العائش أبد الآبدين ••••••• وأن المكافأة على ذلك تكون مع « آمون » ومع « منتو » وهى ألف ألف سنة من الحيـاة وألف ألف سنة من الثبات وألف ألف سنة من الرضـا • وأن كل الصحة وكل سرور القلب تكون معهم (أى الآلهة) لابنهم المحبوب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « واح — اب — رع » بن « رع » « بسمتيك الأول » العائش أبد الآبدين •••• (ان الآلهة قد أعطوه الملكية) » •

تحويل املاك « شبنوبت » الى « نيتوكريس » :

« والآن فانه فيما بعد عند ما أتت للمتعبدة الآلهية « شبنوبت » نظرتها كانت مرتاحة اليها وأحبتها أكثر من أى شىء • وقد نزلت لها عن الثروة التى نزل عنها والدها ووالدتها لها ولابنتها الكبيرة « امنرديس » ابنة الملك••••المرحوم • وقد دون ما يخص ذلك كتابة قائلا : لقد أعطيناك كل متاعنا فى الحقل وفى المدينة • وانك تمكثين على عرشنا باقية ومخلدة أبد الآبدين • » والشهود على ذلك كانوا الكهنة خدام الاله والكهنة المطهرون وكل أسرة المعبد •

قائمة الثروة :

قائمة بكل المتاع الذى أعطوه اياها فى المدن ومقاطعات الجنوب والشمال :

الأراضى :

ما أعطاه اياها جلالته (Sic!) فى المقاطعات السبع من أرض الجنوب :

(١) فى اقليم « اهناسيا المدينة » المقاطعة المسماة « يو — نا » التى توجد فى الاقليم التابع لها :

أراضى ٣٠٠ ستات (أرورا)

(٢) فى اقليم « البهنســا » ضيعة « بو ـ تاوى » وهى التى فى الاقليم التابع له :

أراضى ٣٠٠ ستات

(٣) فى اقليم « سب » ضيعة « كاو كاو » وهى فى الاقليم التابع لها :

أراضى ٣٠٠ ستات

(٤) فى اقليم مقاطعة الأرنب « الأشمونين » ضيعة « نســومين » وهى فى الاقليم التابع له :

أراضى ٦٠٠ ستات

(٥) فى اقليم « أفروديتوبوليس » (بلدة قاو) وهى فى الاقليم التــابع له :

أراضى ٣٠٠ ستات

(٦) [1] فى اقليم .... ضيعة « حورسأزيس » وهى فى الاقليم التابع له :

أراضى ٢٠٠ ستات

وكل ذلك مجموع معا = أراضى = ١٨٠٠ [2] ستات

« هذا بالاضافة الى كل دخلها من الحقل والمدينة وكذلك أراضيها القاحلة ونزعها . »

ويلاحظ هنا أولا أن عــدد المقاطعات التى ذكرت فى المتن هى ست مع أن العدد الذى ذكر فى العنوان هو سبع والمقاطعة الناقصة وهى التى حذفت خطأ من الكاتب قد أضيفت فى نهاية النقش .

ويلاحظ ثانيا أن المجموع هو ٢٠٠٠ لا ١٨٠٠ ستات ، ولكن قد يجوز أن الاختلاف قد يفسر بعدم تأكدنا من عدد المادة الثالثة .

---

(١) كان ينبغى أن يكون هنا عناوين سبع مقاطعات ، والمقاطعة الناقصة التى حذفها الكاتب خطأ قد اضيفت فى نهاية النقش .

(٢) المجموع هو ٢٠٠٠ ستات ولكن الخلاف يحتمل انه نتج من عدم التأكد من العدد الثالث فى القائمة .

الدخل :

الخبز والجعة التى أعطيت معبد « آمون » من أجلها .

من أمير « طيبة » :

ما أعطاه اياها الكاهن الرابع أمير المدينـة (طيبة) وحاكم كل الجنـوب « منتومحات » :

يوميـا :

خبز	=	٢٠٠	دبنـا
نبيـذ	=	٥	هنـات
فطير (شعت)	=	١	
خضر	=	١	حزمة (حتب)

شـهريا :

ثيران	=	٣
أوز	=	٥

من ابنه :

ما يعطيـه اياها ابنـه الأكبر رئيس الملاحظين لكهنة « طيبـة » المسمى « نسبتاح » :

يوميـا :

خبز	=	١٠٠	دبنـا
نبيـذ	=	٢	هنـان
خضر	=	١	حزمة (حتب)

شهريا :

فطير (شعت)	=	١٥

جمة = ١٠ جرار (هن)

وأراض من اقليم « قعحت » التابع لـ « واوات » = ١٠٠ ستات

من زوجه :

ما أعطته اياهــا زوج الــكاهن الرابع لأمون « منتومحــات » المسماة « وزارنس » :

يوميــا :

خبز = ١٠٠ دبنـــا

من الكاهن الأكبر لأمون :

ما يعطيه اياها الكاهن الأكبر لأمون المسمى « حورخب » :

يوميــا :

خبز = ١٠٠ دبنـــا

نبيذ = ٢ هن

شهريا :

فطير (شعت) = ١٠

خضر = ١٠ حزم (حتب)

ما يعطيه الكاهن الثالث :

ما يعطيه اياها الكاهن الثالث لأمون المسمى « بدى آمون نب نستاوى » :

يوميــا :

خبز = ١٠٠ دبنـــا

نبيذ = ٢ هن

شهريا :

جمة = ٥ جرار (هبن)

فطير (شمت) = ١٠
خضر = ١٠ حزم (حتب)
ملخص : المجموع الكلى :

خبز = ٦٠٠ دبنا
نبيذ = ١١ هنا
فطائر (شمت) = ٢ ١/٦ [1]
خضر = ٢ ٢/٣ [1]

شهريا :

ثيران = ٣
أوز = ٥
جعة = ٢٠ جرة
أراضى = ١٠٠ ستات

ما يعطيه اياها جلالته فى مقاطعة « هليوبوليس » فى معبد « آتوم » من القربات المقدسة (من دخل المعبد) التى أوقفها جلالته ٠

حنطة ٢ حقيبة

وذلك بعد أن قربت يوميا فى الحضرة الالهية ونعم الاله بها هناك ٠

من المعابد :

« سايس » خبز ٢٠٠ دبنا
« بوتو » خبز ٢٠٠ دبنا

---

(١) يشمل هذا المقرر الشهرى محولا الى ايام

بيت «حتحور» صاحبة الفيروزج	خبز	١٠٠	دبنـا
« منف » (بر ــ انبو)	خبز	٥٠	دبنـا
« كوم الحصن »	خبز	٥٠	دبنـا
« بر منو »	خبز	٥٠	دبنـا
بيت (عت) « ثارو »	خبز	٥٠	دبنـا
« تانيس »	خبز	١٠٠	دبنـا
بيت « حتحور »	خبز	١٠٠	دبنـا
« بوبسطة »	خبز	١٠٠	دبنـا
« أتريب »	خبز	٢٠٠	دبنـا
« مستا »	خبز	٥٠	دبنـا
« بستا »	خبز	٥٠	دبنـا
بيت « حرشف » سيد « هناسيا »	خبز	١٠٠	دبنـا
« برسبد » (صفط الحنا)	خبز	١٠٠	دبنـا
المجموع الكلى	خبز	١٥٠٠	دبنـا

اراض اخرى :

ما أعطيته فى مقاطعاتها الأربع التابعة للأرض الشمالية :

١ ــ فى اقليم « سايس » ضياع بدو الجنوب التى فى الاقليم التابع له :

أراضى	٣٦٠	ستات

٢ ــ فى اقليم « بياستا » بيت « نفر ــ حر » وهو فى الاقليم التابع له :

أراضى	٥٠٠	ستات

٣ ــ فى اقليم « ثبو » ــ فى « قارب الجميز » وهو فى الاقليم التابع له :

أراضى	٢٤٠	ستات

٤ – فى وسط اقليم « عين شمس » جـدار حورى بن « زدتى » وهو (كذلك) «جدار بسنموت» الذى وضعته « مرت وبخت » وهو الذى فى الاقليم التابع له :

أراضى ٢٠٠+س ستات

ومجموع أراضى المقاطعات الأربع = ١٤٠٠ ستات

هذا بالاضافة الى دخلها من الحقل والبلد مع أرضها القاحلة وترعها ٠

المجموع الكلى :

خبز = ٢١٠٠ دبنا (أى ما قيمته ٢١٠٠ دبنا)

أراض فى المقاطعات الاحدى عشرة = ٣٣٠٠ ستات

باقية باقية منقولة لا تفنى لا تمحى أبد الآبدين وسرمديا !

أرض حذفت أعلاه (نسى الكاتب هذه القطعة من الأرض من قائمة المقاطعات السبع كما ذكرنا آنفا) فى اقليم « ٠٠٠٠ بب » مع كل أهله وكل أراضيه وكل ممتلكاته فى الحقل والبلدة ٠

مدير بيت الأميرة « نيتوكريس » المسمى « أبا »

كان مدير بيت الزوجة الالهية يشغل مكانة ممتازة كما ذكرنا من قبل عنـد التحـدث عن مديرى بيت الزوجات الالهيـة فيما سبق (الجزء العـاشر ص ٥٠٤ – ٥٢٤) ٠

والواقع أنه كان هو المتصرف الحقيقى فى أمور كل مقاطعة « طيبة » فى ذلك الوقت [1] ٠

---

(١) وقد عاصر « نيتوكريس » ثلاثة مديرين عظام وهم « أبا » و « بايس » و « بدى حور » (راجع مصر القديمة الجزء العاشر ٥٢٤ – ٥٢٥) ٠

وقد بقى لنا من آثار « أبا » مدير البيت للمتعبدة الآلهية « نيتوكريس » تمثال من الحجر الجيرى اشتراه من « الأقصر » الأثرى « لجران » عام ١٩٠٣ وهو يمثل « أبا » واقفا ، ولكن مما يؤسف له لم يبق منه الا الجزء الأسفل من أول وسطه .

وكان التمثال يقبض أمامه على لوحة منقوشة . ويلاحظ أن حجر التمثال عندما وجد كان هشا جدا وقد تآكل سطحه ، ومن أجل ذلك كانت قراءة المتن غير مؤكدة . (راجع Br., A. R. vol. IV § 958 A and; Daressy, A. S. V P. 94-96; & Das Gottesweib Des Amun Von Sander Hansen Textanhang No. 3

وقد كان « لأبا » هــذا قبر فاخر فى « العساسيف » وقد دمر فى الأزمان القديمة . وما بقى على جدرانه من الأشكال والنقوش قد نقلها ونشرها الأب « شيل » [1] (راجع Memoires Publiés par les Membres de la Mission Archeologique Française, Tome V. Daressy Cones Funeraires P. 256)

و « أبا » هــذا هو ابن رجل يدعى « عنخ حور » كما جاء على مخروط جنازى ، ويحدثنا المتن عن جزء من حياة « أبا » مدير بيت « نيتوكريس » ابنة « بسمتيك الأول » بعــد توليتها وظيفة زوج الاله « آمون » فى « طيبة » . ويصف لنــا « أبا » تنصيبها فى السنة التــاسعة من حكم والدها فى الاحتفــال الذى كان حاضرا فيه ، ثم يقص علينا تنصيب الملك له مديرا عظيما للبيت بعد ذلك بسبع عشرة سنة ، أى فى السنة السادسة والعشرين من حكم « بسمتيك »

---

(١) ويحتوى هذا القبر على عدة مناظر فاخرة وبخاصة منظر الرقص والموسيقا كما يحتوى على مناظر عمال يعملون فى بناء هذا القبر ونجارين يقومون بعملهم هذا بالاضافة الى اناشيد دينية يوجهها المتوفى الى اله الشمس .

وكان يحمل « أبا » هذا القاب « الحاكم » والمشرف على كهنة حور الكبير رب « قوص » ، والأمير الوراثى ، ومدير البيت العظيم للمتعبدة الالهية ، وتابع المتعبدة الالهية ... الخ ..

وذلك لأجل اصلاح قصرها . وقد رتب « أبا » أمور الأميرة ، وقد مضت هي يوما معه في المعبد فاحصة أوراقها . وبعد ذلك أدار أمور اصلاح قصرها ويتضمن ذلك اقامة مبنى يبلغ ارتفاعه مائة ذراع . وهذه هي الاشارة الوحيدة التي ذكرت كتابة عن ارتفاع مبنى من مباني مصر القديمة ، وقد بنى كذلك مقصورة قصر للاله « أوزير » كما أسهم في الاحتفال بأعياد الاله « آمون » وساعد في اصلاح قبر « أوزير » بطيبة .

وهاك ما بقى من النقش :

١°) ... المدير العظيم لبيت الزوجة الالهية « أبا » بن الكاهن « مرى تتر » و « عنخ حور » .

(٣) ... امدحوا « آمون » وحيوا « منتو » رب « طيبة » مثل (... ° ٤) المدير العظيم لمليكتي ابنته الزوجة الالهية ...

تعيين « نيتوكريس » : توجد هنـــا فجوة في الحجر وتحتوى بداهة على العبارة الدالة على أن « بسمتيك » قد أمر بتعيين ابنته زوجة الهية .

(٥) محبوبته والحظية العظيمة لدى « آمون » الحلوة ... ابنة المحبوبة « مرموت » محيتنوسخت للزوجة الالهية ، والمتعبدة الالهية لأمون في «الكرنك»

الاحتفال بتنصيب «نيتوكريس» :

كان الكاهن رئيس المرتلين والكاتب المقدس ، والكهنة خدمة الاله والكهنة أباء الاله ، والكهنة المطهرون ، والسمار العظام لجلالته في معية مليكتهم . وكانت كل الأرض في عيد عظيم ، وقربان ... (٧) مملوء بكل قربان مهللين له . فرحى القلوب ، بالواحـــدة الفـــاخرة العظيمة بين العظماء ومحبوبته المتعبدة الالهيـــة « نيتوكريس » العائشة ، في حين أن كهنة الساعة كانوا يتبعونها (٨) ... وقد أنجز من أجلها كل احتفال متبع على حسب ما يحدث في تتويج سيدها الطيب

« آمون » ... سناء مثل الشمس . وقد جعلت (٩) أن يقدم قربانا عظيما ، وأحضرت كهنة الساعة (المناوبة) بخور الحظوة والحب والسعادة والصحة لوالدها « واح — اب — رع » (بسمتيك الأول) .

« نيتوكريس » فى قصرها بطيبة :

وقد سارت جلالتها ... (١٠) الى القصر قاعدة فى محفتها التى صنعت قضبانها حديثا من الفضة والذهب ومطعمة بكل حجر ثمين أصيل ، وأمرت بأن تقدم ...

تصدع قصر « نيتوكريس » :

(١١) فى السنة السادسة والعشرين — الشهر الثانى من الفصل الأول — اليوم الثالث (فى هذا اليوم) (أو يوم تتويج جلالته) ... أرسل جلالتـه أولئك الذين كانوا فى حاشيته ...

(١٢) من أرض الجنوب كهنته خدام الاله وكهنة مطهرين تابعين لأمون ، ونساء مقدسات لأمون (حريم « آمون ») وقد أتوا قائلين : لقد سمع جلالته أن بيت المتعبدة الالهية بدأ يئول الى الخراب .

تعيين « أبا » مديرا عظيم لبيت « نيتوكريس » ليقوم بالاصلاح :

وهؤلاء الناس قد حضروا ومعهم أمر ملكى جاء فيه :

ينبغى أن يعين « أبا » وهو محل ثقة الملك ، مديرا عظيما لبيت الزوجة الالهية وأن يجمع له كل الأشياء اللازمة لدفع أجر الأعمال (١٥) وأن تدفع لكل الكتاب والمفتشين الذين أرسلوا لأشغال بيت المتعبدة الالهية بقدر ما يكون عددهم . قائمة كل يوم ... (١٦) ... أوان من الفضة والذهب والنحاس — وكل شىء من البيت الأبيض (الخزانة) .

« ابا » يتحدث عن ادارته :

(١٧) لقد ملأت مخازن غلالها بالقمح والحنطة وكل فاكهة وضاعفت حظائر ماشيتها بالعجول وأجبرت موظفيهــا على دفع ضرائب ••• (١٨) ••• كلهم وصنعت كل شيء قسرا ••• تماما •

« نيتوكريس » تمضى يوما فى فحص امورها :

••• وذهب ليقابلها فى معبد « آمون » ••• (١٩) وأمضت يوما تختم ••• الخــاص بالبيت • ويظهر أنهــا هنا قد فحصت (٢٠) « كل أمورها الخاصــة بعشرة آلاف السنين التى عاشها كل ملك ممتاز » •

« ابا » يباشر اصلاح قصر « نيتوكريس » :

لقد أقمت طعامها بجانب بيت الملك (ويسمى) « خنسو ــ آمون » (؟) بمثابة عمل أبدى وكل شيء كان عمل ••• فيه ــ وبيتها فى البيت الطاهر الخاص بوالدها « آمون » وهو الذى عمله لها والدها « رع » فى الأزل فكان ارتفاعه مائة ذراع وعرضه مائة ذراع ••• (٢٢) مبنى فى كل ••• وجدرانه (؟) كانت من الحجر ورقعتــه من الحجر وكل مائدة قربان وجــدت فيه ، وموائده ••• (٢٣) لا تحصى • وســقفه (حرفيــا سماؤه) كان من الســام المطعم بكل حجر أصيل غال •

اقامة « ابا » مقصورة لاوزير :

وأقمت معبــدا بجواره لســيدها « أوزير ونفر » من كل عمل ممتاز • وسفينته ••• (٢٤) ••• مثل « رع » فى أفقه وتمثال جلالته الذى كان يحمل قد صنع من السام المطعم بكل حجر أصيل غال هذا بالاضافة الى تماثيل جسمها (أى نيتوكريس) من السام ••• (٢٥) ••• الى قصرها فى سفينتها أمام أل ••• مكان •

الاحتفال باعياد « آمون » :

ويقص علينـا « أبا » بعـد ذلك كيف أن الاله « آمون » قد أحضر من مقصورته فى قدس الأقداس باحتفال مع نساء الخدر المقدسات اللائى كن فى صحبة « نيتوكريس » .

« فى عيده الذى احتفلت به البلاد من أجله فى اليوم السادس من الشهر ، وهو لم يعمل مثيله بجانب البوابة العليـا لأمون ــ رع » ... مع والدها فى خلال عيده فى الشهر الأول من الفصل الثالث (بشنس) (٢٦) ... » .

اصلاح مقبرة « أوزير » أثاثه !

وملأت كهفه السرى (قبر آمون الأوزيرى) أثاثه باللبنات وبكل الأشياء الأصلية التى رغب فيها وكانت أبوابه من خشب الأرز ورقعته من (...) وهو الذى صنعته الملكة « نيتوكريس » المتعبدة الالهية لها الحياة والفلاح والصحة ... (٢٧) ... وزوج الالهة العظيمة « محيتنوسخت » كذلك فى كل شىء لأجل أن يدفن جمع غفير من أوانيهم وكذلك كل موائد قربانهم (؟) الخاصة بالمعبد وهى المصنوعة من الفضة والذهب وكل حجر ثمين . وقد أسست قرباتهم المقدسة من خبز وجعة وماشية وطيور وكتان وعطور وخمر ولبن ... وخضر بمثابة قربان يومى لا (٢٨) بعد ... (وباقى السطر غامض) » .

وقد وجد على العمود الذى يرتكز عليه التمثال المتن التالى بحروف كبيرة :

... السمير الوحيـد مدير البيت العظيم والمعـروف لدى الملك « أبا » ابن محبوب الاله « عنخ حور » المرحوم . ضع نفسك (يشير الى الاله المحلى فى الجزء المفقود فى أول النقش) خلفه فى حين أن روحه يكون أمامه لأنه أيونى (أى أوزير) (راجع عن هذه الصيغة Melanges Maspero p. 375) (راجع عن قبر « أبا » كذلك ما يأتى : Tombeau d, Aba n. 25 de Assassif, L.D.III, 271 — L.D Texte III. P. 247; Champollion

Monuments II Pl. CL III, et Notice I, pp. 553-556 et 854-858; Brugsch, Rec. de Monum. II, PL LXVIII;)

وقد وجـد له فى خبيئة « الكرنك » تمثال من البازلت هشم جزؤه الأعلى ولم يبق منه الا قطعة يبلغ طولهـا ٤٦ سم ، ويشاهد فيها آثار التشوية ، وقد نشرها حديثا لأول مرة الأثرى « كرستوف » (راجع A. S. Tome LIII. p. 49) وقد مثل على ما يظهر راكعا ويقـدم تمثـالا للاله « أوزير » غير أنه مهشم أيضا . وقد بقى عليه نقشان يمكن منهما معرفة شخصية صاحب التمثال وتاريخه

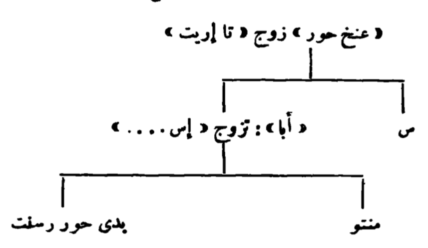
النقش الأول على ظهر التمثال وجاء فيه : ... لأجل الأمير الوراثى والحاكم وكاهن « آمون ــ رع » ملك الآلهة والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الالهية . ويلحظ فى هذه الألقاب أن لقب كاهن « آمون ــ رع » ملك الآلهة لم يكن قد ظهر لأحد من هؤلاء المديرين العظام لبيت المتعبدة الالهية الا فى ألقاب «ماس». أو « باباسا » (راجع Campell, The Sarcophagus of Pabasa pl. en face de pages 10 ;et 16, Roeder Naos (Catalogue general... du musée du Caire p. 107; A. S. Tome LIII, p. 50 note 1.

(٢) نقش على سنادة تمثال « أوزير » من الجهة اليمنى وهى التى وجدت عليها النقوش فقط .

الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد المحبوب ، رئيس كهنة آلهة الوجه القبلى ، والمدير العظيم لبيت المتعبدة الالهية « نيتوكريس » العائشة ، وحاكم كل الوجه القبلى قاطبة « أبا » الذى تمتع بصحة جيدة ابن الكاهن محبوب الاله « مرى ترى » المسمى « عنخ ــ حور » المرحوم وأمه هى السيدة « تااريت » .

ومما يلفت النظر فى نقوش مقبرة « أبا » أن زوجه لم تمثل معه وعلى العكس نجد أنه قد ذكر اسم والدته مرات عدة على آثاره ، وعلى أية حال وجد جزء من

اسمها وهو « اس ••• » • ويمكن أن نضع شجرة نسب لأسرة « أبا » كما يأتى :



ومن المحتمل جدا أن هذا التمثال كان قبل أن يحشر فى خبيئة « الكرنك » يزين مقصورة « أوزير » للمتعبدة الالهيـة « نيتوكريس » فى « الكرنك » الشمالى •

والواقع أن نقوش هذا التمثال لا تقدم لنا أية معلومات جديدة عن تولى وظيفة المدير العظيم لبيت « نيتوكريس » • هذا ونعلم أن « أبا » كان يقوم بأعباء وظيفته هذه من أول عام ٢٦ من حكم الملك « بسمتيك الأول » كما جاء فى لوحة « نيتوكريس » أى بعد سبع عشرة سنة من تبنى « شبنوبت » الثانيـة للأميرة « نيتوكريس » والظاهر أنه حل محل المدير العظيم للبيت « باباسا » (بابس) (راجع Karnak Nord III p 41, No. 2)

وقد ترك لنا « بابس » عدة آثار غير ما ذكرنا (راجع arnak Nord III P.132-133) يضاف اليها ما يأتى :

١ — تمثال متربع من الحجر الجيرى نقش عليه خمسة أسطر بالهيروغليفية (راجع Catalogue of the Mac. Gregor Collection (1922) P. 212 no. 1627 ; A.S. LIII. P. 55 note 5.

٢ — ثلاثة مخاريط جنازية (راجع Daressy, Recueil delCônes funeraires

no. 177; Speleers, Recueil des Inscriptions Egyptiennes des Musées Royaux du Cinquantenaires á Bruxelles E. 3983 no. I80 p. 48; of A. S., LIII. p 73)

٣ — قاعدة تمثال (راجع A. S. LIII. p. 56 note 1) ويلحظ أن اسم « أبا » فى هذا الأثر قد سبق بعبارة « ممدوحها وحبيبها » وأن اهداء التمثال كان للمتعبدة الالهية « شبنوبت » الثانيـــة الحية « امنردس » الأولى ، ومع ذلك فانه يمكننا أن نفرض أن هذا كان أثرا مقدما للاله « أوزيرونتفر » قبـــل السنة التاسعة من حكم الملك « بسمتيك الأول » بقليل بوساطة أحـــد عظماء رجال البلاط الذين رافقوا الأميرة الشابة « نيتوكريس » الى « طيبة » • وتدل شواهد الأحوال على أن « أبا » كان من أهل الوجه البحرى ، اذ نجد أن اسم أمه يوحى بأنها كانت من أسرة « بوبسطية » عظيمة • وعلى أية حال نعرف من جهة أخرى أن كاهنا للالهة « باستت » صاحبة « تل بسطة » كان يدعى « أبا » (راجع Koefoed Petersen, Recueil des inscriptions hieroglyphigues de le glyptotheque Ny Carlsberg, Bibliotheca Aegyptiaca VI, P 28 no. 121)

ومهما يكن من أمر ، فان « أبا » قبل ترقيته لوظيفـــة المدير العظيم لبيت « نيتوكريس » كان لا يحمل الا لقب « المعروف لدى الملك » ثم أصبح فيما بعد كغيره من المديرين العظام « المعروف لدى الملك حقا » أو « المعروف لدى الملك حقا والذى يحبه » • وقد كان يحمل نعوتا أخرى اذا أخذناها على معناها الحرفى فانه كان يعد فردا من أسرة « بسمتيك الأول » •

وسنورد هنا ألقاب هذا العظيم ونعوته لنرى ما كان له من منزلة عالية فى زمنـــه •

وقد جمع كل هذه الألقاب والنعوت الأثرى « كرستوف » (راجع A. S. LIII p. 56-61) •

ويبلغ عددها ٦٤ غير أن بعضها مشكوك فيه . وهاك أهمها :

(١) الأمير الوراثي
(٢) الأمير الوراثي والحاكم
(٣) حاكم الوجه القبلي
(٤) حاكم الوجه القبلي قاطبة
(٥) الحاكم .

هذه هي ألقابه العامة ، أما ألقابه المتصلة بالمتعبدة الآلهية فهي :

(٦) الذي يقترب من يد الاله
(٧) حارس تاج المتعبدة الآلهية
(٨) الرجل الوحيد المختار للمتعبدة الآلهية .
(٩) الذي يرى أسرار يد الاله « شينوبت الثانية » .
(١٠) المدير العظيم للبيت
(١١) المدير العظيم لبيت زوج الاله
(١٢) المدير العظيم لبيت يد الاله
(١٣) المدير العظيم لبيت المتعبدة الآلهية لآمون
(١٤) الذي يسهر على المتعبدة الآلهية
(١٥) رئيس العظماء الذين يسمعون ما يسمع
(١٦) رئيس الأسرار للتي تسمع
(١٧) مدير كل الوظائف المقدسة
(١٨) رئيس قصر (المتعبدة الآلهية)
(١٩) مدير كل الملابس
(٢٠) الشريف العظيم للمتعبدة الآلهية
(٢١) خادم المتعبدة الآلهية .
(٢٢) المدير العظيم لبيت آمون
(٢٣) رئيس كهنة آلهة « آمون »
(٢٤) رئيس كهنة آلهة الوجه القبلي
(٢٥) رئيس كهنة الاله « منتو » سيد « أرمنت »
(٢٦) رئيس كهنة «حور» الكبير سيد « جسى » (قوص) ؟
(٢٧) كاهن « آمون » ملك الآلهة
(٢٨) كاهن « منتو » سيد « أرمنت »

ألقاب متصلة بالملك :

(٢٩) رجل ثقة سيد الأرضين
(٣٠) رجل ثقة الاله الطيب (الكامل)
(٣١) الرجل الفريد الغالى لسيد الأرضين
(٣٢) فم الذى يهب الهدوء للمدن والمقاطعات
(٣٣) المعروف لدى الملك
(٣٤) المعروف حقا لدى الملك
(٣٥) المعروف حقـا لدى الملك الذى يحبه
(٣٦) الحاكم فى القصر
(٣٧) السمير الوحيد المحبوب
(٣٨) شريف القصر
(٣٩) السمير الوحيد فى قصر الملك
(٤٠) السمير الوحيد للملك
(٤١) الذى يهدىء غضب القصر
(٤٢) حامل خاتم الملك
(٤٣) الذى يتبع الملك فى تنقلاته
(٤٤) الذى يطرد الفزع من القصر

نعوت عامة :

(٤٥) عظيم الحب
(٤٦) العظيم فى شرفه
(٤٧) الذى يدخل بتقارير حسنة فى المكان الذى يوجد فيه الملك
(٤٨) الذى يدخـل أولا ويخرج آخرا
(٤٩) الوحيد الحب
(٥٠) الوحيد الذى رأس العظماء
(٥١) أعظم العظماء
(٥٢) العظيم فى وظيفته
(٥٣) العظيم فى خطواته
(٥٤) الممدوح
(٥٥) شريف على رأس الناس
(٥٦) أشرف الأشراف

هذا ولدينا نعوت أخرى صعبة الفهم . وعلى أية حال نجد أن كثيرا من هذه الألقاب كان يحملها المديرون العظام لبيت المتعبدة الآلهية الذين سبق التحدث عنهم . ويلفت النظر هنا أن مديرى البيت العظيم للمتعبدة الآلهية كانوا كغيرهم

من كبار الموظفين يضفون على أنفسهم ألقابا ونعوتا معظمها متشابه ، وترجع فى أصلها الى العهود القديمة وبخاصة من الدولة القديمة والدولة الحديثة .

اعمال « بسمتيك » وآثاره فى البلاد :

عاصمة الملك : كانت المدينـة الملكية بلا نزاع فى عهد هـذا الفرعون هى « سايس » ، ولا غرابة فى ذلك فهى مسقط رأس أجداده ومعقلهم الحصين منذ أن أخذ « تفنخت » أميرها العظيم يناضل عن ملك مصر فى وجه « آلكوشيين » وبخاصة فى عهد « بيعنخى » . وقد استمرت هذه المدينة الشوكة المؤلمة فى جسم ملوك الأسرة « الكوشية » حتى قضى عليها نهائيا ، وتقهقر ملوكها الى الجنوب ثانية ولزموا عقر دارهم . فقد رأينا كيف أن « بوكوريس » قد ناهض «تسبكا» ثم وقف ثانية فى وجه ملوك « الآشوريين » على الرغم من اغرائه بالمال والحكم . وأخيرا جاء بعده « بسمتيك » وخلص البلاد من « الآشـوريين » أولا ، ومن الكوشيين آخرا . وقد أقام ملوك الأسرة السادسة والعشرون فى هـذه المدينة قصورهم ومقابرهم ، غـير أن مقتضيات الأحوال قد جعلتهم يتخذون عاصمة الملك الرسمية « منف » وذلك على غرار ما فعله الرعامسة العظام فقـد كانت عاصمة ملكهم السياسية « قنتير » فى حين كانت عاصمتهم الحقيقية « طيبة » .

وقد كانت « سايس » فى الواقع مقامة على الفرع « الكانوبى » للنيل وهو أهم فروعه . وفى العصر الذى كانت فيه مصر مقسمة مقاطعات متنافرة متناحرة كان الأمير الساوى فى مقدوره أن يقف فى وجه السفن التى تسير على الطريق الرئيسى الى « منف » . ومن المحتمل أن هذا هو السبب الذى من أجله كانت « سايس » و « منف » مرتبطتين معا من أول عهد « تفنخت » و « بوكوريس » وما بعدهما .

وقد كان المسيطر على هاتين المدينتين يقبض فى يمينه على سلطان عرم . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت التجارة الاغريقية تأتى عن طريق الفرع « الكانوبى »

الى مصر وكذلك الجنود المرتزقة وهم الرجال الذين كان يطلق عليهم « رجال البحر النحاسيون » وقد حدثنا عنهم « هردوت » فى كتابته . ومن جهة أخرى كان « الفينقيون » على ما يظن يدخلون فى مياه النيل فى أغلب الأحيان بوساطة فرع النيل البلوزى . وتدل الآثار المكشوفة على أن « بسمتيك » قد نشر تجارة بلاده واسمها فى كل البلاد المجاورة وفى ممالك « البحر الأبيض المتوسط » .

فبينا نجد له آثارا فى « جبل مويا » الواقع على مسافة ثمانيـــة عشر ميلا جنوبى « سنار » (عثر على جعران باسمه فى هذه الجهة وهو محفوظ بمتحف « الخرطوم ») . (راجع Addison, Jebel Moya II p. 181) اذ نرى أنه قد عثر له على آثار فى «تونس» وفى «جيزر» [٢] بفلسطين وفى «كركميش» [٣] أى فى « تركيـــا » الحالية ، وفى « كورنثه » [٤] ببلاد « اليـــونان » وفى « قبرص » [٥] و « رودس » وفى « فولشى » Vulci [٧] « بايطاليا » وكذلك فى « كورنتـــا » « ترقينيا » .

(١) وجد له جعران فى « قرطاجنة » (راجع Vercoutter, les objets Egyptiens du obelier funeraire Carthagirois pp. 94—101)

(٢) وجد جعران باسمه (راجع The Excavations of Gizer II, p. 293) وكذلك وجد له جعران فى « اتليب » بفلسطين (راجع Rowe, A Catalogue of Egyptian Scarabs p. 336; and Johns, Excav. at Alit 1930-1 in Palistina Dep. Antiq. 2n. II P. 71

(٣) وجد خاتم باسم هـــذا الملك فى « كركميش » جربالوى (راجع Woolley. Carchamish II Pl. 26 (c,8) cf. pp. 127 (5)

(٤) وجدت آنية فى صورة محارب وعليها طغراء «واح ـــ اب ـــ رع» ويظن انه « ابريز » (راجع Mallet, les Premiers Etablissements des Grecs en Egypte in Mem. Miss Fr XII pp. 123—4 fig. 72)
غير أن الأثرى « بندلبرى » بنسبه الى « بسمتيك » (راجع Pendelburry, Aegyptiaca p 72)

(٥) وجد له جعران فى « قبرص » (Porter and Moss, VII p. 404)

(٦) وجدت آنية عليهـــا طغراء « واح ـــ اب ـــ رع » وهو اما « بسمتيك » أو للملك « ابريز » ومحفوظة الآن بمتحف « اللوفر » (راجع Perrot et Chepier, Hist. de l'Art.III P.L V. p. 78) كما وجد له جعران آخر فى هذه الجهة (راجع Hall, Cat. of Fgyp. Scarabs p. 253 (252;) and Murray, Excav. at Cyprus p .8

(٧) وجد جعران باسم « بسمتيك الأول » فى مقبرة « ازيس » فى « بولدارارا »

ومن ذلك نفهم أن اسم « بسمتيك » [١] كان شائعا فى أنحاء العالم المتمدين. فكان مثله فى ذلك كمثل الملوك العظام الذين نشروا المدنيـة المصرية فى ربوع الشرق فى عهد الدولة الحديثة ، وبخاصـة « تحتمس الثالث » و « رعمسيس الثـانى » .

أما فى داخل مصر فكان نشاطه عظيما وبخاصة فى العمارة ، ولذلك نجد أنه فى عهده أخذت محاجر « وادى حمامات » تسـتغل ، وقد ترك الموظفون الذين ذهبوا لقطع الأحجار أسماءهم وطغراءات الفرعون « بسمتيك الأول » . ومن أهم هؤلاء الذين وجدت أسماؤهم هناك « نسبتاح » بن « منتومحات » الكاهن الرابع لآمون المعروف . وقد مثل فى هـذه المحاجر يتعبـد أمام طغراء الملك « بسمتيك الأول » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « واح — اب — رع » بن « رع » « بسمتيك » له الحياة والسلطان مثل « رع » أبديا .

وعلى اليمين نقرأ فوق « نسبتاح » النقش التالى : الـكاهن الرابع لآمون ملك الآلهة ، وعمدة المدينـة وكاهن « سـكر » ؟ والمشرف على « الكرنك » « نسبتاح » بن الكاهن الرابع لأمون حاكم الجنوب قاطبـة « منتومحات » .
(راجع Couyet.—Montet, Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du, Ouadi Hammamat p. 17)

=) راجع Montelius, la Civilisation Primitive en Italie II [2] Pl. 265(8) كما وجد فى بلدة « كورنتا » « ترقينيا » اناء أحشاء من المرمر فى مقبرة عام ١٨٢٧ (راجع Porter and Moss VII p. 408

(١) ولا يفوتنا أن نذكر هنـا ان « بسمتيك الاول » قد جاء ذكره كذلك فى صورة فى « وادى جاسوس » حيث نجده مصحوبا بالزوجة الالهية « شبنوبت » وابنته « نيتوكريس » (راجع Schweinfurth, Alte Baureste und hieroglyphische Insch. im Wadi Gasus ;cf Petrie, Hist. III p, 333 fig. 140)

هذا ونجد نفس الكاهن « نسبتاح » مرسوما مرة أخرى يتعبد أمام الاله « مين » ويلاحظ أن رئيس الأشغال الذى كلف بعمل هذا المنظر قد أضاف الى اسم سيده اسمه هو « بدى وسر » بن « منفرر آمن » المرحوم . وهاك ترجمة النقش :

الكاهن الرابع لأمون ملك الآلهة ، وكاتب بيت « آمون » ، وحاكم الجنوب قاطبة « منتومحات » المرحوم بن كاهن « آمون » بالكرنك « نسبتاح » عمله له خادمه مدير أعمال بيت « آمون » « بدى أوزير » بن «منفرر أمن» المرحوم (راجع Ibid. p. 52.3) . والظاهر أن مدير العمال هذا قد زار هـــذه المحاجر عدة مرات لقطع الأحجار منها فى تلك الفترة ، فقد نقش اسمه فى عدة مواضـــع فى « وادى حمامات » (راجـــع Ibid. no 44, 52, 68, 118 .) وسنحاول هنا أن نتحدث عما كشف له من آثار فى جهـــات القطر المختلفة من الشمال الى الجنوب :

« الاسكندرية » :

(١) عثر لهذا الملك على لوحة كانت بين عمودين عليها اسمه وهى محفوظة بالمتحف البريطانى الآن . Arundale and Bonomie, Gallery fig.167 p. 109pl.43

(٢) وكذلك وجدت قطعة من أساس عمود « بومبى » من الجهة الشرقية وقد مثل عليها صورة ملك واله نقش عليها ما يأتى : « واح — اب — رع » بن الشمس . وهذه القطعة من الحجر الرملى الصلب فى حين أن طبقة البناء التى تحت هـــذه القطعة من الجرانيت وفى المؤلف « اجبتياكا » [1] نجد رسم العمود مصورا مع القاعدة التى نجد فيها قطعة نقش خاص بنفس الملك ، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى ، وقد بقى من النقوش ما يدل على اسم « بسمتيك الأول »

(١) راجع Aegyptiaca or Observations on Certain Antiquities of Egypt Part 1. The (History of Pompey's Pillar elucidated Pl. 3

ومن المحتمل أن هذه القطعة نزعت من الجانب الشمالى الشرقى ، ويلحظ أنهـا قد كسيت بملاط من الجير • وهاتان القطعتان تدلان على أن « بسمتيك » قد أقام بناء بالقرب من عمود « بومبى » (راجع L. D. Text 1 p. 1 ;and L. R. IV p. 77) . ومثل على قطعة منهما صورة « بسمتيك الأول » فى صـورة فتى ، ولا تدل الصورة على أنه كان من الطراز المصرى القديم (راجع A.Z. XXXIII p. 116)

(٣) يوجـد الآن بمتحف « الاسكندرية » تمثال كبـير « لبول هول » ويحتمل أنه عثر عليه فى « عين شمس » (راجع Daressy A. S. Vol. V, p. 126) وهذا التمثـال مصنوع من الحجر الرملى الأصفر المحبب وقد وجـد فى حالة تهشيم سيئة ، ونقش على الجهة اليسرى من القاعدة ما يأتى :

••••• « بسمتيك » العـائش أبديا محبوب « آتوم » رب الأرضين فى « عين شمس » الاله الطيب ضارب « الايونتو » والمستولى على ••• « بدتو » أهل الاقوام التسعة ، معطى الحياة والثبات والسلطان كله والصحة كلها ، وفرح القلب كله مثل « رع » •

وعلى الجهة اليمنى من القاعدة نقرأ : « •••• « بسمتيك » معطى الحياة ••• الاله الطيب رب القوة وواطىء « المنتيو » (البدو) ••• » •

(٤) النصف الأسفل من تمثال راكع للملك « بسمتيك الأول » : يظهر أن هذا التمثال كان يقبض بين يديه على محراب صـغير ، وعثر عليـه فى حفائر « السرابيوم » بالاسكندرية ، غير أن الأشياء التى وجدت فى هذه الحفائر التى قام بها الأثرى « برشيا » لم تكن فى مكانها الأصلى على ما يظهر ، ولذلك يظن أن هذا التمثال منقول من « عين شمس » وهو مصنوع من الجرانيت الأسود ، وارتفـاع الجزء المحفوظ منـه ٥٠ سم ، ونقش حـول قاعـدته وعلى ظهره المتن التالى :

من اليمين : يعيش « حور » (المسمى) كبير القلب ، والسيدتان (المسمى) رب الساعد ، وحور الذهبى (المسمى) القوى ، وملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) « واح — اب — رع » ، وابن الشمس (المسمى) « بسمتيك » .

سايس :

كانت « سايس » عاصمة ملك الأسرة الساوية وفيها أقيمت مدافن ملوكها كما يحدثنا عن ذلك « هردوت » فى سياق كلامه عن الملك « ابريز » وهزيمته على يد « أماسيس » ثم شنقه على يد المصريين أنفسهم : « ولكن شنقه المصريون وبعد ذلك دفنوه فى مدفن الأجداد » . وهذا موجود فى دائرة معبد « منرفا » Minerva[1] قريبا جدا من المعبد على يسار الداخل فيه . وقد كان «الساويون» معتادين احضار كل الملوك الذين نبعوا من هذا المركز فى داخل المحيط المقدس ؟ ومن ثم نعرف أن الملك «بسمتيك» لابد أنه دفن فى هذه البقعة على أغلب الظن.

وقد وجد فى «سايس» مائدة قربان محفوظة الآن بمتحف « برلين » عليها اسم الملك « بسمتيك الأول » . (راجع Ausfuhrliches Verzeichniss 1899. p. 250 no. 11576 وكذلك وجدت فيها قطعة حجر عليها اسمه (راجع Murray, Egypt. p. 147) .

وأخيرا عثر للملك « بسمتيك » على تمثال صغير من البرنز يمثله راكعا أمام الالهة « نيت » أعظم آلهة « سايس » فى ذلك العهد . هذا وقد وجد عليه كتابة باللغة الكارية ذكر فيها اسم الرجل الذى صنع هذا التمثال كما ذكر كذلك اسم أمه (راجع Daninos Pacha, Rec. Trav. XII p. 216, Porter & Moss IV p.26

« نوكراتيس » (نقراش) أو « كوم جعيف » الحالى (بمركز اتياى البارود)

دلت البحوث الأثرية التى قام بها علماء الآثار على أن مدينة « نوكراتيس » التى تعد من أقدم المستعمرات الاغريقية فى مصر قد أسست قبل عهد الملك

(١) يقصد هنا معبد الآلهة « نيت » أعظم آلهة « سايس » فى تلك الفترة من تاريخ البلاد .

« أمسيس الثانى » (أحمس الثانى) ملك مصر . وأن المؤسسين لها هم قوم من الأهالى « الميليزيين » ، ومن المحتمل أن ذلك كان حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد كما هو المرجح من النقوش التى وجدت فيها . (راجع Petrie, Naukratis vol. p. 5, and vol. II p. 70 ff.) .

هذا وقد وجـدت بعض جعارين باسم الملك « بسمتيك الأول » (راجع Naukratis I Pl. XXXVII) والظاهر أنها كانت تعـد بمثابة حصن لحماية الحدود الغربية للبلاد .

منـــديس :

هذه المدينة القديمة هى « تل الربع » الحالية . عثر فيها على لوحة مثل فيها الملك « بسمتيك الأول » يقدم الحقول للالهة « نيت » على الجانب الأيسر ، ومثل على الجانب الأيمن صورة الملك ولكنها وجدت مهشمة ، ولا بد أنه كان يقدم شيئا من القربان للاله « خنوم » رب « منديس » الذى مثل على اللوحة واقفا برأس كبش ، وقد أرخت اللوحة بالسنة الحادية عشرة + س . والظاهر أنه قد أهدى فيها ماشية وحقولا تبلغ مساحتها أكثر من ٥٢٢ أرورا (راجع Brugsch Thesaurus p. 738)[1]

(١) ويوجد على قاعدة تمثال بمتحف « بالرمو » نقش غير كامل ويحتمل أن التمثال الذى كان جالسا على هذه القاعدة ــ كان ممثلا للملك « بسمتيك » نفسه (راجع Transaction of the Society of Biblical Archeology vol VI p. 287-288) .

وهذا النقش مؤرخ فى اربعة اعمدة قائمة ، ونقش كل واحد منها خاص بواحد من كباش « منديس » الاربعة . ويلحظ انه قد نقش فى العمودين الأول والثالث لقب الملك « واح ــ اب ــ رع » . ونقش فى العمودين الثانى والرابع اسم الملك نفســه « بسمتيك » . والنقش الذى فى السطر الافقى الذى فوق نقوش الأعمدة الاربعة جاء فيــه : ان الروح تقول يا كبش الآلهة « وازيت » امنح تاجا الملك الوجه القبلى والوجـه البحرى ؟ « واح ــ اب ــ رع » مثل شـــباب الآلهة . . . يا كبش الآلهة « نيت » امنح الســعادة لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « واح ــ اب ــ رع » مثل سعادة الآلهــة . يا كبش الالهة « نيت » انك عظيم بأعمـــالك يابن الشمس « بسمتيك » . . . يا كبش الاله « شو » دون نقص ، انك ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « واح ــ اب ــ رع » على عرش « حــور » دون نقص يا كبش « رع » اجعلنى على نمط ابن رع « بسمتيك . . . ؟؟ »

« دفنى » أو « ادفينا » :

كانت « دفنى » (ادفينا) احدى المعسكرين العظيمين اللذين كانا يتألفان من جنود « كارية » و « أيونية » فى الحدود الشرقية للدلتا Herodotos,II. 154 وتقع على فرع النيل البلوزى على مسافة عشرة أميال غربى « القنطرة » الحالية على الطريق العامة من « سـوريا » الى « مصر » . فهناك أقيمت قلعة عظيمة مساحتها حوالى ١٤٠ قدما مربعا فى داخل معسكر مسور (راجع Petrie, Tanis II Pl. Xliii-iv) . وتدل مئات الأوانى الاغريقية التى وجدت فى بناء القلعة الخارجى على أن هـذه الجهة كانت مستعمرة عظيمة للاغريق فى عهـد الملك « بسمتيك الأول » وقد استمرت كذلك حتى هجرها « أماسيس الثانى » مفضلا عليها « نقراش » (كوم جعيف حاليا) وذلك بعد قرن من الزمان على بنائهـا . وقد عثر تحت أركان القلعة على ودائع أساس باسم « بسمتيك الأول » مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس والقصدير واللازورد والكرنالين .. الخ (راجع Petrie, Ibid p. L XXII)، وكذلك وجدت فى المبـانى الخارجية أختام جرار خمر باسم « بسمتيك الأول » و «نيكاو» و «بسمتيك الثانى» . وهذا المعسكر الاغريقى كان يؤلف مأوى للمهاجرين اليهود فى خلال موجات الغزو التى قام بها « الآشوريون » فى أثناء فتوحهم ، وآخر ما ورد عن هذه المدينة هو ما جاء فى قصة « ارميا » وسماها « تاهبانهس » Tahpanḥes وتدل شواهد الأحوال على أنه ينبغى أن ننظر الى القلعـة العظيمة الموجودة فى « نقراش » على أنهـا قلعة البلاد التى كان الغرض منها حماية الحدود الغربية ، كما كانت « ادفينا » تحمى الحدود الشرقية كما أشرنا الى ذلك من قبل .

هربيط :

وجد اسم مبنى على لوحة للملك « بسمتيك الأول » (راجع Brugsch, Thesaurus 797; A. Z. XXXI. p. 84)

وهذه اللوحة عثر عليها بالقرب من « الزقازيق » وقش عليها عقد تأسيس معبد أقامه « بسمتيك الأول » على شرف الاله « حورمرتى » اله « هربيط » وهاك ترجمة النص :

« السنة الواحدة والخمسون من عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجـــه البحرى «واح — اب — رع» « بسمتيك » لقد بنيت هذا البناء الذى أقمته أنا بنفسى لمعبد « حور مرتى » (وهو المسمى) « أوزير — ر محت » انى «بدربس» ابن « بديسمتاوى » الذى وضعته السيدة « تابرت » هذه . حده الجنوبى بيت « أتا » بن « عنخ — حور » وشماليه مخزن الالهة « باستت » الذى وكل أمره الى خادم محراب « حور مرتى » ، « حور » بن « عنخ بف حر » ، وحده الغربى بيت السقاء « بب » بن « حورسا ايزس » .

وتحمل له القربان أمام « حور مرتى » (الملقب) « أوزير » صاحب «رمحت» وقلبه يفرح بذلك أبديا بثبات . وان كل انسان بهدم هذا فانه سيسحق بالآلهة الأرواح العائشة لمدينة « هربيط » . والحد الشرقى (يطل على) الشارع الذى يوجد فيه سور « عك » . البقاء الأبدى والسرمدى فى معبد « حور مرتى » . لبت « حور مرتى » يمنح « حور وننفر » بن « بديسمتاوى » الذى وضعته السيدة « قبر » الحياة . وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف « برلين » وكانت فى الأصل ضمن مجموعة « بوزنو » ، والاله « حور مرتى » وهو الاله معبود « هربيط » (راجع Hans Bonnet, Reallixekon Der Aegyptischen Religionsgeschichte p. 592)

بوباسطة :

وجد لهذا الفرعون خاتم من الشمع (؟) فى « تل بسطة » (راجع Petrie, Hist. III p. 325; and Maspero Guide Boulaq. p. 99)

تل الناقوس :

وجدت فى « تل الناقوس » قطعة من الحجر عليها اسم الملك « بسمتيك الأول » وقد عثر عليها مبنية فى جدار (راجع Naville, Ahnas El Medineh (pl. III (c), cf. p. 26, Porter and Moss IV p. 40

نوب طحا :

(طحانوب بمديرية القليوبية مركز « شبين القناطر ») : وجد فى هذه القرية محراب صغير من الجرانيت الأحمر باسم الملك « بسمتيك الأول » وهذا المحراب وجد بكل أسف غير كامل ، اذ قد اختفى أكثر من نصفه الأسفل وطوله ٣٢ سم • وعرضه ١٧ سم من الداخل ، والنقوش التى علىالجزء الباقى هى : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « واح — اب — رع » ابن الشمس « بسمتيك » معطى الحياة ، لقد عمل أثرا لوالده « آتوم » صاحب « عين شمس » ، وسيد المأوى العظيم فأمر أن يقام له محراب مقدس من الجرانيت الأحمر ، وعمل •••

عين شمس :

وجدت مائدة قربان عليها اسم الملك « بسمتيك الأول » فى « عين شمس » (راجع Petrie, Hist. Egypt III p. 325) .

منف :

ذكر « هيردوت » (راجع Herod. II 153) أن «بسمتيك» بعد أن جعل من نفسه سيدا على مصر أقام خارجة لمعبـد « فلكان » فى « منف » تواجه ريح الجنوب ، وأقام ردهة للعجل « أبيس » كان يطعم فيها يوميا عندما كان يظهر قبالة الخارجة وأحاطها بعمد وملأها بالأشكال المنحوتة ، وبدلا من العمد المضلعة أقام تماثيل طول الواحد منها اثنتا عشرة ذراعا وضعها تحت الممر • وعثر له على تمثال فى « منف » مهشم (راجع Brugsch, Reiseberichte p. 81) .

هذا وذكر له « ديدور » تمثالا طوله اثنتا عشرة ذراعا (راجع Diod. I,67)

السربيوم :

منذ أن حفر « رعمسيس الثـــانى » النفق الذى تحت الأرض المسمى « السرييوم » ليكون مدفنا للثيران المقدسة ، نجد أن كل الملوك الذين حكموا فى « منف » لم يفتهم أن يزينوا هذا « السربيوم » ، ويحتفلوا عند اقامة شعائر دفن هذه العجول بكل أبهـة وعظمة ، فكان يحنط جسم « أبيس » بكل دقة وعناية ثم يوضع فى تابوت من الخشب أو الحجر الصلب ثم تفتح فوهة القبـة المخصصة للدفن ويوضع فيها التابوت ثم تبنى ثانية ، وكانت تقام لوحة تذكارية ينقش عليها استرحامات وصلوات على روح من أقاموها .

وكانت هذه اللوحة تسند على الجدار الجديد الذى أقيم لسد فوهة القبر ، وتوضع عند أسفل الصخرة المجاورة للقبر ، أو على رقعة الممر أو فى أى مكان يكون تحت أنظار كبـار رجال الدولة والعمـال والكهنة الذين اشتركوا فى الاحتفال بدفن العجل « أبيس » المتوفى ، ومن ثم نجد أن الممر أو الرواق الذى كان يخترق الجبانة قد تحول شـيئا فشـيئا الى ادارة سجلات كانت تدون فيها كل أسرة من أسر الملوك المصريين أسماءها فى أية مناسبة تسنح عند دفن « أبيس » جديد .

وهذه السجلات قد كشف عنها الأثرى « مريت باشا » فى حالة تكاد تكون سليمة على الرغم مما أصابها من يد الانسان المخربة . وهذه السجلات تشمل نقوشا من عهد ملوك « بوبسطة » ومن عهد الملك «بوكوريس» وحتى من العهد « الكوشى » (الأثيوبى) ، فنجد أن « تهرقا » عندما هدد بالغزو الآشورى قد مكث فى « منف » قبل وفاته بسنة (راجع مصر القديمة الجزء الحـادى عشر ص ٢٢٨) .

وقد عنى « بسمتيك » بأمر هـذه الجبانة واكتفى فى بادىء الأمر بأن قلد أسلافه ، غير أنه حدث بعض تصدع فى جزء من « السرييوم » فى الجزء الذى

(١) انظر الصورة رقم ٥ دهليز مدافن العجول ابيس .

كان قد دفن فيه العجل « أبيس » الذى مات فى السنة العشرين من حكمه ، فأمر مهندسيه بنحت ممر آخر فى عرق صلب من الحجر الجيرى فى الجبل ، واحتفل بافتتاحه فى السنة الثانية والخمسين من حكمه . وقد كان ذلك بداية اصلاح شامل ، ففحص الأقبية التى دفنت فيها العجول المقدســة ، وجــددت أكفانها كما أصلحت صناديق مومياتها ، وقويت مبانى المقصورة ومنح المبنى الأخشاب والمتاع والعطور والزيوت اللازمة . وقد دون هذا العمل الذى قام به «بسمتيك» على لوحة عثر عليها « مريت باشا » محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » (راجع Mariette, Rensignments sur les 74 Apis Trouvés dans les Souterrains du Serapeum Bull. Arch. d'Atheraeum Français 1885 p. p. 47,48, & vol.II p. 78, cf Le Serapeum de Memphis 2nd Ed. vol. 1 p. p. 118-121).

ويقول « برستد » مخالفا لرأى « ماسبرو » الذى ذكرناه هنا « أن هــذه اللوحة قد فهم من نقوشها رجال الآثار أنها سجل الاصلاحات التى عملت فى « السربيوم » أو فى محراب « أبيس » (راجع Brugsch, Gesch. p. 741-74) ودفن فيه عجل من عجـــول « أبيس » مات فى عهــد « بسمتيك الأول » ، ولكن المضمون الحقيقى لهـــذا النقش يختلف كليـــة عن ذلك اذ الواقع أنه لا توجد فيه اشارة الى عجل « أبيس » مات فى عهد « بسمتيك الأول » ، ولكن كل ما هو موجود ينحصر فى تسجيل الاصلاح الذى قام به هذا العاهل لمدفن قديم وأنه قد وصل اليه تقرير بأن صندوق عجل « أبيس » تداعى لدرجة أن جسم الحيوان المقدس قد بدا للعيان .

وهاك ترجمة هذه اللوحة :

فى السنة الثانية والخمسين من عهد جلالة هذا الاله الطيب (بسمتيك الأول يأتى بعد ذلك ألقابه الخمسة) .

رسالة : ان معبد والدك « أوزير أبيس » (يرى هنا الأستاذ « برستد » أن كلمة « معبد » هى مدفن لعجل [1] « أبيس » وأنهــا لابد أن تعنى هنا قبة فى

(١) انظر الصورة رقم ٦ ــ حجرة وتابوت عجل ابيس .

« السربيوم » دفن فيها عجل « أبيس ») والأشياء التى فيه قد بدأت تئول الى الخراب ، وقد بدت الأعضاء المقدسة أنتى فى تابوته للعيان ، وقد استولى العطب على صناديقه الجنازية فأمر جلالته باصلاح معبده على أن يكون أجمل مما كان عليه من قبل ، فأمر جلالته بأن يعمل له كل ما يفعل لاله فى يوم الدفن . وقد كان لكل ادارة عملها حتى تصبح الأعضاء المقدسة فخمة من حيث العطور والأكفان المصنوعة من الكتان الملكى وكل ملابس اله . وكانت صـناديقه الجنازية من خشب « كد » وخشب « مرو » وخشب « الأرز » من خيرة كل خشب .

وكانت جنودها من رعايا القصر (من اللوبيين) فى حين كان يشرف عليهم سمير من سمار الملك جامعا أعمالهم (أى ما فرض عليهم) الى البلاط مثل أرض مصر . ليته يعطى الحياة والثبات والسلطة مثل « رع » أبد الآبدين . (راجع Br. A. R. IV 963 ff)

وأخيرا يقول « بوريه » (راجع Boreux, Antiquités Egyptiennes, Guide—Catalcgue Sonmaire I p. 171) ان اللوحة رقم ٢٣٩ الموجودة فى متحف « اللوفر » تعد ذات قيمة بوجه خاص لتاريخ « السربيوم » . فمنذ السنة السبعين من حكم « رعمسيس الثانى » كانت عجـول « أبيس » تدفن فى نفق تحت الأرض وكان قد تهدم جزء منه بسبب تداعيه فى عهـــد الملك « بسمتيك الأول » ، فاقتضى الأمر اصلاح هذا التداعى وأدى ذلك الى حفر مقابر جديدة للثيران المقدسة لتستعمل فى الأزمان المقبلة ، وكان أكبر اتســاعا وأعظم حجما من المقابر القديمة ، وقد استعملت حتى عهد البطالمة ، وقد افتتحها عنـد دفن « أبيس » فى السنة الثانية والخمسين من حكمه ، ونحن مدينون بهذه المعلومات الثمينة للنقوش التى جاءت على اللوحة ٢٣٩ وهى كما قال عنها « مريت » عبارة عن محضر لتنفيذ المرسوم الملكى الذى أمر به « بسمتيك » لحفر هـذه المقابر التى تحت الأرض .

وتدل شواهد الأحوال على أن رأى كل من « ماسبرو » و « بوريه » هو الأصح •

ولوحات « بسمتيك » الثلاث الباقية باسمه هى لوحات شواهد قبور •

(١) اللوحة الأولى (راجع Mariette, les Serapeum du Memphis III Pl. 36; Revillout Rev. Egypt. III, 138; Chassinat Rec.Trav. 22, p. 191; andBr. A. R.IV959) صنعت من الحجر الجيرى وهى مستديرة من أعلاها ، ويشاهد فى النصف الأعلى منها صورة العجل « أبيس » سائرا نحو اليمين •وفى النصف الثانى متن اللوحة : وهذا المتن هام اذ منه تفهم أن الملك «تهرقا» كان بحكم قبل «بسمتيك» مباشرة أو بعبارة أخرى تفهم أن «بسمتيك الأول» قد تجاهل حكم الملك «تانوتأمون» • وقد كان موت العجل قبل بداية السنةالحادية والعشرين من حكم «بسمتيك الأول» ، وقد ظل على قيد الحياة احدى وعشرين سنة وشهرين وسبعة أيام • ولما كان هذا العجل قد ولد فى السنة السادسة والعشرين من حكم الملك «تهرقا» فانه من البدهى أن «تهرقا» هذا كان قد سبق «بسمتيك الأول» فى حكم البلاد بمدة بينهما تبلغ شهرا أو شهرين• وهذه اللوحة هامة تظهر أن سنى حكم الملك تتفق مع سنى التقويم المدنى • وقد مات العجل فى السنة الواحدة والعشرين ـــ الشهر الثانى عشر فى السنة العشرين من حكم «بسمتيك» • وعند نهاية السبعين يوما الاحتفالية دفن العجل فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الثانى من السنة الواحدة والعشرين من حكم هذا الملك • وبدهى أن الانتقال من السنة العشرين الى السنة لواحدة والعشرين قد وقع فى برم أول سنة جديدة (راجع Br. A. R. IV § 984) .

ترجمة اللوحة :

تاريخ « أبيس » : السنة العشرون ـــ الشهر الرابع من الفصل الثالث

انحصـــاد) (الشـــهر الثانى عشر) اليوم الواحـــد والعشرون ، فى عهد جلالة ملك الوجـــه القبلى والوجـــه البحـــرى « واح ــ اب ــ رع » من جســـده « بسمتيك الأول » صـــعد جلالة « أبيس » الابن الحى الى الســـماء ، وهـــذا الاله قد قيـــد فى ســـلام الى الغرب الجميل (أى الجبـــانة) فى الســـنة الواحـــدة والعشرين ــ الشـــهر الثـــانى من الفصـــل الأول (فصـــل الفيضـــان) فى اليـــوم الخامس والعشرين ، وكان قد ولد فى الســـنة السادسة والعشرين من حكم الملك « تهرقا » ، وقد استقبل فى « منف » فى الشهر الرابع من الفصل الثانى « فصل الزرع » فى اليوم التاســـع من الشهر ، وبذلك يكون عمره واحدا وعشرين سنة وشهرين وسبعة أيام .

اللوحة الثالثة من لوحات « السربيوم الخاصة بعهد بسمتيك » :

(راجع ;Chassinat Rec. Trav. XXII. p. 20-21; Br. A. R. IV§§ 974-9 L. R.IV p. 74) هذه اللوحة عثر عليها فى «السربيوم» بمنف وهى محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» (No. 193) وهى مستديرة فى أعلاها ومصنوعة من الحجر الجيرى ، ويشاهد فى نصفها الأعلى صورة العجل « أبيس آتوم » بقرنيه وكتب فوق رأســـه « معطى الحياة كلها » وقد مثل ســـائرا نحو اليمين وأمامه مائدة قربان والملك « خنم أب رع » الاله الطيب رب الأرض راكعـــا ، وخلف الملك صورة زوجه واسمها « حور منيت » وفوق هذا المنظر صـــورة السماء بقرص الشمس المجنح . وما جاء فى هذه اللوحة من نقوش يدل على أن «أبيس» ولد فى السنة الثالثة والخمسين من عهد « بسمتيك الأول » قد توج فى الســـنة الرابعة والخمسين من حكم هذا الملك ومات فى السنة السادسة عشرة اليوم السادس من شهر «بابه» من عهد الملك «نيكاو الثانى»،وكان عمر هذا العجل وقت مماته ست عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يوما ، وعلى ذلك لم يكن قد عاش الا سنة ونصف السنة قبل تولى «نيكاو الثانى» مقاليد الحكم ، وعلى ذلك يكون قد حكم

« بسمتيك » بالضبط أربعا وخمسين سنه ، ويظن الأستاذ « برستد » أن « بسمتيك الأول » لم يمت فى اليوم الأخير من السنة الرابعة والخمسين من حكمه بل مات فى أوائل السنة الخامسة والخمسين من سنى حكمه . وهو يقول فى ذلك : ان هذه اللوحة تقدم لنا البيانات لحساب المدة المضبوطة لمدى حكم الملك « بسمتيك الأول » . فقد مات هذا العجل « أبيس » بعد أن عاش ست عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يوما ، فى السنة السادسة عشرة اليوم السادس من الشهر الثانى من عهد « نيكاو » ومن ثم نرى أن معظم حياته قد وقعت فى عهد الملك « نيكاو » وقد كان عمره سنة واحدة وستة أشهر وأحد عشر يوما فقط عند تولية « نيكاو » وهذه المدة من حياته تنطبق مع السنة الأخيرة وستة الأشهر والأحد عشر يوما من حياة سلف « نيكاو » وهو «بسمتيك الأول» والآن لما كان « أبيس » قد ولد فى السنة الثالثة والخمسين من عهد « بسمتيك الأول » فى اليوم التاسع عشر من الشهر السادس فان المجموع الكلى لحكم « بسمتيك الأول » هو حاصل جمع ما يأتى :

٥٢ سنة	٥ أشهر	١٩ يوما	= ٥٤ سنة كاملة
١ سنة	٦ أشهر	١١ يوما	

وهذا يدل على أن « بسمتيك » قد حكم عددا تاما من السنين ، غير أنه لا يمكننا أن نفرض أن « بسمتيك » قد مات فى اليوم الأخير من سنى حكمه وأن الكسر من تلك السنة غير التامة كان قد حسب بعد وفاته فى السنة الأولى من عهد خلفه « نيكاو » ومن ثم يظهر جليا أن سنى حكم الملك فى عهد الأسرة السادسة والعشرين كان يبتدىء فى أول يوم من السنة الجديدة . وقد وصلنا الى نفس النتيجة من مضمون لوحة « السربيوم » الأولى من عهد « بسمتيك الأول » كما ذكرنا آنفا .

وهاك نص اللوحة : « السنة السادسة عشرة ــ الشهر الرابع ــ من الفصل الأول (فصل الفيضان) ــ اليوم السادس عشر من الشهر فى عهد جلالة الملك

حور (المسمى) » حكيم القلب ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (هذا اللقب وضعه الكاتب خطأ من حيث ترتيب الألقاب الملكية) حظى الالهتين (المسمى) المنتصر ، حور الذهبى (المسمى) محبوب الآلهة ، « واح اب رع » من جسده ومحبوبه (المسمى) « نيكاو » عاش أبديا محبوب « أبيس بن « أوزير » •

دفن « ابيس » :

« يوم دفن هذا الاله • هذا الاله قد اقتيد فى سلام الى الجبانة . ليأخذ مكانه فى معبده فى الصحراء الغربية التابعة لحياة الأرضين (=منف) بعد أن عمل له كل ما يعمل فى البيت المطهر كما كان قد عمل سابقا (لغيره من العجول المقدسة) » •

حياة « ابيس » :

ولد فى السنة الثالثة والخمسين — الشهر الثانى من الفصل الثانى (فصل الزرع) اليوم التاسع عشر من الشهر فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « واح اب رع » ، ابن « رع » (المسمى) « بسمتيك الأول » المنتصر • وقد استقبل فى بيت « بتاح » فى السنة الرابعة والخمسين الشهر الثالث من الفصل الأول (فصل الفيضان) اليوم الثانى عشر • وقد فارق الحياة فى السنة السادسة عشرة — الشهر الثانى من الفصل الأول (فصل الفيضان) اليوم السادس ومجموع مدة حياته كان ست عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة عشر يوما•

قبر « ابيس » — تجهيزه :

ان جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نيكاو » العائش الى الأبد قد عمل كل التوابيت وكل شىء ممتاز ومفيد لآلهة الفاخر هذا • فقد بنى له مكانه فى الجبانة من الحجر الجيرى من عيان وهى بضاعة ممتازة • ولم يوجد قط من قبل مثل ذلك منذ الأزل وذلك لأجل أن يمنح كل الحياة وكل الثبات وكل السرور والصحة وفرح القلب مثل « رع » أبد الآبدين » •

« رشيد » :

عثر فى « رشيد » على قطعة حجر بين عمودين منقوشة من وجهيها مثل عليها « بسمتيك » الأول أمام آلهة برءوس ثيران ، ويقال أنها مستخرجة من معبد « آمون » برشيد وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى (راجع Porter and Moss, vol. IV. p. 1) وكذلك وجد ساق عمود من البازلت لهذا الملك محفوظا بالمتحف البريطانى (راجع Ibid. p. 2)

« العرابة » :

عثر للفرعون « بسمتيك الأول » على بعض آثار فى « العرابة المدفونة » :

(١) رأس صغير من الحجر الجيرى يحتمل أنه للملك « بسمتيك الأول » (Ayrton Currelly and Weigall, Abydos Pl. XXVII [2] cf p. 52. راجع)

(٢) عثر فى المعبد الصغير على جزء من عتب مثل فيه « بسمتيك الأول » « أوزير نب عنخ » (أوزير رب الأحياء) و « حور » ، كما مثلت «نيتو كريس» أمام « أوزير ونفر » و « ازيس » مع اسم « بدى حور » حاكم المدينة وهو محفوظ بالمتحف المصرى (راجع Porter and Moss, V p. 70) .

« قفط » :

وجدت فى « قفط » قطعة حجر عليها اسم « بسمتيك » ويحتمل أنه « بسمتيك الأول » أو الثانى وهى الآن بمتحف « ليون » (راجع Petrie, Koptos pl. XVII [1]; cf. p. 17) .

« تل ادفو » :

وجد فى « تل ادفو » قطعة نقش عليها اسم « بسمتيك الأول » فى أسكفة باب من عهد البطالمة (راجع Alliot, Tetl Edfu (1932) p. 42-45(P. M. V. (p. 202) fig. 63-64 .

« الكرنك » :

ترك « بسمتيك الأول » عدة نقوش باسمه فى « معبد الكرنك » نذكر منها ما يأتى :

(١) وجد على جدران ميناء « الكرنك » نقشان يدلان على ارتفاع النيل فى عهده فى أول السنة العاشرة وفى السنة الحادية عشرة كما كانت عادة الملوك فى تدوين مقاييس النيل فى عهدهم (راجع Legrain, A. Z. XXXIV. p. 116,117) هذا وقد دون كذلك مقياس النيل فى السنتين السابعة عشرة والتاسعة عشرة من حكمه على نفس الميناء (راجع Ibid. p. 117).

(٢) معبد « مونتو » : وفى معبد « مونتو » بالكرنك (راجع A. S. XXIV. p. 85) . نقشت طغراءات « بسمتيك الأول » وابنته « نيتو كريس » على عرش الكرنك من جهة الشمال كما نقشت طغراءات « نيكاو » و « بسمتيك الثانى » و « ابريز » .

(٣) وفى الكرنك وجد نقش على الصخر فى معبد « خنسو » باسم « بسمتيك الأول » (راجع Prisse, Monuments 35, 4; Wiedemann Gesch. p. 619).

(٤) ووجد للملك « بسمتيك الأول » جزء من تمثال محفوظ بالمتحف البريطانى نقش عليه : الاله الطيب رب الأرضين ، فاعل الخيرات « واح اب رع » (راجع Guide Maspero. P. 222 No 801.).

(٥) وفى معبد « آمون » يشاهد على بوابة الملك « حور محب » (أى البوابة العاشرة) طغراء الملك « بسمتيك الأول » وقد لوحظ أن اسم هذا الملك قد كتب مكان اسم ملك آخر بعد محوه بدقة (راجع A. S. XI 4. P. 14-15).

(٦) وكذلك وجد اسم هذا الملك منقوشا على قطعة حجر فى معبد الالهة « موت » مع ملوك آخرين (راجع Benson and Gourlay, Pls. XX-XXII. pp. 370) .

(٧) عثر لهذا الملك كذلك على آنية فى صورة قلب فى معبد « الكرنك » وهى محفوظة بالمتحف المصرى (راجع (Rec. Trav. XIV. p 38.) . وقد نقش الجزء الأعلى من هذه الآنية صور وأسماء بعض الآلهة وعلى الجزء الأسـفل صـيغة دعاء دينى للملك « بسمتيك » الاله الطيب « واح اب رع » ابن رع « بسمتيك » عاش أبديا .

(٨) ويوجد فى متحف « فينا » قطعة من البرنز عليها اسم «بسمتيك الأول» (راجع Rec. Trav. IX p. 53) ويقول « بترى » ان ألواح البرنز التى كتب عليهـا اسم الملك « بسمتيك الأول » وهى المحفوظة بمتحفى « فينـا » و « القاهرة » عثر عليها كذلك فى « الكرنك » (Petrie, Hist. III, p. 326)

مدينة « هابو » :

(١) وجد فى « مدينة هابو » تمثـال فخم للاله « أوزير » مصنوع من البازلت الأسـود طوله ١٫٥٥ مترا وقد نقش على قاعدته متن من عهد الملك « بسمتيك الأول » وابنته « نيتوكريس » المتعبدة الالهية وعلى ظهر التمثال نقش متن يذكر فيه « أوزير » ألقابه هو ومناقبه فى كل جهات القطر (راجع Rec. Trav. XVII. p. 118) .

(٢) وكذلك وجدت فى هذا المعبد نقوش باسم الملك « بسمتيك الأول » على عمود ومعه ابنته « نيتوكريس » . (راجع: Champ. Notices Desc. 1, 229 and L. D. Texte III, p. 157) .

رجال عصر « بسمتيك الأول »

ظهر فى عصر الملك « بسمتيك الأول » عدة شخصيات كان لهم شأن عظيم فى البلاد وخلفوا وراءهم عدة آثار تكشف النقاب بعض الشيء عن عصر هـذا الملك . ونخص بالذكر منهم غير من جاء ذكره من قبل من يأتى :

(ا) « سمتاوى تفنخت »[١] :

تدل الآثار التى عثر عليها لهذا الموظف العظيم على أنه كان صاحب شأن خطير فى شئون الملك فى عهد الملك « بسمتيك الأول » . وقد جمع كثيرا منها الأثرى « دارسى » وتحدث عنها . ففى « اهناسيا المدينة » عثر له على قاعدة تمثال من الجرانيت الأسود يفهم من صورتها أن التمثال الذى كان فوقها قد مثل راكعا وممسكا أمامه محرابا صغيرا ، غير أنه لم يبق من التمثال الا الركبتان وقد نقش على القاعدة متنان متقابلان يدوران حولها ولم يبق منهما الا ما يأتى :

قربان يقدمه الملك للاله « باستت » والآلهة « اهناسيا المدينة » ليكون له نصيب من كل ما يظهر على مائدة القربان ، الأمير والحـاكم و « المشرف على الجنوب » (المسمى) « سمتاوى تفنخت » بن الملك . وقد ذكر « دارسى » هذا الأثر لأنه كما يقول خاص بشخصية لعبت دورا هاما فى بداية العهد السـاوى (راجع A. S. XVIII p. 121).

وفى المتحف المصرى يوجد تمثال لنفس هذا الأمير فقد رأسه ، وهو كذلك مصنوع من الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعه ٤٥ سنتيمترا . وقد مثل قاعدا على

---

(١) راجع Porter and Moss, vol, IV P, P. 46. 71 119 121; A. S., Tom. XVIII P. 29

الأرض بهيئة بعض التماثيل التى من العصر الكوشى كما شاهدنا ذلك من قبل (راجع الجزء العاشر ص ٥٠٨) . ونقش حول القاعدة المتن التالى :

« قربان يقدمه الملك للآلهة والآلهات الذين فى معبد الآلهة « نيت » ليعطوا كل شىء طاهر من كل ما يظهر على مائدة قربانهم روح الأمير الوراثى والحاكم فى كل أماكنه (المسمى) « سمتاوى تفنخت » .

ونقش على الوجه العلوى للقاعدة : « خادمه الحقيقى فى سويداء قلبه ، والأمير الوراثى والحاكم والمشرف على الأسطول الملكى » « سمتاوى تفنخت ».

هذا ونجد منقوشا على كتفه اليمنى لقبه ، وعلى اليسرى : « ابن رع » « بسمتيك الأول » ويلحظ أن الألقاب المنقوشة على هذين الأثرين السابقين ليست موحدة ، غير أن اسم صاحبهما نادر جدا مما يجعل من الصعب علينا أن نعدهما شخصين مختلفين ، وذلك على الرغم من أن واحدا منهما وجد فى «أهناسيا المدينة» والثانى فى « سايس » « صا الحجر » . ومن المحتمل أن التمثال الأخير عمل هدية منحها « بسمتيك الأول » لهذا الرجل العظيم ، وذلك بعد أن أتم الرحلة الميمونة التى تحدثنا عنها عند الكلام على لوحة « نيتوكريس » ابنة « بسمتيك » وهى التى تبنتها « شبنوبت » المتعبدة الالهية « لآمون » ابنة « بيعنخى » والأخيرة قد انتخبت « نيتوكريس » (أو بعبارة أصح فرضت عليها) ابنة « بسمتيك الأول » . وقد كان على « نيتوكريس » التى كانت تسكن الوجه البحرى أن تذهب الى عاصمة الجنوب « طيبة » مقر المتعبدات الألهيات . ولما أراد « بسمتيك » أن تكون رحلة ابنته ذات أهمية سياسية نفذها بأبهة بالغة وعظمة فائقة . وقد وصفت لنا نقوش رحلة « نيتوكريس » هذه فى لوحتها التى تركتها لنا مؤرخة بالسنة التاسعة من عهد والدها وذلك فى الثامن والعشرين من شهر « توت » . وكان موكبها يسير فى النيل مؤلفا من عدة سفن محملة بالهدايا لمعابد « طيبة » ، وكان يصحب الأميرة أعظم موظفى الدولة . وكان

رئيس البعثة الذى وصل فى سلام هو « السمير الوحيـد » وحاكم مقـاطعة « اهناسيا المدينـة » وقائد الجيش والرئيس العظيم (المسمى) « سمتاوى تفنخت » وهو صـاحب التمثال الذى تحدثنا عنه هنا . هـذا وقد جاء ذكر هـذه الرحلة المظفرة فى نقش دون على جـدران معبـد « الكرنك » (معبـد موت) ، غير أنه لم يبق منـه الا بعض قطع أحجار كشفت عنهـا مس « بنسون » فى أثناء أعمال الحفر التى قامت بها فى معبد « موت » بالكرنك ، وهذه الأحجار محفوظة الآن بمتحف القـاهرة . والواقع أنه ينبغى أن تكون هناك سلسلة من النقوش لتفسير قصـة وصول هـذه الأميرة الى « طيبة » . فنشاهد بوضوح على احدى القطع السفينة الأولى راسـية أمام مرسى المعبد الكبير بالكرنك (راجع (Benson, Temple of Mut, pl. XXII fig.5. p. 258 وهو المرسى الذى نقشت عليه مقاييس ارتفاع النيـل ، ويمكن معرفته بالمسلة الصغيرة وتمثال « بولهول » الذى رسم على اللوحة وهذا يذكرنا بالمسلة الصغيرة التى أقامها « سيتى الثانى » وهى التى كان من المحتمل أن يوجد بجوارها تمثال « بولهول » صغير ، اللهم الا اذا كان قد قصد بذلك الاشارة بهذه الصورة الى « شارع الكباش » المؤدى للمعبد . وقد عرفت احدى السفن الكبيرة بأنهـا السفينة الكبيرة التابعة لسايس وقد نقش عليها : « الأمير والحاكم ورئيس جيش « اهناسيا المدينة » وقائد الأسطول « سمتاوى تفنخت » وبعد هـذه السفينة تأتى سلسلة سفن أصغر حجما بنيت على نسق واحد وذلك لأن كل واحدة منها كان طولها ٤٥ ذراعا وعرضها ١٥ ذراعا . والأولى سميت « ناقلة الملك «بيعنخى» وهذا الاسم الأخير يوحى بأن هذه النقوش يرجع تاريخها الى حكم الملك الفاتح « بيعنخى » ولكن ذلك يخالف الواقع . والقطعة التى ذكرناها فيما سبق تمثل لنا وصول الأميرة وما تحمله من مهر معها الى « الكرنك » ، وليس الموضـوع هنا حملة الى بلاد « السودان » كما ذكر لنا ذلك « برستد » . (راجع Br. A. R. IV p. 483) عنـد التحدث عن لوحة « نيتوكريس » اذ يقول : ان اهناسيا

بنفس الاسم ونفس الوظيفة قد ظهر فى عهد « بيعنخى » بعـد فتح « طيبة » ولما كانت السنة التاسعة من حكم « بسمتيك » جاءت بعد حوالى خمس وسبعين سنة من حكم « بيعنخى » فان الرجلين ليسا موحدين بل يحتمل أنهما الأب والابن

ويقول « دراسى» (A. S. XVIII p. 32 note 2) ان هذا التمييز ليس مقنعا وذلك أنه من بين السفن الأخرى للنقل توجد سفينتان تحملان الاسمين «نجول» و « بهجوتا » ، وينبغى — على حسب مظهرهما أن يكونا اسمى أميرين أجنبيين فهل هما كوشيان أو لوبيان ؟ وانى أميل للرأى الثانى وذلك لأن هـذه السفن كان قد أرسلها « بسمتيك » ، وأمراء « سايس » يعدون أمراء لوبيين وكذلك يوجد تشابه بينهما وبين الأسماء الأخرى فى هذا العصر التى تعـد لوبيـة مثل « هجل » وهو اسم ملك ، وكذلك « بدجويهت » وهو اسم كاهن من العصر الساوى وقد وجد على تمثال بمتحف « القاهرة » . هذا وقد كتب الأسـتاذ « جريفث » تفسيرا عن سفينة الملك « بيعنخى » التى جاء ذكرها هنا وهو يختلف عن الذى أوردناه (راجع Griffith, Ryland Pap. III. p. 73-74) هـذا ووجد الأثرى « بترى » فى الحفائر التى قام بها فى « اهناسيا المدينة » (Ehnasya, Pl. XXVII, fig. 4) ساق تمثال فى معبد الاله « حرشف » نقش عليه جزء من لقب أن يكون يحتمل (رئيس سفن كل الأرض) « سمتاوى تفنخت » . ومن الجائز أن هذا التمثال كان يمثل « سمتاوى تفنخت » الذى نحن بصدده . يضاف الى ما سبق أنه فى عام ١٩٠٥ رأى الأثرى « شبيجلبرج » فى شارع « وجه البركة » بالقاهرة قطعة من تمثال راكع مصنوع من الحجر الجيرى وأمامه محراب آلهة يحتمل أنهـا الآلهة « ازيس » . وقد نقش على العمود الأيمن لهـذا المحراب ما يأتى : الملك « بسمتيك » محبوب « ازيس » القاطنة فى « العرابة » ، والأمير المقرب وحاكم الجنوب « سمتاوى تفنخت » ونقش فى أسفله : عملته الابنة الملكية من ظهره . وكذلك نقش على هذا التمثال ما يأتى :

(١) محبوبة الملك ... « سمتاوى تفنخت » (٢) المشرف على كهنة الاله « حرشف » (المسمى) « سمتاوى تفنخت » (٣) الأمير الوراثى والحاكم والسمير الوحيد ... (راجع A. Z. 53.p. 112) ونلحظ أن ما وجد لهذا العظيم من آثار لا يقدم لنا شجرة نسبه وان كنا قد عرفنا من نقوشه أنه من سلالة ملكية . ويقول « دارسى » (Ibid. p. 33) انه كان من المحتمل أن يتصل نسبه بأولئك الأمراء ملوك « اهناسيا المدينة » والظاهر أن واحدا من أواخرهم « بدى باست » الذى عثر له على تمثال من الذهب صنعه للاله « حرشف » الاله الأعظم لمدينة « اهناسيا المدينة » . عثر عليه « بترى » (راجع Petrie ? Ihnasya Frontes Piece).

ومما هو جدير بالملاحظة أن اسم « سمتاوى تفنخت » كان شائعا فى هذا العهد وذلك تيمنا باسم « تفنخت » الأمير العظيم الذى لعب دورا هاما فى تاريخ مصر فى العهد الكوشى وسنعود الى التحدث عن هذا العظيم فى سياق الكلام عن قصة ظلامة « بتيسى » .

ظلامة « بتيسى »

والحديث عن «سمتاوى تفنخت» يجذبنا بطبيعة الحال الى الحديث عن قصة تؤرخ بالعهد الفارسى ولكن على الرغم من ذلك فان معظم حوادثها يرجع الى العهد الساوى وبخاصة فى عهد الملك « بسمتيك الأول » وكبار رجال حكومته ، يضاف الى ذلك أنه قد جاء فى القصة ذكر بعض رجال عصر هذا الفرعون لم يأت ذكرهم فى نقوش أخرى مما كشفت حتى الآن وكذلك جاءت بعض اشارات عن ملوك الأسرة الساوية غير الملك « بسمتيك الأول » مثل « بسمتيك الثانى » و « امسيس » و « ابريز » ولكن بصورة خاطفة . وسنورد هنا ملخصا ثم ترجمة لهذه القصة لما لها من أهمية فى عهد « بسمتيك الأول » وبخاصة فى الحالتين الاجتماعية والدينية فى هذه الفترة من تاريخ البلاد . ويجب أن نشير هنا الى أن هذه القصة كغيرها من القصص تحتوى على أشياء جاءت من نسج خيال كاتبها ومع ذلك فانا نرى من بين سطورها صفحة مجيدة عن أحوال البلاد فى هذه الفترة قل أن نجد مثيلتها مما وصل الينا حتى الآن عن هذا العهد . والقصة ترجع حوادثها فى الأصل الى عهد الملك « دارا » ملك الفرس وهى ظلامة كتبت على بردية ، ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن هذه البردية كانت ضمن عدة أوراق عثر عليها فى « الحيبة » ولكنها تعد أهمها ويبلغ طولها أربعة أمتار وربع المتر وقد كتبت بخط صغير وشغلت كتابتها كل وجه الاضمامة وخمسة أسداس ظهرها ، وقد ترجمها الأثرى « جرفث » وعلق عليها كما ترجمها « ريدر »[1] .

---

(١) راجع Grifith, Catalogue of The Demotic Papyri in the John. Ryland Library vol III p. 60 ff; G. Roeder, Altagyptisehe Erzahlungen und Märchen p. 282.

وأهم أقسام هذه البردية الطويلة ما يأتى :

(ا) تبتدىء الورقة بذكر حوادث السنة التاسعة وما بعدها من عهد «دارا» عاهل « الفرس » ، فقصت حقائق غير زمنية عن أسباب خراب « توزوى » (الحيبة) ، وعن الآلام التى قاساها « بتيسى » صاحب القصة وسجنه ، وما يتبع ذلك من هجوم غادر قام به الكهنة ، ثم تظلمه مما حدث له للحاكم أو «الشطربة» وقتئذ وطلبه اليه حمايته ، وتكلم عن حرق بيته انتقاما منه . ثم ينتهى الأمر بعودته الى بلدته « توزوى » (الحيبة الحالية) وذلك بعد أن غاب عنها أكثر من عام ولكن على شرط تعهد أولى الأمر له بسلامته وحمايته : غير أنهم اشترطوا عليه ألا تعوض له الخسائر التى حاقت به كما أنه لن يلتفت الى أى حق من الحقوق التى ادعى أنه ورثها عن أجداده فى معبد « توزوى » .

(ب) والجزء الثانى من هذه البردية هو بيان أشير اليه فى صلب الورقة وقد أعده « بتيسى » للحاكم ليظهر له كيف أن علاقة أسرته ببلدة « توزوى » كانت قد بدأت فى السنة الرابعة من حكم « بسمتيك الأول » وقد قص فى هذا البيان تاريخ هذه العلاقة بالتطويل حتى السنة الرابعة من حكم الملك « قمبيز » مما وضع أمامنا صفحة رائعة عن الحياة الدينية فى تلك الفترة من تاريخ البلاد . واذا كان التقرير الأصلى كما هو المحتمل استمر فى سرد القصة حتى السنة التاسعة من حكم الملك « دارا » الفارسى ، فان هذا الجزء من القصة قد حذف لانه حل محله وكمله الجزء (ا) وقد أضيف فى نهاية هذا البيان وثائق أخرى وهى :

---

(١) يدل البحث المستفيض الذى وضعه الأستاذ جرفث على ان بلدة توزوى (الحيبة) كانت مسكونة بوجه عام بكهنة فى عهد الأسرة ٢٦ وتقع على جزيرة فى النيل قبالة الخرائب . والمعبد الذى كان فى هذه المدينة وهو المحور الذى تدور حوله قصة « بتيسى » ولا تزال بعض دمنه باقية حتى الآن . غير ان القصة ترجع فى غالبها للملكين « سيتى الأول » و « أوسركون الأول » والظاهر أن سيتى الاول كان قد اهدى المعبد للاله آمون بعد انتصاراته فى حروبه فى فلسطين وقد وصف لنا الأثرى أحمد كمال هذا المعبد وما تبقى منه حتى عصرنا (راجع A. S. II. 85, 154).

(ج) نسخ بالخط الهيراطيقى لنقشين بالهيروغليفية مؤرخين بالسنتين الرابعة عشرة والرابعة والثلاثين من حكم الفرعون « بسمتيك الأول » على التوالى • وكل منهما يتحدث عن تخفيف عبء ضريبة المعبد بألفاظ موحدة ولكن مع تفسيرات هامة فى ألقاب الموظفين اللذين ظهرا فيهما ، وهما « بتيسى » رئيس السفن و « بتيسى » وكيله فى بلدة « توزوى » • والأخير على حسب ما جاء فى الظلامة هو « بتيسى الأول » جد « بتيسى » مقدم الظلامة ، وقد محيت نقوش اللوحة الثانية عن سوء قصد بيد الكهنة لأجل القضاء على ما يثبت حق «بتيسى» الأول فى معبد « توزوى » •

(د) نسخ أغان أوحى بها « آمون » عند ما اقترب من اللوحة المشوهة • وكانت قد نقشت بعد هجوم فظيع قام به الكهنة على أسرة « بتيسى » وصفح عنهم بكل كرم وعزة • ولا نزاع فى أنه يفهم من مطلع البردية أن هـــذا المتن بحذافيره كان رواية قصها « بتيسى الثالث » وأنه قد أعدها للحاكم أو لموظف آخر من كبار الموظفين لأجل أن يستعملها فى ظلامة جديدة ، وذلك لأن نتائج الظلامة القديمة قد أخفقت فى ارضاء الشخص الذى أصابه الضر •

ويلحظ فى هذه البردية أن أهم شخص اتصل به « بتيسى » كان يطلق عليه لقب « الحاكم » كما ورد فى الترجمة ، غير أن قراءة ومعنى هــذا اللقب الذى أشير اليه به وحده فى الأصل غير معروفين • ونعلم من سياق الكلام أن مقره كان « منف » عاصمة الملك ، ومن المحتمل أنه كان « الشطربة » نفسه ، وعلى أية حال فانه لايمكن أن يكون واحدا من الرؤساء أتباعه • هذا ويلحظ أنه فى فقرة من فقرات الورقة قد ذكر « الحاكم » و « سيد مصر » معا ، ومن المحتمل أن الأخير هو « الشطربة » ولكن الأرجح أنه هو « الملك العظيم » نفسه (أى ملك الفرس) ولم يظهر الحاكم فى الأطوار الأولى من القصة ، وعلى ذلك فانه يمكن أن يكون تابعا ــ كما هي الحال مع الشطربة ــ لادارة الدولة الفارسية التى أعاد تنظيمها « دارا » ملك الفرس وقام بنفسه على تنفيذها • هــذا هو هيكل الظلامة التى

قصها علينا « بتيسى » وسنرى من ترجمتها أنها تكشف لنا عن صفحة من أروع الصفحات التى خلفها لنا قدماء المصريين فى العصر الأخير من تاريخهم مدونة على البردى . والواقع أنه من أمثال هذه البردية وما جاء فيها يمكن الباحث فى تاريخ مصر أن ينفذ الى صميم حياة الشعب وما كان فيها من مآس وأخبار تصور لنا الحياة الاجتماعية بأجلى معانيها . وسنشاهد فى المتن الذى بين أيدينا صفحة من تاريخ أمة كانت سائرة نحو الأفول بسبب ما كان يجرى فيها من فساد ورشوة وانحطاط أخلاق وبخاصة ما وصل اليه رجال الدين من التكالب على حب المال مما جعلهم يدنسون معابد أكبر الآلهة بجرائم القتل والسلب والنهب ، وهذا يذكرنا بعهد القرون الوسطى فى « أوربا » وعهد الفساد فى الماضى القريب فى بلادنا . وسنحاول أن نقدم ترجمة لهذه البردية على الرغم مما فيها من صعوبات لغوية لم يتوصل الى حلها حتى الآن . وعلى أية حال فان المعنى العام لما جاء فيها ظاهر واضح ويرجع الفضل فى هذه الترجمة للأستاذ جرفث الذى حل معظم معميات هذا المتن وسنبدأ بترجمة القسم الخاص بما حل بالكاهن « بتيسى الثالث » المتظلم فى السنة التاسعة من حكم الملك « دارا » وسنتحدث عن ظلامته ثم عودته أخيرا الى بلدة « توزوى » :

وهاك النص :

آه ليت آمون يمد حياته [١] .

فى السنة التاسعة ، شهر « بامنحوتب (برمودة) » من عهد الفرعون « دارا » [٢] أتى « أحمس » [٣] بن « بتحارمبى » من « بتورس » [٤] (الوجه القبلى)

---

(١) هذه العبارة كانت تحية يخاطب بها الرؤساء فى الوثائق . ويلحظ هنا أن الاله المخاطب كان يختلف على حسب اله المكان ، والاله المقصود هنا هو « آمون » اله بلدة « توزوى » .

(٢) اى يوليه سنة ٥١٢ . واحدث تاريخ فى الوثيقة (ب) هو السنة الرابعة من حكم قمبيز ٥٢٢ ق.م والتفاصيل التى قصت فى هذه الوثيقة (ا) يحتمل أن كلها حدث فى خلال سنة أو سنتين وليس لدينا تاريخ محدد غير هذا .

(٣) يظهر ثانية « احمس » هذا فى سياق الكلام ويمكن أن ينسب الى «أحمس» كاهن « حور » الذى جاء فى (١٦/٤) ، (٥/٤) .

(٤) « بتروس » الارض الجنوبية . والظاهر انه كان هناك تمييز بين « مصر الوسطى » و « مصر العليا » منذ أقدم العهود وكان هذا على الأقل فى الآراء الشعبية ولكن من الوجهة الرسمية كانت كل « مصر » جنوب « منف » تعد جزءا من « بتورس » على حسب ما جاء فى هذه الورقة (٥/١٤) .

الى « توزوى » (الحية) وحدث « زوبستفعنخ » بن « ينحارو » الذى كان ليشونى (لثسن مدير المعبــد وهو كاهن ولكن من الوجهة الادارية) لآمون • ان حصتى [١] كانت تمنح لى فى « توزوى » (الحية) ســنويا منذ أن أصبح «الحاكم» كاهنا لآمون « توزوى » • فقال له « زوبستفعنخ » (٤) ابن «ينحارو» وهو مدير المعبد الادارى : بحياة نفسك الناجح ، وبحياة « آمون » الذى يثوى هنــا تأمل انه على الرغم من أننا فى « برمودة » فانه لا توجــد غلة فى مخزن « آمون » ولا توجد فضة فى صندوق المعبد والبحث «عن سلفية من» الفضة (؟) بفائدة لتعطى ضريبة الـ ••• (٦) هو الشىء الذى سنفعله من الآن (فصاعدا) •

أما عن الرجال الذين وضعت الأغلال فى أيديهم (؟) فى هذه البلدة فانه ليس من واجبنا (٧) اذا كان رجال فى هذه البلدة غيرهم (لم يوضعوا فى السجن) ، فقال له « أحمس » : من منهم الذى يمكننى أن أسأله ليجيبنى عن الكيفية التى خربت بها البلدة ؟ فقال له « زوبستفعنخ » مدير المعبد الادارى :

لا يوجد رجل فى مقدوره (٩) أن يخبرك عن الكيفية التى خربت بها هذه البلدة الا « بتيسى » بن « اسمتو » كاتب المعبد (١٠) ، وأنه هو الذى سيقول الصدق •

وقد أمر « أحمس » بدعوتى وقال لى خبرنى ، أرجوك ، عن الطريقة (١١) التى خربت بها هذه المدينة ، فقلت له هل ذلك ما أنت فاتح لأجل أن تجعل •• (أى لأجل أن يغلق الباب ؟ أى كلما كان سؤاله أكثر فان جوابه يكون أقل) فأنا نفسى (١٢) ••• ولن يكون فى مقدورى أن أخبرك عن الأشياء التى أصابت هذه البلدة • ولكن « أحمس » قال انك أنت الذى (١٣) تخرب البلدة أكثر من الرجال الذين يخربونها ، وقد وضع رجالا لحراستى ثم أمر بوضعى فى سفينته

(١) نعرف من (٧/١٣) أن الدخل من ضياع الوقف الخاص لمعبد « توزى » كان مقسما مائة حصة •

قائلا : سآخذك للحاكم . ولقــد أحجمت عن ضربك لأنك رجل مسن ، اذ قد يسبب ذلك موتك . وعند ما صل « أحمس » الى « اهناسيا » قال لى ألا تريد حتى الآن أن تخبرنى عن الكيفية التى ضربت بها « توزوى » ؟ ولكن قلت له : آه ليت يكون فى قــدرتى أن أصل الى الحــاكم وأعلم الحقيقة (؟) ان ... « تووزى » [١] وأحدثه بكل شىء كان قد وقع فى « توزوى » . ولكن «أحمس» قال لى . (١٨) سترغم على قولها لى لأنك لست رجلا صـــاحب وزن . وقد خصص رجلين لحراستى قائلا دعاه يمكث فى الضح الى (١٩) أن أقول كل شىء قد حدث فى « توزوى » .

وقد قاسيت نصيبا كبيرا فى الضح وقلت له مر باعطائى اضمامة من البردى حتى أكتب لك الشىء الذى حدث . وأعطانى « أحمس » اضمامة بردى وكتبت كل شىء وكان قد عمل لخراب « توزوى » ، فقرأ « أحمس » البردية وصـاح عاليا قائلا لى بحياة «برع» لقد علمت حقيقة أنك على حق (٣) ، فقلت أنا تأمل لقد قلت لك الأشياء التى حدثت لى ، وهؤلاء الكهنة سيقتلوننى . وبعد ذلك ختم البردية وجعلنى أختمها معه (٤) ، وسلمها الى رجل وأمر باحضارها الى المكان الذى كان فيه الحاكم (أى حاكم مصر) . وقد مكث « أحمس » فى «اهناسيا» خلال انهائه عمله ، وقد صرفنى فأتيت الى « توزوى » . ولم تمض الا أيام قلائل حتى أتى « بكويب » بن « بفتو عو آمن » (٦) الى « توزوى » وأحضر البردية التى جعلنى « أحمس » أكتبها الى الكهنة . فقبض على وعلى ابنى وعلى أربعة اخوة لى . وقد سلمنـا لبعض الحرس وحبسنا فى مكان المعبـد . وقد عزل « بكويب » (٨) « وزوبستفعنخ » بن « ينحارو » من وظيفة ليشــونى (مدبر المعبد الادارى) وأمر بوضعه فى السجن ، كمـا أمر بوضع قفـل على المكان الذى كنا فيه وجعل « ينحارو » بن « بتحابى » يخلفه . وفى ١٣أمشير فى عيد

---

(١) ربما قصد انه سيتكلم عن خراب البلدة امام الحاكم فقط .

« بشو » [1] (عيد الحرارة ؟) كان كل واحد فى «توزوى» يشرب الجعة [2] ؛ وقد شرب الحراس الذين كانوا يحرسوننا وغلب عليهم النوم . وعندئذ هرب « زوبستفعنخ » بن « بتحارو » ، وعندما استيقظ الحراس لم يجدوا « زوبستفعنخ » ، وعلى ذلك هرب الحراس الذين كانوا يحرسوننا . وعندما سمع «ـينحارو » بن « بتحابى » رئيس المعبد الادارى بذلك أتى الى المعبد مع اخوته بعصيهم (؟) فأتوا علينا وقتلونى ضربا ، وعندئذ سكتوا عن ضربنا قائلين انهم ماتوا وحملونا (١٤) الى برج قديم بالقرب من بوابة المعبد وألقوا بنا فيه (١٥) وهم عازمون على هدمه علينا ... ولكن ابن « بتيسى » (يجوز أنه ابن المتظلم نفسه) هو الذى قد أتى صارخا بصوت عال قائلا انكم أنتم الذين على وشك قتل (١٦) أناس فى وضح النهار (؟) . ان هذا الشىء الذى تفعلونه سيصل الى (الحاكم) وسيصل (١٧) الى سيد مصر (كمى) . ان هؤلاء الذين تقتلونهم هم ستة كهنة ثم تقولون : « اننا سنهدم برجا عليهم » ولا يمكننى الا أن أرسل خبرا عنهم للحاكم ، وعندما يسمعون عنهم فانهم سيقتلونكم قائلين (؟) الخراب الخراب لتوزوى (؟) بسبب ذلك ، ولن يكون فى مقدورها (؟) أن تظل مدينة يأوى اليها رجل مهذب (؟) . وأخرجونا من البرج وحملونا الى واجهة المعبد . (والآن) اتفق أنه لم يكن بينهم رجل مسن غيرى . وقد هبط قلبى ولم أعرف شيئا (٣/١) فى الأرض قد حدث . وقد مر بخاطرهم قائلين « أن « بتيسى » لن

---

(١) عيد غير معروف (عيد الحرارة أو عيد الاله « شو ») .

(٢) شرب الجعة فى هذه المناسبة وغيرها من المناسبات فى هذه الورقة يعنى اقامة وليمة ؛ والواقع ان الجعة كانت الشراب القومى فى مصر منذ اقدم العهود (راجع Herod. II. 77. ففى العيد الذى كان يقام فى « تل بسطة » كان الشراب من أهم مظاهر هذا العيد على حسب ماجاء فى « هردوت » الذى يقول ان الناس كانوا يشربون كميات هائلة من المسكر (راجع Herod'. II. 69 ومما يجدر الاشارة اليه هنا ان الأثرى « بروكش » يجعل عيد (بوبسطة) يقع فى السنة فى العاشر من يونية (١٦ بؤونة فى التقويم الاسكندرى) (راجع Thesaurus Brugsch, P. 359, 388. L. 15

يمضى ساعة على قيد الحياة » • وأمروا بحملى الى بيتى وأمضيت أربعة أيام لا أعلم شيئا فى الأرض التى كنت فيها • وأمضيت ثلاثة أشهر تحت أيدى الأطباء قبل أن يشفى الضرب الذى وقع على • ثم ذهبت على سطح سفينة شحن ليلا (٤) وأتيت الى « منف » وأمضيت سبعة أشهر متظلما للحاكم وحاشيته فى حين كان « بكويب » بن « يفتو عو امن » قد أمر كل رجل قائلا لا تجعلوه يصل الى الحاكم • وعلى أية حال تعرف علينا « سمتاوى تفنخت » بن « خونتفر » •(٦) فأخبرته بالأشـــياء التى حدثت لى فجعلنى أمثل أمام الحاكم • وأمر الحاكم باحضارهم أربع مرات (٧)،ولكنهم لم يحضروا ،وعندما حضروا فى المرة الخامسة كان العقاب الذى وقع عليهم هو أن يجلد كل واحد خمسين جلدة بالسوط [١] ثم يطلق سراحهم فذهبوا الى « سمتاوى تفنخت » بن « خونتفر » قائلين : اننـا سنمحنك حصة أنت وأخاك وأبناءك الثلاثة فيكون المجمـوع خمس حصص • مر باحضار بردية لأجل أن نعمل لك براءة بالحصص الخمس • فأمر « سمتاو تفنخت » باحضار اضمامة من البردى وعملت براءة بخمس حصص • وذهب « سمتاو تفنخت » أمام الحاكم قائلا : آه ليته يبقى بقاء «برع» • انظر ان هؤلاء الكهنة قد أمر الحاكم أن يوقع عليهم عقاب وقضيتهم خاسرة هنا • دع الحاكم يصرفهم وقد جعل الحاكم يعلن قائلا : دعهم يرحلوا •

(والآن) اتفق أننى مثلت أمام الحاكم فى المســاء مع « سمتاوى تفنخت » فتكلمت أمام الحاكم — ان حصة كاهن « آمون » صاحب « توزوى » كانت ملك والدى [٢] بالاضافة الى حصة كاهن الستة عشر الهة أصحاب « توزوى » ، وعلى ذلك أعطوه ست عشرة حصة باسمهم (ولكن ؟) (١٦) والدى ذهب الى أرض « خارو » من الفرعون « بسمتيك » [٣] « نفر اب رع » مصاحبا باقة (؟) «آمون»

(١) كرباج أو مقرعة أو درة .

(٢) جده اى بتيمى الثانى جد المتظلم .

(٣) بسمتيك الثانى .

(وعنـدئذ) ذهب الكهنة الى « حار زو » بن « حارخبى » (؟) (حـاكم) « اهناسيا » قائلين : ان حصة كاهن « آمون » صاحب « توزوى » هى حصة ملك الفرعون (١٨) ، (ولكن ؟) استولى عليها كاهن لآمون (ووالده) كان فى « اهناسيا » . وتأمل أن ابن ابنه مستول عليها حتى الآن (١٩) تأمل انه قد ذهب الى أرض «خارو» (سوريا) مع الفرعون ، دع ابنك « بتاحنوف » بن «حاروز» يأت حتى نكتب له تنازلا (٢٠) عن حصة « آمون » صاحب «توزوى» ، فأرسل « بتاحنوف » ابنه الى « توزوى » وكتبوا له تنازلا عن حصة كاهن « آمون ».

(٤/١) وأخذ الكهنة الستة عشرة حصة وقسموها بين طوائف الكهنة وقد كان نصيب كل طائفة أربع حصص . فقال لى الحاكم . ان هذه الحوادث التى تسردها عديدة (٢). اعمد الى بيتك أرجوك ودع «سمتاوى تفنخت» يعطك اضمامة بردى واكتب فيها كل شىء قد حدث (٣) لآبائك منذ الوقت الذى كانت فيه هذه الحصة ملكهم . اكتب الطريقة التى أخذت بهـا من والدك ، وكذلك هذه الحصص الأخرى ، واكتب الأحداث التى وقعت لك من ذلك الحين حتى الآن . (وهذا هو ما سنجده فى الوثيقة ب التى ستأتى بعد). وفى اليوم التالى أخذت اضمامة بردى (٥) فى يدى واتفق أنه حدث فى أثناء ذلك أن كنت أكتب الأشياء التى أخبرنى الحاكم أن أكتبها فجاء الكهنة الى مدخل البيت الذى كنت فيه قائلين : « بتيسى » هل مر بخاطرك أن الحاكم قد أمر بضربنا بسببك ؟ بحياة « برع » انه لم يأمر بضربنا بسببك بل أمر بضربنا لأنه أرسل الينا مرة (؟) ولم نحضر . فتحدث اليهم قائلا : بحياة « بتاح » ان ذلك (٨) قد حدث فعلا (هكذا) وأنكم سوف ترون العقاب الذى سـيوقعه عليكم بسببى ، لانى لم أعرف أن « سماتوى تفنخت » قد جعل (٩) الحاكم يصرفهم .

(وعندما) أتى المساء وخرج « سمتاوى تفنخت » من بيت السجل (أى مكتب أعمال عامة) أخذت له البردية التى كتبتها قائلا : اقرأها فقال هو : (١٠)

لقد قلت لنفسى أما من جهة الكهنة فان الحاكم صرفهم ، وقد ذهبوا بعيدا وليس هناك فائدة لك من أخذ بردية اليه . وهل سيكون معنى ذلك أنه سيرسل اليهم ثانية ؟ وعندئذ بكيت أمام « سمتاوى تفنخت » قائلا : « هل أتيت لأمضى سبعة أشــهر هنا متظلما للحــاكم ولعظماء رجاله كل يوم من أجــل هاتين الجلدتين بالسوط اللتين نالهما هؤلاء الكهنة وتقول لى : لقد كنت بطيئا ، فعندما أرسلت اليك لم تأت ؟ بحياة « برع » لقد أتيت لأتظلم للحاكم (١٤) ليمنع طردى ؟ أبدا من بيتى ثانية . ولم أكن أعرف أنهم قد عملوا تنــازلا الى « سمتاوى تفنخت » بأخذه حصة كما أنهم لن ينفكوا قط عن (١٦) احترامك !. تعــال حتى أجعل « أحمس » كاهن « حور » يكتب اليهم رسالة ولأكتب اليهم رسالة رقيقة (؟) أيضا ، وأنهم سيحترمون هذه الرسالة (١٧) أكثر من رسالة الحاكم . وأتى معى الى « أحمس » كاهن « حور » وجعله يكتب رسالة وكتب هو رســــالة لهم بنفسه .

(١٨) وبعد ذلك صرفونى وأتيت جنوبا ووصلت الى « اهناسيا » (وتأمل) لقــد وجدت ... ابن « بتيسى » و « أحمس حانوراس » (١٩) أتيــا شمالا فقالا لى : هل أنت « بتيسى » ؟ هل تذهب الى « توزوى » ؟ لا تتعب نفسك (٢٠) لقد أحرق بيتك ! وأتيت شمالا ، وصرخت عاليا للحاكم قائلا : ان بيتى قد أحرق !

(١/٥) فقال لى بفعــل من ؟ فقلت له : بفعل هــؤلاء الكهنة الذين كنت اتهمتهم أمامك منذ سبعة أشهر حتى الآن (٢) وهم الذين قد سمح لهم بالذهاب دون أن يعاقبــوا . وعلى ذلك أمر الحاكم بطلب « أحمس » بن « بتحارمبى » قائلا : ســافر الى (٣) « توزوى » مع « بتيسى » وأحضر الى الكهنــة الذين أشعلوا النار فى بيته . وقد أمضى « أحمس » عدة أيام (٤) قائلا سأذهب جنوبا معك ، ولكنى اضطررت لاعفائه ثانيــة (من السفر معى) . وذات يوم أتى الى

« أحمس » كاهن الاله « حور » ونادى (٥) « واح اب رع مرى رع » (؟) وهو رجل أعمى قائلا : اذهب الى « توزوى » وأحضر هؤلاء الكهنة الذين يتهمهم « بتيسى » ، فأتى « واح اب رع مرى رع » الى « توزوى » وكان قد أعطى خمسة قدات من الفضة ، ولكنه لم يحضر كاهنا واحدا معه شمالا الا «ينحارو» ابن « بتحابى » رئيس المعبد الادارى وقد سألوا « ينحارو » بن « بتحابى » ما الذى سبب حرق بيت (٨) «بتيسى» ؟ فقال : لا أعرف . فأمرا بجلد «ينحارو» ابن « بتحابى » فجلد خمسين جلدة ثم تركوه .

وقد أمضيت عدة أيام فى المسألة (؟) متظلما وراجيا يوميا ، ولكنهم لم ينهوا شيئا لى كما أنهم لم يتركوا « ينحارو » بن « بتحابى » يذهب وهو الرئيس الادارى للمعبد . وقال لى « أحمس » كاهن « حور » : هل ستموت من أجل هذه القضية ؟ تعال حتى أجعل « ينحارو » (١١) مدير المعبد الادارى يحلف لك قائلا : « سأذهب وأعطيك حقك فى كل مسألة لك » . وجعل « أحمس » كاهن « حور » « ينحارو » بن « بتحابى » يحلف لى قائلا : سأذهب (١٢) وأعطيك حقك فى كل شىء لك .

وترك كاهن « حور » وشأنه . وأتيت الى « توزوى » مع « ينحارو » بن «بتحابى» مدير المعهد الادارى . ولكنى لم أنل حقى (فعلا) ، بل (١٣) كنت آخذ أناسا لهم لأجعلهم يتصالحون معى » .

شرح وايضاح لمحتويات البردية :

تنتقل بعد ذلك الى سرد تاريخ العلاقات المبكرة بين أسرة « بتيسى » هذا أى « بتيسى الثالث » مع معبد « توزوى » . وقد بدأت كما يقصها علينا من السنة الرابعة من عهد « بسمتيك » الاول الى عهد « قمبيز » ، وقد دونها لنا « بتيسى الثالث » وهو المتظلم — على حسب أمر الحاكم أى الشطربة كما ذكر من قبل . والواقع أنها قصة طريفة طويلة تحدثنا بوقائع غاية فى الأهمية عن

الحياة المصرية وبخاصة فى المعبد وفى مصالح الحكومة فى عهد الأسرة السادسة والعشرين وبداية العهد الفارسى فى مصر .

وتنقسم هذه القصة ثلاثة أقسام :

(ا) القسم الأول — وقع فى باكورة عهد الملك « بسمتيك الأول » عندما كان جنوب البلاد يحكمه عظماء يلقب كل منهم رئيس السفن وكان مقره « اهناسيا » ، وكان « بتيمى الأول » وقتئذ مفتشا تحت ادارة عمه رئيس السفن ويقوم باصلاح معبد « توزوى » المتداعى . وقد تولى « أسمتو الأول » ابن « بتيمى الثانى » وظيفة كاهن « آمون » فى « توزوى » وتاسوعه .

(ب) والقسم الثانى — جاءت حوادثه فى عهد « بسمتيك الثانى » وذلك أن « بتيسى الثانى » قد صاحب الحملة التى قام بها هذا الفرعون الى أرض «خارو» (سوريا) ، وفى أثناء غيبته استولى الكهنة فى « تووزى » على وظيفة كاهن « آمون » التى كان يشغلها وأعطيت بن حاكم المقاطعة . ولكن بسبب موت الملك لم يكن فى مقدور « بتيسى » عند عودته من « سوريا » استرجاع وظيفته (١٤/١٦ — ١/١٦) .

(ج) والقسم الثالث من القصة تقع حوادثه فى حكم « أحمس الثانى » (امسيس) فنجد أن المشرف على الأرض المنزرعة يستولى لحساب الحكومة على جزيرة « توزوى » التى كان يزرعها الكهنة ، وقد حصل الكهنة على مساعدة أحد رجال البلاط أصحاب السلطان ويدعى «خلخنس» ، وذلك فى مقابل منح وظيفة كاهن «آمون» لأخيه . ولكن نرى أن حامل هذه الوظيفة يقدم المستندات التى تبرر له حق شغلها ، غير أن « أسمتو الثانى » بن « بتيسى الثانى » الذى كان ادعاؤه لهذه الوظيفة يقف عقبة فى سبيل الكهنة قد تجنب ارغامه على التنازل بالهرب وكان ابنه « بتيمى الثالث » يعمل مساعدا لمفتش فى الحكومة وبوساطة تدخل هذا المفتش أعيد الى وطنه مع ضمان سلامته وهكذا استمرت الأمور حتى بعد الفتح الفارسى (١/١٦ — ٩/٢١) .

الجزء الأول من القصة

(١) فى عهد الملك « بسمتيك الأول »

يحصل « بتيسى الأول » على وظيفة كاهن « آمون » فى « توزوى » وقد ورثها عنه ابنه « أسمتو الأول » ثم حفيده « بتيسى الثانى » (٥/١٤ – ١٦/١٤) .

وظيفة رئيس السفن فى هذا العهد :

وقبل أن نبدأ ترجمة هذا الجزء لابد لنا من التحدث عن وظيفة رؤساء السفن فى هذه الفترة من تاريخ البلاد المصرية ومالها من أهمية .

والواقع أن هذه القصة تحتوى على اشارات عدة الى موظفين كبيرين وهما «بتيسى» ابن «عنخشيشنق» وابنه «سمتاوى تفنخت» وهما اللذان ورثا بالتوالى وظيفة رئيس السفن كما وكل لكل منهما حكومة «بتورس» (أو الوجه القبلى) . وقد وصف الأول وهو « بتيسى » بأنه ابن كاهن « آمون رع » ملك الآلهة وهو «آمون» الطيبى ، وعلى أية حال فانه قد ضم الى بلاط الفرعون دون أن يتلقى تعاليم كهانة « آمون » بل أصبح كاهن « أرسافيس » اله « اهناسيا » (حرشف) و «سبك» اله «كروكود بوليس» وهى «أرسنوى» فيما بعد ، وتقع بجوار الفيوم . ومنذ السنة الرابعة من حكم « بسمتيك الأول » طلب المساعدة فى عمله بسبب تقدمه فى السن ! ولابد أن حياته فى البلاط قد بدأت فى عهد ملك آخر ويحتمل أن ذلك كان فى زمن « تهرقا » أو أحد صغار الأمراء فى عهده فى مصر الوسطى . وسنتحدث عن أهمية « اهناسيا » فيما بعد ، ووظائف الكهنة التى شغلها « بتيسى » تذكرنا بوجه خاص بما قاله « هردوت » عن «اللبرنته» (راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص٣٢٨-٣٣٣) وتقع فى منتصف الطريق بين « اهناسيا » و « الفيوم » أى على بعد حوالى عشرين كيلو مترا

من كل منهما ، وقد مثلت بأنها الأثر المشترك والمعبد لحكومة « الدوديكانيشى » (أى حكومة الاثنى عشر) .

وقد منح « بتيسى » ملتمسه فى السنة الرابعة من الملك فأصبح فى مقدوره أن يبقى فى « اهناسيا » هادئا مطمئنا حاكما فى حين كان ابن أخيه المسمى كذلك «بتيسى» يقوم بعمل التفتيش الفعلى له .

وتحتوى الورقة على نسخة من لوحة مؤرخة بمدة ادارة « بتيسى » فى السنة الرابعة عشرة من حكم « بسمتيك الأول » . هذا ونصادف رئيس السفن هذا ثانية فى السنة الخامسة عشرة من حكم هذا الفرعون نفسه . وقد مات «بتيسى» فى السنة الثامنة عشرة من عهد « بسمتيك الأول » .

وعلى أثر موت «بتيسى» هذا نصب «سمتاوى تفنخت» رئيسا للسفن ووكل اليه حكومة « بتورس » مكان والده ، وقد كان مقر حكومته كذلك فى « اهناسيا » فى حين كان بتيسى الأول » مستمرا فى وظيفة مفتش لمدة سنة ، والظاهر أنه قام بهذا العمل ليعطى مهلة لرئيس السفن الجديد ليتمكن فى وظيفته . وقد ذكر « سمتاوى تفنخت » فى السنتين ١٩ ، ٣١ وكذلك جاء ذكره بعد السنة الرابعة والثلاثين بقليل من عهد « بسمتيك الأول » . وقد انقضت فترة طويلة على هذه القصة لم يأت ذكرها ثانية حتى السنة الرابعة من حكم « بسمتيك الثانى » ولم نسمع شيئا قط عن رؤساء السفن بعد ذلك .

هذا ماكان من أمر البردية ولكن عندما نعود الى الآثار المنشورة من هذا العصر فانا لا نجد فيها اشارة الى «بتيسى» رئيس السفن ولكن من جهة أخرى نجد أن «سمتاوى تفنخت» يظهر فى نقوش عدة ، وأهمها جميعا ذلك النقش الذى يؤيد تأريخه براهين معاصرة وأعنى بذلك لوحة التبنى الخاصة بتنصيب « نيتوكريس » ابنة الملك « بسمتيك الأول » بوصفها زوج الاله فى معبد الاله « آمون » بالكرنك . فقد كان الضابط الموكل اليه قيادة الأسطول العظيم الذى رافق الأميرة من قصر

الحريم فى « سايس » أو « منف » الى « طيبة » قد ذكر بوضوح على اللوحة العظيمة ، فقد كان يحمل الألقاب التالية : السمير الوحيد ، والحاكم لمقاطعة « نعرت » (اهناسيا المدينة) ، والقائد الأعظم للجيش ورئيس السفن « سمتاوى تفنخت » .

وتاريخ السنة التاسعة من حكم « بسمتيك الأول » قد خصص لهذه الحادثة موضعين من اللوحة وبذلك لم يترك مجالا للشك فى حقيقة شخصية «سمتاوى تفنخت» الذى جاء على اللوحة ولكن مما يؤسف له أن ذلك يعارض ماجاء فى البردية التى نحن بصددها وهى التى ذكر فيها أن « سمتاوى تفنخت » لم يخلف والده « بتيسى » الا فى السنة الثامنة عشرة من حكم « بسمتيك » . واذا اعتمدنا على صحة ماجاء فى البردية بالنسبة للحقائق الرئيسية كان فى مقدورنا أن نفرض أن « بتيسى » قد اعتزل الخدمة الفعلية فى الحكومة قبل السنة التاسعة وأنه اذا كان قد استمر يحمل ألقابه وبعض سلطته فان ابنه يكون قد خلفه فعلا وذلك على الرغم من أنه ليس لدينا فى البردية أى أثر لذلك . ولكن عندما نلحظ أن اسم «سمتاوى تفنخت» لم يكن متبوعاباسم والده فى أى أثر من آثاره الباقية لدينا فانه من الممكن أن نشك فى أن «بتيسى» له أهمية كبيرة فعلا . ونجد أن « بتيسى » المتظلم الذى جاء بعد ذلك بحوالى خمسين ومائة عام قد ادعى أن « سمتاوى تفنخت » جد عمه ورئيسه ولذلك أراد أن يعظم من شأنه . فهل نفهم من ذلك أنه اختلق نقوش اللوحتين اللتين اعترف أنهما نسختان نقلهما فى البردية ؟ وعلى أية حال فانه يوجد فيهما صعوبات سنتحدث عنها عندما نصل اليهما فيما بعد .

ونجد غير لوحة التبنى أثرا من الأهمية بمكان ذكر فيه اسم « سمتاوى تفنخت » وقد تحدثنا عنه فيما سبق

وخلافا لهذه المظاهر التى ظهر بها «سمتاوى تفنخت» على الآثار العامة نرى أنه حفظ اسمه وذكراه فى تمثالين مهشمين ؟ فقد عثر «بترى» فى حفائره التى قام بها فى معبد « أرسفيس » فى « اهناسيا المدينة » على قدم تمثال من البازلت الجميل من الاسلوب

« الساوى » وقد بقى على هـذه القدم جزء من لقب واسم « رئيس السـفن » لـكل الأرض قاطبة «سمتاوى تفنخت» [١] ولدينا تمثال آخر أكثر حفظا وقد عثر عليه«مريت» فى «منف» [٢] وهو يحمل اسم «بسمتيك الأول» ويسمى فى نقوشه : خادمه الحقيقى ، الخـاص بمكان قلبه ، والأمير الوراثى ، الحـاكم والمشرف على ادارة سـفن الملك « سـمتاوى تفنخت » . وكذلك يذكره بأنه الأمير الوراثى والمعروف لدى الملك حقيقة ، الذى يحبه ، والمكلف بأسرار الملك فى كل ادارة «سمتاوى تفنخت» ويلحظ أن ألقاب تمثال « منف » قد وضع نموذجها على غرار أسلوب الدولة القديمة الذى كان متبعا كثيرا فى عهد الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين .

وقد لاحظنا من قبل أن « سـمتاوى تفنخت » لم يذكر اسم « بتيسى » فى أى من هذه السجلات .

واذا كنا قد أخفقنا فى وجود اسـم «بتيسى» على الآثار فان لدينـا الموظفين الذين يظهر من ألقابهم أنهم كانوا مكلفين بحكم الجنوب فى عهد « بسمتيك الأول » . وقد مرت علينا أسـماؤهم فيما سـبق ونخص بالذكر منهم « بابس » الذى أهدى محرابا صـغيرا لآلهة فرس البحر (تواريت) من الأميرة «شبنوبت» وابنتهـا التى تبنتهـا «نيتو كريس» فى الـكرنك [٣] وقد كان يلقب كاهن « آمون رع » [٤] ملك الآلهة والمشرف على كهنة آلهة أرض الجنوب ، والمشرف على كل الجنوب ، والمدير العظيم لبيت المتعبدة الالهية بابس بن يدى باست .

وفى « العرابة المدفونة » نجد الملك « بسمتيك الأول » يظهر مع « نيتوكريس » وشخص يدعى « بدى حور » (؟) وكان يحمل لقب « أميرطبية » ، والمشرف على كل الجنوب قاطبة ، والمدير العظيم للمتعبدة الالهية [٥] . هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنـا

(١) Petrie, Ehnasya Pl. XXVII.

(٢) Mariette, Mon. Div. Pl. 34 g.

(٣) Mariette, Ibid Pl. 90, 91.

(٤) Cat. Gen. du Musée du Caire, Naos, Roeder, p. 106.

(٥) Mariette, Abydos I, Pl. 26.

« منتوحات » الذائع الصيت (راجع « مصر القديمة » الجزء ١١ ص ٢٨٧) فقد كان فى قبضته فى « طيبة » نفس السلطة التى كانت فى أيدى كهنة الأسرة الواحدة والعشرين ، ومن المحتمل أنه فى عهد «بسمتيك الأول» كانت لا توجد هذه الالقاب الا فى اقليم « طيبة » ، أما رؤساء السفن فكانوا موظفين أصحاب مراكز عالية يحكم كل منهم اقليم « طيبة » ومصر الوسطى معا .

ولابد أن نلحظ هنا أنه على الرغم من أن رئيسى السفن قد وكل اليهما حكومة « بتورس » والسهر على سعادته من كل الوجوه فانه لايوجد أى أثر يدل على مثل هذا التعيين فى مثل هذه الوظيفة لا فى ألقابهما ولا فى نسخ اللوحتين . وهنا تتفق البردية مع الآثار . ومن جهة أخرى نجد أن « منتوحات » الذى يظهر لنا باستمرار لقبه بوصفه المشرف على كل الجنوب يسجل لنا نشاطه فىالأمور الدينية غير أنه لايكاد يقدم لنا أية اشارة باهتمامه فى المصالح الأخرى لا فى قبره ولا على الآثار التى أهداها فى معبد « موت » بالكرنك .

« اهناسيا » عاصمة الوجه القبلى
فى هذا العهد وأهميتها

لاحظنا فى سياق كلام من هذه القصة فى البردية أن رئيسى السفن كان كل منهما يحكم الوجه القبلى كله من أول صرح الحراسة الجنوبى فى «منف» حتى « أسوان » من مقره فى « اهناسيا » . ولم يكن ذلك بسبب أنهما من أصل اهناسى ، وذلك لأنه على الرغم من أن رئيس السفن «بقيسى» نفسه كان قد سكن هناك فانه كان ابن كاهن من أصل طيبى وكان ابن أخيه « بتيسى الأول » له أقارب بل كان منزل والديه فى « طيبة » . وقد كانت « اهناسيا » دائما مدينة هامة على الأقل بوصفها عاصمة المقاطعة العشرين من مقاطعات الوجه القبلى . ونعلم أنه فى خلال العهد المظلم الذى وقع بين نهاية الدولة القديمة والدولة الوسطى كانت اهناسيا عاصمة الأسرتين التاسعة والعاشرة وكان ملوكها يحكمون على مايظهر كل مصر لمدة . وفىعهد الأسرة الثانيةوالعشرين نجد أن رؤساء أسرة « اهناسيا » كانوا لمدة خمسة أجيال متعاقبة من أول عهد الملك « أوسركون الثانى » يحملون لقب « المشرف على الجنوب » والمشرف على كهنة « اهناسيا » وقائد الجيش [١] . وفى عهد الملك « بعنخى » وحملته على « مصر » كانت « اهناسيا » عاصمة « بفتوعوباستى » الذى يعد أحد الأمراء الأربعة الذين كانوا يحملون لقب ملك ، وكانت المدينة الوحيدة التى قاومت « تفنخت » حتى جاء اليها « بيعنخى » وخلصها من الحصار الذى ضربه عليها . هذا ونجد أن « اهناسيا » فى قصة الملك «بتوباستس» قد ذكرت «جزيرة اهناسيا» [٢] بوصفها مقر أحد الرؤساء الذين طلب اليهم أن يشتركوا فى النضال بين قبيلتين .

وعلى أية حال فانه توجد صعوبة فى التعرف على اسم هذه المدينة العظيمة فى قائمة

---

(١) Mariette, Serapeum III, Pl. 31.

(٢) Strabo, 789, 809; Ptolemy, pp. 124-5; Naville, Ahnas p. 4.

العشرين حاكما محليا فى العهد الآشورى . فقد خيل أن «خينينشى» Khininshe كانت فى الوجه البحرى حسب سياق الكلام فى المتن الآشـــورى . وهذه هى نفس الصعوبة التى نجدها فى كلمة « حنس » فى سفر « أشعيا » الاصحاح ٣٠ سـطر ٤ . وكذلك نفس الصعوبة فى اسم Anysis فى « هردوت » ، والا فانه لدينا أسباب ممتازة تدعو الى توحيد كل من هذه الأسماء بمدينة « اهناسيا » .

وأهم موضوع يلفت النظر بالنسبة لمدينة « اهناسيا » فى هذه الفترة هو أن الاوراق البردية الطبية المؤرخة بعهدى « تهرقا » و « وبسمتيك الأول » على التوالى تميز معيار الفضة بوصفه أنه « فضة خزانة ارسفيس (حرشف) » و « ارسفيس » هـــذا هو اله « اهناسيا » وفى العادة لايوجد تعريف كهذا . والأوراق البردية التى وجد فيها هذا التعريف أرخت بالسنة الثالثة من حكم « تهرقا » وبالسـنة السـادسة عشرة من نفس حكم هذا الملك ، والسنة الثلاثين من عهد « بسمتيك الأول » وكذلك السنة الخامسة والاربعين من حكم هذا الملك .

هذا نجد شهادتين فى ورقة قد حل محل التعريف الأخير فيهما فضة خزانة «نى» (أى طيبة) . والمثــال الاخير الوحيد المنشــور لدينا الآن من الأسرة السادســـة والعشرين المؤرخ بالسنة السادسة والثلاثين من عهد « أحمس الثانى » (امسيس) يستعمل نفس التعبير ، ونجد أن الأوراق التى من عهد « دارا » تستعمل التعبير فضة خزانة الاله «بتاح» النقية (؟) أو فى مقال مبكر فضة خزانة بتاح الخاصة بالضرائب(؟).

ومن هذه الحقائق نستخلص أنه : أولا فى عهد « دارا » كان معيار الفضة منفيا وفى خزانة الاله «بتاح» . ويقص علينا «هردوت» أن «أرياندس» شطربة « مصر » وهو الذى عينه « قمبيز » قد أعدم لأنه حاول أن يناهض معياره من الذهب الرفيع فى نقاوته بمعيار من الفضة ذى نقاوة تفوق حد المألوف ، وأنه فى أيامه لم تكن هناك فضة تضارع فضة « أرياندس » (راجع Herod. IV. 166)

ومن المحتمل أن الفضة كانت تضرب مثل الذهب .

ثانيا لم يكن قبل الفتح الفارسى وكذلك على الاقل قبل السنة الخامسة والأربعين من حكم «بسمتيك الاول» هناك معيار من الفضة غير المضروبة فى الخزانة الطبية ، ويحتمل أن ذلك كان خاصا بمعبد للاله «أرسفيس» هناك .

ولكن لابد أن نتأكد بوجه عام من أنه فى أزمان قبل ذلك كان معيار الفضة لكل مصر العليا وكان تحت حراسة الاله « أرسفيس » فى « اهناسيا » الكبرى . هـذا وتعوزنا البراهين على ذلك حتى الآن اللهم الا النزر اليسير ، وعلى ذلك لا يمكننا أن نقطع بشىء عن المعيار الذى كان شائعا فى «مصر السفلى» وحتى فى «مصر العليا» قبل عهد « تهرقا » .

ويرى الأستاذ «شبيجلبرج» : أنه لما كانت بعض المدن تظهر أحيانا مزدوجة الاسم أى أنها توجـد فى كل من الوجه القبلى والوجه البحرى، وأن المعبود الذى يعبـد فى واحدة منهمـا كان يعبد فى الأخرى فانه على ذلك يمكن أن يكون هنـاك « اهناسيا » فى « مصر السفلى » وهى التى تقع فى الشمال الشرقى من الدلتـا وتقابل « اهناسيا » التى فى « مصر الوسطى » وهى التى كانت معروفة للآشـوريين واليهود والاغريق بالأسماء الآتية على التوالى « خنينشى » و « هانس » و « أنيسيس » راجع
(Spiegelberg, Aegyptologische Randglossen zum Alten Testament p. 36.

هذا بالاضافة الى أن الاله « أرسفيس » الذى وجده اليونان باسم « هيراكليس » يمكن أن يكون قد عبد هناك ، وعلى ذلك تكون «اهناسيا» عاصمة مقاطعة «سترويت» Sethroite ، هى المكان الذى يبحث عنه . واذا كان هـذا الزعم مقبـولا فانه يكون من المعقول جدا أن نذهب الى أن معيار الفضـة قد أسس فى هذه المدينة الثانية للاله « أرسفيس » الواقعة على الحافة الشمالية الشرقية للوجه البحرى وهى التى كانت تمر بها كل ثروة القوافل الآتية من « سوريا » فى حين أن التجارة النهرية التى تسير فى الفرع البلوزى للنيل كانت قريبة منها ، ويمكن أن نفرض فضلا عن ذلك أن معبد هيراكليس «الواقع بجوار «كانوبس» حيث كان فى مقدور العبيد أن يطلبوا حريتهم

(Herod. II. 113) ـ كان معبدا آخر قد تأسس عند ميناء تجارية عظيمة . ويمكن أن نعيد الى الذاكرة أنه فى تاريخ متأخر عن العصر الذى نحن بصدده الآن كان يوجد شخص يدعى «سمتاوى تفنخت» ويحمل لقب مدير مدرسة الاطباء المصريين قد ذكر لنا فى نقش هام أن سبب عودته سالما الى « مصر » من هزيمة دامية أوقعها الاغريق بالأسيويين ، (ويحتمل أن ذلك كان فى موقعة «مرتون» أو «أسوس») يرجع الى تدخل الاله « أرسفيس » فى صالح عابده المخلص . ورئيس السفن القاطن فى «اهناسيا» العظمى وهو الذى على مايظهر كان يعمل مشرفا على كهنة الاله «حرشف» وكان هو نفسه رئيس سفن كل البلاد ، ومن المحتمل أنهم لم يشرفوا على مؤن السفن الملكية وحدها بل كانوا يشرفون على تجارة النهر الداخلية لمصر ، هذا اذا لم يكن نفوذهم يمتد الى التجارة الخارجية أيضا . ومن المحتمل أنه كانت تقام معابد لاله « اهناسيا » فى الموانى الرئيسية وكذلك مخازن التجارة لآسيا وبلاد « هلاس » . ويجب أن نعتبر ما قلناه فى هذا الصدد لا يخرج حتى الآن عن كونه حدسا وتخمينا والواقع أن ألقاب الاله « أرسفيس » لاتحتوى على مايوحى بمثل هذه الحماية للتجارة والسياحة .

ونعود الآن الى « اهناسيا المدينة » فنتساءل لماذا كانت تعد المدينة الرئيسية فى « مصر الوسطى » ومقر حكم « مصر العليا والوسطى » معا ، وكذلك لماذا كانت على مايظهر مركزا للاشتغال المالية ـ اذا كان يمكن استعمال مثل هذا التعبير ـ لكل مصر ؟ والواقع أنه اذا كان الاله « أرسفيس » حقيقة هو الاله الحامى للتجارة فان هذه الوظيفة التى يلقب بها هذا الاله تكون نتيجة أكثر منها سببا لأهمية « اهناسيا المدينة » التجارية . وذلك لان التربة الخصبة فى هذا الاقليم الذى تقع فيه « اهناسيا » كانت واسعة وغنية . وكانت المدينة على مقربة من الطريق المؤدية الى بحيرة « موريس » والطريق المؤدية الى الواحات اللوبية ولابد أن المدخل المؤدى للفيوم فى هذه الفترة من الزمن كان ضمن مقاطعة « اهناسيا المدينة » . وقد برهن لنا الاستاذ «جولنشيف»

على أن الجنود اللوبيين الغزاة فى الأسرة التاسعة عشرة قد أتوا من طريق الواحات الى وادى النيل فى الاقليم الذى حول « اهناسيا » وعلى ذلك كانت « اهناسيا » هذه هى المفتاح للخط التجارى الرئيسى مع « لوبيا » • والواقع أن « مصر » قد حكمت لمدة عدة قرون برؤساء من أصل لوبى • وفضلا عن ذلك فان ذكرى الخدمات العظيمة التى أدتها « اهناسيا » للفرعون « بيعنخى » يمكن أن تكون قد جعلت ملوك « كوش » يظهرون ميلا خاصا لها ، فى حين أن ولاءها الحماسى لبلاد « كوش » قد جعل الآشوريين فى مقابل ذلك يهملون ذكرها فى قائمة حكامهم • وعلى أية حال فاننا هنا كذلك ننغمس فى بحر من الحدس والتخمين •

وبعد هذه الايضاحات التى كان لا بد منها نعود الى قصة « بتيسى » التى دونها للحاكم شارحا له تاريخ أجداده وما حدث لهم فى بلدة « توزوى » حتى اليوم الذى يعيش فيه • وقد دون ذلك فى الوثيقة (ب) : (١٣/٥) آه ليت «آمون» يمد فى وجوده ! أخبار الحاكم للحوادث (١٤) التى حدثت لوالدى •

فى السنة الرابعة من حكم الفرعون «بسمتيك» العظيم كان «بتورس» (الوجه القبلى) موكلا حكمه لبتيسى [1] ابن «عنخشيشنق» (١٥) رئيس السفن (أو رئيس المين) [2] من أول بيت الحراسة الجنوبى لمدينة «منف» حتى « أسوان » (والآن)

---

(١) كان اسم بتيسى (= عطية ازيس) اسما شائع الاستعمال ، واسم والده « عنخ شيشنق » (حياة شيشنق) يوجد فى متون ترجع الى السنة ٣٤ من حكم دارا من السربيوم (راجع Rec. Trav. XXIII, 78) هذا ولدينا تمثال فى متحف استكهولم يمثل شخصا يدعى بتيسى ووالده يدعى عنخ شيشنق غير أن ألقابه لا تتفق مع ألقاب بتيسى الذى نحن بصدده (Lieblein, No. 1026)

(٢) نجد فى الهيراطيقية (١٥/٢١) ان اللقب قد ذكر : رئيس السفن لكل الارض وفى حين نجد هنا ان لقبه الذى ينادى به رئيس السفن ، فانا نجد انه يشار اليه فى التأليف التقليدى بلقب آخر من ألقابه وهو « قائد الجنود » وقد لاحظنا هنا ان اللقب كان يحمله فقط ابن « بتيسى » وهو « سمتاوى تفنخت » وما جاء فى هذه البردية لا يجعله يمتد الى خارج عهد الملك « پسمتيك الأول » وذلك لأنه لم تكن هناك فى تلك الفترة طرق فى « مصر » للتجارة الداخلية الا النهر والترع ومن ثم كانت الأهمية العظمى لوظيفة رئيس السفن اعادة تنظيم البلاد على يد مؤسس الأسرة الساوية الثرية اى « پسمتيك الأول » .

فان « بتيسى بن « عنخشيشنق » رئيس السفن (١٦) كان ابن كاهن « آمون رع » ملك الآلهة وكان قد أحضر الى بيت الفرعون قبل أن يصير كاهنا لآمون . وقد أصبح (١٧) كاهنا للاله «حرشف» وأصبح كاهنا للاله « سبك » . وكان له زميل وهو ابن أخي والده يدعى « بتيسى » بن « يتورو » وكان (١٨) الثانى لبتيسى رئيس السفن وهو الذى كان يفتش من أول بيت الحراسة الجنوبى حتى « أسوان » .

(والآن) فى السنة (١٩) الرابعة من عهد الفرعون « بسمتيك » ذهب « بتيسى » بن « عنخشيشنق » رئيس السفن أمام فرعون وقال : ياسيدى العظيم (٢٠) ليته يبقى مثل « برع » ! لقد تقدمت فى السن . ليت هذا الشىء الطيب يعمل لى أمام الفرعون ان لى زميلا يدعى (٦/١) « بتيسى » بن « يتورو » وانه هو الذى يدير « بتورس » (الوجه القبلى) وينمى فضتها وغلتها . وقد اتفق أن «بتورس» غنى جدا (٢) ففضته وغلته قد ازدادت من واحد الى واحد ونصف ؟ دعه يحضر أمام الفرعون ودع شيئا طيبا يقال له أمام الفرعون ، وليقل له (٣) أن « بتورس » (الوجه القبلى) قد وكل اليك ، وانه موكل لى أيضا ـ وفى قدرته أن يجمع الضرائب فيه .

وأحضر « بتيسى » بن « يتورو » أمام الفرعون وقال له الفرعون (٤) ان رئيس السفن قد أخبرنى « أى رجل مدهش أنت ؟ » وقال الفرعون دع سفينة يعطها ودع عربة يحفظها (٥) وقال له الفرعون انك تذهب مفتشا الى «بتورس» (الوجه القبلى) وأمر بأن يوكل اليك ذلك . فقال «بتيسى» ياسيدى العظيم أنه قد وكل به الى «بتيسى» رئيس السفن (ولكن) الفرعون قال له انك موكل به كذلك : انهم سيجعلون حسابها معك (أى أن التقارير ستوجه اليه رسميا) وأعطوه ذهبا وكتانا (٧) أمام الفرعون .

واتى « بتيسى » بن « يتورو » جنوبا مفتشا من أول بيت الحراسة الجنوبى حتى « أسوان » (٨) ولكن « بتيسى » ابن « عنخشيشنق » رئيس السفن سكن فى

«اهناسيا» [١] وكان يقدم اليه التقرير عن كل شيء حدث في « بتورس » (الوجه القبلي) .

(٩) وقد وصـــل « بتيسى » بن «يتورو» الى «توزوى» وذهب الى المعبد وفتش كل مكان في معبـــد (١٠) « توزوى » . وتأمل أنه قد وجد معبد « توزوى » فى هيئة بيت كبير جدا غير أن رجاله كانوا قليلين فلم يجد رجلا واحدا فى المعبد غير كاهن محسن وفاتح محراب [٢] . وأمر «بتيسى» بن « يتورو » باحضار الـــكاهن وقال له : تأمل انه ليس ينقصك السن فأخبرنى ، أرجوك ، عن الكيفيـــة التى قد خربت بها هذه البلدة (١٣) فقال له الكاهن : ان الأمر قد حدث (بهذه الكيفية ؟) انه لم يكن هنا رجل كاهن الا كهنة « آمون رع » ملك الآلهــة (١٤) ولـكن أجدادك كانوا كهنة هنا وانهم جعلوا هذا المعبد فاخرا بكل الأشيـاء فان الضياع الوفيرة الموقوفة (١٥) قد أصبحت ملكا لآمون « توزوى » وهذا البيت كان يتحدث عنه بأنه أول مقر للاله « آمون رع » ملك الآلهة (١٦) وعندما حل الزمن الشؤم [٣] فرض على معابد « مصر » الكبيرة أن تدفع ضرائب وهذه البلدة قد أثقلت (١٧) بالضرائب الفـادحة ! ولم يكن فى مقـدور النـاس دفع الضرائب التى أثقلت بها.، ولذلك هجروها . وتأمل فانه على الرغم من صدور أمر اعفاء للمعابد الكبيرة فى « مصر » فانهم قد أتوا الينا قائلين : « ادفعوا ضرائبـكم حتى الآن » . (١٩) وذهب « بتيسى » بن « يتورو » الى « اهناسـيا » ووقف أمام « بتيسى » رئيس السفن وأخبره بكل الحالة التى وجد أنها (٢٠) أصابت «توزوى» ، وأخبره كل الحوادث

---

(١) من المحتمل ان بتيسى كان قد سكن العاصمة « منف » حتى اعتزاله الادارة .

(٢) لا بد ان هذا اللقب يشير الى فتح المحراب لأجل القربات الشعيرية للآله

(٣) ومن المحتمل ان فرض الضرائب بوساطة الأشوريين قد شمل فرض ضرائب على المعابد . وكانت توزوى موالية للاله آمون وعلى ذلك كانت فى جانب الكوشيين « ونبكاو » وابنه پسمتيك وقد كان الاشوريون يعاضدونهم اسميا وعلى ذلك لم تفلت توزوى من دفع الضرائب .

التى حدثه بها الكاهن المسن الذى وجـــده فى « توزوى » وقال له ان هـــذا الكاهن قال لى : لم (٢١) يكن هنا رجل يشغل وظيفة كاهن الا كهنة «آمون رع» ملك الآلهة » •

فقال له « بتيسى » رئيس السفن بحياة « آمون رع » ملك الآلهة ان كل ذلك قد حدث (فعلا) •

(٧/١) : وان كل شىء تخبرنى به قد اعتدت سماعه من فم أشرافنا • وأمر باحضار كتبة المقاطعة والوكلاء (٢) وأمر باحضار الرجال الذين يمكن أن يستجوبهم وقد سئلوا جميعا أمام رئيس السفن (أو المين) فقالوا : هل من المعتـــاد أن تؤخذ ضرائب من « توزوى » قبل أن يحل الزمن المشئوم ؟ وقد اتفقوا كلهم قائلين : لم يكن يدفع أى شىء منها على وجه البسيطة : انها أحد البيوت العظيمـــة فى هـــذه المقاطعـــة • وأمر رئيس السفن بأن يضربوا ضربا مبرحا بســـبب ذلك قائلا : لم تخبرونى قط قائلين لقد أمرنا بدفعها • وقال رئيس السفن « لبتيسى » بن «يتورو» اذهب ومر يأخذ كتابة عن الأشياء التى دفعت من « توزوى » منذ أن صـــدر الاعفـــاء لـــكل معابد « بتورس » الـــكبيرة (٦) ومر برد المبلغ لكهنـــة « آمون » صاحب « توزوى » •

وحضر « بتيسى » بن يتورو » (٧) وأمر باحضار الرجال الذين كانوا محترفين وأعطاهم مائتى قطعة (دبن ، ٢٠٠ دبن = ٤٠٠٠ درهما أو أكثر من ٦٠٠ أوقية) من الفضة النقية (؟) و٢٠ دبنا من الذهب وأمرهم أن يصنعوها أقداحا من الفضة والذهب للاله « آمون » • وأمرهم بعمل محراب صغير « لآمون » على المحل العظيم (مقصورة الاله) وأمر الكهنة وفاتحى المحراب وطبقات (؟) الناس الآخرين الذين لهم الحق فى دخول المعبد بأن يحضروا الى « توزوى » • (٩) حتى ولو كان رجل من بينهم قد ذهب الى « نى » فقد أمر باحضارهم جميعا • وأمر بأن ترد ضياع الوقف التى وجد أنها كانت ملكا لآمون وأمر باضافة ألف « أرورا » من

الأرض لضياع الأوقاف الخاصـــة بآمون . وأمر بأن يوضـع قربان وكتان أمام « آمون » وأمام « أوزير » صاحب « بوروز » (؟) وقد جعل (١١) « توزوى » فاخرة مثل أحد معابده « بتورس » العظيمة وجعل أولاده كهنة لآمون « توزوى » وأمر (١٢) ببناء بيت طوله ٤٠ ذراعا وعرضه ٤٠٠ ذراع مقدسة وله حرم حوله ليكون ردهته وأمر باقامة معبده .

وذهب الى « بتورس » مفتشا ووصل الى « الفنتين » وأمر (١٤) بقطع لوحة من حجر « الفنتين » وكذلك بقطعتين لتمثالين من حجر تمجى وأمر (١٥) باحضارها الى «توزوى» . وذهب شمالا ووصل الى «توزوى» وأمر باحضار صناع الجرانيت (١٦) والحفارين وكتاب بيت الحياة والرسامين . وأمر بأن توضع الاعمال الطيبة التى عملها فى « توزوى » على (١٧) اللوحة وأمر بصنع تماثيلـه من حجر تمجى راكعين (؟) على أقدامهما ، وصورة « آمون » فى حجر واحد منهما ، وصورة « أوزير » فى حجر التمثال الآخر ، وأمر بأن يوضع واحد عند مدخل محراب « آمون » وأمر بأن يوضع الآخر عند مدخل محراب « أوزير » .

وذهب «بتيسى» (٢٠) بن « يتورو » الى « اهناسـيا » ووقف أمام رئيس السفن وقدم له تقريرا عن كل شىء فعله فى « توزوى » .

(٨/١) وقال له « بتيسى » رئيس السفن أن «حرشف» ملك الأرضين يمدحك ! وان « آمون » سيعطيك جزاء حسنا وانك تعرف حقيقة أن حصة كاهن « آمون توزوى » (٢) وتاسوع آلهته هى ملكى ولما كنت قد اخترتها مسكنا فانى سأكتب لك تنازلا عن حصة كاهن « آمون توزوى » وتاسوعه . وقد أمر رئيس السفن (٣) باحضار كاتب مدرسة [1] وكتب تنازلا له عن حصة كاهن « آمون توزوى » وتاسوعه .

---

(١) كان كاتب المدرسة فى ذلك الوقت يقوم بنفس العمل الذى يقوم به الفقيه فى كتاتيب مصر الحديثة اى انه كان يكتب العقود والرسائل .. الخ

ثم أتى « بتيسى » بن « يتورو » جنوبا ووصــل الى مقاطعــة « البهنسا » مفتشا .

وقد وجد كاهنا « لآمون رع » ملك الآلهة كان قد أرســله كهنة « آمون » لأجل رعى الماشية والأوز التى كانت تقدمها المقاطعة . وكان اسمه « حاروز » ابن « بفتوعوباستى » . وقد اتفق أن مدير خزانه « آمون » كان هــو اللقب الذى أعطى للكاهن الذى أرسل من أجل الرعى خــلال الوقت الذى أرسل فيـــه للرعى . وقـــد أحضر « بتيسى » بن « يتورو » « حاروز » بن « بفتوعوباستى » مدير خزانة « آمون » معه الى « توزوى » وجعله يتناول الطعام معه فى بيته الذى أمر ببنائه فى توزوى . وجعل زوجه وبناته يحضرن (٨) وشربوا معهن جمة (أى أولموا وليمة) .

وقد رأى « حاروز » بن « بفتوعوبستى » ابنة « لبتيسى » تدعى « تتمحى » فقال « حاروز » (٩) بن « بفتوعوبستى » الى « بتيسى » دع حضرتك (ســيادته) يجعلنى أجد عملا لى . تأمل ان حضرتك (سيادته) كاهن للاله « آمون رع » ملك الآلهة (١٠) وكان والدى فيما مضى كاهنا هنا فى « توزوى » وانى ســأرى لحضرتك انه كان يعمل كاهنا هنا وسأحضر مستندات والدى (١١) أمام حضرتك ليسمح ســيادته بأن أوهب « تتمحى » زوجة . فقـــال له « بتيسى » ان ســـنها لم يأت بعــد ولكن اعمل بمثابة كاهن (١٢) « لآمون رع » ملك الآلهة . وانى سأعطيك اياها وفى كل فرصة ستقوم فيها بالرعى فى « البهنسا » ستمكث فى « توزوى » (١٣) تأمل انه بيت مدهش وهو بيت لكاهن . وليس فيه طائفتان من الناس خلاف الكهنة والرجال الذين يدخلون المعبد . (١٤) فباركه « حاروز » وقال له هذا حسن .

وفى السنة الخامســـة عشرة من حكم الفرعون « بسمتيك » كان « بتورس » (الوجه القبلى) يفيض بالخير ، وقد أنفذ « بتيسى » بن « يتورو » الى بيت السجل وكانت فضته وغلته قد زيد فيها من واحد الى اثنين وأخذ « بتيسى » بن « يتورو »

أمام الفرعون ، وقد عطر بزيت البشنين وقال له الفرعون • هل هناك شيء طيب تقول عنه ؟ دعه يعمل لى ؟ وقال « بتيسى » أمام فرعون ان والدى كاهن « امون - رع » ملك الآلهة وكان كاهنا فى معابد اقليم « نى » أى « طيبة » (١٧) وكان كاهن الاله « حرشف » وكان كاهن الاله « سبك » • وقد نادى الفرعون للكاتب المكلف بالرسائل قائلا : اكتب رسالة للمعابد التى سيقول عنها « بتيسى » ابن « يتورو » والذى كان كاهنا فيها وقل فيها : دع « بتيسى » كاهنا فيها اذا كان ذلك موافقا (ملائما) • وكتبت الرسائل للمعابد التى قال عنها « بتيسى » ان والدى كان فيها كاهنا • ثم صرف « بتيسى » بن « يتورو » من أمام الفرعون وأتى جنوبا • وقد أصبح كاهن « حرشف » وكاهن « سبك » صاحب « شيتى » وكاهنا « لآمون - رع » (٢٠) ملك الآلهة ، وكان « أوزير » رب « العرابة » وكاهن « انحورى » صاحب « طينة » وكاهن الاله « مين » (صاحب قفط) وأتى « بتيسى » بن « يتورو » شمالا مفتشا (١/٩) ووصل الى «البهنسا» ووجد « حاروز » بن « بفتوعوبستى » كاهن « آمون » الذى كان قد أرسل لأجل الرعى ، وأتى (٢) الى « توزوى » مع « بتيسى » بن « يتورو » وأحضر « حاروز » بن « بفتوعوبستى » مستندات والده الى « بتيسى » (٣) وأطلعه أن « بفتوعوبستى » والده كان كاهن « آمون » « توزوى » وعلى ذلك أمر « بتيسى » (٤) أن ينصب « حاروز » بن « بفتوعوبستى » كاهن « آمون توزوى » وأعطاه « تنمحى » ابنته زوجا له •

وذهب « بتيسى » بن « يتورو » الى (٥) « اهناسيا » ، وأمر باحضار نسائه وأولاده فى سفينة الى « نى » • وقد وصل الى « توزوى » (٦) ووجد « حاروز » بن « بفتوعوبستى » فى « توزوى » • وقصد « بتيسى » الى بيته الذى فى « توزوى » وقال « لحاروز » (١٧) من المستحب أن نمضى يوما فى شرب الجعة أمام « آمون » فى « توزوى » قبل أن نغادرها الى « نى » (٨) وقدأمضى «بتيسى» اليوم فى شرب الجعة مع نسائه وأولاده ومع «حاروز» ابن «بفتوعوبستى»

وقال له « حاروز » بن « بفتوعوبستى » (٩) تأمل ان حضرتك ستتوجه الى « نى » ، فما الاشياء التى تأمر سيادتك أن أفعلها ؟ فقال له « بتيسى » (١٠) أقم هنا فى « توزوى » . سأذهب وآمر كهنة « آمون » أن يعملوا حسابك وسأعطيهم المبلغ (١١) الذى سيبقى لك وأى باق سيكون لك غير المبلغ الذى سيصلك . وعندما يوكل اليك الرعى سآمر بأن يصل اليك وأنت مقيم هنا فى « توزوى » دون أن تتحمل مشقة . تأمل أن حصتى هى حصة كاهن « آمون توزوى » بالاضافة الى الست عشرة حصة الأخرى (١٣) ولكنك أنت الذى ستؤدى الخدمة لآمون » وتاسوعه من الآلهة وستعطى خمس دخل أوقاف « آمون » أيضا . ولكن ينبغى عليك أن تدفع المبلغ الذى سيتبقى عليك (يقصد الدين الذى عليه فى « طيبة » لحساب الرعى) .

وبكت « نتمحى » (؟) ابنة « بتيسى » قائلة : خذنى معك الى « نى » . فقال لها « بتيسى » (١٥) لماذا تريدين الذهاب الى « نى » ؟ سأتركك بحياتك أحسن من كل البنات (١٦) خذى لنفسك هذا البيت الذى فى «توزوى» وسمى لى حصة كاهن ترغبين فى أن أنزل لك عنها . فقال « حاروز » بن » بفتوعوبستى » (١٧) زوجها ليأمر سيادتك بأن ينزل لها عن حصة كاهن « خنسو » . فكتب لها « بتيسى » تنازلا عن حصة كاهن « خنسو » [1] وسافر (١٨) «بتيسى» الى «نى» مع نسائه وأولاده أما «حاروز» بن «بفتوعوبستى» فقد استوطن « توزوى » مع « نتمحى» (؟) (١٩) ابنة «بتيسى» وكان يقوم بخدمة «آمون» وتاسوعه من الآلهة فى حين كان خمس دخل الأوقاف يعطاه . ووصل «بتيسى» بن «يتورو» الى «نى» (٢٠) وأمر نساءه وأولاده أن يصعدوا الى

---

(١) « خنسو » هو العضو الثالث فى ثالوث طيبة وهو ابن آمون وأمه موت وبذلك كان يحتل مكانة فى تاسوع توزوى . والظاهر ان « نتمحى » لم تكن تقوم بوظيفة كاهن خنسو (راجع Herod. 11, 35) بل كانت تتسلم الحصة فى حين ان واجبات الكهانة كان يقوم بها زوجها . والواقع انه فى الازمان المبكرة كانت النساء غالبا تلقب كاهنات الالهات ولكن لم تلقب واحدة منهن كاهنة اله .

«نى» وأسكنهم فى بيت والده الذى كان فى «نى» (طيبة) •

وفى السنة الثامنة عشرة من عهد الفرعون (١/١٠) «بسمتيك الأول» ذهب«بتيسى» ابن « عنخشيشنق » رئيس السفن الى آبائه (توفى) وعندئذ أمر الفرعون باحضار «بتيسى» بن «يتورو» وقال له ان «بتورس» (٢) قد وكل أمره اليك ، وانك أنت الذى سيكون فى مقدورك أن تديره • فقال «بتيسى» أمام الفرعون : بحياة وجهك سيكون فى مقدورى أن أدير شئونه اذا وكل أمره لشريف آخر معى • فقال له الفرعون خبرنى أرجوك عن الشريف الذى تقول عنه ، دعه (الوجه القبلى) يوكل اليه ، فقال «بتيبى» ياسيدى العظيم ان «بتيسى» بن «عنخشيشنق» رئيس السفن له ابن ، وهو رجل من حاشية بيت الفرعون وهو رجل مدهش للغاية واسمه « سمتاوى تفنخت » (٥) وسيجد الفرعون أنه رجل مدهش فليأمر الفرعون أن توكل اليه وظيفة والده • وقد سأل الفرعون الأشراف فى ذلك (٦) وقد وافقوا (؟) قائلين أمام الفرعون : فلينفذ ذلك ، انه رجل مدهش •

وقد نصب الفرعون « سمتاوى تفنخت » رئيسا للسفن ، ووكل أمر « بتورس » (الوجه القبلى) اليه (٧) ثانية كما كانت الحال مع والده ، وانصرف «بسمتاوى تفنخت » من أمام الفرعون وذهب الى «أهناسيا» (٨) وقال لبتيسى بن «يتورو» : سافر الى الجنوب وفتش فى المديرية ولا تدع أى شىء يتلف وسأمكث هنا فى « اهناسيا » (٩) حتى يدفن رئيس السفن •

وذهب «بتيسى» بن «يتورو» جنوبا مفتشا ثانيا على حسب عادته القديمه • وقد مكث «بتيسى» رئيس السفن (١٠) سبعين يوما فى احتفال ؟ ودفن فى قبره فى بوصير [1] •

---

(١) بو صير = «بيت أوزير» = أبو صير الحالية وهىأبوصير الملق الواقعةفى نهاية الشمال من البقعة الرملية من جبل ابو صير وهى لا تبعد اقل من ٣٠ كيلو مترا من الشمال الشرقى من اهناسيا وقد وجد فيها الأثرى رونيش مقابركهنة تابعين لاهناس أرسفيس (راجع Schafer mysterien P. 20, A. Z. 41, 1 وتسميها متون التوابيت العرابة الشمالية ويحتمل ان ذلك بالاشارة الى عبـــادة أوزير الذى كان يعبد فى العرابة المدفونة الواقعـــة فى الجنوب (راجع Criffith, Ryl. III, P. 85 Note 5.

(٥) والآن كان «بتيسى» بن «يتورو» يدير الوجه القبلى (١١) وكان يعمل حسابه معه كل سنة ولم ينحط (؟) وذلك لأن مافعله كان زيادة فى الفضة والغلة له كل سنة .

وفى السنة التاسعة عشرة من حكم الفرعون (١٢) «بسمتيك» عمل حساب الأرض مع «بتيسى» وكان حسابها حسنا فقال له الفرعون هل هناك شيء تقول عنه ! دعه‌ينفذ؟ فقال بتيسى (١٣) أمام الفرعون . مر هذا الشيء الحسن يعمل لى أمام الفرعون . انى رجل مسن فمر بانصرافى من أمام الفرعون لأنه لن يكون فى استطاعتى تحمل (١٤) التعب . فقال له الفرعون هل لك ابن يعرف الادارة ؟ فخال أمام الفرعون : ان خدم الفرعون الذين يعرفون الادارة كثيرون ، (١٥) وأنهم سيقومون بالادارة تحت يد رئيس السفن ، ولن يدعوا شيئا يتلف . فقال له الفرعون هل هناك متاع تريده ؟ فقال «بتيسى» ليت الفرعون يثرو ! ليس هناك شيء طيب لم يأمر الفرعون بعمله لى . فقال الفرعون لسمتاوى تفنخت رئيس السفن تدبر هذا الذى يفوه به «بتيسى» قائلا : « انى متقدم فى السنين دعنى أعتزل العمل » . فاذا صرفته فهل سيكون فى مقدورك ادارة «بتورس» (الوجه القبلى) فقال له (١٨) «سمتاوى تفنخت» دعه يعتزل العمل ياسيدى العظيم ــ انه والدنا ــ ليصرف بقية حياته فى راحة ولكنه مع ذلك سيكون حارسنا (أى مكلفا معنا) . (١٩) وقد انصرف «بتيسى» بن «يتورو» من أمام الفرعون وأتى جنوبا ووصل الى « توزوى » ثم ذهب وصلى أمام «آمون» وأمر بعمل قربان محروقة [1] (١٠) وقربان من الشراب أمام «آمون» ثم نقل الى بيته‌الذى كان‌فى«توزوى» وقد طهر نفســه فيه (= اكل) مع « حاروز » بن « بفتوعوباستى » وشرح الأمور (٢١) لحاروز قائلا : لقد أعفيت نفسى من أمام الفرعون فقال «حاروز» : لا تدع هؤلاء الكهنة الذين هنا يعرفون ذلك لأنهم خبثاء . فقال له «بتيسى» تأمل (١/١١) سآخذك

---

(١) تدل شواهد الأحوال على ان هذه‌اول اشارة وردت عن‌ذكر القربان المحروقة فى المتون المصرية (راجع A. Stories H.P., P. 99 والواقع ان المناظر والمتون المصرية التى من الدول القديمة والمتوسطة‌والحديثة لا يظهر فيها ما يدل على حرق قربان اللهم الا حرق البخور وكان هذا امرا ضروريا للعبــادة والتضحية . ولــكن هردوت يعترف بوصف هذه الشعيرة بالتفصيل (راجع Herod. II, 38 - 40)

الى «سمتاى تفنخت» رئيس السفن والشيء الذى لا يعجبك ستقول له عنه • وأرسل « بتيسى » الى اخوته الكبار (٢) وأمرهم بتطهير أنفسهم أمامه وقد أمضى أياما مطهر (أى فى ولائم) فى « توزوى » ثم أقلع الى « نى » (طيبة) •

وفى السنة الواحدة والثلاثين شهر «برمهات» (١) أحضرت الغلة التى حصل عليهامن ضياع وقف «آمون» فى «توزوى» وفرغت أمام المعبد وتجمع الكهنة عند المعبد وقالوا خبرنا أرجوك بحياة «برع» (٤) هل سيستمر يأخذ خمس (٥/١) الأوقاف المقدسة ؟ ان هذا الطريد الجنوبى (٢) فى قبضتنا (؟) وكلفوا بعض الشبان من الاخدان الجبناء قائلين: تعالوا أنتم بعصيكم فى المساء وارقدوا فوق (؟) هذه الغلة وادفنوا عصيكم فيها حتى الصباح • واتفق أن كان ولدان (٦) لحاروز بن « بفتوعوباستى » قد كبرا • وفى الصباح أتى الكهنة الى المعبد ليقسموا الغلة (؟) بين طوائف الكهنة ، وأتى ولدا « حاروز » بن «بفتوعوباستى» (٧) الى المعبد قائلين : دع الخمس (٥/١) يكمل وعندئذ سحب الكهنة عصيهم من الغلة وأحاطوا بولدى « حاروز » وضربوهما • فهربا الى المكان المقدس الذى أمامهم ، ولكنهم كذلك جروا خلفهما وتأمل فقد أمسكوا بهما عند مدخل محراب آمون وذبحوهما ضربا وألقوا بها فى حجرة مخزن فى داخل الطوار المصنوع من الحجر •

والآن اتفق أن « حاروز » بن « بفتوعو باستى » لم يكن فى « توزوى » (١٠) بل كان فى الغرب فى قرى «تكوهى» (= الاقليم) ولكن «تمحى» ابنة «بتيسى» وأم الولدين أغلقت على نفسها باب البيت وعندما (١١) سمع «حاروز» بن « بفتوعو باستى» أن ولديه قد ذبحا عمل ثيابه ملابس حزن (يحتمل أن ذلك يعنى أنه مزق ثيابه) وذهب الى رئيس شرطـة « تكوهى » وأخبره بالأمر فجمع رئيس (١٢) الشرطة جنود «تكوهى» وأخذهم الى « توزوى» ، مسلحين بالدروع (؟) والحراب ووضع

---

(١) شهر الحصاد . برمهات ، ويقول فيه العامة « اسرح الغيط وهات »
(٢) أى ساكن الجنوب (طيبة)

حرسا (١٣) على البيت الذى كانت فيه «نتمحى» •

وخف «حاروز» الى «نى» فى ملابس حداده • وعندما أتى «حاروز» الى «بتيسى» ركب « بتيبى » سفينته (١٤) مع أولاده وأهله وتوجه نحو النهر ، وعندما وصل « توزوى » لم يجد رجلا فى «توزوى» الا رجال رئيس الشرطة الذين يقومون بالحراسة (١٥) حول البيت الذى كانت فيه «نتمحى» • وذهب «بتيسى» الى المعبد ، ولكنه لم يجد رجلا فى المعبد الا كاهنين مسنين (١٦) وفاتح المحراب • وقد هربا الى المكان المقدس من «بتيسى»فوضع «بتيسى» رجالا لحراستهماوأرسل الى«اهناسيا»لسمتاوى تفنخت(١٧) رئيس السفن بخصوص كل الحوادث التى وقعت فى أثناء أن كان «بتيسى» فى «توزوى» وأمر رئيس السفن ضابط الجنود بالحضور قائلا : اذهب واقبض على كل رجل يشير عليك « بتيسى » بالقبض عليه • وأتى الضابط الى « توزوى » وأمر «بتيسى» بالقبض على الكاهنين وانحدر معهما فى النهر الى بيت الفرعون (١٩) وتحدث «بتيسى» أمام الفرعون بكل شىء حدث • وأمر الفرعون بتوقيع العقاب على الكاهنين ، وصرف «بتيسى» من أمام الفرعون ووصل الى « اهناسيا » (٢٠) ووقف مع رئيس السفن فقال له «سمتاوى تفنخت» رئيس السفن لقد سمعت بالأشياء التى عملها فيك هؤلاء الرجال الأشقياء وحثالة (؟) رجال «توزوى» الذين جعلتهم أغنياء (٢١) فقال له «بتيسى» : ألم يسمع محقق الجناية أن الذى يطعم الذئب (؟) سيموت ؟ بحياة «برع» هذا هو الذى أصابنى من كهنة «آمون» (١/١٢) «توزوى» •

والآن اتفق أن « حاروز » بن «بفتوعو باستى » كان فى « اهناسيا » مع « بتيسى » وأخذ «بتيسى» يد «حاروز» وأحضره أمام رئيس السفن قائلا : «تأمل يأخى الذى فى «توزوى» مر رئيس السفن يكلف رئيس شرطة «تكوهى» (٣) ومأمور «تكوهى» بالمحافظة عليه • فقال له «سمتاوى تفنخت» : سأكلف كل رجل تابع لى قائلا : «ان رجل «توزوى» (٤) الذى ستجده دعه يحضر الى لأجل أن أجعله يموت فى السجن فى «اهناسيا» • ولكن «بتيسى» قال له لا تدع رئيس السفن يفعل هكذا (٥) بحياة «آمون»،

وليت نفس رئيس السفن يفلح ! انى لن أذهب الى «نى» دون أن أكون قد زودت «توزوى» وأعدت اليها أهلها (٦) ثانية فقال رئيس السفن لقد جعلت «حرشف» ملك الأرضين يذكر (فى قسم) (؟) عندما قيل ان حبك الذى كان عندك لتوزوى (٧) لم ينقطع بعد . فقال له « بتيسى » لقد خيل اليك (؟) وبحياة نفسك النامى ! ان الآلهة الذين فيها هم غاية فى العظمة وأنها بيت يأتى اليه (٨) « آمون رع » ملك الآلهة الاله العظيم وأن الأشياء المقدسة التى عرفتها فيها عديدة .

وصرف رئيس السفن « بتيسى » فذهب جنوبا ووصل الى (٩) «توزوى» وأمضى بضعة أيام فى «توزوى» . واتفق أن رئيس الشرطة أتى الى «توزوى» ومعه خمسون محاربا وأتى (١٠) أمام (بتيسى) وقدم الطاعة فقال رئيس الشرطة «لبتيسى» ماهذا الشيء المحزن الذى من أجله جعلت سيادتك رئيس السفن الذى يكشف عن الجريمة يرسل الى قائلا (١١) دع حرسا يقم على أهل «بتيسى» الذين يكونون فى «توزوى» . أليس حضرتك الذى أطعمتنا ؟ ومنذ الوقت الذى سمعت فيه أن (١٢) هؤلاء الكهنة قد أحدثوا ضررا ألم آت فى الحال وأضع حرسا حول هذا البيت لأنهم كانوا (١٣) يضايقون هذه السيدة العظيمة ؟ فاذا قلت سيادتك : تعال حتى الى «نى» فهل يمكننى أن أرفض ؟

فقال له « بتيسى » : ان «آمون» سيجعلك تحيا (؟) (١٤) وقد جعلت رئيس السفن يرسل اليك ليمنع واجبا (؟) آخر يوضع على عاتقك . افعل هذه المأمورية لى . سافر واذهب حول مقاطعة (١٥) «البهنسا» ومقاطعة «حارتاى» (حور هنا) باحثا عن رجال «توزوى» الذين ستجدهم اجمعهم سويا فى مكان واحد (١٦) يريدون أن أذهب فيه اليهم لأجل أن أحلف يمينا لهم بألا أجعل أى شيء يفعل ضدهم قائلا : ان الضررالذى عملتموه قد جعلت عقابه يعمل لكم [١] . هل من الصواب أن أجعل آمون يذبح باقى هؤلاء الشبان ويدع مدينته تخرب ؟

---

(١) اى عقاب الكاهنين المسنين انتقاما للولدين اللذين ذبحا

وأخذ «بتيسى» يد رئيس الشرطة (١٨) وقاده الى داخل محراب «امون» (يحتمل أمام آمون) وقد ربط نفسه بيمين أمامه قائلا : ان كل الرجال الذين ستحضرهم لى اذا أتوا الى «توزوى» فانى لن أسمح بأذى يصيبهم (١٩) وانى سأربط نفسى بيمين لهم على ألا أجعل ضررا يلحق بهم . لقد قيدت نفسى بيمين أمامكم لأنه يمكن القول : ان رئيس الشرطة قد بحث عنا (٢٠) ليلحق بنا أذى .

وانبطح رئيس الشرطة على الأرض وقدم الطاعة . وهب رئيس الشرطة الى أماكن مقاطعة (٢١) «البهنسا» ومقاطعة «الأشمونين» ومقاطعة « حارتاى » (حورهنا) : وجمع رجال «توزوى» فى «حارتاى» ، وأتى رئيس الشرطة (١٣/١) الى (توزوى) وأخبر « بتيسى » بن « يتورو » قائلا : لقد وصلت حتى « الأشمونين » ولم أترك رجلا من « توزوى » حتى « الأشمونين » الا أحضرته الى « حارتاى » وهو المكان الذى اتفقوا عليه قائلين : دع يمينا يوثق لنا فيها . دع « استمتو » بن « بتيسى » يأت ويربط نفسه بيمين لنا واذا لم يكن هو فواحد من الشباب مع سيادته فقال « بتيسى » بحياة « آمون » انى أنا (٣) نفسى سآتى . فسافر « بتيسى » الى « حارتاى » وأقسم يمينا للكهنة وفاتحى المحراب ولكل رجل قد أتى الى « توزوى » قائلا : « انى لن أجعل أى شىء يعمل ضدكم بسبب الشىء (٤) الذى مضى » وعاد « بتيسى » الى « توزوى » مع رجال « توزوى » الذين وجدهم ، وكذلك أتى كل نسائهم وأطفالهم . وأمر «بتيسى» بجمع كل الكهنة (٥) عند المعبد وقال لهم آه ليتهم يحيون هل عملت لكم شيئا غير الشىء الذى رغبتم فيه ؟ تأملوا أننى عندما أرسلت (رسميا) هل فعلت شيئا بصورة رجل صاحب سلطة ؟ (٦) لقد قلتم لى انأربعحصص هى التى أعطيت الكاهن «حور» [1] سيد «أهناسيا» وكاهن «أنوبيس» سيد «حارتاى» وقلت لكم ذلك ماستعطونني اياه فقلتم (٧) ان حصة واحدة أعطيت بمثابة حصن كاهن.

---

(١) هل معنى ذلك أن «حرشف» كان يعتبر بمثابة صورة من صور حور فى الازمان المتأخرة ؟

وقلت لكم هذا ماتمطونه : ان لى حصة أربعة بمثابة نصيب كاهن « آمون» • ولى خلاف لذلك ست عشرة حصة باسم (٨) الآلهة الذين كنت كاهنا لهم فيكون المجموع عشرين حصة • وعدد الكهنة الذى تؤلفونه هو عشرون لكل طائفة : وكل طائفة كهنة تؤلف (١/٥) الوقف المقدس [١] • وعندئذ وضع الكهنة ملابسهم حتى رقابهم (هل معنى ذلك أن الكهنة قد رفعوا ملابسهم حتى رقابهم علامة للخضوع التام ؟) وانبطحوا على الأرض أمام «بتيسى» وقالوا ألا نعلم أن «حضرتك» أنك أنت الذى جعلتنا نعيش عندما أسست حضرتك (١٠) مدينتنا وجعلتها مساوية لبيوت « مصر » العظيمة • وهؤلاء الشبان الذين حادوا عن الطريق مر حضرتك باحضارهم ودعهم يوضعوا فى (آتون) •

فقال «بتيسى» ان الاعمال الصالحة التى عملتها أمام «آمون» أنا أعلم حقيقة : أنى لم أفعلها لا بائكم بل فعلتها لآمون • وهؤلاء الكهنة الذين ذبحوا ابنى أليس فى مقدورى أن أجعلهم يحضرون ؟ الا أنى قد أمرت (١٣) بايقاع العقاب على آبائهم وقد أخليت سبيلهم أنا والاله (أو قد تركتهم ليحاسبهم الاله) • تأملوا فانه منذ أن تغلبتم على حتى عندما كنت فى قوتى وفى حياتى (١٤) فانه قد يأتى زمن عندما سيكون ابن لى هنا قد يكون أضعف منكم وبذلك سيكون فى مقدوركم أن تطردوه وتأخذوا أنصبته التى فى هذه المدينة (١٥) هل أحد يعرف الحوادث (أى الغيب) ؟ وهذه

---

(١) تدل ظواهر الاحوال على انه فى عهد الدولة الوسطى كان طوائف الكهنة الاربعة يتناوبون العمل فى المعبد لمدة شهر قمرى . والورقة التى علمنا منها هذه الحقيقة تحتوى على معلومات كثيرة عن ادارة المعبد وقد ذكر فيها نسبة الحصص التى كان يستولى عليها كل كاهن (راجع (A. Z. XL. P. 113

ويلحظ ان يوم المعبد فى العقود التى فىمقبرة حيزاقى امير اسيوط قد يحتمل أنه تقسيم عمله حيزاقىللدخل الذى كانيؤخذ من المعبد وليس له دخل بالادارة الداخلية لايراد المعبد . والفقرة التى نحنبصددها الآن يظهر من مضمونهاانها تضع أمامنا تقسيم الدخل مائة حصة خمسهالكل من الطوائف الاربع التى كان عدد كل منها عشرين فردا والخمس الباقى كان مخصصا لبتيسى بوصفه كاهن آمون وتاسوعه المؤلف من ستة عشر الها

اللوحة [1] التى أمرت باقامتها ونقلت الى البيت المقدس قد أمرت بعملها قبل أن أصبح كاهنا وقبل (١٦) أن يكتب تنازل من أجلى عن أنصبه الكهنة هذه التى فى هذه المدينة، وسيكون فى استطاعتكم أن تقولوا أنت لم تكن كاهنا عليها (على حسب النقوش التى على اللوحة) .

فقال له الكهنة ما الشىء الذى تقول سيادتك (١٧) افعلوه ؟ فقال لهم «بتيسى» بن «يتورو» سآمر بعمل لوحة على الطوار الحجرى فى الطريق الذى يمر فيه « آمون » الى محل التنظيف (؟) (يحتمل أن ذلك هو طريق الكباش المقدسة) (١٨) وسأضع الأعمال الطيبة التى أنجزتها لآمون عليها ، وسأضع وظائفى الكهانية عليها . فقال الكهنة ان كل الأشياء (١٩) الموافقة لمصالح سيادتك دعها تنجز وسنعلم أننا نعيش بوساطة سيادتك اذا كان سيادتك تأمر بعملها (أى اللوحة) .

وأمر «بتيسى» باحضار كتبة بيت الحياة (٢٠) والرسامين وأمر بنقش اللوحة على الطوار الحجرى قائلا : سيراها الكهنة والأشراف الذين سيأتون للتفتيش على المعبد .

(١٤/١) وقد ركب «بتيسى» بن «يتورو» الى الشاطىء قائلا سأقلع الى « نى » (٢) ولكن «نتمحى» ابنته بكت أمامه قائلة ان الولدين اللذين ذبحا لا يزالان فى المعبد ولم يؤت بهما بعد (٣) فذهب «بتيسى» الى المعبد وأمر بالبحث عن الولدين ، وقد وجدا فى حجرة مخزن فى المكان المقدس ، وقد أمر باحضارهما (٤) ووضع عليهما كتانا وأقيمت لهما محزنة عظيمة فى المدينة ، ودفن الولدان .

وكان «بتيسى» (٥) على وشك ركوب السفينة ، ولكن «نتمحى» بكت أمامه قائلة خذنى الى «نى» معك والا فان (٦) هؤلاء الكهنة سيعملون على ذبحى فقال لها « بتيسى » لا يمكنهم بحياة « آمون » . انهم لن ينفكوا قط ثانية عن الخوف منك (٧) فقالت «نتمحى» اذا كنت تريد أن تبقى هنا فدع «اسمتو» بن «بتيسى» يمكث هنا

(١) اللوحة المصنوعة من الجرانيت المؤرخة بالسنة ١٤ وقد وصفت فى صفحة ٧/سطر ١٤ من هذا المتن وقد نسخت فى صفحة ٢٢/٢١

معى ويقيم بخدمة (٨) «آمون» وعلى ذلك أمر «بتيسى» « اسمتو » بن « بتيسى » أن يبقى فى «توزوى» وقال له : خذ لنفسك نصيب كاهن «آمون» «توزوى» وتاسوع آلهته (٩) وأمر «بتيسى» باحضار بردية وكتب تنازلا لأسمتو بن «بتيسى» عن وظائف كاهن « آمون » فى «توزوى » وتاسوع آلهته (١٠) وبقى اسمتو » فى « توزوى » مع «تتمحى» أخته و«حاروز» زوجها وسكن «اسمتو» بن «بتيسى» فى«توزوى» (١١)يقوم بخدمة «آمون» وتاسوع آلهته ومنح خمس (١/٥) الاوقاف المقدسة لآمون . وذهب «اسمتو» بن «بتيسى» ووقف أمام (١٢) « سمتاوى تفنخت » رئيس السفن وقال له : انى أنا الذى نصبنى فى «توزوى» لأقوم بخدمة «آمون» وتاسوع آلهته فقد كتب لى تنازلا عن (١٣) نصيب كاهن «آمون» وتاسوع آلهته وعلى ذلك جعل رئيس السفن خاتما من الذهب .... يعطى «اسمتو» وقال له انى لم آمر باعطائك (١٤) كتانا ذلك لأن وراثة كتان «آمون» تابعة لك . ولا تنس أن تخبرنى عن أشغالك فى كلفرصة . وقد أمضى «اسمتو» بن «بتيسى» (١٥) الأيام التى قضاها فى الحياة وهو يقوم بخدمة «آمون» وتاسوع آلهته وأعطوه خمس (١/٥) أوقاف «آمون»

وذهب «اسمتو» الى آبائه (١٦) وخلفه «بتيسى» بن «اسمتو» ابنه وقد أدى خدمة آمون» وتاسوع آلهته وقد منح خمس (١/٥) الأوقاف المقدسة لآمون أيضا .

فى نهاية حكم «بسمتيك الثانى» كان «بتيسى الثانى» غائبا فى حملة الى بلاد «خارو» وبذلك فقد وظيفته وهى كاهن «آمون» ١٤/١٦ - ١/١٦

حملة « بسمتيك الثانى »

يقدم لنا القسم الثانى من هذه القصة معلومات عن زيارة « بسمتيك الثانى » لبلاد « خارو » فى السنة الرابعة من حكمه وقد صحبه عدد من الكهنة ، وبعد عودته من هذه الزيارة وافاه القدر المحتوم بعد مرض قصير . ونحن نعلم أنه قد مات بعد أن حكم خمسة أعوام ونصف العام ، ولكن على حسب ماعثر عليه « لجران » عام ١٩٠٤ نعلم أنه قد مات فى ٢٣ توت من السنة السابعة من حكمه (راجع (A. S., V. p. 86 ويحدثنا «هردوت» ـ الذى يسمى هذا الفرعون «بساميس» Pesammis ـ ان موته وقع بعد حملةٍ حربية على بلاد «كوش» مباشرة (Herod. II, 161) . وعلى الرغم من أنه ليس لدينا فى الورقة مايثبت أن هذه الحملة التى قام بها على بلاد «سوريا» كانت حربية فان شواهد الأحوال تدل على أنها كانت لهذا الغرض .

وهناك ما يحملنا على أن نفرض أن كلا البيانين يشير الى نفس الحملة . ولكن اذا كان الأمر كذلك فان أحد المصدرين لا بد أن يكون خاطئا وذلك لأن أرض«خارو» لا يمكن أن تكون بلاد «كوش» ، ولكن لا بد أن تكون « فينقيا » أو بمعنى أعم ساحل أقاليم «فلسطين» و «سوريا» وفى الوقت نفسه يجوز أن يكون كل من المصدرين صحيحا وان الحملتين وقعتا فعلا كما مثلنا . ولدينا مدة كافية نضع فيها الحملة الكوشية بين عودة الملك « بسمتيك » من « سوريا » وبين سنة موته . ولم يذكر لنا « بتيسى » حوادث الا التى تهم موضوع تظلمه : هذا ويمكن الاعتماد على «هردوت» الذى يظهر فى منتهى الدقة فيما يخص ذكر تتابع الأسرة السادسة والعشرين ، ومدة حكم كل منهم ، فيما سجله لنا عن أعمالهم ، على أن ذلك لا يكاد يتخذ برهانا على عدم قيام حملة على « سوريا » لأنه لم يذكرها فى كتابه . فنجد مثلا أنه قد ذكر لنا فلاح « نيكاو » فى « سوريا » ، ولكن فى الوقت نفسه لم يذكر لنا أنه فيما بعد قد فقـد بعض مافتحه ، على الرغم من أنه لدينا براهين قوية من مصادر أخرى تدل على أن «نيكاو» وجيشه

قد منوا بهزيمة منكرة . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لانعلم عن تاريخ هذه الفترة الا القليل فليس فى مقدورنا أن نضع الأمور فى نصابها على الوجه الأكمل من الوجهة التاريخية . ويلحظ أن «بتيسى» فى سرد الحوادث فى عهد«بسمتيك الأول» قد برهن على أنه لا يعتمد عليه قط بل يعد مضللا وذلك لأن بياناته تتعارض مع الحقائق ، ولا تكاد أحيانا تتفق مع نسخ الوثائق الملحقة بقصته ، ولكن دقته فى سرد الحوادث التاريخية كان ينبغى أن تزداد كلما اقترب من التاريخ الذى يعيش فيه . ويلحظ أن القصة هنا قد قفزت الى الأمام الى حوالى عام ٥٩٠ ق.م وبذلك نجد أن المتظلم يحدثنا عن أمور ليست بعيدة عن ذاكرته كما سيظهر من الاعتبارات التالية :

كان « بتيسى » بعد العام الخامس عشر من حكم «أمسيس» كاتبا وكاهنا لآمون وكان يعتبر على الأقل أنه قد ترعرع وأصبح شابا . فلا بد أنه ولد فى السنة الأولى من عهد «أمسيس» ان لم يكن قبل ذلك أى حوالى ٥٧٠ ق.م . أى بعد قيام حملة «خارو» بعشرين عاما ، ونجد كذلك أن «بتيسى» قد مثل بأنه « مسن » فى السنة التاسعة من حكم «دارا» (٥١٢ ق.م) . وعلى أساس هذا الحساب الأخير كان وقتئذ قد بلغ السابعة والخمسين من عمره وهذا يتفق مع الفرض الذى وضعناه هنا . وفضلا عن ذلك فان « بتيسى » الذى عمل العقد رقم ٨ فى السنة الثامنة من عهد « امسيس » ، أى عام ٥٦٢ هو على كل الاحتمالات موحد مع « بتيسى الثالث » المتظلم ولكن هذا يحتم تاريخا مبكرا لولادته عن الذى اقترح فيما سبق .

ويحتمل أن البردية لم تكن قد كتبت بعد السنة التاسعة من حكم «دارا» الا بفترة يسيرة أى حوالى ٨٠ سنة بعد تاريخ الحملة الى بلاد «سوريا» ، وذلك عندما كانت الحادثة لا تزال قريبة من ذاكرة سن المعاصرين لبتيسى . أما عن المتظلم نفسه والأضرار التى لحقت بجده عندما كان غائبا فى الحملة الى بلاد «سوريا» فلا بد أنها كانت نقطة

تحول فى مصائر الأسرة ، فلا بد أنها كانت باستمرار فى ذاكرته بوساطة والده ، وقد قدمت به وبسيده فى محاكم القضاء . وتدل الكشوف الحديثة على أن الحملة الى بلاد « كوش » قد وقعت فعلا ، وقد فصلنا القول فيها فى مكانها .

أما عن « فينقيا» فانه ليس هناك سبب يدعو لعدم قيام « بسمتيك الثانى » بحملة فى هذه الجهة لأجل أن يجدد النضال للاستحواذ عليها من الدولة المسيطرة «مسوبوتاميا» والواقع أنه بعد انتصار « أشور بنيبال » على « تانو تأمون » الكوشى (فى مصر حوالى عام ٦٦٣ ق.م) حاصر ولاية «صور» وقد انتهى الامر بأن جعلها تدفع له جزية، ولكن دون أن يستولى عليها . ومن هذه اللحظة يظهر أنه لم يلتفت الا قليلا الى غربى ممتلكاته ، هذا على الرغم من أن « سوريا » و « مصر » كانتا لمدة طويلة تعدان رسميا ضمن أقاليم الامبراطورية الآشورية . وقد كان « آشور بنيبال » منهمكا فى شرقى امبراطوريته فى حروب وفى اخماد ثورات فى « عيلام » و « بابل » و « بلاد العرب » وكان النجاح دائما حليفه .

ونعلم من السجلات أنه كانت هناك بعض مراسلات بين « بيساميلكى » أو « توساميلكى » (بسمتيك الأول) و « جوجو » (جيجز) ملك « ليديا » ، وهذه المراسلات كانت تنم عن الخيانة لآشور ، ولكن لم تكن قد استمرت سيادة « آشور » الفعلية على « مصر » وقتئذ .

وتدل شواهد الأحوال على أن الحروب المتلاحقة التى قامت بها « آشور » قد أثرت تأثيرا مفزعا فى عدد جيش « آشور » المحارب الذى أخذ فى التناقص بدرجة محسة ، يضاف الى ذلك أنه فى السنين الأخيرة من عهد «آشوربنيبال» اقتحمت قبائل «السيثيين» امبراطوريته . وقد حدثنا «هردوت» أن « بسمتيك الأول » قد رد «السيثيين» الذين وصلوا الى حدود « مصر » على أعقابهم ببذل العطايا لهم والتوسل اليهم (Herod. I, 105) وأنه استولى على « أزوتوس » (AZOTUS) بعد أن حاصرها ٢٩ سنة (Ibid. II, 157) أما عن المغامرة الجريئة التى قام بها

« نيكاو » فى بلاد « سوريا » والاستيلاء عليها فلدينا عنها براهين مؤكدة .

ففى حوالى عام ٦٠٨ ق.م ذبح الفرعون « نيكاو » « يوشيا » عاهل «أورشليم» فى موقعة « مجدو » وأوغل فى «سوريا» حتى كركميش الواقعة على «نهر الفرات» (كتاب الملوك الثانى الاصحاح ٢٣ سطر ٢٩) وبذلك قضى على كل بارقة أمل باقية للسيطرة الآشــورية فى زحفه . وبعـــد عودته من هناك خلع الملك « يوحاز » الذى خلف والده « يوشيا » فى « أورشليم » بعد أن حكم ثلاثة أشــهر ، ووضــع مكانه أخاه « يواقيم » على العرش ، وجعـل بلاد « يهـودا » تدفع له الجزية (كتاب الملوك الثانى الاصحاح شرحه سطر ٣١–٣٥) . ويحدثنا كذلك « هردوت » أن « نيكاو » هزم الآشوريين فى « ماجدولا » ويقصد بذلك « مجدو » واستولى على « كاديتس » (Cadytes) ويعنى بذلك « غزة » أو بعض مدينة فى شـمال « سـوريا » . ولابد أن قوة « نيكاو » لمدة بضع سنين كانت هى المسـيطرة على « سوريا » ، ولكن فى الوقت نفسه كانت مملكة « بابل » قد أصبحت وطيـدة الاركان فى يدى عاهلهـا « نابو بالاصر » الذى كان ابنه « نبوخـذ نصر » ينقض بجيوشــه نحو « الفرات » ليسترد من « السيثيين » والمصريين الامبراطورية التى فقـــدها الآشـــوريون . ونســمع بعد ذلك فى الحال أن ملك مصر لم يأتِ الى الارض أبدا لان ملك « بابل » قد أخـذ من أول نهر مصر حتى نهر «الفرات» كل ماكان يملك ملك مصر (كتاب الملوك الثانى الاصحاح ٢٤ ســطر ٧) . ويضـع كل من كتاب « أرميا » (أرميا ، الاصحاح ٤٧ سطر ٢) وكتاب « جوسيفس » (راجع Ant. Jud. X 6, 7) الواقعة الفاصلة فى « كركميش » ، وتمثل الجيوش المصرية بقيادة « نيكاو » نفسه . على أن المؤرخ الفارسى « بروسوس » (Bersous) يجعل سبب حملة «نبوخذنصر» ثورة شطربة الفرس الذى كان يحكم وقتئذ « مصر » و « سوريا » و « فينيقيا » (Frag. 14) وعلى الرغم من أن هـــذا القول خاطىء من أساســـه الا أنه فى الوقت نفسه يظهر لنا أن الرأى القديم القائل ان الفرعون المصرى كان أميرا

تابعا قد بقى عالقا بالاذهان منذ التسلط الآشورى على « مصر » .

وتاريخ الحملة البابلية على « مصر » كان حوالى ٦٠٥ أو ٦٠٤ ق.م وليس من المؤكد على أية حال أن « نبوخد نصر » كان قد استولى على « فنيقيا » فى هذا الوقت وقد حفظ لنا المؤرخ « جوسيفس » قطعة من حوليات نعلم منها أن قلعة « صور » التى لايكاد يمكن اختراقها قد حاصرها « نبوخد نصر » مدة ثلاث عشرة سنة كان يدافع عنها ملكها « اتهوبعل » ، ولكن هذا الحادث كان على مايرجح قد وقع حوالى عامى ٥٨٥ - ٥٧٠ ق.م فى عهد الملك « ابريز » ملك مصر . وفى الوقت نفسه بقدر مانعلم كانت بلاد «فينقيا» تحت الحكم المصرى . وعلى أية حال كان فى مقدور الفراعنة أن يدسوا الدسائس ويرسلوا الحملات كما فعل « ابريز » (حفرا) بدون شك . وعلى ذلك ليس لدينا أى سبب يحملنا على عدم احتمال وقوع حملة الى « فينقيا » أو « سوريا » فى عهد الملك « بسمتيك الثانى » . ففتح «أورشليم» كان قد وقع فى السنة التاسعة عشرة من حكم «نبوخد نصر» (كتاب الملوك الثانى ٨/٢٥) أى فى عام ٥٨٦ ق.م . والسنة التى تقابل ذلك فى التاريخ المصرى لاتكاد تتعدى السنة الاولى أو الثانية من حكم الفرعون « ابريز » (حفرا) . وقد بدأ الحصار قبل ذلك بسنة ونصف سنة (كتاب الملوك الثانى) (١/٥) وقد عين فى وقت ما اقتراب جيش الفرعون (ارميا ٣٧/٥ - ١١) وهذه الحادثة يبعد أن تكون قد وقعت فى السنة الرابعة من حكم « بسمتيك الثانى » ، بل على الارجح فى عهد الملك « ابريز » . وقد حدثنا « هردوت » (Herod. II, 161) أن « أبريز » قد تعدى حدود « صيدا » فى هجومه وحارب ملك « صور » فى البحر ، والظاهر أن كل فرعون من أول « بسمتيك الأول » حتى « ابريز » قد حارب فى « سوريا » . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الاستيلاء على « غزة » بالفرعون وهذا ما أشير له فى عنوان من عناوين تنبآت أرميا (أرميا ١/٤٧) لا يمكن معرفته على وجه التأكيد ، هذا الى أن صحة هذا العنوان على مايظن مشكوك فيها شكاكبيرا . وقدتحدثنا عن هذا الموضوع فى غير هذا المكان .

نعود بعد هذه اللمحة المختصرة التمهيـدية الى ماقصـه علينا « بتيسى الثالث » عن ظلامته وتاريخها الذى يرجع الى الوراء لمدة طويلة .

(١٤) وفى السنة الرابعة من (١٧) حكم الفرعون «بسمتيك» نفر اب رع [1] (بسمتيك الثانى) أرسلت الرسل الى المعابد الكبرى فى الوجهين القبلى والبحرى قائلين أن الفرعون يذهب الى أرض « خارو » (يحتمل أنها تعنى السـاحل التجارى لفنيقيا ، ويمكن أن يشمل ذلك أجزاء غير مهمـة من « سـوريا » وهى التى ميزت فى منشور « كانوب » بأرض « عامور ») فدعوا (١٨) الـكهنة يأتوا مع باقات آلهـة مصر ليأخذوها الى أرض «خارو» مع الفرعون . (يجوز أنه كانت تؤخـذ أكاليل مصنوعة بمثابة تعاويذ والاكثر احتمالا أن الاشجار النامية أو النباتات كانت تحمل الى « سوريا » أو « فنيقيا » لتقدم قربانا أو لتنقل هنـاك وتزرع فى المعابد المصرية التى أسست على البلاد الساحلية فى « سوريا » و «فنقيا») وقد اجتمع الكهنة واتفقوا على (٢٠) قولهم لبتيسى بن « اسـمتو » : انك أنت الذى تصلح للذهاب الى أرض « خارو » مع الفرعون : وليس هنا رجل فى هذه المدينة يمكنه (٢١) أن يذهب الى أرض « خارو » الا أنت . تأمل أنك كاتب بيت الحياة (أى مدرب على الكتابة المقدسة والأدب) ، وليس هناك شىء سيسألونك عنه الا له جواب سديد (؟) (٢٢) ، لانك كاهن « آمون » وكهنة الآلهـة العظام لمصرهم الذين سـيذهبون الى أرض « خارو » مع الفرعون . وقد (١/١٥) أغروا « بتيسى » ليذهب الى أرض « خاروا » مع الفرعون وقد جهز نفسـه للسـفرة . وذهب بتيسى بن « اسـمتو » الى أرض « خارو » ولم (٢) يصحبه رجل الا خادمه وحارس يدعى « وسير موسى »

(١) كان آخر تاريخ ورد فى القصـه هو السنة الواحدة والثلاثون من عهـد بسمتيـك الأول » وكان حـوالى عام ٦٣٠ ق ٠م ٠ وقد انتهت سنو حـكم « بسمتيك » هذا ـ ويبلغ عددها ٥٤ وكذلك الخمس عشرة سنة التىحكمها خلفه « نيكاو » والسنة الرابعـة من حكم « بسمتيك الثانى » تقع حوالى ٥٩٠ ق٠م٠

ولما علم الكهنة أن « بتيسى » قد سافر الى أرض « خارو » مع الفرعون (٣) ذهبوا الى « حاروز » بن « حارخبى » وهو كاهن الاله « سبك » وحاكم « اهناسيا » وقالوا له هل سيادته (يقصدون « حاروز ») يعرف أن نصيب كاهن « آمون توزوى » هــو نصيب الفرعون وأنه ملك لسيادته (أى « حاروز ») ؟ وقد اســـتولى عليــه « بتيسى » بن « يتورو » ـ وهو كاهن « آمون » ـ عندما كان حاكما لاهناسيا . وتأمل فانه فى قبضة ابن ابنه حتى الآن فقال « حاروز » بن « حارخبى » لهم : وأين ابنــه ؟ (٥) فقال له الكهنة : لقــد جعلناه يذهب الى أرض « خارو » مـع الفرعون . دع « بتاحنوفى » ابن حاروز يأت الى « توزوى » لأجل أن نكتب له تنازلا عن نصيب كاهن « آمون » . وعلى ذلك جعل « حاروز » (٦) « بتاحنوفى » بن « حاروز » ابنه يأتى الى « توزوى » وكتبوا له تنازلا عن نصيب كاهن « آمون » صاحب « توزوى » ثم قسموا الستة عشر نصيبا الاخرى أربعة أقسام بين طوائف الكهنة الأربع ، كل طائفة أربعة أنصبة . ثم ذهبوا ليبحثوا (٧) عن « بتاحنوفى » بن « حاروز » ، وأحضروه وجعلوه يعطر يديه ويؤدى صلاة لآمون .

وعاد « بتيسى » بن اسمتو من أرض «خارو» (٨) ووصل الى «توزوى» ، وأخبر بكل شىء عمله الكهنة فأسرع « بتيسى » شمالا الى بوابة بيت الفرعون ، غير أنه عومل باحتقار (؟) فقيل له ا لهلاك ! ان فرعون (٩) مريض والفرعون لايخرج . وعلى ذلك قدم « بتيسى » شكوى الى القضاة (؟) فأحضروا « بتاحنوفى » بن « حاروز » ودونت اعترافاتهما فى بيت المحكمــة (١٠) قائلين : ان هــذا النصب الذى اســـتولى عليه « بتاحنوفى » وهو الذى كان والده سيد « اهناسيا » ، هو نصيب الفرعون . وقد مضى « بتيسى » بن « اسمتو » عدة أيام (؟) فى بيت المحاكمة مناضلا مـــع « بتاحنوفى » بن « حاروز » وقد ضويق « بتيسى » فى بيت المحاكمة ، وأتى جنوبا ، وذهب الى « نى » قائلا : اذهب لأدع اخوتى (١٢) الذين فى « نى » يعرفون ذلك ، وقد وجد أولاد « بتيسى » بن « يتورو » الذين كانوا كهنــة «آمون» فى «نى» وأخبرهم بكل شىء

حدث له مع كهنة « آمون » (١٣) صاحب « توزوى » فأخذوا بتيسى » وجعلوه يقف أمام كهنة « آمون » •

فقال له كهنة «آمون» : ما الشىء الذى تقول افعلوه ؟ لقد حدث أن تقريرا أرسل (١٤) الى كهنة « آمون » جاء فيه : ان الفرعون « بسمتيك » نفر — اب رع قد توفى (؟) [1] تأمل أنهم عندما قالوا الفرعون قد توفى (؟) كنا على وشك أن نرسل الى بيت الفرعون عن كل ما (١٥) فعله كهنة « آمون » ضدك • ويجب عليك أن تقدم شكوى (؟) الى هؤلاء القضاة (؟) الذين أعطوا اعترافاتهم كتابة فى بيت المحاكمة ضد كاهن «سبك» هذا الذى يأخذ (؟) من نصيبك (١٦) لانه لايمكن أن يكون فى مقدورهم الفراغ من قضيتك فى هذه المدة من الزمن (؟) وأمر الكهنة باعطاء خمسة دبنات من الفضة « بتيسى » وأعطاه اخوته خمسة دبنات أخرى فيكون الكل عشر دبنات من الفضة وقالوا له : اذهب الى بيت المحاكمة ضد هذا الرجل الذى يأخذ من نصيبك ، وعندما تنفق هذه الفضة تعال لنعطيك فضة أخرى • فذهب « بتيسى » بن « اسمتو » شمالا (١٨) ووصل الى «توزوى» وقال له الرجال الذين وقفوا معه : لا فائدة من الذهاب الى بيت المحاكمة • ان خصمك فى الكلام رجل أغنى منك • واذا (١٩) كان فى يدك مائة دبن من الفضة فانه سيهزمك • وأقنعوا « بتيسى » بألا يذهب الى بيت المحاكمة

---

(١) ان كلمة « توفى » هنا ليست الا تخمينا لكلمة غير معروفة ومخصصها يدل على شىء سيىء وقد حكم بسمتيك الثانى ٢/١ ٥ سنين فقد تولى العرش ما بين ٧ بابة و٩ أبيب (راجع Wiedemann, Gesch. Aeg V. Psamm. I. P. 119). وقد مات فى ٢٣ توت من السنة السابعة (A. S. Vol. V, p. 86) وعلى ذلك يكون قد مضى أكثر من سنتين كاملتين بين اعلان الحملة الى سوريا فى السنة الرابعة من حكمه وموته • ولا نزاع فى أن موته قد حدث الآن اذ يبرهن على ذلك البيان الذى جاء فى الصفحة ١٦/١ وهو القائل أن بتاحنوفى قد تسلم الحصة من السنة للاول من حكم خفله ابريز ونفس هذا البيان يجعل من المحتمل أن تعيين بتاحنوفى بوساطة الكهنة (على تلك الحملة الى أرض خارو التى كان معها بتيسى) قد وقع فى نهاية حكم هذا الفرعون •• ومن المحتمل أن اعلان قيام الحملة كان فى نهاية السنة الرابعة ويجوز أن الحملة نفسها قد امتدت الى السنة السادسة وعلى أية حال فان موت الملك على ما يظهر قد حدث بعد عودة بتيسى مرافقا للحملة

ولم يدفع الكهنة حصة (٢٠) مايقابل الستة عشر نصيبا التى قسمت بين طوائف الكهنة ، ولكن الكهنة الذين اتفق أنهم دخلوا (الخدمة) قد قاموا بالخدمة باسمهم ، وقد أعطيت كذلك حصة أربعة « بتاحنوفى » (١/١٦) باسم نصيب كاهن « آمون » من السنة الأولى من عهد الفرعون « واح اب رع » حتى السنة الخامسة عشرة من حكم الفرعون « أحمس » (أمسيس)

(ب) الحوادث التى وقعت فى عهد الملك أمسيس الثانى من حكم « قمبيز » وكان « اسمتو الثانى » و « بتيسى الثالث» هما الممثلان للاسرة (١٦/-٩/٢١)

هذه الفقرة تتحدث عن نزاع خطير بين الادارة وكهنة « توزوى » عن جزيرة كانت تؤلف جزءا كبيرا من أوقاف المعبد فقد رشا الكهنة أحد رجال الحاشية من أصحاب النفوذ ليتدخل فى صالحهم باعطاء وظيفة كاهن « آمون » لأخيه . ولكن لأجل أن تكون هذه العطية ذات أثر فعال كان من الضرورى أن ينزل « اسمتو » الثانى بن « بتيسى » عن الحقوق التى ادعاها بالوراثة لهذه الوظيفة . ولكن « اسمتو » تجنبا لذلك هرب من « توزوى » وأخذ معه أسرته الى « الاشمونين » وهنا وجد ابن الشاكى وهو « بتيسى » عملا تحت ادارة موظف حكومى ساعده على وضع قضية والده تحت نظر رئيسه ، وانتهى الامر ان كان فى مقدور « بتيسى » ووالده العودة الى « توزوى » مع بعض التعويض عن الاضرار التى ألحقها الكهنة بأملاك الاسرة فى تلك الأثناء . وتبتدىء فاتحة تاريخ ذلك فى السنة الخامسة عشرة من عهد الملك « امسيس » حوالى عام ٥٥٥ ق٠م أى حوالى الأربعين عاما بعد حوادث القسم الاخير من القصة ، ومن هذه النقطة وما بعدها نجد المتظلم يقص أشياء كان قد رآها هو رأى العين أو كانت معاصرة له ، وعلى ذلك ينبغى أن تكون الاسماء التى يذكرها أو غيرها صحيحة ، ومجموعة الوثائق الاصلية من السنة الثانية الى السنة الثامنة من حكم « أمسيس » (Pap. III-VIII) خاصة به وبوالده « اسمتو » ، ولكن الاسم الوحيد بين الشهود فى هذه الوثائق التى يمكن أن تكون موحدة مع أى اسم فى

هذه البردية هو « زوبستفضخ » بن « احو » (؟) الذى أمضى باسمه فى السنة الثالثة من حكم « أمسيس » (VI, Verso 18) والظاهر أنه هو رئيس الكهنة الادارى الذى جاء ذكره فى ١٨/١٠/ فى سنة ١٥ أو بعدها . وليس عندنا سجلات أخرى تضبط بها القصة .

فى السنة الخامسة عشرة من عهد « أحمس »[1] أتى المشرف على الارض المنزرعة (٢) الى « اهناسيا » وأمر كتاب مقاطعة « اهناسيا » بالحضور وقال لهم : هل يوجد دخل خاص (؟) بحار محر بن « بتاح ــ أرتايس » (٣) فى هذه المقاطعة وذلك لأن المشرف على الارض المنزرعة متحمس ضد «حارمحر» فقال له « بفتوعو باستى » بن « خبخرات » وهو كاتب المقاطعة الذى لم يكن كاهنا لآمون « توزوى » : لا توجد ضرائب خاصة « بحار محر » بن « بتاح ــ أرتايس » (٤) فى هذه المقاطعة ، ولكن اذا كان المشرف على الأرض المنزرعة يريد الحاق ضرر (٥) « بحار محر » فانه يمكننى أن أفعل له شيئا سيجعله أكثر تحمسا أكثر من حنقه من أجل الضرائب فقال له المشرف على الأرض المنزرعة : « قله (ماهذا الشيء) فقال له : « بفتوعو باستى »

(١) نجد أن لقب « فرعون » قد أعطى أمسيس فى السطر الاخير ولكن هنا فى ٧/٢١ قد حذف كما حدث فى اسم قمبيز ٩/٧/٢١ ، فى حين تشاهد انه فى ١/١٦، ١١٠١٨ اسم كل من ابريز واسم پستميك الاول مصحوب بلقبه . وقد قضى علينا هردوت أن أمسيس كان من أصل وضيع !! وعلى أية حال فانه كان مغتصبا للملك ولم يكن خلفا مباشرا لابريز ومن المحتمل كذلك ان ذكرى أمسيس لم تكن محبوبة لدى المصريين . وتلحظ ان اسـمه قد كشط من آثار نبيشه الواقعة فى الشمال الشرقى من الدلتا Petrie. Nebesheh & Defenneh P. 34 وكذلك من نقوش ناووس يظهر انه من الوجه البحرى وهو الآن فى متحف ليدن (راجع Leemans, Mon. I, 35, 36) وكذلك نشاهد فى نقوش تمثال لشخص يدعى حنعو (Henô) ويحتمل أنه من سايس و محفوظ الآن بالمتحف البريطانى ان اسمه قد شوه فى حالة من حالتين . وكان « حنعو » كاهنا للملك المتوفى (راجع (Schiaparelli, Cat. Flor. P. 224) وعلى ذلك فان هذا التشويه وغيره من التشويهات كانت قد عملت بعد موت الملك . غير ان كل ذلك قد ينسب الى قمبيز ومما لا شك فيه ان اسم احمس كان قد أصبح شائع الاستعمال عند المصريين

أنه لايوجد رجل (٦) على الارض تابع « لحار محر » الا (؟) كهنة «آمون» « توزوى » هؤلاء . وذلك لانه نصب اخوته كهنة (٧) « آمون » « توزوى » . وتوجد جزيرة فى يد كهنة «آمون» « توزوى » فيها ٤٨٤ أرورا قد استولوا عليها لهم ولكنها ستبلغ ألف أرورا . وعندما أحضر تمثال الفرعون « أحمس » الى « توزوى » (٨) جعل (« حار محر » (بتاح ـ أرتايس » بن « ميبتاح » يعمل له بمثـــابة كاهن تمثال [1] ، وأمر بملكية ١٢٠ أرورا لتمثال الفرعون فى حين أنه لم يعط أرورا واحدا لتمثال الفرعون الذى كان قد أحضر الى « اهناسيا » .

وأقلع المشرف على الأرض المنزرعة جنوبا ووصل الى جزيرة « توزوى » وأرسى سفينته عند (١٠) نهايتها وأمر مساحين بالذهاب الى الشاطىء والذهاب حول الجزيرة (لمسحها) وقد ضم الى الجزيرة الرمال والأشجار (١١) وجعلوا مساحتها تبلغ ٩٢٩ أرورا . هذا ونزع الجزيرة من « توزوى » أما المائة والعشرون أرورا التابعة للتمثال فكانت فى حقل شلث (وهو مكان يدعى هكذا) واستولى عليها (١٢) أيضا .

ونادى المشرف على الارض المنزرعة ضابط الجنود « مانانو ـ واح اب رع (= واح‌اب رع قد لاحظنا) قائلا : دع كهنة « آمون » «توزوى» يعطوا ٤٠٠٠ مكيالا من القمح من محصول (١٣) هذه الجزيرة التى كانت فى قبضتهم ، وأتى ضابط الجنود الى «توزوى» واستولى على مخزن الغلال وأمر بحمل كل الغلة التى وجدها فى المخزن وفى البيوت الى (١٤) مدخل المعبد . وكانت تحت الحراسة عند مدخل المعبد وعندئذ خف الكهنة نحو الشمال الى مدخل بيت الفرعون (فى « منف ») (١٥) قال لهم فاتح محراب « بتاح » الذى أكلوا فى بيته . لا يوجد رجل تابع للفرعون يمكنه أن يحميكم

---

(١) ونحن نعتقدأن فردايدعى «باسخمت» كان كاهنا لتمثال الملك « واح‌ابرع » فى صورة بولهول . وذلك التمثال كان اللملك پسمتيـــك الأول أو الملك ابريز (راجع L.̈ D., III, 271d) وكان حنعو كاهن الملك أمسيس الذى قيل عنه انه متوف وذلك على الأقل عندما كان تمثال الملك الذى عمل قبل وفاته ، ولكن ليس لدينا برهان بين الا المثل الحالى عن تمثال الملك حى لهذه الاسرة له كاهن خاص به

الا « خلخنس » بن « حور » وهو رجل يتوسل الى الفرعون حتى وهو فى مخدعه . فانهم يقولون (له) أنه لايوجد رجل داخل بيت الفرعون يسمع له فى شىء مثله . وجعلوا فاتح محراب «بتاح» يذهب ليحضر « حارخبى » خصى (؟) «خلخنس» ووقفوا معه وقالوا له : « اذا دافع عنا « خلخنس » فى قضيتنا (١٨) وجعل هذه الجزيرة التى يملكها «آمون» من نصيبنا فانا سنعطيه ٣٠٠ أردبا من الغلة و٢٠٠٠ هنا من ريت تكم (ريت خروع) (الهن يساوى نصف لتر) وخمسين هنا من الشهد و٣٠ أوزة بمثابة حصة سنوية له . فذهب الخصى « حارخبى » وأخبر « خلخنس » ذلك (ولكن) «خلخنس» قال لهم ان فتحة أفواه هؤلاء الجنوبيين كبيرة (؟) (يقولون كثيرا ولا يفعلون) . دعهم يدفعوها لى هذه السنة (والا) فانهم عندما يعلمون أننى قد خلصتهم لايدفعون . خبرهم أنى أعمل كاهنا للاله «حور» صاحب « بوتو » وان لى أخا يعمل كاهنا للاله « حور » فى « ب » . اكتبوا له تنازلا عن وظيفة كاهن من معبدكم واكتبوا له باعطائه هذه الاشياء على حسب جباية كل سنة (١/١٧) حتى يمكننى أن أدافع عنكم فى قضيتكم .

واتفق أن «نكوموسى» بن «بتاحنوفى» كاهن « سبك » ، الذى كان كاهنا لآمون « توزوى » ، كان فى «منف» (٢) فذهب اليه الكهنة وقالوا له : يا « نكوموسى » ان ضياع وقف « آمون توزوى » قد استردها ثانية المشرف على الأرض المنزرعة الى أرض « و » (الأرض الصالحة للزراعة التى تدفع ضرائب للفرعون) (٣) هل فى مقدورك أن تحمينا ؟ واذا لم يمكنك تأمل فاننا عندما ذهبنا الى عظيم (بعينه) قال لنا اكتبوا لى تنازلا عن نصيب كاهن « آمون » (٤) حتى يمكننى أن أحميكم فى كل قضية لكم . وأنت تعلم أننا نحن الذين كتبنا لوالدك « بتاحنوفى » بن «حاروز» تنازلا (٥) عن نصيب كاهن « آمون » عندما كان والده « حاروز » بن « جارخبى » حاكما « أهناسيا » وذلك على الرغم من أنه لم يكن نصيب له فيه حق . وقد أعطيناه (٥) اياها قائلين « انه سيحمينا » فقال لهم «نكوموسى» بن «بتاحنوفى» : اذهبوا واكتبوا

لأى رجل يحميكم تنازلا عن نصيب (٧) كاهن «آمون» و « سك » معكم ! واحضروا لى الوثيقة التى ستعملونها حتى أوقع عليها .

وذهب الكهنة الى « حارخبى » (٨) بن « يوحارو » وهو رجل « خلخنس » وكتبوا تنازلا عن نصيب كاهن « آمون » الى « بسمتيك منمى » بن « حور » أخو « خلخنس » (٩) وأخذوا الكتابة الى « خلخنس » . وعندئذ دافع « خلخنس » بن «حور» أمام الفرعون قائلا : ان والدى كان يعمل (١٠) كاهن «آمون توزوى» ، وهو بيت شهير فى مقاطعة « اهناسيا » . وقد ذهب المشرف على الارض الزراعية اليها واستولى (١١) على ضيعة أوقافها وأمر بالاستيلاء على كل شىء فى المدينة قائلا : سأجعلهم يعطون محصول الأرض الذى استولى هو عليه . (١٢) فأحضر المشرف على الأرض المنزرعة أمام الفرعون وقال : ياسيدى العظيم لقد وجدت جزيرة نهر فى وسط «توزوى» (١٣) وقال لى كتاب المقاطعة ان مساحتها ألف « أرورا » فمسحتها وبلغت ٩٢٩ أرورا بحياة وجه الفرعون أنه ليس بلائق أن تعطى هذه الضيعة لاله أو آلهة بل اللائق أن تكون للفرعون أن (ضريبتها) عشرون مكيالا من الغلة(١٥) .... لأرورا واحد وقد سألت الكتاب قائلا هل هى ضمن أملاك آمون توزوى ؟ فقالوا لى أن ١/٢ ٤٨٤ أرورا (١٦) قد خصصت لآمون فقلت لكهنة « آمون » تعالوا حتى أجعلكم تعطونها ملاصقة لضيعة أوقافكم (١٧) فى الحقل الذى على أرض ساحل « توزوى » ولكنهم لم يصغوا الى . أما عن « آمون توزوى » فانى وجدت فى حيازته ضيعة (١٨) لبيت عظيم جدا فوجدت ٣٣ مكيالا من الغلة .. مخصصة لآمون توزوى يوميا وانى (١٩) سأحصل عليها كاملة له (؟) وقد قامت مناقشة كثيرة بين « خلخنس » والمشرف على الأرض المنزرعة أمام الفرعون (٢٠) والنهاية أنه لم يمكن نزع الجزيرة من يد المشرف على الأرض المنزرعة ولكن « خلخنس » جعله يكتب رسالة (١/١٨) بوحى آلهى بها تعطى ٤٨٤ر٥ أرورا بمثابة مقابل ٤٨٤ر٥ أرورا التى وجد أنها مخصصة لضيعة وقف آمون على جزيرة توزوى ملاصقة

لضيعة أوقاف « آمون » التى كانت على اليابسة فى « توزوى » (٣) وكذلك باعادة الغلة التى أخذت من « توزوى » وقد قالوا أنها ستؤخذ من محصـــول جزيرة « توزوى » التى استولى عليها ؛ وقد أتى « بسمتيك منمبى » بن « حور » وأخو « خلخنس » الى « توزوى » معطرا جسمه ، وأدى الصلاة لآمون وأعطيته الأشياء التى قالوا عنها لخلخنس ، سنعطيك اياها • فقـال لهم «بسمتيك منمبى» (٦) ان هـذه البردية التى كتبتموها لى من أجل نصيب كاهن « آمون » قد أخذتها لبيت المحاكمة وقال لى قاض انها باطلة (٧) وذلك بسبب ان هؤلاء الكهنة سيقولون لك • أليس لهذا النصيب مالك؟ ان مالكه يمكن أن يأتى اليك (٨) مرة أخرى ويقول انه ملكى وانى سأنال حقى منك • تأمل لقد سمعت أن كاهن « سبك » هذا الذى كان ملكا له قد كتب له الكهنة تنازلا عنها وذلك عندما كان والده رئيس «اهناسيا» ، ألم يكن له مالك قبله ؟ وعندئذ (١٠) قال « زوبستفعنخ » بن « احو » رئيس المعبد الادارى سأحضر اليك مالكه واجعله يكتب اليك تنازلا عنه • واتفق أن « بتيسى » بن (١١) « اسمتو » قد ذهب الى آبائه فى السنة الثالثة عشرة من عهد الفرعون «واح اب رع» وكان ابنه « اسمتو » على قيد الحياة • فاتى رجل الى « اسمتو » (١٢) قائلا انهم ســيأتون اليك ليجعلوك تـكتب تنـــازلا عن نصـيب كاهن « آمون » من أجل « بســـمتيك منمبى » بن « حور » بالقـوة • فذهب « اســمتو » مع زوجـــه وأولاده الى قارب ورحلوا الى « الأشمونين » • وعندما حل اليوم التالى (١٤) سمع الكهنة ورئيس المعبد الادارى بذلك ، فذهبوا الى بيته واستولوا على كل شىء كان يملكه وهدموا منزله ومكان معبده ، وأمروا باحضار بناء وجعلوه يشوه اللوحة التى عملهـــا « بتيسى » بن « يتورو » على الطوار الحجرى واتجهـوا (١٦) نحو اللوحة الأخرى المصــــنوعة من الجرانيت وهى التى كانت فى المكان المقدس قائلين سنشوهها ، غير أن البناء قال لا يمكننى (١٧) تشويهها وان عامل جرانيت فقط هو الذى يمكنه تشويههـــا : ان آلاتى ســـتنزلق (؟) وقال كاهن خـل سبيلها !

تأمل لا (١٨) أحـد يراها ، وفضـــلا عن ذلك فانه قد أمر بعملهـا قبل أن يقوم بوظيفـــة كاهن ، وقبل أن يكتب له رئيس السفن تنازلا (١٩) عن نصيب كاهن « آمون » . ويمكننا أن نمنعه بوساطة ذلك قائلين « ان والدك لم يكن يعمل كاهنـــا لآمون » . وعلى ذلك تركوا اللوحة (٢٠) المصـــنوعة من حجر الجرانيت ولم يشوهوها . وذهبوا الى تمثالين له من حجر تمجي واحد منهما عند مدخل مقصـــورة (٢١) « آمون » وصورة « آمون » كانت فى حجره ، وألقوا به فى النهر ؛ وذهبوا الى التمثال الآخر الذى كان فى بيت « أوزير » عنـد مدخل مقصورة « أوزير » (٢٢) وصورة « أوزير » كانت فى حجر هذا التمثـــال ، وألقوا به فى النهر . وسمع « اسمتو » بن « بتيسى » كل شيء فعله الكهنة ضده (١/١٩) فى «توزوى» واتفق أنه كان يوجـــد كاتب حســـابات تابع للمشرف عـــلى الخزانة يدعى « احوتب » بن « بشنسى » قد أرسله المشرف على الخزانة (٢) ليعمـــل حساب « الأشمونين » فقال « اسمتو » بن « بتيسى » لابنه « بتيسى » (وهو المتظلم) تأمل انك كاتب فاذهب واكتب مع « احوتب » بن « بشنسى » (٣) كاتب الحسـابات التـابع للمشرف على الخزانة (؟) وعندما يعرف حاجتك سيكون فى مقدوره أن يدافع عنك عند المشرف على الخزانة (؟) ويجعلنـــا محميين (٤) فذهب «بتيسى» وكتب مع « احوتب » بن « بشنسى » وأنهى المأمورية التى أرسل الى « الأشمونين » ليسجلها كتابة . وأتيت الى « منف » (٥) مع « احوتب » فجعل كتاب المشرف على الخزانة (؟) يكتبون مسائل « الأشمونين » ، وعمل تقريرا عنها للمشرف على الخزانة (؟) وتكلم المشرف على الخزانة (؟) كلمة طيبة له (٦) ؛ وعمل « احوتب » احتجاجا الى المشرف على الخزانة (؟) قائلا ان لى أخا وهو كاهن لآمون «توزوى» وقد ذهب « زوبستفعنخ » بن « آحو » (؟) مدير المعبـــد الادارى لآمون «توزوى» مع اخوته الى بيته ومكان معبده وأخذوا كل شيء يخصه وهدموا بيته ومكان معبده . (٨) وقد أمر المشرف على الخزانة بكتابة رسالة الى «حاربس» بن «حانفيو» (؟)

شيخ « اهناسيا » قائلا ان الكاتب « احوتب » (٩) بن «بشنسي» الذى تحت ادارتى قد عمل اجتحاجا لى قائلا ان لى أخا كاهنا لا مون « توزوى » واسمه « بتيسى » ابن « اسمتو ».وقد ذهب « زوبستفعنخ » بن « آحو » (؟) المدير الادارى لمعبد « آمون » صاحب « توزوى » مع اخوته الى بيته ومكان معبده واستولوا على كل شيء فيها وهدموا البيت (١١) ومكان المعبد ، وفى اللحظة التى يصل فيها هذا الخطاب اذهب الى « توزوى » ومر بالقبض على كل رجل سيقول لك عنه (١٢) « اسمتو » ، دعهم يقبضوا عليهم ، دعهم يحضروا مكبلين الى المكان الذى أنا فيه وأمر بكتابة مثله (١٣) الى « بسمتيك ـ عانيت » ضابط الجنود الذى كان فى مقاطعة « اهناسيا » ، وأمر شاب بحمل الرسالتين • وأتى الى « اهناسيا » (١٤) معى ووصلنا الى أمير « اهناسيا » وضابط الجنود ووقفنا أمامهما فى بيت السجل وقرأت (١٥) رسائل المشرف على الخزانة •

وقال « حرسس » شيخ « اهناسيا » بحياة « آ مون » ان « زوبستفعنخ » المدير الادارى لبيت « آمون » ليس بموجود فى هذه المقاطعة (١٦) لقد سمعت انه قد غادر الى « بوتو » ليعزى فى « حور » والد « خلخنس » الذى ذهب لآبائه • ونادى (١٧) « بيتيحرشف » خادمه قائلا اذهب الى « توزوى » وخذ معك خمسين رجلا ودعهم يقبضوا على كل رجل سيقول عنه « بتيسى » (١٨) : فليقبض عليهم ثم أحضرهم الى مكبلين ، ونادى ضابط الجنود على خادمه قائلا : اذهب الى « توزوى » ، خذ معك رجالا كثيرين (١٩) ودعهم يحضروا الرجال الذين سيقول عنهم « اسمتو » دعهم يقبض عليهم : دعهم يقبض عليهم وأحضرهم (٢٠) مكبلين لى •

وحضرنا الى « توزوى » فى سفينتين ولم نجد « زوبستفعنخ » مدير المعبد الادارى فى « توزوى » (٢١) ولكن اخوانه الذين وجدوا هناك قبض عليهم وأحضروا الى « اهناسيا » أمام شيخ « اهناسيا » وضابط الجنود • وقد تضرعوا أمام

(٢٠/١) شيخ اهناسيا وضابط الجنود قائلين : بحياة الفرعون : اننا لم نأخذ متاعا ملكا لبتيسى ، واننا لم نهدم بيتا له (٢) وان « بسمتيك منمبى » بن «حور» كاهن آمون » هو الذى هدم البيت ومكان المعبد •

وقال شيخ « اهناسيا » يا « بتيسى » انظر (٣) انهم لم يجدوا « زوبستفعنخ » مدير المعبد الادارى فما الفـــائدة اذا من أخـــذ هؤلاء الكهنة الى المشرف على الخزانة (؟) انهم ســـيذهبون ويقولون أمام المشرف على الخزانة (؟) (٤) اننا لم نأخذ متاعا لك واننا لم نكن سببا فى هدم بيتك • فقلت لشيخ «اهناسيا» هل وضعنى « احوتب » (٥) كاتب المشرف على الخزانة (؟) أمام المشرف على الخزانة (؟) وأمر بارسالى الى شيخ « اهناسيا » وضابط الجنود قبلى (لأجل الدفاع عنى) قائلا : ان سيادته (أى حضرتك) ستجعل قضيتى تحتقر (؟) هنا فى المقاطعة ؟ وعندئذ قبض شيخ « اهناسيا » على يدى وأخذنى جانبا وقال لىَ بحياة « أوزير » انى أحبك أكثر من هؤلاء الكهنة (٧) فقد حدث أن « خلخنس » ذهب ليتحدث مع المشرف على الخزانة (؟) لصالح هؤلاء الكهنة ويجعلهم يفرج عنهم ، فتســقط قضيتك (٨) • تأمل الرسالة الرقيقة التى أرسلها الى « احوتب » عنك ، ومن أجل ذلك فانى متحمس (؟) من أجل حقوقك (؟) ويقول (فيهـــا) أنه أخى فليعن به ودع القضية التى جاء من أجلها اليـــك يهتم بها كثيرا • أما هؤلاء الــكهنة فانى سأجعلهم يدفعون لك عشر دبنات من العملة الفضية وسأجعلهم يحلفون يمينا لك فضلا عن ذلك أمام الاله « حرشف » وأمام «أوزير» صاحب « نارف » (المــكان المقدس لأوزير فى اهناسيا ومعناه الذى لا يمكن قيده) قائلين : اننا لم نأخذ متاعك واننــا لم لم نهدم (١١) بيتا لك ، وسأجعلهم فضلا عن ذلك يدفعون مصاريف (؟) هذا الرجل التابع للمشرف على الخزانة الذى أمامك •

وقد أقنعنى « حاربس » شيخ « اهناسيا » أن أعمل تنازلا للكهنة • وقال شيخ اهناسيا للكهنة تأملوا : لقد أقنعت « بتيسى » بأن يتنازل (١٣) لكم : أنتم ستعطونه عشرين

دبنا فضة ، ولكنهم صاحوا عاليا قائلين : لا يمكننا أن نعطيه قطع الفضة • فقلت لشيخ اهناسيا بحياة نفس سيادته (أى شيخ اهناسيا) لقد أخذوا ما قيمته عشر دبنات من الفضـــة من عوارض الخشب والأربطـة من هـــذه البيوت التى هدموها • وقد أتلفوا شيئا قيمته عشرون دبنا أخرى خلافا لذلك من الحجر المصـنوع (١٥) فيها فقال لهم شيخ « اهناسيا » بحياة « أوزير » لقد سمعت كل شىء عملتموه له وانكم لو أخذتم الىالمشرف على الخزانة فان خمسين دبنا من الفضة لن تخلصـكم (١٦) اعملوا على دفع عشر دبنات له وسأجعله يسامحكم فى عشر الدبنات الأخـــرى وستحلفون يمينا له قائلين : اننا لم نأخذ متاعا لك (١٧) ولم نعمل على أخذه ولم نعمل على هدم بيتك ومكان معبدك • وفى النهاية اتفق معه على أن يد (١٨) الكهنة تؤخذ لدفع عشر الدبنات من الفضة (يضع يده فى يده يعنى اتفق وتعهد) ، وحلفوا اليمـين لى أمام « حرشف » وأمام « أوزيز » صـــاحب « نارف » ؟ وأعطوا الرجل المشرف فلى الخزانة قطعـة فضـــة (؟) وهو الذى كان قد حضر قبلى ، وقد عمل التنازل للكهنة ، وقال لى شيخ اهناسيا لاتخاطب قلبك (= لاتخف) وبحياة أوزير اذا حضر « زوبستفعنخ » (٢٠) مدير المعبـــد الادارى جنوبا فانى سأجعله يعطيك ما تبقى لك من ثمن متاعك الذى أعطاك هؤلاء الـكهنة اياه وســـأجعل لك فائدتى الشخصية أيضا • وبحياة « برع » (١/٢١) لقد سمعت بالأضرار التى عملوها لك ـ وانى لم أجعل هؤلاء الكهنة يساقون الى المشرف على الخزانة (؟) لأنى قلت خشية أن يجعل (٢) « خلخنس » قضيتك تنكر (؟) وبذلك تسقط ظلامتك • وقد صرفنى شيخ اهناسيا وضابط الجنود فذهبت الى « الأشمونين » (٣) وأحضرت والدى « اسمتو » مع أمى واخوتى وكل أهلى الى « توزوى » وجعلنا لبنات تضرب لنا (٤) وبنى بيتنا • وقد انتهوا من واجهته التى على الشارع (؟) وسـكنا فيـه (ولكن) مكانالمعبد (٥) لا يزال باقيا خربا حتى الآن • (يقصد البيت القديم الذى كان يسكن فيه) • وبعد أيام قلائل ذهب « خلخنس » بن « حور » الى آبائه (٦)

و« بسمتيك » بن « منمبى » بن « حور » لم يأت الى « توزوى » حتى الآن ، ولكن ماعمله كان ارسال رجال ليحضروا له متاعه (٧) حتى عام ٤٤ من عهد « أحمس » (لثانى) • وفى السنة الثالثة من عهد « قمبيز » أتى « بسمتيك منمبى » كاهن «آمون» الى « توزوى » (٨) ووقف مع الكهنة ولكنهم لم يتحدثوا معه كأى رجل فى الدنيا (تجاهلوه) ولم يصرفوا له جرايات وذهبوا الى « بشناه » بن « اينحارو » وهو أخو « حارخبوسيكم » وكتبوا له تنازلا عن نصيب كاهن « آمون توزوى » فى السنة الرابعة من عهد « قمبيز » •

كانت السنة الرابعة والأربعون هى آخر سنة من سنى حكم « أمسيس » (٥٢٦ ـ ٥٢٠ ق•م) والمعتقد أن وفاته قد حدثت فى أواخر أيام هذه السنة ، وقد حكم بعده «بسمتيك الثالث» لمدة ستة أشهر شاغلا بذلك جزءين من سنتى ٥٢٦ ، ٥٢٥ ق•م• والظاهر أن «قبيز» قد حسب سنى حكمه من أول موت « أمسيس » متجاهلا « بسمتيك الثالث » ، وعلى ذلك فان نهاية السنة التى حكم فيها « أمسيس » قد عدت بمثابة السنة الأولى من حكم « قمبيز » • وفى السنة الثانية من حكمه ـ والتى كانت تعد كذلك جزئيا السنة الثانية من حكم « بسمتيك الثالث » • غزا « قمبيز » مصر وخلع ذلك الفرعون التعس الحظ • ومن المحتمل أن مرتبات المعبد كانت قد دفعت فى حوالى منتصف السنة المصرية أى فى برمهات (يوليه) بعد الانتهاء من الحصاد • وتسلم « بسمتيك منمبى » حصته بوصفه كاهن «آمون» فى «توزوى» حتى نهاية سنة موت « أمسيس » • وفى السنة التالية وهى السنة الثانية من حكم « قمبيز » وسنة الفتح الفارسى الفعلية يظهر أنه لم يكن لديه الفرصة لارسال طلبها ، ولما كان ساكنا فى الدلتا فانه كان بطبيعة الحال بين هؤلاء الذين قد تضايقوا مضايقة عظيمة بالغزو ، ولكن فى السنة التالية وهى التى عدت السنة الثالثة من حكم « قمبيز » أرسل ابنه « حور » الى « توزوى » لتسلم مرتبه ، غير أن مأمورية «حور» كانت فاشلة • وقد ابتدأت السنة الرابعة من حكم « قمبيز » على أقل تقدير ـ قبل أن يعمل تعيين جديد

ومما يؤسف له أنه لا يمكننا أن نقول لأى أسرة كان ينتمى الكاهن الجديد .

أما فيما يخص الاستقرار الجزئى الذى ساد البلاد فى السنة الثالثة من عهد « قمبيز » وهو ما أشير اليه هنا ، فانه يمكن أن نشير هنا الى أن الحوليات الديموطيقية على مايظهر تتكلم عن « قمبيز » واعطائه مصر لشطربة (اريااندس ؟) فى السنة الثالثة — اللهم الا اذا كان يشير الى عهد « دارا » الذى على حسب ما جاء فى « هردوت » كان المنظم للشطربيات .

(ج) نسختان من السجلين اللذين أقامهما « بتيسى » على لوحتين فى معبد « توزوى »

والسجل المبكر (A) مؤرخ بالسنة الرابعة عشرة من حكم الملك « بسمتيك وقد جاء ذلك متأخرا عما كان متوقعا . وقد جاء فى القصة (١٩/٥) ان السنة الرابعة هى تاريخ تعيين « بتيسى » بن « يتورو » من قبل الملك بوصفه المشرف على السفن والظاهر أن عمله فى « توزوى » قد أعقب ذلك التعيين مباشرة ، وعلى أية حال فان التاريخ التالى الذى ذكر بعد ذلك هو السنة الخامسة عشرة ، ومن الممكن على الرغم من بعض الصعوبات أن نلائم بين العمل فى « توزوى » وبين اقامة اللوحة المصنوعة من الجرانيت فى القصة فى عام ١٤ فقد يمكن أن يصحح الانسان العدد الذى جاء فى ١٩/٥ من السنة الرابعة الى السنة الرابعة عشرة . وعلى أية حال فاننا الى الآن لا نعرف مقدار الوقت الذى كان لازما لنقش وطلاء ونحت التماثيل واللوحات فى الحجر الصلد ، ولكن نعلم أن مسلة « حتشبسوت » قد أنجزت فى سبعة أشهر ، غير أن ذلك قد عد أعجوبة من الأعاجيب وذلك يدل على أن العمل لم يكن يحتاج الى وقت طويل ، وانه لا يأخذ أكثر من سنة . هذا ونجد فى القسم (A) أن رئيس البحرية أو السفن كان يحمل لقب كاهن « آمون رع » صاحب الصوت العظيم (وهو رب « توزوى ») وكذلك كان كاهن تاسوعه فى القسم B ونجد أن هذا اللقب أصبح لا يمنح لرئيس السفن ولكن « بتيسى » بن « يتورو » منحه وعلى ذلك نجد فى القصة أن نقل هذه الوظيفة قد حدث مباشرة بعد اصلاح « توزوى .

وقاعدة اللوحة المصنوعة من الجرانيت (A, 83) •

وعلى حسب القصة نجد فى السنة الخامسة عشرة أن « بتيسى » بن « يتورو » قد حصل على الوظائف الكهانية فى كل من مصر الوسطى ومصر العليا ، وهى الوظيفة التى كان يشغلها والده ، غير أنه من الصعب أن يتعرف الانسان على أية واحدة من هذه بوجه التأكيد فى القائمة الطويلة التى نجدها فى القسم B — فتاريخ لوحة B هو السنة الرابعة والثلاثون ولكن على حسب القصة (١٣/٢٠) نجد أنها كانت قد حفرت نتيجة لحوادث وقعت فى السنة ٣١ ويشمل ذلك قتل حفيدى « بتيسى » (Cols II) ومن الجائز أنه قد مرت عدة سنين بعد القتل قبل أن يعيــد بتيسى الكهنة الى أماكنهم ، غير أنها كانت صدمة أن يوجد جسما الطفلين المجنى عليهما مخبأين فى حجزة خزانة المعبد ولم يعثر عليهما من قبل •

ومما يلحظ أن اللوحتين قد أرختا بنفس الشهر ، وقد فصــلا بفترة هى ثلاثون سنة ، وذلك طبعا فيه تلميح عاطفى ويمكن قرن تلك المدة بمدة العيد الثلاثينى الذى كان يقام للملك كل ٣٠ عاما وكذلك يلحظ أن مدة ٣٠ سنة تعادل جيلا • واذا كانت هاتان اللوحتان حقيقيتين ونسختا نسخا صحيحا فانه من الأمور الخطيرة لدى علماء التاريخ أن يجدوا التاريخ على لوحة لا يناسب وقت الحوادث المسجلة عليها ، كما فى اللوحة (B) ، وقد ظهر هنـا أن التاريخ ليس الا تاريخ نقش اللوحة وحسب ، وأن الحوادث المدونة عليهـا قد حدثت على الأقل منذ ست عشرة سـنة أو ثلاثين سنة قبل نقشها •

ويدل أسلوب متن اللوحتين على أنه غريب فى بابه فقـد أعطى أهميـة فوق العادة لرئيس السفن ومسـاعده ، ويحتوى على جمل لايمـكن وجود شبيه لها • فاذا كان « بتيسى » قد اختلق هاتين الوثيقتين تعضـيدا لظلامته فانه كان يجب عليه أن يجعلهما أكثر ملاءمة للقصــة ، ولكن لايمكن أن تقبلا على أنهمـا أصـليتان ، وذلك بسبب الصعوبات التى تقف فى وجه القصة ، وكذلك فى وجه ماجاء على لوحة « نيتوكريس »

الخاصة بتبنيها . ومن الأفضل أن نرجع القصة الى الوراء فيما يخص الحوادث الى عهد الملك « بسمتيك الأول » . ويحتمل مثل ذلك فى اللوحة الثانية التى هشمت بلا نزاع بعد عام ١٥ من عهد الملك « أمسيس » أى قبل كتابة الظلامة بخمس وأربعين سنة ، وأنه من الصعب أن نحكم على نسخة اللوحة الأولى بالتزوير ، وهى التى على حسب مانعلم كانت لاتزال منصوبة فى المعبد ليراها كل من يريد ، وعلى ذلك يجب علينا أن نستنبط على حسب طريقة ترجمة مثل هذه الوثائق المعتادة فى الآثار المصرية انه فى السنة التاسعة كان رئيس السفن هو «سمتاوى تفنخت» (كما جاء فى لوحة التبنى) فى حين أنه فى السنة الرابعة عشرة كانت هذه الوظيفة الهامة يشغلها « بتيسى » بن « عنخشيشنق » وهذا الاستنباط يختلف مباشرة عما جاء فى القسم (ب) فى الظلامة .

ونسختا اللوحتين (ا) ، (ب) قد كتبتا بالهيراطيقية ، ولما كان كل منهما موحدا بالآخر تقريبا فسنورد هنا ترجمة واحدة لهما .

(ا) نسخة من هاتين اللوحتين اللتين أمر بعملهما « بتيسى » بن « يتورو »

(ب) نسخة من اللوحة المصنوعة من حجر الفنتين وهى التى أقيمت أمام «آمون»

(ج) نسخة من اللوحة التى كانت قد محيت على طوار من الحجر .

(ا) (١٢/٢١) السنة الرابعة عشر من شهر حتحور من عهد جلالة حور العظيم .

(ب) (٩/٢٢) السنة الرابعة والثلاثون الالهتان « سيد السلاح » « حور المنتصر ، الشجاع ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «واح اب رع» « بسمتيك » .

كان جلالته مهدئا للأرض ، وخامدا الثوار (؟) فيها وممونا كل معابد الجنوب (١٤) والشمال . لقد قيل أمام : الكاهن الأول للاله « حرشف » ملك الأرضين كاهن « أوزير » صاحب « نارف » فى مكانه : المشرف على كهنة الاله « سبك » صاحب « شد » (الفيوم) المشرف على السفن لكل الارض « بتيسى » بن « عنخشيشنق » .

(١٦) ان معبد « آمون » صاحب الثناء العظيم (كصوت الكبش الذى يتقمصه الاله آمون آيل للخراب بسبب الضرائب الفادحة عليه •

تأمل أن شريفه الذى يسكن فى هذه المدينة (طيبه ؟) (١) والكاهن والد الاله لآمون رع ملك الآلهة وكاهن آمون رع (٢٢ / ١٣) فى حريم أوزير (؟) ! ومادح الروح (؟) والذى فى الحجرة ، واهاب (٢) الآلهة «موت» (؟) : والابن الذى يحبه ، خادم « نيت » وكاهن «آمون رع» صاحب الثناء العظيم وسيد الصخرة العظيمة ، وتاسوعه من الآلهة : (١٤/٢٢) وكاهن « أوزير » : وكاهن « سوكاريس » ؟ وكاهن «اسى» (ازيس) ، وكاهن آمون ملك الارضين (وانتب) ، وتاسوعه من الآلهة ، وكاتب شونة الغلال ، وكاتب المعبد ، ووكيل هذا الاله « بتيسى » بن « يتورو » الذى تدعى أمه « تتبهنيت » — (وأقول أن هذا الشريف) قد جعله يسمعها ، (١٨/٢١) وهذا الشريف فهم (؟) الأمر الى أساسه (؟) قائلا :

اذا ألغيت ضرائب معبد « آمون رع » صاحب الثناء العظيم فعندئذ (١/٢٢) ستكون هذه المدينة فى خدمتك ، ولن يكون فيها شىء خاطئا •

وقد وضع هذا الشريف فى قلبه أن يجعل هذه المدينة فى خدمته • ولماذا يناقش ضابط الجيش هذه الضريبة مع كل كاتب لكل مدينة تابعة له ومع كل عميل ومن شابهه• وقالوا أنها لم تدفعها فيما مضى (؟) وقد غضب من ذلك ، وبعد ذلك أرسل ضابط الجيش هذا شريفه هذا الذى يسكن فى هذه المدينة وهو « بتيسى » بن « يتورو » قائلا : لاتدع ضرائب تفرض على معبد «آمون» صاحب الثناء العظيم أبديا وسرمديا — وذلك لأنه لم يدفع ذلك من قبل • وحفظ كل كاهن وكل فلاح (؟) و حرس من دفع ضريبة الى الأبد ، ضد كل شريف وكل مأمور وكل وكيل وكل ابن بيت (أى شخص له حقوق وراثية) •

---

(١) فى المتن ب فقط •

وقد عمل ذلك ليحمى هذا المعبد ، وأولئك الذين فيه لأجل أن يعملوا له بمثابة عجول فى المرعى (قد يجوز أنه يعنى أنهم يتمتعون بالحيـاة كما تتمتع صـغار البقر فى المرعى) .

وأن الذى يقر هـذه اللوحة سـيكون له حظوة (آمون رع ملك الآلهة) باى (= الروح) أو الكبش وهذا اسم للاله «أرسفيس» ، وكذلك آلهة أخرى فى صورة الكبش (وقد كان الكبش الخاص بذلك له قرنان منبسطان فى حين أن الكبش الخاص بامون كان قرناه ملويين) ، واسمه سيصير طيبا ، وسيكون ابنه فى مكانه وبيته ثابتا على أساسه .

وان من يهاجم هذه اللوحة (٦) سيكون قاطعا لذنوبه فى الدائرة العظيمة [١] لأولئك الذين فى « اهناسيا » (أى مجلس القضـاة) وأنه سيكون من نصيب سـكين « حنب » [٢] (= الحية المقدسة) القاطنة فى نارف » وابنه سيكون مختفيا وبيته لن يبقى بعد ولحمه يؤخذ (٧) الى النـار ومأواه « آتون أوزير » فى « مكث » (مكان ظلم) واسمه لن يكون بين الاحياء أبدا .

وهكذا تنتهى هذه القصة الطريفة فى بابها وقد حوت بين دفتيهـا لمحات فى تاريخ الأسرة السادسة والعشرين حتى بداية العهـد الفارسى وقد أوردناها فى عهـد الملك بسمتيك الأول لأن معظم حوادثها وقعت فى عهد هذا الفرعون وسنشـير الى ماجاء من حقائق عن سائر ملوك هذه الأسرة فى سياق الكلام عنهم كلما جاءت مناسبة لذلك وعلى أية حال فانا قد آثرنا سردها هنا بأكملها حتى يمكن للقارىء أن يتتبع سير الحوادث فيها دون انقطاع . هذا ونعود الآن الى متابعة تاريخ بسمتيك وعظماء الرجال الذين عاشوا فى عصره .

---

(١) يقصد بالدائرة العظيمة دائرة المحكمة التى يحاكم أمامها يوم القيامة
(٢) الحية المقدسة الخاصة بالفيضـان فى مقاطعة أهناسيا

الكاهن نسناوياو

يعد « نسناوياو » من أبرز الرجال العظام الذين عاصروا الملك « بسمتيك الاول » كما تحدثنا عن ذلك النقوش التى وجدت على تمثال له من الجرانيت الأسود والمحفوظ الآن بمتحف « برلين » (راجع A. Z. 4 4 P. 42) .

ويحمل هذا العظيم لقب كاهن الاله « حور » فى « ادفو » . وقد مثل « نسناوياو » فى هذا التمثال قاعدا القرفصاء ، وصناعة التمثال متوسطة الحالة ، وليس فى هيئة جسمه وتقاطيع وجهه مايلفت النظر ، هذا وقد وجد مشوه الأنف .

ويلحظ أنه قد نقش على الجزء الأعلى من ساعديه عموديا اسم الملك « بسمتيك » ولقبه . فعلى الذراع اليمنى نقش : « بسمتيك » وعلى الذراع اليسرى نقش «واح اب رع » . وتبتدىء نقوش هذا التمثال بذكر لقب المتوفى واسمى والديه مع التماس من صاحب المقبرة من زائريه أن يتلوا صيغة القربان الجنازية المعروفة ، وعلى ذلك سينالون جزاءهم الأوفى فى الحياة الآخرة ، ثم يتلو ذلك تقرير مختصر من المتوفى عن معاملته الحسنة للناس والآلهة اذ كان يعمل كل مايحبه الناس والآلهة ، وخاتمة النقش التى تشير الى بدايته تحتوى على ذكر الاله حور صاحب « ادفو » .

ولا نزاع فى أن التمثال كان مقاما فى معبد « حور » بادفو كما يدل على ذلك الأسطر ٣ ، ١٩ الخ .

وتدل شواهد الأحوال على أن المتوفى قد وضع تمثاله هذا فى معبد «حور» لأجل أن يتمتع بالقربات التى كانت تقدم لهذا الاله فى معبده ، كما كانت العادة منذ أزمان بعيدة .

وتمثيل صورة المتوفى قاعدا القرفصاء كانت من الاوضاع المحببة فى هذه الفترة منذ عهد الأسرة الاثنتين والعشرين (٢٢) وما بعدها . وقد كان أمثال هذا التمثال توضع فى ردهة المعبد وذلك على غرار ماكان يعمل فى عالم الدنيا ، فكما أن أتباع السيد

العظيم كانوا يجلسون فى ظل ردهة قصر سيدهم عندما كانوا يفرغون من عملهم اليومى ، كذلك كان يرغب أهل التقى والصلاح بعد نهاية حياتهم الدنيوية فى أن يقعدوا فى معبد سيدهم الآلهى وينعمون بالراحة الأبدية . وهاك النقوش :

(١) يارع «حور أختى» أيها الاله العظيم ، رب السماء ، ـ الامير الوراثى والحاكم وكاهن « حور ادفو » ، والمعروف لدى الملك حقا « نسناوياو » بن « حورروزا » وابن ربة البيت « ثس ـ نيت ـ برت » المرحومة يقول (هكذا) عندما تضرع لأوزير لاجل الاله الكامل (له الحياة والصحة والعافية) رب الأرضين (المسمى) « واح ـ اب ـ رع » بن « رع » (المسمى) « بسمتيك » العائش أبديا » .

(٢) أنتم ياكل الكهنة والعظماء والكتاب الذين يدخلون فى معبد « ادفو » يوميا (٤) لتقديم القربان قولوا من أجلى صيغة القربان : ألفا من الخبز والجعة والثيران والاوز (وكل الاشياء) التى منها يعيش اله لاجل روح الأمير الوراثى والحاكم « نسناوياو » بن « حورروزا » ، وأن الآلهة والآلهات الذين يأوون فى هذا المكان ليتهم يمدحونكم ويثبتون أولادكم فى أماكنكم اذا ما نطقتم اسمى ، ومن سينطق الاسم ممن يعيش ويرى آخر (انك تعمل ذلك لى) فان المثل سيعمل لك » .

وبعد هذه المقدمة يبتدىء بطلنا يقص علينا قصة حياته فيقول :

انى سأقول لكم ماذا حدث لى ـ وليس فيه كذب ـ لقد أعطيت الجوعان خبزا ، والعريان كساء ، واحتفلت بعيد عزق الأرض لسيدتى سنويا فى يوم السكر ، ليتها تكافئنى على ذلك بحفظ الحياة . (والمقصود هنا بالسيدة هى الآلهة « حتحور » سيدة « دندرة » أما عيد عزق الارض فكان يحتفل به فى ١٢ كيهك) راجع (Rec. Trav. V, 86 § 89

لقد أعطانى سيدى مكافأة اذ جعلنى أميرا وراثيا (للمكان المسمى) « بر إنب

لقد أعطانى سيدى مكافأة مرة ثانية اذ جعلنى أميرا وراثيا على «بر ـ نب ـأم

لقد أعطانى سيدى مكافأة مرة ثالثة اذ جعلنى أميرا وراثيا على « خاس تمح »

لقد أعطانى سيدى مكافأة مرة رابعة اذ جعلنى أميرا وراثيا على « بر ـ رما »

لقد أعطانى سيدى مكافأة (١٣) مرة خامسة اذ جعلنى أميرا وراثيا عظيما وأميرا على « راكايم » (١٤)

لقد أعطانى سيدى مكافأة سادسة اذ جعلنى أميرا على «مرت (؟) (١٥) نثرت »

لقد أعطانى سيدى مكافأة سابعة اذ جعلنى (١٦) .. على « طيبة »

لقد أعطانى سيدى مكافأة ثامنة اذ جعلنى (١٧) أميرا وراثيا على « الكاب »

لقد أعطانى سيدى مكافأة تاسعة (١٨) اذ جعلنى أميرا على « ادفو » وذلك لان مهارتى (١٩) كانت غالية فى قلبه .

وأن هذا الاله العظيم الرفيع صاحب وشى حور قد جعل اسمى يصلح مثل اسمه يبقى دائما وأبديا .. !

وأول مايلحظ فى هذا المتن أنه فى أوله كان عاديا بالنسبة لهذا العصر ولكن نجد من أول السطر التاسع حتى السطر الخامس عشر منه أن المتن يحتوى على مكافآت نالها صاحب التمثال تسترعى النظر وتحتاج الى درس عميق اذ تميط اللثام عن صفحة فى تاريخ هذه الفترة من تاريخ البلاد من حيث نظام حكمها فيقص علينا المتوفى كيف أن سيده أى « بسمتيك الأول » قد كافأه تسع مرات بتنصيبه فى كل مرة أميرا وراثيا [١] على ثمانى مدن مختلفة ، وأكثر من ذلك نصبه أميرا وراثيا أعظم على الغرب وكذلك خلع عليه وظيفة كبرى فى « طيبة » لم يعرف كنهها بعد .

ومن كل ذلك نفهم أننا أمام موظف عظيم من موظفى الدولة فى تلك الفترة .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أولا أن لقب كاهن الاله « حور ادفو » الذى كان يحمله لم يكن الا لقب شرف وحسب ، وقد جرت العادة فى زمنه أن يحمل مثل هذا اللقب

---

(١) وهذا يذكرنا بعهد الاقطاع فى خلال الأسرة الثانية عشرة وبخاصة فى « بنى حسن »

رجال عظماء الدولة وأعظم مثل أمامنا هو الحاكم العظيم « منتومحات » الذى كان يعتبر أكبر رجال عصره فكان يحمل لقب كاهن آمون الرابع (راجع الجزء الحادى عشر ص ٢٨٧) . والواقع أن الوظيفة الأصلية لبطلنا كانت دنيوية قبل كل شيء ، وذلك على الرغم من أنه كان يلقب في نقوش مائدة قربان له «مدير كهنة حور ادفو» مما يدل على أنه كان يقوم فعلا بأعباء هذه الوظيفة . أما مواقع البلاد التى أقره الملك عليها فيجد الباحث لأول وهلة أنها تشتمل على بعض الصعاب من حيث تحديد مواقعها وبخاصة الخمسة الأول . والواقع أنه ليس لدينا مايساعد على تحديدها الا الأسماء التى جاءت على لوحة التبنى التى خلفتها لنا المتعبدة الآلهية « نيتو كريس » فنجد أن الاسمين الرابع والخامس فى لوحة التبنى وهما « منف » و « كوم الحصن » يقابلان الاسمين الاول والثانى فى متن التمثال الذى نحن بصدده ، وعندما نرى أن اسم المدينة الثالثة فى المتن الذى نفحصه يدعى « خاس ـ تمح » أى أرض « لوبيا » وأن « نسناوياو » كانت مكافأته فى الدفعة الخامسة هو الامير العظيم لبلاد الغرب ، فان ذلك يوحى الينا بأن نظن على وجه التقريب أن المدن الخمس كانت كلها فى الوجه البحرى وأنه كان قد نصب حاكما على هذه المقاطعة وأنه بعد ذلك قد ثبت بوصفه حاكما على كل واحدة منها على انفراد .

ينتقل بنا المتن بعد ذلك الى مدينة أخرى وهى السادسة وهى مدينة « تثرت » وهى التى وحدها « بروكش » بلدة « أزيوم » ((Iseum)) القديمة وبلدة « بهبيت الحجر » الحديثة الواقعة فى وسط الدلتا شمالى « سايس » . أما المدن من السابعة حتى التاسعة فى متننا فهى « طيبة » و « الكاب » ثم « ادفو » وكلها فى الوجه القبلى . على أن امتداد سلطان رجل واحد بعينه يصبح بعيد المدى بهذه الصورة يعد من الامور الغريبة حقا .

ولا نزاع فى أن الانسان يمكنه أن يجد حلا لهذه المعضلة وذلك بأن ماجاء فى الأسطر من التاسع حتى الخامس عشر يصور لنا حالة مصر السياسية فى السنين الاولى

من حكم « بسمتيك الأول » بصورة غير مباشرة ، فلدينا فى هـذا النقش سجل هام نفهم منه أن الملك الجديد قد أعاد للبلاد وحدتها بعد أن كانت منقسـمة قسمين الدلتا والصعيد .

ففى عصر الحكم الكوشى الآشـورى كانت الوحدة الحـكومية معدومة . وكانت المدن الكبيرة بمالها من أرض محكومة بأمراء مستقلين كل يناهض الآخر . وقد كان « بسمتيك » واحدا منهم أميرا على « سـايس » غير أن طموحه وشـجاعته كانا يفوقان طموح الآخرين وشـجاعتهم .. وكان والده « نيـكاو الأول » قد نصب من قبل الا شوريين كما قلنا حاكما على أرض الكنانة ، وقد كان جل هم « بسمتيك » توحيد البلاد تحت سلطانه ، ولذلك كان أول واجب عليه هو أن يخضع الامراء المناهضين له وذلك بانتزاع استقلالهم من أيديهم .

وكان كل من لم يخضـع عن طيب خاطر يخضـعه على أية حال بمهـارته وحسن سياسـته دون أن يلحق به أذى ، ومن ثم أصبح أمراء المدن الذين سلموا عن طيب خاطر يشاطرونه الاخلاص ، ومن بين هؤلاء « نسناو ياو » . ولابد أنه كان له أهمية خاصة ، ولا أدل على ذلك من أنه بعد خضوع الدلتا كان يشـغل مكانة عليـة وعندما امتدت سيادة « بسمتيك » نحو الجنوب تولى بطلنا وظائف فى « طيبة » وفى « الكاب » وأخيرا فى « ادفو » التى لم تكن بعيدة عن الحدود الجنوبية للمملكة المصرية .

وقد كان « نسناو ياو » هذا يقطن فيها حتى مماته ، أما تعيينه فى الوظيفة التى كان يشغلها فى « طيبة » فلابد أنه لم يكن بعد السـنة الثامنة من حكم « بسـمتيك » بزمن طويل ، وذلك لأن « تانو تأمون » كان لايزال فى خـلال السـنة الثامنة من حكم « بسمتيك » قابضا على زمام الامور فى « طيبـة » ، ونعلم ذلك من لوحـة التبنى التى خلفتها لنا المتعبدة الآلهية « نيتوكريس » ومن جهة أخرى لم نجد من بين المدن التى قدمت جزية للمتعبدة الإلهية « نيتو كريس » بلدة من البلاد التى جنوبى « طيبة » . وهذا يوحى بأن الارض التى كانت فى الجنوب لاتزال تحت نفوذ « تانو تأمون » أو من

أتى بعده من الملوك « الكوشيين » ، وعلى ذلك فان تنصيب « نسناو ياو » أميرا على كل من « الكاب » و « أدفو » قد جاء بعد السنة التاسعة من حكم الملك « بسمتيك الأول » .

ومن المهم أن نلحظ أن « طيبـــة » كانت المدينـة الوحيـدة التى لم ينصب عليهـا « نسناوياو » أميرا من بين المدن التسع التى ولى عليها ، وهذا يرجع الى حقيقة تاريخية كبيرة وذلك أن أمير « طيبـة » أو حاكمها وقتئـذ كان « منتومحات » الذائع الصيت . وتدل الوثائق التاريخية التى فى متناولنا على أن «بسمتيك الأول» قد اعترف به حاكما عليها كما يتضح ذلك جليا من لوحة التبنى التى خلفتها لنا « نيتوكريس » اذ نجد أنه كان لايزال حاكما على المدينة عندما وصلت اليها « نيتوكريس » لتسلم مهام وظيفتها .

ومما يؤسف له أنه لايمكننا أن نعرف أية وظيفة كان يشغلها « نسناو ياو » وذلك لأن اللقب الذى حمله فى نقوش هـذا التمثال ليس معروفا ولكن من مخصص الكلمة يظهر أنه كان شبه ملاحظ أمين يثق فيه الملك تماما فى مثل هذه المدينة العظيمة الواقعة فى الجنوب بعيدة عن عاصمة ملكه التى فى أقصى الشمال .

هذا وتوجد مائدة قربان فى متحف « فلورنسا » لنفس « نسناو ياو » صاحب التمثال الذى تحدثنا عنه . والنقوش التى على هـذه المائدة لها أهميتها ولا بد من ذكرها هنا (راجع **(Schiaparelli's Katalog, der Agyptischen Sammlung des Museum in Florenz S. 433 f.).**

وهاك ترجمتها : « رع حور أختى الاله العظيم الذى يسـكن فى « ادفو » أنه يعطى الحياة والعافية والصحة والعمر الطويل وشيخوخة جميلة عالية مع سرور القلب (كسر من ٢-٣ سنتيمترات) للامير الوراثى والحاكم وللمحبوب حقا المعروف لدى الملك ومدير الكهنة ... وللحاكم العظيم للغرب « نسناو ياو » (؟) والعائش ابن «حوروزا» وأمه هى «نس - نيت - برت» وهكذا نجد أن هذه المائدة ينطبق معظم مافيها على ماجاء من نقوش على تمثال هذا العظيم .

القائد حور حاكم « أهناسيا » المدينة و « بوصـــير » و « هليو بوليس »

يوجد تمثال هذا القائد والحاكم العظيم الآن بمتحف « اللوفر »[١] وقد مثل واقفا ورأسه قد ضاع وقد نقل نقوشه بعض الاثريين نخص بالذكر منهم « بيريه » ثم « بروكش »[٢] ثم ترجمها كل من « برســتد »[٣] وأخيرا ترجمها وعلق عليهــا الأثرى « فركوتر »[٤] والتمثال مصنوع من الجرانيت الأسود وقد ضاع منه بعض أجزائه ، وأهمية هذا التمثــال تنحصر فى النقوش التى عليه ، وقد اختلف فى تحديد الزمن الذى عاش فيه صاحبه وسنورده هنا على أية حال .

المتن والترجمة :

يلحظ لأول وهلة عند رؤية التمثال أن المتن الذى يغطى كل العمود الذى يستند عليه ظهر التمثال غير كامل ، فقد ضاعت بداية أربعة الأعمدة من النقوش وكذلك الرأس . ويضاف الى ذلك أن قاعدة التمثال غير كاملة .

وخلاصة ماجاء فى المتن هى أن صاحبه يبتدىء بمديح نفسه ثم يذكر ألقابه وسلسلة نسبه ويستمر المتن بدعاء لاله « اهناسيا » المدينــة وهو «حرشف» ثم يعدد الأوقاف التى عملت فى معبد هذا الاله ، وكذلك فى المعابد المجاورة على يد القائد «حور» ثم يشير بعد ذلك الى هبات من الأرض والأشياء الأخرى ويستحث الغيرة الدينية فى نفس صاحب الهبة ، وفى النهاية يتطلب القائد فى مقابل ذلك حماية الاله «حرشف» له ، غير أنه مما يؤسف له لم يذكر فى نقوشه اسم الملك الذى عاش فى عصره ، ومن ثم جاء الاختلاف فى تحديد عصره .

---

(١) راجع (Louvre A. 88 Haut 1. m. 19; cf De Rouge Not. Mon. (1877) P. 42; Boreux Cat. Guide P. 52).

(٢) راجع Rec. Insc.... du Musee du Louvre I P. 14; Brugsch, Thesaurus, VI P. 125 2.

(٣) راجع Breasted, Anc. Records IV § 968 - 971.

(٤) راجع Bull. De L'Institut Français D'Archeol. Tom. XLIX 85 ff.

وهاك الترجمة الحرفية لهذا المتن :

(١) مديح وألقاب وسلسلة نسب المهدى :

... الذى يعمل أشياء مفيدة فى «اهناسيا المدينة» ، والذى يسهر على اصلاح«نارف» والذى يحمى «اهناسيا المدينة» ويصد أعداءها ، والذى يحمى من يتأخر فى شوارعها بتأكد كما فى المحراب ، والذى يبعد الأعداء عن اقليمه ، حاكم اقليم « اهناسيا المدينة » القائد «حور» بن رئيس جنود «بوصير» (المسمى) «بسمتيك» الذى وضعته السيدة «نفرو سك» يقول :

(٢) تضرع للاله « حرشف » :

ياسيدى وياآلهى «حرشف» ملك الأرضين ، وأمير الشواطىء ، الاله الفرد الذى لا مثيل له . انى (رجل) موال مخلص لك (حرفيا:يمشى على مائك) ، انى قد ملأت قلبى بك ، والطريق الجميلة للذى يطيع جلالتك فانك جعلت قلبى يشرئب نحوها . وان قلبى يبحث عن الخير فى معبدك ..

(٣) المبانى فى معبد « حرشف » وفى المعابد المجاورة :

... (لقد عملت ...) (بوابة) فى قاعة العمد لحرشف بصناعةممتازة ليس لها نظير فالعمد من الجرانيت ، والرواق الأمامى من أرز «لبنان» الجميل ، والزينات العدة من الذهب تقليد لأفق السماء ، وجدرانها الجنوبية الشمالية من الحجر الجيرى الأبيض الجميل ، والباب الداخلى من الجوانيت المرصع بالذهب ، والمصراعان من السام . ولقد أصلحت محراب الوجه القبلى ومحراب الجنوب ومحراب الشمال فى هذا المكان وكذلك معبد «نحيكاو» وأقمت جدارا حول بحيرة «ماع» [1] وهدمت .... وجعلت (جعلت فاخرا) الردهة الأولى القريبة من «حبسبجت» . وعملت حقا عملا ممتازا فى بيت « حرشف » سيد الآلهة .

---

(١) يقال انها البحيرة التى دفن فيها اوزير ، راجع A. S. XVIII, P. 123)

(٤) اعطيات من الأرض والأشياء :

أعطيت هبة قطعتين من الأرض (كروم) الاله الروح العظيم الأزلى «حنب» (يحتمل أن ذلك اسم الاله) الكبش العائش (أو الروح العائشة) لرع لأجل أن النبيذ الذى يأتى منه يقرب له يوميا ، ولقد عوضت أصحابها (أراض) بوساطة متاع من بيتى . ودفعت لهم أجرا (سر قلبهم) لأنى علمت أن السرقة ممقـوتة من الله . وصـنعت مائدتى قربان من حجر الكوارتسيت (؟) الأبيض لأجل أن تقرب القربات الآلهية عليها ، واحدة منهما فى «تبحت جبات» القبر الذى ينام فيه «آتوم القديم» والآخر فى «نررف» سماء (= مقصورة) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «وننفر» (= اسم من أسماء «حرشف»)

(د) نشاط منوع لصالح الآلهة :

.... الاله «حرشف» وتاسوعه لقد أصلحت ماكان قد محى فى معبده ، وقد أمرت باخراج «حتحور» (العظيمة) فى سفينتها فى وقت عيدها الجميل فى الشهر الرابع من فصل الشتاء ، اليوم الخامس حتى .... يوم ؟

(٦) الخاتمـــــة :

لقد عملت هذه الأشياء بقلب فرح .... هناك . ليتك تفتح ذراعى لأجل أن أضم .... الذى كان فى قلبى ، عندما كنت أعمل أوقافا فى معبدك . ضع ذراعيك خلفى (أى احمنى) بالحياة والصحة . لقد أنجزت ماكان فى قلبى (أى ماصممته) فى معبدك .

ليتك تمنحنى المكافأة على مافعلت : حياة طويلة ، راحة القلب مع بقائى فى حظواتك أنت يالأمير الشواطىء . ليت اسمى يبقى ثابتا فى «اهناسيا» المدينة «حتى تأتى الأبدية ..»

هذا وقد عثر الأثرى «دارسى» على بقايا تمثال محفوظ بمتحف «الاسكندرية» قال عنه أنه مرتبط بالتمثال الذى فحصناه هنا (راجع A. S. V, P. 127) وقد دل الفحص على أنهما لشخص واحد على وجه التقريب وبخاصة عند قرن النقوش فى كل بعضها ببعض فقد وجدت متحدة فى كثير من الألفاظ . ويلحظ أن ماتبقى من تمثـــال

«الاسكندرية» فيه ايضاح أكثر فى بعض النقاط .

وهاك ماتبقى من تمثال «الاسكندرية» :

(١) مديح والقاب المهدى :

.... (بنصيحة مفيدة بوساطة) كتاباته ، والذى يدخل أولا ويخرج آخرا وملاذ المعدم ، (والذى يحمى) الناس ، ومن صحته مرتجاة عند كل الناس ، ومن قلبه مفعم بولائم الاله ، ومن يصلح كل ما وجد ناقصا فى المعبد ومن يحيط أرواحهم المقدسة (أى الحيوانات المقدسة) فى الجبانة ، والذى يقدم طعاما (لموائدهم) .... وهو واحد لا (خطيئة له) وما يمقته هو هو الرجل الذى لا يعرف الدفع (أى الذى يتجاهل دفع الأجر) ، والذى يملك متاعها أكثر من مخزن الغلال الملكى (أى الشونة المزدوجة للوجهين القبلى والبحرى) والوفير الحصاد ، من يعيش جم غفير (ملايين) فى مدينته ، وفيضان مدينته عندما يفتقد الماء ، حاكم مقاطعة «بوزريس» (أومنديس)و«هليوبوليس» و ... الأمير الوراثى ... »

(٢) التضرع للاله وذكر المبانى :

(يقول يا آلهى « حرشف » سيد) كل الآلهة انى (رجل) صادق القلب موال لك، وخوفك فى قلبى كل يوم ، لقد عملت رواقا عظيما فى داخل قاعة العمد الخاصة بالاله «حرشف» وقاعة العمد من الجرانيت والرواق (من الأرز)

(٣) العطاء (؟) والخاتمة :

(من النبيذ) من بيتى نفسى لأنى أعرف أن الاله فى حاجة لذلك (حرفيا: كانت حاجة الاله) والمكافأة منك ياسيد الآلهة (ستكون) :

« أن تعمل أن يكون الخوف منى فى قلب الناس وأن يسقط أعدائى بسيفك وأنك ستجعل سنى عديدة .... »

تعليق : وضع هذا التمثال « برستد » فى عهد الملك « بسمتيك » ولكنه قال ان هذا محض تخمين . وقد تناول بالبحث والموازنة الأثرى «فركوتر» كلا من تمثـال

« الاسكندرية » وتمثال اللوفر ، وخرج بالنتيجة التالية : يمكن اذا أن نصرح أن تمثال «اللوفر» يرجع الى عهد الأسرة الثلاثين ، أما تمثال «الاسكندرية» فيمكن أن يكون أحدث منه بقليل فمن الجائز أنه نحت تقليدا لتمثال «اللوفر» فى أوائل العهد الاغريقى، أى بعد مضى عشرين عاما على نحت التمثال الأول ، وهذا يفسر الفرق البسيط من حيث الكتابة بين الأثرين والتغير فى مكانة الحاكم «حور» . وبالاختصار فان «حور» كان حاكما حربيا على «اهناسيا المدينة» فى عهد أحد فراعنة الأسرة الثلاثين ، ومن المحتمل جدا فى حكم «نخت حورحب» (نقطانب الثانى) كان قد أخذ على كره منه - كما يحتمل - فى حومة الفتح الفارسى الثانى والحرب مع الاسكندر الأكبر الخ .

وهكذا نرى أن هذا التمثال وصنوه الذى عثر عليه فى الاسكندرية ليس لهما علاقة بعهد « بسمتيك الأول » على حسب رأى «فركوتر» ، ولكن الأثرى « كيس » يضع هذا القائد فى عهد الملك «نيكاو» (راجع A. Z., 85 P. 73) فى حين أن « ارمان » و « جرابو » يضعانه فى العهد الاغريقى (راجع (W. b, 3. P. 326) وهكذا نرى أن تاريخ هذا الأثر لا يزال حائرا بين الشك واليقين ، فاذا كان صاحبه قد عاش فى عهد الملك بسمتيك كما يظن «برستد» فنكون قد وضعناه فى مكانه التاريخى الصحيح ، أما اذا كان قد عاش صاحبه فى عهد «نيكاو الثانى» كما يدعى «كيس» فانه لا يبعد كثيرا عن رأى «برستد» ، وأخيرا اذا كان كما يدعى «فركوتر» قد عاش فى أواخر العهد المصرى وبداية العصر الاغريقى فانه ينبغى أن يوضع فى نهاية الحكم المصرى لأرض الكنانة . وبعبارة أخرى فى عهد « نقطانب الثانى » .

بابسا : المدير العظيم للمتعبدة الالهية ((نيتو كريس))

جاء ذكره وألقابه على تمثال فخم للالهة «تواريت» التى تمثل فى صورة فرس البحر والتى تعد الآلهة الحامية للطفل الوليد وقد عثر على هذا التمثال فى الكرنك فى الجهة الشمالية من المعبد الكبير ، وقد كان محفوظا داخل ناووس من الحجر الرملى ، وقد نقش عليه تعبد لهذه الآلهة قدمته المتعبدة الآلهية «نيتوكريس» ، كما ذكر عليه

تعبد آخر قدمه «بابسا» ، ومن ثم نفهم أنه هو الذى أهدى هذا التمثال على مايظن فيقول فى تعبده : المديح للآلهة «تاورت» العظيمة سيدة الأفق .. من الأميرالوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب وكاهن «آمون رع» ملك الآلهة ، والمشرف على كهنة الأرض الجنوبية ، والمشرف على الجنوب قاطبة والمشرف والمدير العظيم لبيت المتعبدة الآلهية «بابسا» بن الكاهن محبوب الاله «بدى باست» المرحوم . وقد كتب ابنه «تاحور خبش» (حور قبض على السيف) على قاعدة هذا التمثال أيضا ومن ثم نفهم أنه هو المهدى لهذا التمثال .

ويحمل لقب : الذى فى حجرة المتعبدة الآلهية وخادم «رع»

(راجع Daressy, Cat. Gen. Stat. Divinités P. 284)

العقود فى عهد « پسمتيك الأول » (١)

لاحظنا فى الجزء الحادى عشرة ص ٢٦٣ أن آخر عقد بيع كان مؤرخا بالسنة السادسة عشرة من حكم الملك «تهرقا» أى قبل تمام الفتح الآشورى لمصر . وعندما ندخل فى العقود التى دونت فى عهد الأسرة السادسة والعشرين تصادفنا عقبة وذلك أنه ليس لدينا فى هذه العقود مايميز عقود كل من ثلاثة الملوك الذين يحمل كل منهم اسم «بسمتيك» ولذلك أصبح من الصعب معرفة لمن يكون العقد الذى عليه اسم «بسمتيك» فهل هو للأول أو للثانى أو للثالث ؟ والواقع أن الأول حكم أربعا وخمسين سنة والثانى حكم خمس سنين ونصف سنة والثالث حكم بضعة أشهر وحسب . ومن ثم نفهم أن كل التواريخ التى بعد السنة السادسة أو على الأكثر فى السنة السابعة لا بد أن تنسب الى أول ملك حمل اسم «بسمتيك» . والتواريخ المعروفة لنا على الأوراق البردية وتحمل اسم «بسمتيك» هى :

٢ سنة ، ٤ ، ٥ ، ٦

---

(١) راجع Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Library, Vol III, P. 17 ff.

و٢١ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، (؟) ٣١ ، ٣٣-٤٢ (على ورقة واحدة) ، ٤٥ ، ٤٧

ويلحظ أنه فى حين أن كل التواريخ التى فى السطر الثانى هنا لا بد أن تكون للملك «بسمتيك الأول» وهى تتبع بعضها بفجوات وأكبر فترة هى مدة ثمانى سنوات . ومن جهة أخرى نجد أنه بين السطرين فجوة لا تقل عن خمس عشرة سنة ، وعلى ذلك نجد أنه من للسنة ٢-٦ يكون مجموعة منفصلة تماما . والمفروض أن هذه التواريخ خاصة باسمى «بسمتيك الثانى والثالث» . وقد يرجع السبب فى ذلك الى أنه كان من المحتمل أن «مصر العليا» لم تكن قد أفاقت من الاضطرابات التى انتهى بها عهد «تهرقا» أو أنها من ناحية أخرى لم تكن فى حالة تؤهلها للقيام بنشاط كبير من هذا النوع قبل السنة العشرين من حكم «بسمتيك الأول» . ولا بد أن نضيف هنا الى الأوراق البردية القانونية لوحة محفوظة الآن بمتحف «اللوفر» سجل عليها بيت كما سنرى بعد ، ومن المحتمل أن عقد البيع هذا قد حدث فى السنة الخمسين من حكم «بسمتيك الأول» ، غير أن قراءة التاريخ فيها شك ، ولذلك قد يحتمل أنها من عهد «بسمتيك الثانى» (راجع (Catalogue of The Demotic Papyri in the John Rylands Library, Vol. III, P. 17).

وهاك ملخص العقود التى دونت على البردى فى عهد «بسمتيك الأول» بالخط الهيراطيقى الشاذ باستثناء العقدين اللذين عثر عليهما فى «الحيبة» فى مجموعة «ريلاندز»

الاعتراف بحق المشاركة فى وظيفة :

(راجع (Louvre E 2432, Deveria P. 207, Not., P. 279 fascimile

(Textes. Arch) السنة التاسعة والعشرون فى ٢١ أبيب . عين المرتل بنوفى Pnufi (المحنط) بلسان الصدق « س » (فلان) فى وظيفة « سقاء » فى مقابل ربع مكان الدفن الذى باعه «س» (فلان) له من مدفن أسرته . يأتى بعد ذلك اليمين ، والكاتب الشاهد وأربعة شهود وثلاثين منهم شهادتان طويلتان .

بيع أرض وصك تسلم

(راجع (Turir No. 246, Not., P. 281 Facsimile in Textes Arch.

السنة الثلاثون ، الخامس من شهر برمودة باع كل من «اسنخبى» Esenkhebi و «نى منخبررع» Ne Menekhpre' وهما بنت وابن «خفنخنس Khefenokhons عشرة أرورات من أرض أجدادهما فى «أرمنت» التابعة لمعبد «آمون» ، لشخص يدعى « حاروز » Harouz بثمن قدره ثلاثة قدات بالاضافة الى جباية العشر (= ٢/١٠ قدت) وهذا المبلغ يدفع الى كاتب حسابات المعبد ، وذلك ايفاء لاتفاق عمل مع «حاروز» بوساطة والدهما وقد سلما صكا مقابل فضة ، ولكن عقود اثبات الملكية لم تكن فى متناولهما لتسليمها • يأتى بعد ذلك صيغة اليمين ، والكاتب وعشر شهادات بعضها كامل والشهادتان الأخيرتان هما لموظفين جاء فيهما بعض تفصيلات اضافية وظهر فيهما أنه كان يوجد أحد عشر أرورا من بين عشرين أرورا قسمت بين الوالد وأخيه وهذه الأخيرة كانت النصف من أربعين أرورا قسمت بين الجد وأخيه •

عقد بيع عبد •

(راجع Vatican Not. P. 288 Facsimile in Quelques Textes)
مضمون العقد : فى السنة الواحدة والثلاثين فى ١٢ من شهر بئونة باعت «شنزى» Shpenesi ابنة «زيا منفعنخ» (؟) Zethutefe'nkh (؟) رجلا من أهل الشمال (بمثابة عبد) الى «س» (فلان) بمبلغ سبعة دبنات (؟) • ويأتى فى نهاية العقد اليمين واسم الكاتب وست شهادات • ومما يؤسف له جد الأسف أن هذه الوثيقة قد لحقها عطب كبير اذ كل سطر فيها قد ضاع نصفه • وهذا العقد هام من ناحية أن أهل الدلتا كانوا لا يزالون يباعون فى «طيبة» فى عهد هذا الملك • وقد لاحظنا فى نقوش «تهرقا» من قبل بيع العبيد • هذا ويدل منطوق هذا العقد واثنان آخران (راجع Ryl. Ibid. P. 50) على أنها عقود بيع كان فيها العبد يعتبر كالماشية • وهذه العقود تختلف جدا عن عقود العبودية الأخرى التى كان يبيع العبد فيها نفسه ، وعلى أية حال فان الحالة الأخيرة فيها بعض الشك اذ لا نعلم حق العلم اذا كان المباع يؤجر نفسه أو كان يبيع نفسه لوفاء دين ، ولكن الأرجح أن نعتبر الصنف الأخير هذا أنه بيع اختيارى

من رجل حر أو عبد فى مقابل سداد دين أو لأجل أن يحصل على ما يقيم أوده ، أو لأجل أن ينعم بحياة رغدة نسبيا . ومثل هذه الاحوال كانت منتشرة فى «فلسطين» و «بابل» . وقد كانت هذه الحالة موجودة فى مصر الى عهد قريب ثم محيت تماما بعد تحريم بيع الرقيق .

حسابات الصكوك :

راجع (Turin No. 244, Not. P. 288 Facsimile in Textes Arch.

فى السنين ٣٣،٣٤،٣٥،٣٦،٣٧،٣٨،٤١،٤٢ . لدينا ثمانى قوائم حسابات سنوية عن ١٠ + ١ أرورات من الأرض ملك فرد يدعى «حاروز» (الذى مر ذكره) وهذه الحسابات على ما يظهر توضح نصيب المعبد فى الحصاد وتقوم مقام صكوك التسلم ، وكل من هذه الصكوك قد وقع عليه كاتب حساب الغلة و(حتى عام٣٦) شهد فيها كاتب أو أكثر .

بيع بصك :

راجع Turin No. 247, Not P. 290, Facsimile in Textes arch; Comp. Brugsch Grammaire Demotique Pl. I, (A & B).

السنة الخامسة والأربعون الخامس من شهر طوبه يبيع «آبى» Api بن«حاروز» Harouz عشرة الأرورات التى اشتراها والده من «اسنخبى» Esenkhebi و «نى منخبرع » فى السنة الثلاثين الى «بتيزى» بن «ونأمون» Unamon بثمن قدره خمس دبنات من الفضه غير خراج العشر . هذا ويسلم وثيقة الملكية الخاصة بوالده وكذلك يعطى صكا بالمبلغ ، وفى الوثيقة حلف اليمين وامضاء الكاتب وعشر شهادات

هبة

راجع ((Turin No. 248, Not. P. 295; Facsimile in Textes Arch., better in Brugsch Grammaire Demotique Pl. II).

السنة السابعة والأربعون فى ١٨ من شهـــر أبيب ان «رر» ابنة « خنخنس »

Khenkhons زوج الأمير الوراثى والكاهن «بتيزى» بن «ونأمون» هى وأولادهاتتكلم أمام «أوزير خنتيأمنتى» (اله العرابة) والكاهن «بتيزى» بن «ونأمون» ، يمنحونه (الكلام موجه هنا لأوزير أو كاهنه) عشر الأرورات التى اشتراها نفس «بتيزى» هذا من « آبى » Api فى السنة الخامسة والأربعين . ولقد قررت الأرض له تحت رعاية سقاء وحدم وهؤلاء هم أولاد فرد يدعى«بفهريهازى» Pefhrihasie فالرحمة لمن أقر ذلك واللعنة على من ينقض ذلك : يأتى بعد ذلك اليمين وتسليم عقد الملكية القديم وعقد الملكية الجديد . وأحـد الأولاد هو كاتب الوثيقة والآخر يوقع بالموافقـة .

ويلاحظ هنا ان «بتيزى» يقدم هبة الأرض التى اشتراها فى «أرمنت» للاله «أوزير» رب «العرابة» وكان بوصفه كاهن الاله هو الشخص المتسلم للهبة ، وكانمنالضرورى لأسرته بوصفهم المستفيدين أن يعملوا الهبة) .

هذا ولدينا عقدان من طراز الكتابة الهيراطيقية العادية عثر عليهما فى « الحيبة » ويحمل كل منهما تأريخ السنة الواحدة والعشرين من عهد «بسمتيك» ولا بد أنهما يشيران الى «بسمتيك الأول» .

وهذان العقدان يعدان أقدم مثالين أكيدين من هذا النوع ، وقد ميزا بأنهما من سلسلة العقود المعتادة وهى كما قلنا تختلف عن سلسلة العقود الهيراطيقية الشاذة فى كل من الكتابة والصيغ ، وتقودنا مباشرة الى طرز الوثائق الديموطيقية القانونية . والأوراق الهيراطيقية الشاذة عثر عليها فى «طيبة» ، وتدل شواهد الأحوال على أن أسلوب كتابة الأسرة الخامسة والعشرين كان متبعا فى (العصر الكوشى) بوجه عام فى العاصمة الجنوبية حتى منتصف حكم الملك « أحمس الثانى » . وأوراق مجمـوعة «ريلاندز» التى عثر عليها فى بلدة «الحيبة» الواقعة فىمصر الوسطى خالية منهذا الطراز القديم (أو الرجوع الى القديم) . ولدينا لوحة هيروغليفية ديموطيقية ترجع الى السنة (الخمسين ؟) من حكم «بسمتيك الأول» وكذلك عقد عبودية مؤرخ بالسـنة الرابعة من عهد «بسمتيك» ويحتمل جدا أنه من عهد «بسمتيك الثانى» ، وهذان هما أقرب

كتابة للسلسلة المعتادة من حيث التأريخ للورقتين اللتين سنترجمهما هنا ، ومن المحتمل أن اللوحة والعقد قد أتيا من مصر الوسطى أو مصر السفلى .

العقد الاول :

بيع ثلاث وظائف الى «اسمتو» Essemteu فى معبد «توزوى» Teuzoui والمتن هو بيع وقع عليه البائع وابنه ، ويأتى بعد ذلك خمس عشرة نسخة من نفس العقد تحت أسماء شهود مختلفين ثم توقيع آخر .

الترجمة : السنة الواحدة والعشرون شهر بئونة [1] من عهد الفرعون [2] «بسمتيك» له الحياة والفلاح والصحة . الكاهن والد الاله «حور»بن«بمو» Pemu قد اعترف للكاهن

(١) لم يذكر يوم الشهر فى العقود المكتوبة بالهيراطيقية العادية . ويحتمل أن المقصود هنا هو اليوم الأول . وعلى اية حال فان لفظة « اليوم » تذكر غالبا فى صلب العقود المتأخرة . وشهر بئونة قد تكون بدايته اليوم الثانى أو الأول من مارس والسنة هى ما بين ٦٤٥ ، ٦٤٠ ق . م (راجع Mahler Chronolog. Tabellen)

(٢) ان كلمة « برعا » أى البيت العظيم كانت فى بادىء الأمر تستعمل للدلالة على البلاط الملكى والمؤسسات الملكية ثم نجد أنها استعملت شيئا فشيئا لتدل على شخص الملك ، وقد استعملت بهذا المعنى تماما فى عهد الدولة الحديثة . فقد وجد على لوحة هيراطيقية من عهد الأسرة الثانية والعشرين (الواحة الداخله) (راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ١٣٨) . أقدم مثل لاستعمالها بوصفها لقبا يسبق الاسم العلم للملك ، الملك فرعون له الحياة والفلاح والصحة « شيشنق » له الحياة والفلاح والصحة ، وذلك فى التأريخ ، ولدينا مثل آخر : فرعون له الحياة والفلاح والصحة (بسوخعنى) له الحياة والفلاح والصحة فى السطر الحادى عشر . هذا ونجد فى الورقه التى نحن بصددها كما يوجد غالبا فى الورقة الثانية أن اللقب « فرعون » واسم « بسمتيك » قد كتبا معا فى طغراء واحدة مما يدل على أن الكلمتين كانتا مرتبطتين معا فى الكلام . أقرن ذلك بما جاء فى العبرية الفرعون «نيكاو » ، الفرعون « حفرا » . وعلى أية حال فقد كانت القاعدة أن الكلمتين كانتا منفصلتين كتابة فى الديموطيقية فى كل العصور بوضع عبارة الحياة والفلاح والصحة 𓋹𓍑𓋴 بعد اللقب فرعون ،ثم يأتى بعد ذلك العلامة الاصلية للطغراءقبل الاسم وقد حدثت كذلك فى كثير من نسخ الورقة رقم / ٢ .

والد الاله « اسمتو » [١] Essemteu بن « بتيسى » لقد أعطيتك وظيفتى وهى كاهن «حرخيس» وكذلك نصيبى بوصفى وكيلا [٢] (؟) ونصيبى بوصفى كاتب شونة الغلال ، وهى الأشياء التى يملكها المشرف على مخازن الغلال (؟) . وهى ملكك ، وكذلك أرزاقها [٣] وسلعها [٤] والأشياء التى ستضاف لها من المعبد والحقل والبلد [٥] (أى من كل مصادر دخل الكاهن) وكل مكان خاص بها فى بيت « آمون » «طهنة» و « توزوى » ـ كتان وبخور وزيت وخبز ولحم بقر ولحم أوز ، ونبيذ [٦] وجعة ومصابيح ، وأعشاب ولبن وكل نوع من الملكية فى البلاد خاص بها .

لقد جعلت (٤) قلبى يوافق على الفضة (الثمن) لهذه (الأنصبه الثلاثة) أعلاه ،

---

(١) و « اسمتو » هـــذا هو بداهة « اسمتو » الأول الذى جاء ذكره فى ظلامة « بتيسى » وقد جاء ذكره للمرة الأولى فى هذه الوثيقة فى تاريخ يرجع الى الســـنة الرابعة والثلاثين من عهد « پسمتيك الأول » . وقد ســـكن والده مع أسرته فى « توزوى » من حوالى الســنة الرابعة حتى حوالى السنة الخامسة عشرة من حكم الملك « پسمتيك الأول » وقد كان فى قبضته جميع سلطة كل الكهنة فى المعبد . وفى السنة الخامسة عشرة سلّم هذه السلطة لزوج ابنته « حاروز » وقد اعطى نصيب كاهن من هذه لابنته . وتدل شواهد الأحوال على أنه سلّم كل الســـلطة الكهانية نهائيا الى « اسمتو » فى السنة الرابعة والثلاثين من عهد الملك « بسمتيك الثانى » . وانه لمن الصعب أن نوفق بين البيانات التىجاءتفى الظلامة مع نقل كهانة«حرخيس» بوساطة « حور » هذا المجهول (لاسمنو) فى السنة الواحدة والعشرين من حكمالملك « بسمتيك » الاول » ولكن من الممكن بطبيعة الحال انه كانت توجد ارتبـــاكات فى وظائف الكهنة فى خلال تلك الفترة .

(٢) أو وكيل الاله « آمون » .

(٣) حرفيـــاً قرابينهـــا .

(٤) جعـــل .

(٥) من المعبد والحقل والبـــلد تعبير معتاد يذكر عند تعداد مصادر دخل الكهنة

(٦) وقد جاء ذكر هذه الاشيـــاء فى « هـــيردوت » بنفس الترتيب وهى التى كان يسمح بتناولها الكهنة المصريين وقد أضاف على ذلك« هردوت » انه ليس مسموحا لهم باكل السمك ولا يمكنهم ان يتحملواالنظر الى الفول) راجع (Herod. II, P. 37

ولن يكون فى قدرة أطفالى أو اخوتى أو أى رجل فى العالم أو حتى نفسى أيضا أن يرقبها بدونك وذلك من أول السنة الواحدة والعشرين من عهد الفرعون «بسمتيك» ـ له الحياة والصحة والعافية ـ ومابعدها الى أى سنة بما فى ذلك الأطفال والأخوة أو أى رجل فى العالم . والرجل الذى سيأتى اليك بسبب هذه الانصبة المدونة أعلاه سأجعله يبعد عنك فيما يخص أية ملكية فى البلاد ، وكذلك الحال مع الأولاد والاخوة لطلب أى فضة (ثمن) أو أى غلة أو أى شىء فى كل الأرض مما سيسر قلبك . وهذه الأنصبة الثلاثة المدونة أعلاه لا تزال ملكك الى الأبد . والرجل الذى سيأتى اليك ليأخذك الى القضاء باسم هذه الأنصبة المدونة أعلاه (٧) لن يكون فى قدرته أن يقول أبرز شاهدا بتوقيعه ، الا فى البلد الذى فيه الشاهد .

بحياة «آمون» وبحياة فرعون (لهالحياة والفلاح والصحة) لن يكون فى مقدورى أن أقول «غشا» أية كلمة كتبت أعلاه ولن يكون فى مقدورى أن أسحب أية كلمة منها كتبها الكاهن والد الاله (؟) «احو» (٨) ابن «حور» بن «بمو» لنفسه شهد عليها الكاهن والد الاله «حور» بن «بمو» لنفسه [١] يأتى بعد ذلك خمسة عشر شخصا شهدوا البيع وقد عمل كل واحد منهم صورة من صلب الوثيقة تطابق الأصل هكذا :

شهد بذلك الكاهن والد الاله «بسنكى» (؟) Psenki بن «بشنبتاح» Pshenptah وهو شاهد فى السنة الواحدة والعشرين من حكم الفرعون «بسمتيك» له الحياة والفلاح والصحة ـ على الاعتراف الذى عمله الكاهن والد الاله «حور» بن «بمو» للوالد الالهى «اسمتو» بن «بتيسى» ـ لقد أعطيتك وظيفتى (الخ ...) ولن يكون فى مقدورى أن أقول غشا أية كلمة كتبت أعلاه . ولن يكون فى مقدورى أن أسحب كلمة واحدة منها كتبه ـ كما سبق (؟)

أسماء الشهود هى :

(١) الكاهن والد الاله «بسنكى» بن «بشنبتاح»

---

(١) هذه هى توقيعات أولا الابن والوارث للبائع ثم البائع نفسه .

(٢) الكاهن والد الاله «زتوتفعنخ» Zethutefénkh بن «حاروز» Harouz

(٣) » » » » أحو (؟) Aho بن «آمون» (؟)

(٤) » » » » «زوبستفعنخ» بن «آمون» (؟)

(٥) » » » » «حور» بن «زوبستفعنخ»

(٦) » » » » «زوبستفعنخ» بن «حور»

(٧) » » » » «زوبستفعنخ» بن «عانخب» ʻAnkheb

(٨) » » » » «حور» بن «بفتوعوسبتى» Peftuʻusopti

(٩) » » » » «حاروز» بن «بفتوعوباستى» (؟) Peftuʻubasti

(١٠) » » » » «حاروز» بن «أحو» (؟)

(١١) «حور» بن «ينحارو» Ienharou

(١٢) الكاهن والد الاله «خبخرات» Khepekhart بن «أحو» (؟)

(١٣) الوالد الالهى «حاروز» بن «بسنكى» (؟)

(١٤) «زوخنسفعنخ» Zekhensefʻonkh بن «خبخرات» .

(١٥) الكاهن والد الاله «بمو» بن «حور» .

ويأتى أخيرا بعد ذلك سطر بالهيروغليفية فيه شهادة فرد آخر وهى

(١٦) شهد على ذلك الكاهن والد الاله « ينحارو » Ienharou بن «بفوت» Pfot

وشهادة الأخير هذه تجعل عدد شهود الوثيقة ستة عشر عدا توقيع كل من البائع وابنه ، وهذا العدد من الشهود هو المعتاد فى المعاملات الهامة . وعلى الرغم من أن نفس الأسماء كثيرا ماكررت مما يدل على صلة قرابة ، فان ثلاثة شهـــود آخرين فقط قد ظهروا ثانية فى الورقة الثانية التى سنتحدث عنها . ومن درس هاتين الورقتين نفهم أن الستة عشر شاهدا الذين شهدوا فى الوثيقة لا يمكن أن يكونوا هم الستة عشر المسئولين عن القربان أو المعاش للكهنة التابعين لمعبد «توزوى» . ومع ذلك فانه من كل ما نعرف من نقوش هذا العصر يجوز أن ستة عشر معاشا كان العدد

العادى فى المعابد الأخرى ، واذا كان الأمر كذلك فانه يمكن أن نربط بها عدد ستة عشر شاهدا الذين يشهدون فى معظم المعاملات الكهانية الهامة .

العقد الثانى :

«منح مكان» فى المعبد لاسمتو ولأخويه

راجع (John Rylands, III; from El Hibeh P. 47).

الترجمة : السنة الواحدة والعشرون شهر «هاتور» من حكم الفرعون «بسمتيك» له الحياة والعافية والصحة .

ان الكهنة والكهنة خدام الاله والكهنة (١)آباء الاله التابعين لبيت «آمون» صاحب «طهنة» فى «توزوى» قد أعلنوا للكاهن والد الاله «اسمتو» بن «بتيسى» وللكاهن والد الاله «يتورو» بن «بتيسى» والكاهن والد الاله «ببيس» بن «بتيسى» ووالد الاله «اتوزوى» بن «بتيسى» ووالد الاله «ببيس» بن «ببيس» قائلين : لقد أعطيناك هذا المكان فى المعبد (للسكن) الخاص ببيت «آمون» صاحب «طهنة» حده الجنوبى بيت «موت» (أى معبد الآله «موت» زوج «آمون») وحده الشمالى « خنت » وغربه « برج » (؟) كياهك (اسم الشهر وربما سمى بعد ذلك بسبب حادث تاريخى) وشرقيه حجرات المخزن التابعة لآمون صاحب «طهنة» .

انه مكانك (٤) وليس لأحد فى البلاد أن يستولى عليه غيرك .

وان الرجل الذى سيأتى اليك بسببه قائلا : انه ليس مكانك ، وسيعطيك أى فضة وأى غلة ستسر قلوبكم ، فان مكانك (فى المعبد) سيبقى ملكك الى الأبد . والرجل الذى سيأتى اليك ليأخذك (٦) الى (؟) القضاة باسم هذا المكان فى المعبد المذكور أعلاه

---

(١) قد لا يكون بعيدا عن الصواب أن نقول ان الكهنة (وعب) كانوا يشملون كل أولئك الذين يتبعون طبقة الكهانة العليا بالولادة أى « خدام الآلهة » كانوا كهنة من طبقة عالية متصلين بخدمة آلهة خاصين « وآباء الآلهة » كانوا يشملون كل مستخدمى المعبد ؛ كانت لهم مكانة راقية

فانه لن يكون فى استطاعته أن «يبرز أى شاهد موقع» الا فى المدينة التى فيها الشاهد .

(٧) وبحياة «آمون» وبحياة الفرعون له الحياة والفلاح والصحة لن نقول «غشاء» ! عن أية كلمة (مدونة) أعلاه : ولن نسحب أى كلمة منه كتبه الكاهن والد الاله «حاروز» بن «بسنكى» .

وأسفل هذا النص نجد سطرا من الكتابة الهيروغليفية وهو عبارة عن مجرد توقيع شاهد : (٨) وقعت بوساطة الكاهن والد الاله «ينحارو» بن «بفوت» ، ويأتى بعد ذلك احدى عشرة نسخة تامة للشهود ، ولما كانت نهاية البردية قد أتلفت فانه على ما يظهر كان هناك خمسة عشر شاهدا كما هى الحال فى العقد السالف وذلك ليكون مجموع الشهود ستة عشر شاهدا

والصورة هى كما فى الحالة السابقة بالضبط كالآتى :

شهد على ذلك فلان ابن فلان ، وقد كان شاهدا فى السنة الواحدة والعشرين من عهد الفرعون «بسمتيك» له الحياة والفلاح والصحة على الاعتراف الذى عمله الكهنة، والكهنة خدام الآله والكهنة آباء الآلهة التابعون لبيت «آمون» صاحب «طهنة» فى «توزوى» للكاهن والد الاله «اسمتو» بن «بتيسى» الخ .. الخ .. . وقد أعطينا (الخ .. الخ ..) ولن نسحب كلمة واحدة منها . كتبه السابق ذكره أعلاه . وأسماء الشهود هى :

(١) الكاهن والد الاله «بمو» بن «حور»
(٢) » » » «أحو» (؟) بن «حور»
(٣) » » » «زتوتفنعنخ» بن «عنخ» ..
(٤) » » » «زوبستفعنخ» ابن «حور»
(٥) » » » «حور» بن «زوبستفعنخ»
(٦) » » » «بسنكى» بن «أحو» (؟)
(٧) » » » «حور» بن «بسنكى»

(٨) الكاهن والد الاله «حور» بن «بفتوعوسق»

(٩) الكاهن الابن الذى يحبه «حارخبى» بن «حارسا ازيس»

(١٠) الكاهن والد الاله «حور» بن «حاروز»

(١١) « « « «بشنبتاح» بن «بسنكى»

ومما تجدر ملاحظته هنا أن هاتين الورقتين قد كتبتا على ورق من صناعة واحدة وهما من طراز موحد ، ويحتمل أنهما خاصتان بعمل واحد فى أطوار مختلفة أى ادخال أسرة ضمن كهنة «توزوى» . والأولى كتبت فى شهر بئونة وهى خاصة ببيع وظيفة كاهن أو نقلها لشخص آخر ، هذا بالاضافة الى وظيفتين أخريين فى معبد «آمون» وكذلك نقل كل دخلهما من الكاهن «حور» الى «اسمتو»، والعقد الثانى كتب فى الشهر التالى وهو «هاتور» وهو خاص بمنح «مكان» فى المعبد بوساطة كل مؤسسة المعبد الى «اسمتو» وأخويه . ولم يعرف مثل هاتين الوثيقتين من قبل ، ويجب أن نلفت النظر الى بعض برديات خاصة بملكية وظيفة وكذلك رواتب خاصة لكهنة قربان فى جبانة «طيبة»

(راجع (Griffith, Rylands, III, Ibid. P.P. 17, 23, 30

أسرة بسمتيك الأول

نعرف من أسرة الملك «بسمتيك الأول» اسم زوجه «محيتنوسخت» وقد كان المعتقد قديماً أنها أمه، غير أنه أصبح من المؤكد أنها أم ابنته «نيتوكريس» التي كانت دون أي شك ابنة «بسمتيك الأول». وقد تحدثنا عن هذه الملكة فيما سبق وقد جاء ذكرها على عدة آثار نذكر منها مايأتي :

(١) مقصورتها الجنازية القائمة بمدينة «هابو» : الاميرة الوراثية عظيمة الثناء وسيدة الحظوة وحلوة الحب وسيدة الأرضين الوجه القبلي والوجه البحري وزوج الملك وابنة الكاهن الرائي العظيم في «هليوبوليس» «حورساازيس» (راجع
(Rec. Trav. XIX P. 21

هذا وقد جاء ذكر اسمها مع ابنتها «نيتوكريس» على آثار عدة نذكر منها :

(٢) «نيتوكريس» ابنة الملك «بسمتيك الأول» وأمها الزوجة الملكية «محيتنوسخت» (راجع (Rec. Trav. XX, P. 83

(٣) الزوجة الملكية العظيمة «محيتنوسخت» (راجع
Petit temple de Medinet - Habu. Champollion, Notice descriptives I P. 330; L. D. Texte III, P. 157; Maspero, Mission Française du Caire t. I. P. 750).

(٤) جاء اسم هذه الملكة على تمثال «أبا» المدير العظيم للبيت : الزوجة المقدسة العظيمة «محيتنوسخت» (راجع (A. S. V, P. 95 - 6

(٥) وكذلك ذكرت مع ابنتها «نيتوكريس» على مائدة قربان وجدت بالكرنك جاء عليها : المتعبدة الآلهية الخ ... نيتوكريس، وأمها الزوجة الملكية العظيمة «محيتنوسخت»
(راجع
Ahmed Bey Kamal, Cat. Gen. Tables d'offrandes No. 23249, p. 167-168)

(٦) وجاء ذكرها على تابوت ابنتها « نيتوكريس » المحفوظ بالمتحف المصرى كما سيأتى بعد :

ابنة الملك «بسمتيك الأول» «نيتوكريس» التى ولدتها الزوجة الملكية العظيمة «محيتنوسخت»

(راجع Rec. Trav. XX. p. 83)

(٧) ووجد لها بعض تماثيل جنازية من قبرها بطيبة وهى محفوظة الآن بمتحف « برلين »

راجع L. D. III 265 d.=L. D. Texte I, P. 12; Maspero, Mission Française du Caire t. I, P. 748).

وقد جاء عليها : أوزير المتعبدة لا مون (موت مرمحيتنوسخت) أبديا .

ابن الملك بسمتيك المسمى «نيكاو الثانى » :

جاء ذكر «نيكاو» هذا فيما رواه لنا هردوت (راجع Herod. II, 158)

ابنة الملك بسمتيك نيتوكريس :

تحدثنا عن الأميرة «نيتوكريس» فى مواضع عدة وبخاصة عند التحدث عن لوحتها وتنصيبها فى وظيفة متعبدة آلهية وزوج الاله « آمون » ويد الآلهة ، وما كان لها من سلطان دينى يفوق سلطان الكاهن الأول لآمون الذى حلت محله ، وقد تركت لنا آثارا عدة كما وجد اسمها على كثير من آثار رجال عصرها ، وقد أشرنا فيما سبق الى كثير منها وسنذكر هنا جانبا من آثارها الخالدة التى بقيت حتى الآن خلافا لما ذكرنا :

(١) قطعة صغيرة من الحجر من معبد مدينة « هابو » الصغير جاء عليها «نيتوكريس» العائشة ابنة الملك رب الأرضين «بسمتيك» الخ ... (راجع L. D. Texte III, P. 157

(٢) هذا ولدينا قطع أخرى من نفس المعبد جاء عليها : الزوجة الالهية «نيتوكريس» المرحومة .

(٣) وجاء ذكر اســـمها على تمثال للاله أوزير مصـــنوع من البـــازلت الرمادى عثر عليـــه فى مدينة « هابو » فى الردهة التى أمام المعبـــد الكبير وارتفاعه متر ونصف متر ، وقد مثل واقفا ويلبس التاج الأبيض مزينا بالصـــل والذراعان مطويتان على صدره ويقبض باحدى يديه على علامة الحياة وبالأخرى على درة ، وعلى القاعدة أمام قدميه نقش : «أوزير» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى واهب كل الحياة والسلطة لنزوج الاله « مرى موت نيتوكريس » ، ونقش على مقدمة القاعدة ثلاث طغراءات ، جاء فى الطغراء التى فى الوسط : محبوب «أوزير» « خنتى أمنتى » وفى التى على اليمين المتعبدة الآلهية «نيتوكريس» العائشة ، وفى التى على اليسار ابنه الملك «بسمتيك» معطى الحياة .

وجاء العمود الذى يرتكز عليه تمثال هذا الاله النقش التالى عموديا :

كلام ! الابتهال الى وجهك يا أوزير «خنتى امنتى» (أول أهل الغرب) يا «وننفر» (الاله الكامل) رب الحياة وملك العالم السفلى ، ورب الرهبة عند أعدائه (؟) عندما يظهر فى تاجه الأبيض وصاحب التاج المزدوج وسيد «منف» ، والعظيم فى «ددت» (بوصير) ، والكبش المقدس فى «ابت» (الأقصر) ، ورب الجلالة (صفة لأوزير بوصفه كبشا مقدسا) فى «حت بنو» (معبد مخصص لعبادة الفنكس ويظن أنه دفن فيه فخذ أوزير كما يرى بعضهم أنه موجد بالمعبد الرئيسى لمدينة «هليوبوليس (G. Dic. Geogr. Tom. IV, P. 66 ff) «أوزير» «خنتى امنتى» فى «هليوبوليس» بوساطة محبوبتـه الزوجة الآلهية (محبوبة الأم نيتوكريس) صادقة القول (راجع (Rec. Trav. XVII, P. 118

(٤) وجاء اسمها ولقبها على قطعة حجر من الـكرنك : تعيش المتعبـدة الآلهيـة « نيتوكريس »
راجع (L. D., Texte III, P. 4

(٥) نشاهد « نيتوكريس » فى نقش بالعرابة حيث نجدها مصاحبة والدها الملك وقد جاء فيه :

المتعبدة الآلهية «نيتوكريس» العائشة (راجع .Mariette, Abydos I, PL. 2b)

(٦) ومن أهم الآثار التى وجدت لهـذه الأميرة تابوتها المصـــنوع من الجرانيت الوردى وقد عثر عليه فى عام ١٨٨٤ فى « دير المدينة » ويرجع الفضل لنقوش هـذا التابوت فى حل مسألة بنوة « نيتوكريس » ، فقـد أثبتت أن هـذه الاميرة كانت ابنة «محيتنوسخت» التى ولدتها وأنها كانت ربيبة الأميرة « شبنوبت الثانية » المتعبدة الالهية فقد جاء فيها أنها الزوجة الآلهية « نيتوكريس » المرحومة ابنة الملك رب الأرضين « بسـمتيك الأول » معطى الحيـاة أبديه ، وأمهـا زوج الملك ويد الاله « شبنوبت » المرحومة ابنة الملك «بيعنخى» ، وجاء فيها كذلك أنها : يد الاله لآمون والابنة الملكية رب الأرضين «بسمتيك» المتعبدة الآلهية «نيتوكريس» المرحومة التى ولدتها الزوجة الملكية والرئيسة العظيمة لجلالته «محيتنوسخت» (راجع
Rec. Trav. XIII, P. 148; Maspero, Guide du Visiteur, edit. 1912 P. 3 No. 1; Wiedemann, Agyptische Geschicte P. 634 Note 13; & Supplement P. 69).

(٧) فى عام ١٩٠٥ اشترى الأثرى « لجران » لوحة لرجل يدعى « سنى » كاهن الزوجة الالهية والمتعبدة الالهية «نيتوكريس» واللوحة خاصـة ببيع خمسة وأربعين أرورا من الأرض وهـذه اللوحة مصـنوعة من الحجر الرملى ويبلغ ارتفـاعها ٤٤ سنتيمترا وعرضها ٣٠ سنتيمترا وسمكها ٦ سنتيمترات ، وقد عثر عليها السباخون فى الكرنك أو مدينة «هابو» وقد اشتراها «لجران» من « الأقصر » . وهى مستديرة بعض الشىء فى أعلاها ويشاهد فى هـذا الجزء قرص الشـــمس ناشرا جناحيه على المنظر الآتى :

على اليسار يشاهد الاله « آمون رع » ومعـه النقش التـــالى : « آمون رع » رب عروش الأرضين فى الكرنك و«موت» ربة السماء وسيدة الآلهة .

وفى الوسط : نشاهد مائدة قربان . وعلى اليمين : يشاهد رجل واقف رافع يديه

فى حالة تعبد ويرتدى قميصا فضفاضا ومنتعلا حذاء وقد نقش فوق هذا الرجل ستة أسطر جاء فيها : حامل الخاتم الآلهى وكاتم السر وكاهن الزوجة الالهيــة والمتعبدة الآلهية « نيتوكريس » المرحومة (المسمى) « سنى » ابن حامل الخاتم الآلهى وكاتم السر «أوف عوا» وأمه ربة البيت «دبسن حات أزيس» المرحومة . ونقش تحت هذا المنظر أربعة أسطر أفقية تحتوى على مناداة الاله الأحد سيد الآلهة «آمون رع» ملك الآلهة بوســاطة حامل الخاتم الآلهى « سنى » الذى يقول له أنه ثبت له قطعة أرض مساحتها ٤٥ أرورا الخ ..

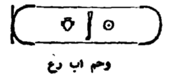
(٨) ووجد لهذه الأميرة كذلك خاتم من الطين اشــتراه الأثرى « نيوبرى » فى « الأقصر » (راجع A. S. VII P. 227; Proceeding S. B. A XXXVI (1914) P. 169 PL IX No. 12)

ومما يلفت النظر فى نقوش هــذا الخاتم أنه قد كتب عليه اللقب : الــكاهنة الكبرى لآمون رع ملك الآلهة (المسماة) « نيتوكريس » . ومن ثم نفهم أنه كانت أحيانا تعلن نفسها كاهنة كبرى مع مالهذه الوظيفة من سلطان .

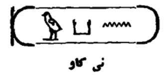
(٩) وأخيرا جاء ذكر هذه المتعبدة الآلهية على ثلاثة آثار وهى عتبا باب من الحجر الرملى بالمتحف المصرى وحق جزء منه بمتحف اللوفر والأخير بالمتحف البريطانى وقد كتب عن هذه الآثار الثلاثة الأثرى كرستوف مقالا فى مجلة المعهد الفرنسى (راجع Bull. de l'Instit. Fr. D'arch. Orient. Tom. LV. P. 65 ff.

الفرعون نيكاو

(٦٠٩ - ٥٩٤ ق . م)



وحم اب رع



نى كاو

مقـــــدمة

نيكاو : ذكر «أونجار» (١) فى كتابه عن تأريخ «مانيتون» ص ٢٧١ أن هذا الملك هو نيكاو الثانى أما «هردوت» (Herod. II, P. 158) فقد لفظه «نيكوس» • وجاء ذكره فى العهد القديم بلفظه «نخو» وهو الملك «نخوس» الذى جاء اسمه فى الورقة الاغريقية التى عثر عليها «صولت» فى «طيبة» وهو الاسم الذى وحده «فيدمان» بنيكاو الثانى (Geschichte Aegypten P. 156) والظاهر أنه فى الواقع «نيكاو الأول» لا الثانى (راجع L. R. III P. 414) • و «نيكاو» الثانى هو ابن «بسمتيك الاول» (راجع Herod. II 158) وقد اختلف المؤرخون فى مدة حكم هذا الملك فيقول «مانيتون» أنه حكم ست أو تسع سنوات ، وذلك حسب اختلاف روايات من نقل عن «مانيتون» ؛ فيقول كل من «أفريكانوس» و «يوزيب» أنه حكم ست سنوات • وجاء فى «سنسيل» أنه حكم تسع سنوات cf. Wiedemann, Ibid. p. 116 أما على الآثار فأعلى رقم لحكمه هو السنة السادسة عشرة • (راجع L. R. III P. 88)

الحالة العامة عند تولى « نيكاو » عرش الملك :

تولى الملك بعد موت «بسمتيك» ابنه «نيكاو» فى عام ٦٠٩ ق•م• والواقع أنه ورث عن والده ملكا ثابت الأركان قائما على أسس وطيدة ، ولا أدل على ذلك من أن حادث توليه عرش الكنانة قد مر دون قيام أى معارضة أو شغب من قبل أى أمير من الأمراء

---

(١) راجع Unger„ Chronologie des Manetho P. 271

الاقطاعيين الذين سلبهم والده فيما مضى ملكهم . وقد كان أول ماوجه همه اليه «نيكاو» هو السياسة الخارجية ، فبعد سقوط «نينوه» قام أمير آشورى يدعى « آشور باللِيت » الثانى فى مدينة «حران» واستولى عليها ولقب نفسه ملكا هناك عام ٦١١ ق.م ، وبقى فيها حتى حوالى عام ٦٠٦/٦٠٥ ق.م. وقد نشبت بينه وبين «نابوبولصر» ملك بابل حرب ضروس فى عام ٦١١ ق.م ، وفى عام ٦١٠ ق.م استولى الميديون بمساعدة السكيتيين على «حران» ، وقد اضطر الملك « آشور — باللِيت » الى التقهقر مجتازا نهر «الفرات» . والواقع أن تغيير الجالس على عرش مصر لم يحدث أى تغير فى السياسة الخارجية المصرية . وكل مانعرفه فى هذا الصدد أنه فى باكورة عام ٦٠٩ ق.م سار جيش مصرى عظيم الى بلاد آسيا وانضم الى الجيش الآشـــورى ، غير أنه لا يمكننا أن نحكم اذا كان ذلك قد حدث فى حياة الملك « بسمتيك الأول » أو بعدها بقليل . وعلى أية حال زحف جيش مصرى ومعه الجيش الآشورى فى صيف عام ٦٠٩ ق.م فى شهر «دوز» وعبر نهر الفرات وتغلب الجيشان على فرقة من الجيش البابلى ، ولكن مع ذلك لم يظفر الجيشان بالغرض المقصود وهو استعادة بلدة «حران». وعلى ذلك تحرك «نابوبولصر» بنفسه على رأس جيش لمساعدة حاميته .

ومما يؤسف له جد الأسف أن المصدر الوحيد الذى استقينا منه معلوماتنا عن هذه الحروب قد وجد مهشما عند هذه النقطة ولم يبق لنا منه الا بعض قطع صغيرة لم نستخلص منها شيئا يذكر . (راجع (Luckenbill, Ibid. § 1184/5)

أما حوادث السنين التالية لذلك فيحدثنا عنها كتاب العهد القديم (كتاب الملوك الثانى الاصحاح ٢٣ سطر ٢٩) حيث يقول : فى أيامه صعد فرعون «نيكاو» ملك مصر على ملك آشور الى نهر الفرات فصعد الملك «يوشيا» للقائه فقتله فى «مجدو» حين رآه .

ولكن نعلم اليوم من حوليات المؤرخ «جاد» أن الغرض من المشروع المصرى فى هذه السنة كان على النقيض تماما مما جاء فى الرواية اليهودية ، أى أن «نيكاو» كان قد زحف بجيشه لمعاضدة «آشور باللِيت» ، ولكن قبل أن نتحدث عن دخول «نيكاو»

فى ساحة القتال فى عام ٦٠٨ ق٠م لا بد أن نلقى نظرة خاطفة على الأحوال فى بلاد «يهودا» وقتئذ لأجل أن تتفهم الموقف على الوجه الأكمل ٠

كانت مملكة «يهوذا» منذ عهد الملك «سنخرب» وحصاره لبلدة «أورشليم» عام ٧٠١ ق٠م تابعة لبلاد آشور ، غير أنها فى السنين العشرة الأخيرة قد أخذت فى التألب على «آشور» ورفضت القيام بما عليها من واجبات ، وذلك لأن «يهوى» الهها قد انتقم لها من «نينوه» بما أنزله بها من عقاب ، فقد لاقت تلك المدينة العظيمة نهاية محزنة ، وقد أثر ذلك الحادث تأثيرا هائلا فى كل أنحاء العالم وبخاصة بلاد «يهوذا» ، اذ قد أصبحت الثقة بيهوى قوية جدا مما يبشر بمستقبل ذهبى لشعبه ٠

وقد كانت الكارثة التى لحقت بجيش آشور فى «حران» عام ٦٠٩ ق٠م فى نظر «نيكاو» فرصة سانحة لمضاعفة جهوده لمد سلطانه على البلاد المجاورة له ، وذلك أنه كان ينظر الى مملكة آشور على أنها دولة تقف حاجزا منيعا بينه وبين دول آسيا الصغرى العظيمة التى كانت آخذة فى الظهور حديثا ، وعلى ذلك رأى «نيكاو» أنه لا بد من الابقاء على كيانها ، ولهذا السبب زحف فى باكورة عام ٦٠٨ ق٠م بجيش مصرى تحت امرته متجها نحو آسيا بمحاذاة الشاطىء شمالا ٠ والواقع أن هذا العمل لم يغضب «يهوذا» ولكن خاف القوم فى «أورشليم» من أن يجر ذلك الى تسلط أجنبى من جديد على بلدهم كما كانوا يريدون أن تزول بلاد آشور جملة من العالم [1] فى آن واحد ٠ وقد صحت عزيمة الملك «يوشيا» فى المقاومة ، وذلك لأنه رأى أنه لا يمكنه أن يصبر على تحمل سيادة جديدة ، غير أنه بذلك العمل كان قد تجاهل حقيقة واقعة وقتئذ ؛ وذلك أنه منذ أكثر من مائة سنة مضت قد قضى على استقلال الولايات الصغيرة التى كانت تتألف منها «سوريا» و «فلسطين» وأصبح أمر البت فى استقلال مثل هذه الدويلات فى يد الدول العظمى ؟ ومع ذلك وجدنا أن «يوشيا» قد زحف بجيشه وقلبه مملوء بالاعتقاد المطلق فى مساعدة ربه «يهوى» ٠ وقد تقابل جيشه

(١) راجع Journal of Near Eastern Studies (1951) No. 2, P. 128

بجيش «نيكاو» فى سهل «مجدو» المشهور بالمواقع التاريخية العظيمة التى جرت فيه منذ عهد «تحتمس الثالث» . وكتابا الأيام يقدمان لنا معلومات غاية فى الاهمية عن هذه الحرب (راجع أخبار الأيام الثانى الاصحاح ٣٥ سطر ٢٠ الخ ..) حيث يقول : بعد كل هذا حين هيأ «يوشيا» البيت صعد نحو ملك مصر الى «كركميش» ليحارب عند «الفرات» فخرج «يوشيا» للقائه (٢١) فأرسل اليه رسولا يقول مالى ولك ياملك «يهوذا» . لست عليك أنت اليوم ولكن على بيت حربى والله أمر باسراعى . فكف عن الله الذى معى فلا يهلكك (٢٣) ولم يحول «يوشيا» وجهه عنه بل تنكر لمقاتلته ولم يسمع لكلام «نيكاو» من فم الله بل جاء ليحارب فى بقعة «مجدو» . وأصاب الرماة الملك «يوشيا» فقال الملك لعبيده انقلونى لأنى جرحت (٢٤) فنقله عبيده من المركبةوأركبوه على المركبة الثانية التى له وساروا به الى «أورشليم» فمات ودفن فى قبور آبائه وكان يهوذا ينوحون على «يوشيا» الخ .. ويدل ماجاء فى كتاب الأخبار على أن «نيكاو» قد تبادل الحديث مع «يوشيا» وقد بين له فى حديثه أنه لا يريد منه أو من «يهوذا» أى شىء ، غير أن مكان المقابلة هذا كان بعيدا عن حدود ملك يهودا الشمالية . وهذه كانت حقيقة فى أنه لم يأت لاخضاع «فلسطين» و «سوريا» ولكنه جاء لمعاضدة الآشوريين ، ولكن «يوشيا» لم يؤمن بذلك ونازله وكانت العاقبة أن هزم جيشه هزيمة نكراء وسقط «يوشيا» نفسه فى حومة الوغى صريعا ، ثم زحف الجيش المصرى بعد ذلك شمالا ، ولكن مما يؤسف له أننا لم نعلم شيئا عن ذلك الزحف ولا عما وصل اليه « نيكاو » فى شمالى « مسوبوتاميا » ، وكذلك لانعلم ما آل اليه أمر الملك «آشور بالليت» وما أصاب البقية الباقية من ممتلكاته . وقد اضطر «نيكاو» بسبب زحف «يوشيا» أن يدخل بلاد يهوذا (وقد جاء ذكر ذلك فى كتاب الملوك الثانى الاصحاح ٢٣ الأسطر من ٣١–٣٥ فاستمع لما جاء فيها :

« كان «يهو آحاز» ابن ثلاث وعشرين سنة حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر فى «أورشليم» واسم أمه «حموطل» بنت «ارميا» من لبنة (٣٢) فعمل الشر فى عينى

الرب حسب كل ماعمله آباؤه (٣٣) وأسره فرعون «نيكاو» فى «ربلة» فى أرض «حماة» لئلا يملك فى «أورشليم» وغرم الأرض بمئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب (٣٤) وملك فرعون «نيكاو» «الياقيم» بن «يوشيا» عوضا عن «يوشيا» أبيه وغير اسمه الى «يهوياقيم» ، وأخذ «يهوآحاز» وجاء الى مصر فمات هناك ؟ (٣٥) ودفع «يهوياقيم» الفضة والذهب لفرعون الا أنه قوم الأرض لدفع الفضة بأمر فرعون . كل واحد حسب تقويمه . فطالب شعب الأرض بالفضة والذهب ليدفع لفرعون «نيكاو» . . . وقد أخذ ابن الملك «يوشيا» المسمى «يهوآحاز» أسيرا فى«ربلة» وهى على مايظن كانت مقر معسكره ، وذلك بعد أن حكم «يهوآحاز» ثلاثة أشهر ونصب مكانه أخاه « يهوياقيم » وفرض عليه جزية .

والآن يتساءل الانسان ما الذى كان منتظرا أن يحدث بعد ذلك ؟ لقد أصبحت «سوريا» و «فلسطين» فى قبضة مصر ، ولما كانت البقية الباقية من الدولة الآشورية لا تزال موجودة فان ذلك كان يحتم وجود الجيش المصرى فى هذه الأصقاع ليديرها، على أن احتلال كل من «سوريا» و «فلسطين» لم يكن الا مجرد نتيجة للحرب السابقة وليس بالغرض الأصلى منها [1]

ومن جهة أخرى يتساءل المرء هل كان تقهقر مصر من آسيا الصغرى على وجه عام أمرا ممكنا ؟ فاذا حدث ذلك فان معناه أن تنزل مصر عن هذا الاقليم الاستراتيجى بالنسبة لبلادها فى الحال لاحدى دول آسيا الصغرى القوية المنتصرة التى حاربت معها مصر منذ زمن بعيد . والواقع أن احتمال هذا الفرض كان أمرا يصعب تصوره اذ لا شك فى أن مصر المجاورة لتلك الدول كانت قوية الجانب وكانت جارتها دولة قوية

---

(١) هذا هو رأى بعض المؤرخين ولكن دلائل الأحوال توحى بأن « نيكاو » كان يريد أن يجارى « تحتمس الثالث » فى كل شىء فقد فتح فلسطين وسوريا ثانية ، كما أعاد لمصر اسطولها البحرى الذى كان فى عهد « تحتمس الثالث » وجعلها من أعظم دول العالم من حيث التجارة ويؤكد مازعمناه هنا أن «نيكاو» قد اتخذ لنفسه

تنتظر منها مصر الهجوم عليها فى كل لحظة بما لديها من قوة وعتاد . وعلى ذلك لم ير «نيكاو» بدا من بسط سلطانه على «فلسطين» و «سوريا» بصـــورة فعالة . وقد عرفنا من قبل الخطة التى سلكها مع مملكة «يهوذا» . هذا ونعرف من متن مهشم مقدار تسلط «نيكاو» على مدن «فينقيا» وخضوعها له وهذه الوثيقة عثر عليها فى «صيدا» (راجع Griffith, P. S. B. A. XVI, P. 90 - 91) وهى عبارة عن قطعة من لوحة صغيرة من البازلت منقوش عليها اسم «نيكاو» .

وتدل شواهد الأحوال على أن نفوذ مصر العالمى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة والذى كان قد امتد حتى نهر الفرات قد عاد لها الآن كرة أخرى دون أن يكون «بسمتيك» أو «نيكاو» قد قصدا ذلك فعلا كما يدعى بعض المؤرخين ولا نعلم اذا كان ملك «بابل» المسن «نابوبولصر» الذى استولى على الجزء الجنوبى والجنوبى الغربى من دولة «آشور» قد قام بهجوم على «نيكاو» فى سنة ٦٠٨ ق.م - ٦٠٦ ق.م ، ولكن من جهة أخرى نعلم أنه فى عام ٦٠٥ ق.م كان هذا العاهل وهو فى شدة مرضه قد أرسل ابنه «نبوخذناصر» لمحاربة «نيكاو» وقد دارت بينهما حرب فى ربيع عام ٦٠٥ ق.م عند «كركميش» [1] الواقعة على نهر الفرات ، وهزم فيها المصريون هزيمة منكرة

= لقب تحتمس الثالث «منخبررع » وقد وجد هذا اللقب على جعران واحد حتى الآن (راجع Scarabée du British Museum No. 45721 : Hall, Catal. of Egyptian Scarabs, I, P. 253, No. 2529.

وهذا بالاضافة الى جعران تذكارى نقش على غرار جعارين « أمنحتب الثالث » : وقد ظهر عليه الفرعون المنتصر قابضا الصولجان والمقمعة واقفا بين الآلهتين «نيت» و « أزيس » التى تمتد اليـــه بالسيف : لأنك قتلت كل أهل البـــلاد الأجنبية ، ويشاهدون مهزومين مجدلين على الأرض (راجع (L. R. IV, P. 90 Note 2; Newberry Catal. Gen. Scarab. Shaped Seals = No. 37399, P. 351 & Pl. XVII)

(١) هذه الموقعة وقعت ما بين خريف ٦٠٥ ق.م وخريف ٦٠٤ ق.م (راجع (Knietz, P. 160

حتى أنه كان فى مقدور «نبوخذناصر» أن يرحف بجيشه حتى تخوم مصر اذ لم يكن أمامه أية قوة تصده وقتئذ ، وقد جاء ذكر ذلك فى كتاب الملوك الثانى الاصحاح ٢٤ سطر ٧ فأستمع لما يقول :

« ولم يعد أيضا ملك مصر يخرج من أرضه لأن ملك بابل أخذ من مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر . » وقد كان ذلك فيما بعد هو ما آل اليه أمر «أشور- بالليت» الثانى آخر ملوك آشور ، وقد اضطر «نبوخذناصر» الى أن يكف عن غزو مصر بعد أن كان قد وقف على أبوابها وذلك بسبب موت والده المفاجىء مما حتم عليه العودة أدراجه الى بابل وقد جاء فى «ارميا» الاصحاح السادس والأربعين السطر ٣،٤ مايأتى من التهكم اللاذع بعد هزيمة مصر :

أعدوا المجن والترس وتقدموا للحرب (٤) اسرجوا الخيل واصعدوا أيها الفرسان وانتصبوا بالخوذ اصقلوا الرماح البسوا الدروع (٥) لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين الى الوراء وقد تحطمت أبطالهم وفروا هاربين ولم يلتفتوا . الخوف حواليهم يقول الرب (٦) الخفيف لاينوص والبطل لا ينجو . فى الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا (٧) من هذا الصاعد كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه ..الخ .

والآن يتساءل المرء عما ستئول اليه حالة العلاقات المقبلة بين مصر ودولة «بابل» الجديدة . التى كانت قد زحفت بسرعة حتى تخوم أرض الكنانة ولم تنج منها الا بمعجزة ؟

= ومن الحقائق التى تلفت النظر بصورة عجيبة فى هذا العهد أن الملك « نيكاو » قد قدم للاله الاغريقى « أبوللون » Apollon درعا كان يحملها فى هذه الحرب فى معبد « ميليه » Milet ومن ثم نفهم انه لم يكن « آمون » أو « نيت » الحامى للفرعون وحسب ، بل كان « أبوللون » الهلينى هو الذى يدير دفة السياسة لملوك « سايس » (Herod. II, 159) أيضا

والواقع أن سياسة «نيكاو» كما يقول بعض المؤرخين كانت تسير على نهج سياسة والده «بسمتيك» أى أنها كانت لا ترمى الى الفتح بل تنشد المحافظة على الموقف فى آسيا الصغرى ، وذلك بأن تجعل أى هجوم من هذه الناحية أمرا مستحيلا ، ولذلك فان «نيكاو» عندما رأى أن دولة آشور قد أصبحت غير قادرة على القيام بذلك وجد من الضرورى لتنفيذ سياسته الاستيلاء على «فلسطين» و «سوريا» عنوة ، وهذه البلاد كانت وقتئذ ضمن أملاك «نبوخذناصر» ملك «بابل» . والواقع أن هذا العاهل كان مثله كمثل الملك «نيكاو» قد أجبر على الدخول فى حرب مع «آشور» وقد كان غرض «نبوخذناصر» هو اصلاح ما أفسد من مملكته التى كانت قد مزقت شر ممزق فى المائة سنة الأخيرة ، هذا فضلا عن أنه لم يكن من الرجال الفاتحين . ولا غرابة فى ذلك اذ نجد فى نقوشه أنه كان يتكلم دائما عن مبانيه وورعه وتقاه ؛ أما عن حروبه العظيمة وانتصاراته فانه لم يكن يشير اليها مرة واحدة . وعندما عقد النية على الذهاب لفتح مصر لم يكن يفكر فى أن الطريق التى سلكها من قبله «آشور-بنيبال» كانت طريقا وعرة محفوفة بالمخاوف ولكن فضلا عن ذلك فان دولة «كلدية» كانت تكتنفها بابل من الشرق ومن الشمال كانت وقتئذ معها على مصافاة ، ولكن من حيث القوة كانت دولة «ميديا» الفتية تفوقها . وحتى فى الحروب الطاحنة التى قامت مع «آشور باليت» و «نيكاو» من قبل البابليين والسكتيين فقد انتصروا فيها بوجه عام وقد كان هذا الانتصار ضروريا لما هنالك من روابط بين مسوبوتاميا (= أرض «الجزيرة») و «سوريا» لأن «حران» كانت من الأهمية بمكان ، وذلك بسبب مشروع تقسيم أملاك آشور القديمة ، اذ كان لابد من أن ينزل عنها لبلاد «ميديا» هـذا مع العلم أن صداقة «بابل» مع بلاد «ميديا» أساسها ماكان بينها وبين بلاد آشور من عداء مشترك ، ولكن هذه العداوة كانت قد أصبحت من سنة لأخرى مجرد ذكريات تاريخية لا قيمة لها . وعلى ذلك وصل كل من «نيكاو» و«نبوخذنصر» ملك «بابل» الى اتفاق وعقدا فى هذا الوقت على مايظهر محالفة رسمية فيما بينهما كان من شروطها ألا يخرج ملك

مصر عن نطاق حدود بلاده من بعد اليوم قط ، وقد جاء ذكر هذه المحالفة فى كتاب الملوك الاصحاح ٢٤ سطر ٧ فاستمع لما جاء فيه :

« ولم يعد كذلك ملك مصر يخرج من أرضه لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر (وادى العريش) الى نهر «الفرات» كل ماكان لملك مصر • »

أما أول تغير فى العلاقات بين مصر وبابل فقد ظهر فى عام ٥٧٩ ق٠م وذلك أن الملك «يواقيم» صاحب «يهوذا» قد انتقل على حسب مجريات الأمور من المعسكر المصرى الى المعسكر البابلى ، ولكنه فى هذه الآونة امتنع عن دفع الجزية وذلك لأن اليهود كانوا يعتقدون كثيرا فى قدرة آلههم «يهوى» وقتئذ ، وعلى الرغم من الدروس القاسية التى تلقوها فى خلال السنين العشرة الأخيرة فان اعتقادهم هذا فى آلههم لم يتزعزع ؛ ولكن بجانب ذلك كانوا يأملون فى قوة حقيقية أعلى ، فقد انتظروا أن تقوم مصر بثورة على «نبوخذنصر» فتكون لهم نجدة وعونا ، ولكن الملك «نيكاو» لم يفكر فى ذلك ومن أجل هذا لما لم يجد «نبوخذناصر» من يقف فى وجهه حاصر «أورشليم» واستولى عليها • وكان مصير حلف «يهوياقيم» هو وابنه الذى كان يدعى «يهوياكين» أن أخذ الأخير أسيرا ، ولم يكن قد مضى عليه أكثر من ثلاثة أشهر فى الحكم ، وكذلك سيق معه ٨٠٠٠ أسير من عظماء القوم ، هذا بالاضافة الى صناع كثيرين ، وقد سيق كل أولئك الى «بابل» • وقد نصب الملك «نبوخذناصر» مكان «يهوياكين» عمه «متنيا» وأسماه «صدقيا» وقد جاء ذكر هذه القصة فى كتاب الملوك الثانى الاصحاح ٢٤ الأسطر من ١–١٧

(١) فى أيامه صعد « نبوخذ ناصر » ملك بابل فكان له « يهوياقيم » عبدا ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه (٢) فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الارامين وغزاة الموابيين وغزاة بنى عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذى تكلم به عن يد عبيده الأنبياء • (٣) ان ذلك كان حسب كلام الرب على «يهوذا» لينزعهم من أمامه لأجل خطايا «منسى» حسب كل ماعمل (٤) وكذلك

لأجل الدم البرىء الذى سفكه لأنه ملأ «أورشليم» دما بريئا ولم يشأ الرب أن يغفر (٥) وبقية أمور «يهوياقيم» وكل ماعمل أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام للملوك «يهوذا» (٦) ثم اضطجع «يهوياقيم» مع آبائه وملك «يهوياكين» ابنه عوضا عنه الخ ...

وتدل شواهد الأحوال على أن «نيكاو» ملك مصر لم يحرك ساكنا فى أثناء ذلك من هذه الناحية ، غير أننا من ناحية أخرى نجد أنه قد سلك طريقا أخرى فى تعزيز قوة بلاده ، اذ أخذ فى انشاء أسطول بحرى عظيم لمصر . والواقع أن هذه كانت سياسة جديدة في تاريخ مصر المتأخر ، وتدل الأحوال على أن «نكاو» أراد أن ينشىء قوة بحرية فى البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك فى البحر الأحمر ، وذلك ببناء سفن من التى لها ثلاثة [1] صفوف من المجاديف ثم نجد أنه فى السنين الأولى من حكمه قد بدأ بداية حسنة فى هذه الناحية لدرجة أن الفنيقيين المعروفين وقتئذ بمهارتهم البحرية قد أصبحوا تحت سلطانه . وعلى ذلك نجد أن «نيكاو» قد عمل على اعادة الطريق المائية التى يحتمل جدا أنها كانت موجودة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة بل من عهد «سنوسرت» الاول وهى عبارة عن قناة تأخذ ماءها من فرع النيل البيلوزى بالقرب من مدينة« بوبسطة» وتوصل مابين البحرين الأبيض المتوسط والاحمر ، ومع ذلك فان المشروع لم ينفذحتى نهايته ، والظاهر أن عدم انجازه كان يرجع الىصعوبات فنية ويقول «هردوت» فى ذلك ((Herod. II, 158)) مايأتى : كان «نيـــكاو» بن «بسمتيك» قد أصبح ملكا على مصر وقد بدأ أولا بالقناة التى توصل الى البحر الأحمر وهى التى أتمها الملك «دارا» الفارسى فيما بعد وطولها أربعة أيام ووسعها قد حفر ليحمل سفينتين حربيتين جنبا لجنب (من ذوات ثلاثة الصفوف من المجاديف الواحد منها فوق الآخر) ويؤتى بالماء لها من النيل ويدخلها من فوق مدينة «بوبسطة» بقليل

---

(١) انظر الصورة رقم ٣ و تدل على سفينة حربية فى العهد الساوى . والأصل فى متحف « اللوفر »

وتمر بالقرب من المدينة العربيـــة «باتوموس» Patumos وتصل الى البحـر الأحمر ، وقد حفرت أجزاء السهل المصرى الذى يقع نحو بلاد العرب أولا ، وفى أعلى هذا السهل يقع الجبل الذى يمتد نحو «منف» وفيه محجران ، وعلى طول قاعدة هذا الجبل امتدت القناة طولا من الغرب الى الشرق ثم امتدت الى المضايق مارة من الجبل نحو السمت ونحو الجنوب فى الداخل حتى خليج العرب (البحر الأحمر) ولكن الجزء الذى يكون العبور فيه أقصر وأسهل مايكون هو الذى من البحر الشمالى (= البحر الأبيض) الى البحر الجنوبى وهو الذى كان يسمى البحر الأحمر أى من جبل «كاسيوس» الذى يفصل مصر عن «سوريا» . ومن هذه النقطة نجد أن المسافة كانت ألف استاد حتى الخليج العربى ، وهذه اذا هى أقصر طريق ، ولكن القناة كانت أطول من ذلك بكثير لأنها كانت متعرجة ، وقد مات فى حفرها مائة وعشرون ألف مصرى فى عهد الملك «نيكاو» . وقد أوقف «نيكاو» الحفـــر فى وسط العمل وذلك لأن الوحى الآلهى التالى قد كان عقبة : وهو أنه يعمل لأجل همجى ، وذلك لأن المصريين كانوا يسمون كل الناس الذين لا يتكلمون لغتهـــم همجيين . [1] وعلى أية حال فان «نيكاو» لم ينبذ مشاريعه الشاسعة لمستقبل بلاده اذ استمر فى تنمية أسطوله فأرسل سفنا حربية يقودها فنيقيون ليقوموا بالرحلة المشهورة حول «لوبيا» (أى أفريقيا) وهى الرحلة التى قدم لنا «هردوت» عنها قصة مدهشة ((Herod. IV, 42)) فقد أكد لنا هذا المؤرخ صحة هذه الرحلةعندما قال : كان «نيكاو» ملك مصر هو أول من عرفنا عنه البرهنة على صحة هذا الحادث ، وذلك أنه بعد أن أوقف حفر القناة الموصلة من النيل الى الخليج العربى أرسل بعض الفنيقيين فى سفن بأمر منه ليسبحوا عائدين مخترقين أعمدة «هركيل» الى البحر الشمالى (البحر الأبيض المتوسط) وبذلك يعودون الى مصر . وعلى حسب ذلك قام

---

(١) وسنتحدث عنهذه القناة بالتفصيل فى كل عصورها القديمة عند التحدث عن حفرها فعلا فى عهد «دارا» الفارسى ان شاء الله

الفنيقيون من البحر الأحمر وساحوا فى البحر الجنوبى وعندما دخل الخريف ذهبوا الى الشاطىء وبذروا الأرض فى أى جزء اتفق أنهم رسوا فيه ثم انتظروا حتى زمن الحصاد ؛ وبعد حصد الغلة أقلعوا ثانية ، وبعد انتهاء سنتين على تلك الحال كانوا قد لفوا حول أعمدة «هركيل» فى السنة الثالثة ووصلوا الى مصر وقصوا على مايظهر لى ماهو غير معقول ، ولكن يمكن أن يصدقه آخرون ، وهو أنهم بلفهم حول «لوبيا» كانت الشمس على يمينهم . وهذه الملاحظة تبرهن لأهل عصرنا الحالى على صحة هذه الرحلة ولكن كان لا بد من انتظار أحد عشر قرنا حتى يتسنى للبرتغاليين بقيادة «فاسكودى جاما» ليبدءوا من جهة مضادة اللف حول أفريقيا الذى تنسب المبادرة به الى «نيكاو» وهو الذى أغنى بدرجة عظيمة علم الجغرافيا والتجارة العالمية .

آثار « نيكاو » وعصره :

وجد اسم الملك نيكاو الثانى على عدة آثار بعضها من عمله وبعضها لرجال عصره، نذكر منها مايأتى :

١ - وجدت لوحتان مؤرختان بالسنة الأولى من عهد هذا الفرعون لكاهن يدعى «بسمتيك» وهما الآن بمتحف «ليدز» وقد مات صاحبهما فى عهد «احمس الثانى» وسنتحدث عنهما فيما بعد . راجع **Br. A. R. IV § 1026**

٢ - وعثر له فى محاجر «طرة» على لوحة مؤرخة بسنة ضم الأرضين . ويظن كل من «دارسى» و «جوتييه» أن عبارة ضم الأرضين تعنى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون (راجع **L. R. IV, P. 87, Note 2**) . وكان أول من كتب عن هذه اللوحة هو الأثرى «برنج» (راجع

Perring - Vyse, Operations carried on at the Pyramids of Giza Vol. III, P. 98).

ثم كتب عنها «ليبسيوس» (راجع **L. D. III, 273 a**) وأخيرا نقل نقوشها «دارسى» (راجع **A. S. t. XI, P. 259 - 261**) .

وعندما وجدت هذه اللوحة كان سطحها مهشما وقد أمكن «دارسى» قراءة كثير من نقوشها ؛ وهاك وصفها :

رسم فى الجزء الأعلى من هذه اللوحة قرص الشمس المجنح ، ويشاهد فى هذا الجزء الأعلى كذلك منظر مزدوج . وقد نقش على اليمين الآله الطيب رب الأرضين (وحم اب رع) معطى الحياة مثل رع أبديا . ويقدم اناءين من النبيذ للاله «بتاح» الذى يشاهد واقفا فى ناووسه وقد لقب «بتاح جميل» (كامل) الوجه ويقبض بيده على رموز الحكم والحياة والثبات . وعلى اليسار يشاهد الملك : ابن رع من ظهره «نيكاو» معطى الحياة مثل «رع» أبديا يقدم قربانا للالهة «نيت» . ولم يبق من صورتها الا جزء من التاج . ويحتوى الجزء السفلى من اللوحة على ستة أسطر محى بعض كلماتها وهاك ترجمة مابقى حسب ماذكره «دارسى» :

السنة التى جاءت بعد اتحاد الأرضين

منشور جلالته له الحياة والصحة والعافية ، الذى وضع أمام كل مشرف على المحاجر (؟) أو المشرف على أعمال البناء يصغى (؟) للملك . هذه اللوحة هى حدود محاجر «طرة» الجديدة ولن يفتح أى شخص مدخل قطع أحجار فى هذا الجبل فى الجهة الشرقية من العمود الذى هناك المقابل للمرسوم ، وجلالته قائم باستخراج أحجار من جبل عيان (؟) (لأجل أن يقيم معابد) لآبائه كل آلهة مصر وللقصر المسمى«عظيم الآلهة العظيم للأبدية» (على عرش حور) سرمديا وقد عمل ذلك معطى الحياة والثبات والقوة مثل رع أبديا .

ويلحظ هنا كما ذكرنا أن تاريخ هذه اللوحة قد دون بصورة غريبة فى بابها . ومما يؤسف له أن «نيكاو» لم يضف الينا فى نقشه هذا أى سنة من حكمه تقابل السنة التى وحد فيها الأرضين تحت صولجانه ؟ ويتساءل الانسان ماهى هذه السنة ؟ ولا شك فى أن «نيكاو» قد تسلم من والده «بسمتيك الأول» البلاد دون أن يكون فيها أية ثورة . ويقول «دارسى» تفسيرا لعبارة توحيد الأرضين أنه فى الواقع منذ

حكم الكوشيين كانت «طيبة» والأملاك الشاسعة التى سيطر عليها كهنة آمون العظام فى الوجه القبلى ، تؤلف اقليما واحدا يكاد يكون مستقلا على رأسه حكومة دينية تشرف عليها زوج الآله «آمون» أو المتعبدة الآلهية . وقد نصب «بسمتيك الأول» بما أوتى من مهارة على رأس هـــذا الاقليم أو بعبارة أخرى هذه الامارة ابنتـــه «نيتوكريس» وذلك بجعل المتعبدة الالهية «شبنوبت» الثانية أخت «تهرقا» تتبناها ومن ثم أصبحت هذه الامارة تابعة له . وعندما تولى «نيكاو» عرش الملك يحتمـــل أن «نيتوكريس» قد نزلت لأخيها عن امتيـــازاتها فى هذه الامارة ، وهى التى كانت تعد البقية الباقية من الاثنتى عشرة امارة التى انقسمت اليها البلاد قبل تولى «بسمتيك» عرش مصر . وبضم هذه الامارة أصبحت البلاد موحدة وهذا هو ماتشير اليه نقوش اللوحة وتسميه اتحاد الأرضين ، ولكن يلحظ أن السلطة الدينية لأتباع آمون قد بقيت فى يد «نيتوكريس» كما استمرت بعد وفاتها فى يد المتعبدة الآلهية «عنخ نس نفر اب رع» وهذا الرأى يعضده ماكان يحمله المدير العظيم للبيت من ألقاب تتصل بالملك مباشرة كالألقاب التى كان يحملها مدير البيت العظيم «أبا» . وعلى أية حال يجوز من جهة أخرى أن هذه الصيغة كانت لا تعنى الا تولية الملك عرش البلاد المزدوج ولم يكن قد تولاه والده من قبل موحدا بل كان لا يزال منقسما قسمين .

« **رشيد** » : عثر للفرعون «نيكاو» على جعران قلب فى مكان دفنه على مايظن . (راجع Rosellini, Mon. Storici, II, P. 131)

« **سايس** » : عثر للفرعون «نيكاو» على جعران قلب فى مكان دفنه «ادفينا» على مايظن . وهذا الجعران كان فيما سبق فى كلية «الجزويت» بباريس ولكن يظهر أنه قد اختفى فى عهد الثورة على مايظن (راجع Petrie, Hist. III, P. 337)

« **ادفينا** » : وكذلك وجد لنيكاو خاتم من الجبس عليه اسمه (راجع (Petrie, Tanis II, XXXV, 2

« **ليتوبوليس** » (**أوسيم**) :وجد فى اثار هذه البلدة الجزءالاسفل من تمثال من الجرانيت

الوردى وقد أقامه «بسمتيك الثانى» فى معبد «سخم» على شرف الملك «نيكاو الثانى» وقد مثله راكعا متعبدا ونقش عليه أن «بسمتيك» قد خلد اسم الملك الذى أنجبه •• وهو «نيكاو» المحبوب من سيد «سخم» (A. S. IV, P. 92)

متحف « فلورنس » :يوجد فى متحف « فلورنس » لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة اليوم الأول من بئونة ؟ من حكم جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وحم اب رع) ابن رع «نيكاو» المبرأ •

ومن هذه اللوحة نفهم أن فردا يدعى «بسمتيك» قد ولد فى هذه السنة من حكم «نيكاو» وتوفى فى السنة الخامسة والثلاثين فى السادس من شهر بئونة وهو فىالواحدة والسبعين وأربعة الأشهر وستة الايام من عمره • وأهمية هذه اللوحة من الوجهة التاريخية عظيمة مثل لوحتى «ليدن» ولوحة «اللوفر» اللتين تحدثنا عنهما فيما سبق (L. R. IV, P. 87) عند الكلام على «بسمتيك الأول» وستتحدث عن صاحب لوحة فلورنس وأهميتها كرة أخرى عند التحدث عن بسمتيك صاحبها فى عهد أحمس الثانى (أمسيس) •

متحف « جيميه » : يوجد بمتحف «جيميه» «بباريس» لوحة خاصة بمنح قطعة أرض للاله «أوزير» فى ضواحى «بوبسطه» وقد جاء عليها تأريخ للملك «نيكاو» غير مؤكد السنة •• ثم يأتى بعد ذلك أسماء الملك «نيكاو» الخمسة وهى «حور» (المسمى) ذكى القلب ، والسيدتان (المسمى) المنتصر ، وحور الذهبى (المسمى) محبوب الآلهة ،وملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وحم اب رع) ، ابن رع المسمى «نيكاو» راجع
Moret, Revue de l'Histoire de Relig. I, LIV (1906), P. 147; Catal. de la galerie Egypt. du Musée Guémet, P. 99 - 102 et PL. XLIII)

« ادفينا » : عثر على خاتم جرة من الجبس ومقبض جرة كتب على كل منهما طغراء الملك «نيكاو» : بن رع «نيكاو» • وقد عثر على هذين الأثرين فى «ادفينا» (راجع
Petrie, Tanis, II, P. 71 - 72, PL. XXVI No. 2; Hall, Catal. of Egyptian Scarabs etc. in the British Museum, I, P. 291.

وهما محفوظان الآن بالمتحف البريطانى (No. 2783 - 2784

متحف « القاهرة » : يوجد بمتحف القاهرة وزن يعادل دبنين عشر عليه فى «سايس» (راجع
Weigall, Catal. Gen. Weights and Balances, No. 31604, P. 22 & Pl. III)
وقد نقش على هذا الوزن الآله الطيب (وحم اب رع) رب الأرضين «نيكاو» عاش مخلدا

« **تل الفراعين** » عثر الأثرى «ادجار» على تمثال بولهول من الشست قيل أنه باسم الملك «نيكاو» ، غير أن النقوش التى عليه وجدت مهشمة ولا يمكن التحقق من هذا الاسم .

قرية « طرينة » بالدلتا : شاهد الأثرى «نافيل» قطعة من الحجر الرملى الاحمر فى باب جامع قرية «طرينة» بمركز «المحلة الكبرى» غربية . وقد نقش عليها : «حور» صاحب القلب الذكى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وحم اب رع) بن «نيكاو» (راجع
(Naville, The Mound of the Jews etc. P. 60 - 61, PL. XX, Note 4.

« **مجموعة بترى** » : وفى مجموعة «بترى» توجد أسطوانة من الحجر الرملى جاء عليها الآله الكامل (وحم اب رع) عاش أبديا (Petrie, Historical Scarabs No. 196)
وتوجد فى المتحف البريطانى لوحة صغيرة من الخزف نقش عليها فى طغراءين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وحم اب رع) ، وابن رع «نيكاو»

Hall, op. cit. I, No. 2805

المتحف البريطانى : وكذلك توجد أقداح من الخزف محفوظة بالمتحف البريطانى باسم هذا الفرعون (راجع

B. M. No. 24238; Petrie, Historical Scarabs No. 1963)

كما يوجد محراب صغير من البرونز فى نفس هذا المتحف . وقد نقش عليه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وحم اب رع) بن رع «نيكاو» (راجع

(A guide to the 3rd and 4th Egyptian Rooms 1904, P. 33)

هذا ويوجد عدد لا بأس به من الآثار الصغيرة التى عليها اسم «نيكاو» الثانى فى المجاميع الخاصة والعامة فى متاحف أوروبا وغيرها . وهذه الآثار هى أوان من المرمر ولوحات من الزجاج وقطعة موازين وتمثال من البرونز وتعاويذ .. الخ وقد عمل بها كل من «فيدمان» و «بترى» قائمة (راجع
Petrie, Hist. III, P. 335; L. R. IV, P. 90 - 91

« **منف** » : اشترى «بترى» تمثالا من «منف» لرجل يدعى «وزحور» . وتدل النقوش التى عليه على أن «وزحور» هذا كان مشرفا فى «أسوان» فى أثناء اقامة المبانى التى عملت فى عهد «نيكاو» وقد كان يحمل لقب حاكم الباب أو نقطة الحدود الخاصة بالبلاد الجنوبية ومثله كمثل الموظفين القدامى الذين أقاموا فى هذا المكان من عهد الأسرة السادسة وحملوا نفس اللقب الذى يحمله وهذا التقليد فى الألقاب كان شائعا فى عهد النهضة التى كانت ترمى لاحياء كل قديم يدل على مجد مصر . وهاك النص الذى جاء على هذا التمثال :

المقرب لدى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وحم اب رع) «نيكاو» مثل رع . الأمير الوراثى والحاكم وحاكم باب الممالك «وزحور» يقول : لقد كنت قائدا لأعمال على الجبل لعمل مسلات عظيمة من الجرانيت وكل الآثار التى من الديوريت والجرانيت لأجل ... (راجع
Petrie, A Season in Egypt, PL. XXI, No. 5; Br. A. R. IV, § 980.

متحف « **القاهرة** » : يوجد فى متحف القاهرة الجزء الأسفل من تمثال للاله « أوزير » وقد مثل جالسا على قاعدة بسيطة وهو مصنوع من البازلت الأسود اشترى من « الأقصر » وقد جاء عليه النص التالى : (راجع
(Cat. Gen. Musée du Caire, Statues des Divinités P. 100 No. 38372)

النقش الذى أمام القدمين على القاعدة :

«أوزير» الكائن الكامل المحمى والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهة المسمى

« بدى حورنسو » . وعلى عارضة المقعد اليمنى وعلى يمين القدمين نقش : المقرب من « أوزير » الكائن الكامل الآلهى ، المدير العظيم للبيت للمتعبدة الالهية «نيتوكريس» عاشت مخلدة (المسمى) « بدى جورنسو » (المرحوم) » .

ونقش على العارضة اليسرى من المقعد : المقرب لدى أوزير « ختى امتى » والمدير العظيم لبيت المتعبدة الالهية الأخت الملكية للملك « نيكاو » عاش مخلدا (المسمى) «بدىجورنسو» المرحوم .

ونقش على الجزء الذى امام القاعدة وحولها المتن الثانى من اليمين : « المدير العظيم لبيت الزوجة الآلهية (المسمى) « بدى حورنسو » المرحوم وأمه هى ربة البيت « شبسن رنونت » المرحومة ان روحك فى السماء وجسمك (فى الأرض) .

من اليسار : « المدير العظيم لبيت المتعبدة الالهية « بدى حورنسو » المرحوم بن المشرف على الكتبة والذى فى حجرة المتعبدة الآلهية « أى الخادم الخاص » المسمى « أخأمون دو » المرحوم . انك تصل الى بيتك للأبدية والى قبرك السرمدى ... »

مقبرة « نيكاو » [1]: وقد دفن « نيكاو » فى « سايس » ، وعثر على قبره منذ زمن بعيد ولكن موميته وجدت مهشمة ولم يبق سليما من قبره الا الجعران الذى كان فى كلية « الجزويت » بباريس كما ذكرنا من قبل (راجع
(Birch, History of Egypt P. 180

اسرة « نيكاو » : لم يصل الينا بعد اسم زوج الملك « نيكاو » الثانى . وقد ظن البعض أنها الملكة « تاخاوت » وهى التى كانت والدة الأميرة « عنخنس نفر اب رع» راجع (Lepsuis, Königsbuch Pl. XLVIII, No. 642d; Brugsch Bouriant Livre des Rois No. 706)

ويقال أنها هى التى عثر على تابوتها فى «بنها» حديثا . وقد وجد فيه بعض حلى أنيقة وظن البعض أن « نيتوكريس » قد تزوجت من أخيها « نيكاو الثانى » (راجع
(Budge, Book of the Kings II P. 81

---

(١) وقد عثر حديثا على قطعة من تمثال مجيب عليها (ملك الوجه القبلى والوجه البحرى نيكاو)

غير أن هذا لا يرتكز على أى أثر يثبت النظرية الاخيرة حتى الآن (راجع (Petrie, Hist. III P. 337

هذا ونعلم أن الملكة « تاخاوت » كانت زوج « بسمتيك الثانى » (راجع (Rec. Trav. XX, P. 83

والولد الوحيد المعروف للملك « نيكاو » هو « بسمتيك الثانى » الذى خلفه على عرش مصر ويسميه « هردوت » « باميس » راجع (Herod. II 159) ، غير أن اسم والدته مجهول لنا ، ومن المحتمل أن الملكة «تاخاوت» كانت أخت زوجها «بسمتيك الثانى » وعلى ذلك تكون بنت « نيكاو الثانى » غير أنه ليس لدينا أى برهان قاطع يثبت هذه البنوة .

الأوراق البردية التى عثر عليها من عهد « نيكاو » : (راجع Rylands III P. 19)

لم يعرف من عهد هذا الملك حتى الآن الا بردية واحدة كتبت بالهيراطيقية الشاذة ، وهذه الورقة تحتوى على هبة من الأرض وهاك ملخص ماجاء فيها :

السنة الثانية ٣٠ طوبة يؤكد «بتيسى» لامرأة ملكية ستة أرورات من الأرض فى ضيعة « آمون » فى « تشنرس » ، وكانت قد أعطيت زوجه ، وكان أخوها قد صدق عليها (لبتيسى) بالقرب من قبر الملك «أوسرتون» (؟) [1] . ولم يذكر فى الورقة يمين . وقد ذكر اسم كاتبها وجاء فيها أربع شهادات وصورة شهادة كاملة . وهذه الورقة قد أصابها التمزيق كثيرا وتعد أقدم بردية فى المجموعة التى حصل عليها «أيزنلور» من « طيبة » .

---

(١) يجوز انه يقصد « اوسركون » .

الملك بسمتيك الثانى



يقول « مانيتون » ان هذا الملك حكم ست سنوات وفى رواية أخرى سبع عشرة سنة (راجع (Unger Chronologie des Manetho, P. 271 .

والرقم ست سنوات جاء فيما رواه « أفريكانوس » والرقم ١٧ جاء فيما رواه المؤرخون الآخرون الذين نقلوا عن تاريخ «مانيتون» . أما « هردوت » فيقول انه حكم ست سنوات (راجع (Herod. II chap. 161) . والآثار التى عثر عليها حتى الآن تؤكد ماقاله «أفريكانوس» و «هردوت» (راجع Wiedemann, Aegypt. Gesch. P. 602 &604; Maspero, Hist. III, P. 54, Note 3; L. R. IV P. 92) ويقول «جوتييه» ان أعلى تاريخ لحكم الملك «بسمتيك الثانى» هو السنة السابعة (راجع (Ibid. P. 92, Note 4 وما كتب عنه فى قصة «بتيسى»

حالة البلاد فى عهده وسياسته :

مات الملك « نيكاو » عام ٥٩٤ ق.م مابين ٤ مايو و٢٣ نوفمبر وتولى زمام الحكم بعده ابنه «بسمتيك الثانى» ؟ وتدل الأحوال على أنه سار فى أعقاب سياسة والده ، وقد كان أهم ما وجه اليه عنايته هو بالمحافظة على حدود بلاده من جهة الشمال ثم من جهة الجنوب ، والظاهر أنه لم يكن الا مدافعا عن حدود مصر فى هاتين الجهتين كما يظهر ذلك مما بقى لنا من الآثار التى عثر عليها حتى الآن .

وقد تحدثنا عن رحلته الى بلاد « سوريا » ثم نفصل القول عن حروبه مع بلاد الكوش كل فى موضعه .

آثار (بسمتيك الثانى)

(١) ((وشيد)) : وجدت قطعة حجر عليها اسم الملك « بســمتيك الثانى » فى بلدة « رشيد » (راجع (Wiedemann, Geschichte P. 634)

(٢) ((دمنهور)) :يقول « ماسبرو » انه فى عام **١٨٨٣** م وجد الأثرى « بروكش » تابوتا فى قرية بالقرب من « دمنهور » وقد نقل الى متحف « بولاق » (رقم **٦٠٢٩**) ويقول « ماسبرو » انه تابوت الملك « بسمتيك الثانى » . وحوض هذا التابوت من الحجر الرملى وقد صنع صنعا خشنا ويبلغ ارتفـاعه **٧٥** سنتيمترا وطوله **١٫٧٥** مترا وعرضه **٧٨** سنتيمترا ، وقد لوحظ أن داخله قد حفر بسرعة لأجل أن توضع فيه المومية وليس عليه زينة أو أشكال عند القدمين والرأس . كما هى العادة . وقد رسم على الجانبين الطويلين للتابوت بعض مناظر جنازية باسم « بســمتيك الثانى » (راجع (A. Z. Band, XXII P. 79

والواقع أن هذا الأثر هو قاعدة مجوفة من حجر « الكوارتسيت » لفرس البحر المقدس (؟) وليس بتابوت كما يقول « ماسبرو » ، والمتن الذى نقش عليه جاء فيه اسم الملك « بسمتيك الثانى » .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا التابوت لم يكن للملك « بســمتيك الثانى » ، وذلك على الرغم من أنه يشمل صورة هذا الملك وطغراءاته . والاستنباطات التى أريد استخلاصها من صغر حجم هذا التابوت (وهى القائلة انه للملك « بسمتيك الثانى » بسبب الادعاء بأن الملك « بسمتيك الثانى » كان قصير القامة وأنه مات فى غير أوانه) تعتبر غير مقبولة (راجع
Porter & Moss, IV P. 49; L. R. IV P. 97 Note 2)
لأنها ترتكز على أساس علمى واضح .

(٣) ((الاسكندرية)) : وجدت قطعــة حجر فى الاســكندرية وهى جزء من تمثــال جالس من حجر البروفير الأحمر (راجع Porter & Moss IV P. 270) . وقد نقش عليها اسم هذا الملك .

(٤) « نقراش » : راجع (Petrie, Naukrates I PL. XXXVIII No. 184
وجد فى «نقراش» (تل جعيف) جعارين عليها لقب هذا الفرعون وهو «نفر ابرع»

(٥) « تانيس » : (راجع Petrie, Tanis I. P. XII No. 25) عثر « بترى »
على جزء من قرص من الفخار المطلى عليه لقب هذا الفرعون فى حفائر « تانيس » .

(٦) « الأشمونين » : مفصلة باب من البرونز منقوش عليها اسم « بسمتيك الثانى »
(راجع Brugsch, Recueil 1, X, 7))

(٧) «دفنه» (ادفينا) : عثر «بترى» فى «ادفينا» على خاتم مصنوع من الجبس نقش
عليه اسم « بسمتيك الثانى » (راجع (Petrie, Tanis II, XXXVI, 3

(٨) « نهاية » Naharieh : على بعد بضعة أميال من جنوب « سايس »
(صا الحجر) تقع على الشاطىء الغربى من النيل قرية «نهارية» وفيها عثر على أحجار
أثرية كثيرة من معبد قديم وعليها اسما الملك « بسمتيك الثانى » والفرعون « حفرة »
(راجع (L. D,Texte III. P. 4) وقد عثر على هذه الأحجار الأثرى « لبسيوس »
فى أكتوبر سنة ١٨٤٢ .

(٩) «أتريب» (بنها الحالية) : عثر فى خرائب «اتريب» الحالية على خاتم كاهن
عليه اسم « بسمتيك الثانى » (راجع (Brugsch, Recueil I, X 6

(١٠) «هليوبوليس» : عثر فى حفائر عملت فى خرائب مدينة « بومبى » على
مائدة قربان محفوظة الآن فى متحف مدينة « نابولى » (راجع (A. Z. VI P. 85
وهذه المائدة مصنوعة من البازلت وقد جاء عليها النقش التالى :

أن حور (المسمى) رع ثابت القلب ، وحور الذهبى (المسمى) مرقى مصر ،
ونفر اب رع (رع القلب) « بسمتيك » يأتى اليك يا « آتوم » يا سيد « هليو بوليس »
انه يقدم لك عين حور ويمجد « بسمتيك » بن رع يا « آتوم » يا سيد « عين شمس »
ومعه اناءان « شست » ، حاملا اليك تماثلك فى « هليو بوليس » ، وانه يمنحك أعيادا
ثلاثينية عديدة جدا على عرش حور مثل رع أبديا .

وكذلك عثر على قاعدة تمثال « بولهول » من الجرانيت الرمادي الأسود ومن المحتمل أنها مستخرجة من مدينة « عين شمس » أو « سايس » عاصمة الأسرة السادسة والعشرين وقد نقش عليها المتنان التاليان :

الجهة اليمنى للقاعدة : يعيش حور (المسمى) كامل القلب ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (المسمى) « نفر اب رع » ، ابن « رع » (المسمى) « بسمتيك » مثل رع محبوب الام الآلهية (يحتمل أنه يقصد هنا الآلهة « نيت » معبودة «سايس» التي ذكرت على الجهة اليسرى) ...

الجهة اليسرى : (يعيش « حور » (المسمى) سليم القلب ، ملك الوجه القبلي (والوجه البحري) نفر اب رع ، ابن رع (المسمى) بسمتيك ، مثل رع محبوب الالهة «نيت» ، وهو الاله الكامل ضارب بلاد شث (شسمث؟) ومخرب قوم «أونو» (؟) ومن خوفه يفنى قوم « بندوقدو » ، معطى كل الحياة والثبات والقوة والسرور مثل رع أبديا . »

ويلحظ أنه ليس أمامنا شيء كثير نستخلصه من المتن الذى على الجزء الايمن من القاعدة ، وذلك لأن التهشيم فى هذا الجزء قد بدأ فى الجزء الذى كان يمكن أن نستنبط منه أشياء . أما المتن الذى على الجزء الأيسر فقد حفظ لنا ويمكن أن نستخلص منه بعض الحقائق الهامة وذلك أن النعت « ضارب سثت (أو شسمت) يوحى بأنه كان هناك حملة حربية قام بها « بسمتيك الثانى » فى فلسطين أو « سوريا » أو « فنيقيا » . وكلمة « سثت » تعنى قوم الآسيويين ، والواقع أنه فى العام الرابع من حكم الملك « بسمتيك الثانى » هذا (حوالى ٥٩١ ق٠م) زار هذا الفرعون بطريق البحر على ما يظن محراب بلدة « بيلوص » الذائع الصيت فى رحلته الى بلاد « خارو » التى صحبه فيها كهنة « آمون » ، وهذه الرحلة كما يقول المتن الذى ذكرت فيه وتحدثنا عنها فيما سبق فى قصة بتيسى توحى بأنها كانت بمثابة حج دينى لا حملة حربية ، على أنه ليس لدينا مايمنعنا على حسب ماجاء فى المتن الذى نحن بصدده

من أن هذا الفرعون قد قام بحملة حربية فعلا على هذه البلاد وبخاصة عندما نعلم أن الملك « نبوخد نصر » البابلى كان يفكر فى مشاريع عدوانية تهدد مركز مصر فى بلاد « فنيقيا » ، وعلى ذلك فان النعت « ضارب الآسيويين » قد يحملنا على الظن أن هذه الرحلة كانت دينية وفى الوقت نفســه حربية وسياسـية . يضاف الى ذلك عبـارة « بندوقدو » تدل على قول أفريقيين ، ومن ثم نجد أن « بسمتيك الثانى » أراد أن يدون على قاعدة تمثاله هدا أنه هزم الآسيويين والسودانيين فى مدة حكمه وهـذا مايتفق مع الحقائق التاريخية التى ذكرناها فى هذا المؤلف كما سيأتى بعد .

(راجع A. S. XXXIV P. 129 ff

(١١) «التوبوليس» (أوسيم) : عثر الأثرى «احمد كمال» على قطعة حجر من تمثال فى « أوسيم » مركز «امبابة» نقش عليها اسما ملكين أولهما «نيكاو» والثانى هو «بسمتيك الثانى» والظاهر أن هذا التمثال كان قد أهداه «بسمتيك الثانى» لوالده نيكاو (راجع A. S. IV P. 92)

(١٢) (« أبوصير» (بالقرب من سقارة) : عثر على قطع من الحجر عليها اسم «بسمتيك الثانى » فى « أبو صير» . (راجع Porter & Moss, III P. 99)

(١٣) «تل بسطة» : عثر فى «تل بسطه» على لوحة خاصة بهبة قطعة أرض فى السنة الثانية من حكم الفرعون «بسمتيك الثانى» (راجع A. S. XI P. 192) . وهذه اللوحة نحتت فى الحجر الجيرى وارتفاعها ٥٨ سنتيمترا وعرضها ٣٢ ســنتيمترا وهى مستديرة فى جزئها الأعلى ونقشها ليس متقنا . ويشاهد فى الجزء الأعلى المستدير تحت قرص الشمس المجنح منظر ، وقد سمى فيه « بسمتيك » بلقبه « نفر اب رع » وقد مثل وهو يلبس التاج المزدوج ويقدم رمز الحقل للآلهة « باستت » التى مثلت واقفة وبيدها ساق بردية ، ونقرأ تحت ذراع الملك : « يعطى الحقل لأمه « باستت » العظيمة ربه «بوبسطة» . ونقرأ أمام الالهة : « كلام يقال بوســاطة «باستت» العظيمــة ربة «بوبسطة» معطاة الحياة مثل رع أبديا » . وتحت ذلك يأتى المتن الخاص بهبة الأطيان

والمتن ليس من السهل قراءته بسبب رداءة كتابة الاشارات .

(١٤) «المحلة الكبرى» :عثر على قطعة من الجرانيت الأحمر فى « المحلة الكبرى » عليها طغراءان للملك «بسمتيك الثانى» بقيت فى صهريج (راجع

Daressy, Rec. Trav. XXIII P. 162; Kamal. A. S. VII P. 238; Ibid. VIII P. 2

ويدل ظاهر هذه القطعة على أنها كانت جزءا من عمود باب ومنقوشة باسم الملك «بسمتيك الثانى» ، ولكن بدلا من كتابة أسماء هذا الفرعون على حسب الطريقة التى كانت متبعة وقتئذ أى كتابة الألقاب مبتدئة بالاسم الحورى ثم اسم السيدتين ثم اسم حور الذهبى واسم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى وأخيرا اسم ابن رع «بسمتيك» فان أسماء هذا الفرعون قد نظمت على حسب الأسلوب القديم ، فنجد أن صورة قصر الملك قد رسمت يعلوها الصقر ويحتوى على اسم «الـكا» وكذلك على لقب الفرعون موزعا توزيعا متوازيا ، ولدينا مثل هذا التوزيع فى آثار كل من الملكين « نيوسررع » و «بيبى الثـانى» . ويلحظ أن الآثار العتيقـة تعطى الأولوية للقبى ملك الوجـه القبلى والوجه البحرى والسيدتين . وعلى أية حال فانا نجد فى مثل هذه الكتابة رجوع الساويين الى تقليد العهود القديمة بدرجة ملحوظة وكان هـــذا هو هدفهم الاسمى

(١٥) «صاالحجر» :يوجد جزء من تمـثال من البازلت الأســـود محفوظ الآن فى «كمبردج» بمتحف «فيتزوليم» (راجع

Remarks on some Egyptian Monuments in England (Yorke and Leake), PL. XIII Fig. 38, Texts Budge, A catalogue of the Egyptian Collection in the Fitzwilliam Museum P. 112)

وقد وجد اسم «بسمتيك الثانى» فى «صاالحجر» على قطعتين من الحجر غير أنه لا يمكن بوساطتهما الحكم على أن هذا الملك قد أقام مبانى فى هذه العاصمة (راجع (A. S. XLI P. 406

(١٦) «السويس» :رأس تمثال ضخم من الحجر الرملى لتمثال قاعد للملك «بسمتيك

الثانى » ووجد معه بقايا نقوش عرش ، ويقال انه قد عثر عليه فى الطرف الجنوبى من «قناة السويس» (راجع
(Brit. Mus. Guide to the Egyptian Collection (1909) Fig. P. 259, (1930) P. 386 Fig. 212; Guide Sculpture (1909) P. 222 [803])

(١٧) «القاهرة» : قطعة حجر من الجانب الأسفل لعمود وقد مثل عليها منظران يمثلان «بسمتيك الثانى» واقفا أمام الاله «آتوم» ويتبعه روحه ومعه علم . عثر على هذه القطعة فى القلعة (راجع Porter & Moss, Vol. IV P. 71)

(١٨) « محاجر المعصرة » : وجدت طغراءات الملك «بسمتيك الثانى» فى محاجر المعصرة (راجع Vyse: Op. cit. III P. 102. Porter & Moss IV P. 74)

(١٩) «أسوان» : يوجد متنان على صخر عند سفح المرسى الخ .. (راجع
(L. R. IV P. 95
عليهما اسم الملك « بسمتيك الثانى » .

(٢٠) «وادى حمامات» : نقش من السنة الثالثة من عهد الملك «بسمتيك الثانى» (راجع Les Inscriptions du Ouadi Hammamat P. 71 Pl. XXIV)
ويشاهد فى هذا النقش صورة كبش جالس على قاعدة متجه بوجهه نحو اليمين ولابس تاجا مركبا ، وأمامه طغراءات للفرعون « بسمتيك الثانى » وأسفل من ذلك بقليل كتب كرة أخرى ولكن بصورة غير واضحة تماما طغراء هذا الفرعون ؟ وأخيرا نقرأ تحت صورة الكبش لقب الملك مرة ثالثة . وقد كتب اسم الملك هكذا : ابن الشمس (رب القوة بسمتيك) وملك الوجه القبلى والوجه البحرى (مجمل الأرضين طيب القلب رع (راجع كذلك L. D. III 275e)

« روما » : مسلة «كامبنس» أو «منتوشيتوريو»
Campense or Monte Citorio oblisk

باسم الملك «بسمتيك الثانى» ويحتمل أنه أتى بها من «هليوبوليس» وأقيمت فى «روما» عام ١٠ق.م أقامها «أغسطس» فى «كامبس مرتيوس» Campus Martius بمثابة مزولة شمسية وقد كشف عنها البابا «بندكت الرابع عشر» عام ١٧٤٩ وأقيمت

من جديد فى عام ١٧٩٢ ميلادية فى بيازا دى منت شيتوريو» Piazza di Monte Citorio أقامها البابا «بيوس السادس» (راجع Porter & Moss, VII P. 411)

متحف القاهرة: ويوجد بمتحف القاهرة قطعتان من مسلة للملك «بسمتيك الثانى» وهما من الجرانيت الأسود ويبلغ طولهما الحالى ١٥٢ سنتيمترا و٢٠٨ سنتيمترات على التوالى والجزء الأعلى منهما اشترى من «الأقصر» والجزء الأسفل وجد فى معبد الكرنك فى الجنوب من البوابة الثامنة (راجع Catalogue General du Musée du Caire, Obelisques No. 17028 A et B P. 57 et Pl. XV)

وقد نقشت أوجهها الأربعة بأسماء «بسمتيك الثانى» الخمسة وكذلك جاء عليها أن « بسمتيك » معطى الحياة قد عملها أثرا له .

توجد بعض جعارين باسم «بسمتيك الثانى» فى «تونس» فى البرج الجديد (راجع « تونس » : Ibid P. 367)

لوحة « السربيوم »: هذه اللوحة محفوظة فى متحف «اللوفر» الآن (راجع (Chassinat, Rec. Trav. XXII, 1900 P. 169; Breasted A. R. IV § 984-988)

نفهم من الاستنباطات التى نستخلصها من مضمون هذه اللوحة معلومات ثمينة عن مدة حكمى الملكين «نيكاو» و «بسمتيك الثانى» . وعجل «أبيس» الذى احتفل به قد مات فى اليوم الثانى عشر من الشهر الثامن فى السنة الثانية عشرة من حكم الملك «ابريز» وكان عمره عند وفاته سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام . ومن ثم نعلم أن حياته بدأت قبل تولية «ابريز» بمدة خمس سنوات وعشر أشهر وثلاثة وعشرين يوما . ولما كان هذا العجل قد وقع يوم ولادته فى اليوم السابع من الشهر الثانى من العام السادس عشر من حكم «نيكاو» فان الفترة التى من أول تولية «نيكاو» عرش الملك حتى تولية الفرعون «ابريز» (أو بعبارة أخرى) حتى موت «بسمتيك الثانى» هى مجموع :

١٥ سنة	٠١ شهر	٧ أيام
٠٥ سنة	١٠ شهر	٢٣ يوم
٢١ سنة فقط		

وعلى ذلك يكون مجموع حكم كل من «نيكاو» و «بسمتك الثانى» هو واحد وعشرون سنة بالضبط . وقد جاء مؤكدا لهذه النتيجة الكشف عن لوحة أخرى خاصة بالتبنى فى الكرنك وهى لوحة «عنخنس نفر اب رع» التى عثر عليها «لجران» فى معبد الكرنك وسنتحدث عنها فيما بعد ، وهذه اللوحة تضع أمامنا المقدمات التالية عن طول مدة حكم الملك «بسمتيك الثانى» . ففى السنة الأولى من حكم « بسمتيك الثانى » فى الشهر الحادى عشر فى اليوم التاسع والعشرين وصلت ابنتــه الاميرة « عنخنس نفر اب رع » الى « طيبة » لأجل أن تصبح ربيبة للزوجة الالهيـــة «نيتوكريس» . وفى السنة السابعة من حكمه فى الشــهر الاول من نفس الســنة فى اليوم الثالث والعشرين مات الملك «بسمتيك الثانى» ، وتذكر اللوحة كذلك أن ابنه «ابريز» تولى بعده الحكم . وكان موضوع التبنى فكرة سياسية يقوم بعملها الفرعون دون أى تأخير ، ومن ثم نكون فى مأمن اذا استنبطنا أن «عنخنس نفر اب رع» كانت قد وصلت الى « طيبة » بعد فترة وجيزة من تولى « بسمتيك » الثانى الملك وهو التاريخ الذى وقع متأخرا فى السنة التقويمية وعلى ذلك تكون أولى سنى حكمه لاتحتوى على أكثر من شهر أو شهرين . أما آخر سنة حكمها (وهى السنة السابعة) فانه لم يكن قد مر منها أكثر من ثلاثة وعشرين يوما عندما توفى ، وعلى ذلك يكون قد حكم فعلا خمس سنوات وشهرين أو ثلاثة ، ومن الواحد والعشرين عاما التى حصلنا عليها فيما سبق بمثابة مجموع لمدة حكم الملكين «نيكاو» و «بسمتيك الثانى» على التوالى يمكننا أن نستنبط أن حكم «بسمتيك الثانى» كان أكثر من خمس سنوات بقليل ، ومن ثم يكون حكم «نيكاو» فعلا ست عشرة سنة وهذا يتفق مع الحقيقة القائلة ان أعلى رقم لحكم «نيكاو» هو ست عشرة سنة (وذلك عندما كان العجل أبيس الخاص باللوحة قد ولد) . وهذا يتفق مع ماجاء فى «هردوت» الذى قال ان حكم «نيكاو» هو ست عشرة سنة وحكم «بسمتيك» ست سنوات .

لوحة « عنخنس نفر اب رع »

هذه اللوحة الهامة كشف عنها الاثرى «لجران» فى خبيئة الكرنك وهى مصنوعة من المرمر ويبلغ ارتفاعها ٧٤ سنتيمترا وعرضها ٤٢ سنتيمترا وسمكها ١٣ سنتيمترا وهى محفوظة الآن بمتحف القاهرة وقد ترجمها وعلق على محتوياتها « ماسبرو » (راجع (A. S. Tom. V P. 80 - 90) وكذلك ترجمهـــا الأثرى « برســـتد » (راجع Br. A. R. IV §§ 988 etc.) ويشـــاهد فى الجزء الأعلى المســـتدير من اللوحة الســـماء ذات النجوم وتحت الســـماء يرى قرص الشـــمس المجنح ويدعى «بحديتى» الآله العظيم رب السماء صاحب الريش المرقش الخـــارج من الأفق معطى الحياة » . وأسفل من ذلك منظران أحدهما على اليسار والآخر على اليمين . والمنظر الذى على اليســـار : نشاهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (واح اب رع) معطى الحياة والثبات والحكم كلها مثل رع ؛ ويرتدى على رأسه التاج المزدوج ويقبض بيده اليسرى على المقمعة وعصا وضع الأساس ، ويمد يده اليمنى نحو آمون : «آمون رع» رب عرش الأرضين ورب السماء يقبض فى يده على علامات الثناء والمديح . ويشاهد الآله مادا يده ليسلم للفرعون السيف «خبش» . ويرى أمامه سطران عموديان من النقوش جاء فيهما (١) : « كلام يقال : انى أعطيك كل الوجه القبلى والوجه البحرى وكل الأراضى الأجنبية أبديا (٢) كلام يقال : انى أعطيك .. وعيدسد (العيد الثلاثين) » . وخلف آمون نشاهد الالهة «موت» العظيمة . وفى المنظر الذى على اليمين نشاهد زوج الآله «عنخنس نفر اب رع » معطاة الحياة أبديا . لابسة ثوبا فضفاضا ومرتدية تاج «غس» الذى يعلوه الريشتان وهى تحرك فى يديها صناجتين مختلفتين أمام «آمون رع» ملك الآلهة والاله العظيم ، وأمام الاله « خنسو » فى « طيبة » «نفر حتب » معطى كل الحياة والثبات والحكم » . وتلبس حذاء ويتبعها المدير العظيم للبيت (المسمى) «شيشنق» برأس حليق وفى قدميه

حذاء ويلبس قميصا طويلا وفى يده اليمنى مروحة . ويشغل الجزء الذى أسفل هذين المنظرين متن مؤلف من خمسة عشر سطرا وهاك ترجمتها :

السنة الأولى الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم التاسع والعشرين من الشهر فى عهد جلالة حور (المسمى) سليم القلب ، والسيدتان (المسمى) قوى الساعد ، وحور الذهبى (المسمى) مجمل الأرضين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) (نفر اب رع) بن رع (المسمى) «بسمتيك» معطى الحياة .

فى هذا اليوم وصلت ابنة الملك «عنخنس ــ نفرــابــرع» الى «طيبة». وقد خرجت أمها الزوجة الالهية «نيتوكريس» العائشة لترى جمالها . وذهبا سويا الى بيت «آمون». وبعد ذلك قيدت الصورة المقدسة من بيت «آمون» الى .. لأجل أن تعمل لقبها كما يأتى : العظيمة المديح (الكاهنة العظيمة) فى بيت «آمون» والتى تحمـــل الأزهار فى القصر .. الخاص بـ .... «آمون» ، وكاهن «آمون» الأول ، وابنة الملك «عنخنس ــ نفر اب ــ رع » عندما كانت فى حضرة والدها «آمون رع» سيد «طيبة» والمشرف على الكرنك

موت «بسمتيك الثانى» : فى « السنة السابعة الشهر الأول من الفصل الأول فى اليوم الثالث والعشرين صعد هذا الاله الطيب ، رب الأرضين ، «بسمتيك الثانى» الى السماء . وقد انضم الى قرص الشمس ، والأعضاء المقدسة مختلطة بمن سواه . وبعد ذلك توج ابنه فى مكانه (وهو) «حور» (المسمى) : مطمئن القلب ، والسيدتان (المسماة) سيد القوة ، و«حور الذهبى» (المسمى) مخضر القطرين ، ملك الوجه القبلى والبحرى (المسمى) خعع اب رع ، وابن «رع» (المسمى) «واح اب رع» (= «ابريز») العائش .

موت «نيتوكريس» ودفنها : « السنة الرابعة الشهر الرابع من الفصل الثالث (فصل الصيف) من عهد جلالة هذا الملك صعدت المتعبدة الالهية «نيتوكريس» الى السماء وانضمت الى رع والأعضاء المقدسة اختلطت بمن خلقها . وعملت لها ابنتها الكاهن

الأكبر «عنخنس نفر اب رع» كل مايعمل لكل ملك ممتاز . والآن بعد مضى اثنى عشر يوما على هذه الحوادث فى الشهر الرابع من الفصل الثالث اليوم الخامس عشر ، ذهبت ابنة الملك الكاهن الأكبر «عنخنس نفر اب رع» الى بيت آمون ملك الآلهة، فى حين كان الكهنة خدام الاله والكهنة آباء الآلهة والكهنة المطهرون ،والكهنةالمرتلون وكهنة الساعة بمعبد آمون ، خلفها ، والسمار العظام كانوا أمامها وقد أدى لها كل الشعائر العادية الخاصة بمصاحبة المتعبدة الآلهية لآمون الى المعبد بوساطة الكاتب المقدس وتسعة من الكهنة المطهرين من هذا البيت وقد وضعت على نفسها كل التعاويذ والزينات الخاصة بالزوجة الالهية ، والمتعبدة الالهية متوجة بريشتين والتاج الذى على رأسها لأجل أن تكون ملكة لكل ما تحيط به الشمس .

ألقاب « عنخنس نفر أب رع » :وقد ألفت الألقاب كما يأتى : الأميرة الوراثية والحاكمة والعظيمة فى ظرفها ، والعظيمة الحظوة ، سيدة الرقة ، حلوة الحب ملكة كل النساء ، الزوجة الالهية ، والمتعبدة الالهية (حكنفروموت) ويد الاله «عنخنس نفر اب رع » العائشة ، وابنة الملك سيد الأرضين «بسمتيك الثانى» .

حكم«عنخنس نفر اب رع » : لقد عمل لها كل ماكانمعتادا عمله من شعائر وكل الأحفال كما عمل للالهة «تفنوت» فى البداية . وقد أتى اليها الكهنة خدام الاله والكهنة آباء الاله والكهنة الخارجون عن الهيئة المختصون بالمعبد فى كل وقت عندما كانت تذهب الى بيت آمون فى كل عيد ظهور له .

تعليق :وهذه الوثيقة الجديدة تمدنا بحقائق تاريخية غاية فى الأهمية عن عهدالأسرة السادسة والعشرين وبخاصة من حيث تأكيد بناء تأريخ هذه الأسرة ، فهى تعدالبرهان الفاصل بأن «بسمتيك الثانى» والد «عنخنس نفر اب رع» ، كما تمدنا بتاريخ موت «بسمتيك الثانى» ، ومن ثم نعلم مدة حكمه بوجه التأكيد ، يضاف الى ذلك أننا نعلم من متن هذه اللوحة أن «ابريز» هو ابن «بسمتيك الثانى » ، كما نعرف من سياق النص تاريخ تبنى «عنخنس نفر اب رع» وتاريخ موت «نيتوكريس» ، وأخيرا عرفنا

تاريخ تولى «عنخنس نفر اب رع» سلطتها الشرعية ٠

والواقع أن متن اللوحة يقص علينا وصول «عنخنس نفر اب رع» الى «طيبة» فى السنة الأولى من حكم والدها «بسمتيك الثانى» وتبنيها هناك من «نيتوكريس» كما حدث ذلك فيما سبق وتبنيت «نيتوكريس» من «شبنوبت الثانية» بوساطة المنشور الذى أصدره «بسمتيك الأول» خاصا بذلك كما سبق شرحه ٠ ومما يلفت النظر أنها عند الاحتفال بهـــذا التبنى لقبت بالـــكاهن الأعظم لآمون ٠ وبعد وصـــول « عنخنس نفر اب رع » بخمس ســـنين وتســـعة وخمســـين يوما مات والدها «بسمتيك الثانى» وخلفه على عرش الملك «ابريز» ابنه ، وفى السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون الأخير أى بعد مضى ثمانى سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام على تبنى «عنخنس نفر اب رع» ماتت نيتوكريس ٠ وبعد مضى اثنى عشر يوما على هذه الوفاة خلفتها «عنخنس نفر اب رع» فى وظيفتها ، وقد بقيت فيها حتى عهد الملك «بسمتيك الثالث » ، وكانت قد بلغت الثمانين من عمرها وقتئذ على أقل تقدير ٠

« أسرة بسمتيك الثانى »

زوجة «تخاوت» : تزوج الفرعون «بسمتيك الثانى» من امرأة تدعى «تخاوت» وقد جاء ذكرها على تابوت ابنتها المتعبدة الآلهية «عنخنس نفر اب رع» • ويقول جوتييه : الظاهر أنها ليست من دم كاهنات آمون «طيبة» وذلك لأنه كان لا بد لابنتها أن تتبناها «نيتوكريس» لأجل أن يكون لها حق الوراثة فى ملك ولاية طيبة (راجع L. R. IV P. 160) غير أن هـــذا التبنى ليس له علاقة بوراثة ملك طيبة فى تلك الفترة •

وقد عثر أخيرا على تابوت فى بلدة بنها الحالية وهى «أتريب» القديمة وجد عليه نقش كما وجد بداخله بعض حلى وتمائم جميلة الصنع ويحتمل أنها نفس «تخاوت» زوج الملك بسمتيك الثانى وهاك النقش الذى جاء على هذا التابوت

قربان يقدمه الملك لأوزير أول أهل الغرب وللآله العظيم رب القوة (؟) ليعطى قربانا من البخور والعطور وكل شىء جميل مما يعيش منه الآله الى روح الأميرة الوراثية والسميرة الوحيدة سيدة اللطف والحلاوة والحب والزوجة الملكية «تخاوت» المرحومة

ابنته «عنخنس نفر أب رع» : تحدثنا عن لوحة تنصيب هذه الأميرة فيما سبق وقد عثر لها على تابوت مستطيل الشكل من الحجر الجيرى الأسود وقد نقش على الجزء الخارجى من الغطاء صورة بارزة للملكة لابسة لباس الرأس الذى فى صورة عقاب يعلوه قرص الشمس وقرنا الآلهة حتحور وريشتا الاله «آمون رع» • وقدمثلت مرتدية ثوبا فضفاضا يصل الى كعبيها ، وتقبض فى يدها على صولجان الحكم وفى داخل الغطاء مثلت صـــورة الآلهة «نوت» فى طول كل الغطاء ، وفى قعر التابوت نفسه مثلت صورة «حتحور أمنتى» • ويلحظ أن سطح رقعة التابوت كله فى الخارج والداخل قدغطى بالنقوش المصرية القديمة التى تحتوى على صلوات نقشت نقشا بديعا ، وكذلك تحتوى على

خطابات للمتوفاة توجهها للآلهة المختلفين الخاصين بالأموات . وتدل شواهد الأحوال على أن جسم الاميرة قد نقل من التابوت فى الأزمان القديمة جدا ، ويحتمل أن ذلك قد حدث فى عصر الملك «قمبيز» ثم حرق . وفيما بعد يظهر أن التابوت قد احتله كاتب ملك يدعى « امنحوتب بى منتو » الذى حشر اسمه فى طغراءات الملكة ومحا المقطع الدال على التأنيث فى النقوش ، ووضع مكانه ضمير المذكر لأجل أن تعود الصلوات والدعوات التى على التابوت عليه هو . وقد عثر على التابوت فى قعر حفرة يبلغ عمقها حوالى ١٢٥ قدما خلف معبد الرمسيوم فى طيبة . وقد حمل هذا التابوت الى « باريس » ولكنه فيما بعد بيع للمتحف البريطانى ، ويبلغ طوله ٦ أقدام و٥ بوصات وعرضه ٣ أقدام ، و٢/١ ٩ بوصة وارتفاعه ثلاث أقدام وثمانى بوصات ويبلغ وزنه ٣/٤ ٥ من الأطنان . . راجع

(A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture 1909) P. 224 - 225)

والآثار الأخرى التى وجدت لهذه الأميرة أو التى تشير اليها (راجع Gauthier L. R. IV P. 101 - 103 لاتضيف كثيرا الى تاريخها أو الى وظيفتها ويدخل فى ذلك الصورة التى نقلها لبسيوس ((L. D. III, 2740) وهى الصورة التى استخلص البعض منها أنها كانت زوجة الملك «امسيس» الثانى ، وهذه الفكرة لا ترتكز على أى أساس علمى . ولا أدل على ذلك من أنها لم تحمل قط لقبا يدل على أنها كانت زوجة هذا الملك والواقع أن ماجاء فى هذه الصورة يدل على أنها كانت محبوبة لدى «أمسيس» وأنه هو الذى قلدها وظيفتها وعلى مايحتمل بقيت تشغلها حتى نهاية الأسرة . وليس ببعيد أن الحوادث التى وقعت فى أواخر الأسرة قد أشير اليها فى المتون السحرية التى جاءت على تابوتها وهى التعاويذ الخاصة بطرد الأقوام الأجنبية وهى التعاويذ التى تجد فيها ذكر طرد سكان جزائر البحر الأبيض (Z 446) وكذلك الاسيويين (Z. 461/2, Z. 452/3, Z 442)

ومما يلفت النظر فى نقوش هذا التابوت أن لقب «غنخنس نفر اب رع» وهو « حق موت نفرو » لم يذكر على التابوت وقد كان ذلك ضروريا لاظهار مكانتها والواقع أن

الألقاب العادية التى كانت تحملها زوج الآله فى هذه النقوش وهى زوج الآله والمتعبدة الآلهية ويد الآله كانت توجد بكثرة ولكن لم تجد اللقب الرئيسى على تابوتها .

قيمة النقوش التى على تابوت « المتعبدة الالهية » (١)

Die Religiosen Texte auf Dem Sarg Der Anchnesneferibre, Von Sander Hansen P. 1 ff.

ان النقوش التى وجدت على تابوت «عنخنس نفر اب رع» لا تقدم لنا فى الواقع الا معلومات قليلة جدا عن شخصية صاحبة هذا التابوت كما هى العادة فى مثل هذه المتون الدينية البحتة ، غير أن المعلومات الخاصة التى تقدمها لنا نقوش التابوت سواء أكانت قصيرة أم طويلة تعد نسبيا ذات أهمية عظيمة فنجدها أنها تذكر فى الصيغ القصيرة التى على التابوت أنها تدعى زوج الاله «عنخنس نفر اب رع» المرحومة وأمها المرحومة زوج الآله والمتعبدة الالهية «نيتوكريس» أو يد الآله «عنخنس نفر ابرع» المرحومة ابنة الملك رب الأرضين «بسمتيك» المرحوم وابنة الملك رب الأرضين «بسمتيك» المرحوم أوزير الزوجة الالهية «عنخنس نفر اب رع» المرحومة وأمها الزوجة الآلهية «نيتوكريس» المرحومة . وفى الصيغ الطويلة التى على التابوت تدعى ابنة الملك رب الأرضين أوزير التى ولدتها الزوجة الآلهية العظيمة «تاخوت» . وفى رواية أخرى «تخاوتى» ، فكانت «عنخنس نفر اب رع» كما هو معلوم فى النقوش التى على غير هذا التابوت تدعى:ابنة الملك بسمتيك الثانى من زوجه الأولى «تاخوت»، وهى التى على مانعلم لم تذكر فى وثيقة أخرى ، وهذه البيانات بالاضافة الى تسمية زوج الآله «نيتوكريس» بوصفها أمها وذكر بسمتيك بوصفه والدها قد سبب فى وقت ما سوء فهم كبير الى أن وضع الأمور فى نصابها الأثرى العظيم «ارمان» فى مقاله عن التبنى كما تحدثنا عن ذلك فى الجزء العاشر ص ٥٠٤ .

وكما ذكرنا من قبل تولت «عنخنس نفر اب رع» مهام وظيفتها فى السنة الرابعة

---

(١) أنظر صورة هـذا التـابوت الصورة رقم ٩

من حكم «ابريز» ولقبت الزوجة الالهية والمتعبدة الآلهية «حق موت نفروت» وهذا اللقب الأخير يشبه الاسم الذى كانت تحمله الزوجة الآلهية «امنردس» وهو (خع موت نفرو) (راجع Rec. Trav. 22, 126) ومما يلفت النظر هنا ان هذا الاسم لم ينقش على تابوت «عنخنس نفر اب رع» .

تمثال الزوجة الآلهية « عنخنس نفر اب رع »

وجد لهذه الأميرة تمثال من البازلت الأخضر يبلغ ارتفاعه ٧١ سم وكان قد عثر على الجسم والقدمين والقاعدة أولا ثم عثر على الرأس فيما بعد فى نفس خبيئة الكرنك .
راجع (Cat. Gen. Statues des Rois et de Particuliers III P. 13 ff.)

والنقوش التى تغطى السطح العلوى للقاعدة هى مايأتى :

البيضة الالهية (= حتحور) الخارجة من الروح العظيمة والزوجة الالهية التى اختارها والدها لآمون «موو ور» (الماء الازلى) والزوجة الالهية والأميرة الوراثية والحاكمة والوزيرة وابنة الاله «جب» ..

ونقش حول القاعدة .. الزوجة الالهية (موت حكا نفرو) ويد الاله « عنخنس نفر اب رع » حورة (مؤنث لفظ حور) العظيمة محبوبة آمون التى تسر الروح العظيم بشعائرها التى تقيمها لحبها له ، والزوجة الالهية المنضمة لآمون فى قوة ، ويد الاله الجميلة العينين عند المشاهدة والمتعبدة الالهية لآمون ملك الآلهة العظام ربة السماء .

ونقش على ظهر التمثال فى سطر عمودى :

الأميرة الوراثية العظيمة سيدة الحظوة الفاخرة حلوة الحب وسيدة كل مايحيط به قرص الشمس والزوجة الالهية الطاهرة اليدين التى تحمل الصناجتين لتسر آمون بصوتها ، ويد الاله «عنخنس نفر اب رع» محبوبة آمون رب عروش الأرضين ، ويلفت النظر فى هذا التمثال أن أجزاءه مستديرة وبدينة وهذا شىء نادر فى الفن المصرى ، وهو من هذه الناحية يذكرنا بتمثال السيدة «تاكوشيت» والظاهر أن هذا التمثال كان قد نحت بمناسبة حمل «عنخنس نفر اب رع» لقبى الزوجة الالهية والمتعبدة

الالهية وقد حدث ذلك فى ١٦ مسرى من السنة الرابعة من حكم الملك «ابريز» كما ذكرنا ذلك من قبل (راجع Journal d'Entrée du Musée du Caire No. 36750)

وقد عاشت «عنخنس نفر اب رع» حتى آخر عهد الأسرة السادسة والعشرين (راجع A. S. VI P. 131 - 132) أى فى عهد «بسمتيك الثالث» . وكان المدير العظيم للبيت المسمى «شيشنق» معاصرا لها (راجع Daressy, Cones 187, Tomb. Gardiner - Weigall Topagraphical Cat. No. 27)

وكان والده من قبله يشغل نفس الوظيفة واسمه «بدى نيت» (راجع Lady Meux, Coll. No. 71) غير أن تاريخ تولية هذه الوظيفة ليس مؤكدا أى أننا لا نعرف فى عهد من من عهود المتعبدات الالهيات كان يشغل وظيفته (راجع Das Gottesweib des Amun P. 39) وقبره معروف رقم ١٩٧ على الشاطىء الأيسر للنيل بطيبة الغربية

وجاء اسم هذه الأميرة على جعران فى مجموعة «بترى» (راجع Petrie, Hist. III P. 357 Fig. 148) راجع كذلك ماجاء عن هذه الأميرة فى كتاب مس «بتلز» (راجع Miss Buttles, The Queens of Egypt P. 227 - 228); Guide British Museum (1909), Sculpture P. 225 No. 812)

ووجد لها نقش من الحجر الرملى فى المتحف البريطانى والنسخة التى نقلها الاثرى «بدج» لا بد خاطئة ولا بد أن تقرأ «عنخنس نفر اب رع» (ابنة) «نيتوكريس» ويشاهد أن المتعبدة الآلهية هنا يصحبها «شيشنق» المدير العظيم للبيت . وكذلك وجدت قطعة من الحجر الرملى محفوظة بالمتحف البريطانى عثر عليها فى طيبة (راجع Guide,, 1909, Sculpture P. 225, No. 813)

وذكر «بدج» فى كتاب الملوك أن لها لوحة صغيرة محفوظة بالمتحف البريطانى (Book of the Kings II, P. 84 No. 907)

ويحتوى المتحف البريطانى كذلك على تمثال صغير للاله «حربوخرات» جاء عليه الزوجة الالهية «عنخنس نفر اب رع» العائشة المحظوظة بالمحبة .

وأخيرا جاء اسم هذه الكاهنة الأولى على قاعدة تمثال أهداه أحد موظفيهــــا للآله «آمون رع» وهذا التمثال محفوظ بالمتحف البريطانى (Wiedemann Gesch. P. 198)

« **نيت مرى تس**» : هى ابنة الملك «بسمتيك الثانى» وقد جاء اسمها على تمثال «نفر هراب رع» . وهذا التمثال من الجرانيت الأسود وقد مثل راكعا ويحمل ناووسا على قاعدة مكعبة الشكل وقد ضاع الجزء الأعلى من هذا الناووس وكذلك الجزء العلوى من التمثال . وكان فى المقصورة تمثال الهة يحتمل أنها الالهة «نيت» وعلى جانبى الناووس نقشت أسماء أبناء «بسمتيك الثانى» غير أنها وجدت مهشمة ، ونقرأ من بينها اسم الأميرة «نيت مرى تس» . واسم صاحب التمثال الذى مثل تحت أقدام الأمراء هو السمير الوحيد المشرف على المستودعات «نفر نفر اب رع » وهو نفس الاسم الذى صادفناه على تمثال أوزير فيما سبق

« **است خب** » : ونقرأ على نفس التمثال اسم ابنة أخرى وهى «است خب»

ابنـــــاه : ترك «بسمتيك الأول» وراءه ولدين وهما :

(١) « **ابريز** » (راجع Herod. II, 161)

(٢) « **بستهيك** » وقد وجد اسمه على التمثال السالف الذكر : الابن الملكى من جسده محبوبه «بسمتيك» (راجع L. R. IV P. 100) .

عظماء الرجال فى عصر بسمتيك الثانى

« نفر نفر اب رع »

كان «نفر نفرَ اب رع» يعد من أعظم الشخصيات فى عهد الملك «بسمتيك الثانى» ، وقد حدثنا عن نفسه فى نقوش على تمثال للاله « أوزير » عثر عليه فى سقارة ، وهو مصنوع من البازلت الرمادى وقد وجد بدون رأس . ونقش على مقدمة قاعدته سطران جاء فيهما : مربى ملك الوجه القبلى ، مهذب ملك الوجه البحرى سيد الأرضين «بسمتيك» عاش أبديا . المنشىء والمشرف على المستودع (المسمى) «حور ارعا» واسمه الجميل هو « نفر نفر اب رع » يقول : « يا أوزير أيها الاله العظيم بين الآلهة نجنى من كل المتاعب التى أنا فيها لأنى طاهر الفم ، ماهر ، والناس يقولون لى تعال تعال فى سلام ، بسبب مايرى كل انسان من أخلاق فى ، وأنى أعرض بوجهى عن الذى لا قلب له ، وانى حام من يحمى المعوز من القوى . وانى أعرف أن الله منشرح من الذى يفعل ذلك . »

وجاء على الجهة اليسرى من مقعد التمثال فى أسطر من اليمين الى الشمال ما يأتى :

المشرف على المستودع «حور ارعا» واسمه الجميل «نفر نفر اب رع» يقول : يا أوزير يأيها الاله العظيم بين الآلهة انى خادمك وانى أقتفى أثرك ولم أفعل قط ماتمقت . وانى أفرح بما تحبه ولقد أديت الاحترام لكل الناس . وانى آتى لك بدون خطيئة وبدون سيئة ولم أشهد زورا (؟) وعملت السعادة للناس والسرور للآلهة وانى محمى بك ياسيدى . ولا يوجد تقرير ضدى أمام رب الرياسة ، وانى ممدوح (اله مدينته) وخادمه الحقيقى الذى يمشى فى أثره ، والذى يدير احترام بلده وصلاح مقاطعته ، مربى ملك الوجه القبلى ومنشىء ملك الوجه البحرى رب الأرضين «بسمتيك» ، حاضن بسمتيك ، والمشرف على المستودعات «حور ارعا» الذى اسمه الجميل « نفر نفر اب رع » مبسوط الراحة (الكريم) سخى العطايا والذى يعمل الطيبات للناس دون أن يعوقه انسان ، ومن عزيمته تنفذ ، ومن يعرفه كل شريف ، ومن يعمل الخيرات

للناس ، ومن يستمر فى العمل الذى يعمله ، ومن جعله الآله فالحا فى الأرضين ومن روحه وضاءة فى الجبانة ، ومن ذكراه حسنة فى فم الأحياء

وقد نقش حول القاعدة ما يأتى :

كلام يقال : يا أوزير ان الأمير الوراثى والحـاكم وحامل خاتم الوجه البحـرى والسمير الوحيد ومنشىء ملك الوجه القبلى وحاضن ملك الوجه البحـرى رب الأرضين «بسمتيك» عاش أبديا ، والمربى والمشرف على المستودع «حور ارعا» الذى اسمه الجميل هو «نفر نفر اب رع» يأتى الى جوارك ياسيده • وأنه قد عمل ماقاله الناس وماتبتهج له الآلهة وأنه قد أعطى خبزا للجائع ، وماء للعطشان ، وكساء للعريان ، فاجعل اسمه يفلح على الأرض مثل كل محظوظ عندك • المديح لوجهك يأيها الاله العظيم رب العـدالة • ان الأمير الوراثى والحـاكم وحامل خاتم الوجـه البحرى والسـمير الوحيد ومنشىء ملك الوجه القبلى وحاضن ملك الوجه البحرى رب الأرضين «بسمتيك» العائش أبديا والمربى والمشرف على المستودعات «حورارعا» واسمه «الجميل» هو «نفر نفر اب رع» يأتى بجوارك وستقوده ليرى جمالك وأنه يحضر لك العدالة وأنه يقصى عنك الشر ولن يفعل مايمقته الآلهة ولن ينهب القربات الخاصة بالمعابد ولن يغتصب العبد من سيده •

تعليق : ان من ينظر بعين فاحصة فى محتويات هذا المتن يمكنه أن يستنبط منه عدة حقائق غاية فى الأهمية من الوجهات التاريخية والأثرية والاجتماعية • فالمتن أولا يميط اللثام عن مكانة مربى الفرعون «بسمتيك الثانى» المسمى «حوراعا» وماكان له من اتصال وثيق بالفرعون • فقد كان هذا العظيم يحمل لقب الامارة كما كانت فى يده مستودعات البلاد وخيراتها ، هذا فضلا عن أنه كان يقوم بحضانة الفرعون وتنشئته وتربيته ولا يبعد اذا أنه كان بمثابة وصى على الفرعون وبخاصة اذا صدقنا أنه تولى الملك وهو صغير السن • هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أن كاتب هذا المتن قد اختار لنفسه التعابير التى كانت تستعمل فى أوائل عهد الاقطاع الأول حتى نهاية

الدولة الوسطى ، وهذا يؤكد لنا مرة أخرى حب عظماء عصر النهضة تقليد كتابات العصر الذهبى للغة المصرية وانتحال ألقابهم . وأخيرا نجد فى عبارات هــذا المتن مايشير الى اعترافات المتوفى فى الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى أمام الاله «أوزير» رب الآخرة ولذلك جاءت مناسبة للمقام وقد نقشها على تمثال الاله لمعنى بذلك (راجع
A. Z. 25, P. 120, Cat Gen. Musée du Caire Statues des Divinités P. 69 - 70 No. 38236)

«حور منخف ـ ابـنخت»

يوجد جزء من تمثال «لأزيس» و «حور» مصنوع من البازلت الأسود ، والجزء الباقى هو الجزء الأسفل وتشاهد فيه ازيس تحمل «حور» فى حجرها ، ولم يبق من تمثال «حور» شىء . وقاعدة هذا التمثال مستطيلة وقد نقش حولها مايأتى :

من اليسار : «قربان يقدمه الملك لأزيس العظيمة الأم المقدسة لتعطى قربانا من كل شىء جميل طاهر مما يعيش منه الآله ، والذى يأتى به سيد الاحترام حور الذهبى (المسمى) مكمل الأرضين «بسمتيك» عاش مخلدا بمثابة حظوة لروح صادق القلب والماهر المرتل الأول لجلالته وصاحب حور (المسمى) «حورمنخفابنخت» ..الخ..

راجع (Cat. Gen. Musée du Caire Statues de Divinités P. 319 No. 39275)

ويلحظ ان اسم هذا المرتل الأول قد ركب تركيبا مزجيا مع الاسم الحورى للملك «بسمتيك الثانى» يضاف الى ذلك صاحب التمثال رقم ١١٢ بتحف «الفاتيكان»

راجع (Maruccbi Il Museo Egizio Vaticano P. 77 - 79

وكذلك يوجد تمثالان للآلهة «نيت» ربة «سايس» فى متحف «ليدن» (A. 53, et D 121) وكلها تحمل اسم الملك «بسمتيك» (راجع
Leemans, Monuments de Lyde I, Pl. II & XXI

بدى امست : يوجد فى مجموعة الأستاذ «ليشانشف» بروسيا الجزء الأعلى من تمثال وقد نقش على ذراعيه اسم هذا الفرعون ولقبه وكذلك نقش على العمود الذى

يستند عليه التمثال : المبجل بجانب سيده الأمير الوراثى والحاكم والعظيم عند الاله المحلى المسمى «بدى است» ..

« بف دى خنسو » و « حورسا ايزيس »

ونجد فى نفس المجموعة تمثالين مجيبين لرئيسى الخزانة من هذا العصر . الأول ويدعى المشرف على الخزانة « بف دى خنسو » . والثانى يسمى المشرف على الخزانة «حورسا ازيس» واسمه الجميل «بسمتيك أم آخت» بن «بتاح ارديس» الذى وضعته السيدة المحترمة «تاحورديس» .

« **نسو حور** » : وأخيرا يوجد فى مجموعة « تورايف » الجـــزء الأســـفل من تمثال من الحرانيت الأسود وهو يمثل رجلا يخطو الى الأمام وبين يديه صورة أوزير محنط دون ناووس . ويبلغ ارتفاعه ٣٠ سنتيمترا وقد نقش اسم «بسمتيك الثانى» ولقبه بين ذراعى التمثال ورأسه المهشم (١) : « ابن رع «بسمتيك» العائش أبديا (٢) نفر اب (رع) عاش أبديا » .

وعلى اليسار بالقرب من رأس أوزير نقش : « المبجل بجوار الاله الكامل زب الأرضين . »

ونقش ثلاثة نصوص جميلة على العمود الذى يرتكز عليه التمثال وعلى جانبيه غير أنها تحتوى على أغلاط . وقد بقيت الكتابة التى على الجانب الأيمن من التمثال سليمة تقريبا جاء فيها : (١) الامير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب (٢) «نسوحور» ابن «أوفرر» يقول : « يا جميع الكهنـــة ويا كل عالم وياجميع الذين يمرون بى اذا أردتم أن تكون أعضاؤكم سليمة مثل كل الأعضاء السليمة فقولوا قربانا يقدمه الملك على حسب مايريد القلب : وهو نفس الفم المفيد للمتوفى وبه لن يتعب الانسان (من قول ذلك) ولأن ذلك ليس مستحيلا ولن ينقص من متاعك (ثروتك) وأن الذى يعمل على تخليد الأثر للمستقبل سيبقى اسمه بين الأحياء الخ ..

أما نقش العمود الذى يرتكز عليه ظهر التمثال فقد هشم بعضه من أعلى ومن أسفل . وجاء فيه : « الامير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى ، والعظيم فى «نتر» والمشرف على بابى أراضى الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) (المسمى) «نسور حور» بن «أوفرر» .... يقول : « ان أوزير يعطينى من خير أوزير ويحضر الى من طعام آلهة «حت بيت» (معبد لأوزير بالقرب من سايس) وهو مكانه المفضل وعلى ذلك فانى أصبحت انسانا منعما (؟) » . ويلحظ هنا أن اسم«نسوحور» ابن «أوفرر» يذكرنا باسم القائد المعروف الذى كان فى «الفنتين» فى عهد الملك«ابريز» كما سنرى بعد (راجع A. Z. 28, P. 160 - 163)

توجد عدة جعارين وخواتم باسم هذا الفرعون (راجع L. R. IV P. 97 ff)

القائدان « نفر نفر أب رع »و « أمسيس »

تحدثنا عند الكلام على الحرب الدفاعية التى قام بها «بسمتيك الثانى» على بلاد كوش وعن الدور الذى قام به كل من قائديه «بدى سماتوى» وأحمس أو أمسيس على حسب النقوش الأغريقية التى خلفاها لنا على تمثال رعمسيس الثانى القائم فى معبد أبو سمبل، وقد كانت الحملة كما ذكرنا من قبل تتألف من جنود مصريين وكذلك من جنودمرتزقة معظمهم من الاغريق ويحتمل كذلك من بعض اليهود . وتدلنا هذه النقوش الأغريقية على أن الجنود الاغريق كان يقودهم «بوتاسمتو» (بدى سماتوى) ، كما كان يقود الجنود المصريين القائد «أمسيس» (أحمس) . ولدينا فى المتحف المصرى ثلاثة آثار خاصة بهذين القائدين بعينهما وهى تابوت وآنية قربان ويحملان اسم «بدى سماتوى » (بوتاسمتو) ، وتمثال صغير يحمل اسم القائد «أمسيس» (أعحمس) . وسنورد هنا ملخصا لحياة «بدى سماتوى» (بوتا سمتو على حسب ماجاء على آثاره السابقة الذكر (أى التابوت واناء الطعام) ثم نشفع ذلك بشىء عن حياة أمسيس كما جاءت على تمثاله .

تابوت « بوتا سمتو »: عثر على هذا التابوت فى «كوم أبويس» بالوجه البحرى فى عام ١٨٩٦ وهو مصنوع من الشست الرمادى (راجع A. S. 38 P. 158)

اسمه والقابه : ومن النقوش التى على تابوت هذا القائد نعلم أنه كان يسمى بالمصرية «بدى ـ سماتوى» وقد نطقه الاغريق بلفظة «بوتاسمتو» • وكان اسمه الذى ينادى به هو «نفر اب رع نب قنت» • ومن ثم نعلم أنه كان اسما مركبا تركيبا مزجيا مع لقب الفرعون بسمتيك الثانى • وكان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى وحاكم المقاطعة ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد المحبوب ، والمشرف على الحجرتين (أو المصنعين) والمشرف على البلاد الأجنبية ، ومراقب الأجانب والمشرف على الاغريق وقائد الجنود والمحارب العظيم وصاحب النصر •

حياته وأسرته ومسقط رأسه : وكان قد بلغ من العمر العاشرة بعد المائة عند وفاته (وهذه السن كانت تطلق فى العادة على كل من مات فى شيخوخة متقدمة كما كان العمر المثالى عند قدماء المصريين) • وبعد وفاته أودع فى مكان التحنيط سبعين يوما (أو المكان الجميل كما يسميه المصريون القدامى) وكان والده يدعى «رع» ويحمل الألقاب التالية : المحارب العظيم ، صاحب النصر ، كاهن آمون والكاهن «سما» ، والمختص بأمر ادارة «حرموتى» رب «شدن» (أبويسن الحالية القرية من هربيط) • أما أمه فكانت تدعى «تادى ست» وتلقب ربة البيت • وقد جاء فى النقوش التى عند رأس التابوت الخاص بالقائد «بوتاسمتو» ذكر اسم مكان يدعى «جحست» أى بلدة الغزال (راجع Gauthier, D. G. V P. 220) وهذا المكان فى الواقع مجهول لدينا ، ولم يحقق موقعه بصورة أكيدة عندنا ، وتدل شواهد الأحوال على أنه مكان خرافى ، وقيل ان «أوزير» قتل فيه بفعل أخيه «ست» (راجع Ibid) • وجاء كذلك ذكر بلدة « شدن » فى نقوش الاناء الذى باسم هذا القائد ، ولا بد أن هذا الاسم كان موحدا باسم «كوم أبو يسن» الواقعة على مسافة قريبة من بلدة «هربيط» وقد ذكرنا من قبل أن التابوت والاناء قد عثر عليهما فى نفس «تل أبو يسن» هذا •

اسم « احمس » والقابه :

ننتقل بعد ذلك الى ألقاب «أحمس» أو «أمسيس» كما جاءت على تمثاله السالف الذكر ، فقد كان يدعى «اعح مس» (أمسيس) • وكان اسمه الذى ينادى به هو « نفر

اب رع» (لقب بسمتيك الثانى) «نخت» . ويحمل الألقاب التالية : المشرف على الجنود أى القائد ، ومبعوث الملك ، والذى يحارب من أجل الملك فى كل الممالك الأجنبية ، والذى يعمل مايرغب فيه الملك فى النوبة ، والمشرف على القلعتين فى البلاد الشمالية ، وكاهن الآله «سوبد» رب الشرق . واسم والده هو « نسى آتوم » . واسم أمه هو «نا ازيس نفر» وتلقب ربة البيت . وقد جاء على تمثال هذا القائد اسم جغرافى مهشم يظهر أنه جزء من بلدة «صفط الحناء» وهى البلدة التى وجد فيها تمثاله ، وكذلك أشير فى نقوشه الى قلعتين مصريتين على الحدود المصرية الفلسطينية والنوبية . ومما سبق يمكن أن نوحد القائد «بوتاسمتو» بالقائد «بدى سماتوى» ، والقائد «أمسيس» بالقائد «أحمس» للأسباب الآتية :

أولا ـ تشابه اسميهما فى النقوش الأغريقية والمصرية .

ثانيا ـ لأن «بوتاسيمتو» كان قائدا للجنود الأجانب فى حين أن «بدى سماتوى» كان المشرف على الأجانب .

ثالثا ـ لأن « أمسيس » كان يقود المصريين فى حين أن « أحمس » كان المشرف على الجنود المصريين ، ولأنه حارب من أجل الملك فى كل البلاد الأجنبية ، وعمل كل مارغب فيه الملك فى بلاد النوبة .

رابعـا ـ كان كل من «بدى سماتوى» و «أحمس» قد استعمل لقب « بسمتيك » بوصفه جزءا من الاسم الذى كان ينادى به وهذا يدل بلا شك على أنهما عاشا فى عهد الملك الذى نقشت فيه النقوش التى على تمثال «رعمسيس» بأبو سمبل (راجع A. S. 38 P. 158

وصف مختصر لتابوت « بدى سماتوى » (بوتاسمتو) وترجمة نقوشه :

لما كان تابوت «بدى سماتوى» هذا يمثل طراز توابيت هذا العصر فقد آثرنا أن نصفه بشىء من التفصيل ليكون نموذجا لتوابيت عصر النهضة التى نحن بصددها .

غطاء التابوت : غطاء هذا التابوت على شكل مومية مرتدية شعرا مستعارا ولحية

مستعارة أيضا ، وعلى صدرها صدرية من الخرز فى نهايتها رأس صقر عليه قرص الشمس . ويلفت النظر بنوع خاص الرسم البارز الذى على جانبى الركبة والجزء الأسفل من الساق للمومية نفسها ، فيوجد سبعة آلهة ممثلة على الغطاء وهى :

الآلهات «نفتيس» و«ازيس» (وقدظهر تامرتين) و«نوت» والآلهة «حبى» و«كبح سنوف» و «امستى» و «دوا موت ف» ، وهم الآلهة الأربعة الذين يحمون الأجزاء المختلفة التى تنتزع من باطن الجسم فى أثناء التحنيط ، والآله الأول رأسه فى صورة قرد ويحمى الرئتين ، والثانى رأسه فى صورة صقر ويحرس الأمعاء ، والثالث رأسه فى صورة انسان ويحرس الكبد ، والرابع رأسه فى صورة ابن آوى ويحرس المعدة . وهؤلاء الآلهة الأربعة لهم أجسام آدمية ويتبع كل واحد منهم متن دينى مأخوذ من كتاب الموتى . وسنأتى هنا على ذكر المتون التى على التابوت مع ترجمتها

المتن الذى على الغطاء :

(١) **المتن الذى على قمةالرأس :** أولا نشاهد صورة «نفتيس» ومعها المتن التالى : يا أوزير «بدى سماتوى» لقد أتت اليك «نفتيس» ، وهى الأخت الى «جحست» (١) انها ترفع لك رأسك . انها تضم اليك عظامك انها تركب لك أعضاءك (التى فصل بعضها عن بعض) .

(٢) **المتن الذى فى الوسط:** نشاهد هنا صورة الآلهة «نوت» ومعها المتن التالى : ياأوزير « بدى سماتوى » الصادق القول والذى وضعته «تادى – ست» انك مولود السماء ، وقد حملت فيك «نوت» (السماء) ووازت «جب» (اله الأرض) ومحبوبه وان أمك «نوت» تنتشر عليك باسمها سر السماء ، ولقد وهبت أنك ستبقى الها بدون أعدائك بوصفك آلها ، وأنها قد حمتك من كل شر باسمها حامية العظيم (راجع (Chap. CL XXVIII PP. 467 - 468 Book of the Dead)

(٣) **المتن الذيعلىالقدمين:** يشاهد هنا صورة الآلهة «ازيس» ومعها المتن التالى

---

(١) المكان الذى قتل فيه « ست » أخاه « أوزير »

« كلمات تتلى : يا أوزير « بدى سماتوى » ان أختك «ازيس» قد أتت اليك فرحة بحبها لك أنها ترعاك أنها تقترب من ساقيك وانها تحميك وأنك لم تغرق » . ويلحظ هنا أن السطر الأول من هذا المتن هو صورة مشوهة للسطر ٦٣٢ من متون الأهرام .

(٤) **المتن الذى حافة القدم من جهة اليمين:** ياسبع البوابات (التى تؤلف بوابة لأوزير ! يامن تخبرون عن أحوالها أوزير من العبد ! هل يعرفك أوزير « بدى ـ سماتوى » لقد ولد (ثانية) فى «رستاو» (راجع كتاب الموتى Chap. CLIV P. 329)

(٥) **المتن الذى على اليسار:** يافاتحى الطرق . يافاتحى الممرات للأرواح الممتازة فى بيت أوزير افتحوا أنتم (الطرق لروح أوزير «بدى سماتوى»)

(٦) **المتن الذى على الجانب الايسر :** يشـــاهد هـــنا صورة « ازيس » ومعهـا المتن التالى : كلمات تتلى على لسان «ازيس» : لقد أتيت لأكون حاميتك يا أوزير « بدى ـ سماتوى » لقد أعطيتك الهواء لخيشوميك (أى) ريح الشمال الذى يخرج من آتوم . ولقد جعلت زورك يتنفس ، ولقد منحتك أن تحيا الها ، وأعداؤك تحت نعليك (Chap. CL. P. 382)

(٧) **المتن الذى فى الوسط :** يشاهد فيه صورة الاله «أمستى» ومعه المتن التالى كلام يتلى بوساطة «أمستى» : يا أوزير «بدى سماتوى» انى «امستى» . انى ابنك حور محبوبك . لقد أتيت لأضمك وانى أحضر لك قلبك المخصص لمكانه (فى جسمك) وانى حى لأكون حماية لك (Chap. CLI P. 385) .

(٨) وفى الجزء الاسفل يشاهد صورة الاله ((دوا موت ف))ومعه المتن التالى :

كلمات يتلوها الاله «دوا موت ف» : ياأوزير «بدى سماتوى» انى «دوا موت ف» انى ابنك حور محبوبك . لقد أتيت لحمايتك من الذى سيعمل لك سوءا ، ولقد جعلتك تقف على ساقيك الى الأبد (راجع Chap. LXV P. 502, Chap. CL P. 213)

(٩) **المتن الذى على الغطاءمن الجهة اليمنى من اعلى :** يشاهد فيه صورة الالهة «نفتيس» ومعها المتن التالى : كلمات تتلوها «نفتيس» انى ألف حول أخى « أوزير »

« بدى ـ سماتوى » . انى عائشة حامية لك وانى أحمى ظهرك أبد الآبدين وان رع يسمع نداك وان صوتك صادق أمام تاسوع الآلهة ، وان الذى يعمل ضدك لن يعيش .

(١٠) المتن الذى فى الوسط : يشاهد فيه صورة الآله «حبى» ومعه المتن التالى :

كلمات يتلوها «حبى» يا أوزير «بدى سماتوى» لقد أتيت لأحميك فى الحياة وانى كائن بمثابة حماية لك وانى أهزم لك أعداءك وأنك قد رفعت ولذلك أمدح جمالك . ولقد مددت لك ذراعيك حتى الأفق الشرقى للسماء .

(١١) الجزء الأسفل : شاهد فيه صورة الآله «كبح سنوف» ومعه المتن التالى :

كلمات يلقيها «كبح سنوف» ياأوزير «بدى سماتوى» انى ابنك حور محبوبك انى كائن بمثابة حماية لك تحفظك فى يوم العيد . ان رع يرحب بك فى أفقه ، ان القمر يضىء لك بضوئه وان قرينك قوى وكذلك روحك .

(١٢) الجزء الأسفل (القاعدة): يشاهد فيه صورة «ازيس» ومعها المتن التالى :

يا أوزير «بدى سماتوى» انى أنا أختك «أزيس» .

(١٣) صورة « نفتيس» معهاالمتن التالى : يا أوزير «بدى سماتوى» انى أنا أختك «نفتيس» .

(١٤) الجزء الأسفل من اليسار نقش فى شريط افقى ما ياتى :

كلمات تتلى : يا أوزير المشرف على الحجرتين «بدى سماتوى» الذى وضعته ربة البيت «تادى ست» ان وارث الأرض الغربيـــة وهو حور الذى وضعته « ازيس » يعطيك آباءك المتوفين وأذرعتهم خلفك يا أورير «بدى سماتوى» (بمثابة حماية) .

(١٥) يشاهد صورة الاله «امستى» ومعه المتن التالى :

ان الحياة فى الأرض المقدسة لك ياأوزير «بدى سماتوى» وان روحك ستبقى فيما بعد (فى المستقبل) ياأوزير المشرف على الأجانب «بدى سماتوى» .

(١٦) صورة الاله (كبح سنوف) معه المتن التالى :

لك السلام فى الأرض الغربية يا أوزير «بدى سماتوى» وانك ترتاح بين أهل

السلام يا أوزير «بدى سماتوى» (يقصد هنا بأهل السلام أصحاب النعيم فى الآخرة)

(١٧) صورة الاله « جب » و معه المتن التالى : ان روحك ستكون مقدسة فى «نوت» (= السماء) يا أوزير «بدى سماتوى» . وقد قدم لك ماهو خاص بك بوصفك نجما فى السماء يا أوزير «بدى سماتوى» .

(١٨) صورة « أنوبيس » الذى على جبله ومعه المتن التالى : انك كنت تتعلم فى مكانه (أى مكان التعليم) فى شبابك يا أوزير «بدى سماتوى» وانك ستعيش مع كائنات العالم الآخر يا أوزير «بدى سماتوى» .

(١٩) صورة الاله « مانف »(اى الذى يرى والده) ومعها المتن التالى : ان اسمك هو الثابت فى الافواه يا أوزير « بدى سماتوى » وذكراك فى كل المعابد يا أوزير «بدى سماتوى » .

(٢٠) صورة الاله « خر باق ف » (= الذى تحت زيتونته وهذا لقب يعطى عادة الآلهة « تحوت » و « بتاح » و« حور » و «ست» والاشارة هنا للاله(تحوت)وقد يدل أحيانا على الاله «رع») ومعها المتن التالى : « لقد مكثت سبعين يوما فى البيت الجميل» يا أوزير «بدى سماتوى» . ولقد حنط «أنوبيس» جسمك يا أوزير «بدى سماتوى»».

(٢١) الجزء الأسفل من جهة اليمين متن أفقى جاء فيه : « كلمات تتلى يا أوزير المشرف على الاغريق «بدى سماتوى» بن «رع» صادق القول ارفع نفسك ارفع نفسك على الجانب الأيسر ضع نفسك على الجانب الأيمن ان ماتمقته هو النوم والخمول وانه لكريه لك أن تكون تعبا ، قف ، لن يكون فى وسعك أن تصير متعبا .

(٢٢) من اليمين : كلمات تتلى ان وجه أوزير «بدى سماتوى» قد فتح وبذلك يمكنه أن يرى رب الأفق . ان «بدى سماتوى» يعبر السماء كل يوم وأنه يظهر بمثابة اله سرمدى .

من اليسار : كلمات تتلى : ان أبواب السماء قد فتحت ، وقد فتحت أبواب الأقواس بوساطة جماعة الآلهة الذين فى «ب» وأنهم يأتون الى « بدى سماتوى » فى الجبانة بالقرب من المكان الذى ناحت عليه فيه «نفتيس» .

(٢٣) صورة «حبى» ومعهاالمتن التالى سيبقى اسمك من فم لفم يا أوزير « بدى سماتوى » وان اسمك لن يمحى أبد الآبدين يا أوزير «بدى سماتوى» .

(٢٤) صورةالاله« دوا موتف » ومعها المتن التالى : ان الملابس ستوجد من أجلك هكذا تقول «الآلهة» «نيت» ، يا أوزير « بدى سماتوى » الخارج من الحجرتين وانها تلف جسمك يا أوزير «بدى سماتوى» .

(٢٥) صورة الاله « انوبيس» الذى امام الساحة المقدسة ومعها المتن التالى :

انك قد عمرت عشرا ومائة سنة على الأرض المقدسة الخاصة بسيدك (سيده . يقصد الملك) يا أوزير «بدى سماتوى» ولقد مكثت فى مكان التحنيط سبعين يوما ياأوزير «بدى سماتوى» .

(٢٦) صورة « حور » الحامى والده ومعها المتن التالى :

ان تماثيلك ستبقى مستمرة الى الأبدية يا أوزير بدى سماتوى» ان اسمك ينطق به عليها يا أوزير «بدى سماتوى» .

(٢٧) صورة (حرخنتى - ن - ادتى) « حور الذى فى المقدمة دون عينين » ومعه المتن التالى :

ان جسمك سيبقى فى الأرض الخفية (الجبانة) يا أوزير «بدى سماتوى» وان اسمك يستمر على أرض الأحياء يا أوزير «بدى سماتوى» .

وهكذا نرى نموذجا من نماذج التوابيت فى العصر الصاوى ، ويشاهد فى متونه أنها تنزع أحيانا الى متون الأهرام ، كما تقتبس الكثير من متون كتاب الموتى ، وقد ذكر فى هذا المتن بعض نقاط هامة عن حياة صاحب التابوت كما ذكرت أمور هامة من الوجهة الدينية فى هذا العهد عن الشعائر الدينية التى كانت تقام للمتوفى عند دفنه ، وهى كلها تنزع الى محاربة الموت ومغالبته ليعود المتوفى الى الحياة بعد الموت .

متون الآنية التى عثر عليها باسم « بدى سما توى » :

والمتون التى وجدت على هـــذه الآنية تقدم لنا ألقــابه وشيئا عن مكانته ومكانة والده .

وهاك هذه الألقاب :

الأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والمشرف على الحجرتين ، والمراقب على الاجانب ، والمشرف على الجنود والمحارب العظيم وسيد النصر « بدى سماتوى » واسمه المنادى به هو « نفر اب رع نب قنت » ابن المحارب العظيم رب النصر ، وكاهن آمون والكاهن « سما » المرتبط بأعمال الاله « حرموتى » صاحب « شدن » المسمى « رع » صادق القول .

وبلدة « شدن » كانت مركز عبادة الاله «حرمرتى» . ومما لاشك فيه أنها هى التى قام على أنقاضها «كوم أبو يسن» الواقع فى الجنوب الشرقى من «هربيط» الحالية .

متن تمثال « أمسيس » :

أما تمثال القائد «أمسيس» أو «أحمس» فقد جاءت عليه النقوش التالية : المتن الذى على صدر التمثال : المشرف على الجنود «أحمس» واسمه الذى ينادى به هو «نفر اب رع نخت » .

والمتن الذى حول القاعدة جاء فيه : رسول الملك والذى يحارب من أجل سيده فى كل البلاد الأجنبية والذى يعمل مايرغب فيه جلالته فى بلاد النوبة والمشرف على الحصنين فى البلاد الشمالية وكاهن الاله «سبد» رب الشرق «أحمس» واسمه الذى ينادى به هو «نفر اب رع نخت» بن «نس آتوم» والذى وضعته سيدة البيت «نارس نفر » والمتن الذى على ظهر التمثال جاء فيه :

(أنتم يامن فى (؟) حت او ايات) نبست أمام «سبد» رب الشرق تذكروا أنتم روحى فى مخدعها (؟) فى .. لأن نفس فمكم (صلاتكم) مفيد للمتوفى وانه ليس مشينا أن تنطقوا بشىء ممتاز . وعندما يكون الانسان قد عمل شعائره الصالحة فانه يفلح على أرضه ، وان مثل هذه الشعائر ستعمل له بالمثل فى المستقبل (أى بعد وفاته) .

(راجع A. S. 38, P. 193; & Br. A. R IV P. 514)

«حور» بن « ساتوى تفنخت » : كشف عن قبر هذا العظيم فى حفائر سقارة (راجع A. S. XLI P. 391) ويوجد قبر «حور» هذا فى الجهة الجنوبية من هرم الملك «وسركاف» . والبئر الرئيسية طول فوهتها حوالى ٩٥٠ سنتيمترا من الشرق الى الغرب ، ٨٠٠ سنتيمترا من الشمال الى الجنوب . وقد حفرت البئر الى عمق ١٢ مترا وحجرة الدفن الجانبية الواقعة فى الجهة الغربية تبلغ ١٢٠ سنتيمترا مربعا وحوالى١٤ مترا فى العمق . وقد وجد فى حجرة الدفن تابوت طوله ٣٢٠ سنتيمترا من الشرق الى الغرب ، ١٨٠ سنتيمترا من الشمال الى الجنوب وقد وجد سليما ونقش على غطاء التابوت سطر يحتوى على صيغة القربان المنفية الخاصة بالاله «نفرتوم» ، كما نقش متنان المنفيةآخران حول الحافة . ونعلم من النقوش أن صاحب هذا التابوت هو «حور» ابن « سماتوى تفنخت ، وأمه هى «ارت ـ أرو» . وتدل النقوش كذلك على أنه كان يدعى باسم آخر . والواقع أننا نعلم من النقوش المحفورة أن الاسم الذى كان ينادى به هو «نفر اب رع أم أخت» ، ولكن من جهة أخرى نجد رسما بالفرشة على أحد جانبى المقصورة الخاصة بهـذا الرجل باسـم آخر وهو «واح اب رع أم أخت » . والواقع أن توحيد الألقاب التى كان يحملها صاحب المقبرة لا يجعل مجالا للشك فى صاحب المقبرة ، وعلى ذلك فانه يحتم علينا أن نستنبط أن «حور» هذا قد غير اسمه الذى ينادى به فى خلال اقامة قبره . فغير اسمه «واح اب رع ام آخت» الذى قد ركب تركيبا مزجيا مع لقب «بسمتيك الأول» الى اسم «نفر اب رع أم آخت » الذى يحتوى على لقب «بسمتيك الثانى» ومن المحتمل جدا اذا أنه مات فى عهد الملك الأخير .

وكان «حور» هذا يحمل الألقاب التالية :

١ ـ السمير الوحيد . ٢ ـ المشرف على الحجرة .

٣ ـ الكاهن والد الاله . ٤ ـ قريب الملك

٥ ـ رئيس أسرار «روستاو» .

وقد وجد مع المومية جعارين قلب من اليشب الأخضر القاتم والهمتيت واللازورد وكذلك تمائم فى صورة عيون مقدسة واحدة منها من الأبسديون والأخرى من

الهمتيت واليشب والزبرجد . أما التعاويذ الأخرى المصنوعة من الحجر فقد وجد منها قلب من الكرنالين (حجر الدم) ومخدة وعمود «داد» (علامة الثبات الخاصة بالاله أوزير) وتعاويذ فى صورة الطائر «حور» وتعويذة فى صـورة تحوت وأعمدة وازى (تعاويذ) . أما التعاويذ المصنوعة من الذهب فتحتوى على قلادة (وسخت) فى صورة صدرية وبعض آلهة وعلامة دد (الثبات) وعين مقدسة وثعبان ، هذا بالاضافة الى عشرين غطاء لأصابع اليدين والقدمين ، وقد وجد فى حجرة الدفن أربع كوات لأوانى الأحشاء أيضا .

ويلحظ أن صاحب المقبرة قد رسم على الواقع شرقى التابوت بالمداد الأسـود وأمامه مائدة قربان . هذا وقد وجدت على جدران قبر هذا الكاهن نفس النقوش التى وجـدت على جـدران « آمون تفنخت » التى تحـدثنا عنهـا ومعظمها من متون الاهرام غير أنه يلاحظ أن النقوش هنا قد وجدت غير كاملة ، وذلك لأن المقبرة لم تكن قد تمت عند موت صاحبها على مايظهر . وقد نقش خارج المقصورة مايأتى :ـ

فى الجانب الشرقى متن خاص بالالهة «نوت» وهو مأخوذ من متون الأهرام (راجع Pyr. §§ 506 - 51, 52 - 53, 56 - 57)

وعلى الجانب الجنوبى : صيغة قربان للآله أوزير ومعها قائمة قربان مؤلل من ١٤٠ مربعا .

وعلى الجانب الشمالى : صيغة قربان للآلهة « أوبيس » مشروحة بمتن من متـون الاهرام (راجع Pyr. §§ 364 - 366a) . ويلحظ أن زينة هذا الجانب قد تركت ناقصة فى حين أنه على الجانب الغربى لم توجد أية نقوش قط .

الملك ابريز[1] (- واح اب رع)
« حفرة » (كما يسميه العبرانيون)



واح ـ اب ـ رع   حعع ـ اب رع

٥٨٨ - ٧٥٠ ق٠م

يقول «هردوت» أن «أبريز» حكم خمسا وعشرين سنة (Herod. II, Par. 160) ويقول «مانيتون» أنه حكم تسع عشرة سنة (راجع Unger, Chronologie des Manetho P. 271 أما «ديدور الصقلي» فيقول أنه حكم اثنتين وعشرين سنة • (راجع (Diodorus Siculus, I Par. 68

وجاء على الآثار التي وجدت له حتى الآن أن أعلى تاريخ أرخ به في سني حكمه السابعة عشرة على لوحة برلين (Berlin, No. 15593) • والواقع أنه توجد خلافات بالنسبة لمدة حكمه المنفرد وحكمه المشترك المزعوم مع « أحمس الثاني » الذي يسميه اليونان «أمسيس» •

سياسة أبريز الخارجية وعلاقتها بفلسطين و « لوبيا »

تحدثنا الآثار أن الملك «بسمتيك الثاني» توفي في ٨ فبراير سنة ٥٨٨ ق٠م على أثر مرض لم يمهله طويلا ، وذلك بعد أن حكم حوالي ست سنوات سجل لنفسه فيها على حسب ماجاء في الآثار التي خلفها لنا انتصارات في الجنوب والشمال ، وقد خلفه على العرش «واح اب رع» الذي سماه «العبرانيون» «حفرة» • وقد حاول بعض المؤرخين أن يبرهن على أن «ابريز» لم يكن ابن الملك «بسمتيك الثاني» راجع (F. W. Read, Ancient Egypt (1923) P. 57 - 59) وذلك على الرغم من اثبات «هردوت» بنوته صراحة في

---

(١) انظر الصورة رقم ١٠

كتابه الثانى عن مصر (راجع Herod. II, 161) ، وفضلا عن ذلك ما جاء فى لوحة التبنى الخاصة بابنة «بسمتيك الثانى» «عنخس نفر اب رع» المتعبدة الآلهية وقد تحدثنا عنها مليا فيما سبق • وقد ادعى «ريد» أن «ابريز» لم يكن الابن الشرعى للملك «بسمتيك» بل هو على مايظن كان الأخ الأصغر للملك «بسمتيك الثانى» أو ابن أخته (راجع Knietz P. 2624

والواقع أن تولى «ابريز» مهام الحكم كان يعد نقطة تحول فاصلة فى تاريخ مصر السياسى فى الخارج • فقد ذكر لنا أولاً « هردوت » أنه سار بجيشه على « صيدا » ودارت بينه وبين أهالى « صور » موقعة حربية (راجع Herod. II, Par. 161) • وفى بداية حكمه اشتبك بقوته البحرية العظيمة التى وضع له أساسها الملك «نيكاو» الثانى مع الأساطيل الفنيقية التى كانت وقتئذ خاضعة لحكم « بابل » • ولا نزاع فى أن أول عمل حربى قام به « ابريز » كان تدخله فى أمور «فلسطين» ويرجع السبب فى ذلك الى ارسال « صدقيا » سفيره الى مصر طالبا من المصريين اعطاءه خيلا وجنودا لمساعدته على عدوه ملك بابل •

وقبل أن نتحدث عن ذلك يجب أن نفهم الغرض الذى كان يرمى اليه «ابريز» من محاربة ملك «بابل» «نبوخد نصر» القوى •

وتدل شواهد الأحوال على أنه على الرغم من صرامة العقاب الذى أنزله «نبوخذ نصر » عام ٥٩٦ ق•م• باليهود فان نار الحقد كانت تتقد فى صدورهم على البابليين للانتقام ولم يلبثوا أن أخذوا يتأهبون فى عام ٥٩٤ق•م طلبا للثأر ، وذلك عندما وجدنا رسلا فى «أورشليم» وافدين من «ادوم» و «موان» و «صور» و «صيدا»ومن«العموريين» راغبين فى عقد حلف أساسه التآمر مع «صدقيا» على حكومة «نبوخد نصر» الغاشمة (راجع أرميا الاصحاح ٢٧ سطر ٢ الخ ••) • والواقع أن الشعور العام وقتئذ كان متجها نحو «مصر» بحماس وقوة لدرجة أن «صدقيا» نفسه الذى كان صنيعة «نبوخد نصر » لم يكن فى استطاعته صده ، وكان الأنبياء الذين يقفون فى وجه كل اصلاح

دينى يصرون على اعتقادهم فى أن هزيمة بلادهم وخضوعها لم يكن الا حادثا وقتيا ، وكان أولئك الذين بقوا منهم فى «أورشليم» يرددون فى كل وقت ماجاء فى التوراة (آرميا الاصحاح ٢٧ سطر ٩ ، ١٦) « فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل .. ها آنية بيت الرب سترد سريعا من بابل » . وقد حاول «أرميا» أن يحارب قولهم هذا ويكسر من حدة تأثيره ، ولكن دون جدوى ، بل كانت النتيجة أن القوم بدلا من الاصغاء الى قول النبى استشاط غضبهم عليه بازدياد مستمر وألقوا بأنفسهم فى أحضان خطاياهم السابقة، وكان البخور يحرق كل يوم على أسطح المنازل وفى أركان الشوارع على شرف الآله «بعل» كما كان النواح على «تاموز» يشق عنان السماء عند الاحتفال بعيده (راجع حزقيال الاصحاح الثامن ١٤،١٥) : (فجاء بى الى مدخل باب بيت الرب الذى من جهة الشمال واذا هنا نسوة جالسات يبكين على «تامور» فقال لى أرأيت هذا يا ابن آدم بعد تعود تنظر رجاسات أعظم من هذه .)

هذا وكان المعبد يغزوه كهنة غير مختونين ومعهم أصنامهم ، (راجع أرميا الاصحاح ٣٢ سطر ٣٤ ، حزقيال الاصحاح ٨ الأسطر من ٧-١٣ ، ١٦) وسمح الملك لكهنة «مولوخ» أن يبنوا المرتفعات فى وادى « ابن هنوم » (أرميا الاصحاح ٣٢ سطر ٣٥ ؛ حزقيال الاصحاح ١٦ سطر ٣١ ، الاصحاح ٢٣ سطر ٣٧ .) أما اليهود الذين كانوا قد أحيطوا من كل جانب بأقوام من عبدة الأوثان فقد كانت حالتهم لا تقل خطورة عن اخوانهم الذين فى بيت المقدس ، فقد أنكر بعضهم آله آبائهم (أرميا ٢٩/٢١-٣٢) فى حين أن آخرين قد عبدوا أصنامهم المختارة سرا (حزقيال١٤/١-٨)وكان هؤلاء الذين لم يتقبلوا فعلا فى حزن على دينهم وكانوا يصغون للأنبياء الذين وعدوهم انتقاما سريعا أمثال «اهاب» و «صدقيا» وابن «ماسياه» Maasiah و «شماياه» Shemaiah ، وكان بينهم رجل واحد وهو كاهن نشىء منذ صباه فى المعبد وأشربت نفسه بآراء الاصلاح ، وأعنى بذلك «حزقيال» بن «بوزى» الذى قادتهم كلماته الى تقدير موقفهم اذا هم كانوا قد أعرضوا عن التشويش عليه والسخرية به . والواقع أنه لما أزعجه تهديداتهم

أحجم عن التكلم علنا ، بل جمع حوله فئة قليلة من أتباعه فى بيته فى «تل أبيب» حيث ظهرت فى بادىء الأمر روح السيد عليه فى حضرتهم فى حوالى عام ٥٩٢ق٠م (حزقيال ١/١-٣) • وهذه الطائفة القليلة العدد من المنفيين كان أفرادها على اتصال دائم بوطنهم ، وكان صدى المشاحنات الدينية والمجادلات التى كانت تحدث بين الأحزاب المختلفة بسبب الحوادث السياسية العالمية تحمل اليهم فى الحال الى بابل بوساطة التجار والكتاب السائحين أو بوساطة رسل الملك الذين كانوا يرسلون بانتظام حاملين الضرائب الى بابل (راجع أرميا ٢٩/٣) • وقد علموا حوالى عام ٥٩٠ ق٠م أنه كانت هناك حوادث خطيرة وشيكة الوقوع ، وأن الوقت الذى ستشفى فيه يهوذا من جراحها أخيرا قد حان ، وأنها ستأخذ مكانتها تحت الشمس وهى المكانة التى كان قد قدرها لها « يهوه » • والواقع أن ملوك «مواب» و «عمون» و «أدوم» و « صور » و « صيدا » قد أرسلوا رسلا الى «أورشليم» حيث اتفقوا على الخطط التى يجب اتباعها لاشعال نار فتنة على بلاد «كلديا» وربما كان ذلك بتحريض من عاهل مصر (أرميا ٢٧/١-٢) • وقد أحيا تقرير ما عزموا عليه الشجاعة فى نفوس الحزب الوطنى وأنبيائهم • وقد اخترق «حننيا» بن «عزور» شوارع المدينة معلنا الخبر السار للجميع (أرميا الاصحاح ٢٧،٢٨) (هكذا تكلم رب جنود اله اسرائيل قائلا : قد كسرت نير ملك بابل فى سنتين من الزمان • أرد الى هذا الموضع كل آنية بيت الرب التى أخذها «نبوخذ نصر» ملك بابل من هذا الموضع وذهب بها الى بابل) • ولكن «أرميا» كان قد صنع أنيارا من الخشب وأرسلها للأمراء المتحالفين مهددا اياهم بعقاب آلهى اذا لم يحنوا رقابهم للملك «نبوخذ نصر» ، وقد حمل النبى نيرا على رقبته واستعرض نفسه فى الشوارع فى كل المناسبات وهو حامل نيره وذلك بمثابة رمز العبودية التى أراد أن يبقى شعبه فيها وذلك لمصلحتهم الروحية • وقد قابله «حننيا» صدفة وخلع النير عن عنقه وكسره وصاح قائلا : « هكذا قال الرب ، هكذا كسر نير «نبوخذ نصر» ملك بابل فى سنتين من الزمان عن عنق كل الشعوب » • وقد أثار ذلك ضحك المارين ، ولكن فى اليو

التالى ظهر «أرميا» بنير من حديد قد وضعه «يهوه» على عنق كل هؤلاء الشعوب ليخدموا «بنوخد ناصر » ملك بابل ، وفضـــلا عن ذلك فانه رغبة منه فى أن يقضى على أى أمل عند المنفيين فى خلاص سريع كتب لهم : لا تغشكم أنبياؤكم الذين فى وسطكم وعرافوكم ولا تسمعوا لأحلامكم التى تحلمونها لأنهم انما يتنبئون لكم باسمى بالكذب وأنا لم أرسلهم يقول الرب (أرميا ٢٩/٨-٩) • وقد حثهم النبى على أن يرضوا بنصيبهم على أية حال فى تلك الآونة حتى يمكن أن تحفظ الأمة وحدتها الى أن يأتى الوقت الذى يرضى فيه « يهوه » لاعادتها لهم ولذلك يقول لهم : ابنوا بيوتا واسكنوا واغرســوا جنات وكلوا ثمرها (٦) خذوا نســاء ولدوا بنين وبنــات وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات وأكثروا هناك ولا تقلوا واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم اليها وصلوا لأجلها الى الرب لانه بسلامها يكون لكم سلام (أرميا ٢٩/٥ - ٧) هكذا كانت الأحوال فى « فلســـطين » عندما توفى «بسمتيك الثانى» وتولى مكانه ابنــه « ابريز » • وكان شــابا طموحا تتوق نفســه للشهرة والمجد الحربى وكان مشتاقا لامتشاق الحسام الذى امتشقه أسلافه من قبل رغبة منه فى السيطرة على بلاد « فلسطين » وطرد البابليين منهــا حتى يطمئن على حدود بلاده وقد انتهز هذه الفرصة السانحة له فى بلاد «يهودا» ، ومن أجل ذلك أرسل رسله الى أورشليم » فى اللحظة التى كان فيها هياج الشعب على بابل قد بلغ أشده ، ولذلك لم يجد صعوبة كبيرة فى اغراء « صدقيا » والتغلب على ما كان يختلج فى صـــدره من شــكوك وأوهام ، وقد كانت كل من « آدوم » و « موان » و« فلسطين » وهى التى كانت قد اشتركت فى محادثات الحزب الثائر قد ترددت فى اللحظة الاخيرة فى عزمها ، ورفضت قطع علاقاتهـــا ببابل ولم يبق على ولائه لحزب الثورة الا العاموريون و « صور » ، ولذلك تحالفوا مع مصر بنفس الشروط التى عملت مع « يهوذا » • ولمـــا رأى « نبوخـــد نصر » أنه لا بد من مقـــاومة ثلاثة أعداء حار فى أيها يهاجم أولا • أما « حزقيال » الذى وضعه مكان نفيـه

فى موقف حسن استطاع منه معرفة مجريات الامور ، فقد أظهره لنا وهو فى مفترق الطرق كما تقول التوراة : لأن ملك بابل قد وقف على أم الطـــريق على رأس الطريقين ليعرف عرافة : صقل السهام سأل بالتراقيم نظر الىالكبد (راجع حزقيال ٢١/٢١) . وكانت بلاد « يهوذا » تعـــد قنطرة يمكن للمصريين أن يدخـــلوا بوساطتها فى أمان الى « سوريا » واذا أمكن للملك « نبوخد نصر » أن يســـتولى عليها قبل وصولهم أمكنه أن يشتت شمل التحالف ثلاثة أجزاء منفصلة فلا يمكنها أن تتجمع سويا وهى «عمون» فى الصحراء من جهة الشرق و«صور»و «صيدا» على ساحل البحر ، والفرعون خلف خليجه فى الجنوب الغربى ، ومن أجل ذلك عسكر ملك بابل بجنوده فى موقع وسط عند مدينة «ربلة» الواقعة على نهر «الأرنت» ، ومن ثم كان فى امكانه أن يشرف على سير العمليات الحربية التى يقوم بها الأعداء ويكون فى استطاعته أن يسرع بما لديه من جنود احتياطية الى المكان المهدد فى حالة وقوع حادث لم يكن فى الحسبان . وبعد أن أتم ذلك أرسل فيلقى جيشه على عدويه الرئيسين فاخترق أحدهما جبال لبنان واستولى على الحصون تاركا وراءه سجلا لانتصاراته على صخور وادى «بريا» ، متجها جنوبا على الشاطىء لمحاصرة «صور» .

أما الفيلق الآخر فانه حمل على «صدقيا» وأصلاه نار حرب طاحنة أحرقت القرى وهدمت المدن ، يضاف الى ذلك أن المراكز الزراعية قد أصبحت فريسة للفلسطينيين والادوميين ، كما حاصر حصنى «لاكش» و «ازكاه» ولم يظهر بجيشه أمام جدران «أورشليم» الا بعد أن ضرب أقاليمها ، وكانت «أورشليم» قد ضيق عليها الخناق عندما وصلت الاخبار «للكلدانيين» أن الفرعون «ابريز» كان يقترب من «غزة». ، وقد لجأ اليه «صدقيا» فى محنته ليمد اليه يد المساعدة ، ولم يمض طويل زمن حتى أتت النجدة الموعودة « راجع حزقيال ١٧/١٥ = « فتمرد عليه بارساله رسله الى مصر ليعطوه خيلا وشعبا كثيرين فهل ينجح هل يفلت فاعل هذا أو ينقض عهدا ويفلت » . وعندئذ رفع الكلدانيون الحصار فى الحال عن أورشليم وكان قصدهم من ذلك اعاقة العدو المنقض

عليهم ، وعند ذلك اتكل الحزب الموالى على أن الكلدانيين سيلحقون بهم الهزيمة وأخذوا يصبون جام لعناتهم على أنبياء الشر ، وعلى أية حال فان «أرميا» لم يكن لديه أمل فى احراز نصر نهائى • وفى ذلك تقول التوراة (ارميا الأصحاح ٣٧/ ٥-١٠) «وخرج جيش فرعون من مصر ، فلما سمع «الكلدانيون» المحاصرون «أورشليم» بخبرهم صعدوا عن «أورشليم» (٦) فصارت كلمة الرب الى «أرميا» النبى قائلة (٧) هكذا قال الرب اله اسرائيل هكذا تقولون لملك « يهوذا » الذى أرسلكم الى لتستشيرونى • ها ان جيش فرعون الخارج اليكم لمساعدتكم يرجع الى أرضه الى مصر (٨) ويرجع الكلدانيون ويحاربون هذه المدينة ويأخذونها ويحرقونها بالنار (٩) هكذا قال الرب• لا تخدعوا أنفسكم قائلين ان الكلدانيين سيذهبون عنا لأنهم لا يذهبون (١٠) لأنكم وان ضربتم كل جيش الكلدانيين الذين يحاربونكم وبقى منهم رجال قد طعنوا فانهم يقومون كل واحد فى خيمته ويحرقون هذه المدينة بالنار » • على أن ماحدث بالفعل غير معروف لدينا ، غير أنه قد جاء فى رواية أن «ابريز» قبل محاربة عدوه ولكنه هزم وذلك على حسب ماجاء على لسان المؤرخ اليهودى «جوسيفس» (راجع Josephus, Jewish Antiquites X, 7 § 3) • والظاهر أن هذا المؤرخ قد استنبط ذلك من كلام النبى «أرميا» السالف الذكر ، وعلى حسب رواية أخرى امتنع عن منازلة عدوه فى موقعه وعاد بكبرياء الى مصر وهذا مايفهم من منطوق كلام «أرميا» • وعلى أية حال فانا لا نجد أية اشارة فى كلام «أرميا» الى هزيمة أو نشوب معركة ، ولكن من جهة أخرى نجد أن أسطوله البحرى قد أحرز نجاحا على ساحل «فنيقيا» ، وانه لمن اليسير علينا أن نصدق أن منظر معسكر الكلدانيين قد أوحى اليه بالحذر والتدبر ، وأن يفكر مليا قبل أن يضيع نتائج حملته البحرية ويخاطر بفقدان جيشه العظيم وهو الجيش الوحيد الذى كانت تملكه مصر آنذاك فى معركة لم يكن لها دخل مباشر بسلامته هو او بسلامة بلاده ، أما الملك « نبوخد نصر » فانه من جانبه لم يكن متحمسا فى مطاردة عدو صاحب عدة عظيمة وعتاد جبار ، بل عد نفسه صاحب حظ فى تجنب

منازلة «ابريز» ورجع الى مكانه أمام جدران «أورشليم» لمحاصرتها • ولما لم تكن تصل الى هذه المدينة أية امدادات فان سقوطها لم يكن الا مسألة زمن قصير ، وقد كانت مقاومة أهل المدينة سببا فى اشتداد حنق المحاصرين • وعلى أية حال فان اليهود قد استمروا فى الدفاع عنها بشجاعة باسلة ، ولكن فى الوقت نفسه كان الخلاف الطائش يدب بينهم • وفى الفترة التى حول «ابريز» فيها الحصار عن المدينة سعى «أرميا» للهرب من «أورشليم» والالتجاء الى «بنيامين» وهى القبيلة التى كان ينتمى اليها ، ولكنه قبض عليه عند بوابة المدينة متهما بالخيانة العظمى ، فضرب ضربا مبرحا وألقى به فى غياهب السجن ، ولم يجسر الملك الذى آمن بقوله أن يفك أسره ، وكان قد حبس فى ردهة القصر التى استعملت سجنا وسمح له برغيف واحد طعاما له كل يوم (أرميا ٣٧/١١-٢١) • هذا وكانت الردهة بمثابة مكان عام فى مقدور كل وافد أن يدخل فيها يتخدث للمساجين ، وحتى فى هذا المكان لم ينفك هذا النبى عن الوعظ وحث الناس على التوبة ويقول [١] « هكذا قال الرب الذى يقيم فى هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء أما الذى يخرج الى الكلدانيين فانه يحيا وتكون له نفسه غنيمة فيحيا هكذا قال الرب : هذه المدينة ستدفع دفعا ليد جيش ملك بابل فيأخذها (٤) فقال الرؤساء للملك ليقتل هذا الرجل لأنه بذلك يضعف أيادى رجال الحرب الباقين فى هذه المدينةوأيادى كل الشعب اذ يكلمهم بمثل هذا الكلام ، لأن هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا الشعب بل الشر (٥) فقال الملك «صدقيا» هاهو بيدكم لأن الملك لا يقدر عليكم فى شىء » ، ولما أعطى لمتهميه ألقوا به فى جب موحل ولكنه نجا بتغاضى خصى من بيت الملك ، وعلى الزغم من ذلك أخذ فى الاستمرار فى تهديداته ووعيده أكثر من ذى قبل فأرسل أليه الملك سرا وسأله النصيحة ولكنه لم يحصـــل منه على شىء أكثر من التهديدات (راجع أرميا ٣٨)

فقال : ان كنت تخرج خروجا الى رؤساء ملك بابل تحيا نفسك ولا تحرق هذه

(١) ارميا الاصحاح ٣٨ سطر ٢ ـ ٥

المدينة بالنار بل تحيا أنت وبيتك ولكن ان كنت لا تخرج الى رؤساء ملك بابل تدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين فيحرقونها بالنار وأنت لا تفلت من يدهم (أرميا ٣٨)

والواقع أن «صدقيا» لم يكن يرغب فى أكثر من اتباع نصيحته ولكنه ذهب فى أعماله لمقاومة الكلدانيين لدرجة أنه لم يكن فى مقدوره أن يتخلى عن المقاومة ، ولم تكن المصائب التى حلت بالسكان قاصرة على ويلات الحرب وماتجلبه من بؤس بل زاد الطين بلة الأمراض وفظائع الجوع ، ومع ذلك فان عزيمة المحاصرين لم تتزحزح • وعلى الرغم من قلة الخبز فان الأهالى لم يقبلوا سماع كلمة التسليم للعدو (أرميا ٣٨/ ٢٤،٩،٢ ـ ٢٧ ؛ كتاب الملوك الثانى الاصحاح ٢٥/سطر ٣) • وأخيرا بعد عام ونصف عام تحملها المحاصرون بشجاعة فى آلام مريرة سلم جزء من المدينة فى السنة الحادية عشرة الشهر الحادى عشر اليوم الرابع من حكم الملك «صدقيا» أمام هجمات وضربات المنجنيق ، ودخل الجيش الكلدى من النقب الذى عمل فى أسوار المدينة • وعندئذ جمع «صدقيا» مابقى له من جنود وعقد مجلسا للاستشارة ليرى اذا كان من الممكن شق طريق فى قلب حشود العدو والتوجه الى ماوراء «نهر الأردن» • وقد هرب فعلا «صدقيا» ليلا من البوابة المقابلة الى بركة «سيلوام» غير أنه أخذ أسيرا بالقرب من «يريحة» وحمل الى «ربلة» حيث كان «نبوخد نصر» ينتظر بفارغ الصبر نتيجة الأعمال الحربية التى كانت دائرة حول «أورشليم» • وقد كان الكلدانيون معتادين تعذيب أسراهم بالطريقة التى نراها ممثلة على آثارهم فى « نينوه » وبخاصة القعود على الخوازيق وسلخ جلود العصاة أحياء وقطع ألسنة الرؤساء • ونشاهد فى الحالة التى نحن بصددها أن «نبوخد نصر» الذى كان صبره قد نفد يأمر بذبح أولاد «صدقيا» على مرأى من والدهم ، وكذلك كان مصير كل أولاد الأمراء • وبعد أن أطفأ نور عينى «صدقيا» نفسه أرسله الى «بابل» فى السلاسل والأغلال • أما مدينة «أورشليم» التى قاومته بعناد وصبر فقد سلمها الى «نبوزاردان» أحد عظماء ضباطه وأصدر اليه كذلك الأوامر بهدمها واحراقها احراقا شاملا • ومن ثم جرد المعبد من كل مافيه من

زينة جميلة وبخاصة الحلى التى كانت تغطى جدرانه ، أما العمد والزينات النحاسية التى بقيت من عهد «سليمان» فانها كسرت وحملت قطعها فى حقائب الى كلديا . وكذلك ألقى بالمبانى من أعلى الجبل . أما مابقى على قيد الحياة من الحامية وكذلك الكهنة والكتاب وأعضاء الطبقات العالية فانهم جميعا سيقوا الى المنفى ، ولكن عدد الوفيات فى أثناء الحصار كان عظيما جدا لدرجة أن ما أرسل الى المنفى لم يكن يتعـــدى أكثر من ٨٣٢ نسمة . وقد سمح لبعض فقراء السكان أن يبقوا فى ضواحى المدينة وقسمت بينهم حقول وكروم الذين نفوا من الأرض (راجع كتاب الملوك الثـانى الاصحاح ٢٥/٤-٢١ ؛ أرميا ٥٢/٦-٢٧ ، ٢٩ ؛ أرميا ٣٩/٢-٩ ؛ كتاب أخبار الأيام الثانى ٣٦/١٧ - ٢٠ : فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم . ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده (١٨) وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا الى بابل (١٩) وأحرقوا بيت الله وهدموا سور «أورشليم» وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة (٢٠) وسبى الذين بقوا من السيف الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا الى أن ملكت مملكة فارس . »

وبعد أن أتى الكلدانيون على «أورشليم» تماما تركوا حكومتها فى يد « جدليا بن أخيقام» وهو صاحب «أرميا» (راجع كتاب الملوك الثانى ٢٥/٢٢ ، أرميا ٤٠/٥-٧)

واتخذ «جدليا» مقر حكمه فى «المصفاة» حيث عمل على جمع البقية الباقية من الأمة اليهودية حوله ، وقد أخذ الفارون من ويلات الحرب يفدون اليه من «مواب» و «بنى عمون » و « أدوم » . وتدل شواهد الأحوال على أنه على أثر ذلك أخذت تتألف امارة يهودية من بقايا تلك المملكة التى أبيدت . وكان النبى «أرميا» هو ناصحها الأمين ، غير أن نفوذه لم يستطع أن يخلق انسجاما بين تلك النفوس الثائرة التى كانت لا تزال تتألم وتتوجع مما حل بها من مصائب وكانت لا تزال جروحها تنزف دما (راجع كتاب الملوك ٢٥/٢٢ ، أرميا ٤١/٥-٧) والواقع أن ضباط الجنود الذين كانوا يجولون فى أنحاء البلاد بعد سقوط «أورشليم» قد رفضوا على أية حال أن يعملوا

فى ركاب «جدليا» بل قام واحد منهم يدعى «اسماعيل» وهو من الأسرة المالكة وقتله، ولكن «يوحنان بن قاريح» هاجمه فى «جيعون» واضطره الى الهرب وحيدا والتجأ عند بنى «عمون» (كتاب الملوك ٢٥/٢٣-٢٥، ارميا ٤١/٧-١٦ ؛ ٤١/١-١٥) . وقد كان من جراء أعمال العنف هذه أن أخذ الكلدانيون ينظرون الى هذه الأمور بعين يقظة فقد كان «يوحنان» يخاف الانتقام وفر الى مصر مصطحبا معه «أرميا» و«باروخ» والسواد الأعظم من القوم (راجع كتاب الملوك الثانى ٢٥/٢٦ ؛ أرميا ٤١/١٦-١٨ ؛ أرميا ٤٣/١-٧) .

وقد رحب الملك «ابريز» باللاجئين وخصص لهم بعض قرى بالقرب من مستعمراته الحربية فى «دافنى» (ادفنا الحالية) ومن ثم انتشروا فى المقاطعات المجاورة حتى «المجدل» و «منف» وحتى الوجه القبلى (راجع ارميا الاصحاح ٤٤/١) . ومع كل هذه المصائب لم تكن الام اسرائيل قد انتهت بل استمرت فى كفاحها كما أخذ ملك بابل فى قهر البلاد الخارجة عليه خلافا لأورشليم ، غير أنه لم يكن فى استطاعته أن يقهر « صور » ، ومن الجائز أن ذلك يرجع سببه الى قوة أسطول «ابريز» الذى ورثه عن آبائه ففى عام ٥٨٥ ق.م اضطر «نبوخذ نصر» الى أن يتجه بجيشه الى «صور» ولا نعلم السبب الذى من أجله قامت ثورة فى وجه «نبوخذ نصر» ، ولا بد أن السبب فى ذلك يرجع الى ما أحرزه الأسطول المصرى من انتصارات . وقد مكث البابليون ثلاث عشرة سنة ضاربين الحصار (٥٨٥-٥٧٣ ق.م) أمام مدينة «صور» الجزائرية ، وتدل شواهد الأحوال على أن أسطول «نبوخذ نصر» لم يكن لديه السفن الكافية للاستيلاء على هذه المدينة ، وقد انتهى الأمر بأن بقيت «صور» مملكة مستقلة بذاتها . ولكن مع ذلك كان لا بد أن تعترف لبابل بسيادة اسمية ، وذلك عندما اضطرت المدينة الى التسليم على يد ملكها «اتبعل الثالث» . ولقد بقيت العلاقة بين «مصر» و «بابل» متحرجة وكان «ابريز» من هذه الناحية يقظا . ولذلك نرى أنه بعد أن سلمت «صور» وخضعت لسلطان «بابل» الاسمى لاحت له فرصة التدخل فى أمور الشرق . وتفسير ذلك

أن الأسطول الفنيقى قد أصابته أضرار جسيمة طيلة مدة الحصار الذى فرضته «بابل» على «صور» وبذلك أصبح أسطول «ابريز» الذى كان وقتئذ قد نظم على يد بحارة من بلاد «اليونان» العريقة فى البحرية ـ لايضارع ، وعلى ذلك لم يتأخر لحظة فى مهاجمة بلاد ساحل « فنيقيا » مباشرة . وقد وقف فى وجهه الملك « نبوخذ نصر » بالأسطول الذى كان فى متناول أهل «صور» وكانوا قد خضعوا له حديثا وبخاصة عندما نعلم أن العلاقات القوية التى كانت بين « صور » و « مصر » قد أخذت تفتر من جانب أهل «صور» عندما رأوا أن الفرعون قد أظهر ميولا كبيرة وحظوة عظيمة « للهيلانيين » ، ولذلك نراهم قد طلبوا الى أتباعهم القبارصة المساعدة على صد الهجوم المصرى . وعلى الرغم من ذلك كانت النتيجة أن الأسطول المصرى قد شتت شمل الأسطولين معا واستولى على «صيدا» التى أباحها للسلب والنهب . أما المدن الساحلية الأخرى فقد سلمت عن طيب خاطر واحتلتها حامية مصرية ، وقد أقام الضباط المصريون فيها معبدا لآلهة هذا المكان وهى التى وحدها المصريون بالآلهة «حتحور». وهكذا نرى أن ما كانت تصبوا اليه نفس كل من الملك «نيكاو» والملك «بسمتيك الثانى » منذ خمسة عشر عاما قد تحقق على يد الفرعون «ابريز» . غير أنه لم يتمتع بثمرات انتصاره طويلا . وذلك أن الأغريق كانوا يفدون على بلاد «لوبيا» منذ أن أصبحت بلاد مصر مفتوحة للتجارة مع سكان «بحر ايجة» . وكان قد كشف بحارتهم أن أسهل طريق الى «لوبيا» هو الاقلاع مباشرة الى «كريت» وبعد ذلك اخترقوا البحر بين هذه الجزيرة ورءوس هضبة «لوبيا» ، وهنا صادفهم تيار قوى متجه نحو الشرق حملهم بسرعة وبسهولة حتى «رقوتيس» (أو رقودة مكانها الاسكندرية الحالية) و «كانوب» على امتداد الشاطىء «المرمريقى» . (أى اللوبى) ، وفى خلال تلك السفرات تعلموا كيف يقدرون قيمة هذه للبلاد ، وحوالى عام ٦٣١ ق.م نزل الدوديون من «ترا» Thera وهم فى طريقهم للبحث عن موطن جديد لهم على حسب وحى نزل عليهم فى «دلفى» ، فى جزيرة صحراوية صغيرة فى «بلاتا» Platea حيث أقاموا

مستعمرة قوية حصينة . ولم يمض طويل زمن حتى عبر قائدهم المسمى «باتوس» الى اليابسة ووصل الى الهضبة العالية وأسس مدينة «سيريني» Cyrene على أطراف اقليم خصب جدا ترويه عيون غزيرة . ومن المعلوم أن سكان هذه الجهات هم من قبائل «اللوبيين» الذين كان لهم اتصال وثيق بالمصريين منذ أقدم العهود ، فكانوا يخضعون لمصر تارة ويحاربونها تارة أخرى كما تحدثنا عن ذلك فى الأجزاء السالفة من هذه الموسوعة (راجع الجزء السابع ص ١٦-١١٠) . وقد كانوا فى الوقت الذى نحن بصدده يؤلفون اتحادا مفكك العرا ، وكانت بلادهم تمتد عبر الصحراء من الحدود المصرية حتى شواطىء «سيرتس» Cyrtes . وكان رئيس الاتحاد وقتئذ يحمل لقب ملك كما كانت الحال فى أيام فراعنة الأسرة التاسعة عشرة وبخاصة فى عهـدى «مرنبتاح» و «رعمسيس الثالث» (راجع الجزء السابع ص ١٦ الخ) . وكان أعظم هذه القبائل تمدينا أولئك الذين يسكنون بمحاذاة ساحل البحر ، وأولهـا أفراد قبيلة «أدرماخيد» Adrymakhides الذين استوطنوا خلف «ماريا» Marea وكانوا شبه متمصرين وذلك بتعاملهم المستمر مع سكان الدلتا ، ويأتى بعد ذلك قبيلة «جيليجامس» Giligammes ويسكن أهلها بين «ميناء بلينوس» Plynüs و«جزيرة أوفرودزياس» Aphrodisias وخلف هؤلاء يأتى ثانية قبيـلة «أسبيستس» Asbystes ، وقد اشتهر أهلها بركوب العربات وقيادتها ، ثم قبيلتـا « كابالس » Cabales و « أوسيسس » Auscyises . وكانت الواحات الداخلة فى الصحراء وقتئذ فى يد قبيلة تدعى «ناسامونس» Nasamones وقبيلة «المشوش» وهم الذين يسميهم الاغريق «مكسيس» وقد اضطرت القبيلة الأخيرة أن ترحل عن موطنها القريب من النيل الى أقليم يقع بعيدا فى الغرب على نهر يدعى «تريتون» Triton

ويرجع السبب فى ذلك الى ثورة من الثورات التى تستعر نارها بين قبائل الصحراء ، وقد استوطنوا هناك بصفة دائمة وبنوا لأنفسهم بيوتا من الحجر وعكفوا على زراعة الأرض . وقد استمروا يحافظون فى موطنهم الجديد على بعض عاداتهم القديمة مثل

صبغ أجسامهم باللون القرمزى وحلق شعر رءوسهم الا خصلة واحدة كانت تنزل مرسلة على الأذن اليمنى . ونحن نعلم من جانبنا أن الفراعنة كانوا قد أقاموا حاميات فى أهم الواحات وبنوا معابد لآلهتهم «آمون» وغيره . وكان أحد هذه المعابد قد أقيم بجوار عين ماء جارية ينبثق منها بالتوالى ماء دافىء وماء بارد وقد أخذت شهرة عظيمة، وكان وحى «آمون» قبلة يحج اليها القوم من كل حدب وصوب (راجع Herod. IV, 181; A. Z., 1877 P. 8) وأول لوبيين اتصلوا بالاغريق هم قبيلتا « اسبستس و «جيليجمس» وقد استقبلوا الوافدين من «الاغريق» بشفقة وزوجوهم من بناتهم وقد كان من جراء اختلاط دم السلالتين أن نشأت أولا فى عهد ملكهم «باتوس» ثم فى عهد ابنه «اركسيلاس الأول» (Arkisilas) سلالة عاملة شجاعة وقد كان الجزء الرئيسى من دخلهم ناتجا من التجارة فى نبات سلفيوم[1] Silphium الذى كان يستعمل بمثابة بهار أو عقاقير ، وكذلك من المصنوعات الصوفية ولم يكن الملوك يعتقدون انه مما يحط من قدرهم أن يجلسوا بأنفسهم عند وزن محصولهم وتخزين حزمه فى مخازنهم[2] وقد كان من جراء ازدياد ثروة مدينتهم أن قامت المنازعات بينهم مما أدى الى وجود ثغرة فى العلاقات الودية التى كانت حتى الآن بين «لوبيا» وجيرانها . وقد أرسل الملك «باتوس» المحظوظ ابن «أركسيلاس الأول» لاحضار مستعمرتين من بلاد الاغريق ، وقد لبى نداءه عدد عظيم وذلك على حسب وحى أوحى به ، ولكن لأجل أن يمدهم الملك «باتوس» بالأرض اللازمة لم يتردد فى نزع ملكية أراض من مواطنيه الموالين له . غير أن هؤلاء الذين نزعت منهم أراضيهم وضعوا ظلامتهم أمام ملك الاتحاد المسمى « اديكران » ولكن لما رأى هـذا الملك أن جنـوده لا يقوون على مقاومة الجنود الاغريق لجأ بدوره الى مساعدة فرعون مصر « ابريز » » (راجع Herod. IV 150 - 159; Busolt, Grieschische Geschichte Vol. 1 PP. 342349)

---

(١) انظر الصورة رقم ١١ ، والصورة رقم ١٢

(٢) راجع Flora of Ancient Egypt Vol. III, P. 277

وقد كان «ابريز» على استعداد للقيام بهذه المساعدة وبخاصة لما سمعه عن ثروة هذه البلاد وما سيناله من مغانم هناك • وقد كانت الأخبار عن ذلك ترد اليه على لسان اللوبيين أنفسهم والاغريق • والواقع أن شره «ابريز» كان حافزا له على القيام بهذا العمل ، غير أن ماكان يعلمه من تفوق الأسطول الاغريقى ووعورة الطريق وطولها الى بلاد صحراوية تقريبا كان يقعده عن عزمه فضلا عن أنها كانت بلادا مسكونة بقبائل متناحرة ثائرة • ولكنه لما علم أنه يمكنه أن يعتمد على مساعدة اللوبيين أنفسهم فانه لم يتردد فى تحمل كل مخاطر هذه الغزوة ، ولكنه على مايظهر كان قد وطد سلطانه فى الواحات أكثر من أسلافه ولا أدل على ذلك من آثاره الباقية هناك كما سنرى بعد وقد رأى «ابريز» بثاقب فكره ألا تستعمل جنود من الاغريق لمحاربة اخوانهم الاغريق الذين كانوا يحتلون بلاد «لوبيا» ، ولذلك فانه ألف جيشا من احتياطيه من المصريين وحدهم ، وقد سار جنوده وهم على ثقة تامة من الظفر بالعدو محتقرين قوته • والواقع أن الجنود المصريين كانوا فرحين بتلك الفرصة السانحة ليقنعوا ملوكهم بأنهم كانوا مخطئين فى استخدامهم أجانب وتفضيلهم عن الجيش الوطنى • غير أنه مما يؤسف له أن الدائرة دارت على الجيش المصرى فى هذه الحرب وبذلك أسفر كل تفاخرهم بقوتهم عن لاشىء • والواقع أن المصريين قد هزموا هزيمة منكرة فى أول معركة عند «أراسا» القريبة من «عين تستى» Theste التى توجد مجاورة للمكان حيث الهضاب العالية لسيرينى نفسها التى تنتهى بصخور «مرمريقا» المنخفضة • ومما زاد الطين بلة أن جيش «ابريز» فى تقهقره قد هلك منه خلق كثيرون حتى أنه لم يصل الى حدود الدلتا سالما منه الا عدد ضئيل • وقد كان من جراء هذه الكارثة التى لم تكن فى الحسبان أن اندلعت نار ثورة كانت تتكون فى الخفاء منذ سنين عدة وتضرب بأعراقها الى عهد «الملك بسمتيك الأول» • وذلك أن هجرة بعض الفرق المصرية الى بلاد «كوش» من طائفة الأجناد قد أضعفت مؤقتا الأحزاب المعادية للنفوذ الأجنبى وهؤلاء الأحزاب قد وجدوا أنفسهم لا حول ولا قوة لهم

فى عهـــــد « الملك بســـمتيك الأول » بفضـــل ما كان لديه من الجنـــود الأجانب الذين يفوقونهم عدة ونظاما ، ولذلك خضعوا لارادته ولـــكنهم كانوا فى الوقت نفسه يجهزون أنفسهم ليحتلوا مكانتهم فى القمة عندما تسنح الفرصة . وقد واتتهم هذه الفرصة عندما نظمت صفوف الجيش الوطنى ، وعلى الرغم من أن الفرعون كان يغدق الهبات على جنوده من «الهرموتبى» و «الكالازيرى» فانه لم يستأصل بذلك أسباب التذمر الذى كان يقصى شيئا فشيئا جنود المشوش عن الفرعون ، على أن الفرعون لو أراد تنفيذ رغبتهم لكان عليه أن يسرح جنود حرســـه من الأيونيين الذين كانوا سبب الغيرة والحقد ، وعلى أية حال لم يرض «بسمتيك الأول» ولا أخلافه فى أن يخطوا هذه الخطوة . وتدل الأحوال على أن الـكره الذى كان يكنه الجنود الوطنيون لهؤلاء المرتزقين وكذلك الثورة التى كانت فى نفوسهم على أولئك الملوك الذين كانوا يستخدمونهم قد أخذت فى الازدياد بوحشية من عهد الى عهد ، وقد كانت الآن فى حاجة الى أن تجد سببا لتنفجر علنا . وقد واتى الجنود الوطنيين السبب الذى يبحثون عنه فى هزيمة «أراسا» . وذلك أنه عندما وصل الفارون الى معسكر«ماريا»(١) Marea ونار الهزيمة مشتعلة فى نفوسهم ـ ادعوا بطبيعة الحال أن سببها كانت الخيانة ، وقد وجدوا من يشاطرهم فى مزاعمهم ، فادعوا أن الفرعون قد أرسل الى «سيرينى» الجنود المصريين بقصد أن يتخلص منهم فى ميدان القتال لأنه كان يشك فى ولائهم له ، ولم يكن من الصعب بعد ذلك أن يثور أولئك الجنود علانية على الفرعون (Herod. IV, 161) على أنه لم تكن هذه أول مرة ثار فيها الجنود على «ابريز» وهددوا عرشه ، اذ فى فترة من الزمن قبل ذلك قام الجنود الذين كانوا معسكرين فى «الفنتين» ـ وهم الذين كانوا يتألفون من مصريين وآسيويين واغريق مرتزقين ـ بعصيان بسبب عدم دفع أجورهم ومن المحتمل أن هؤلاء الأجناد هم نفس الأجناد الذين حاربوا فى جيش «بسمتيك الثانى» فى بلاد «كوش» . وبعد أن خربوا أقليم

(١) بلدة فى اقليم بحيرة مريوط على جزيرة فى هذه البحيرة (راجع Gauthier D. G. III P. 53 - 54

« طيبة » ساروا فى طريقهم عبر الصحراء الى ميناء « شاشيرت » مؤملين أن يستولوا على سفن تمكنهم من الوصول الى ميناء «أدوما» أو ميناء « نباتا » (Nabataea) وقد تمكن « نسيحور » حاكم « الفنتين » فى بادىء الأمر من كبح جماح الثوار بوعده اياهم بالوعود الخلابة ولكنه عندما علم أن الملك «ابريز» يقترب منه بنجدات هاجمهم بكل جساره وساقهم أمامه وحاصرهم بين جنوده وجنود الفرعون وذبحهم عن آخرهم . وقد ترك لنا « نسيحور » هذا تمثالا لنفسه دون عليه قصة هذا العصيان . وكان أول من فهم المتن الذى جاء على هذا التمثال هو الأثرى « شيفر » (راجع
Schaefer, Beitrage Zur Alter Geschiechte
IV, 152 - 163, pls. I - II) ; & Br. A. R. IV § 989 - 995)

والواقع أن ماجاء من نقوش على هذا التمثال يؤكد ماجاء فى كتاب «هردوت» عن هذا العصيان .

وسنتحدث أولا عما جاء على هذا التمثال ثم نورد ما ذكره « هردوت » فى هذا الصدد وبعد ذلك نستخلص نتيجة بقدر ماتسمح به المعلومات التى لدينا . وفى الحق ان القصة التى ذكرها لنا « نسيحور » لم تكن قد فهمت فى بادىء الأمر على حقيقتها وذلك أن « نسيحور » هذا كما جاء فى نقوش تمثاله كان قائد حامية « الفنتين » وقد أخذ على عاتقه القيام بعدة أعمال خيرية للآلهة المحليين تمشيا مع الروح الدينى الذى ساد فى العصر « الساوى » . وقد حدث أن الجنود المرتزقين الأجانب ثاروا وعزموا — كما حدث من قبل مع الجنود « الأوتومولبين » الذين ذكرهم « هردوت » — على أن يهاجروا الى بلاد « كوش » ليقطنوا اقليما يدعى « شاس حرت » وقد أفلح كما ذكرنا من قبل « نسيحور » فى اقناعهم بالعدول عن عزمهم ولكنه فى النهاية سلمهم للفرعون « ابريز » الذى عاقبهم على ذلك . ولما كان « نسيحور » قد اعتقد أن الآلهة الذين كان يقوم لهم بالأعمال الصالحة قد أنجوه من الورطة الخطيرة التى كان على شفا الوقوع فيها بين قوم من الجنود الأجانب الثائرين فانه لم ير بدا من قص هذه الحادثة على تمثاله الذى نحن بصدده بمثابة باعث على أعماله الطيبة لآلهة الشلال الأول

ومن ثم نجد أن هـذا النص يقدم لنا برهانا قاطعا معاصرا عن حالة عدم الاستقرار بين القوات الحربيـة التى كان يتألف منهـا جيش مصر الذى كان يعتمـد عليـه الملوك « الساويون » وقتئذ ، وسنرى بعد سرد نقوش هـذا التمثال هنا أنه قد حدثت ثورة عسكرية أخرى بين الجنود امتد خطرها وانتهت بخلع الملك أبريز نفسه . وهاك النص الذى جاء على تمثال « نسيحور » :

.... بمثابه سيده ـ مماثل له ، والذى نصبه جلالته فى وظيفة عظيمة جدا وهى وظيفة أكبر أولاده (كانت بلاد الجنوب فى عهد الامبراطورية يحكمها نائب ملك كان فى الأصل أكبر أولاد الملك « راجع عن ذلك الجزء العاشر ص ٣١٤ الخ ») وحاكم باب الاقاليم الجنوبية ليصـد البلاد التى تثور عليه . وعندما نشر الخوف منه فى البـلاد الجنوبية فروا الى واديهم خوفا منه والذى لم تفتر يقظته فى البحث عن الفوائد لسيده المكرم من ملك الوجه القبلى والوجـه البحرى «ابريز» (حمع ـ اب ـ رع) المفضل عند ابن رع (واح ـ اب ـ رع) « نسيحور » واسمه الذى ينادى به هو « منح ـ اب بسـمتيك » (قلب بسـمتيك ممتاز) وابن « أوفرر » والذى وضـعته سـيدة البيت « تسنتحور » (تاش ـت حور) المرحوم . يقول : يارب القوة وخالق الآلهـة والناس ! «خنوم» سيد الشلال « وساتت » و « عنقت » الهتا « الفنتين » ! انى أنعم بأسمائكم وانى أمدح جمـالكم وانى خلو من التراخى فى عمل ماترغبون فيه ، وانى أملأ قلبى بحضرتكم (روحكم) فى كل تصميم أعمله . فليت روحى تذكر بسبب ما أنجزته فى بيتكم . لقد أمددت معابدكم ببهاء بأوان من الفضة وماشية عديدة ، وبط وأوز ، وقربانهم (دخلهم) بوقف من الأرض وكذلك لحراسـتها أبد الآبدين وأقمت حظائرها فى مدينتكم ، وأعطيت نبيذا جيلا جدا من الواحة الجنوبية ، وشعيرا وشهدا فى مخازنكم التى بنيتها من جديد بالاسم العظيم لجلالته ومنحت زيتا مضيئا لاشعال مصابيح معبدكم . وعينت نسـاجين وخادمات وغسـالين لأجل خزانة ملابس الاله العظيم الفاخرة وتاسوعه المقدس وبنيت محلاتهم فى معبده متينة أبديا بمرسوم من الاله

الكامل رب الارضين «ابريز» العائش أبديا .

جزاء الأعمال الصالحة : تذكروا من كان فى قلبه تجميل بيتكم وهو «نسيحور» الذى بقى اسمه فى أفواه المواطنين مكافأة على هذا . دعوا اسمى يبق فى بيتكم ودعوا روحى تذكر بعد حياتى ودعوا تمثالى يبق واسمى يستمر عليه دون أن يفنى فىمعبدكم.

نجاة «نسيحور» : لأنكم نجيتمونى من حالة سيئة ، من الجنود المرتزقة (الرماة اللوبيين) ، والاغريق والآسيويين والأجانب الذين صمموا فى قلوبهم على أن ... والذين كان فى ضمائرهم أن يذهبوا الى «شاس حرت» (مكان فى بلادكوش ؟) . وقد خاف جلالته بسبب الشر الذى فعلوه ، وقد أعدت الطمأنينة الى قلوبهم بالبرهان ناصحا ، فلم أسمح لهم بالذهاب الى بلاد النوبة ، بل أحضرتهم الى المكان الذى كان فيه جلالته وقد أوقع جلالته بهم العقاب .

يأتى بعد ذلك صلاة جنازية تحتوى على ألقاب «نسيحور» وهى : الامير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم الملك ، السمير الوحيد المحبوب ، العظيم فى وظيفته ، العظيم فى رتبته ، الموظف على رأس القوم وحاكم باب الأقاليم الجنوبية .

ولم يكن هـذا التمثال هو الأثر الوحيد الذى تركه لنا «نسيحور» بل خلف لنا لوحة تلقى بعض الضوء عن الحياة الدينية والاجتماعية فىهذا العهد وهى محفوظة الآن فى متحف « كوبنهاجن » .

Kopenhagen, Glyptothek Ny Carlsbeng No. 795; A. Z. 72, P. 40 - 52

وتقدم لنا البرهان المحس على الهبات التى قدمها للآلهة والمعابد .

وهذه اللوحة كما يقول الأثرى «كيس» هى كمعظم اللوحات التى من هذا العصر يحتوى متنها على الاوقاف التى حبست على المعبد وسنحاول أولا ترجمتها على الرغم مما أصابها من تهشيم فى جزء كبير من نقوشـها . وهاك الترجمة : (١) السـنة الرابعة الشهر الأول من فصل الفيضان (اليوم الاول) فى عهد جلالة حور (المسمى) الطيع القلب ، ملك الوجه القبلى والبحرى ، السيدتان (المسمى) رب السيف ، حور الذهبى

(المسمى) الذى يجعل الأرضين تينعان والذى يفرح قلب رع ، ابن رع (المسمى) (واح ـ اب ـ رع) عاش مخلدا المحبوب من الكبش سيد « منديس » ، الاله العظيم العائش (٢) أمر جلالته أن تمنح قرية مؤسسة الكبش سيد «منديس» «لنسيحور» ، الواقعة فى مركز «نابوات» التى فى مقاطعة «ثبو» (وهى المقاطعة العاشرة . راجع أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ٥ ـ ١٥) ألف وستماية أرورا (الأرورا = ٢/٣ فدان) فى دائرتها بكل أناسها ، وكل قطعانها وكل ممتلكاتها الأخرى من حقول وقرية وأوزتين (رمح) يوميا ، على أن يضاف لها ٢٤٠ أوزه (سرت) دخلها الذى يحصل عليه من هذه القرية وهو ١٢ مكيالا (خاخا) من الشعير سنويا ، وهن واحد من النبيذ يوميا من الذى يجلب من الواحة الخارجة من الذى ينمو فى حديقة «نسيحور» التى هناك (أى الواحة الخارجة) (كل ذلك يمنح) قربانا للاله والده الكبش رب «منديس» الاله العظيم العائش زيادة عما كان له من قبل ، وذلك لأنه أراد أن يعمل قربات مقدسة لوالده الكبش سيد «منديس» الاله العظيم العائش الى أبد الآبدين . وأمر جلالته بمنح ٢٠٠ رغيف ودن يوميا .. جرة نبيذ يوميا (و .. للاله أوزير (٩) (وفضلا عن ذلك) أوزه (رمح)فى كل يوم من أيام النسىء(؟)(٠٠٠ ٨ ٠٠٠ لتكون قربات الهية للاله «أوزير ـ حعبى» الذى فى المعبد على حامله (؟) (٠٠٠٠) من كل ، الذى «نسيحور» الذى اسمه الجميل «منخ ـ اب ـ بسمتيك » ابن «أوفرر» بمثابة قربان (تحضر) هناك وعلى ذلك فانه يمنح الحياة .

تعليق : ان الواقف الحقيقى لهذه الاشياء هو «نسيحور» بن «اوفرر» وكان يحمل فى هذا العصر الساوى على حسب تقليد يرجع الى الدولة القديمة اسما آخر ينادى به فى البلاط وهو «منخ ـ اب ـ بسمتيك» وهذا الاسم كان فى ذلك العصر هو الاسم الجميل لا الاسم الرسمى كما كانت الحال فى الدولة القديمة . وعلى الرغم من أن «نسيجور» هذا وقد ظهر على لوحته هذه بدون ألقاب فانه معروف لدينا من أثر آخر تركه لنا ، والنقوش التى على تمثال «اللوفر» (A. 90) تشهد أن الملك «ابريز» قد عينه ابنه الأكبر

المشرف على البلاد الأجنبية وهى الوظيفة القديمة التى كان يطلق عليها « ابن الملك صاحب كوش» ولكن كان مقر حكمه الآن بلدة «الفنتين» وبذلك منع قيام ثورة مدبرة قد تحدثنا عنها فيما سبق .

(Schaefer, Klio IV (1904) Taf. 1 - 2; cf. Pierret, Inscrip. du LouvreI, P. 22; Maspero, A. Z. 22 P. 88)

وفضلا عن ذلك تتحدث هـــذه النقوش عن نشاط « نسيحور » فى الأعمال التى قام بها فى معبد آلهــة « الفنتين » وبخاصة « خنوم » و « ساتت » و « عنقت » وهذا يقدم لنا بعض مجال حياة صاحب الوقف الذى نعلم من لوحة «كوبنهاجن» أنه كان كذلك فى عهد «ابريز» صاحب ممتلكات شاسعة فى أقليم «طيبة» و «الواحات» . ويلحظ أن تمثال «اللوفر» (A. 90) [1] قدذكر اسم «أوفرر» فقط دون أن يشفعه بأى لقب (راجع A. Z. 44 P. 44)

وتدل شواهد الاحوال على أن هذا الاسم كان قد ظهر نادرا جدا . والحالة التى ظهر فيها كانت على تمثال من الجرانيت فى مجموعة الأثرى «توررايف» بنفس الألقاب التى كان يحملها «نسيحور» الذى نحن بصدده . ولا شك فى أن هذا التمثال الذى يحمل صاحبه صورة الآله «أوزير» والذى من نقوشه نفهم انه كان منصوبا فى معبد «أوزير» فى سايس يرجع عهده الى حكم الملك «بسمتيك الثانى» القصير ويدعى صاحبه «نسيحور» وكان يحمل على حسب رأى الأثرى «توررايف» لقب المشرف على فتحات فمى النيل . ومن ذلك نفهم أن «نسيحور» كان فيما سبق معينا فى الطرف الآخر من حدود البلاد أى فى شمالى مصر فى حين أنه كان فى عهد «ابريز» معينا فى الطرف الجنوبى من البلاد . ولدينا لقب يشبه ذلك يحمله موظف فى العصور المتأخرة وهو حاكم أراضى البحر الواقعة فى اقليم «الفيوم» (هوارة) ويعنى بذلك رئيس فتحات (بحيرة موريس) وهى التى تسمى بشىء من المبالغة بلفظة المحيط ، ومن المحتمل أن

---

[1] راجع Boreaux, Antiquités Egyptiennes, Guide Catalogue Sommaire 1, p. 192.

« نسيحور » كان يحمل هـذا اللقب أيضا ، وهـذا التمثال يسمى فى نقوش الآلهة «تورايت» العظيم فى «أزيوم» (بهبيت) وهذا اللقب كما أكد لنا «تورايف» بحق كان يمنح لأكبر موظف فى العصر «الساوى» ويحتمل أن حامله كان ضمن أقرب المقربين للملك . ومما سبق نفهم أن «نسيحور» لم يكن من العظماء الذين ينتمون الى أسرة اقطاعيـة أى من الذين كانوا فيمـا مضى يرجع أصلهم الى اقطاع دائرة امارة اقليم « طيبة » الروحية بل كان ضمن هؤلاء العظماء الجدد الذين كانوا على ولاء تام للملك وكان أصلهم من الجنوب وكان مثله فى ذلك كالأفراد الذين تناولهم « وانكة » عند التحدث عن عظمـاء رجال « بسـمتيك الأول » . وهـذا أمر أسـاسى عند فحص حالة أرض وقف كالتى فى المقاطعـة العـاشرة من الوجه القبلى . واذا كان « نسيحور » بالنسبة لمدة حكم «بسمتيك الثانى» القصير الذى يبلغ حوالى ست سنوات قد سمى باسمه الجميل فعلا فى عهد «بسمتيك الأول» فانه فى السنة الرابعة من عهد «ابريز» وهو تاريخ اللوحة التى نحن بصددها كان قد بلغ على أقل تقدير نحو خمس وعشرين سـنة فى خدمتـه ويحتمل أكثر من ذلك ، وذلك لأنه كان وقتئـذ يحمل لقب الأمير الوراثى والحـاكم وحامل خاتم الوجه البحرى وهـذه هى أعظم الألقاب فى التاريخ المصرى القديم . ومن ثم نجده وقتئذ متقدما فى السن وعلى ذلك أخذ فى وضع أساس لأعمال صالحة له فى أهم معبد فى موطنـه وهو بلدة «منديس» .

وقد ظن «ابريز» أن العصيان الذى حدث عند «ماريا» **Maraea** ستكون نتيجته كالعصيان الذى تحدثنا عنه هنا وهو الذى قضى عليه «نسيحور» بحسن تصرفه ، ولذلك فانه أرسـل اليهم « أمسيس » وهو أحد قواده لتهـدئة الأحوال . ويظهر أنه كان من أسرة كريمة كما سنشرح ذلك بعد . على أن ماحدث فى معسكر هؤلاء الأجناد غير واضح لنا تماما وذلك لأن مجرى الحوادث الحقيقية قد شوه على لسان الرواة لها حتى أصبحت وكأنها أسطورة من الأساطير . فقد روى أن «أمسيس» هذا قد ولد من أبوين وضيعين فى قرية تدعى « سبيوفى » على مقربة «سايس» (وهى قرية «الصفة» الحالية)

(راجع Herod. II, 172) وقد كان كما يقال مغرما بالشراب وملاذ المائدة والنساء كما كان يجمع المال لنفسه من اخوانه وجيرانه بالسرقة فكان دائما يصرف أوقاته فى اللهو والانغماس فى اللذات وبالاختصار كان بعيدا عن الفضيلة سليطا للسان يسخر من اخوانه • وقد روى عنه كذلك أنه قد كسب حظوة «أبريز» بما كان يبدو على محياه من بسمة دائمة الاشراق ونكتة حلوة (راجع Herod. II 179) وفى رواية أخرى كسب ثقة الفرعون باهدائه اياه تاجا من الزهر فى يوم عيد ميلاده Hillanicus of Lesbos, Frag. 151, in Muller - Didot. Frag. Hist. Graec. Vol. 1 P. 66)

غير أنه هنا يلحظ أن الملك الذى أعطاه « أمسيس » هذا التاج كان يدعى « باتارميس » Patarmis وربما كان تحريفا لكلمة « ابريز » • وتستمر القصة فتقول لنا انه عندما كان يخطب فى الثوار الذين قاموا فى وجه «ابريز» ، انزلق واحد منهم خلف «أمسيس» ووضع على حين غفلة منه على رأسه تاج فرعون المستدير ، ولم يسع المتفرجين عند ذلك الا أن اعترفوا به ملكا على مصر ، وبعد أن تظاهر قليلا بعدم قبول هذا التاج خضع لارادتهم وقبل هذا الشرف • وعندما وصلت هذه الأخبار الى «سايس» أرسل الملك «ابريز» أحد ضباطه المسمى «باتاربميس» Patarbemis مزودا بالأوامر لاحضار هذا الخارج على سيده على قيد الحياة ، وكان «امسيس» وقت وصول الرسول ممتطيا صهوة جهواده وعلى أهبة حل معسكره والذهاب لمحاربة سيده السابق • وعندما علم « أمسيس » بالرسالة التى كان يحملها الرسول كلفه بأن يحمل جوابه لسيده وهو : أنه كان يعمل الاستعدادات للخضوع ورجا الفرعون أن يمنحه بضعة أيام حتى يمكنه فى خلالها أن يحضر كل الرعايا المصريين الخارجين معه أمام الفرعون • وتضيف التقارير التى وصلت الينا أن « ابريز » عندما وصل اليه هذا الجواب الوقح أخذته نوبة غضب وحنق وأمر بجدع أنف « باتاربميس » وصلم أذنيه ، وقد قيل أن القوم الذين أخذتهم حمى الغضب من أجل ذلك انفضوا من حوله وانضموا الى جانب

«أمسيس» ، ولكن الجنود المرتزقين على أية حال قد حافظوا على ماكان قد وضعه أسيادهم المصريون فيهم من ثقة واخلاص . على الرغم من أن عددهم كان لا يزيد على ثلاثين ألف مقاتل مقابل شعب بأسره فانهم انتظروا الهجوم عليهم بعزم وقوة بأس عند مدينة «مومنفس» (كوم الحصن) التى تبعد حوالى ثلاثين كيلو مترا من « دمنهور الحالية (راجع أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ٧٠) حوالى عام ٥٦٩ق٠م٠ وقد كان الجيش المصرى ضـــخما فلم يقو على مقـــاومته « الـــكاريون » و «الاغريق» فانهزموا أمامه وولوا هاربين بعد معركة استمرت يوما واحدا (راجع Herod. 161, 162, 169) • هذا ويلحظ أن «ديدور الصقلى» قد جعل مكان الموقعة التى وقعت بين الجيشين فى بلدة «ماريا» نفسها (راجع Diodorus Siculus, I, 68) (١)

---

(١) وقد قص علينا «ديدور الصقلى» عهد « ابريز » بالصورة التالية (راجع Diod. I, 68)

وبعد عهد بسمتيك بأربعة أجيال كان ابريز ملكا لمدة اثنتين وعشرين سنة . وقام بحملة بجيش برى وبحرى قوى على فيرمى وفنيقيا فاستولى بالهجوم على صيدا وبذلك بث الرعب فى المدن الفنيقية الأخـرى حتى أنه اخضـعها . وهزم الفنيقيين والقبرصيين فى موقعة بحرية عظيمة وعاد الى مصر بغنائم كثيرة وبعد ذلك أرسل قوة برية وطنيـة كبيرة على سيرنى وبرقه ، وعندما فقد الجزء الأعظم منها عادت البقية الباقية نافرة منه وذلك لأنهم شعروا بأنه قد دبر الحملة بقصـد هلاكهم حتى يكون حكمه على سائر المصريين أكثر سلامة وكان الرجل الذى أرسله الملك لمفاوضتهم يدعى أمسيس وكان مبرزا فلم يلتفت للاوامر التى أعطيهـا لعمل صلح ، بل على العكس زاد فى نفورهم وأنضم الى عصيانهم وقد انتخب نفسه ملكا. وعندما انضم سائر المصريين الى جانب أمسيس بعـد ذلك بقليل ، كان الملك فى درجة من الحرج حتى انه أضطر الى الفرارلينجو بنفسه الى الجنود المرتزقة الذين كان يبلغ عددهم حوالى ثلاثين ألف مقاتل ، وقد وقعت واقعة حامية بسبب ذلك بالقرب من قرية « ماريا » وقد تغلب المصريون في الموقعة وقد وقع ابريز اسيرا فى يد العدو وشنق ، ونظم أمسيس أحـوال المملكة بطريقة رأى أنها هي الافضل وحكم المصريين على حسب القانون وكان القوم يظهرون له حظوة عظيمة وقد أخضـع كذلك مدن قبرص ، وزين كثيرا من المعابد بكثير من القربات المنذوره ، وبعد أن حكم مدة خمس وخمسين سنة انتهى حكمه فى زمن الملك قمبيز ملك الفرس عندما هاجم مصر فى السنة الثالثة والستين الاولمبية وهى السنـة التى كسب فيهـا برمنيديس Parminides صاحب كاماريتا السباق وهو السابق الشهير بالجري الاولمبى وطوله ٣/٤ ٦٠٦ قدم) .

وقد كان من نتائج هذه الموقعة أن أخذ «ابريز» أسيرا وقد عامله «أمسيس» معاملة حسنة بل تدل شواهد الاحوال على أنه بقى يحمل مظاهر العظمة الملكية لمدة أو بعبارة أخرى اشترك مع «امسيس» فى الملك ، ولكن سكان «سايس» ألحوا فى طلب اعدامه مما اضطر «أمسيس» الى أن يسلمه اليهم لينتقموا منه ، فشنقه الشعب الهائج ومع ذلك فانه كما يقال دفن باحتفال مهيب بين القصر الملكى ومعبد الآلهة « نيت » أى على مقربة من المكان الذى ثوى فيه أسلافه بفخار . وبعد ذلك أصبح «أمسيس» المغتصب الحاكم المفرد لمصر . هذا ملخص ماورد الينا فيما تركه لنا الكتاب الاغريق غير أنه لا يتفق تماما مع ماجاء فى النقوش الأثرية التى عثر عليها وبخاصة فى لوحة « الفنتين » .

لوحة الفنتين : وهذه اللوحة على الرغم من أنها وصلت الينا مشوهة فانها تعد أهم وثيقة على مايظهر وقعت فى أيدينا حتى الآن من العهد الساوى . وهى من الجرانيت الوردى ويبلغ طولها ١٫٧٥ مترا وعرضها ٠٫٩٥ مترا وقد وجدت مستعملة جزءا من أسكفة باب القصر الذى كان يسكنه القائد «كليبر» بالقرب من «جنينة الازبكية» وهى الآن بالمتحف المصرى . وقد نشرها أولا الأثرى «دارسى» (Rec. Trav. XXII 2, 3) ومما يؤسف له أن هذه اللوحة قد تآكلت بدرجة عظيمة حتى أن الانسان لا يكاد يصادف فيها أسطرا سليمة تقريبا . ويلفت النظر هنا أن الترجمة التى أوردها «دارسى» لهذه اللوحة تكاد تكون فى غالبيتها تخمينا وقد حاول الاستاذ «برستد» أن يلخصها أولا ثم ترجم مابقى من النقش ، وأخيرا أورد الأثرى «كنيتز» ملخصا لها لا يخرج عما أورده «برستد»

Br. A. R. Vol. IV, §§ 996 - 1007; Friedrich Karl Knietz, Die Politische Geschichte Agyptens Vom. 7, Bis Zum 4, Jahrhundert Vor der Zeitwende P. 161 - 165)

وسنورد هنا أولا ماأمكن فهمه على الوجه الصحيح من حيث الترجمة على حسب

رأى الاستاذ «برستد» . وسير الحقائق التاريخية التى تقدمها لنا هذه الوثيقة فى جملتها واضح على الرغم من الابهامات وعدم التأكد من التفاصيل بسبب تشويه المتن . ففى السنة الثالثة من حكم الملك «أحمس الثانى» نجد أن الملك «ابريز» المخلوع يسير على رأس جيش لمنازلته من جهة الشمال وهذا الجيش كان يتألف من قوة من الاجناد الاغريق وكذلك من أسطول بحرى ، وقد كان «ابريز» هو الذى بدأ الهجوم وتقدم فى زحفه حتى مشارق مدينة «سايس» حيث كان «أمسيس» قد استعد بجيشه لملاقاته وقد وقعت الواقعة وأسفرت نتيجتها عن هزيمة « ابريز » هزيمة منكرة اذ قد شتت شمل جيشه غير أن الملك المخلوع وجنوده قد استمروا يجوسون خلال الديار المصرية فى شماليها قاطعين الطرق وعائشين على السلب والنهب بطبيعة الحال ، وفى الوقت نفسه فر «ابريز» هاربا مع بعض السفن الاغريقية (؟) ولما انقضى أربعة أو خمسة أشهر على هذه الحال اضطر «أمسيس» أن يُرسل اليه جنوده للقضاء على البقية الباقية من جيشه ، وخلال تلك العملية كان «ابريز» قد ذبح . » هذا ملخص ماجاء فى لوحة « الفنتين » أما البيان الذى أورده لنا « هردوت » فانه يبتدىء عند نقطة مبكرة عن ذلك فى موضوع اغتصاب «أمسيس» لعرش البلاد ، أى بعد عودة الجيش المصرى مهزوما من بلاد «لوبيا» واعلان جنوده العصيان على الملك (راجع Herod. II 162 - 3) فيقول «هردوت» فى ذلك : « وعندما سمع « ابريز » بذلك أرسل «أمسيس» لتهدئة خواطرهم بالاقناع ولكنه عندما وصل اليهم عمل جهده لكبح جماحهم وعندما كان يدفعهم الى التخلى عن القيام بمشروعهم قام أحد المصريين الذين كانوا واقفين خلفه بوضع قبعة على رأسه وعند وضعها قال : انه وضعها على رأسه ليجعله ملكا . » وهذا العمل لم يكن قط مكروها لدى «أمسيس» كما أظهر ذلك فى الحال ، وذلك لأن الثوار عندما نصبوه ملكا على المصريين استعد لقيادة جيش على «ابريز» ، ولكن عندما أعلن «ابريز» بذلك أرسل الى «أمسيس» رجلا ذا وزن من المصريين الموالين له وكان اسمه «باتاربيس» ومعه الأوامر لاحضار «أمسيس» حيا الى حضرته . وعندما

وصـل « باتاربيس » وأمر « أمسيس » بالمثول أمام الفرعون لم يسـع « أمسيس » الا أن رفع ساقه (اذ اتفق أنه كان وقتئذ ممتطيا جوادا) وأرسل ريحا وأمره أن يحمل ذلك الى «ابريز» ومع ذلك فان «باتاربيس» رجاه لأن الملك قد أرسله ليذهب اليه ، ولكنه أجاب : أنه كان منذ بعض الوقت يستعد لعمل ذلك ، وأنه ليس لدى «ابريز» سبب للشكوى ، وأنه لن يظهر أمامه وحده فقط ولكن سيحضر معه آخرين » . وعندما فطن « باتاربيس » لما كان يضمره وشاهد التجهيزات تعمل عاد فى سرعة لأنه أراد أن يعلم الملك على وجه السرعة بقدر المستطاع بما هو جار . وعلى أية حال عندما عاد الى «ابريز» دون أن يحضر معه «أمسيس» ، فان «ابريز» دون أى تدبر وفى ثورة غضب أمر بأن تجدع أنفه وتصلم أذناه (يقصد «باتاربيس») ولكن عندما رأى سائر المصريين الذين كانوا لا يزالون منحازين الى جانبه أنه قد عامل بتلك الصورة المزرية واحدا من أعظم المشهورين بينهم لم يتوانوا لحظة واحدة فى الانحياز فى الحال الى الجانب الآخر وسلموا أنفسهم «لأمسيس » (١٦٣) وعندما سمع «ابريز» بذلك سلح جنوده وسـار لمقابلة المصريين ، ولكنه كان معه كاريون وأونيون يبلغ عددهم ثلاثين ألفا ، وكان له قصر فى «سايس» شاسع المساحة فخم . وزحف حزب «ابريز» على المصريين كما زحف حزب «أمسيس» على الأجانب وتقابلوا بالقرب من «مومنفس» واستعدوا للقتال . (١٦٩) وعندما كان «ابريز» يقود أجناده (الأجانب) ، و «أمسيس» يقود كل المصريين وتقابلوا سويا عند «مومنفس» ووقعت الواقعة بينهم حارب الأجانب بشجاعة ولكنهم كانوا أقل عددا فحاقت بهم الهزيمة . وكان «ابريز» يعتقـد أنه لا يستطيع أحد حتى ولا الاله أن ينزع منه مملكته فقد كان يظن بصورة مؤكدة أنه ثابت فى مكانه . ولكنه عندما خاض غمار المعركة هزم وأخذ أسيرا وحمل ثانية الى «سايس» الى القصر الذى كان يملكه فيما سبق ، وأصبح الآن فى قبضة «أمسيس» : وقد استبقى هناك لمدة فى القصر الملكى وقد عامله «أمسيس» معاملة حسنة ولكن فى نهاية الأمر شكا المصريون من أنه لم يكن على حق فى المحافظة على رجل كان ألد

عدو لهم وله ، وعلى ذلك سلم «ابريز» للمصريين ، فشنقوه ثم دفنوه فى ضريح أجداده ، وكان هذا المكان المقدس للآلهة مترفا بالقرب جدا من المعبد الذى على اليد اليمنى عندما تدخل .. الخ . ومن رواية «هردوت» نعلم أن اغتصاب «أمسيس» للملك كان قد بدأ فى وقت مبكر عن الوقت الذى جاء فى متن اللوحة . وتدل شواهد الأحوال على أنه بعد هزيمة «ابريز» وخلعه من عرش الملك على يد «أمسيس» كما جاء فى «هردوت» ، استغل «ابريز» شفقة «أمسيس» ورأفته به حتى أنه أفلح بعد ثلاث سنوات فى الهرب وجمع جيشا من الأجناد الأغريق لمحاربته ولكنه هزم معهم ثانية كما جاء فى اللوحة . واذا كان هذا الترتيب فى الحوادث صحيحا كانت الموقعة الثانية كما جاء ذكرها على اللوحة تشبه كثيرا الأولى مما حدا بهردوت الى عدم تمييزها لأنه لم يقل عنها شيئا وهذا قول أرجح من أن نوحد الواقعة التى جاءت فى اللوحة مع الواقعة التى ذكرها «هردوت» ، وفى هذه الحالة كان «أمسيس» قد حكم أكثر من سنتين على الأقل قبل أن يهاجمه «ابريز» ، وعلى ذلك لم يكن هناك مجال لبقاء «ابريز» فى حبس «أمسيس» كما قص علينا ذلك «هردوت» بوجه خاص اللهم الا اذا فرضنا أن «ابريز» كان قد أسر فى الواقعة التى جاءت على اللوحة (وهذه الحقيقة لم تذكر فيها) وبقى مع «أمسيس» لمدة أربعة أو خمسة أشهر ثم هرب بعدها الى السفن الاغريقية ليذبح هناك . وقصة موت «ابريز» كما رواها «هردوت» من الصعب جعلها تنسجم مع القصة التى جاءت على اللوحة بأى فرض كان ، ولكن المصدرين يتفقان فى أن «أمسيس» قد احتفل احتفالا كريما بدفن «ابريز» على حسب ماجاء فى «هردوت» بين أجداده فى «سايس» .

وهاك ماجاء على اللوحة :

السنة الثالثة الشهر الثانى من الفصل الثالث (الشهر العاشر من السنة) فى عهد جلالة «حور رع» مثبت العدالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، السيدتان (المسمى) ابن «نيت» موطد الأرضين ، حور الذهبى (المسمى) منتخب الآله « خنوم

اب رع » ابن رع من صلبه (المسمى) «احمس» بن «نيت» ، محبوب «خنوم» ، سيد «الشلال» و «حتحور» القاطنة فى «زاموت» معطى كل الحياة والثبات والرضا مثل رع أبديا (٢) الاله الكامل العامل بساعده العظيم البطش ... ويأتى بعد ذلك بيان يقول ان جلالته كان فى قاعة القصر يتدبر أحوال البلاد عندما أتى واحد ليقول لجلالته : ان « ابريز » (حعع ـ اب ـ رع) (٣) قد أقلع جنوبا .. سفن الـ ... فى حين كان اغريق لا عدد لهم يحيون خلال الأرض الشمالية (...؟...) والآن قد تذكر مكانهم (٤) فى «بح عن» (وهو جزء من مقاطعة اندروبوليت فى الدلتا الغربية غير أن قراءة اسم المكان غير مؤكد) وكانوا يخربون كل مصر وقد وصلوا الى حقل الزبرجد (يحتمل أنه مكان بالقرب من «سايس» و «بوتو») ، وهؤلاء الذين من حزبك قد هربوا بسببهم . وبعد ذلك جعل جلالته السمار الملكيين و (   ) ينادى عليهم وأعلمهم بما حدث . وقد خاطبهم بنصائح مطمئنة (٥-٧) وقد أجابوا بالثناء على «أمسيس» معلين أن «ابريز» قد عمل مايعمله كلب فى جيفة (٧-١٠) وقال جلالته ستحاربونه فى الباكر ! فكل رجل الى الأمام ! وقد جمع جلالته رجالته وفرسانه (لابد أن الاغريق كان لديهم فرسان وقتئذ) ـ ـ ـ . وقد ركب جلالته عربته وأخذ أقواسا ونشاشيب فى يده ، وقدم الى ـ ـ ـ ووصل الى « اندروبوليس » (عاصمة المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحرى) وكان الجيش متهللا فرحا على الطريق . . » يأتى بعد ذلك المتن الخاص ببداية الموقعة غير أنه فى غاية بالغموض . ثم يتبع (سطر ١٢) . حارب جلالته كالأسد ، وعمل مذبحة بينهم وكان عددهم لايعرف . وأخذتهم سفن عديدة ، ساقطين فى الماء ورأوهم يغطسون فى الماء كما يعمل السمك .

«أمسيس» انتصر على عدوه

«السنة الثالثة الشهر الثالث من الفصل الأول (الشهر الثالث) اليوم الثامن ، أتى انسان ليقول لجلالته ان العدو يهدد الطرق وهناك آلاف يغزون البلاد وهم يغطون (يحتلون)

كل طريق أما أولئك الذين فى السفن فانهم يحملون لك الكره فى صدورهم دون انقطاع • »

بعد ذلك أصدر «أمسيس» التعليمات لجنوده ليعيثوا فسادا فى كل طريق دون أن يدعوا يوما يمر لا يضغطون فيه على العدو (١٥،١٦) وعلى ذلك فرح الجيش كثيرا وبدءوا فى عملهم (١٦) وقد استولى على سفن العدو ، ومن المحتمل أن «ابريز» أخذ على غرة وذبح عندما كان يأخذ قسطا من الراحة على احدى السفن • وقد رأى (أمسيس) صديقا له يسقط فى • • • الذى عمله (١٨) أمام الماء» وقد أمر «أمسيس» بدفنه كما يليق بملك ونسى لعنات الآلهة التى جلبها لنفسه وقد أوقف (أمسيس) قربات مقدسة بمقدار عظيم لاقامة الشعائر الخاصة بابريز الذى خر صريعا •

الخلاصة والتحليل للحوادث التى جرت بين «أبريز» و «أمسيس» على حسب ما جاء فى لوحة «الفنتين» : استعرضنا فيما سبق الأقوال والروايات عن الخلاف الذى دب بين «ابريز» وقائده «أمسيس» بشىء من التطويل ، ووصلنا الى النهاية التى أدى اليها هذا الخلاف وهو قتل «ابريز» وتولى «أمسيس» الحكم بعد حروب طاحنة ، ويمكن تلخيص كل هذا الموضوع فيما يأتى :

حدث على حسب ماجاء فى «هردوت» أنه وقعت بين «أمسيس» وجنوده المصريين وبين «ابريز» الذى كان يحمى ظهره الجنود الكاريون والاعريق الذين يبلغ عددهم حوالى ثلاثين ألف مقاتل ــ موقعة فى المكان المسمى «مومنفيس» وهو «كوم الحصن» الحالى الواقع فى الشمال الغربى من الدلتا وقد كان النصر فى جانب الجنود المصريين لتفوقهم فى العدد على الاغريق • وقد وقع «ابريز» نتيجة لهذه الموقعة فى قبضة «أمسيس» • غير أنه على الرغم من ذلك عامله معاملة حسنة ولكن فيما بعد سلم «أمسيس» غريمه «ابريز» للمصريين الذين اشتد حنقهم عليه لسوء تصرفه فقتلوه ومع ذلك فان جثمانه قد احتفل بدفنه فى مقابر أسرته فى «سايس» • وعلى أساس هذا البيان وبسبب ان «ابريز» حكم خمسا وعشرين سنة (بدلا من تسع عشرة سنة) كما

ذكر «هردوت» فان مدة حكمه الصحيحة هي أربع وأربعون سنة (راجع
(Herod. III, 10
وعلى ذلك يكون قد اشترك «ابريز» و «أمسيس» معا قبل موت الأول عدة سنين في الحكم . يضاف الى ذلك أن عددا كبيرا من الآثار المصرية يمكن اقتباسها تأكيدا لذلك ، ومنها نرى ظاهرا أن الملكين كانا يحكمان معا . ولكن هذه الآثار قد فحصها الأثرى «بيل» بالتفصيل (راجع
(A. Z., 28 PP. 9 - 15, Comp. Gardiner, J. E. A. 31, P. 20, Note 3
ومنها خرج بنتيجة غير التي وصل اليها الأثريون الذين سبقوه وهي أن هذه الآثار لا تدل قط على أي اشتراك في الملك لهذين الفرعونين ، وأن السبب في هذه الغلطة قد نشأ من قراءة طغراء هذا الملك الذي نقله «شمبليون» خطأ ، وقد قرأه الأثرى «ينج» قراءة صحيحة (راجع Porter & Moss, IV P. 72) وبذلك تسقط هذه النظرية تماما . وقد ألقت أضواء جديدة على تاريخ كل من « ابريز » و « احمس » اللوحة التي عثر عليها في «الفنتين» على الرغم مما أصابها من عطب شديد وهي التي تحدثنا عنها فيما سبق ، وتؤرخ بالسنة الثالثة من حكم « أمسيس » ومنهـا نجد أنه لابد من ادخال بعض تعديلات ولكنها مع ذلك تتفق مع ماجاء في المصادر الاغريقية في النقط الأساسية فنجد أن متن اللوحة يبتدىء في السطر الأول بتاريخ السنة الثالثة الشهر العاشر من حكم الملك «أمسيس» . ويأتي بعد ذلك الأسماء الرسمية للملك» وبعد ذلك يجيء الخبر للملك «أمسيس» أن « ابريز» قد أقلع بأسـطول الى أعالي النيـل وفي الوقت نفسـه يوجـد جيش قوى من الاغريق يخترق الدلتـا وأنه خرب كل البلاد . وهؤلاء الاغريق كانوا قد وصلوا فعلا الى بلدة «حقل الزبرجد » (الواقعة بين بلدتي بوتو » و « سايس ») وأن جنود « أمسيس » قد تقهقروا وعند ذلك سار «أمسيس» بنفسه على رأس جيش عظيم يصحبه أسطول لملاقاة «ابريز» ، والظاهر أن «أمسيس» خاض غمار موقعة عظيمة في «اندرو ـ بوليس» الواقعة في غربي الدلتا وكان نصره فيها ساحقا في البحر والبر . ويأتي بعد ذلك في السطر

الرابع عشر من متن هذه اللوحة تاريخ آخر وهو السنة الثالثة الشهر الثالث اليوم الثامن من حكم الملك «أمسيس» . وفى هـــذا الوقت أتى انسان ليخبر الفرعون «أمسيس» أن القلاقل فى البلاد مستمرة وأن العصابات تجعل الأمن فى البلاد غير مستقر ، وعندئذ أمر «أمسيس» جيشه بتطهير البلاد من كل القلاقل والاضطرابات وقد تم له ما أراد . وفى خلال ذلك قتل «ابريز» على ظهر سفينته ، والظاهر أن ذلك قد حدث بيد أتباع «ابريز» نفسه . والمتن هنا غامض تماما (السطر ١٧) وفى نهاية المتن ذكر أن «أمسيس» قد احتفل بدفن «ابريز» بكل حفاوة تليق بملك . ومتن اللوحة يضع أمامنا أولا مسألة تاريخية وهذه تنحصر فى التاريخين اللذين ذكرا فى اللوحة نفسها ، الأول فى السطر الأول والثانى فى السطر الرابع عشر فالاول على حسب نظام التأريخ المتقـدم يقع فى ٩ أكتوبر أو ٩ نوفمبر ســنة ٥٦٧ ق.م والثانى يقع فى ٢٠ مارس سنة ٥٦٧ ق.م وهنا نجد أن التاريخ الثانى يأتى تاريخا قبل الأول وقد استنبط البعض من ذلك أن «احمس» لم يجعل سن حكمه من أول السنة التقويمية بل من أول يوم توليه عرش الملك) ويلحظ هنا أن «مسبرو» يفضــل قراءة السنة الأولى بدلا من السنة الثالثة .) راجع (Maspero, Guide du Visiteur au Musée du Caire, (1915), P. 206 No. 849

ولكن حساب سنى الحكم على حسب سنة الحكم الحقيقية يكون أمرا فريدا فى بابه وفضلا عن ذلك يضع أمامنا مسألة شاذة غامضة التفسير . وعلى ذلك فانه لا بد من ايجاد حل آخر لهذه المعضلة . والواقع أنه لايمكن القول بأية حال أن التاريخ الأول فى اللوحة متعلق بالحادث الأول الذى ذكر فيها ، وفضلا عن ذلك فانه يمكن اعتباره التاريخ الذى أقيمت فيه اللوحة .

(راجع مثالا لذلك لوحة «بيعنخى» (Br. A. R. III, P. 418) ومن ذلك نفهم أن التأريخ الذى جاء فى السطر الأول ليس بتأريخ متقدم يحدد الحادثة التى ذكرت فى السطر الرابع عشر بل هو تأريخ جاء متقدما لنهاية الحوادث التى جاءذكرها من أول السطر الرابع عشر حتى نهاية المتن . وهذا الاستنباط هام للاجابة عن السؤال

فيما اذا كانت الواقعة التى ذكرت فى المتن بالقرب من « أندروبوليس » موحدة بواقعة «مومنفيس» التى ذكرها «هردوت» . والواقع أنه يوجد اعتراض على توحيـد هاتين الواقعتين (راجع
Br. A. R. IV, P. 509 - 510 § 997 - 998;Petrie, et Gauthier etc.)
وذلك أن « هردوت » وضع موقعة «مومنفيس» فى بداية حكم « أمسيس » فى حين أن الموقعة التى جاء ذكرها فى اللوحة ذكرت أولا فى السنة الثالثة من حكم «أمسيس» ، هذا ونجد أن الأثرى «هول»
(Hall, The Oldest Civilisation of Greece, P. 323 - 324)
يقول ان الموقعتين هما موقعة واحدة وقعت فى السنة الثالثة من عهد « أمسيس » (٥٦٧ ق.م) . والواقع أن هذا الرأى يسقط عندما نأخذ بالرأى القائل ان التاريخ الأول هو تاريخ اقامة اللوحـــة وأن التـــاريخ الثـــانى هو الذى بدأت فيه الحوادث ، وعلى ذلك تكون الواقعة قد وقعت فى سـنة ٥٦٩ أو سـنة ٥٦٨ ق.م. والبرهان القاطع على أن الواقعتين موحدتان أنه على حسب ماجاء فى اللوحة وكذلك على حسب ماجاء فى «هردوت» قد دارت المعركة فى مكان موحد راجع
Kees. Pauly - Wissowa, Real Encykolopade der Klassische Altertumswissenschaft, XVI, I, 1933, S. 40 - 40, Momenphis)

يضاف الى ذلك أننا نجد فى كلا المصـدرين أن « ابريز » كان فى جانبه الاغريق ولـكن من جهـة أخرى نجد أنه من الصعب أن نوفق بين ماجاء فى اللوحـة وفى « هردوت » عن موت « ابريز » . فنجد قبل كل شىء أن متن اللوحـة لم ينوه لا من بعيد ولا من قريب عن أن « ابريز » قد سقط فى الموقعة الفاصلة فى يد « أمسيس » كما يحدثنا بذلك «هردوت» . فمن المحتمل اذا أن «ابريز» قد سقط فى الموقعة الفاصلة فى يد « أمسيس » كما يحدثنـا بذلك « هردوت » . فيجوز اذا أن « ابريز » كان قد أخذ أسيرا فى الموقعة ثم هرب ثانية الى السفن الاغريقية كما ذكر ذلك «هردوت» ومن جهـة أخرى نجد أن « ابريز » لم يذكر الحوادث التى وقعت على حقيقتهـا كما ذكرها « هردوت » ، ولا غرابة فى ذلك لأن قتل ملك شرعى وبخاصة فى العهود

المتأخرة من التاريخ المصرى كان يعد من أبشع الأخطاء الدينية • وقد ظهر اسم « ابريز » على لوحة « أمسيس » فى طغراء ملكية - ولكن بدون ألقاب ملكية بعد - هذا فضلا عن أن « أمسيس » قد وصف « ابريز » بأنه صديقه (سطر ١٧ فى اللوحة) وهذه الأمور وكذلك الاحتفال بدفن « ابريز » بكل تجلة واحترام يدل على أن « أمسيس » أراد أن يتخلص من وصمة العار التى لصقت به وهى قتل « ابريز » ، وعلى ذلك يحتمل جدا أن ماجاء فى اللوحة عن موت « ابريز » لايخرج عن كونه بلاغا رسميا أراد « أمسيس » أن يطمس به الحقائق كما يحدث فى أيامنا ، وعلى ذلك فانه بعيد عن الحقيقة (راجع
(Hall, Ancient Hist. P. 548; Cambridge Ancient Hist. III, P. 303)

آثار « أبريز : قد ترك لنا « ابريز » آثارا عدة فى أنحاء القطر •

يوجد فى متحف « اللوفر » بطاقة من خشب الجميز كانت فى الأصل ضمن مجموعة « كلوت بك » ويبلغ طولها ٦٥ مليمترا وعرضها ٤ سنتيمترات وأحد طرفيها مستدير وبه ثقب لتعلق منه ، وهذه البطاقة خاصة بمومية وقد كتب على البطاقة بالخط الهيراطيقى ماترجمته :

زيت جميل من الجزية الخاصة بكل الزيوت (مقداره ٢٤ « منو » من السنة الأولى شهر أمشير من عهد الفرعون « ابريز » (حفره) العائش ابديا (راجع
(Bull. Instit. Fr. Tom. 10 P. 163

(١) « **صا الحجر** (١) » : من الآثار التى عثر عليها للملك «ابريز» فى صاالحجر» عمود من البازلت الأسود ، وجده الأثرى « دارسى » فى وسط القرية ، ويبلغ طوله ١٫١٥ مترا وقطره ٤١ سنتيمترا ومنقوش عليه سطران عموديان (١) حور (المسمى) واح اب ، واح اب رع المحبوب من الآلهة « نيت » ربة « سايس » معطى الحياة • (٢) حور (المسمى) واح اب • واح اب رع محبوب الآلهة «نيت» المشرفة على بيت النملة معطى الحياة أبديا • » هذا وقد وجد عمود مماثل لهذا فى « جامع الغمرى » بالقاهرة

---

(١) أنظر الصورة رقم ١٣

وكذلك يوجد فى المتحف المصرى عمود ثالث تاجه على هيئة رأس البقرة « حتحور » ومقطوع من نفس الحجر (راجع A. S. II P. 239). • وكذلك عثر « دارسى » فى الحفائر التى قام بها فى « صاالحجر » على تمثال مجيب للملك « ابريز» وهو مصنوع من الخزف المطلى الأخضر ولكن صناعته رديئة وليس فيه مايدل على أنه من صنع ملكى • وقد نقش عليه مختصر للفصل السادس من كتاب الموتى وهو الذى يطلب فيه الى هذا التمثال أن يقوم بكل عمل يكلف به الملك المتوفى من أعمال الآخرة التى كان يجب تأديتها للاله « أوزير » •

(٢) « **نهارية** » : وجد فى هذه القرية قطعة حجر عليها اسم الملك « ابريز »
(L. D. III, 274, h, i)

(٣) « **هليوبوليس** » : يوجد لهذا الفرعون مسلات نقلت الى « روما » ويحتمل أنها كانت فى الأصل فى « عين شمس » (راجع
(Parker, Twelve Obelisks in Rome III, Rome, Piazza Minerva

« **ميت رهينة** » لوحة الملك « ابريز » (راجع A. S. Tom. XXVII, P. 211 - 237 A.)

من أهم الآثار الظاهرة فى دمن مدينة « منف » لوحة مستديرة مسورة بالقرب من تمثال «رعمسيس» الصغير الذى نقل حديثا لميدان محطة القاهرة • وقد ادعى«بروكش» أنه هو الذى كشف عنها ونقل متنها (راجع
(Brugsch, Histoire de l'Egypte 1, P. 257

ويحتوى متن هذه اللوحة على أمر من الملك « ابريز » باقامة لوحة فى « منف » فى وسط البحيرات كما يقول لتكون تذكارا للهبات التى قدمها للاله « بتاح » رب « منف » الخ •• وقد تناول هذه اللوحة بالبحث أثريون آخرون نذكر منهم « مريت » و « مسبرو » و « كارل بيل » (راجع A. Z. 28 PP. 28). ( ) •
وأخيرا درسها درسا مستفيضا عميقا الأثرى « جن » وقرن محتوياتها بما يماثلها من المنشورات المصرية فى عهد الدولة القديمة وبخاصة عندما نعلم أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين كانوا يقلدون أجدادهم فى عهد الدولة

القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة . والواقع أن محتويات هـذه اللوحة كانت تعد من الأهمية بمكان فى الوقت الذى كشفت فيه ولكن أصبحت أهميتها قليلة عندما كشف عن نظائرها حديثا من عهد الدولة القديمة . ولانزاع فى أن هذه النظائر هى التى سهلت للأستاذ « جن » درس هذه اللوحة بالموازنة . ولوحة « ابريز » هذه عبارة عن منشور عام يتعلق باهداء بعض الأراضى وما يتبعها من عبيد وكل منتجاتها . واللوحة كما هى الآن منصوبة على قاعدة مثبتة بالأسمنت . وهى منحوتة من الحجر الرملى الأبيض المائل للسمرة وهى مستديرة فى أعلاها ، وقد تآكل سطحها فى كثير من المواضع ويبلغ طولها ٣١٤ سنتيمترا وعرضها حوالى ١٥٧ سنتيمترا وسمكها ٧٧ سنتيمترا والصور التى عليها والكتابة متقنة الصنع .

وتدل شواهد الأحوال من موقع اللوحة على أنها كانت منصوبة عند مدخل معبد الاله «بتاح» . ويشاهد فى الجزء الأعلى المستدير علامة السماء وتحتها قرص الشمس المجنح وبين الجناحين اسم الاله « بحدتى » = صاحب « ادفو » ويتدلى صلان من قرص الشمس وتحت كل صل علامة ⌣ وتحت ذلك طغراء الملك «واح اب رع » على علامة اتحاد الأرضين وفى الجهة اليمنى من هذا الجزء الأعلى صورة الاله « سوكاريس » باسمه « سكر » فوقه ، ويشاهد من طرف صولجانه أنه يقدم « الحياة » للطائر حور على واجهة قصره ومعه النقش التالى : « انه « سوكاريس » يعطى كل الحياة والفرح والصحة أبديا . »

وعلى الجهة اليسرى من هذا الجزء الأعلى صورة « بتاح » « منف » فى ناووس ، وبين هذا واسم « خور » الذى على الجهة اليسرى سطر عمودى من النقوش معظمه مهشم . والفكرة التى يعبر عنهـا الجزء الأعلى من اللوحة يظهر أنها كالآتى : مثل الملك « ابريز » باسمه « ابن رع » واسمه الحورى محمى تحت القبة الزرقاء بالاله « حور » صاحب « ادفو » ويقدم له الحياة والنعم الأخرى الالهان المحليان « بتاح » و « سوكاريس » (سكر) .

وهاك ترجمة المتن الذى نقش على الجزء الأسفل من هذه اللوحة :

(١) الواحد الحى ، «حور» «واح اب» (= صاحب القلب المثبت) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، صاحب السيدتين (المسمى) «نب خبش» (رب القوة بالساعد)، «حع عا اب رع» (= قلب رع فرح) ؛ حور الذهبى (المسمى) «وسواز تاوى» (الذى يجعل الأرضين تفلح) ، ابن «بتاح» المحبوب ، «واح اب رع» (= قلب رع مثبت) معطى الحياة أبديا .

(٢) الملك نفسه يقول : -

ان جلالتى قررت أن الاقليم القريب من «منف» فى وسط القنوات العظيمة (؟) تهدى بمثابة دخل الهى لوالدى «بتاح جنوبى جداره» ، سيد «عنخ تاوى» ، مع كل عبيده ، وكل ماشيته كبيرة وصغيرة ، وكل شىء يخرج منها فى (الريف) أو فى المدينة هذا بالاضافة للأرض الزراعية الخاصة بالآلهة والآلهات التى هناك .

(٣) وقد قررت جلالتى فضلا عن ذلك أن توهب كل الأراضى المستنقعة وكل الاراضى الزراعية المجاورة لهذا الاقليم لوالدى «بتاح جنوبى جداره» ورب « عنخ تاوى » (= منف) .

(٤) وقد قررت جلالتى بالاضافة الى ذلك أن يحبس هـذا الاقليم ويحمى لأجل والدى «بتاح جنوبى جداره» ، ورب «عنخ تاوى» ، من فعل أى عمل فى الرى (؟) ولن أسمح لأى شخص يؤتى به هناك بوساطة أى موظف محلى أو أى رسول للملك . وقد عملت جلالتى هذا بقصد أن دخل هـذا الاله وهو والدى « بتاح القاطن جنوبى جداره » ورب «عنخ تاوى» يبقى سليما فى كل الأبدية .

(٥) وقد قررت جلالتى فضلا عن ذلك أن يستمر مافعله الأجداد فى معبد « بتاح جنوبى جداره » (يقصد أن مافعلته يمكن أن يستمر بوسـاطة الخلف لأى عمر من السنين) .

(٦) وقد وجه أمر لمفتشى الكهنة خدمة الآله لهذا الاقليم ألا تكون هناك عقبة فى سبيل هذا الدخل الالهى .

(٧) وأى موظف ادارى محلى أو أى رسول ملكى يعصى متن هذا المنشور أو من يمكنه أن ؟) ... بسببها (؟) سيعاقبه البيت العظيم (المحكمة) من أجل السوء (الذى ارتكبه)

(٨) ختم فى حضرة الملك نفسه واقفا بين الرجال الخاصين (؟) .... سنة الحكم الثالثة عشرة الشهر الرابع من فصل الزرع (اليوم) التاسع أو السادس عشر أو السادس والعشرون » .

يلحظ أن هذا المتن غاية فى الاختصار فى ألفاظه ولذلك يحتاج الى بعض الشرح فمما يلفت النظر فى الفقرة الثانية ضم الأرض الزراعية الخاصة بالآلهة والآلهات فى ضيعة «بتاح» لأن ذلك يشمل على مايظهر حرمان الآلهة المعنيين من دخلهم المقدس . ومن المحتمل أنه كان ينتظر بعض المقاومة لاتخاذ هـذه الخطوة ، وربما كان ذلك هو السبب فى أن رجال الدين أصحاب النفوذ فى الاقليم وأعنى بذلك المفتشين على الكهنة هم الذين أمروا (٦) ألا يضعوا أية عراقيل فى سبيل الدخل المقدس للاله «بتاح» ؟ ولكن ضم كل الأراضى المستنقعة والأراضى الخصبة الصالحة للزراعة المجاورة لهذا الأقليم فى نظرنا أمر مبهم تماما ولكن لا بد أن المقصود كان بدهيا للذين عاصروا ذلك .

وما جاء فى الفقرة الخامسة لابد أن له علاقة بباقى المتن أكثر مما هو فى ظاهره وربما كان المقصود منها هو أن الملك «ابريز» قد ضمن فى المنشور الذى هو موضوع هذا المتن تجديد (منشور) قديم له نفس الغرض . وعلى ذلك فان الاشارة الى معبد «بتاح» تعنى أن اللوحة تعلن نشر منشـور يخلد ماعمل بوساطة الأجـداد واقامته فى المعبد . وعلى أية حال فان الوثيقة التى تركها لنا «ابريز» لا تعد فى حد ذاتها منشورا بل هى فى الواقع اعلان عام سـجل فيه مواد منشـور عمل قديمـا ، وذلك ظاهر من ألفاظ الوثيقة نفسها . وهذا يوحى بأن الكهنة فى هذا العهد كانوا يريدون احياء كل الأوقاف القديمة التى كانت للآلهة مما يدل على نفوذهم .

قصر « ابريز » فى ميت رهينة راجع

Petrie, The Palace of Apries (Memphis II, P. 17 - 18

لا غرابة فى أن نرى «ابريز» يقيم لوحة فى هذه الجهة ليحيى الأوقاف التى كانت لاله هذه الجهة فقد اتخذ مقره على مايظهر هناك . ولا أدل على ذلك من أن الأثرى «بترى» قد كشف عن قصر له يظهر مما بقى منه أنه كان غاية فى العظمة والفخامة ، وقد اتخذه الملوك الذين أتوا من بعد «ابريز» مقرا لهم كما يدل على ذلك ماتركوه لنا من آثار فى «دمنة» . ويقع قصر الملك «ابريز» الذى كشف عنه الأثرى «فلندرز بترى» فى النهاية الشمالية من مدينة «منف» القديمة وتبلغ مساحة هذا القصر حوالى فدانين ، وجدرانه مقامة كما هى العادة فى المبانى الدنيوية المصرية القديمة من اللبنات السوداء ، وجدران هذه المبانى مكسوة بالأحجار الجيرية فى جزئها الأسفل ،وكذلك كسيت رقعة القصر بالأحجار الجيرية ، ويبلغ سمك الجدران فى المتوسط حوالى ١٤ قدما . وتدل شواهد الأحوال على أن عمر هذه الجدران يختلف من حيث زمن اقامتها وذلك لأن بعضها يرجع الى عهد «ابريز» وبعضها الآخر أقيم بعد عهده ، اذ قد استعمل هذا القصر ـ كما يظهر من الآثار التى وجدت فى طبقات المبانى التى عثر عليها فى العهود التى أعقبت عهد الملك «ابريز» .

والتصميم العام لهذا القصر كما عثر عليه جاء مرتبكا بعض الشىء ، وهو يحتل الركن الشمالى الغربى من المعسكر الكبير الحصين الذى تبلغ مساحته حوالى عشرين فدانا أو أكثر فى النهاية الشمالية من خرائب «منف» . وكان يوجد على الجانب الغربى للمعسكر ثلاثة أسوار عظيمة . والقصر المحصن الذى نحن بصدده يقع على ربوة ، والأسوار التى فى الجنوب قد خربت وبنى على أنقاضها ، والسور أو الحوش الذى يلى القصر قد أزال أتربته السباخون ولم يبق منه الا مربع ذو جدران سميكة يبلغ ارتفاعها حوالى أربعين قدما وكل مابداخله قد أزيل ، وكان يوجد فى داخل هذا المربع العظيم طريق لها بوابة واسعة فى الجنوب وأخرى مقابلة لها فى الشمال (انظر تصميم القصر Ibid, Pl. I.)

وهذه البوابة كانت تؤدى الى أخرى فى الواجهة الجنوبية للقصر وهى التى تؤدى منها «الطريق الواسعة القديمة» الى الردهة العظيمة . ويلحظ هنا أنه عند عمل تصميم قصر «ابريز» من جديد كما كان عليه فى أول مرة وقد وضعت طريقة جديدة للدخول الى القصر بوساطة كتلة من المبانى تقع أكثرها فى الشرق ، فيشاهد فى الجدار عنـد نهاية التصميم طريق مقابلة بالضبط لنهاية « الطريق العريض الجديد » وبينهما توجد حفرة تتصل بالقصر .

وعندما يتقدم الانســـان نحو « الطريق الواســع الجديد » توجد قاعة بابهـــا فى الغرب ولها مقعد فى امتداد الجانبين الغربى والشمالى . وهذه القاعة كانت كما يقول « بترى » بموقعها تؤدى الى حجرة الحراسة ، ويأتى خلف ذلك المطبخ بموقده المصنوع من اللبنات وهو لا يزال قائما مرتكزا على الجدار الشمالى . ويلى ذلك باب واسع (D) من اليمين ويؤدى الى القاعة المكسوة بالحجر الجيرى . وكان يوجد جنوبى باب المدخل باب من الحجر C , E لايزال باقيا منه الأسكفة والعتب . وهذا الباب يؤدى من قاعة الى أخرى فى الجنوب وهى أكثر القاعات حفظا فى القصر (رقم XIII فى التصميم) وقد بنيت الرقعة منحدرة الى مصرف له صهريج من القصدير فى رأسه وهذا الصهريج كبير الحجم ٢٩٠ × ٣٤و٤ بوصة وعمقه من ٧ الى ٢/١ ١٠ بوصات ، وقد نقل الى المتحف المصرى ، وفى الجهة الشرقية من ذلك بقايا قاعة أخرى لا تزال دمنها ظاهرة .

ولابد أنه كان يوجـد على امتـــداد الجانب الشرقى للقصر ممر ينفـذ الى ثلاث حجرات فى وســط الجانب الشرقى غير أنه اختفى ولم يبق منه الا آثاره . وخلف هذه القاعات نجد أن «الطريق الواسع» قد سد . والظاهر أن هذا السد قد قطع الطريق المباشر المؤدى الى المنظرة ، ولكن يمكن الوصول اليها بوساطة الردهة العظيمة أو بعض ممر قد خرب الآن . ونعود الآن الى القاعة العظمى فنجد أن الدخول اليها قد عمل فى الجنوب الشرقى وجدرانها من كل الجوانب يرجع عهدها الى ماقبل عصر

« ابريز » . وفى سط الردهة نجد بناء على شكل علبة من الحجر مدفونة فى الردهة والغرض منها لم يعرف بعد فلم تكن للماء ، وهى قطعة واحدة ليس بهـا منافذ ومن المحتمل أنها كانت خاصة بالعرش ، ويوجد كذلك علبة أخرى فى الجنوب الشرقى منها مستديرة الشكل .

وفى منتصف الردهة العظمى تقريبا يشاهد على الارض ملفات وتيجان أعمدة من الحجر الجيرى منقوشة باسم الملك «حور واح اب» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، والسيدتان رب السيف ، «حور» المتغلب على «ست» مسعد الأرضين «حمع اب رع» ابن «بتاح» . وهذه القطع وجدت ملقاة على عمق يتراوح بين ١٢،١٦ قدما فى الجنوب من العلبة المتوسطة غير أنه لم توجد رقعة مبلطة أو قواعد تدل على أماكن هذه العمد الأصلية ، وكانت توجد على وجه التأكيد ثلاثة منها ولكن يحتمل أنه كان يوجد عدد كبير غيرها . ومن المحتمل أن ارتفاع العمود كان حوالى ٢/١ ٤٣ قدما اذا ما قرن بالعمد التى وجدت فى «اهناسية المدينة» . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه العمد كانت مقامة فى قاعة عمر مفروشة يبلغ عدد عمدها ٤ × ٤ أى ستة عشر عمودا تشغل الردهة الوســطى . وبعد الردهة العظمى نجد بوابة عظيمة من الحجر تؤدى الى قاعة تبلغ مساحتها ٣٥ × ٢٩ قدما وعلى كل من جانبى هذه الحجرة توجد قاعة ضيقة ، فالتى على اليمين معلمة بأنها كانت مصنعا ولها دكة أو مصطبة على امتداد كل جوانبها ، ولا بد أن هذه الدكة كانت للعمال للجلوس عليها وفى وسطها كان يوجد صندوق ساذج الصنع من الأحجار الخشنة ويحتمل أنه كان صهريج ماء . وقد وجدت حول هذه الحجرة قطع عدة من البرنز وبعض أشياء من الفضة والذهب ، كل ذلك يدل على وجود مصنع فى هـذه البقعة . وفى شـمالى كل المبانى الأخرى كانت توجد مساحة واسعة تحيط بها جدران من جوانبها الثلاثة ، وهذه المساحة المفتوحة يظهر أنها كانت تقابل الردهة الواسعة ذات العمد التى عثر عليها فى بلدة «اللاهون» . والواقع أنها كانت تقابل مانسـميه فى عهـدنا الحديث المنظرة أو حجرة الاستقبال فى

الأرياف فى منازل العمد الأغنياء . وتدل الظواهر على أن تصميم كل القصر يشبه تماما منازل الاسرة الثانية عشرة فقد كان المدخل من الجنوب ثم ممر طويل يخترق المنظرة فى الشمال ، وكان مسكن الخدم والمطبخ فى الجهة الغربية وخلفها كانت توجد الردهة العظيمة ، وكانت أحسن الحجرات توجد فى خدر النساء الذى فى الشرق .

« **تل الناقوس** »: عثر على ناووس جميل باسم الملك «ابريز» فى بلدة «البقلية» أهداه هذا الملك للاله «تحوت» معبود هذه الجهة ويبلغ ارتفاعه ١٫٥٥ مترا وعرضه ٦٢ سنتيمترا وعمقه ٨٦ سنتيمترا ، وهذا الناووس جميل الصنع نقشت عليه طغراء الملك «ابريز» . ويلحظ أن الآله «تحوت» معبود هذه البلدة الذى وجد ممثلا فى هذا الناووس قد مثل فى كل أشكاله المختلفة كما مثل معه شركاؤه من دائرة «أوزير» . وقد أقيمت صناجة « حتحور » فى داخل كوة الناووس . ونعلم من ذلك أنهما كانت الالهة المرافقة للاله تحوت فى هذه الجهة (راجع
Maspero, Guide (1915) P. 198; Porter & Moss, IV P. 39

« **تل ادفينا** » : عثر فى السور الشرقى للمعسكر القديم فى هذه الجهة على لوح القاشانى عليه اسم الملك «ابريز» وهو من ودائع أساس فى حجرة ، وهذا اللوح موجود الآن فى المتحف البريطانى (راجع
(Hall, Catalogue of Egyptian Scarabs P. 295

» **صا الحجر** » **تانيس** : وجد فى ردهة المعبد الكبير فى الرقعة التى من عهد «رعمسيس الثانى» والملك «سيأمون» بالتوالى أن الملك «ابريز» قد نقش اسمه عليها (راجع Porter & Moss, IV P. 24) منتحلها بذلك لنفسه .

« **هربيط** » : عثر فى بلدة «هربيط» على مزلاج باب ناووس فى صورة أسد وعليه متن جاء فيه ذكر الملك «ابريز» . وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى (راجع Maspero, Guide, (1915) P. 512 Fg. 149) وهذا الأسد الفاخر الذى يمثل الملك «ابريز» يحمل بين مخلبيه الأماميين حلقة سلسلة لم يبق منها لدينا الآن الا قطعة لا بأس بها . ويلحظ أنه قد عمل فى الجزء الأمامى الذى على هيئة صندوق مستطيل

وهو الذى يظهر منه أن الاسد قد وضع فيه • وعلى حسب رأى «ماريت» يمثل قفلا ضخما أو مزلاجا ويلحظ أنه فى أحد طرفى السلسلة قد ثبتت آلة وضعت فى فتحة ذات زوايا أربع موجودة فى الطرف الآخر ، وعندما تكون هذه الفتحة فى مكانها يكون القفل مغلقا •

«تل الربع» : عثر فى «تل الربع» على تمثال ملكى لم يكن قد تم صنعه بعد وقد استعمله الامبراطور «كاركالا» لنفسه ، وقد وجد الاسم الحورى للملك «ابريز» على قاعدة هذا التمثال ، ومن المحتمل أنها خاصة به ، وقد عثر عليه بجوار ناووس الملك «أمسيس» وهو محفوظ بالمتحف المصرى • (راجع
(Milne, A. History of Egypt 1898 P. 72, Fig. 63

« المحلة الكبرى » : وجد فى هذه البلدة قطعة حجر باسم الملك «ابريز» مستعملة أسكفة باب ، كما وجد جزء من مسلة مستعملة عقب باب فى جامع هناك • (راجع
(Porter & Moss IV P. 54)

« صا الحجر » (سايس) : شاهد الأثرى «احمد كمال» فى الحفائر التى قام بها فى «صاالحجر» وفى «القواض» عام ١٨٩٩ قطعة من عمود مصنوع من البازلت فى مبانى احدى البيوت وقد نقش عليها سطران فى كل منهما لقب الملك «ابريز» • وقد شاهد الأثرى «دارسى» عمودا مشابها للسابق فى «جامع الغمرى» بالقاهرة هذا بالاضافة الى عمود مماثل للسابقين فى متحف القاهرة وقد نقل «دارسى» القطعتين السالفتى الذكر للمتحف أيضا (راجع (A. S. II P. 239) • ومن ثم نشاهد أمامنا ثلاثة عمد متشابهة وتيجانها الثلاثة على هيئة رأس الآلهة «حتحور» ولا نزاع فى أن هذه العمد من مبنى واحد • وقد فحص الأثرى «جوتييه» هذه الأعمدة وماعليها من نقوش • ووصل الى النتيجة التالية وهى أن هذه الاعمدة السابقة لا بد كان يوجد منها عدد كبير منزوع من مبنى كان قد أقامه الملك « ابريز » فى صا الحجر » على شرف الالهة حتحور التى كانت تعد فى زمنه صورة أخرى من الالهة «نيت» حامية مدينة «سايس» والأسرة السادسة والعشرين • وهذا المبنى هو عبارة عن

مقصورة قد أقيمت عمدها على هيئة العمد الحتحورية الصورة ، وقد هدمت تماما وبعثرت أجزاؤها . ولم يمكن معرفة موقعها بالضبط فى هذه الجهة وربما كان ذلك الى الأبد ، ولكن على أية حال يمكن اعتبارها ضمن الآثار التى كانت مقامة فى مدينة «سايس» العظيمة يوما ما (راجع .A. S. 22, P. 199 ff)

« **وادى طميلات** » : عثر فى «وادى طميلات» على قطعة من اناء نقش عليها اسم الملك «ابريز» (Porter & Moss, IV P. 54)

« **هليوبوليس** » :يوجد فى متحف «جلاسجو» قطعة من الحجر عليها اسم «ابريز» عثر عليها مع قطع أخرى للملوك آخرين (راجع Ibid. P. 61)

«**تل اتريب**» :عثر فى «تل اتريب» على عمود من الحجر الجيرى الأبيض من عهد الملك «ابريز» وقد جاء على هذا العمود ذكر اسم «سربيوم» هذه المقاطعة ويدعى «بيب حنو»(De Rouge Geogr. P. 64) وكذلك ذكر اسم **الاله** «أوزير خنتى خاتى» والظاهر أنه كان يعبد هناك مع آله المقاطعة الأصلى «حورخنتى خاتى» (راجع (A. S. XIII P. 280 - 281

«**القاهرة**» : مسلة من الجرانيت باسم الملك «ابريز» يحتمل أنه أتى بهـا من «هليوبوليس» وقد عثر عليها فى المكان الذى كان يسمى فيما سبق «كوبرى القنطـرة الجديدة » (راجع Porter & Moss, Ibid. P. 71)

مدينة «سايس» (صا الحجر الحالية)

وقد كتب الأستاذ «لبيب حبشى» مقالا ممتعا عن آثار «سايس» جمع فيه معلومات شيقة تنير الطريق للباحث عن نقط كانت مجهولة (راجع A. S.XLII P. 370).

كانت «سايس» هذه عاصمة المقاطعة الخامسة من مقاطعات الوجه البحرى وتدعى « نيت محيت » أى مقاطعة الالهة « نيت » الشـمالية . وتدعى هذه العاصمة بالمصرية «ساو» ونطقها الاغريق «سايس» وبقيت فى المصرية الحديثة باسم «صا الحجر» . وكانت من أهم المدن التى لعبت دورا هاما فى التاريخ المصرى من حيث الدين والسياسة .

فقد كانت منذ نشأتها مركزا لعبادة الالهة «نيت» التى كانت تعبد فى أماكن عدة وبخاصة فى عاصمة المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه البحرى والتى كانت تدعى «نيت شمع» أو «نيت الجنوبية» وعاصمتها « بر زتم» التى تشتغل الآن مكان «زاوية رزين» مركز «منوف» . واسم المقاطعة عند اليونان Psosopis . وقد أخذت مدينة «سايس» تظهر بصفة خاصة فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين عندما تألق نجم الأمير «تفنخت» فى سماء السياسة المصرية كما تحدثنا عن ذلك من قبل (راجع الجزء ١١ ص ٣٦ الخ). وفى عهد الأسرة السادسة والعشرين أصبحت عاصمة الملك وصار ملوكها حكام مصر وسيطروا على «سوريا» مدة من الزمن وفى خلال تلك المدة وصلت مصر الى درجة عظيمة من المدنيه ونمت تجارتها وأحيى فنها القديم . وقد اقتضت الظروف أن تتصل مصر بالممالك المجاورة لها وبخاصة بلاد الاغريق التى تأثرت لدرجة عظيمة بالحضارة المصرية ، ومن ثم أصبحت «سايس» ذات شهرة واسعة ، وقد أخذ ملوكها يقيمون فيها المبانى العظيمة التى أكسبتها رونقا وبهجة . وقد وضع أمامنا «هردوت» الذى زار مصر فى منتصف القرن الخامس ق.م أى بعد نهاية الأسرة السادسة والعشرين بقليل وصفا مسهبا لمبانيها ، فقد تحدث عن قصورها التى وصفها بأنها شاسعة الأرجاء تستحق الاعجاب . أما عن مقابر ملوكها فانه يقول ان ضريح « ابريز » يقع فى داخل حرم حدار الالهة «نيت» وهذا الجدار يوجد فى داخله قبر « أمسيس » وكذلك قبر «ابريز» وأسرته (راجع (Herod. II §-169) وفى داخله كذلك قبر «أوزير» الذى يوجد خلف المعبد وكذلك مسلات كبيرة من الحجر وبحيرة مقامة بالحجر يمثل المصريون عليها مأساة «أوزير» (Ibid,) 170 - 171) . أما عن معبد هذه المدينة فيقول : ان «أمسيس» قد أضاف له بوابة أمامية تعد عملا مدهشا يفوق كل المبانى الأخرى من نفس النوع من حيث السعة والارتفاع كما أضاف عددا من التماثيل الضخمة وتماثيل «بولهول» عدة . ومن الآثار التى أعجب بها غاية الاعجاب حجرة ضخمة من حجر واحد ولا بد أنه يقصد بذلك ناووسا ، وتمثالا يمثل شخصا

مضطجعا على سرير ويحتمل جدا أن المقصود بذلك هنا هو الاله « أوزير » .
وعلى أساس هذا الوصف وضع «شمبليون» تصميما للمبانى العظيمة التى فى داخل سور المعبد وهى تساعد على اعطاء فكرة عن المنظر الذى كان يحتمل أن يكون عليه حرم المعبد (راجع (Lettres Ecrites d'Egypte et de Nubie (1868) Pl. II
والدمن الضخمة التى كانت ترى بالقرب من قرية «صالحجر» مركز «كفر الزيات» « مديرية الغربية » قد اجتذبت أنظار السياح الذين يتفق مرورهم بها ، غير أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر أخذ العلماء يتعرفون عليها بأنها بقايا العاصمة الساوية العظيمة . وقد كان أول من تعرف على خرائب هذه البلدة القديمة رجال حملة «نابليون» وقد شاهدوا هناك ثلاث جبانات أهمها التى كان من المحتمل أن تحتوى على مدافن ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وهذه الجبانة كانت محاطة بسور كان فيه معبد الآلهة «نيت» ومبان أخرى مقدسة من نفس الأسرة .

عظماء عصر الملك « أبريز » :

تدل شواهد الأحوال على أن معظم الآثار التى كشفت عنها عندما حلت رموز اللغة المصرية القديمة فى أوائل القرن التاسع عشر كانت من العصور المتأخرة فى التاريخ المصرى ولذلك نجد أن المجاميع الفنية التى فى متاحف العالم معظمها من هذه العصور، ولم يكشف النقاب عن آثار الدولة القديمة الا فيما بعد وبخاصة أن آثارها تكاد تكون محصورة فى أماكن معينة أهمها منطقة «الجيزة» و «سقارة» والعرابة ، ولا غرابة اذا أن نجد أن علماء الآثار كان معظم اهتمامهم فى بادىء الأمر موجها لآثار هذا العصر المتأخر وذلك على حسب مقتضيات الأحوال . ومن أهم المدن القديمة التى عثر على آثار هامة بها مدينة «سايس» القديمة التى تقوم على أنقاضها «صالحجر» الحالية ، وكانت « سايس » هذه كما نعلم عاصمة الملك فى عهد الأسرة السادسة والعشرين التى ظلت فى الحكم مايقرب من قرن ونصف قرن من الزمان . وآثارها لا يزال بعضه ظاهر

على الشاطىء الأيمن من الفرع الكانوبى للنيل . وقد أخذت أنقاض هذه المدينة العظيمة تختفى (١) بسرعة عندما أخذ المصريون الأحداث يقيمون بلدتهم «صا الحجر» وكذلك منذ أن أخذت القرى المجاورة تستخرج السماد من هـــذا البلد العتيق . ولما كانت هذه المدينة على مقربة من فرع النيل فان معظم آثارها قد غمرته المياه ولذلك فان الأماكن البعيدة بعض الشىء عن رشح مياه النهر هى التى كان ولا يزال يؤمل أن يوجد فيها بعض الآثار . وقد دلت البحوث على أن قرية « قواضى » ؟ القريبة من «صاالحجر» كانت على مايظن مكان الجبانة الرئيسية لسايس .

وقد قام الأثرى «احمد كمال» بحفائر عام ١٨٩٩ فى هذه الجهة على مساحة واسعة ولحسن الحظ كانت هذه البقعة بعيدة عن أيدى الساخين لأن تربتها لاتصلح للتسميد وقد عثر على ثلاثة تماثيل جميلة كما عثر على جزء من تابوت أيضا ، وقد دلت البحوث على أن هذه الآثار لرجل من عظماء القوم فى عهد الملك «ابريز» وقد قام بجمع آثاره والكتابة عنها الأثرى «جوتييه» (راجع A. S. 22, P. 6 ff.) . وهذا الرجل يدعى «واح اب رع» وهو اسم يطلق على الملك «ابريز» نفسه .

والظاهر أن هذا الرجل كان قد ولد فى عهده . وقد كان أهم ماعثر عليه «جوتييه» أولا هو جزء من تابوت «واح اب رع» هذا ، وذلك لأن ماجاء عليه من نقوش يقدم لنا ألقابا عدة كان يحملها صاحبه ، ويلحظ أننا لم نجد الا جزءا من اسم والدته على بقايا هذا التابوت أما اسم والده فلم يذكر عليه ، ولكن عرفنا من الآثار الاخرى اسمى والديه وألقابهما وبخاصة من تمثال عثر عليه بالقرب من «بحيرة مريوط» وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى .

راجع (Guide to the Egyptian Galleries (1909 P. 261 Pl XLV; Ibid Sculpture P. 227, Budge, Egyptian Sculpture in the British Museum, 1913, P. 21 & PL. XLVII)

---

(١) انظر الصورة رقم ١٤

وقد مثل هذا التمثال راكعا ويحمل أمامه ناووسا .

وتنحصر النقوش التي على هذا التمثال فيما يأتي :

أولا نشاهد شريطا من النقوش حول القاعدة جاء فيه :

(١) قربان يقدمه الملك للاله «ايون ور» (العمود العظيم ، وهو لقب للاله «شو») القاطن في « حت بيتي » [1] ليعطي كل مايظهر على مائدته يوميا والنسيم العليل ، الموكل بتوزيع الأرزاق (المسمى) «واح اب رع » الذي أنجبه مدير المعابد المسمى «بف ثو دى نيت» . (٢) قربان يقدمه الملك لأوزير القاطن في «سايس» لاجل أن يمنح خروج الصوت من خبز وجعة ونبيذ وثيران وأوز ونسيج وقربان ومأكولات يومية لروح المشرف على خاتم ملك الوجه البحري السمير الوحيد ومدير المعابد «واح اب رع» الذي وضعته «تاشبسن نيت» . ومع ذلك نفهم أنه على الرغم من وجود تمثال هذا العظيم على مسافة بعيدة من خرائب «سايس» فانه يمثل الرجل الذي دفن في جبانة هذه العاصمة .

أما المتن الذي نقش على ظهر هذا التمثال فقد جاء فيه :

قربان يقدمه الملك للاله «أوزير» الاله العظيم القاطن في داخل «حت بيتي» ، قربان من الخبز والجعة والخمر والنسيج والبقر والأوز والفطير المنوع وكل شيء طيب وطاهر مما يعيش منه الاله لروح الأمير الوراثي والحاكم وحامل خاتم الوجه البحري والسمير الوحيد وموزع الأرزاق والمشرف على باب البلاد الاجنبية وقائد جند كل الوجه القبلي والوجه البحري والمحارب الأول لدى سيده في كل البلاد الاجنبية

---

(١) «حت بيتي» (قصر النحلة او ملك الوجه البحري) وهو معبد خاص بالاله « أوزير هماج » في « سايس » عاصمة المقاطعة الخامسة من مقاطعات الوجه البحري وهي « صاالحجر » الحالية وعلى حسب « بروكش » كانت مدفن المقاطعة الساوية وكان قد دفن فيها اذن « أوزير » على مايقال D. G. Tom. IV P. 65

ومن يبحث عن الحق لآلهة ملك الوجه القبلى والمقرب لدى ربه ولدى والده ووالداته ولدى كل الناس ، مدير المعابد (وكاهن حور وعظيم الجنوب والشمال « واح اب رع » •

وأخيرا نجد على الناووس الذي يحمله «واح اب رع» بين يديه متنا عاديا لا يضيف لمعلوماتنا عنه أكثر مما سبق • ونقوش هذا التمثال المحفوظ الآن بالمتحف البريطانى تؤكد لنا شخصية صاحبه وصاحب التابوت الذى وجد فى « قواضى » هذا فضلا عن أنها ذكرت لنا اسم والد هذا العظيم وهو «بف ثاونيت» (= نفسه هدية من الالهة نيت) • غير أن معلوماتنا عن هذا العظيم لاتنحصر فى هذين الاثرين بل يوجد له عدة تماثيل عثر عليها فى اقليم « صا الحجر » تؤكد لنا المعلومات الجغرافية السالفة الذكر • فمن بين هذه التماثيل واحد عثر عليه « احمد بك كمال » فى عام ١٨٨٩ (راجع (Journal d'Entrée No. 34043 وقد كشف عنه فى«القواضى» • وقد نقش على مقدمته سطر عمودى جاء فيه :

الأمير الوراثى والحاكم والسمير الوحيد ومراقب البلاد الأجنبية الجنوبية ومراقب المعابد ، ورئيس توزيع الارزاق «واح - اب - رع » بن كاهن الالهة «نيت» (البقرة) (المسمى) « بف - ثاو دى - نيت » ، وعلى مؤخرته النقش التالى :

المقرب من «نيت» سيدة «سايس» الأمير الوراثى والحاكم ومدير البلاد الأجنبية الجنوبية والمشرف على الجنود ، ومدير المعابد ورئيس توزيع الأرزاق (المسمى) «واح اب رع » بن مدير المعابد وكاهن « نيت » البقرة (المسمى) « بف ثاو تيت » الذى وضعته قريبة الملك وكاهنه الساعة فى « حت سلكت » (معبد الالهة « سلكت » غير معروف) (المسماة) « تاشبسن نيت » صادق القول •

وكذلك لدينا تمثالان آخران أتى بهما « احمد بك كمال من « القواضى » عام ١٨٩٩ وهما بالمتحف المصرى (راجع Journal d'Entrée No. 34044 & 34045))

والتمثال الأول (No. 34044) قد مثل على طراز رقم ٣٤٠٤٣ وقد صور جالسا القرفصاء ، ولما كان رأسه قد اختفى فان طوله هو ٨٥ سنتيمترا بدلا من متر

وتسع سنتيمترات وهو مصنوع من الجرانيت الرمادى ككل تماثيل هذا العظيم • ونقش على سطحه النقوش التالية :

الأمير الوراثى والحاكم والمشرف على أرض الجنوب ورئيس توزيع الأرزاق ومدير المعابد والمقرب من الالهة « نيت » (المسمى) « واح ـ أب ـ رع » • وقد نقش على ظهر هذا التمثال سطران عموديان غير أن بدايتهما هشمت • وهاك ماتبقى :

••• كل ••• المشرف على باب الجنوب ورئيس توزيع الأرزاق والمشرف على باب البلاد الأجنبية « واح ـ اب ـ رع » الخ •••

أما التمثال رقم ٣٤٠٤٥ فانه قد مثل واقفا ومرتديا قميصا وقد فقد رأســه وساقاه ويبلغ طوله حوالى ٩٩ سنتيمترا ، وتدل أبعاده على أنه كان ممثلا بالحجم الطبيعى • ويقول « جوتييه » أنه لم ينجح فى العثور على هــذا التمثال فى المتحف بل جاء بهــذا الوصف على حسب ماجاء فى السجل المصرى للآثار • ومن جهة أخرى فانه يوجد تمثال آخر فى المتحف المصرى مثل جالسا القرفصاء بدون رأس لنفس هذا العظيم وهو موجود مع التمثال رقم ٣٤٠٤٤ وهو مثله من حيث الهيئة وتوزيع النقوش • ونقرأ على مقدمته ثلاثة أسطر أفقية موحدة مع نقوش التمثال رقم ٣٤٠٤٤ وهى :

« الأمير الوراثى والحاكم والمشرف على اقليم الوجه القبلى ورئيس توزيع الأرزاق ، ومدير المعابد ، والمقرب من الالهــة «نيت» « واح اب رع » • ونقش على الــكرسى سطران عموديان قد اختفى أولهما مع رأس التمثال •• « مدير معابد الالهة «نيت» والمشرف على باب الجنــوب ورئيس توزيع الأرزاق ، والمشرف على اقليم البــلاد الاجنبية «واح ابرع» ••• » • ويحتوى المتحف المصرى خلافا لذلك على ثلاثة تماثيل لهذا العظيم نحتت فى حجر الشيست وقد عثر عليها فى نفس المنطقة الساوية ولكنها من طراز آخر غير طراز التمــاثيل التى تحمل من رقم ٣٤٠٤٣ الى ٣٤٠٤٥ فى ســجل المتحف • فقد مثل فيها «واح اب رع » كما مثل فى تمثال المتحف البريطانى أى قاعدا على ركبتيه على قاعدة مســتطيلة وقابضا بين يديه الممتــدتين الى الأمام على ناووس

صغير فى داخله نشاهد بقايا تمثال . والتماثيل الثلاثة مفقودة الرأس وما بقى منها فى حالة سيئة من الحفظ . وقد دون «بورخارت» هذه التماثيل فى كتابه عن التماثيل (راجع Cat. Gen. Borchardt, No. 677) . وقد أشار « بروكش » الى التمثال الأول منذ ١٨٩١ (Thesaurus, V, P. 1067 - 1068) بأنه كان موجودا فى «الاسكندرية» فى مصلحة الصحة ، ويبلغ ارتفاعه ٧٦ سنتيمترا ، وقد اختفت بعض نقوشه بسبب التهشيم الذى أصابه . وهاك مابقى على العمود الذى يستند عليه التمثال :

...... للجنوب ، والرئيس على توزيع الأرزاق ، والمشرف على اقليم البلاد الأجنبية « واح اب رع » الخ ..

وعلى مقدمة الناووس سطر قصير عمودى نقش على جانبه بعض نقوش بقى منها :

اسم والد صاحب التمثال واسم والدته

على اليمين ... بن « بف ثاو دى نيت »

على اليسار ... « تاشبن نيت »

وقد دل البحث على أن بقايا هذا التمثال قد لايكون هو المقابل للجزء الاسفل الذى رآه «بروكش» فى «الاسكندرية» أو بعبارة أخرى أدق أصبح من المشكوك فيه أن الجزء الأسفل من التمثال الذى عثر عليه « بروكش » ليس مكملا للجزء الأعلى الذى يدعى أنه مكمل له بل هو من تمثال آخر ، وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن هذا الجزء الأعلى هو من تمثال آخر لنفس « واح اب رع » هذا ، وذلك لان كل الألقاب التى أتت عليه مطابقة لألقابه التى جاءت على التماثيل الأخرى وبخاصة التى على تمثال المتحف البريطانى ، وعلى أية حال فان هذه القطعة العلوية ليست موجودة فى المتحف البريطانى .

(٢) والتمثال الثانى (Borchardt, Ibid. No. 679; Journ. 31888)

عثر عليه فى قرية « القضابة » على مسافة قريبة من جنوبى « صاالحجر » ويبلغ ارتفاعه ٧٠ سنتيمترا ، ويلبس قميصا وناووسه مهشم تماما . وقد نقش على العمود الذى يرتكز عليه التمثال مايأتى :

...... المشرف على كل أعمال الملك ، والساكن فى قلب سيده والذى يعمل كل مايحبه سيده يوميا ، ورئيس توزيع مؤن القربان ... فى كل البلاد الأجنبية وحاكم الوجه القبلى ومدير البلاد الأجنبية الجنوبيــة ومدير معـابد التاج الأحمر (الوجه البحرى) ورئيس أسرار السماء « واح اب رع » .

(٣) قطعة من تمثال أمامه ناووس وقد مثل راكعا وقد ضاع ظهره ورأسه ولا يعرف المكان الذى عثر عليه فيه ويبلغ ارتفـاعه حوالى ٧٠ سنتيمترا . والنقوش التى بقيت عليه قليلة اذ قد هشم معظمه :

... اقليم البلاد الأجنبية الجنوبية والسمير الوحيد ومدير القصر (؟) الخ .. وقد بقى جزء من اسم كل من والده ووالدته على عارضتى الناووس فعلى اليمين نجد ... ثاو دى نيت . وعلى الشمال (تا) شبن نيت » .

هذا وقد عثر له « جوتييه » على تمثالين آخرين أحدهما فى « انجلترا » والآخر فى متحف « اللوفر » « بباريس » هذا خلافا للتماثيل السبع التى بالمتحف المصرى وتمثال المتحف البريطانى ، وبذلك تكون آثار هذا العظيم عشرة بما فى ذلك تابوته . والتمثال الذى فى « انجلترا » يحتمل أنه لايزال مختفيا فى احدى المجموعات الخاصة أو العامةوقد كان فيما مضى محفوظا فى « كرستال بالاس » لصاحبها « سيدنهام » وقد نشرت نقوشه عام ١٨٨٥ ميلادية نشرها «شارب» .

(Egyptian Inscriptions from the British Museums & others Pl. 65, 2n. Series)

وتدل شــواهد الأحوال على أنه على هيئة التمثال رقم ٣٤٠٤٤ الموجود بالمتحف المصرى ، أى أنه قد مثل راكعا وأمامه ناووس . والنقش الذى على مقدمته هو :

الأمير الوراثى والحاكم والمشرف على اقليم الجنوب والرئيس على توزيع القربات الغذائية ومدير معابد التاج الأحمر أى الوجه البحرى المقرب لدى الالهــة « نيت »

ونقش على ظهره .. الاله المحلى لمدير معابد التــاج الأحمر وكاهن الاله حور عظيم الجنوب والشــمال والمشرف على اقليم الجنوب ورئيس توزيع القربات الغــذائية

والمشرف على بوابة البلاد الاجنبية «واح اب رع » الخ ..

وأخيرا يوجد له تمثال باللوفر وهو من الجرانيت الرمادى وقد مثل متربعا باسم المشرف على بلاد الجنوب (أو الحاكم الوراثى والرئيس المكلف ببلاد الجنوب) والمشرف على القصر الملكى والمقرب من الالهة «نيت» . وقد نشر الأثرى «بيل» جزءا من نقوش هذا التمثال .

Piehl, Inscrip. Hierogl. 1er partie Pl. XII D; Pierret Tom. II P. 8 de Son Recueil d'Inscriptions Egyptienne du Musée du Louvre)

كما نقل «بيريه» الألقاب التى على الجزء الأمامى وكذلك نشر الالقاب التى على ظهر التمثال وهى لاتختلف فى شىء عن الألقاب المعروفة لهذا العظيم والتى ذكرناها فيما سبق . ولانزاع فى أنهذه الآثار التى ذكرناها فيما سبق ليست كل آثارهذا العظيم ، اذ لابد أنه كان يوجد فى قبره أوانى الأحشاء الخاصة به وكذلك التماثيل المجيبة وكمية عظيمة من الأشياء الجنازية التى تكون عادة مع المتوفى فى قبره ، غير أننا لم نعثر على شىء منها حتى الآن وربما تكشف عنها الأيام فى بعض متاحف العالم أو فى المجموعات الخاصة . وبعد درس آثار هذا العظيم المختلفة أمكننا أن نجمع منها ألقابه التالية التى توضح لنا مركزه الاجتماعى والدينى والسياسى والحربى فى البلاد . والظاهر أن بعض هذه الألقاب لم تكن الا ألقاب شرف وحسب .

(١) الأمير الوراثى (٢) الأمير الاقطاعى (٣) حامل خاتم الوجه البحرى (٤) السمير الوحيد (٥) والذى فى قلب سيده (= ثقته) (٦) والذى يفعل لسيده مايحبه فى كل أرض أجنبية (٧) والذى يفعل مايحبه دائما الهه كل يوم (يقصدالملك) (٨)والذى يبحث عن الحقيقة لآلهة ملك الجنوب (٩) المقرب لدى الالهة « نيت » ربة « سايس » (١٠) المقرب لدى الاله ولدى والده ولدى أمه ولدى كل انسان (١١) مدير معابدحرم الالهة «نيت» (١٢) مدير القصر (١٣) المشرف على باب الجنوب (عند الفنتين) (١٤) المشرف على الاقليم الجنوبى (١٥) المشرف على باب البلاد الأجنبية (١٦) المشرف على باب اقليم البلاد الاجنبية (وهذا اللقب مرادف لما سبقه) (١٧) المشرف على البلاد

الأجنبية (١٨) المشرف على البلاد الأجنبيه اجوبيه (١٩) المشرف (؟) على كل بلاد أجنبية . (٢٠) المدير للأراضى الأجنبية الجنوبية (وهو مثل اللقب ١٨ ولكن بمعنى أقوى) (٢١) ورئيس توزيع أعطيــة الملك (J. E. A. 24, P. 86 ff.) (٢٢) رئيس أعطية الملك (٢٣) المشرف على كل أعمـال الملك (= مبانيه) (٢٤) القائد الأعلى لكل جنود المشــاة فى الوجهين القبلى والبحرى (٢٥) المحارب الأول لسيده فى كل البلاد الاجنبية (٢٦) رئيس أسرار معبد الالهة «نيت» (٢٧) وشريف الجنوب (٢٨) كاهن حور العظيم فى الجنوب والشمال .

تلك هى الألقاب التى كان يحملها هذا الشريف العظيم ومنها نفهم أنه كان يشغل مكانة عظيمة فى البلاط الفرعونى فى تلك الفترة ، غير أن هذه الألقاب كانت متأثرة فى تأليفها بالألقاب التى كانت تمنح فى عهد الدولة القديمة فى كثير من الأحوال ، وعلى أية حال فانه لا غرابة فى ذلك لان هذا كان عصر النهضة ، وتقليد القديم كانمستحبا ومستطابا .

والدا «واح اب رع » :

تحدثنا فيما سبق عن ألقاب «واح اب رع » ومكانته وبقى علينا أن نذكر كلمة عن والديه . فالتمثــال رقم ٣٤٠٤٣ المحفوظ بالمتحف المصرى تحدثنا نقوشــه أن والده المسمى «بفثاودى نيت» كان يلقب كاهن«نيت» البقرةوهىالالهة المحليةلبلدة«سايس» ويحتمل أنها من أصل لوبى وقد كانت الالهة «نيت» وقتئذ قد وحدت بالالهة المصرية «ازيس حتحور» التى كانت تمثل فى صورة بقرة بلباس رأس خاص بهذه الالهة بقرنين بينهما قرص الشمس ، وقد عثر فى «سايس» نفسها على أعمـدة حتحورية التيجان خاصة بمعبد أقيم للالهة «نيت» . هذا وتوحيد الالهتين أشـير اليه بصـورة أكيدة . وقد ذكر على تمثال المتحف البريطانى أن والد «واح اب رع» كان يحمل لقب مدير المعابد . أما والدة «واح اب رع » التى تسمى «تاشبن — نيت » فانه اسم مركب تركيبا

مزجيا مع الالهة «نيت» الهة مدينـة «سايس» المحلية ، وقد جاء اسـمها على تمثال المتحف البريطانى وتابوت «واح اب رع » وكذلك على تمثاله رقم ٣٤٠٤٣ الموجود بالمتحف المصرى • وقد ذكرت على التمثـال الأخير بوصـفها قريبة الملك وكاهنة الساعة لمعبد «سلكت» (ويحتمل أن هذا نعت قديم لمدينة «سايس») • ومن المحتمل أن قطعة من الحجر عثر عليها فى « رشيد » ونقش عليها جزء من التعويذة ٢١٣ من متون الأهرام (A. S. XLII P. 389 - 390)

ويقول السيد لبيب حبشى » فى بحثه عن آثار «سايس» أن قطعتين من الحجر من «رشيد» وثلاث قطع من بلدة «النحارية» وقطعـة من قرية «برما» قد أتى بها جميعا من مبنى أقامه « ابريز » فى بلدة « سايس » • ومن المحتمل أنها كانت من قاعة عظيمه مصنوعة من حجر « الـكورتسيت » أقيمت احتفـــالا بالعيـد الثـلاثينى • (راجع (A. S. XLII P. 396

« امون تفنخت » :

« آمون تفنخت » : المشرف على حرس الملك وكشف عن قبره فى حفائر « سقارة » (راجع A. S. XLI P. 382) الخ

ومن أبرز الشخصيات التى عاشت فى عهد الملك «ابريز» جندى عظيم يدعى «آمون تفنخت » عثر على قبره فى جبانة « سـقارة » وقد دفن فى بئر ذات حجرة جانبية يبلغ عمقها حوالى ٢٢ مترا وقد كانت حجرة دفنه مقامة من الحجر الجيرى مغطاة بنقوش محفورة حفرا متقنا • وقد لوحظ أن التابوت الذى كان يثوى فيه المتوفى يملأ الغرفة ويبلغ طولها ٤٢٠ سنتيمترا من الشرق الى الغرب و٢٦٠ سنتيمترا من الشمال الى الجنوب أما ارتفاع الغطاء فهو ١٠٠ سنتيمتر • وقد نقش على ســطح غطاء التابوت عمود من النقوش من الغرب الى الشرق ويشـمل اسم المتوفى وألقـابه وصيغة دينية خاصة بالبحث ذكر فيها اسم الاله «نفرتوم» أحد أعضـاء ثالوث « طيبة » ممـا يضفى عليها صيغة منفية وهى :

قم يا أوزير « آمون تفنخت » فى صورة «نفرتوم » زهرة البشنين ومن عند رؤيته يفرح الاله رع ويظهر التاسوع يوميا .

واسم المتوفى هو كما ذكرنا «آمون تفنخت» ، وكان كذلك يحمل لقب «واح ابرع مرى بتاح » . وهذا الاسم الذى كان يستعمل فى البلاط يخول لنا أن نضع اسمه بين عظماء الرجال الذين عاشوا فى عهـد الملك « ابريز » وأمه كانت تدعى « ادت ارو » وكان يحمل الألقاب الآتية :

(١) المشرف على الحرس (٢) كاهن الملك المطهر (٣) قائد المجندين .

ولخصت ألقابه الحربية فى أنه كان قائد المجندين الخاصين بالحرس الملكى .

والنقوش الدينية التى حفرت فى المقبرة قد عملت بدقة ووزعت على حسب الترتيب المنطقى للتصميم الداخلى للمقبرة .

الجانب الشرقى : يشمل هذا الجانب الباب الذى يؤدى الى حفرة الدفن وقد خصص للآلهة « ازيس » التى تمد المتوفى بنفس الحياة وهو الذى يدخل بوساطة الباب وهى التى تحفظه من أعدائه الآتين من الخارج . والجزء الأعلى من هذا الجانب يحتوى على النقش التالى : يا أوزير أيها الكاهن الملكى المطهر والمشرف على الحرس الملكى «آمون تفنخت » ان أختك «ازيس» تأتى اليك فرحة بحبك . انها تبصرك ، انها تحفظك وتدفع قدميك حتى لا تغرق وأنها تعطيك الهواء لأنفك حتى تعيش ، وتجعل زورك يتنفس حتى لا تموت قط يا أوزير «آمون تفنخت» . وهذا المتن الذى يصف خلاص جسم «أوزير» واحيائه بوساطة «أزيس» قد أخذ بلا شك من مصدر قديم أو بعبارة أخرى من متون الأهرام وفيه نجد الدور الذى تقوم به «ازيس» من أجل حماية زوجها وأخيها «أوزير» ، وقد جاء بعده متن مؤلف من تعويذات عدة نظمت على جانبى الباب وهذه النقوش منقولة عن متون الأهرام : ٢٤٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١-٤٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٧ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٤٤ ، ٢ ، ٢٤٥

الجانب الغربى : خصص هذا الجانب للآلهة «نوت» التى تؤله المتوفى وقد نقش فى أعلى الباب سطران مأخوذان من متون الأهرام ويحتويان على الصيغة المعروفة فى هذه المتون (Pyr. §§ 638 a 6 & 1607)

وهاك الترجمة :

ياأوزير «آمون تفنخت» الذى ولدته السماء والذى حملت فيه «نوت» ، ووارث «جب» الذى يحبه ، ان والدتك «نوت» قد نشرت نفسها عليك باسمك «سر السماء» . ولقد جعلتك الها بدون أى عدو ، يأيهـــا المبجل من الاله العظيم «آمون تفنخت» . وقد نقش تحت هذا المتن متون خاصة بالشعائر التى تؤله المتوفى بتطهيره بالنطرون (Pyr. 27) وتقديم قربان من العطور (Pyr. 506 - 51) والملابس (Pyr. 56 - 57)

الجانب الجنوبى : خصصت نقوش هذا الجانب من المقبرة لاطعـام المتوفى فى الحياة الآخرة ويحتوى على صيغة القربان العادية والأعياد المصرية الرئيسية ، وفى أسفل منهذا تأتى قائمة القربانالشهيرة(راجع Excavations at Giza, the Offering List in the Old Kingdom; Pyr. § 214 - 215, 17 - 18 & 22 - 23)

يتبع ذلك صيغ القربان المأخوذة من متون الاهرام .

الجانب الشمالى :خصص هذا الجانب لذكر صيغة القربان العادية للآله «أنوبيس» لأجل دفن المتوفى فى الجبانة واستعمال الطرق الجميلة التى لا يسير عليها الا المقربون. والشرح الهام جدا لأجل فهم هذه الصيغة يوجد فى المتون الأسطورية المذكورة فى متون الاهرام (راجع Pyr. 364 - 369 & 376 - 387)

وأخيرا نجـــد متنين نقشـــا على التـــابوت مأخوذين من متون أخـــرى غير متونالأهرام ، وكان علىالمتوفى أن ينطقبهما ، وأحدهما خاصبسياحة قارب الشمس وهو سابق للفصل ٤٧ من كتاب الموتى (راجع A. S. I. P. 255 L. 488 - 493)

وفى الشمال نجد صيغة لأجل الحصول على طعام (Ibid. P. 256 L. 495 - 8)

ويدل بناء حجرة الدفن على مهارة عظيمة . والتابوت الذى يتألف من قطعة واحدة من الحجر الجيرى الصلب لا بد أنه كان قد أنزل الى قعر البئر وبنيت حوله الحجرة ، ومن المؤكد أن غطاء التابوت كان قد أنزل قبل بناء الحجرة وكان قد حمل على أربعة أعمدة من الحجر الى أن انتهى البناء تماما .

وبعد رفع الغطاء وجد أن التابوت يحتوى على تابوت من الاردواز برأس انسان ، وقد حفر حفرا جميلا وزين تزيينا نظيفا بحروف وبرموز محفورة ، وقد صورت ملامح الوجه بوضوح . أما الصدرية واللحية الشعيرية والآلهة «نوت» فقد مثلت على الغطاء بتفاصيل مدهشة . والمتن الذى نقش فى ستة أسطر مغطية وجه التابوت ، صورة تطابق فقرة من متون الاهرام Pyr. 64 - 643a) . هذا وقد رسم على كل جانب من جوانب التابوت ثلاثة آلهة فى صورة محنطة فى ثلاثة صفوف . ففى الجهة الجنوبية «امسق» و «دواموتف» و «أنوب على جبله» وفى الجهة الشمالية «حبى» و «كبح سنوف » و «ختى ترسح» . وكل واحد منهم يصحبه متن بعينه منقوش عموديا أمامه : «هذا هو حمايتك» . وقد وجدت الجثة سليمة فى التابوت ملفوفة فى نسيج تفحم وطغت عليه مواد التحنيط . وكانت الجثة لرجل مسن ويبلغ طولها ١٨٠ سنتيمترا ، وقد كانت اليد اليسرى موضوعة على الصدر واليمنى ممتدة على الفخذ اليمنى . ومن المدهش أنه بعد فك اللفائف لم توجد مع المتوفى تعويذة واحدة أو أى شىء مدفون معه على الرغم من أنه كان يشغل وظائف عالية . ومن المحتمل اذا أن الجثة كانت قد دفنت بعد الموت مباشرة دون أن تجرى عليها عمليات التحنيط المتبعة .

الملك أحمس الثانى[1]

(- أمسيس) ٥٧٠ - ٥٢٦ ق . م

خنم . اب . رع   أحمس سانيت

لم تختلف الآراء على المدة التى حكمها أحمس الثانى أو كما يسميه اليونان أمسيس على حسب ماجاء فى روايات الكتاب الاقدمين أمثال «هردوت» و «مانيتون» ، فقد أجمع الكل على أنه حكم أربعا وأربعين سنة (راجع Herod. III, 10) ولم يشذ عن هذا الرأى من المحدثين الا الاثرى «فيدمان» فقد قال انه حكم ثمانية وثلاثين سنة وحده ، وحكم ست سنوات بالاشتراك مع الفرعون «أبريز» ، غير أننا قد برهنا فيما سبق على أن هذا الاشتراك فى الحكم جاء نتيجة خطأ فى قراءة الاسم ومن ثم يقول «جوتييه» يجب أن تحدد بداية حكمه بنهاية عام ٥٧٠ ق.م وتاريخ وفاته بمنتصف عام ٥٢٦ ق.م .

والواقع أن ماجاء على الآثار يؤكد لنا أن «أحمس» لم يحكم أكثر من أربع وأربعين سنة كما يدل على ذلك نقش فى وادى حمامات (L. R. IV, P. 120 No. 2)

أصل أحمس الثانى : تحدثنا فيما سبق أن الثورات التى قامت فى مصر ، تلك الثورات التى كان سببها النزاع الذى كان قائما بين «ابريز» وقائده «احمس» الذى أصبح فيما بعد ملكا على مصر ويدعى أحمس الثانى ، وذلك بعد أن خلع أبريز عن عرش الملك بمساعدة جنوده من المشوش . والواقع أنه بتولى أحمس هذا عرش الملك قد تغيرت الأسرة الحاكمة لأنه لم يكن من دمها ولا من دم ملكى قط . ويحدثنا هردوت عن أمسيس فيقول : وبعد أن أنزل «أبريز» عن عرش الملك بهذه الصورة حكم مكانه «أمسيس» الذى ينسب الى أقليم سايس (صاالحجر) ، واسم البلدة التى أتى منها هى «سيوف» (وهى قرية قريبة من «سايس» ويحتمل أنها قرية «الصفة»

[1] انظر الصورة رقم ١٥

الحالية التى تقع على مسافة ستة أميال من «سايس» (صالحجر) . وقد أظهر له المصريون فى بادىء الأمر الكره ولم يشعروا من ناحيته باحترام كبير لأنه كان فيما مضى شخصا عاديا ولم يكن من أسرة لامعة ، ولكنه فيما بعد أرضاهم بمخاطبته أياهم دون كبرياء . فقد كان يملك كنوزا بخطئها العد ، هذا بالاضافة الى أنه كان لديه آنية صيغت من الذهب يستعملها لغسل القدم ، وكان قد اعتاد أمسيس أن يغتسل فيها هو وجميع ضيفانه الذين اعتادوا غسل أرجلهم عنده . وقد كسر هـــذا الأناء قطعا وصنع منه تمثال اله ووضعه فى أنسب مكان فى المدينة ، وقد احتشد المصريون حول هذا التمثال وقدموا له أعظم الاجلال . غير أن أمسيس لما علم بمسلكهم هذا جمع المصريين سويا ، وفسر لهم الأمر قائلا : ان هذا التمثال الذى يعبد كان مصنوعا من اناء لغسل القدم وكان القوم يقيئون ويتبولون ويغسلون أقدامهم فيه ومع ذلك فهم الآن يبجلونه أعظم تبجيل ، وبعد ذلك استمر يقول أن ماحدث لأناء القدم قد حدث له ، فانه على الرغم من أنه كان قبل شخصا عاديا[1] قد أصبح ملكهم ، فهو يطلب اليهم أن يحترموه ويبجلوه وبهذه الكيفية كسب حب المصريين له ، وبعد ذلك فكروا أنه من الاصوب لهم أن يطيعوه . وكان قد اتخذ الطريقة الآتية فى انجاز أعماله : فمن الصباح المبكر حتى نهاية وقت العشاء كان يعمل جاهدا فى تصريف الأعمـــال التى كانت تحضر أمامه ، وبعد ذلك كان يعاقر بنت ألحان ويلهو مع أصحابه ويتجاذب الأحاديث معهم دون تحرج ويمرح ، غير أن ذلك قد أساء أصدقاءه ونصحوه له قائلين : أنت أيهــا الملك لا تسيطر على نفسك كما يجب اذ أنك تنزل نفسك منزلة السوقة أكثر مما هو مألوف اذ أنه مما يليق بك وأنت الجالس على عرش ملك محترم أن تقضى اليوم فى تصريف الأمور العامة ، وبذلك يتوفر للمصريين أن يعرفوا أنهم محكومون برجل عظيم ويمكن

---

(١) ولكن نجد أن «مسبرو» يقول ان «امسيس» قد تزوج من اميرة من نســل الأسرة الساوية وبذلك أصبح له الحق فى تولى الملك . والواقــع ان زوج احمس ، وهى أم الملك بستميك الثالث هى ابنة كاهن الاله بتاح ولا تعرف له صلة أكيدة بالبيت المالك (راجع (Maspero, The Passing of Empires P. 558 Note 2

بذلك أن يتحدث عنك بصورة أحسن ، ولكنك الآن تعمل بطريقة لا تناسب ملكا قط ؟ ولكنه أجابهم بما يأتى : ان أولئك الذين يملكون أقواسا عندما يريدون استعمالها يثنونها ، ولكن عندما ينتهون من استعمالها فانهم يتركونها فتنبسط وذلك لأنها لو بقيت دائما منثنية كسرت ومن ثم فانه لايمكن استعمالها عندما تدعو الحاجة اليهـا ، وهكذا هى حالة الانسان ، فانه اذا استمر فى مزاولة الأشياء الجدية ولم يسمح لنفسه أحيانا بشىء من الرياضة فانه يصبح على حين غفلة منه مجنونا بليدا » .

وعلى الرغم من أن ماذكرنا هنا عن «أمسيس» كما ذكره لنا هردوت لايتعدى كونه أسطورة فانه ينطوى على شىء من الأمور التى كانت تجرى فى الحياة المصريةالحقيقية فنحن نعلم من جهة أن المصرى فى كل عهوده لا يؤمن بتولى فرد من أبناء الشعب لم يكن من الأسرة المالكة عرش الملك فكان لا بد للفرعون أن يكون ممن يجرى الدم الملكى فى عروقهم ، وقد كان الانسب أن يكون ابن ملك وملـكة ، وأنه عنـدما يكون الملك ليس من دم ملكى خالص فانه كان عليه أن يتزوج من الأسرة المالكة أى ابنة ملك ، وقد فصلنا القول فى ذلك وضربنا له الأمثال [1] عند الكلام على الملكة «خنتكاوس» ، غير أن الحالة التى أمامنا فيمايخص «أمسيس» تعدأمرا شاذا . اذ قد نال الملك اغتصابا ، ومن ثم أراد أن يقنع الشعب بطريقة أخرى فى أحقيته للملك بضربه المثل بأناء غسل القدم الذى تحول بعد كسره الى تمثال آله .. يضاف الى ذلك انه لما كان هو من عامة الشعب وتربى فى أحضان الشعب ونشأ على عاداته وأخلاقه فانه لم يكن فى مقدوره التخلص مما فطر عليه من عادات وطباع نشأ عليها ولذلك فان غرائزه قد قادته للاختلاط بالشعب الذى تربى فيه فأصبح يلهو معهم وقت فراغه طلبا فى تجديد نشاطه ، ولكن ذلك لم يرق فى نظر المصريين الذين كانوا يرون أنه ليس من شرف الفرعون ومكانته أن ينزل الى مخالطة السوقة بهذه الصورة المزرية فى نظرهم وقد ضرب لهم مثلا بالقوس كما ذكرنا . وعلى أية حال فان ماذكره لنا

---

(١) راجع Excavations at Giza vol. 4 P. 3 ff.

هردوت هنا يميط اللثام عن أحوال الشعب المصرى فى تلك الفترة التى عاش فيها وذلك يدل على أن المصريين كانوا لايزالون متمسكين بالعادات والتقاليد القديمة الموروثة وقد كان أول عمل قام به أحمس عندما أصبح يحكم البلاد بمفرده هو ارضاء الحزب المصرى القديم على حساب الاغريق الذين هزمهم ثلاث مرات كما سبق الكلام على ذلك .

وكان الاغريق الدخلاء على مصر قد استوطنوا داخل البلاد فى الغرب حتى طرانة وفى الشرق حتى ادفنيا حيث كان لهم أحواض وسفن ، هذا غير أماكن أخرى صغيرة للتجارة . وقد منح الفرعون أمسيس مدينة نقراش (كوم جعيف الحالية) برمتها للاغريق وقد حدثنا هردوت عن ذلك قائلا (Herod. II, 179) كانت «نقراش» قديما المكان الوحيد للتجارة ، ولم يكن غيرها فى مصر ، واذا وصل الانسان الى أى مصب آخر من مصبات النيل فانه كان يضطر الى أن يقسم يمينا « انه قد أتى هناك على غير ارادته » وكان عندما يؤدى مثل هذا القسم يضطر الى أن يسافر فى نفس السفينة التى جاء فيها الى المصب الكانوبى ، وعلى العكس اذا منع بسبب الرياح المعاكسة من الذهاب هكذا فانه كان يضطر الى تفريغ حمولته ثم يحملها على سفن نقل حول الدلتا حتى يصل الى «نقراش» . وقد كانت الامتيازات التى تمتع بها مدينة نقراش عظيمة جدا وقتئذ .

ولا نزاع فى أن «أمسيس» كان أول من وضع هذا النظام التجارى ولم يكن معمولا به قبل ، ولا أدل على ذلك من أن المستعمرات الاغريقية المبكرة مثل «ادفنا» قضى عليها فى عهد أمسيس كما ذكر لنا ذلك هردوت (Herod. II, 154) . وقد كان من جراء منح «أمسيس» بلدة «نقراش» هذا الامتياز أنه كان ينظر اليه فيها على أنه حاميها ، غير أن عمله هذا كان فى الواقع يعد تضييقا للحصار على نفوذ الاغريق وذلك بجعلهم لا يدخلون الا ميناء واحدة بمعاهدة بينه وبينهم ، وقد جاء ذكرها على أثر

هزيمة المصريين للجنود الاغريق المرتزقة وسنتناول هذا الموضوع كرة أخرى فيما بعد •

الحالة السياسية والخارجية :

لا نزاع فى أن حالة البلاد الداخلية وما تفشى فيهـا من ثورات وانشقاق بين أفراد الشعب من جهة وما حدث من انقسام فى الجيش من جهة أخرى قد أنهك قواها وبث فيها روح الفوضى • وكانت هذه الفوضى قد عمت البلاد منذ باكورة عام ٥٦٩ ق•م حتى عام ٥٧٦ ق•م بل يحتمل أنها كانت قد سبقت هذه السنة على أقل تقدير • وفى هذه الفترة العصيبة الحرجة من تاريخ البلاد تدخلت دولة أجنبية فى شئون مصر قاصدة الاستيلاء عليها وقد كانت مصر وقتئذ فى حالة ضعف وانحلال خطيرين •

وآية ذلك أنه فى العام السابع والثلاثين من حكم العاهل «نبوخذناصر» ملك بابل هوجمت مصر بجيوش هذا العاهل وذلك عندما كانت الحرب الداخلية بين «أبريز» و «أمسيس» على أشد ماتكون من عنف وقوة • ومما يؤسف له أن معلوماتنا التاريخية عن هذه الحملة البابلية قليلة جدا ، اذ ليس فى متناولنا عنها الا قطعة من نقش بالخط المسمارى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى

راجع Wiedemann, A. Z. 16 (1878) PP. 87 - 89;
E. Schrader, A. Z. 17, (1879) P. 45 - 47; K. B. III, 2, P. 140 - 141; Th. G. Pinches, T. S. B. A 7 (1882) P. 210 - 217; H. Winckler, Altorientalische Forschungen I, P. 511 - 12;

وتوجد كذلك ترجمة لهذه القطعة وضعها الاستاذ هول

راجع H. R. Hall, Cambridge Ancient History III, P. 304

وتكملة اسم الملك المصرى الذى حاربه «نبوخذناصر» (أما) سو = (أم) سيس وهذا مؤكد فعلا من سير الحوادث التاريخية الخاصة بهذا العصر • ومن جهة أخرى نجد النظرية التى أيدها الأستاذ « فنكلر » (Ibid. P. 512 - 515)

فى القطع الأخرى من النقش نفسه وهى أن بتاكوس Pittakos صاحب « متيلين » كان حلفا للملك «أمسيس» وعلى ذلك تكون تكملة للقطعة هكذا .. كو الى «بتاكو» أو «بتكو» . وعلى أية حال فان هذه مجرد نظريات وحسب . وقصارى القول أنا لا نعلم خلاف هذا المصدر شيئا قط عن هذه الحروب كما لا نعلم الى أى حد زحف «نبوخدناصر » فى داخل البلاد المصرية .

وعلى الرغم من قلة الوثائق الخاصة بهذه الحروب فانه من المستطاع تصوير الموقف. وذلك أن العاهل «نبوخدناصر» قد انتهز فرصة قيام الفوضى فى مصر ليقوم بحملة حربية عظيمة على مصر وبخاصة أن علاقته بها كانت على أسوأ مايكون منذ عهد الملك «ابريز» . وكان غرضه على مايظهر أن يستعرض أمام المصريين بشىء من الا بهه والعظمة قوته الحربية الجبارة محذرا بذلك مصر ألا تفكر من جديد فى القيام بأى تعد على أملاكه ومن ثم نفهم انه لم يكن فى عزمه فتح مصر كما كانت الحال فى عام ٦٠٥ ق٠م و ذلك فى عام ٥٨٠ ق٠م كما سبق شرحه .

والواقع أن «نبوخدناصر» كان موفقا فى سياسته هذه كل التوفيق . وذلك لأن «أمسيس» الذى كان يدين الى حد بعيد بعرشه للثورة التى قامت تناهض سياسة التوسع الفاشلة وهى السياسة التى كان قد اختطها لنفسه «أبريز» فى الشرق والغرب ، فانه عاد ثانية الى السياسة القديمة التى كان قد انتهجها كل من بسمتيك الأول ونيكاو وبسمتيك الثانى وهى السياسة التى تنطوى على المهادنة والدفاع عن النفس وحسب . وعلى ذلك لم تقم حرب بين الدولة الكلدية والأسرة الساوية حتى نهاية كل من الدولتين ؛ وكذلك ظلت الحال فى سلام مع أخلاف « نبوخد نصر » الضعفاء وهم أمل- مردوك : (Amel - Marduk) (من ٥٦١ – ٥٣٩) ونرجال – شـــاروصور Nergal - Scharusur (٥٦٠ – ٥٥٧ ق٠م٠) ولاباشى – مردوك : (- Labaschi Marduk :) (٥٥٦ ق٠م) ونابونيد Nabonid (٥٥٦–٥٣٩ ق٠م) ، وذلك لأن فكرة اعادة فتح فلسطين وسوريا على يد أمسيس لم تكن فى دائرة الأمر الممكن.

وتدل شواهد الاحوال على أنه قد قامت علاقات لا بأس بها بين مصر وبابل ، هذا ونجد أن «أمسيس» كان قد عقد فى الغرب معاهدة صداقة مع سيرينى (راجع .Herod II, 181) وسنورد هنا قصة هذه المعاهدة على الرغم مما تحتويه من عبارات قد تدل على أنها حديث خرافة بالنسبة لنا :

« عقد أمسيس معاهدة صداقة وتحالف مع السيرينيين وعزم على اتخاذ زوجه من هذه البلاد وذلك اما شهوة فى التزوج من امرأة اغريقية واما من أجل حب خاص يضمره للسيرينيين ، وعلى ذلك تزوج على حسب قول البعض ابنة الملك باتوس Battus ويقول آخرون ابنه الملك «ارسسيلاوس Arcesilaus » ، وان كان آخرون يقولون انها ابنه كريتوبولوس Critobulus وهو رجل من علية المدنيين . وكان اسمها «لاديس» Ladice . ولم يستطع «أمسيس» اتيانها ولم تكن هذه هى حاله مع نسوة أخر ، واستمر على هذه الحال طويلا فلما أعيته الحيلة ورأى أنه عاجز قال لهذه المرأة يأيتها المرأة لقد استعملت السحر معى وليس أمامى الا أن أميتك أشنع ميتة ماتتها امرأة ، وعندما وجدت « لاديس » أن أمسيس لم يقتنع بانكارها ولم يهدأ نذرت نذرا «لفينوس» ، وهو أنه اذا أمكن « أمسيس » أن يطأ هذه الليلة (لأن ذلك كان هو العلاج الوحيد) أرسلت تمثالا للالهة فى «سيرينى» . وبعد هذا النذر مباشرة أتاها أمسيس ، ومن هذا الوقت كان يجد عنده القدرة على أن يطأها فأصبح مغرما بها اغراما يفوق الحد . ولكن «لاديس» أوفت بنذرها للآلهة ، فأمرت بعمل تمثال أرسلته الى سيريتى وكان لا يزال محفوظا فى زمنى (هردوت) ويواجه خارج مدينة سيرينى ، وعندما فتح «قمبيز» مصر علم من هى «لاديس» هذه فأرسلها فى أمان غير مضارة الى «سيرينى» . هذه بطبيعة الحال قصة سمعها هردوت حيكت حول المعاهدة التى عقدها مع بلاد سيرينى ولسنا فى حاجة الى التعليق عليها لأنها تتحدث عن نفسها

والظاهر أن أمسيس نفسه قد تأثر عن طريق زوجه — هذا اذا كانت القصة صحيحة بالنسبة لزواجه من أغريقية اذ نجد أنه قد أهدى قربانا فى بلاد اليونان

(للآلهـــة) فنجـــد أولا أنه هدى تمثـــالا مذهبا للآلهة منرفا (Minerva) فى سيرينى كما أهدى صورته ملونة ، ثانيا أهدى لمنرفا فى « لندوس » تمثالين من الحجر ودرعا من الكتان تسترعى النظر وثالثا أهدى «جوتو» [1] فى ساموس صورتين لنفسه محفورتين فى الخشب وقد أقيمتا فى المعبد الكبير وكانتا لاتزالان فى زمنى خلف الأبواب والآن عمل هذه القربات فى « ســـاموس » بسبب الصـــداقة التى كانت بينه وبين بوليكراتس بن أسس Aeaces ، ولكن تلك التى كانت فى « لندوس » لم تكن بسبب الصداقة بل كان سببها على ماقيل أن بنات «داناوس» قد أسس المعبد [2] منرفا فى لندوس عندما وصلوا الى هناك عند فرارهن من أولاد اجبتوس [3] ؛ وهذه كانت القرابين التى قدمها أمسيس • وكان أول من فتح قبرص وجعلها خاضعة لدفع الضرائب

وعلى أية حال نجد هنا أن أمسيس قد تحول تماما عن سياسة «أبريز» الهجومية وقد قدم مساعدته للوبيين أهل برقا على الاغريق ولم يتحول أمسيس عن هذا المبدأ ، ويلحظ ذلك عندما قامت الثورة فى الفيقة فى برقا واستمرت حتى العهد الفارسى •

وقد حدثنا عن ذلك أخو الملك «ارسيسلاوس» الثانى ملك «سيرينى» عن هذا المصير وتأسيس مدينة برقة • وقد كانت هذه الحروب الداخلية فى صالح اللوبيين لأنهم أفلحوا فى هزيمة جيش «سيرينى» فى موقعة قتل فيها سبعة آلاف جندى هوبليتى وقد حدثنا عن ذلك هردوت (Herod. II, 160 ff) • وكان «لباتوس» هذا نجل يدعى «ارسسيلاوس» وهو الذى كان أول عمل له بعد اعتلائه العرش هو الشجار مع اخوته

---

(١) الهة لاتينية موحدة بالآلهة هيرا اليونانيـــة وهى ملـــكة الســـماء والظواهر الســـماوية والزواج وهى زوجـــة الاله جبتر .

(٢) « منرفا » الهة لاتينية موحدة بالآلهة اثينا الاغريقية اوبالاس وهى ابنـــة جبتر وتعد آلهة الذكاء والحكمة والفنون .

(٣) أمير خرافى مصرى وهو اخو « داناوس » وقد تزوج أولاده الخمسون من بنات عمهم داناوس غير انهم قتلوا فى ليلة عرسهم الا واحدا نجا .

حتى أنهم تركوه وذهبوا الى أجزاء أخرى من لوبيا ، وبعد مشاورة فيما بينهم أسسوا المدينة التي لا تزال تسمى «برقة» وفي أثناء اقامتها أغروا اللوبيين بالقيام بثورة على السيرنيين ولكن فيما بعد قاد ارسسيلاوس جيشا على هؤلاء اللوبيين الذين استقبلوهم وعلى الثائرين أنفسهم ، ولكن اللوبيين خوفا منه فروا الى اللوبيين الشرقيين ، وقد اقتفى ارسسيلاس أثرهم في حربه حتى لحق بهم عند «لوكون» Leucon في لوبيا وعندئذ صمم اللوبيون على مهاجمته . وبعد أن اشتبكوا معه في موقعة هزموا السيرنيين تماما حتى أن سبعة آلاف جندى ممن قد سلحوا بأسلحة ثقيلة من السيرنيين قد سقطوا في الموقعة . وبعد هذه الضربة شنق « لارخوس » Learchus أخاه ارسسيلاوس الذى كان مريضا وتحت تأثير بعض العقاقير . أما زوج « ارسسيلاوس » التي كانت تدعى أريكسو Eryxo فانها قتلت لارخوس بحيلة .

وفي تلك الفترة قهر «أمسيس» مدن قبرص وجعلها تدفع الجزية لمصر (راجع Herod. II, 182) وقد ذكر لنا ديدور هذا الحادث عند قوله (راجع Diodorus, I, 68 L. 6) وقد أخضع (أمسيس) مدن قبرص وزين كثيرا من المعابد بقرابين ذات قيمة عظيمة . ومن المحتمل أن ذلك كان قد حدث فعلا في عام ٥٦٠ ق.م . وسبب ذلك على مايظن أنه لم يكن أمام الاسطول المصرى في هذا الموقف مايقاومه اذ لم تكن قبرص على اتصال مباشر بدولة عظيمة يمكن بتفوقها أن تدخل مع «أمسيس» في حرب، يضاف الى ذلك أن مصر كانت في تلك الآونة تنعم في الداخل برخاء وفير وثروة جمة ففي تلك الفترة لم يكن فيها أقل من عشرين ألف مدينة على حسب ماجاء في «هردوت» ، ولا شك في أن ذلك العدد مبالغ فيه (راجع Herod. II, 177) . . وفي عهد أمسيس قيل ان مصر كانت تتمتع بأعظم رخاء من حيث الفوائد التي كانت تأتي من النهر الى الأرض ومن الأرض الى الناس وقيل انها كانت تحتوى في ذلك الوقت على عشرين ألف مدينة معمورة . وكان أمسيس هو الذى سن القوانين للمصريين وبمقتضاها كان على كل مصرى أن يعلن لحاكم أقليمه الطريقة التي عاش

بها ، واذا قصر انسان فى اعلان ذلك ولم يظهر أنه قد عاش عيشة شريفة عوقب بالموت ، وقد حمل صولون الأثينى هذا القانون من مصر ونفذه فى «أثينا» وان الناس لا يزالون يتبعونه بوصفه نظاما لا غبار عليه : « أى فى أثينا)

وقد حدثنا كذلك «ديدور» الصقلى عن تشريعات أمسيس وذلك عند الحديث عن عظماء المشرعين من ملوك مصر وعددهم ستة (راجع Diod I, 93 - 95) وقد جاء ذكر أمسيس بعد ذكر الملك «بوكوريس» الذى تحدثنا عنه فيما سبق فيقول عنه ديدور : بعد «بوركوريس» يقولون (أى المصريين) أن ملكهم أمسيس قد وجه عنايته للقوانين وهى التى على هداها وضع القواعد التى تحكم بمقتضاها حكام المقاطعات وتسير على نهجها كل الادارة المصرية . وتحدثنا عنه التقاليد أنه كان غاية فى الفطنة راقيا فى عواطفه وعادلا ، ولهذه الأسباب نصبه المصريون ملكا على الرغم من أنه لم يكن من دم ملكى . ويقال كذلك أن أهالى «اليس» Elis عندما كانوا مهتمين بأمر الألعاب الأولمبية أرسلوا رسولا يسألونه : كيف يمكن أن يرشدوا فى طريقهم الى أعظم عدالة واستقامة ؟ وقد كان جوابه عن ذلك : يشترط ألا يشترك رجل من أليس Elis (فى هذه الالعاب) . وعلى الرغم من أن بوليكراتس Polycrates حاكم «ساموس» كان على ود ومصافاة معه فانه عندما أخذ يظلم المواطنين والأجانب فى «ساموس» قبل أن «أمسيس» أرسل اليه فى بادىء الأمر خطابا قطع فيه أواصر الصداقة التى بينهما وذلك لأنه لم يرد كما قال أن ينغمس فى الحزن بعد زمن وجيز لعلمه تماما أن المصيبة كانت وشيكة أن تحل بالحاكم الذى يصر على الظلم بمثل هذه الطريقة . وقد كان موضع الاعجاب كما قيل عند الاغريق بسبب أخلاقه الفاضلة وبسبب كلماته للحاكم بوليكراتس التى تحققت بسرعة . »

سقوط « مديا » ونتائجه :وفى عام ٥٥٣ ق.م قامت ثورة فى مملكة ميديا انتهت بأن ملك الفرس «كورش الثانى» ، أسر ملك ميديا الذى كان يدعى «استياجس» Astyages فسقط من عليائه ؛ وقد كان من جراء سقوط دولة « ميديا » أن أزيح نير ثقيل عن

عواتق كل ممالك آسيا الصغرى ، غير أنه لم يمض طويل زمن حتى تطورت الاحوال بصورة أخرى مختلفة لم تكن فى الحسبان لدى «بابل» و «ساردیس» و «سايس» وذلك انه فى عام ٥٥٠-٥٤٩ ق.م مات الملك «استياجس» ملك ميديا فى سجن كورش . فانتقل الملك لأسرة الفرس الأخمينية وبذلك لم تتمزق مملكة ايران العظيمة كما أن أجزاءها لم تتناحر . ولا نزاع فى أن هذا التغير كان يعنى انقلابا ثوريا فى الموقف العالمى ؛ اذ كانت مملكة ميديا بما لها من قوة جبارة تعد خطرا خفيا على جيرانها ، ولكن يرجع الفضل فى منع هذا الخطر الى سياسة الملك نبوخذناصر العظيمة التى حفظت التوازن الدولى وقتئذ مؤقتا . فقد كانت المعاهدة التى بين كورش واستياجس لا تعد شيئا يذكر بل كانت فى الواقع تعد قصاصة ورق ولا تحتوى على أية روابط أسرية من جهة بابل وميديا . وقد كان المنتظر فى كل لحظة فى هذه الفترة من الزمن أن تقبض مملكة فارس على السيادة العالمية وتنشر سلطانها على العالم المتحضر

وقد وجد الملك أمسيس نفسه فى تلك الآونة فى الموقف الذى كان فيه الملك بسمتيك الأول منذ سبعين عاما مضت وذلك عندما كان نجم آشور ينذر بالأفول وقد كان نفس السبيل الذى سلكه سلفه فقد كانت بابل فى نفس الموقف الضعيف الذى كانت تقف فيه آشور فى عهد بسمتيك الأول أى أنها كانت دولة معادية لها ، ولكنها كانت بالنسبة لمصر جارة لا خطر منها ، بل كانت مهددة بالفناء من دولة جديدة لا تعرف مقاصدها على وجه التأكيد . وفى هذا الوقت عمل أمسيس على أن تستمر سياسة مصر على ماهى عليه وبعبارة أخرى لم يتخذ سياسة هجوم ؛ ففى عام ٥٤٧ ق.م عقد معاهدة دفاعية مع عاهل بابل «نبونيد» ومع كروسوس ملك ليبيا كما أشار الى ذلك « هردوت » Herod. I, 77 فيقول فى ذلك فى حديثه عن حروب كروسوس مع كورش : «ولكن «كروسوس» قد ألقى اللوم على جيشه بسبب قلة عدده وذلك لأن قواته التى اشتركت فى الحرب كانت أقل من قوات كورش ، وفى اليوم التالى لم يحاول كورش مهاجمته بل عاد الى « ساردیس » وفى نيته أن يطلب من المصريين تنفيذ ما بينهما

من معاهدة لأنه كان قد عقد معاهدة مع أمسيس ملك مصر قبل أن يعقد معاهدة مع لسديمونيا الخ» • هذا وقد أنهى كروسوس الهجوم المنتظر من قبل «كورش» باعلان حرب وقائية • ففى مستهل عام ٥٤٧ ق٠م عبر نهر هاليس الذى يقع عقد الحدود بين البلدين ، ولكن وجدنا فى فصل الخريف من نفس السنة أن «كورش» قد انتصر على الليديين انتصارا ساحقا واستولى على «ساردس» عاصمة ملكه ووقع كروسوس أسيرا فى يد كورش • هذا ولم يجد «نبونيد» ملك بابل فرصة لمهاجمة كورش من الجناحين والقلب كما لم يكن فى استطاعة أمسيس وحلفائه الاسبرتيين ارسال مساعدة له ، اذ فى الوقت الذى عزمت فيه اسبرتا على ارسال المساعدة كان كروسوس قد وقع أسيرا ودخل كورش ساردس عاصمة ملكه (راجع Herod. I, 83) وقد كانت النتيجة المحتمة أن وضع كورش ذلك الفاتح العظيم كل آسيا الصغرى تحت قدميه • ومما تجدر ملاحظته هنا أن « كليكيا » التى كانت تعد قوة لا يستهان بها فى آسيا الصغرى والتى كانت تتمتع باستقلالها تماما قد خضعت عن طيب خاطر للعاهل الفارسى متمشية فى ذلك مع سير الأحوال وأصبحت تدين لسلطانه (راجع Xenophon, Cyropade VIII 6,8) • وقد كان من نتائج هذه الاحداث الجسام أن تهدمت السياسة المصرية • ومما يلفت النظر هنا أن دولة بابل قد استمرت بعد ذلك لعدة سنين على قيد الحياة ، والأسباب الداعية لذلك تعوزنا • وعلى أية حال فانه منذ عام ٥٤٦ ق٠م كان أمر سقوطها متوقعا الحين بعد الحين ، وتدل الاحوال على أن «أمسيس» أمام هذه الحوادث الضخمة كان قد قطع متن الرجاء من أية مساعدة من ناحية «بابل» التى كانت تحتضر وقتئذ • ولا غرابة فى ذلك فان دولة «نبوخذنصر» العظيمة قد سقطت بعد موته بعشرين عاما دون قتال تقريبا وذلك أنه فى خريف عام ٥٣٩ ق٠م زحف كورش عاهل فارس على بابل فدخلها ظافرا ، كما سقطت المعاقل السورية والفلسطينية على أثر ذلك • وقد أشار «هردوت» الى تسليم الفينيقيين من تلقاء أنفسهم • (راجع Herod. III, 19) أما من جهة مصر فقد كان الموقف

جليا الآن وذلك لأن سياسة تجنب أية حروب كانت هي السياسة التي اختطتها لأنفسهم الملوك الساويون منذ مائة سنة مضت ، غير أن هجوم دولة فارس الجبارة على مصر كان متوقعا في كل لحظة ولم يمنع زحف كورش على مصر الا اضطراره لمحاربة بدو التورانيين ، وفوق ذلك فانه قد حضرته الوفاة في عام ٥٢٩ ق٠م فكان ذلك سببا مباشرا لتأخير الهجوم على مصر حتى عام ٥٢٥ ق٠م في عهد ابنه وخليفته قمبيز ٥٢٥-٥٢١ ق٠م

ولم يكن في استطاعة أمسيس اتخاذ اجراءات فعالة مضادة لدرء هذا الخطر الجارف الذي كانت تتوقعه بلاده ٠ ويرجع السبب في ذلك الى أن العالم الاغريقي الذي كانت علاقته مع مصر قوية في مدة المائة والخمسين سنة الأخيرة من تاريخها كان بمعزل عن الممالك العظيمة التي كانت تسيطر على العالم المتمدين في القرن السادس قبل الميلاد ولم يكن هم أمسيس في هذه الآونة الا عقد تحالف مع حكومة أغريقية قوية وقد اتجه الى بوليكراتس التيراني صاحب جزيرة ساموس غير أن ذلك لم يجد نفعا وذلك لأنه في اللحظة التي كان يرغب فيها «أمسيس» عقد محالفة مع بوليكراتس كان الاخير ومعه جزيرة قبرص قد انحازا الى جانب «قمبيز» عاهل الفرس (Herod. III, 44, 45) لمحاربة مصر ٠ وفي نوفمبر (أو ديسمبر) سنة ٥٢٦ مات «أمسيس» بعد حكم طويل حافل بجلائل الاعمال ٠ وسنحاول فيما يلي أن نتحدث عن الآثار التي خلفها في مصر وفي أنحاء العالم المتمدين وقتئذ ٠

آثار احمس الثاني في مصر :

لا نزاع في أن معظم نشاط الملك «أمسيس» طوال مدة حياته في داخل البلاد كان منحصرا في اقامة المباني العظيمة والآثار الخالدة التي خلفها في طول البلاد وعرضها فآثاره تمتد من أول الشمال الغربي للدلتا حتى جزيرة «سهيل» باسوان هذا فضلا عما أهداه من آثار لبلاد الاغريق وهاك بعض هذه الآثار على حسب ترتيبها الجغرافي بقدر المستطاع

(١) لوحة من الجرانيت مؤرخة بالسنة الأولى شهر برموده من عهد الملك ، ختم

اب رع » بن رع احمس عاش مخلدا . وقد نقش على هذه اللوحة صورة عقد هبة من فرد للاله أوزير . وهذه اللوحة صغيرة الحجم اذ يبلغ ارتفاعها ٢٥ سنتيمترا وعرضها ١٩ سنتيمترا وهى مربعة وليس عليها أشكال مصورة ، وتحتوى على ثمانية أسطر منقوشة نقشا خشنا . وأهمية هذه اللوحة تنحصر أولا فى تاريخها بالسنة الاولى من حكم أحمس الثانى وثانيا فى اسم الضيعة المهداة لأوزير وتدعى « احنى » وقد يجوز أن هذا الاسم هو الاقليم الذى كانت توجد فيه بلدة الرئيس . ويلحظ هنا أننا نجهل أين كان يقع هذا المكان ويرجع السبب فى ذلك الى أننا لانعرف المكان الذى وجدت فيه هذه اللوحة . ويطيب لى أن أذكر بهذه المناسبة أنه كم من آثار قد ضاعت قيمتها العلمية الحقيقية بهذه الصورة . وسبب ذلك أن هذه الآثار لم يكشف عنها بالطرق العلمية السليمة بل أخذت خلسة أو سرقت من أماكنها وضلل بائعوها المشترين والعلماء بعدم ذكر المكان الذى عثر فيه عليها . (راجع Rec. Trav. XV. P. 87

وقد وجدت لوحة أخرى مؤرخة كذلك بالسنة الأولى من حكم « أمسيس الثانى » وهى مصنوعة من الحجر الجيرى وجزؤها الأعلى مستدير ويشاهد فيه هذا الفرعون يقدم حقلا للآله رع أو«حور» وأزيس .ويبلغ طول هذه اللوحة قدماوعشر بوصات ونصف البوصة (راجع
(Guide to the Egyptian Galleries, (Sculpture) p. 224.

(٢) كوم افرين : عثر فى كوم أفرين على تمثال صغير من البرنز لصقر وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطانى . وهذا الصقر كان يستعمل بمثابة ناطور لقارب مقدس للاله « رع » ، وقد صنع من البرنز الصلد ورصع بشرائط من الذهب عميقة أما وجه الصقر وقرص الشمس الذى على رأسه فهما من البرنز الخالص ، ويلفت النظر أن الصل الذى على رأس الصقر وكذلك كل الشعر المستعار والقلادة التى حول الكتفين مرصعة ونقش على صدر الصقر طغراء أحمس : رب الأرضين « خنم اب رع » وهو لقبه (راجع (Petrie, Naukratis I, XII)

(٣) ادفينا : وجد فى ادفينا خاتم من الجبس على اناء ، وكذلك خاتم من البرنز وقد نقش على الأول : « أحمس بن الآلهة نيت وعلى الآخر الاله الكامل احمس بن «نيت» (راجع Petrie, Tanis, II, Pl. 12; Ibid. Pl. XLI)

(٤) نبيشة : وجد للملك أحمس الثانى آثار عدة فى أنقاض بلدة نبيشة نخص بالذكر منها مايأتى :

(١) المعبد الصغير الذى أقامه احمس الاول غير أنه لم تبق من آثاره فى مكانها الأصلى الا أجزاء كثيفة من رقعة مزدوجة فى أساس الحرم بالقرب من واجهة المعبد ، هذا بالاضافة الى الجزء الخلفى للناووس الكبير الذى ظل باقيا منتصبا فى مكانه الأصلى على قطعة حجر رملى كوارتسيتى ترتكز بدورها على قطع أخرى من رقعة المعبد ، وتدل الظواهر على أن هذا الملك قد استعمل فى بناء هذا المعبد أحجارا أخرى من المعبد الكبير المجاور له •

والظاهر أن مساحة هـذا المعبد كانت أكثر من ٦٦ × ٣٧ قدما من الخارج • وقد وجد فى رقعة هـذا المعبد عدة قطع من الجرانيت الأحمر نقش عليهـا مناظر قرابين وطغراءات غير أنها لسوء الحظ قد محيت تماما • وقد وجد كذلك الجزء الأسفل من تمثال الآلهة « وازيت » وهو مصنوع من الحجر السنيتى المصـقول صقلا جميلا وعلى ظهر التمثال تقـديم قربان يقوم به الملك رعمسيس الثانى • ومن حجم هـذه القطعة يحتمل أن التمثال كان يبلغ فى الأصل حوالى ٧٥ بوصة وهـذه القطعة بالاضافة لتاج الالهة «وازيت» تلائم على مايظهر الناووس الكبير المصنوع من الجرانيت ويبلغ طوله حوالى ٩٠ بوصـة ، وعلى ذلك فانه من المحتمل أن هـذا التمثال كان فى الأصـل موضوعا فى المعبد الكبير الذى أقامه رعمسيس الثانى ويقع فى هذه الجهة ثم أخذ من مكانه واستعمله أحمس الثانى من جديد بكتابة اسمه عليه •

وأخيرا نجد فى الجهة الشمالية ناووسا من الجرانيت عظيما منتصبا يبلغ طوله أكثر من خمس عشرة قدما وأربع بوصات وعرضه ثمانى أقدام وسبع بوصات عند القاعدة

ويبلغ وزنه ثمانية وخمسين طنا . وتدل الظواهر على أن « أحمس الثانى » كان قد صنعه للالهة «وازيت» عندما أراد اعادة عبادتها فى هذه الجهة (راجع Nebesheh P. 12 & Pl. IV. . هذا وقد وجدت فى المعبد وخارجه آثار أخرى (Ibid. P. 14)

وأهم الآثار الصغيرة التى وجدت فى المعبد وتؤكد لنا أن « أحمس الثانى » هو الذى رفع بنيانه الودائع الصغيرة التى وجدت فى أركان المعبد وقد نقش عليها اسمه وقد صنعت من القاشانى والذهب والفضة والقصدير والنحاس واللازورد والكورنالين هذا بالاضافة الى عدة أنواع من الفخار يدل شكلها على أنها كانت جنازية الصبغة (راجع Ibid. P. 14 - 15)

(٥) تمى الامديد (تل الربع الحالية مركز السنبلاوين) عثر للملك احمس فى « تمى الامديد » على محراب ضخم من الجرانيت يبلغ ارتفاعه ثمان عشرة قدما وقد عملت قمته على هيئة هرم (راجع Petrie, Hist. III, P. 247, Description de l'Egypte T. V. P. 29; Naville, Ahnas el Medineh P. 17.

(٦) سايس (صاالحجر) حدثنا هردوت عن المبانى التى أقامها أحمس الثانى فى « سايس » (راجع Herod. II, 175, 176) فيقول : وفضلا عن ذلك أقام (احمس) رواقا يستحق الاعجاب فى معبد «منرفا» (وهى موحدةبالالهة أثينا اوبلاس ابنة«جبتر» وهى الهة الذكاء والحكمة والفنون) فىسايس وهذا المعبديفوق كل المعابد الأخرى فى ارتفاعه وحجمه وكذلك فى ابعاده وفى كمية الأحجار ، وكذلك أهدى تماثيل كبيرة وتماثيل ضخمة تمثل بولهول ، وأحضر أحجارا أخرى ذات حجم هائل لاصلاح المبانى وقد جلبت بعض هذه الأحجار من المحاجر القريبة من منف ولكن الأحجار ذات الحجم الكبير جدا قد أحضرها من مدينة الفنتين التى تبعد مسيرة عشرين يوما من سايس ، ولكن الأمر الذى أعجب به أكثر من أى شىء هو مايأتى : « لقد أحضر مبنى من حجر واحد من مدينة الفنتين وقد خصص لنقله ألف رجل لمدة عامين كاملين ، وكل هؤلاء الرجال كانوا بحارة . وطول هذه الحجرة من الخارج

احدى وعشرون ذراعا وعرضها أربع عشرة ذراعا وارتفاعها ثمانى أذرع . وهذه هى الابعاد الخارجية للحجرة التى تتكون من حجر واحد ولكن فى الداخل كان طولها ١٨ ذراعا وعشرون أصبعا وعرضها ١٢ ذراعا وارتفاعها خمس أذرع . وكانت هذه الحجرة موضوعة على مقربة من مدخل الحرم المقدس ، ولم يقمها فى داخل الحرم للسبب الآتى كما يقولون :

ذلك أن مهندس العمارة عندما كانت الحجرة تجر تنهد تنهيدة عميقة لما لحقه من تعب العمل الذى صرف فيه وقتا طويلا ، وعندئذ ساورت الملك « أمسيس » شكوك دينية من جراء ذلك فلم يسمح بجرها الى أبعد من ذلك . وعلى أية حال يقول بعض الناس أن أحد الرجال الذين كانوا يعملون فى الجر قد هرس حتى الموت بالحجر ولهذا السبب لم يجر حتى داخل حرم المعبد » .

والمطلع على الآثار المصرية لايدهش مما ورد فى هذه القصة فان هذه الحجرة لا تخرج عن كونها محرابا (ناووسا) ضخما مكونا من حجر واحد قطعه أمسيس من الفنتين ليضع فيه تمثال الآلهة نيت على ما يظن ، وبخاصة أن هذا العصر كان مشهورا بالمحاريب (النواويس) الكبيرة للآلهة بدلا من المعابد الضخمة . أما السبب الذى حدا به الى عدم جر هذا الحجر الى داخل المعبد فهو الشفقة والرحمة برعاياه فى كلتا الحالتين فقد أشفق على مهندسه من الاعياء كما يجوز أنه فى الحالة الثانية قد خاف من تكرار مأساة هرس فرد أو أفراد آخرين فى أثناء جر هذا الحجر الى داخل المعبد .

وبعد ذلك يستمر «هردوت» فى ذكر أعمال « أمسيس » فيقول : وقد أهدى « أمسيس » فى كل من أهم المعابد آثارا تستحق الاعجاب بسبب ضخامتها ومن بينها تمثال بولهول ضخم رابض أمام معبد «فولكان» [1] ويبلغ طوله ٧٥ قدما وقد نصب

(١) اله النار والمعدن عند الرومان وابن جبتر وحاتون وزوج فينوس وقد وحد مع هيفيستوس الاغريق وقد ولد قبيحا ومشوها وقد القت به أمه من فوق جبل أولمب ووقع فى جزيرة طنوس وقد بقى اعرج من سقطته وأسس تحت جبل اتنا مكان حدادة وعمل مع Cyclopes سيكلوب وهم حدادو هذا الاله وليس لكل منهم الا عين واحدة فى جبينه

على نفس القاعدة تمثالان من الحجر النوبى ارتفاع كل واحـد منهما عشرون قدما ، وكان كل واحد منهما على احدى جانبى المعبد •

هذا ويوجد كذلك فى سايس تمثال آخر مماثل للسابق بنفس الوضـع الذى عليه تمثال منف • وكان أمسيس كذلك هو الذى بنى معبـــد أزيس فى منف وهو فسيح الأرجاء ويستحق الذكر •

وعثر لهذا الفرعون على مائدة قربان من الجرانيت الأسود ويلحظ هنا أن أسماء هذا الفرعون وألقابه قد كشطت وآثار الاشارات فى الطغراء الأولى توحى بأنها كانت « خنم اب رع » وهذا هو اسم التتويج لأحمس • وقد نقش على المائدة صور وأوانى قربان وجرار خمر وأوانى عطور وفطائر وحول حواف المائدة نقش الصيغة المعروفة لطلب ألف من الخبز وألف من الثيران وألف من الأوز وآلاف من جرار الجعـــة والعطور والبخور والخمر وآلاف من نسيج والكتان الخ وطول هذه المائدة قدمان وثمانى بوصات وعرضها قدمان وخمس بوصات • وكانت فى مجموعة « صولت » وهى الآن بالمتحف البريطانى (راجع

A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture P. 223

وكذلك توجد مائدة قربان أخرى ضخمة بالمتحف البريطانى للملك «أحمس الثانى» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خنم اب رع بن رع أحمس بن نيت » وقد نقش على حوافها متن يحتوى على اسم هذا الفرعون وألقابه وعلى وجه المائدة صورة الأشياء العادية التى كانت تقدم للمتوفى وفى ظهر المائدة حفر حوض عمقه ست بوصـــات • وطول المائدة قدم وسبع بوصات وعرضها قدم وعشر بوصات ونصف البوصة وعمقها قدم وبوصة واحدة •

وتوجد لوحة من الحجر الجيرى عثر عليها فى « سايس » جزؤها الأعلى مستدير وهى مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد الملك « أحمس الثانى » وقد نقش عليها متن يقرر اهداء ردهة وأرض للآلهة «نيت» صاحبة «سايس» وحور صاحب رسنت (الجنوب)

وحور صاحب محنت (الشمال) . وقد صور على الجزء الأعلى من هذه اللوحة منظر يمثل الملك يقدم اناءين من النبيذ للالهة نيت ويقف خلفها الاله حور صاحب رسنت والاله حور محنت وفوق هذا المنظر قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان . (راجع Ibid. P. 224

(٧) **طنطا** : عثر فى مدينة طنطا على قطعة من الجرانيت الأحمر عليها طغراءات للملك أمسيس الثانى وقد وجدت مدفونة فى الأرض بالقرب من جامع السيد البدوى وهى محفوظة الآن بمتحف طنطا المحلى (راجع A. S. XXIII, 71)

وعلى الرغم من أنه حتى الآن لم يكشف عن أشياء من العصر الفرعونى فى هذه البلدة فان من المؤكد أن طنطا مثلها مثل مدن أخرى كسمنود وبلبيس وكثير غيرها من مدن الدلتا مبنية على أكوام قديمة .

والواقع أن كل الجزء الأوسط من هذه المدينة مابين موقع الساعة وخط سكة الحديد الذاهب الى المنصورة وبخاصة الجزء المجاور لضريح السيد البدوى مرتفع بصورة تلفت النظر بالنسبة لسائر المدينة . وحقيقة الامر أنه فى هذا الحى قد عثر أحد الملاك عندما كان يحفر رقعة الأرض التى أمام بيته فى عام ١٩٢٢ على قطعة حجر من الجرانيت الأحمر عليها نقوش هامة ويبلغ ارتفاعها ٢ر٦٣ مترا وعرضها ٠ر٢٣ مترا وسمكها ٠ر٦٥ مترا ومنقوش عليها سطران باللغة المصرية القديمة ، غير أنهما بكل أسف فى حالة سيئة من الحفظ . ولكن لاتزال تشاهد فى السطر الأول بكل وضوح طغراءان للملك « أحمس الثانى » : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى خنم اب رع ابن رع « أحمس بن نيت » . وهذا الأثر محفوظ الآن بمتحف البلدية بطنطا برقم ٩٨١ . هذا وقد استعرض الأثرى « دارسى » فى مقال ممتع الأسباب التى دعته لاعتبار طنطا موقعا قديما (راجع A. S. XXII, P. 188 - 195) فقد برهن على أن اسمها الحالى لم يظهر فى القوائم العربية القديمة أو على الأقل أن اسمها قد ظهر محرفا فى كلمة « طوى » أو «طوا» أو «طوه» . وقد وجد مايقابله فى قوائم الابراشيات

القبطية وباللاتينية Tava . أما اسم «طنطا» فانه لا بد أن يكون حديثا نسبيا وذلك على حسب تطور هذه المدينة بوصفها مدينة اسـلامية منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، والاسم القديم «طاوة» لايزال موجودا الى يومنا هذا فى حوض الأرض رقم ٢٨ الواقع فى قرية «محلة مرحوم» وتقع على بعد ثلاثة كيلومترات من الشمال الغربى من طنطا حيث يسكن فيها عدد كبير من الأقباط وتقع على تل قديم . يضاف الى ذلك أنه قد استعملت قطعـة أخرى من الجرانيت نقش عليها بوابة اسم الملك أمسيس الثانى وقد اسـتعملها الاهالى بمثابة أسكفة باب لجامع «محلة مرحوم» وقد جاء عليها : يعيش حور سمن ماعت (= أى « مسبب العـــدالة » وهو لقب للملك أمسيس الثانى) ملك الوجه القبلى والبحرى وعلى ذلك فانه يجوز أن هذه القطعة الأخيرة قد نقلت من مكانها من الكوم الأثرى الذى تقع عليه طنطا ، ولكن من الممكن كذلك أنها كانت قد نقلت من مكان قريب وأنه كان يوجد مبنى أقامه الملك أحمس الثانى فى المكان الذى يحتله الكوم الذى يتألف منه حوض الأرض المسمى حوض طاوه الواقع فى مدينة محلة مرحوم على الموقع القديم لمدينة طنطا .

(٨) المحلة الكبرى : وجد فى بيت على مقربة من جامع الغمرى بالمحلة الكبرى حجر من الجرانيت عليه نقوش يقول عنها « دارسى » انها تحتوى على اسم أم الملك احمس الثانى وهو تاشرت — ن است ، غير أن برستد لم يقبل هذه النظرية وعلى ذلك لم تكن « ثن موت » التى جاء ذكرها على هذا النقش جدته (راجع
(Rec. Trav. 22 f; Br A. R. IV, 511 N. a

وسنتحدث عن ذلك عند الكلام على أسرة أحمس الثانى

(٩) تل بسطه : عثر فى تل بسطه على لوحة صغيرة غريبة الشكل ونقوشها صعبة الحل . وأهم مافيهـا أنها مؤرخة بالسـنة الثالثة من عهـد الملك أحمس الثانى ، وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى «راجع A. Z. XXIII, P. 11

وكذلك عثر على لوحة أخرى فى نفس الجهة وهى محفوظة بمتحف برلين وتؤرخ

بالسنة الثانية والثلاثين من عهد الملك أحمس الثانى على حسب رأى كل من الأثرى فيدمان و «رفيو» و «جوتيه» . وهذه اللوحة خاصة بوقف معبد صغير كان قد أقام بنيانه أحمس الثانى للالهة باست ربة بوسطة ، غير أن هذا المعبد لم يبق منه شيء الآن . وقد جاء ذكر هذا المعبد وفخامته فى هردوت حيث أسهب فى وصفه (راجع (Herod. II, 137 - 138

وتوجد فى مجموعة المهندس أمبرويز بودرى Ambroise Baudry قطعة مقبض صناجة من القاشانى الأخضر نقش على أحد وجهيها المتن التالى : رب الأرضين خنم - اب - رع بن رع «أحمس بن نيت» . ونقش على الوجه الآخر ... « خنم اب رع » بن « رع » « أحمس » محبوب ... وهذه القطعة عثر عليها فى تل بسطة (A. Z. XIX P. 116))

وأخيرا وجد لهذا الفرعون خاتم من الشمع (؟) محفوظ الآن بالمتحف المصرى (راجع Guide Boulaq P. 99.

(١٠) «تل أتريب» : يوجد الآن بمتحف اللوفر « ناووس » [1] يبلغ ارتفاعه ٩٦

---

(١) كان المحراب ، عادة يتألف من قطعة واحدة وقد أطلق عليه الاثريون كلمة « ناووس » ، وكان يوضع فى النهاية القصوى من المعبد وكان يثوى فيه تمثال الاله

والواقع ان المعابد المصرية كانت تحتوى خلافا للردهات وقاعات العمد التى كانت دائما مفتوحة لأهل التقى على محراب مغلق لم يكن يسمح لاحد بالدخول فيه الا كبار رجال الدين وقد كانت قطعة من هذا المحراب مخصصة لسكنى الاله فيها ، او بعبارة أصح الصررة : ولم يكن يسمح لأحد بالدخول فيها الا الكهنة الذى وكل اليهم اقامة شعائر هذا الاله وكانت تمثل فى هيئة تمثال كان يصنع فى معظم الاحيان من خشب بحجم صغير ، وبذلك يمكن نقله بسهولة عندما يراد ذلك بمناسبة بعض الاعياد ، وكان يعرض على الشعب محمولا فى قارب وكان يسار به فى حفل او يلف به حول المعبد او على البحيرة المقدسة ، اوكان يقوم بسياحة على النيل او على الارض لاجل ان يسمح له بزيارة تمثال اله آخر على مقربة منه او بعيد عنه ، على ان انتقال هذا التمثال من مكان لآخر كان على اية حال لا يحدث الا فى المعابد الكبيرة . وكانت العادة ان يبقى التمثال مختبئا عن الانظار فى قدس الاقداس فى داخل ناووسه . وكان لايمكن ان يراه احد عند اللزوم الا الكاهن الذى لم يكن بدوره الا ممثلا للملك ، وذلك على حسب التعبير المصرى القديم ليتأمل جمال وجهه ، وكان احد واجباته الاصلية هو القيام لهذا الاله بشعائره اليرمية التى تتألف أولا من الباس التمثال ثم تقديم الطعام له (وقد تكلمنا عن هذا الموضوع فى الجزء السابع ص٥٩٢) ، ولكن الامر =

سنتيمترا وعمقه مترا وخمسة عشر سنتيمترا وهو قطعة واحدة عثر عليه فى البحر بالقرب من الاسكندرية . وقد مثل عليه صورة الاله الذى برأس تمساح ويدعى حورختى - خت فى الصف الثانى من النقوش التى على الجدار الأمامى مما يوحى بأن هذا الناووس كان مقاما فى مدينة تل أتريب (بنها الحالية) وكان هذا الاله يعتبر حاميها . ونفهم من النقوش التى على الافريز أن الناووس كان مهدى من قبل الملك أمسيس للاله أوزير . (وطغراءات هذا الملك قد هشمت) . والواقع أن كثيرا من النقوش التى حفرت على جوانبه تنسب اما للاله أوزير وأسطورته أو تشير الى هذا الاله أو ابنه «حور» فمن ذلك نجد أنه فى الصف الثالث من الجدار الأمامى للناووس رمز « أوزير زد » = الثبات . وهذا الرمز عبارة عن شجرة ذات أغصان مقلمة . والظاهر أن هذا الرمز كان أقدم صورة للاله أوزير ، وكذلك نشاهد مومية هذا الاله على سرير جنازى تحرسه الآلهتان «ازيس» و «ونفتيس» ؛ وكذلك نشاهد الاله حور مصورا فى صور عدة . فقد صور بوصفه « حور الشجاع (حورتما) وحور المحب لوالده » (حور مرتف) و «حور الموحد للأرضين» (حورسماتاوى)[1] ولكن من جهة أخرى نجد كذلك :

على عارضة الباب : الاله «تحوت» والاله «أنوبيس» ، وكذلك نشاهد الالهين « حابى » و «نخبيت» .

الذى يلفت النظر هنا هو كثرة اقامة المحاريب أو النواويس الضخمة فى تلك الفترة من تاريخ مصر فقد شاهدنا ملوك الاسرةالسادسة والعشرين يقطعون النواويس الهائلة ويقيمونها فى المعابد ، ولعل السببفى ذلك يرجع الى أن الناووس الضخم كان يعتبر مكانا حصينا لتمثال الاله الذى كانيعد اهم شىء فى المعبد فكان كلما ضخم الناووس وعنى به كانت المحافظة على تمثال الاله أقوى وامتن وحراسته أسهل وبخاصة انه فى هذا العهد لم تكن المعابدوحراستها بالضخامة والعناية التى كانت متوفرة فى عهد الدولة الحديثة الثرى اليانعالمشرق ، بل نجد ان الكثير حتى من هذه المحاريب والنواويس كانت منهوبة من المعابد القديمة التى اقيمت فى عهد الدولة الحديثة والدولة المصرية فى قمة مجدها .

(١) هذه كلها نعوت للاله« حور » بن « أوزير »

وعلى الجدار الذى على اليمين نشاهد «رع حرمخيس» ، وأتوم وشو وتفنوت وجب ونوت (على الصف الأول آ • ونشاهد على الصف الثالث الآلهة «بتاح» و «ماعت» ، وتحوت وأربع الهات فى صورة حتحور •

ونشاهد على الجدار الأيسر : الآله بتاح (فى الصف الاول) ، والآلهين «آمون» و «خنسو» فى (الصف الثانى) ثم الآلهة «نيت» و «وازيت» ، و « الأسـد محوس » (فى الصف الثالث) •

ونشاهد على الجدار الأمامى ثمانية الآلهة الأزلية فى أربع مجاميع وكل مجموعة تؤلف من ذكر برأس ضفدع ومن أنثى برأس ثعبان (فى الصـف الأول) ويوجد فى الصف الثانى الالهان «ماعت» و (آمون» •

والظاهر أنه اذا كان أوزير هو الاله الذى نذر له هذا الناووس فان القدر الأعظم من الآلهة المصريين يجب أن يكونوا مشتركين فى الشعائر التى كان يحتفل بها الكهنة على شرفة أمام هذا الناووس ، وانتهى هـذا التابوت فى جزئه العلوى برقعـة مدورة يعلوها كرنيش مؤلف من أصلال ويرتكز على سقف مقبب • (راجع
Musée National du Louvre Guide - Catalogue Sommaire I P. 129

ناووس آخر للملك « أمسيس » من « تل اتريب » وعثر كذلك على ناووس آخر صنعه الملك « أمسيس » للاله «قم [1]ور » رب اتريب وذلك فى عام ١٩٠٧ • وهذا الناووس مصنوع من الجرانيت المحبب الدقيق الحبات ويبلغ عرض قاعدته ٨٨ سنتيمترا وصناعته متقنة وحفره فى منتهى الدقة والنظافة • غير أنه لم يبق لنا منه الا السقف ، ويلحظ أن اسم الملك « أمسيس » فى النقوش الباقية قد كشط ، وهو يتألف من قطعة واحدة ولم يبق من أسفله الا الجزء العلوى ، وقد نقش على الجزء الأمامى من عضادتى الباب وعلى جوانب جدرانه الأمامية وعلى الجدار الخلفى متون ، هذا وقد زين جزؤه الأعلى بصور •

---

(١) قم ور = الثور الاسود وهو المعبود المحلى لبلدة أتريب (بنها الحالية)

ونقش على الجدار الخارجى من اليمين سطر أفقى جاء فيه : « يعيش حور (سمنت ماعت = مثبت العدالة) (ملك الوجه القبلى والوجه البحرى) خنم اب رع عمله بمثابة أثر لوالده قم ور (أى الأسود العظيم = لقب لثور تل أتريب) الاله العظيم المشرف على حقل الطعام ، وهو ناووس فاخر من حجر بخن عمله ...

وقد زين الجزء الأسفل من سقف هذا الناووس بنماذج من ريش ثم باسم الملك ولقبه والجزء الأعلى من السقف مزين بأصلال .

ويشاهد الملك مصورا على الجدار الأيمن يتعبد أمام الآلهة . كما تشاهد مجموعة من أشخاص جالسين على سرير . وتتألف من رجل قاعد بين امرأتين على سرير فى صورة أسد .

وكذلك نشاهد الهة على عرشها وقد نقش فوق ذلك فى سطر أفقى عند فاخر ثم يأتى على أثر ذلك ثلاثة آلهة على عروشهم وقد نقش فوقهم خط أفقى جاء فيه : الآلهة الذين فى البيت العظيم (القصر) . وعلى الجدار الخلفى للناووس يشاهد الملك أمسيس يأتى بالنبيذ أمام الآلهة متعبدا

وكذلك يوجد لهذا الفرعون ناووس آخر محفوظ بمتحف ليدن (راجع
(Lecmans, Monuments de Lyde, T.I, p. 25 - 26
وهذا الناووس قطعة فنية بديعة ونقش عليه أساطير كثيرة غير أنه ليس من بينها ماله قيمة تاريخية .

وقد عثر كذلك فى تل اتريب على مائدة قربان من الجرانيت عليها اسم هذا الفرعون راجع Wiedemann, Gesch. P. 655

وأخيرا وجد له خاتم باسمه وهو محفوظ الآن بمتحف اشموليان (Ibid. P. 655) بانجلترة

هليوبوليس : وجد لهذا الفرعون تمثال راكع من البرنز وفى يده اناء ونقش عليه

السربيوم : يوجد بسرابيوم مدينة منف تابوت من الجرانيت الأسوانى أهداه الملك أمسيس لأحد عجول أبيس . وقد وجد أن كلا من الصندوق والغطاء مفصول الواحد عن الآخر فالصندوق وجد فى حجرته الاصلية أما الغطاء فقد وجد ملقى عند مدخل السربيوم ويلحظ أن صناعة التابوت جميلة جدا وقد زينت جوانب الصندوق الخارجية برسوم وقد نشرت نقوش التابوت من قبل (راجع
(Brugsch, Thesaurus P. 966 - 7
وكذلك ترجمت غير أن ترجمتها خاطئة . وهاك تصحيح الترجمة

حور سمن ماعت (أى مثبت العدالة) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى . خنم - اب - رع ، لقد أهدى أثره لأبيس الحى (= تابوتا من الجرانيت) ، والآن لقد وجد (جلالته) انه لم يكن يعمل من حجر ثمين لأى ملك وفى أى زمن - لأجل أن يعطى الحياة مخلدا . هذا ولدينا وثيقة أخرى من عهد أمسيس نقشت على لوحة عثر عليها كذلك فى السربيوم وهى محفوظة الآن بمتحف اللوفر (راجع
Piehl, Inscr. hierog. I, 20; Chassinat, Rec. Trav. 22, 2; A. S. 26 P. 92
وهاك ماجاء عليها :

والآن فان جلالته كان بره مثل البر الذى عمله حور لوالده أوزير فقد صنع له (أى لأبيس) تابوتا عظيما من الجرانيت . والآن فان جلالته وجد أنه (أىالتابوت) لم يكن قد صنع من حجر ثمين لأى ملك فى أى زمن مضى

وعلى ذلك يتضح لنا من التراجم التى سبقت الترجمة التى أوردناها هنا أن «أمسيس» كان متمشيا مع من سبقه فى عمل توابيت للعجل أبيس من الحجر الثمين ، غير أنه أعلن فى الوثيقتين السابقتين اللتين أوردناهما هنا أن مثل هذا العمل لم يكن قد عمل قبل زمنه لأى ملك . هذا ولا يخفى أن عبارة حجر ثمين قد تشمل فى هذه المناسبة الجرانيت والبازلت والديوريت والحجر الكلسى . ومن المفهوم أن التوابيت الخاصة بعجول أبيس السابقة لعصر «أمسيس» كانت من الحجر الجيرى وحسب ، وعلى ذلك

فان البيان هنا يعد دليلا على أن التابوت الذى أهداه أمسيس يعتبر أقدم تابوت شاهدها فى السربيوم مصنوع من الجرانيت ، وذلك لأن كـــل التوابيت التى شاهدها باقية فى السربيوم كانت مصنوعة من الحجر الجيرى ومؤرخة قبل عهــده (راجع A. S., Ibid, p. 94)

هذا ويدل الفحص الذى قام به الأثرى «مريت» عن الاجزاء القديمة للسربيوم على صدق هذا البيان اذ يقول : ان تابوت أمسيس الذى صنعه للعجل أبيس هو فى الواقع أكبر تابوت فى مدفن «السربيوم» وعلى قدر ماوصل اليه علمى فانه يعد فاتحة عصر صناعة الآثار التى من الجرانيت وذلك لأن الموميات لم تكن تدفن الا فى توابيت من الخشب (راجع Mariette - Maspero, Le Serapeum de Memphis Compte rendu des Fouilles, p. 54.

هذا وقد نقش حول التابوت السالف الذكر من جوانبه الأربعة المتن التالى المأخوذ من متون الاهرام (راجع Pyr. Utterance 674)

كلام يتلى يا أبيس «أوزير خنتى أمنتى» . انى موجود بجوارك نفسك ، وانى آتى اليك ، وانى ابنك ، لقد أتيت اليك انى «حور» ، (L. 1994) وانى أعطيــك صولجانك مدو ، أمام الأرواح ، والصولجان تحت أمام النجوم التى لا تفنى (L. 1995 لقد وجدتك مجتمعا [1] ووجهك مثل وجه ابن آوى ، ومقعدك مثل مقعد « قبحوت » وانها تنعش قلبك فى جسمك فى بيت والدها «انوبيس» . كن طاهرا واجلس على رأس أولئك الذين هم أعظم منك . وانك قاعد ثابت على عرشك ، على عرش أول أهل الغرب (L. 1996) وستيشوك (؟) انهم صغار وسمنتت (اسم آلهه) تسلم عليك مثل «ازيس» و «هنتت» تهلل لك مثل «نفتيس» . وانك تقف على رأس معبد سنوت للقصر المزدوج مثل «مين» ، وانك تقف أمام المصريين مثل «حابى» . وانك تقف عند بحيرة « بروشا » مثل الآله «سكر» وانك تقف عند بحيرة «ردور» ومعك صولجانك عبا ، وسلكك وأظافرك التى على أطراف أصابعك .

---

(١) أى كامل الاعضاء

والذين أمام تحوت قد ذبحوا بالسكين الآتية من « الآله ست » . وانك تعطى ساعدك للموتى وللأرواح التى ستأخذ ساعدك الى أول الغرب (= أوزير) .

لوحة للعجل ابيس بالسرابيوم من عهد « امسيس »

يوجد بمتحف اللوفر لوحة لعجل أبيس عاش فى عهد الملك «أمسيس» (راجع Piehl, Inscription I XX. H.; Chassinat, Rec. Trav. 22, 20; Br. A. R. IV §§ 1008 - 1012

وتحدثنا هذه اللوحة عن حياة عجل أبيس عاش وتوفى فى خلال عهد الملك أمسيس ومن ثم فانها لا تقدم لنا معلومات جديدة عن حياة هذا الفرعون وهاك ماجاء عليها : السنة الثالثة والعشرون الشهر الأول من الفصل الثالث (الشهر التاسع من السنة) اليوم الخامس عشر فى عهد جـلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى خنم اب رع (أمسيس) معطى الحياة ابديا .

دفن العجل : ان الآله قد اقتيد فى سلام الى الغرب الجميل لأجل أن يأخذ مكانه فى الجبانة فى المكان الذى عمله له جلالته الذى لم يعمل مثيله من قبل ، وذلك بعد أن عمل له ما يعمل فى البيت الطاهر (مكان التحنيط) .

تأمل لقد كان فى ذاكرة جلالته كيف فعل «حور» لوالده «أوزير» ولذلك عمل تابوتا عظيما من الجرانيت . تأمل لقد وجد جلالته أنه من الخير أن يعمله من حجر ثمين لم يعمل منه كل الملوك فى كل زمان . وقد عمل كفنا من كتان رستت ومحتت السرى (مكانان يؤلفان جزءا من بلده سايس المقدسة) ووضع معه تعاويذ وكل حلى من الذهب وكل حجر فاخر ثمين وكانت أجمل مما عمل من قبل (على يد ملوك آخرين) لأن جلالته أحب أبيس الابن الحى العائش أكثر من أى ملك (آخر)

حياة ابيس : ان جلالة هذا الآله قد ذهب الى السماء فى السنة الثالثة والعشرين الشهر الثالث من الفصل الثانى (الشهر الرابع) اليوم السادس وكان قد ولد فى السنة الخامسة الشهر الأول من (الفصل الأول) اليوم السابع وقد وضع فى بيت «بتاح»

فى الشهر الثانى من الفصل الثالث (الشهر العاشر) اليوم الثامن عشر ومدة الحياة الجميلة (التى عاشها) هذا الاله الكامل كانت ثمانى عشرة سنة وشهرا وستة أيام «احمس بن نيت» معطى الحياة الرضية أبديا قد عملها (أى اللوحة) له •

منف معبد الاله «بتاح» : وجد فى معبد «بتاح» الكبير محراب للملك أمسيس مصنوع من حجر الكوراتسيت أو الحجر الرملى وكذلك من الجرانيت الأحمر • غير أنه وجد مهشما ولم يبق منه الا بعض قطع من حجر الكوراتسيت (راجع
Petrie, Meydum and Memphis III, P. 39, Pl. XXXII, 4, 5, 6 & Pl. XXIX 4
وقد نقش على هذه القطع اسم الفرعون أحمس ، هذا ونجد صورته بشكل واضح فى اللوحة الأخيرة ؛ والواقع أن صورة الملك «احمس الثانى» نادرة جدا ويحتمل أن الصورة المشار اليها هنا [1] تعد أحسن صورة محفوظة له ، وذلك لأنها ليست صورة تقليدية كصور الملوك الآخرين اذ نلحظ أن شكل الجانب الأسفل للأنف وكذلك هيئة الشفتين والذقن المدببة كل هذه المميزات تعد من التفاصيل الشخصية الخاصة بصورته وقد اعتنى بابرازها عند رسم صورته هذه • وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف أدنبره باقوسيا

وقد عثر فى غرب البحيرة المقدسة لهذا المعبد على عارضة باب عليها صورة «امسيس» وقد وجدت العارضة الثانية للباب فى عام ١٩١٤ وهى محفوظة الآن فى مدينة منفيس فى مقاطعة «تنيسى» بالولايات المتحدة وهى مصنوعة من الحجر الرملى المستخرج من الجبل الاحمر أو من جحر الكوراتسيت • ويشاهد على هذه العارضة الملك «أمسيس» واقفا ملتفتا نحو اليمين وبيده اليسرى عصا ومقمعة ويده الاخرى ممتدة نحو الامام كأنه يخطب فى الناس • وقد وجد لقبه وهو «سمن ماعت» (مثبت العدالة) أما اسمه العلم فلم يبق منه الا مقطع واحد • ومن ثم نفهم أنه هو الملك أحمس الثانى • هذا ونعرف من جهة أخرى على حسب ماورد فى هردوت (Herod. II, 176) أن أحمس

---

(١) انظر الصورة رقم ١٦

الثانى هذا كان قد أقام معبدا فسيح الأرجاء للآلهة «أزيس» اذ يقول : لقد أتى «أمسيس» فى كل من أهم المعابد الشهيرة أعمالا تستحق الاعجاب لضخامتها ومن بينها التمثال الضخم الرابض أمام معبد «فلكان» فى منفيس وهو الذى يبلغ طـــوله خمسا وسبعين قدما وعلى نفس القاعدة نصب تمثالان من الحجر الأثيوبى وكل واحد منهما يبلغ ارتفاعه عشرين قدما وهما على جانبى التمثال الضخم . وكذلك يوجد فى «سايس» تمثال ضخم مماثل للسابق ورابض بنفس الهيئة التى عليها تمثال «منفيس» وقد كان «أمسيس» كذلك الذى أقام معبد «ازيس» فى «منفيس» وهو ضخم ويستحق الذكر .

هذا وقد وجد بمعبد «بتاح» الذى نحن بصدده الجزء الأعلى من لوحةللملك«أمسيس الثانى» مؤرخة بالسنة التاسعة والعشرين وهذه اللوحة موجودة بالمتحف المصرى منذ عام ١٩٠٣ وهى مصنوعة من الحجر الرملى المائل للاصفرار ، عثر عليها فى « ميت رهينة» ويبلغ طولها ٨٨ سنتيمترا وسمكها ١٥ سنتيمترا ولم يبق من ارتفاعها الا ٥٦ سنتيمترا بسبب كسرها (راجع (A. S. T. XXIII, p. 48 وهـــذه اللوحة للملك أمسيس الثانى غير أن الجمل التى ذكر فيها اسمه قد محيت ، ويشاهد فى الجزء الاعلى المستدير علامة كبيرة ترمز للسماء مرتكزة على صولجانين وفى أسفل نجد أن اللوحة قد قسمت قسمين . ويشاهد فى وسطها من اليسار صورة صغيرة للآله «سكر» برأس صقر ماشيا وفى يده الصولجان واس وقد نقش فوق رأسه اسمه ولقبه «رب شت» ويشاهد فى أسفل اسم «الكا» (الروح) للملك أمسيس وهو : «سمن ماعت» = مثبت العدالة . وبعد ذلك يشاهد لقب الفرعون مهشما وهو : « خنم اب رع » . والجزء الذى على يمين اللوحة مشابه للذى على اليسار عدا أن الاله الذى ظهر هنـا هو الاله «بتاح» فى صورته العادية أى على هيئة مومية مزملة وفى يده علامات الثبات والحياة والحكم مجتمعة . هـذا ويشاهد هذا الاله واقفا فى ناووس مفتوح وقد وصـف بأنه بتاح القاطن جنوبى جداره . ويلحظ أن أسماء الملك وألقابه هى نفس التى على الجهة

اليسرى والأسطر التى بقيت من هذه اللوحة وهى الموجودة فى أسفل المنظر الأعلى الذى وصفناه جاء فيها : السنة التاسعة والعشرون فى عهد جلالة حورمثبت العدالة الآلهتان (المسمى) ابن نيت الذى يدير الأرضين والمختار من الآلهة ، حور الذهبى، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «خنم اب رع» وابن رع احمس بن نيت معطى الحياة والثبات والقوة أبديا .

ان النيل الغزير قد أتى الى جلالته وقد غطى ثانية الشاطئين وقد أتى من قال لجلالته ان السد الجنوبى الذى خلف «منف» قد كسر بالماء والموقف حرج بالنسبة للسد الشمالى وعندئذ قال جلالته انى أنا الاله الكامل .. ،

ومما يؤسف له جد الاسف أن هذا المتن قد كسر وضاع عند هذه النقطة فلم يحدثنا عما فعله الملك وماهى الاوامر التى أصدرها لتلافى وقوع الكارثة العظمى التى كانت وشيكة الوقوع فى البلاد واحداث الخراب فيها ثم لم نعلم بالضبط أين كان يقع السد الشمالى الذى أشار اليه فى المتن . والمعلوم أن آخر فيضانات عظيمة حدثت على خسب ماجاء على مرسى الكرنك هى التى وقعت فى عهد الملك بسمتيك الأول (راجع Legrains, Les Crues du Nil, dans A. Z. 1896, P. 118; La Famine, dans l'Egypte Ancienne (J. Vandier) P. 125-126.

وعثر فى منف فى جهة ما على ناووس للالهة «نيت» نقش عليه اسم أمسيس الثانى (راجع Roeder, Naos (Cat. Gen. Pl. 80) وهذا الناووس مصنوع من الجرانيت المبرقش ويبلغ ارتفاعه حوالى ١٫٦٢ مترا والواقع أنه لم يعرف المكان الذى عثر عليه فيه ومن النقوش التى عليه نعرف أنه كان فى الأصل فى منف وهو فى حالة سليمة الا قطعة من الجهة اليمنى من سقفه . وهو كالمعتاد قطعة واحدة من الحجر وقد نقش على عتبه صورة السماء وتحتها قرص الشمس المجنح ، وعند طرفيه نقشت كلمة «بحدتى» ونقش على عضادتى باب الناووس المتن التالى : حور سمن ماعت (مثبت العدالة) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (احمس بن نيت) محبوب نيت نزيلة حت كابتاح = (منف) معطى الحياة .

القاهرة (١) عثر فى القاهرة على قطعة حجر من معبد للملك أمسيس الثانى ويحتمل أنها من منف وقد استعملها الاهلون أسكفة مدخل لردهة فى حى بولاق وهى من الحجر الجيرى الصلب ويبلغ طولها مترين وخمسة وسبعين سنتيمترا وعرضها أربعين سنتيمترا وقد مثل عليها رجال واقفون يقدمون علامة القربان المتدلى منها علامة الحياة باليد اليمنى وفى اليد اليسرى اناء قربان وقد فصل كل منهم عن الآخر بسطر من النقوش وقد ظهر فى واحد منها اسم الكا للملك أمسيس ولقبه : حور مثبت العدالة « خنوم اب رع » . والجزء الأعلى من نقوش هذا الحجر قد ضاع . (راجع
A. S. Tom III, P. 93.

(٢) ووجدت قطعة من الجرانيت مستعملة أسكفة باب فى جامع السلطان حسن وتدل شواهد الاحوال على أنها من معبد للملك أمسيس الثانى وقد بقى من صورته على هذا الحجر الجزء الأعلى لابسا الكوفية الملكية والظاهر مما تبقى من النقش أنه كان يقوم بتقديم قربان فى حفل تطهير وطغراء هذا الملك قد بقى منها ما يسمح لنا بالقول انه (احمس بن نيت) معطى الحياة ابديا . (راجع
Rec. Trav. XXXV , P. 45 - 6

(٣) ووجدت قطعـــة من الحجر عليهـــا منظر للملك أمســـيس وناووس متبعه روحه غير أن كلا من شمبوليون وروزولينى قد نقلا الطغراء الملكية وجعلها لأبريز بدلا من أمسيس خطأ . وهذه القطعة كانت فى الأصل من منف وقد وجدت حديثا فى القلعة (راجع Porter & Moss, Vol. IV, P. 72) وقد كتب الاثرى جوتييه عن هذه القطعة فى قاموسه الجغرافى مايأتى (راجع L. R. IV P. 122 N. 2
لقد نقل كل من شمبليون وروزولينى « واح اب رع » وهى طغراء الملك « ابريز » وقد راق فى أعين كل المؤرخين أن يتعرفوا فيه على طغراء الملك ابريز الذى تبعته روح خلفه الملك أمسيس وقد كان من جراء وجود هذين الملكين جنبا لجنب على نفس الأثر وفى منظر واحد أن نظروا الى ذلك باهتمام بالغ (والمنظر كان عبارة عن تأسيس

معبد) وذلك أن هذين الملكين لا بد كانا قد حكما فى وقت واحد مدة من الزمن ولكن كما ذكرنا من قبل قد دحض الأثرى بيل هذا القول

(Petrie, Hist. III P. 351 Fig. 145. راجع

(٤) **تمثال بولهول** بالقرب من الدير القبطى بجهة مصر القديمة عثر على تمثال عظيم مصنوع من الحجر الرملى المائل للاحمرار من عهد الملك أمسيس وطول هذا التمثال نحو ٣٫٥٠ مترا ويبلغ ارتفاعه حوالى متر وقد ضاع رأسه وقد نقش حول القاعدة متن مهشم يدل مابقى منه على أنه يحتوى على الالقاب الفرعونية التى كان يحملها هذا الملك كما جاء فيه أنه محبوب الآلهة أحمس بن نيت معطى الحياة والثبات والقوة كلها مثل رع ابديا (راجع Rec. Trav. XI, P. 98

(٥) **درع من البرنز** عليها اسم الملك أمسيس الثانى محفوظة بالمتحف المصرى راجع Maspero, Guide of the Cairo Museum in English P. 267.

العرابة

معبد خنتى امنتى بالعرابة : ومن أهم الاعمال التى أنجزها أحمس الثانى هى الاصلاحات التى عملها فى المعبد الذى أقامه ملوك الأسرة الثامنة عشرة فى هذه الجهة . وتدل شواهد الأحوال على أنه أخذ ما بقى من هذا المعبد ووضعه فى أساس معبده الجديد وقد أظهرت ذلك الحفائر التى قام بها «بترى» فى هذه الجهة فقد وجدت أحجار عدة فى الاساس من عهد تحتمس الثالث وغيره من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، يضاف الى ذلك أنه عثر على بقايا ناووس من الجرانيت الاحمر غاية فى دقة الصنع عليه اسم الفرعون احمس الثانى . [1] (راجع (Petrie, Abydos I, Pl. LXIII - LXX

وأهم ما يلفت النظر هنا أن الاهتمام فى هذا العصر المتأخر بصنع النواويس الضخمة

---

(١) ويلفت النظر بصورة خاصة ان « أحمس الثانى » قد ذكر اسمه فى طغرائه التى نقشت على هذا الناووس بأنه « أحمس بن اوزير » بدلا من « أحمس بن نيت » وهو الاسم المعتاد الذى كان ينادى به فى كل أثاره ، غير انه لا غرابة فى ذلك لانه قد سمى بهذا الاسم هنا لانه كان يقيم معبدا لهذا الاله فى العرابة وكذلك فان كل ملك حى كان يدعى بوصفه حور بن اوزير

بدا واضحا وذلك لتقوم مقام قدس الأقداس برمته ولتكون حماية قوية لتماثيل الآلهة توضع فيها وسنتحدث عن الاصلاحات التى قام بها أحمس الثانى فى معبد العرابة الكبير عند الكلام على أعمال أحد عظماء رجاله وهو بف - نف - دى - نيت وهو الذى قام بتنفيذ اصلاح هذا المعبد •

ومن الآثار التى وجدت فى هذا المعبد مائدة قربان من الجرانيت الاحمر أهداها أحمس الثانى للآله أوزير ختى أمنتى رب العرابة •

ويلفت النظر النقوش التى جاءت حول حافة هذه المائدة فقد جاء فى صيغتين موحدتين: يعيش «حور» مثبت العدالة ، السيدتان (المسمى) ابن نيت منظم الأرضين حور الذهبى (المسمى) المختار من الآلهة ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) خنم اب رع ، ابن رع المسمى (احمس نيت) محبوب أوزير ختى أمنتى الآله العظيم رب «العرابة المدفونة» معطى الحياة مثل رع أبديا • وقد قسمت رقعة المائدة قسمين الجزء الأعلى مثلت عليه القرابين المختلفة والجزء الأسفل هو الحوض (راجع
(Petrie, Ibid. Pl. LXIX

وبهذه المناسبة وجدت لهذا الفرعون مائدتا قربان أخريان محفوظتـــان بالمتحف المصرى (راجع Cat. Gen. du Musée du Caire Tables d'Offrandes. Par Ahmed Bey Kamal, P. 88, Pl. XXIII, & P. 91 & Pl. XXV.

(١) المائدة الأولى من الجرانيت الرمادى وطولها ٥٢ سنتيمترا وعرضها ٦٢سنتيمترا وهى على هيئة الرمز الدال على مائدة بالمصرية القديمة • وقد نقش على اطارها السفلى الصيغة التالية : الآله الكامل رب الأرضين خنم - اب - رع (احمس الثانى) محبوب آتوم يقدم كل قربان لأجل أن يعطى الحياة والثبات والقوة مثل رع ابديا ورقعة المائدة مزينة بعلامة ⌓ التى نشاهد عليها من كلا جانبيها مجموعة من القربات تحوى أنواعا مختلفة من المشروبات والمأكولات • واللوحات محفوظة حفظا جيدا ومعتنى بحفرها ، غير أن النقوش الهيروغليفية قد نقشت معكوسة • (راجع
(Journal d'Entrée du Musée No. 40608

(٢) والمائدة الاخرى قد وجد جزء منها فقط وهى من الحجر الرملى الصلب وطولها ٦٧ سنتيمترا وعرضها حوالى ٦٠ سنتيمترا . ويشاهد فى أسفلها من الجزء المكسور بقية علامة حتب والظاهر أنه كان قد رسم عليها اناءان ورغيفان مستديران وقد نقش على جانبها الطويل من وجهها العلوى متن لم يتبق منه الا مايأتى . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى خنم اب رع عمله (أى هذا الأثر) بمثابة أثره لوالده حابى (النيل) والد الآلهة لأجل أن يعمل له .... هذا ونجد على جسمه علامة وبقية متن وهو : يعيش حور مثبت العدالة الآله الكامل ختم اب رع (محبوب) حابى والد الآلهة . (راجع Journal d'Entrée du Musée No. 4051)

وأخيرا قد وجد فى ودائع الاساس نصف قرص نقش عليه «خنم اب رع» = (احمس الثانى (Ibid, Pl. LXX No. 7)

وادى حمامات :وعثر لهذا الملك على نقش فى وادى حمامات مؤرخ بالسنه الرابعة والأربعين من حكمه وهذا أعلى تاريخ له وسنتحدث عن هذا النقش عند الكلام على الحكم الفارسى فى مصر .

قفط : كشف الأثرى «بترى» عن مقصورة فى معبد «قفط» أقامها الملك «احمس الثانى» على شرف الآله أوزير ، وتقع فى حرم المعبد فى الجهة الجنوبية من البوابة الثالثة بمحاذاة الجدار الجنوبى ، غير أنه لم يبق منها الا المجدال الأسفل وقد رسمت عليه سيقان بردى ، ولكن وجد فى المقصورة لوح من الحجر عليه صورة الآله «أوزير»، والظاهر أن هذا اللوح كان قد أعيد وضع طبقة من الملاط عليه ثم رسم وذلك بعد حفره بمدة طويلة ومن ثم يحتمل جدا أنه كان خاصا بمقصورة ثانية للآله أوزير ولم يكن مكان عباده للملك بعينه (راجع Petrie, Koptos, P. 17)

الدير الابيض القريب من سوهاج : وجدت فى هذا الدير قطع كثيرة جدا من الاحجار التى يرجع عهدها الى عصر الفراعنة والظاهر أنه كان فى موقع شاو اونشو القديم (راجع Porter & Moss, V P. 31; Dic. Géographique Tom. III P. 104

ومن أهم القطع الأثرية التى تنسب الى عهد الفرعون احمس الثانى قطع من الجرانيت مثبتة فى الجدران نقش عليها اسم احمس الثانى ، وفى مقصورة خربة من هذا الدير وجدت قطعة ضخمة من الجرانيت الوردى على أحد وجهيها جزء من منظر جميل يحوطه اطار يشتمل على سطرين عموديين من النقوش جاء فى الأول : كلام يرتل : يأتى الى ابن رع محبوب الآلهة أحمس بن نيت .. وفى السطر الثانى : كلام يرتل يأتى الى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الشعائر خنم اب رع .... (راجع
(Rec. Trav. XXXVI, P. 97 - 8

المنشاة الواقعة بين أسيوط والعرابة : عثر على الجزء الأسفل من مسلة مصنوعة من الجرانيت عليها اسم الفرعون احمس الثانى (راجع
(Kuentz, Oblisques, Pl. XV p.p. 59-60

وفى العرابة المدفونة عثر على أجزاء لوحة للملك احمس الثانى كشف عنها الأثرى «املينو» (راجع (Amelineau, Nouvelles Fouilles, p. 165

الكرنك : فى معبد الكرنك الصغير ، منظر مثل فيه الملك أحمس الثانى يقدم قربانا من الخمر (؟) للآلهين آمون وزوجه موت فى حين نشاهد فى الصورة التى على اليمين من نفس المنظر المتعبدة الآلهية «عنخنس نفر اب رع» ابنة بسمتيك الثانى تقدم صناجتين للآلهين آمون وابنه خنسو وقد جاء على المنظر :

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (خنم-اب-رع) بن رع (احمس سانيت) معطى الحياة آبديا مثل رع وقرينه (أو الروح) حور سمنت ماعت (مثبت العدالة) . راجع
Champ., Mon. IV Pl. CCCIII No. 4, L. D III, 274, Gauth., L. R. IV, P. 121.

هذا ويوجد منظر آخر فى معبد الكرنك الصغير (H) جاء فيه : الاله الكامل أحمس بن نيت وخلف الملك نقش : الروح الحية رب الأرضين حور (مثبت العدالة)، ابن رع رب الأرضين (أحمس سانيت) معطى الحياة (راجع
L. D. III, 274 No. 2; L. R. IV, P. 21.

تل ادفو : عثر على ثلاثة نماذج وهى أمسيس يقدم قربانا وأمسيس على عرشه وحور سماتوى قاعدا بين صلين مجنحين (راجع (Alliot, Tell Edfu : P. 26

معبدازيس فى الفيلة . وجدت طغراءات باسم الملك «امسيس الثانى» على قطع من الحجر بنيت فى أعمدة القاعة الصغيرة التى تأتى بعد الردهة العظيمة للمعبد (راجع
(A. Z. XXIII, P. 13

اسوان . (١) وجد على الصخور القريبة من النهر الاسم الحورى للملك أمسيس الثانى .. حور سمن ماعت (مثبت العدالة) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ختم اب رع) بن «رع» «احمس سانيت» محبوب الالهة عنقت (وهى معبودة الفنتين) راجع
L. D. Texte IV, P. 124.

(٢) وكذلك وجد على الصخور التى بين أسوان والفيلة طغراءات هذا الملك وقد جاء فيها حور مثبت العدالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «ختم اب رع» بن «رع» احمس سانيت محبوب (ثالوث اسوان) خنمو وساتت وعنقت (راجع
Morgan, Mon. et Inscr. Tom. I, P. 84

(٣) وفى جزيرة بجة وجد نقش على الصخر جاء فيه حور مثبت الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ختم اب رع بن الشمس احمس سانيت محبوب خنم رب سنموت (= جزيرة بجة)

آثار الملك احمس الثانى فى خارج مصر

تونس . توجد آنية من القاشانى فى تونس فى متحف آلاوى دى باردو (راجع
Merlin and Drappier, La Necropole punique d'ard el Kheraib a Carthage P. 43 [42]; Porter & Moss, VII, P. 367.

(٢) **سوريا :** يوجد الآن فى متحف «بيروت» الأهلى اللبنانى آنية من البرنز عليها اسم الملك أمسيس الثانى وقد عثر عليها فى مقبرة تقع فى الجنوب الشرقى من مدينة سعيدة (راجع Dunand, note sur quelques objets provenant de Saida in Syria VII Pl. XXXII, [1] cf P. 123.

وكذلك عثر على قطعة من مقبض صناجة عليها اسم الملك احمس الثانى فى نفس المكان (راجع (Ibid. P. 124

(٢) بلاد الاغريق : كشف عن أسدين من القاشانى باسم احمس الثانى فى نفس المكان فى مقبرة بجبانة ديبيلون Dipylon وهما الآن فى المتحف الاهلى بأثينا (راجع
P. & M. VII, P. 402;
Athens National Mus. 780 - 1; Pendlebury Aegyptiaca P. 78 [159-8]; Bulletin de Correspondance Hellenique XVII (1893) P. 189

قبرص : آنية من الخزف المطلى يحتمل أنها للملك أمسيس (أو ابريز) عثر عليها فى مريون Marion وهى الآن فى متحف نيقوسيا بقبرص (راجع
Porter & Moss, VII, P. 204

تماثيل احمس الثانى

(١) يوجد جذع تمثـــال للملك احمس الثانى فى « فلا البانى » بايطاليـا (راجع
Rosselini, Mon. IV P. 204

(٢) تمثال صغير للملك أحمس الثانى فى مجموعة سابتييه وقد مثـل الملك قاعدا يلبس على رأسه التاج المزدوج وبيده علامة الحياة وهو مصنوع من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعه ٢٣ سنتيمترا وقد كتب على ظهره النقش التالى : الآله الكامل ورب الشعائر ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (خنم اب رع) بن رع احمس سانيت العـــــائش مثـــل رع عاش أبديا (راجـع Rec. Trav. XIV, P. 55) •

تمثال مجيب للملك أمسيس من الفخار المطلى باللون الأزرق المائل للخضرة موجود بمتحف كستنر فى «لاهى» (راجع Kestner - Museum, V, C. 25) • وقد نقش عليه صيغة الفصل السادس من كتاب الموتى الخـاص بعمل مثل هـذه التماثيل بدلا من المتوفى فى عالم الآخرة (راجع Rec. Trav. XVII, P. 14)

وتوجد تماثيل مجيبة أخرى لهذا الملك بمتحف برلين (راجع
Ausfuhrliches Verzeichniss 1899, No. 7483, P. 277

هذا ويجد القارىء قائمة بتماثيل احمس الثانى فى تاريخ مصر للأثرى فيدمان (راجع
Gesch. Aegypt, P. 193 - 194; & Aegypt. Gesch, P. 656.)

جعارين واختام احمس : توجد جعارين وألواح عدة مختلفة فى متاحف العـــالم

وبخاصة فى متحف القاهرة والمتحف البريطانى ومجموعة فريزر Frazer (راجع
Mariette, Monuments Divers Pl. 32=Newberry, Scarabs P. 188 & Pl. XXXVIII No. 18; A Catalogue of Scarabs belonging to G. Frazer P. 46 No. 376 & Pl. XIII etc.; cf Petrie, Historical Scarabs No. 1993; & Hall, Catalogue of Egyptian Scarabs etc. in the British Museum I. P. 292 No. 2790 - 1.

وهاك بعض هذه الألواح والجعارين التى تنسب اليه

(١) لوحة من الخزف المطلى محفوظة بالمتحف البريطانى (No. 4119) جاء عليها الآله الكامل «ختم ـ ابْ ـرع)

(٢) جعران بالمتحف البريطانى جاء عليه «ختم نفرت اب (؟) »

(٣) لوحة على هيئة طغراء من الخزف المطلى بالمتحف البريطانى جاء عليها ختم ـ اب ـ رع و «احمس سانيت» (راجع
•Petrie, Historical Scarabs No. 1994; & Hall Cat of Egypt, Scarabs I, P. 295, No. 2811

ويوجد كذلك خاتم من الطين وجد فى « نقراش » (راجع
Petrie Naukratis I, Pl. XX, No. 5.

وعثر فى «نبيشة» على جعرانين احدهما فى المتحف البريطانى والآخر فى متحف تورين (راجع Petrie, Historical Scarabs No. 1991 & 1996
وقد جاء على كل منهما احمس سانيت رب الأرضين

هذا ونجد طغراء الملك احمس على كثير من حلى الابواب المصنوعة من البرنز (راجع (Brugsch, Rec. de Mon. I, Pl X No. 8
وهذه محفوظة فى متاحف برلين وتورين ومصر •

وخلافا لذلك توجد تعاويذ من الفخار المطلى باللون الأزرق فى المتحف المصرى جاء عليها : «ختم ـ اب ـ رع» معطى الحياة مثل «رع» أبديا «احمس سانيت» (راجع
(Reisner, Cat. Gen. Amulets, No. 12193, 12104, P. 117, & Pl. IX.

وفى مجموعة «فلندرز بترى» توجد تعويذه منات نقش عليها مايأتى : الاله الكامل واح اب رع بن رع احمس سانيت عاش مخلدا (راجع
Petrie, Hist. III, P. 356 Fig. 147.

وهذه التعويذة خاصة بالالهة حتحور وشعائرها .

هذا ويوجد عدد لايستهان به من الموازين منتشرة فى المجاميع المختلفة للعالم نقش عليها لقب «احمس الأول» واسمه (راجع
Wiedemann, Gesch. Aegypt. P. 193; & Aegypt. Gesch P. 657: Guide British Museum (1909) P. 260.

وهكذا نشاهد أن آثار أحمس الثانى كانت منتشرة فى داخل البلاد وخارجها بصورة بارزة

الوثائق الديموطيقية والحياة الاجتماعية فى عهد أحمس الثانى [1]

ان مالدينا من أوراق بردية كتبت بالخط الديموطيقى من عهد الملك أمسيس الثانى تدل بلا نزاع على أن عصره كان عصر رخاء كما ذكر لنا هردوت ذلك فى كتابه الثانى (راجع Herod. II, 117) . والواقع انه لدينا مايقرب من أربعين بردية كلها من عهده بعضها قد نشروالبعض الآخر لم ينشر بعد بصورة مرضية وهذه الأوراق لحسن الحظ جاءت تواريخها موزعة من أول السنة الثانية من حكمه حتى السنة الثامنة والثلاثين وبذلك لا يوجد لدينا فى السنين الست الأخيرة من حكمه حتى الآن أية بردية . وهذه البرديات كلها خاصة بالحياة الاجتماعية والمعاملات بين طبقات الشعب مما يكشف لنا فعلا عن كثير من نواحى حياة أفراد الشعب والمعاملات التى كانت قائمة بينهم ، وسنورد هنا ترجمة بعض هذه الاوراق وملخص البعض الآخر ويلحظ أن برديتين من التى نشرت قد دونت بالخط الهيراطيقى غير العادى ، وهذا النوع من

---

(١) راجع
Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Library Vol. III, P. 20 ff.

الكتابة يظهر أنه قد اختفى حتى من طيبة منذ حوالى منتصف حكم هذا الفرعون وهاتان البرديتان هما :

(١) **عقد ابراء ذمة بين فردين** راجع (Louvre E. 7861 Not. P. 322; (Facsimile in Corpus Louvre Pl. XVIII No. 17

السنة الثالثة شهر طوبة (؟) ١٩ ... • ان وسررتايس Userertais قد أبرأ ذمة «زخى» Zekhe ابن تسمونت (Tesmont) من دين قدره سبعة دبنات ذهبا (؟) كان قد استدانها من أجل سلع ، والأخير قد أقسم يمينا أمام «خنسموسنفر حتب »اليمين•• (آخر البردية ممزق) •

وهذه الوثيقة غامضة فى بعض نواحيها • ويقول الأثرى « رفييو » ان امضاءات أربعة شهود يمكن رؤيتها على ظهر البردية • ومن المحتمل أن هذا هو المثال الوحيد بين البرديات التى كتبت بالخط الهيراطيقى غير العادى جاءت فيه الشهادات مكتوبة على ظهر البردية •

(٢) **عقد زواج** (راجع Louvre E. 7846. Not. 332; Facsimile in Corpus Louvre Pl. XX No. 19) السنة الثانية والعشرون ٥ أبيب • ان السقا « يتورزو » Ieturou ابن بتيس يدخل بيت السقا «زحو» بن امنرتايس Amnertais ليعلن الزواج من ابنته تشنخنوم (؟) Tschenkhnum المهر له شروط فى حالة الطلاق ــ اليمين ؛ وهذا العقد كان قد عمل ليحل محل عقد أتلف فى السنة الخامسة عشرة • كاتب وثلاثة شهود •

العقود التى كتبت بالخط الديموطيقى العادى • فى سلسلة العقود التى كتبت بهذا الخط تشاهد عادة الشهود يضعون امضاءاتهم فى عمود على ظهر الوثيقة ، هذا ويلحظ أن يوم الشهر الذى كتبت فيه الوثيقة لايذكر كما أننا لا نجد ذكر قسم قط ، وأوضح أمثلة من هذا النوع من الوثائق أتى الينا من الحيبة • ومعظم هذه الوثائق عن العبودية

(٣) وثيقة بالاعتراف بالعبودية :(الورقة الثالثة)

(١) السنة الثانية شهر ، ـ للفرعون له الحياة والفلاح والصحة (أحس) له الحياة والفلاح والصحةأن بـ ابن حريوباستى Heriubasti وأمه هى كاوسنسى Kausensi قد أعلن لمهدى قلب الوالد (الكاهن والد الآله) والكاهن الأول (٢) (كاتب الكتاب المقدس (المسمى) (زوبستفعنخ) Zeubestef'onkh بن حور :

انى عبدك (خادمك) الى الأبد ولن يكون فى استطاعتى بعد أن أعمل بوصفى نمح (مواطن حر) بالنسبـــة لك ، وبالنســـبة لأى فضـــة أو غلة (ربما يقصـــد هنا أن كل ما يملك هو ملك سيده) وبالنسبة لأى نوع من الملكية فى الأرض • وكذلك أولادى الذين ولدوا والذين سيولدون لنا [١] (أى هو أولاده) وكذلك كل ماهو ملكنا وكل الأشياء التى سنكسبها والملابس التى على ظهورنا •

ولن يكون فى استطاعة أى رجل أن يفرض سلطانه علينا فى الأرض غيرك من السنة الثانية الشهر الخامس (٥) من ••• وما بعد الى أية سنة أبديا •

كتبه مهدىء قلب الوالد • وسيأمون Uesiamon بن بشنوباستى Pshenubasti • وقد كتُب على ظهر الوثيقة أسماء خمسة عشر شاهدا وقد مزقت ولا يكاد الانســـان يستخلص منها شيئا غير أنه فى السطر الأخير يمكن قراءة اسم ينحارو بن ••

(٤) نزول عن عقد (الورقة الرابعة)

(١) (السنة الثانية (؟) ••• للفرعون له الحياة والفلاح والصحة «احس» له الحياة والفلاح والصحة) أعلن مهدىء قلب الوالد ، والكاهن الاول ، وكاتب الكتاب المقدس «زوبستفعنخ» بن «حور» الى مهدىء قلب (الوالد) (٣) اسمتو بن بتيسى (؟) •

لقـــد نزلت (؟) لك عن بردية العبودية وهى التى عملهـــا لى (٣) بفتوعوخنس Peftu'ukhons (فى السنة الثانية (؟))

---

(١) يلحظ هنا أن زوجته لم تدخل فى ذلك وعلى هذافهىحرة تتمتع بأملاكها

(انه عبدك (؟) ولن يكون فى استطاعتى أن أفرض سلطانا عليه (؟) ولن أستطيع أن أتى (البردية قديمة [1] أو بردية (٤) (جديدة) قائلا : انه ليس عبـدك (؟) وأنه سيعطيك عشرين أردبا (؟) من القمح (؟) وأنا (هكذا ورد في الاصل) لا زلت ملكك بمثابة عبد الى الأبد ٠

كتبه (مهدىء قلب الوالد «حور» بن زوبستفعنخ لنفسه)

(٧) كتبه (مهدىء قلب الوالد الكاهن الأول وكاتب الكتاب المقدس زويستفعنخ ابن حور لنفسه

وكتب فى عمود واحد على ظهر الورقة أسماء الشهود :

(١) اسحارثوث بن بشنبتاح

(٢) ينحارو بن بمى

(٣) بفتوعو آمون بن حاروز

(٤) احتفناختى بن حور

(٥) وسرناخت بن بشنوباستى

(٦) امرتايس بن حور

(٧) امرتايس بن بسنكى

(٨) زويستفعنخ بن حور

(٩) أحو (؟) بن بسنكى

(١٠) أحتفناختى بن

(١١) زحو بن ينحارو

(١٢) ين ٠٠ رو بن أنتفنختى

---

(١) يقصد وثيقة

(١٣) ز ... افعنخ بن ... حور

(١٤) حور بن زوبستفعنخ

(١٥) زوبستفعنخ بن حار .. (؟)

ويفهم من هذا العقد أنه كتب فى السنة الثانية من حكم الملك أحمس الثانى ويتضمن أن الكاهن الأكبر « زوبستفنخ بن » قد نزل عن وثيقة عبودية أعطيها من فرد يدعى بفتوعوخنس بن حريوباستى الى اسمتو بن بتيسى وقد ذيل بامضاء الكاتب وهو وارث الكاهن الاكبر وقد دون على ظهر الورقة خمسة عشر شاهدا .

(٥) **اعتراف بالعبودية** عقد عبودية (البردية الخامسة) :

النص : (١) السنة الثانية شهر بئونة (هـذا الشهر يبتدىء فى ٩ أكتوبر سـنة ٥٦٨ ق.م .) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة أحمس له الحياة والفلاح والصحة .

لقد اعترف المزارع « بفتو عوخنس » بن « حريوباستى » وأمه هى « كاوسنسى » لمهدىء قلب الوالد « اسمتو » (٢) بن بتيسى :

انى عبدك الى الابد بسبب هذا (؟) الطبيب ويورد (؟) ماعملت (؟) من أجلى فى السنة الثانية عندما كنت مشرفا على الموت .

ولن يكون فى استطاعتى قط أن أعمل بوصفى مواطنا (رجلا حرا) بالنسبة لك — والى أى من فضتك أو غلتك والى أى نوع من عقار أرض وكذلك مع أولادى الذين ولدوا والذين سيولدون لى و (٤) كل ماأملك وكذلك هذه الأشـياء التى سأكسبها والملابس التى على ظهرى ، وذلك من السنة الثانية من شهر بئونة وما بعـده الى أية سنة (٥) الى الأبد .

والرجل الذى سيأتى اليك بخصوصنا قائلا : انه ليس عبدك بما فى ذلك أى انسان فى البلاد فانه سيعطيك أية فضة (٦) وأية غلة سترضى قلبك فانى لا أزال ملكك بمثابة عبد الى الأبد .

كتبه مهدىء قلب الولد (المسمى) سوفخنس (؟) بن «ينحارو» •

وكتب على ظهر الورقة فى عمود واحد أسماء الشهود وهى :

(١) حور بن زوبستفعنخ
(٢) أحو (؟) بن ••• بمو (؟)
(٣) أحو (ا) بن بسنكى
(٤) زحو بن بســـنكى
(٥) وسيبتاح بن بشنوباست
(٦) بمو بن ينحارو
(٧) زوبستفعنخ بن حاروز
(٨) ينحارو بن بمو
(٩) ينحارو بن زوبستفعنخ
(١٠) بـورو بن منتومحات
(١١) ششنكعنخ (؟) بن بكيون
(١٢) منتومحات بن ينحارو
(١٣) ينحارو بن بشنبتاح
(١٤) اهرتياس بن حور
(١٥) بدى آمون (؟) بن زوبستفعنخ
(١٦) احو (؟) بن حاروز
(١٧) حور بن زوبستفعنخ
(١٨) حور بن زحو
(١٩) عنخ بفحراى بن زحو
(٢٠) زحو بن حور
(٢١) زويستفعنخ بن حور

ومن هذه الوثيقة نفهم أنه فى السنة الثانية من حكم احمس الثانى فى شهر بئونة قد اعترف بفتوعوغنس بالعبودية لأســمتو وذلك فى مقابل أشـياء وردت له (؟) وغير ذلك وكان قد أعطيها وهو على حافة الموت •

(٦) عقد عبودية (الورقة رقم ٦)

يلحظ هنا أن متن هذه الورقة يحتوى أولا على عقد البيع ثم يأتى بعده امضاء وخمس نسخ بأسماء شهود مختلفين وهاك المتن :

(١) السنة الثالثة شهر توت (هذه السنة ابتدأت فى ١٢ يناير سنة ٥٦٧ ق٠م) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة احمس له الحياة والفلاح والصحة ٠

لقد اعترف «بفتوعوخنس» بن حريو باستى التى أمه تدعى «كاوسنسى» الى مهدىء قلب الوالد « اسمتو » بن بتيسى » والتى أمه هى تشنترنع (Tshenterna') (٢)
لقد جعلت قلبى يتفق على فضتى (وهى الثمن) الذى أعمل به بوصفى عبدا لك ٠

وانى عبدك الى الأبد ولن يكون فى استطاعتى أن أعمل بوصفى مواطنا (حرا) بالنسبة اليك ولأية فضـة ولأية غلة ولاى نوع من عقار أرض وكذلك معى أولادى الذين ولدوا والذين سيولدون لنا وكذلك الملابس التى على ظهرى وكل ماتملك وتلك الأشياء التى سنكسبها ثانية من السنة الثالثة (٤) شهر توت ومابعده الى أية سنة الى الأبد ٠ كتبه مهدىء قلب الوالد احتفنختى بن « ينحارو »

يأتى بعد ذلك على مايظهر مجرد امضاء الكاهن الأول «زوبستفعنخ» بن «حور» ثم خمس نسخ شهود ٠ وصورة هذه النسخ هى بالضبط نفس الصورة التى جاءت فى الورقتين ١و٢ اللتين مر ذكرهما عدا أن اسم الملك وألقابه قد حذفت فى حين أن ذكر الشهر قد بقى ٠

شهد على ذلك فلان بن فلان وهو شاهد فى السنة الثالثة شهر توت على الاعتراف الذى عمله بفتوخنس الخ لقد جعلت قلبى يتق على الخ من السنة الثالثة شهر توت ومابعد الى أية سنة الى الأبد ٠ كتبه كما سبق (؟)

وأسماء الشهود فى هذه النسخ هى :

(٢) مهدىء قلب الوالد عو بن حور

(٣) « « « حور بن زحو

(٤) « « « الكاهن الأول كاتب الاضمامات المقدسة حـــور بن

زوبستفمنخ

(٥) » » » حور بن بكررنف (بوكاريس)

(٦) فاتح محراب آمون توزوى تفنخت بن ....

هذا ونجد أن القائمة الكاملة للشهود قد كتبت على عمود واحد على ظهر البردية وعددهم تسعة عشر شاهدا .

ويلاحظ أن هـذا البيع الرسمى للعبودية للمالك الجديد قد تم على ذلك فى بداية السنة بعد أن حدث النزول .

(٧) تجديد اعتراف بالعبودية (الورقة رقم ٧ (John Ryland VII)

السنة الثامنة شهر كيهك (ابتدأ هذا الشهر فى ١١ ابريل سنة ٥٦٢ ق.م) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة «احمس» له الحياة والفلاح والصحة

اعترف العبد «بفتوعوخنس» بن «حريوباستى» وأمه هى «كاوسنسى » لمهدىء قلب الوالد (٢) «اسمتو» بن بتيسى وأمه هى «تشنترنع» لقد كنت معك (؟) بعد السنةالثامنة الخامس من توت حتى السنة التاسعة اليوم الخامس من شهر توت ، ملابسى (؟) حنطه ١٠٠ ـ ـ غله (؟) (٣) توزوى (؟) وشعير (؟) ـ ـ ١٥٠ ، وانى ملكك الى الأبد ولن يكون فى استطاعتى ثانية أن أعمل بوصفى مزارعا (؟) لك من أجل أية فضة ، وأية غلة وأى نوع من عقار أرض ، وكذلك أولادى الذين ولدوا وأولئك الذين سيولدون لنا والملابس التى على ظهورنا من السنة الثامنة شهر توت (٥) وما بعده الى أية سنة وانى ملكك حتى الأبد .

كتبه مهدىء قلب الوالد «بو» بن «أحو» (؟)

وكتب على ظهر البردية فى عمود واحد أسماء الشهود :

(١) «بو» بن «حور» (٢) زوبستفمنخ بن «حاروز»

(٣) احتفنخت بن «ينحارو» (٤) ينحارو بن منتموسى (؟)

(٥) زحو بن اشارتوت (؟) (٦) حور بن «احو» (؟)

(٧) امرتايس بن حور (٨) حور بن بكررينف

(٩) امرتايس بن حور (١٠) احتفنخى بن حور

(١١) ينحارو بن بشنبتاح

ومما يلفت النظر فى هذه الوثائق الخاصة بالعبودية أن الوثيقة رقم ٤ وهى الخاصة بالنزول عن عقد بهذه الكيفية يعد نسيج وحده • وذلك أنه عندما نجد أرضا قد بيعت أو منحت فان كل مايتبعها من حقوق خاصة تنقل اليها فى الوقت نفسه فى نفس العملية كما شاهدنا ذلك فى الوثائق التى ذكرناها من قبل فى عهد الملك بسمتيك الأول وكما سنرى فى عهد احمس الثانى غير أن الوثيقة الحالية التى نحن بصددها تعد المثال الوحيد عن نقل عقد بجزء منفصل (عن العملية كلها) وهذا الأمر على مايظهر يوضح لنا أنه لا بد من اتخاذ احتياطات خاصة عند النزول عن عقود عبودية •

وكذلك فى العقد رقم ٦ السالف الذكر وهو الخاص ببيع رجل نفسه للعبودية لدينا نظير له فى تاريخ مبكر عنه بعض الشىء وقد ذكرناه فيما سبق فى عهد الملك بسمتيك الثانى وهو لامرأة • وعلى أية حال فان الوثيقة التى تتحدث عنها هى أحدث وثيقه فى متناولنا عن هذا العبد والآن يتساءل المرء هل كانت مدة خمس السنوات فى خدمة السيد كافية لأن يكون بعدها العبد حرا طليقا فلا تكون العبودية بذلك مطلقة •؟

تعليق على عقود العبودية

اذا نظرنا بعين فاحصة وجدنا أن العقود الخمسة السالفة الذكر هنا كانت خاصة بالعبودية وتعتبر كلها ــ بغض النظر عن واحد منها ــ خاصة بعبد واحد بعينه • وتواريخ آخر ثلاثة منها تامة وهى السنة الثانية شهر بئونة ، والسنة الثالثة شهر توت ، والسنة الثامنة شهر كيهك وفى أقدم هذه العقود نجد أن «بفتوعوخنس» يعترف بنفسه بأنه عبد لأسمتو الى الأبد وذلك فى مقابل أشياء مادية تسلمها منه ، وفى شهر توت (أى فى بداية السنة التالية) نجده يقوم بعمل عقد أكثر رسمية ؛ وفى السنة الثامنة يجدد

العقد بعبوديته وهذا التجديد قد يحتمل أنه كان ضروريا على حسب القانون بعد مضى كذا من السنين . ومما يؤسف له جد الأسف أن العقدين الثانى والثالث هما مجرد قطع صغيرة من أصليهما ، ولكن هناك خيط علاقة يربط بينهما وبين العقود الاخرى يمكن التعرف عليه . فعن تاريخ العقد الثانى يمكن القول انه كان فى السنة الثانية وفى الشهر الثانى من فصل ما ، ومن الجائز أن يكون شهر بابه أو أمشير أو بئونة ثانية وبمقتضاه نفهم أن أخا « بفتوعوخنس » هذا اذا لم يكن بفتوعوخنس نفسه يعترف أنه هو عبد رئيس الكهنة «زوبستفعنخ» بن «حور» . وفى العقد الرابع لا نجد أثرا لذكر تاريخ ؛ ولكن نجد أن «زوبستفعنخ » ابن حور ينزل لفرد فقد اسمه فى البردية عن استعباده لـ بفتوعوخنس ولما كانت الأوراق الباقية خاصة باسمتو الذى يظهر فيها بأنه هو صاحب العبد فانه يمكن أن نؤكد أن هذه البردية كانت كذلك له وفضلا عن ذلك يمكن أن نخمن أن الورقة رقم ٣ كانت الورقة التى أشير لها ولو أن اسم العبد كان مختلفا بعض الشىء فى هذه الوثيقة . والواقع أن تنوع الاسم لنفس الفرد كان كثير الحدوث فى الوثائق القانونية وعلى ذلك قد يجوز أن «اسمتو» قد استولى على عبد كان من جهة قد باع نفسه له (أى لاسمتو) وذلك بسبب سلفية عملها عندما كان على حافة الموت ، ومن جهة أخرى قد نزل عنه له (أى لاسمتو) بوساطة الكاهن الاكبر . على أن تاريخ العملية الأخيرة كذلك يظهر أنه ينم عن تحديد دقيق جدا فلا بد أن يكون تاريخ العملية قد جاء بعد الوثيقة رقم ٣ فى السنة الثانية ولكن قبل شهر توت من السنة الثالثة وذلك عندما كان حور بن زوبستفعنح يشغل وظيفة والده بوصفه كاهنا أكبر وعلى ذلك فان «اسمتو» قد استولى على عبده فى السنة الثانية من عهد احمس الثانى وعلى ذلك لا نكاد نكون قد أخطأنا فى ربط هذا الحادث بالحرب الداخلية التى وقعت بين «ابريز» واحمس الثانى وهى التى قاربت وقتئذ على نهايتها ، اذ لا بد أن حالة الاضطراب التى سادت البلاد فى تلك الفترة قد جرت على كثير من أفراد البلاد الخراب والدمار كما أدت الى ذبح وجرح وأسر عدد كبير من الوطنيين والجنود المرتزقة ، وفى مثل

هذه الاحوال كانت الفرص كثيرة للاستيلاء على عبيد ويميل الانسان الى توحيد تاريخ البردية الثالثة (وهو السنة الثانية الشهر الثانى من) بتاريخ الورقة الخامسة (وهو السنة الثانية الشهر الثانى من فصل الحصاد أى بئونه) وفى هذه الحالة تكون الوثيقة الرابعة كذلك هى بنفس التاريخ وتدل شواهد الاحوال على أن استرقاق مصرى أو رهن جسمه من أجل دين كان على مايظن تعترضه صعوبات قانونية ومن الممكن أنه كان هناك بعض اجرا ات مصطنعة لتاكيدها [1] وعلى حسب هذا التفسير نجد أنه فى نفس التاريخ الذى سلم «بفتوعوخنس» الى اسمتو ليكون عبده من أجل دين اعترف بأنه عبد للكاهن الاكبر ، وقد نزل الكاهن الاكبر عن حقه الى اسمتو • ومن المحتمل أن نقل ملكية عبد من سيد لآخر يعطى حقا أحسن وأقوى من أى اعتراف سابق بالعبودية [2] • هذا ويلفت النظر كثرة عدد الشهود المنقطعة النظير فى الوثيقتين الخامسة والسادسة بصورة بارزة غير أنه لا ينبغى أن يغيب عن ذهننا أن المقدمات لهذا الاستنباط غير كافية جدا حتى الآن ولذلك فان ماذكرناه مجرد فرض • نعود بعد ذلك الى فحص الوثائق الباقية من عهد احمس على حسب ترتيبها التاريخى ثم نناقشها فيما بعد

(٨) عقد ببيع بقرة (الوثيقة الثامنة)

(١) السنة الثامنة شهر بشنس (هذا الشهر ابتدأ فى ٨ سبتمبر سنة ٥٦٢ ق‌م)

(٢) أعلن زبتفعنخ بن « بديبتاح » وأمه هى «تبايابت» (٣) لمهدىء قلب الوالد بتيسى

---

(١) راجع « ديدور » الصقلى فى ذلك حيث يقول : وقد عمل (بوكوريس) على أن تدفع الديون فقط من أملاك المدين ولم تسمح بأية حال من الاحوال أن تؤخذ أشخاصهم فى مقابل ذلك ، وذلك لأن أشخاصهم كانت ملكا للدولة ليقوموابخدمات فى وقت السلم والحرب • غير أنه لايصح أن تؤخذ بيانات ديدورعلى أنها حقائق تاريخية ، ولكن يمكن أن تكون مفيدة بوصفها تلميحات وايضاحات لما عساه أن يرجع الى أصل تاريخى

(٢) واذا كان هذا الرجل عاملا مستديما للمعبد فانه كان فى الامكان أن يعترف بعبوديته للكاهن الأول للمعبد قبل أن يصبح عبدا للكاهن اسمتو

بن «اسمتو» وأمه هي شبنيسى (الظاهر انه بقيسى الثالث كاتب الظلامة المشهورة التى تحدثنا عنها قبل)

لقد جعلت قلبي يتفق على الفضة الخاصة بقرة المحراث الحمراء هذه المسماة .

(٣) وز بوكي (؟) .

انها متاعى وانها بقرتك بالاضافة لكل عجل ستنتجه من السنة الثامنة شهر بشنس ومابعد الى الأبد .

(٤) وليس من حق انسان فى البلاد أن يستعمل سلطته عليها بما فى ذلك أى رجل فى البلاد وكذلك أنا نفسى

(٥) وان من يأتى اليك بسببها ليأخذها منك قائلا : أنها ليست «بقرتك» فانى أنا الذى سأخلصها (٦) لك واذا لم أخلصها لك فانى سأعطيك بقرة من نوعها (؟) واذا لم أعطك بقرة من نوعها فانى أعطيك (٧) أردبا (؟) من القمح (؟) مقابلهاوكذلك عن كل عجل ستلده ، ورجلك أى وكيلك له الحق فى أن يطلبها وانى سأعطيك اياها

(٨) واذا أخذت وعملت (؟) ثورا صغيرا منها فانى سأعطيك ثورا من نوعه (؟) واذا أخذت وعملت منها عجلة (٩) فانى سأعطيك عجلة من نوعها (؟) واذا أخذت وعملت منها ثورا فانى ساعطيك ثورا من نوعه (؟) .

(١٠) بدون أن أذكر أية براءه (رخصة) فى الأرض ضدك .

كتبه كمينفحاربوك **Kemienefharbok** بن بايو .

وكتب على ظهر الورقة فى عمود واحد (الشهود)

(١) احتفنختى بن بسمتيك (٢) احمس بن احتفنختى (٣) «جررو » بن زديتاحفعنخ (٤) .... بن زدحرفعنخ (٥) خنس (؟) ارتايس بن بفتوعوبستى (٦) «بمو»بن ينحارو (٧) امرتايس بن أمنو (٨) بتيسى بن «زدوسرفعنخ» (٩) «بوخنس» (؟)بن«بدوسيرى» (١٠) سمتاوى تفنخت بن «حريس» (١١) «زحو» بن «بسـمتيك» (١٢) خنستفخنت

ابن كمينفحربوك (١٣) احتفنخق بن خاأمون (؟)

ومن عقد بيع هذه البقرة نفهم مقدار الاحتياطات التى كانت تتخذ حتى لا تحدث منازعات فى وثيقة البيع هذا فضلا عن العناية التامة التى كان يظهرها المصرى بالبقرة الولود اذ كان يذهب الى أن يطلق عليها اسما علما تنادى به • هذا ولدينا مثلان آخران فى الاوراق البردية التى من هذا العصر ذكر فيهما اسم البقرة (راجع Ryl III P. 59, No. 3) • وقد جرت العادة فى عقود بيع بقرات الحرث ألا يذكر معها نتاج لأنها تكون فى العادة للحرث • هذا ولدينا مثـــال عن بقرة عقمت حتى لاتلد بنزع رحمها • وعلى أية حال فان جعل البقرة لاتلد يكون أفيد لتسمينها أكثر من تخصيصها لجر المحرات ويدل على أن مثل هذه البقرة كانت تستعمل للمائدة وذلك على الرغم من أن هردوت قال ان المصرى يحجم عن أكل لحم البقرة (راجع Ryl. III Ibid. & Herod. II, 18, 41)

(٩) **خطابان مؤرخان بالسنة الثانية عشرة** (راجع Louvre E. 7855; Corpus Louvre Pl. XVII No. 6; Ryl III P. 21 No. 25.

والخطاب الأول من فرد يدعى زفمين لسيدة تدعى «مترتياس» يخبرها فيه بارسال ثلاث رسالات من المؤن ويطلب اليها أن تخبره بوصولها • كما يخبرها ان ماتحتاج اليه سيقوم به رجل يدعى «زخى» Zekhe

والخطاب الثانى كذلك من «زفمين» الى «زخى» السابق الذكر ويذكره فيه بأنه لم يكتب اليه منذ أن رحل الى الجنوب ويأمره بأن يعتنى بشئون «مترتياس» وطفلها وتاريخ الخطاب الثانى هو السنة الثانية عشرة الثامن من شهر هاتور (والعنوان كتب على ظهر الورقة) •

وهذان الخطابان قد كتبا معا فى عمود واحد • ويلحظ أن «زخى» المذكور هنا هو ابن فرد يدعى ديخنس وقد جاء ذكره فى وثائق لم تنشر بعد •

(٩) **منحة أرض** : (راجع Corpus Louvre facs. 4, P. 2 facsimile Ibid Pl. XXV No. 25, Ryl. III, P. 22 No. 26).

السنة الخامسة عشرة شهر هاتور يعطى بسمتيك ـ منخ ١٠ + ١ أرورات من أرض آمون فى «قفط» اسمون وهو سقاء فى جبانة طيبة بصفة وقف لقبر والدته «تستننحور» وكانت (هـذه الأرض) جزءا من اثنين وعشرين أرورا اشـتراها من « سـن » فى شهر بئونة من السنة الرابعة عشرة ، وكان «سن» قد اشتراها فى بشنس من نفس السنة من « وتنفر » الذى كان والده «حاروز» قد اشتراها فى السنة الثالثة من عهد « واح اب رع » من « اسخنس » . واسخنس هذا كان قد تزوج نيتوكريس وتسلم الأرض بمثابة مهر من والدها «بدوزير» بن ونأمون فى برمودة من السنة السابعة والثلاثين من عهد «بسمتيك الأول» والواهب يسلم أربع وثائق ملكية أى اثنتين قديمتين أعطيتا «سن» بوساطة «وتنفر» والبيع كان بوساطة «وتنفر» الى «سن» والبيع بوساطة «سن» الى « بسمتيك منخ » . امضاء الكاتب وامضاآت « بسمتيك منخ » ووارثه .

وقد كتب على ظهر الوثيقة ست عشرة شهادة يتبعها امضاء الكاتب لاقليم «قفط»

(١٠) ورقةحسابات : راجع Louvre, F 784 bis, Ryl III, P. 22

السنة التاسعة والعشرون (؟) شهر توت وتواريخ أخرى لسنة ٣٣

(١١) ورقة بيعشخصلنفسه بوصفه ابنا : (راجع) Louvre, F 7832; Facsimile in Revue Egyptologique Vol. III, Corpus Louvre Pl. IX. No. 8, Ryl. III, P. 22 & 57.

الترجمة : السنة الثانية والثلاثون شهر هاتور من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة أحمس له الحياة والفلاح الصحة .

أعلن حور ين «بتيسى» الذى تدعى أمه توعو سقاء الوادى (المسمى) « يتورروز » ابن «زخى» الذى تدعى أمه «يتورو» : لقد جعلت قلبى يتفق على فضتى لأجل أن يقوم لك مقام الابن . وانى ابنك وكذلك أولادى الذين سيولدون لى مع كل ماهو ملكى وتلك الأشياء التى سأكسبها .

وليس هناك رجل فى الأرض سيكون فى قدرته أن يجرى سلطانه على غيرك بما

فى ذلك الوالد والأم والاخ والاخت والبنت والسيدة أو أى فرد يدعى تويضا (؟) وكذلك أنا نفسى •

وان أولادى هم أولاد أولادك الى الأبد وسرمديا •

وان من سيأتى اليك بسببى ليأخذنى منك قائلا «انه ليس ابنك من أى رجل فى الأرض تا فى ذلك الوالد والام والاخ والأخت والابن والبنت والسيد والسيدة أو أى فرد يدعى تعويضا (؟) وكذلك أنا نفسى فانه سيعطيك أى فضة وأى غلة ترضى قلبك • وانى لازلت ابنك مع أولادى الى الأبد •

الكاتب الشاهد نحمسحنس بن ينحارو •

وهذه الوثيقة شهد عليها اثنا عشر شاهدا على ظهر البردية

(١٢) ايصال ضرائب أجرة أرض أو باكورة حصاد (؟) (راجع Louvre E. 7835
Facsimlie in Corpus Louvre Pl. IV No. 13, Ryl III, P. 22

السنة الرابعة شهر بامنحتب : من أجل أرض فى ضيعة آمون فى حقل باحيالواقعة فى الغرب فى أقليم حفظ دفع بوساطة يتورور لكتاب معبد آمون عن السنة ٣٣-٣٤

امضاءات كاتب الغلة وكاتب آمور فقط وأربعة آخرين

(ويلحظ أن هذه الصكوك تمضى دائما على وجه الوثيقة)

(١٣) صك كالسابق (راجع (Louvre E 7838; Facsimile in
Corpus Louvre Pl. XII No. 11. Ryl. III, P. 22.

السنة ٣٥ شهر طوبه : وهو كالسابق عن سنة ٣٤-٣٥ • وقد أضيف اليه امضاء واحد أكثر من السابق •

(١٤) صك كالسابق (راجع (Louvre E. 7834, Ryl. III, P. 22

السنة الخامسة والثلاثون شهر طوبة : وهو كالسابق من راع يدعى «يتورو» وأخوه «بدمونت» ومعه يتورور عن السنة ٣٤-٣٥ • الامضاءات كالسابق

(١٥) اتفاق عن زراعة (راجع Louvre E. 7836; Ryl. III, P. 23.

السنة الخامسة والثلاثون شهر أبيب بخصوص راعى «منتو» المسمى «برمنتو» لأجل زراعة مزرعة وقف ليتورروز فى السنة ٣٦ • على أن يقسم المحصول بالتساوى بين صاحب الملك والمزارع •

(١٦) عقد اشتراك فى عمل : (راجع Louvre E. 7843; Facsimile in Corpus Louvre Pl. XXVI, No. 26; Ryl. III, P. 23

السنة الخامسة والثلاثون شهر مسرى • يعترف «كاوسنموت» بأن «يتورروز» شريك له فى واجباته وفى كل فوائد (بوصفه سقاء) فى المقابر الخاصة بدمنستو» و«زدمنتفعنخ»•

(١٧) عقدانفاق على زراعة•(راجع Louvre E. 7833, Ryl. III, P. 23

السنة السادسة والثلاثون شهر بشنس : أقرض السقاء «وزحور» زوج ثيران للراعى « بدمنتو » لأجل حرث أرض (الدخل يكون لأخيه المتوفى (؟)) من أول سنة ٣٦-٣٧ على أن يعطى ثلث المحصول وزحور من الارض بمثابة حق أخيه وسيدفع منه أجر كتاب آمون وكذلك ثلاثة الارباع مما ينبغى لوزحور مقابل أجر زوج الثيران ويكون الربع لأجل «يدمنتو» مقابل زراعة الأرض •

(١٨) عقد اتفاق على زراعة•(راجع (Louvre E. 7833, Ryl. III, P. 23

السنة السادسة والثلاثون شهر بشنس • أعار «وزحور» ثورا وكذلك الراعى«بدمنتو» وشركاؤه خمسة ثيران فيكون الكل ثلاثة أزواج ثيران لأجل حرث أراضى«وزحور» فى سنة ٣٦-٣٧ • وكان وزحور يأخذ ثلث محصول الأرض بعد (؟) دفع الكتبة سدس الباقى ، ويأخذ «بدمنتو» وصحبه خمسة الاسداس الباقية ؟ واذا سحب «وزحور» نفسه من هذا الاتفاق فانه يدفع دبنا من الفضة (غرامة) •

(١٩) عقداتفاق على زراعة :(راجع (Louvre E. 7839, Ryl. III 23

السنة السابعة والثلاثون شهر بشونة كلف «بدآتوم» حارس النحـــل فى معبـــد الاله «منتو» بزراعة الأرض التى تؤلف وقف قبر «زخى» من قبل السقاء «يتورروز» ابن

«زخى» عن سنة ٣٧-٣٨ وسيدفع كتبة آمون ويعطى باقى المحصول يتـــورروز ثم يرحل ٠ »

(ومن منطوق هذا الاتفاق نفهم أنه لم يأخذ أجرا على هذا العمل وعلى ذلك يحتمل انه كان عليه أن يؤدى التزاما سابقا فرض عليه ٠)

(٢٠) رســــالة اعمــال ٠(راجع Louvre E. 7540, Ryl. III, 23

(رسالة) من بدآمون ملاحظ الجبانة لسيده الكاهن والد الاله «زخى» يعترف بتسلم ثور مستحق للأوقاف الآلهية لآمون من «بميى» بصفة أجر للمصاريف الجنازية الخاصة ب « بدحارب بك » السنة الثامنة والثلاثون شهر مسرى ٠»

(٢١) رسالة أعمال . (راجع Louvre E. 7854, Ryl. III, P. 23

من «زدخنسفعنخ» الى «بدمنستو» كاهن آمون أن ابنى «زخى» ٠٠ مين و «يتورزو» قد دفعا ضريبة غلتهم وانه يطلب أن يجرى الايصال بذلك لهما ٠ (هذه الرسالة ليست مؤرخة ولكنها من هذه المجموعة ٠)

(٢٢) ٠ وثيقةبالاعترافبحقوق

راجع **Vienna, Munzkabinette; Krall Studien zur Geschichte II, 19 (Sitzungsberichte der Kais. Akad. Wien. 1844, P. 345). Ryl. III, P. 24**

السنة ٠٠٠ شهر طوبة : يعترف «رر» (؟) بن «حريرم» و«انتوتهتس» وهو سقاء وادى طيبة ، أن نصف ممتلكاته وهو نصف ممتلكات والديه هو ملك أخيه «بشنيسى» (هذه الوثيقة ممزقة والتاريخ مفقود ولكن اسم الملك قد حفظ فيها) ٠ وهى وثيقةهامة لانه يوجد عدد من الوثائق لهذه الأسرة لا تزال محفوظة فى متاحف مختلفة وترجع الى عهد الملك «دارا» ٠

تعليق : ان هذه الوثائق الديموطيقية التى يرجع تاريخها لعهد الملك احمس الثانى وهو الذى عمر طويلا فى الحكم تقدم لنا صفحة جديدة فى صميم تاريخ الحياةالاجتماعية التى كان يحياها الشعب فى تلك الفترة من تاريخ مصر الحافل بالذكريات الخالدة ٠

والطريف فى هذه الوثائق أنها كتبت بلغة الشعب وبأفراد من صميم الشعب وقد تناولت شتى الموضوعات التى لا نجدها فى أى فترة من فترات العصور التى سبقت ذلك العهد بهذه الصورة الوضاءة المبينة ، فقد كشفت لنا هذه ا لوثائق عن علاقات طبقات الشعب بعضها ببعض ، فحدثتنا عن الاستعباد ومداه وانه لم يكن بمعنى الاستعباد الذى لم ينقرض من العالم الحديث الا منذ زمن قليل جدا والواضح أنه لم يظهر فى مصر فى تلك الفترة الا على أثر الفوضى والحروب الداخلية التى حدثت فى البلاد ، ومع ذلك لم يكن هذا الاستعباد الا لفترة من الزمن يصبح الفرد بعدها حرا لأن كل فرد فى مصر كان ملك الدولة فى السلم والحرب . هذا ويلحظ فى عقود العبودية أن الفرد كان يدفع بنفسه وأولاده الى العبودية لمن يشتريه بمبلغ من المال وسلفيه . والظاهر أن زوج العبد كانت لا تدخل ضمن العقد بل كان هو وأولاده فقط عبيدا الى الأبد كما جاء فى الوثائق . وتدل الاحوال على أن الرجل الذى كان يبيع نفسه قد يكون مزارعا ثم قضت عليه أحوال قاسية أن يكون عبدا وذلك بسبب دين اقترضه ليدفع منه أجر الطبيب لمرض قاتل ألم به ، ولم يكن له سبيل للحصول عليه بغير ذلك ومن ثم كان يخرج مثل هذا الفرد من عداد المواطنين أصحاب الحقوق فى البلاد . ومن الطريف أننا نجد فى وثائق العبودية أن مالك العبد كان له الحق فى أن يبيعه لغيره كأنه سلعة . وقد كان ثمن العبد فى تلك الفترة عشرين أردبا من القمح أو بعض دبنات من الفضة وقد كان هناك نوع آخر من العبودية عن طريق التبنى فكان الفرد يبيع نفسه لآخر مقابل مبلغ من المال على الرغم من أن والديه على قيد الحياة ويعترف الفرد المتبنى فى العقد الذى أبرم بينه وبين والده الجديد أنه اذا أراد أحد أفراد الأسرة استرداده فانه كان عليه أن يدفع المبلغ الذى يرضيه من الفضة والقمح .

ولدينا من جهة أخرى وثائق بيع أخرى للماشية وبخاصة البقرات فكان هناك تمييز بين البقرة التى تجر المحرات والبقرة الولود ثم البقرة التى لا تلد وتفاصيل شروط البيع شيقة ممتعة فقد كانت البقرة تباع هى وتتاجها من الذكور والاناث الكبير منها

والصغير ، وكان البائع ملزما برد ثمن أى ولد من أولادها اذا أدعى ملكيته آخر وزيادة فى تحديد صفة البقرة المباعة كانت تذكر باسمها الذى كانت تسمى به . ويلحظ هنا أن قدر الغرامة فى تلك الفترة كان يقدر بالأشياء العينية لا بالعملة التى لم تكن قد استعملت فى تلك الفترة فقد جاء فى عقد بيع بقرر أن البائع قد تعهد للمشترى بدفع أردب من القمح اذا ادعى آخر ملكيتها وثبت ذلك . هذا فضلا عن أنه كان يدفع مثل هذا التعويض عن كل عجل أو عجلة من نتاجها . وعلى أية حال فان الغرامة كانت تدفع أحيانا ناقصة ولكنها لم تكن من عيار محدد . ومن الطريف أن البائع كان يشترط انه اذا أخذت البقرة من مالكها الجديد فانه كان على البائع أن يدفع الثمن وفضلا عن ذلك يعوضه عن كل نتاج من نتاجها بمثله .

ويلفت النظر فى هذه العقود كذلك الاتفاقات الزراعية . والواقع أنها تشبه فى كثير من الاحوال مايجرى فى مصرنا الآن فما أشبه اليوم بالأمس فلدينا من هذا العهد اتفاق عقد بين راع ومشرف على أرض أوقاف على أن يأخذ الراعى النصف من المحصول ويترك النصف للوقف فما أعدل هذه القسمة وليتها كانت جارية فى أيامنا على هذا الوضع .

ولدينا اتفاق آخر من نوع جديد هو أن تقوم جماعة من الذين يملكون الماشية بحرث أرض بوساطة ثلاثة أزواج من الماشية لصاحب الأرض منها ثور واحد . وذلك على أن يأخذ صاحب الأرض ثلث المحصول وذلك بعد دفع أجر الكتبة وهو سدس الباقى أما أصحاب الماشية الآخرون فيأخذون الباقى وهو خمسة أسداس واذا نقض صاحب الملك هذا الشرط فكان عليه أن يدفع غرامة قدرها دبن من الفضة . وهذا نفس مانجده فى أيامنا هذه فى كثير من جهات القطر وبخاصة الافراد الذين يحرثون الأرض ويروونها فى مقابل جزء من المحصول .

ولدينا اتفاق آخر من هذا النوع مع نفس صاحب الملك السابق ولكن بشروط مختلفة بعض الشىء . وأخيرا نجد فى هذه الوثائق اتفاقا غريبا فى بابه يكلف شخصا

بعينه القيام بزرع قطعة أرض وقف على أن يدفع من المحصول أجر كتاب «آمون» ثم يعطى الباقى للمشرف على الوقف ثم يغادر الأرض . والظاهر هنا أنه كان هناك اتفاق خاص يحتم على المزارع القيام بمثل هذا العمل . فقد يجوز أنه كان مدينا لصاحب الوقف . ويلفت النظر فى مثل هذه الاتفاقات أن الكتبة كان لهم مرتب خاص من محصول هذه الأراضى سواء كانت أوقافا أم ملكا خاصا ، ولا غرابة فى ذلك فان الكتبة كانوا فى كل عصور التاريخ المصرى لهم مكانة عظيمة فهم الذين يقومون بعمل الحسابات الخاصة بكل الاطيان ودخلها وكانت هذه حرفتهم التى يمتازون بها .

ننتقل بعد ذلك الى الاعمال الحسابية والصكوك التى كانت تحرر عن المخالصات المالية وهنا كان يلعب الكتاب دورا عظيما . فلدينا صكوك يعترف فيها بدفع الضرائب من الأطيان أو المحاصيل الاولى أو الايجارات ممضاة من الكاتب الذى كان يتسلم الضريبة وهو مايقابل الصراف فى عهدنا الحاضر

وقد وجدنا بين هذه الوثائق التى نحن بصددها بعض رسائل أعمال منها رسالة يعترف فيها مرسلها بأنه تسلم ثورا كان مستحقا لأوقاف آمون وذلك بصفة أجر لمصاريف جنازية لفرد معين . وأخرى من كاهن لآخر يذكر فيها أن ابنى فرد يدعى «زخى» قد دفعا ماعليهما من ضرائب من الغلة ويطلب أن يعطيا ايصالا بذلك . هذا ولدينا وثيقة بدفع دين مقداره سبعة دبنات من الذهب مقابل بضائع سلمت وقد تحدثنا فيما سبق عن عقود الزواج فى مكان آخر ولدينا عقد من هذا النوع لا يختلف كثيرا عن العقود السابقة

أحمس الثانى وأسرته

لم تسعفنا المصادر التى فى أيدينا حتى الآن للوصول الى نتيجة حاسمة عن أصل أسرة الملك «أحمس الثانى» ، وبخاصة عندما نعلم أن الكتاب الاغريق لم يذكروا لنا شيئا معينا عنها . وسنحاول أن نستعرض هنا مالدينا من معلومات أثرية وكذلك ماوصل الينا من أقاصيص أسطورية أغريقية ثم نستنبط من كل ذلك نتيجة على حسب ماتسمح به الاحوال والملابسات ، وبخاصة عندما نعلم أن المؤرخين والأثريين قد اختلفت آراؤهم اختلافا بينا فى أصل أحمس الثانى ، فمن قائل انه من أصل نبيل ، ومن قائل انه من أصل وضيع . وقد استند كل فريق على أسانيد أثرية أو غير أثرية مما ذكره الكتاب الاغريق ونقل عنهم .

(١) **المصادر الاثرية :** جاء ذكر موظف كبير يدعى «احمس سانيت» (أى أحمس بن الآلهة نيت) على تابوت والدته التى تدعى «تابرت» ، وكذلك جاء ذكر «احمس سانيت» مع أمه هذه على حوض قربان من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف «اللوفر» (راجع .(Piehl, A. Z. XXVIII, P. 10 - 12

ونجد أولا فى نقوش تابوت والدته المتن التالى : المقربة من زوجها المعروفة لدى الملك «واح ــ اب ــ رع » (= ابريز) «تابرت» . وعمرها سبعون سنة وأربعة أشهر وخمسة عشر يوما . واسم أمها هو «مربتاح ساحابى» ؛ وانه ابنها الذى أنجبه لها حامل الخاتم الملكى للوجه البحرى والسمير الوحيد ، ورئيس القصر وكاهن «ازيس» والمشرف على قاعة المحاكمة «أحمس سانيت» . ومن ثم نشاهد أن نقوش هذا التابوت تقدم لنا اسم والدة « تابرت » وهى « مربتاح ساحابى » واسم زوجها وهو « واح اب رع » .

هذا ولدينا حوض القربان السالف الذكر . جاء عليه النقش التالى : الامير الوراثى

والسمير الوحيد ورئيس القصر ، والمشرف على العرش ورئيس المعابد ورئيس الأشياء السرية لكل أمور الملك ومحبوب سيده والمسيطر على عقله أى موضع ثقته ، ورئيس قاعات الاستشارة الملكية والمشرف على قاعة العدالة (= المحكمة) «أحمس سانيت» بن «واح اب رع» والذى وضعته «تابرت» .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كلمة ابن التى جاءت بعد كلمة «نيت» قد استعملت مرتين احداهما فى اسم احمس سانيت والأخرى فى نسبة «أحمس» لأبيه أى «أحمس سانيت» بن «واح اب رع» . وقد ظن الأثرى «رفييو» ان «احمس سانيت» بن « واح اب رع» والسيدة «تابرت» هو الرجل الذى صار فيما بعد الملك «أحمس الثانى » ، وذلك على الرغم من معارضة الأثرى «بيل» فى ذلك وقد عاضده الاستاذ «برستد» (راجع Br. A. R. IV, §§ 999 - 1001) فقد استنبط من النقوش السالفة الذكر قوله : كانت أمه (أى أم أحمس) لها صلة بالملك ويحتمل أنها كانت ذات صلة رحم «بابريز» ، وعلى ذلك فان هذه العلاقات القوية قد ساعدت «أحمس» على اغتصاب الملك ، وبذلك تكون قصة « هردوت » عن أن «أحمس» كان من أصل وضيع لا أساس لها من الصحة ولكن يحدثنا الاثرى « بترى » (Petrie, Hist. III, P. 350) مقترحا أنه اذا كان اسم « أحمس » قد وضع فى طغراء فان ذلك يدل على وجود اسم ملك قبله وعلى ذلك فان «أحمس بن نيت» كان ملكا عاش بعد الملك « أحمس » . وقد عارض هذا الرأى كل من الأثرى « فيدمان » (راجع Agyp. Gesch. P. 645, Gesch. Agypt P. 176 كما عارضه الاثرى « بيل » (راجع Rec. Trav. 22, P. 142 - 3 (راجع A. Z. 28 P. 10 - 12 ، والأثرى « دارسى » Nr. CLXXV; Comp. Gauthier, L. R. IV, P. 128 - 9 No. 2.

والواقع أنه لايمكننا أن نستنبط بوساطة ماجاء فى النقوش التى على حوض ماء القربان المحفوظ باللوفر ، وماجاء على التابوت المحفوظ فى متحف فى «استكهولم» أن الموظف العظيم « أحمس سانيت » بن « واح اب رع » والسيدة « تابرت » هو نفس الملك

« أحمس الثانى » فيما بعد . والى أن تأتينا معلومات أوفى فانه يستحسن أن نعتبر كلا من الشخصين منفصلا عن الآخر . وعلى أية حال فان ماذكره « هردوت » عن «أحمس» يتعارض مع ماذكره « برستد » فى أنه كان شخصية عظيمة ذات مكانة علية فى القصر الملكى ، بل كان جنديا من أصل وضيع ، وتلك هى الرواية الاغريقية . وعلى الرغم مما جاء فى هذه الرواية من مبالغة ، وما يحتمل أن يكون فيها من بعض عناصر اغريقية دخيلة فانها رواية مصرية فى أصلها ، يعزز ذلك ماجاء فى القصة الخاصة بأحمس والملاح ويرجع تاريخ هذه القصة الى القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد كتبت بالديموطيقية (راجع ماجاء على ظهر ورقة الحوليات الديموطيقية Demotischen Chronick, Spiegelberg, Demotische Chronick P.P. 26 - 28; Comp. Edward Meyer, Kleine Schriften II, P. 93

ففى هذه القصة وصف « أحمس » بأنه رجل يصرف وقته فى الملاذ ومعاقرة بنت الحان ؛ وهاك ما جاء فى هذا المتن الذى وصل الينا ناقصا ولكن يرمى ضوءا على حياة « أحمس الثانى » من الوجهة المصرية :

(١) يحكى ذات مرة فى عهد الفرعون «أحمس» أن الفرعون قال لعظماء بلاطه . سأشرب نبيذ «كولوبى» (٢) ، وعندئذ قالوا يا مليكنا العظيم انه من الصعب شرب نبيذ « كولوبى » ، وعندئذ قال لهم لا تعارضوا ما أقول . فقالوا يا سيدنا العظيم ليت الفرعون يفعل مايريد . فقال الفرعون فليذهب رجل الى البحر لينفذ ما أمر به الفرعون ، وهناك أكل الفرعون مع نسوته ، حيث لم يكن هناك أى نبيذ فى العالم أمامهم الا نبيذ « كولوبى » ، وبذلك كان الفرعون فرحا مع نسوته ، وشرب كمية عظيمة من النبيذ بقدر ما اشتهت نفس الفرعون من نبيذ «كولوبى» .

ثم نام الفرعون طلبا للراحة على البحر فى نفس الليلة ، وذهب تحت كرمة فى الجهة الشمالية (حيث النسيم العليل) وعندما انبلج الصباح لم يكن فى مقدور الفرعون أن يقف بسبب انحراف مزاجه (من السكر) ، وعندما اقترب الوقت (الذى كان

يجب على الفرعون أن يستيقظ فيه) لم يكن فى استطاعته أن يستيقظ ، وعندئذ حزن رجال الحاشية ، وعلى ذلك قالوا هل شيء مثل هذا ممكن ؟ فقد حدث أن الفرعون قد ألم به انحراف كبير ولم يكن فى استطاعة أى رجل فى العالم أن يذهب ويتحدث الى الفرعون . وعندئذ ذهب رجال الحاشية الى المكان الذى كان فيه الفرعون وقالوا ياسيدنا العظيم ما الذى ألم بالفرعون ؟ وعنـدئذ قال الفرعون : انى أشعر بانحراف عظيم (وحسب) ، ولا يمكننى أن أقوم بأى عمل فى العالم ، ولكن انظروا : هل يوجد بينكم رجل يقص على قصة يمكن أن يسرى بها عنى ؟ وكان هنالك كاهن فقط للالهة «نيت» بين رجال الحاشية يدعى «بدسوتم» (؟) وكان رجلا فطنا فانبرى أمام الفرعون وقال ياسيدى قد يجوز أن الفرعون لم يكن قد سـمع بعد قصـة البحار الذى يسمى «حوروس» بن «سيوزيريس» بن «أوزير» .. يدعى . وكان يعيش فى زمن الفرعون .... وكانت زوجته تدعى « شبت مرت » وكانت تنادى باسـمها « عنخت » وكان اسم البحار الذى ينادى به هو « بتيسى » وكانت تحبه ويحبها أيضا . وقد اتفق ذات يوم أن الفرعون أرسله الى « دفنى » (ادفينا) فاستيقظ فى اليوم التـالى وفى قلبه هم أليم بسبب ما أمره به الفرعون لقد كان عبئا عليـه أن يذهب الى « دفنى » ويعود فى نفس اليوم . ومن ثم وقع فى هم جسيم ، اذ لم يكن فى مقـدوره أن يعارض الأمر الذى أمره به الفرعون ... ، وهنا ينقطع المتن..

ومن هذه القصة المبتورة نفهم أن ماجاء على لسـان « هردوت » وغيره مما ذكرناه آنفا عن « أحمس الثانى » وما اتصف به من لهو ولعب قد تتفق بعض الشيء مع ماجاء فى هذه القصة التى ترجع الى أصل مصرى صميم وتشعر بأنه لم يكن يسـير سيرة الفراعنة الذين هم من دم ملكى .

ازواج « أحمس » :

(١) تنت ـ ختا : جاء ذكر زوج « أحمس الثانى » التى تدعى « تنت ـ ختا » على لوحة عثر عليها فى « السربيوم » وهى أم الفرعون « بسـمتيك الثالث » (راجع

Stele du Serapeum au Musée du Louvre (No. 309); Chassinat Rec. Trav. XXI, P. 63; Brugsch, A. Z. XIII, P. 163; Haig A. Z. XVII, P. 195 - 196; Revillout, Rev. Egyptologique II, P. 96.

ويدل ماجاء على هـذه اللوحة أنها كانت زوج « أحمس الثانى » وأم « بسمتيك الثالث بن « أحمس الثانى » . وكانت هذه الملكة ابنة كاهن بتاح المسمى « بدنيت » راجع ماكتبته مس « بتلز » فى هذا الصدد

Miss Buttles, The Queens of Egypt P. 224 - 225.

(٢) نخت سباستت رو (؟) لدينا لوحة من آثار «سربيوم» منف محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » جاء عليها اسم ملكة تدعى « نخت سباستت رو » (راجع Chassinat, Rec. Trav. XXII, P. 171 وكانت تلقب بزوج الفرعون « خنم — اب — رع » وهو لقب الفرعون « أحمس الثانى » ، ولدينا كذلك مقبرة فى الجيزة تحمل رقم ٨٣ وكذلك تابوتان يحملان رقمى ٧٦٦و٧٦٧ وكلها بمتحف « ارميتاج » فى « بتروجراد » . والتابوتان ينسبان الى فرد يدعى « أحمس » وأمه تدعى « نخت سباستت رو » (راجع L. D. III, 274 f - h; L. D. Texte I, P. 98; Golenischeff, Inventaire de la Collection de L'Ermitage P. 94 - 97

ويلحظ أنه فى نقوش هـذا القبر قد هشمت ألقاب وأسماء هذين الشخصين ، ويحتمل أن ذلك كان قد وقع بعد الفتح الفارسى . ومع ذلك لا يمكن أن نجزم أن اسم الملكة الذى جاء على لوحة اللوفر هو اسم نفس الشخص الذى جاء فى نقوش المقبرة والتابوتين السالفة الذكر . والواقع أنه اذا أمكن توحيد ماجاء على هذه الآثار بصفة قاطعة فانه يمكننا أن نضيف اسما جديدا لأولاد « أحمس الثانى » ويدعى بدوره « أحمس » ويكون قد أنجبه من الملكة « نخت سباستت — رو » . وقد أشار الأثرى « بترى » (راجع Petrie, Hist. III, 349) وكذلك مس « بتلز » فى كتابها عن ملكات مصر الى « نخت سباستت رو » و « احمس ابنها » (راجع Miss Buttles, Ibid. P. 225)

ابناء احمس الثانى :

(١) **بسمتيك** : جاء اسم هـــذا الأمير على لوحة السربيوم السالفة الذكر ، وقد سمى ابن الملك « خنم اب رع » العائش أبديا « بسمتيك » ، وهو الذى أصبح فيما بعد « بسمتيك الثالث »

(٢) **احمس** : جاء ذكر هذا الابن فى نقوش مقبرة « الجيزة » الســـالفة الذكر : « أحمس » المرحوم سيد الاحترام .

(٣) « **باش خنس** » : جاء ذكره على لوحة السربيوم السالفة الذكر فى النص التالى : الابن الملكى محبوبه والسمير الوحيد لملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين « خنم اب رع » المسمى باش خنس »

« **بنات أحمس الثانى** » : لم تعرف « لأحمس الثانى » بنات على وجه التأكيد ، وكل ما وصل الينا فى هذا الصدد أنه قد ذكرت أميرة تدعى « تاخرد است » على الجزء الأعلى من تمثال مصنوع من الجرانيت الرمادى ويقول عنها كل من «بدج» و «بترى» أنها ابنة الملك « أحمس الثانى » (راجع
Egyptian Galleries Sculpture, P. 225 No. 814

هذا وقد ذكر لنا كل من « لبسيوس » و « رفييو » و « بركش » و « بوريان » و «بدج» الأميرة «تاخرد است» بوصفها ابنة «احمس الثانى» دون ذكر المصـــادر التى أخذوا منها معلوماتهم (راجع L. R. IV, P. 131 b)

هذا ومما يطيب ذكره هنا أن الأثرى «بدج» لم يفرق بين ابنة «احمس» هذه وبين جدتها التى كانت تحمل نفس الاســم ، اذ نجده قد نسب كل ما وجد من آثار بهــذا الاسم الى أم « أحمس » وقد حذف اسم ابنته كلية (راجع
Budge, Book of the Kings II, P. 288.

أخت «احمس الثانى» :

سا است : وتلقب الزوجة الملكية . وجد اسم الأميرة على جعران فى متحف تورين (No. 325) (راجع Petrie, Historical Scarabs, No. 1998)

ويقول « بترى » ان هذه الزوجة الملكية كانت أخت « أحمس الثانى » ، غير أنه على على حسب مالدينا من آثار لانعرف شيئا أكيدا عنها ، فقد يجوز أنها كانت ابنة «احمس الثانى » وزوج « بسمتيك الثالث » ؟ وعلى أية حال فان الابنة الملكية « تاخرد — ن — است » لم تكن أخت « أحمس » كما اقترح ذلك كل من « بركش » و « بوريات » لأنها فى الواقع كانت من دم ملكى كما يدل على ذلك لقبها . ونحن نعلم من جهتنا أن «أحمس» لم يكن ابن ملك ولا من دم ملكى ، وعلى ذلك فانه غير محتمل أن تكون أخته من دم ملكى (راجع L. R. IV, P. 131

وهكذا كما ذكرنا آنفا تحوم الشكوك حول معظم الأفراد الذين نسبوا الى «أحمس الثانى » والقول الأرجح أنه لم يكن من دم ملكى قط .

عظماء الرجال فى عهد « احمس الثانى »

(١) «بفنفدينيت» كبير الأطباء : خلف لنا هذا العظيم عدة آثار هامة تكشف لنا النقاب عن سابق خدمته فى عهد الملك « ابريز » بوصفه رئيس أطبائه ، كما كان يشغل مكانة علية فى ادارة المالية . وتدل شواهد الأحوال على أن « أحمس » قد كسبه الى جانبه خلال المشاحنات التى قامت بينه وبين « ابريز » وقد شغل نفس الوظائف التى كان يشغلها فى عهد سيده الأول ابريز فكان يعمل طبيبا أول فى عهده

وأهم آثار هذا العظيم تمثال غاية فى الجمال يمثله واقفا ممسكا أمامه محرابا صغيرا موضوعا على قاعدة ، وفى هذا المحراب صورة الاله أوزير (راجع Louvre A 93; Pierret, Recueil d'Inscriptions du Louvre II, 39=Brugsch, Thesaurus VI, 1251 - 54 (incomplete); Piehl, A. Z. 32, P.P. 118 - 22; Baillet, A. Z. 1895, P. 127 ff; Boreux, Guide - Catalogue Sommaire I, P. 57 f; Br. A. R. IV, §§ 1015 - 1025

وتدل شواهد الأحوال على أن تمثال «اللوفر» هـذا كان قد أقيم فى «العرابة» وقد نقش عليه متن يقص علينا جلائل الاعمال التى أنجزها «بفنفدينيت» لاعلاء شأن الاله « أوزير » ومعبده ، وقد ادعى لنفسه احترام هـذا الاله وكهانته ، وذلك لأنه كان دائما يقدم كل ماتحتاج اليه بلدة « العرابة المدفونة » المقدسة أمام الملك « أحمس » ؛

وقد حقق لمعبد العرابة ثروة ومباني كثيرة . وقد كان يقوم بنفســه بالاشراف على انجاز بعض هذه الاعمال كما شارك في تمثيل مسرحية الاله « أوزير » في « العرابة » نفسها (راجع ماكتبناه عن هذه المسرحية فى الجزء الثالث مصر القديمة ص ٥٠٧ — ٥١٤) .

وقد كان نشاطه المستمر متجها لانماء عبادة الاله « أوزير » على الرغم من أنه لم يكن عضوا من الأسرة المالكة حتى أنه كان مثالا يلفت النظر الى ماكان عليه القوم من حماس ديني وغيره فى هذا العهد ، وقد وصف لنا « هردوت » هـذا الحماس الديني فى كتابه عن مصر .

وفضلا عن ذلك قام هذا العظيم بعمل جليل للاله أوزير يلفت النظر بصورة بارزة وذلك أن أحد أخلاف أسرة طينة القديمة التى كان حكامها لايزالون على قيد الحياة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة قد جرد من دخله من الواحة الكبرى كما جرد من دخل المعبر المحلى (المعدية المحلية) الذى كان يملكه وقد استولى « بفنفدينيت » عليه وأضاف دخله الى دخل خزانة الاله « أوزير » ، وعلى ذلك أصبح الدخل الذى يأتى من الواحة مخصصا لسد المصاريف الجنازية الخاصة بأهل العرابة . ولا غرابة فى ذلك فانا نجد أن عبدة الاله « أوزير » فى الواحات وبخاصة الواحة البحرية منتشرون بصورة بارزة . والواقع أن قصة المحاكمة أمام الاله « أوزير » قد رسمت على جدران كل المقابر الهامة التى كشفت فى هذه الواحة بصورة تلفت النظر مما لا نجده فى كثير من مقابر عظماء القوم فى وادى النيل نفسه بهذه الصورة وهذا أمر طبيعى يرجع سببه لوجود طريق مباشرة بين الواحات والعرابة ، ولما كان لآلهها الأكبر من مكانة علية . وسنرى ذلك عند التحدث عن علاقات مصر بالواحات فى عهـد الأسرة السادسة والعشرين وبخاصة فى عهد كل من حكم الملكين « ابريز » و « أحمس الثانى »

نعود الآن الى ترجمة نقوش هذا التمثال :

ألقاب « بفنفدينيت » : الأمير الوراثى ، والحاكم والسمير الوحيد ورئيس القصر

والطبيب الأول والمشرف على الخزانة المزدوجة ، والعظيم فى القاعة ، والعظيم المقرب فى بيت الملك ، والمدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» الذى أنجبه رئيس المعاقل ، والحاكم المحلى فى « دب » ، وكاهن حور صاحب « ب » « ساسبك » يقول :

ياكل كاهن مطهر سيقوم بعمل شعائر ، ان أول أهل الغرب (أوزير) سيحييكم عندما تتلون لى صلاة لأجل القربات الجنازية مع السجود لأول أهل الغرب ؟ وعلى ذلك فانكم سترون النعيم أمام الهكم ، لانى كنت أكثر تبجيلا من جلالة سيدى من أى شريف لديه ؟ ولقد كنت انسانا مميزا بسبب ماقد فعله ، فقد كنت صانعا ممتازا مثبتا بيته

عنايته بالعرابة : ولقد نقلت أمور «العرابة» الى القصر لأجل أن يسمعها جلالته . وقد أمر جلالته أن أقوم بالعمل فى العرابة لأجل أن تجهز العرابة ، ولقد عملت بقوة لتحسين العرابة ، ونظمت كل أشياء العرابة (سواء) أكنت نائما أم يقظانا قاصدا صالح العرابةِ بذلك . ورجوت الاحسان من سيدى كل يوم لأجل أن تجهز «العرابة» .

المعبد والمعدات : وبنيت معبد أول أهل الغرب بعمل ممتاز أبدى ، كما أمرنى به جلالته . ولقد رأى الفلاح فى أحوال مقاطعة «العرابة» بما فعلته فقد أحطتها بجدران من اللبنات وأحطت الجبانة بالجرانيت ، وكان المحراب الفاخر من السام والزينات والتعاويذ المقدسة وكل من موائد القربان الالهية من الذهب والفضة وكل حجر ثمين ، وأقمت وبج (المكان المقدس الذى دفن فيه أوزير) ونصبت موائد قربانه وحفرت بحيرته وزرعت أشجاره .

دخل المعبد :

ومونت معبد « أول أهل الغرب » مكثرا ما كان يدخل فيه له وجعلته باقيا بوصفه دخلا يوميا . وقد استوطن فى مستودعه عبيد واماء ومنحته ألف ستاد من الأراضى والحقول من مقاطعة «العرابة» مجهزة باناس وكل الماشية الصغيرة ، ووضع اسمها :

«مؤسسة أوزير» لأجل أن تورد منها القربات الآلهية حتى الأبدية • وجددت له القربات الالهية بغزارة أكثر مما كانت عليه سابقا هناك ، وعملت له خمائل مغروسة بكل أشجار النخيل والكروم وفيها الأهلون من البلاد الأجنبية قد جلبوا بوصفهم أسرى أحياء منتجين ثلاثين «هنا» من النبيذ كل يوم على مائدة «أول أهل الغرب» ، وستجلب القربات من هناك في كل الأبدية •

ولقد أصلحت دار الوثائق المقدسة عندما خربت ، ودونت قربان أوزير ونظمت كل عقوده •

تمثيلية أوزير : وقد صنعت من الأرز القارب المقدس الذي وجدته مصنوعا من السنط • ورددت رئيس المخربين (في التمثيل الدراماتيكي لحوادث أسطورة أوزير) عن العرابة ، وحميت «العرابة» لربها وكافأت كل أهلها

مصادرة أموال الحاكم :

وقد أعطيت المعابد الأشياء التي جاءت من صحراء العرابة [1] وهي التي وجدتها في حيازة الحاكم لأجل أن يدفن منها أهل العرابة • ومنحت المعبد قارب العبور الخاص بالعرابة وهو الذي أخذته من الحاكم ، وذلك لأن أوزير رغب في أن تجهز مدينته • وقد أثنى على جلالته بسبب ماقد فعلته •

صلاة للملك : ليته (أوزير) يمنح الحياة لابنه «احمس سانيت» ليته يمنح الحظوة أمام جلالته والشرف امام الاله العظيم • يأيها الكاهن اثن على الاله من أجلي ، ويا كل انسان خارج ، صلوا أنتم في المعبد ، اذكروا اسمي : مدير البيت العظيم « بفنفديفيت » الذي وضعته نعنسباست ••

---

(١) وهذه لايمكن أن تكون الا الدخل الذي كان يأتي من الواحة الكبرى وهي التي منذ الأسرة الثامنة عشرة كانت ملك حكام العرابة (راجع (Br. A. R. II, 763 وهذا الدخل كان على مايظن قد خصص لدفع مصاريف دفن أهل « العرابة المدفونة » .

(٢) وعثر لهذا الطبيب على مائدة قربان موضوعة فى جامع السلطان «بيبرس»وكان أول من نقل نقوشها وهى فى مكانها الأثرى «فيدمان» (راجع
Recueil de Paris; Sharpe, Egyptian Inscriptions I Pl III; A.Z. 31. P. 86 - 88

وهاك ماجاء عليها : « أوزير » المدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» المرحوم الذىوضعته «نعنسباست» المرحومة . أقدم لك ماءك البارد الخارج من ثديى أمك «نوت» فتحيا منه وتقوى به وتصح بوساطته . وانك تكون فى صحة عندما تكون بجوارها ، وانك تذهب لمقابلة والدك «جب» الذى يمد زراعيه لك . والموت هو عدوك وعضلاتك قوية ، وانك ضممت قلبك الى مكانك فى القبر ، وانك تتسلم عين حور (أى القربان) ، وانك تحصل على السائل الذى فيها ، وان الذى يحيينى سيكون مرتاحا ومحبوبا .

(٣) والأثر الثالث لهذا العظيم هو قطعة من تمثال محفوظة بالمتحف البريطانى (راجع **A. Z. 31 P. 88**) . وهذه القطعة الباقية هى الجذع وقد جاء عليها النقش التالى : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «حعع اب ـ رع» محبوب أرواح عين شمس المقرب ، والمشرف على بيتى المال والطبيب الأول ورئيس الادارة والمدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» . والذى جعله الفرعون ينتقل من وظيفة لوظيفة ، والذى يملأ قلب حور (الملك) بتشريعه ، والرابض الجأش الذى يضع قلبه فى كل أمر يحدث، والذى يفعل مايحبه سيده ، والذى ينجز مايحبه الآلهة .. فى معابدهم ، والذى يوصل متاعهم الى داخل القصر وكبير الاطباء للوجهين القبلى والبحرى ، والمشرف علىالخزانة، والمدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» بن كاهن «آمون ضيه» الوجه البحرى وكاهن«حور» صاحب «ب» (المسمى) ساسبك الذى وضعته كاهنة «نيت» سيدة «سايس» نعنسباست مدير البيت العظيم «بفنفدينيت» : يقول انى كنت محبوبا من سيدى ، ومتجرا فىالأدب وسامعا لشكوى كل انسان . ولقد أسست أوقافا لـ .. أنتم يا .. الأشياء الطيبة لهذا المعبد ، قولوا ليت الملك يكون رحيما ويقدم قربانا : ألفا من الخبز والجعة ومن

كل شيء جميل لروح المدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» • وان الله هنا ليكافيء أعمال أي انسان ولا ينام ولا يفرق •• »

المدير العظيم للبيت «بفنفدينيت» يقول ياكل كاهن مطهر يدخل محراب «أتوم» رب عين شمس احم هذا التمثال واعطه كل الأشياء الطيبة ، بعد أن يستكفى الآله منها، وعليه أن يقول ليت الملك يكون رحيما ويقدم ألفا من الخبز والجعة وكل شيء جميل لروح المدير العظيم للبيت ، لأنه قد وصل الى الشيخوخة فى بلدته وكان مبجلا فى مقاطعته • وانى كنت شريفا وقد فعلت ماهو شريف وجعلت فوائد هذا البلد تصل الى داخل القصر • • »

تعليق :

لا نزاع فى أن المتون التى خلفها لنا «بفنفدينيت» على الآثار الثلاثة التى عثر عليها له تكشف لنا عن عدة أمور هامة فى هذه الفترة المزدهرة من تاريخ هذا الفرعون • وأعجب مافى ذلك أنه قد جمع بين التخصص فى العلوم البحتة كما برز فى أمور الادارة وبخاصة الادارة المالية ، والظاهر أن ذلك لم يكن بالأمر المستغرب فى هذا العصر فسنرى أنه فى عصره وجد من جمع بين العلوم البحتة وغيرها من أمور الدولة • فقد كان «بفنفدينيت» يحمل لقب كبير الأطباء للوجهين القبلى والبحرى كما كان يحمل لقب مدير الخزانة العامة للبلاد قاطبة ، فقد لقب مدير خزانتى الفضة وخزانتى الذهب ؛ هذا فضلا عن أنه كان يحمل لقب المدير العظيم للبيت ، ويقصد بذلك أنه كان المشرف على الاملاك الخاصة ببيت الفرعون ؛ وهذه الوظيفة الأخيرة كان لها خطرها منذ الأسرة الثامنة عشرة (وقد تحدثنا عنها باسهاب فى الجزء الخامس من مصر القديمة ص ٥٢١) •

وعلى أية حال فان هذا العظيم قد وضع أمامنا صورة واضحة عن سبب انتشار عبادة أوزير فى الواحات بصورة بارزة كما أبرز لنا مقدار ماكانت عليه البلاد فى تلك الفترة من الرخاء والثروة بما عمله لمعبد الاله أوزير فى العرابة المدفونة • وهذا يذكرنا

بعصور مصر القديمة وفراعنتها العظام واهتمامهم بقبر أوزير ومعبده فى تلك البلد المقدسة وبخاصة فى عهد سيتى الأول وسنوسرت الثالث (راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٧٩ الخ والجزء الثالث ٥٠٧-٥١٤) .

(٢) الكاهن بسمتيك

وجد لهذا الكاهن بعض لوحات صغيرة محفوظة الآن بمتحف «ليدن» (Leyden ، V, 18 & 19) وقد كتبت بالمداد غير أن كتابتها أخذت فى التلاشى (راجع Piehl, Inscriptions III, XXVIII, G & H) وقد نقلها وترجمها وعلق عليها الاستاذ برستد (راجع Br. A. R. IV, 1026) . والواقع أن قيمة هذه اللوحات تنحصر فيما تقدمه لنا من معلومات تختص بتأريخ هذا العصر . ومن تواريخ هذه اللوحات أصبح فى الاستطاعة تحديد مدة حكم الأسرة السادسة والعشرين وكذلك طول مدة حكم الملك «ابريز» التى لم تكن مؤكدة .

والحسبة كما يأتى : كان عمر «بسمتيك» هذا عند وفاته خمسا وستين سنة وعشرة أشهر ويومين ، فى السنة السابعة والعشرين من حكم الملك «احمس الثانى» فى اليوم الثامن والعشرين من الشهر الثامن وعلى ذلك يكون قد ولد قبل تولية «احمس» بمدة تسع وثلاثين سنة وشهرين وأربعة أيام .

والآن فان يوم ولادته هو اليوم الأول من الشهر من السنة الأولى من حكم الملك «نيكاو» . ومن ثم يكون يوم تولى «نيكاو» عرش الملك يقدر بأربعين سنة قبل تولى أحمس . وعلى ذلك يكون طول مدة حكم الأسرة هو مجموع الاعداد التالية :

بسمتيك الأول	٥٤	سنة
«نيكاو» و «بسمتيك الثانى» و «ابريز»	٤٠	سنة
احمس الثانى	٤٤	سنة
المجموع	١٣٨	سنة

ولما كان سقوط هذه الأسرة قد حدث فى عام ٥٢٥ ق.م فان تاريخ توليها عرش

الملك قد وقع فى (٥٢٥ + ١٣٨) ٦٦٣ ق٠م ٠

ويمكن تحديد مدة حكم «ابريز» من نفس التواريخ التى جاءت على هذه اللوحات فمجموع كل العهود الأخرى هى كما يأتى :

بسمتيك الأول	٥٤ سنة
نيكاو وبسمتيك الثانى	٢١ سنة
ابريز (حذف)	—
أحمس الثانى	٤٤ سنة
المجموع	١١٩ سنة

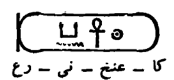
واذا طرح هذا المجموع من ١٣٨ سنة وهو طول حكم الأسرة كلها ، فانه يبقى لنا تسع عشرة سنة ، وهو مدة حكم «ابريز» ٠ هذا ونعلم من لوحة عثر عليها فى الفنتين للملك «احمس الثانى» أن «ابريز» عاش أكثر من سنتين (فقد عاش بعض الوقت فى السنة الثالثة) بعد تولى «أحمس» عرش الملك ، غير أن هاتين السنتين تقعان فى عهد « احمس » ولم تحسبا فى مدة التسع عشرة سنة من حكم « ابريز » المنفرد ٠

وهاك المتن الذى جاء على هذه اللوحات :

السنة الأولى الشهر الثالث من الفصل الثالث اليوم الأول فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وحم اب رع) بن «رع» «نيكاو» ٠

فى هذا اليوم ولد الكاهن والد الاله بسمتيك الذى أنجبه «اعح وبن» والذى وضعته «عنختس» ، وقد كانت حياته الطيبة خمسا وستين سنة وعشرة أشهر ويومين ٠ السنة السابعة والعشرون الشهر الرابع من للفصل الثانى اليوم الثامن والعشرون كان يوم رحيله من الحياة وقد أدخل فى البيت الجميل (هذا هو مكان المحنطين حيث أمضى اثنين وأربعين يوما فى عملية التحنيط ٠ وكما هو ظاهر من مضمون المتن كان الا له «أنوبيس» هو المحنط) وقد أمضى ٤٢ يوما تحت يد «أنوبيس» رب الأرض المقدسة ثم اقتيد فى سلام الى الغرب الجميل فى الشهر الأول من الفصل الثالث (الشهر التاسع اليوم (٠٠٠٠) وحياته فى الجبانة الى الأبد سرمديا ٠ ،

الملك « بسمتيك الثالث »[1]


كا ـ عنخ ـ نى ـ رع


بسمتيك

حكم هذا الفرعون ستة أشهر على حسب رأى «مانيتون»

أما على الآثار فقد ذكر على بردية اسم هذا الفرعون فى صك سنتحدث عنه فيما بعد مؤرخ بالسنة الثانية شهر طوبة (راجع Griffith, Catalogue of the Demotic Papyri in the J. Rylands Library Vol. III, P. 24

وهذه البردية هى الأثر الوحيد الذى أرخ بعهد الملك «بسمتيك الثالث» ولأجل أن نوفق بين هذا التاريخ أى السنة الثانية مع ماجاء فى «مانيتون» وهو الذى بمقتضاه نعلم أن « بسمتيك الثالث » لم يحكم الا ستة أشهر ، فقد فرض الأثرى «سبيجلبرج» أن «احمس الثانى» قد مات فى نهاية السنة المدنية أى على حسب التقويم الرسمى ، وان ابنه قد حسب الشهر الأخير أو حتى الايام الاخيرة من الشهر الاخير من هذه السنة بمقدار سنة (راجع

Spiegelberg, Die demotische Papyrus der Strassbourg Bibliothek, P. 15 - 16; Ed. Meyer, Gesch. des Altertums I, P. 40 § 35.

أما عن السنين التى حكمها هذا الفرعون على وجه التأكيد فقد اختلفت فيها الآراء فقد ذكر كل من «فيدمان» و «أونجار» و «بترى» انه حكم مابين ٥٢٦ و٥٢٥ ق‌م ، فى حين ان كل من الاثريين «كرام» وسبيجلبرج يفضل أنه حكم مابين السنتين ٥٢٨ و٥٢٧ ق‌م .

أما تاريخ السنة الرابعة من حكم ملك يدعى بسمتيك وهو تاريخ وجد على عقد

---

(١) انظر الصورة رقم ١٧

كتب بالديموطيقية على طبق من الفخار ومحفوظ الآن بمتحف اللوفر ، (E 706)
وقد نسبه الأثرى «زفيو» الى بسمتيك الثالث ، فيجب أن ينسب الى بسمتيك الثانى (راجع L. R. IV, P. 94, No. VI) ، وعلى العكس من ذلك نجـد أن ورقة « ستراسبرج » يجب أن تنسب الى عهد بسمتيك الثالث ، وذلك لأن أحد الأشخاص المتعاقدين فى هذه الوثيقة كان لا يزال على قيد الحياة فى السنة الخامسة والثلاثين من عهد الملك «دارا» الأول

حالة البلاد عند تولى بسمتيك الثالث عشر الملك :

مقدمة

ذكرنا فيما سبق أن «أحمس الثانى» عاجلته المنية فى شهر نوفمبر أو ديسمبر من عام ٥٢٦ ق‌م ، ودفن فى الحى المقدس للآلهة «نيت» بمدينة «سايس» . وحوالى هذا الوقت بعينه انقض العاهل العظيم «قمبيز» ملك الفرس بجيش عرمرم على مصر ، وقد كان يؤازر مشروع هذا الغزو البرى أسطول فينيقى قوى جهز بسفن فى جزيرة «قبرص» التى كانت قد انضمت الى جانب عاهل الفرس . وتدل شواهد الأحوال على أنه لم تحدث أية مقاومة اللهم الا ماجاء على لسان بوليبيوس (راجع Polybious, XVI, 40 اذ يقول : كانت مدينة غزة هى المدينة الوحيدة التى وقفت فى وجه الفرس دفاعا عن مصر . وكذلك نجد أن «هردوت» (Herod. III, 5) قد ذكر مدينة «غزة» بمناسبة حملة «قمبيز» دون أن يذكر أى شىء ، وهذا يتنافى مع ماجاء فى «بوليبيوس» وعلاقته بمصر «قمبيز» ؟ على أن ماجاء فى «بوليبيوس» من ذكر كلمة «الفرس» فقط يمكن أن يفهمها الانسان عند الضرورة فى عهد الملك «ارتكز كزيس» الثالث المعروف بالملك احوس ؟ كما سنرى بعد .

وقد ساعد «قمبيز» على شق طريقه الوعرة فى صحراء شبه جزيرة «سيناء» العرب القاطنون هناك (راجع Herod. III, 7, 9) وقد أمكن الفرس بوساطة أحدمعاصرى أحمس من قواد جيشه من الجنود المرتزقين ، وكان قد فر الى معسكر الأعداء ، وهو

«فانس» من أهل «هليركارناس» - أن يتعرفوا على كل المواصلات الحربية الخاصة بعدوهم وبخاصة معرفة الحصون والمسالك التى فى شرقى الدلتا . وقد حاول «بسمتيك الثالث» أن يحمى معاقل شرقى الدلتا ، ثم وقعت واقعة فاصلة بين الجيشين الفارسى والمصرى انتصر فيها الفرس ، وذلك حوالى مايو سنة ٥٢٥ ق.م عند بلدة «بلوزيوم». وقد حطم فيها جيش الفرعون ، ومن ثم كان فى مقدور الجيش الفارسى أن يشق طريقه الى «منف» فسقطت أمام هجومه وأخذ «بسمتيك» أسيرا حوالى يونيه سنة ٥٢٥ ق.م . وقد تلاشت بعد ذلك كل مقاومة . وعلى أثر ذلك خضع «اللوبيون» و«السيريون» وأهل «برقا» وسلموا من تلقاء أنفسهم للفرس ، وبذلك قضى قضاء مبرما على دولة بسمتيك . ومن ثم أصبحت دنيا الشرق كلها يسيطر عليها سيد واحد هو ملك الفرس العظيم « قمبيز » . هذا موجز تاريخ الفتح ، ولكن قص لنا هردوت وغير القصص الخيالية عن فتح الفرس لمصر وما جرى فيها من أحداث تدل على أنها من أقاصيص الشعب ، غير أنها مع ذلك تحتوى على نواة من الحقائق التاريخية . وسنورد بعضها هنا لأنها لا تخلو من فائدة تاريخية وبخاصة ما أظهره المصريون من نبل وشجاعة (راجع Herod. III, 1 - 15) هـــذا الى ما انتحلوه من أســـباب تبرر تولى «قمبيز» ملكا عليهم . ومن جهة أخرى مارواه الفرس من جانبهم عن سبب فتح مليكهم للديار المصرية . فمما لا جدال فيه أن «قمبيز» بعد أن تخلص من أعدائه فى الداخل وبخاصة من أخيه الذى كان يناهضه فى عرش الملك ، وكذلك بعد أن تم له اخضاع السيثيين ، وجه قوته للاستيلاء على مصر التى كان والده ينـــوى فتحها والتسلط عليها . وقد كان موقف «احمس» غاية فى الحرج بعد أن تخلى عنه حلفاؤه ، وكان لا بد من القتال ، وقد كان كل سكان الجزء الشرقى من البحر الأبيض المتوسط يتوقعون هذه الحرب . وكان رائد «قمبيز» فى هذه الحروب هو تنفيذ سياسه موضوعة من قبل ؛ غير أن الخيال الشعبى قد تصور أســـبابا أخرى لقيام الحرب بين هاتين الدولتين اللتين كانتا تعدان أقدم وأعظم دولتين فى العالم فى تلك الفترة ؛ وقد

اخترعت الأسباب الابتداعية لتكون سببا لهذه المأساة العظيمة التى مثلت ، وقد كانت التفاصيل التى انتحلت لذلك تختلف لذلك تختلف اختلافا كثيرا على حسب الروايات التى كانت منتشرة فى آسيا وفى أفريقيا . وقد قص علينا « هردوت » هـذه الروايات فقد روى أن «أمسيس» كان قد أرسل طبيب عيون على غير رغبة منه للملك «كورش» الفارسى ليعالجه من مرض فى عينيه ، وكان هذا الطبيب هو السبب فى كل ما حل بالبلاد المصرية من شر . وفى ذلك يقول «هردوت»(Herod. III, 1) : «أعلن«قمبيز» بن « كورش » على « أمسيس » هذا حربا وأخذ معه جنوده هو والاغريق والمؤدبين اللبيين . وكان سبب الحرب ما يأتى : أرسل «قمبيز» رسولا الى مصر وطلب بنت أمسيس (لتكون زوجه) وكان قد قام بهذا الطلب على حسب اقتراح طبيب العيون المصرى الذى عمل ذلك كراهية فى «أمسيس» ، وذلك لأنه كان قد انتخبـــه من بين كل الأطباء فى مصر ، وانتزعه بذلك من أحضان زوجه وأولاده وأرسله هدية للفرس ، وذلك عندما أرسل «كورش» الى «أمسيس» طالبا منه أحسن طبيب للعيون فى مصر . وعلى ذلك فان المصرى لضغينته حرض « قمبيز » على أن يطلب ابنة « أمسيس » حتى اذا وافق ، أحزنه ذلك ، واذا رفض جلب على نفسه كراهية « قمبيز » . ولكن لما كان « أمسيس » يخشى قوة الفرس فقد استولى عليه الذعر ولم يعرف أيذعن أو يرفض ، لأنه كان على علم تام بأن « قمبيز » قصد أن يأخذها حظية لا زوجة . وبعد أن تدبر فى هذه الأشياء عمل كما يأتى : كان «لأبريز» الملك السابق ابنة طويلة القامة جميلة وهى الوحيدة التى بقيت على قيد الحياة من الأسرة وكان اسمها «نيتيتيس» Nitetis وقد زين «أمسيس» هذه العذراء بملابس من ذهب وأرسلها الى فارس بوصفها ابنته ؛ وبعد مدة عندما كان «قمبيز» يحييها مخاطبا أياها باسم والدها أجابته العذراء : يأيها الملك انك لم تفطن انك قد خدعت من «أمسيس» الذى قد ألبسنى ملابس فاخرة وأرسلنى اليك وقدمنى لك بوصفى ابنته فى حين أن الحقيقة هى أنى ابنة الملك « ابريز » الذى قتله على الرغم من أنه كان سيده ، وذلك بعد أن حرض

المصريين على الثورة عليه . وقد حرضت هذه الكلمات وهذا الاتهام « قمبيز » ابن « كورش » الذى غضب غضبا شديدا ، على غزو مصر . وهذه هى القصة التى قدمها الفرس . . »

وقد روى سبب هذه الحرب بصورة أخرى فى البلاد المصرية فقد قيل أن «كورش» نفسه هو الذى تزوج من «نيتيتيس» وانها وضعت له «قمبيز» ؛ وعلى ذلك كان فتح مصر مجرد انتقام للوارثين الشرعيين لبسمتيك الغاصب ، وقد تولى قمبيز الملك على ذلك بوصفه فرعونا من نسل «أبريز» أكثر منه فاتحا . وفى ذلك يقول هردوت : (.Herod III, 1 - 3) : غير أن المصريين يدعون أن قمبيز هو ملكهم ، وانه كان قد وضعته ابنة « أبريز » ، وذلك أنه « كورش » وليس «قمبيز» الذى أرسل لأمسيس من أجل ابنته ، غير أنهم يخطئون بقولهم هـــذا ولن تفوت ملاحظتهم (لأنه لو كان هناك أى قوم على معرفة تامة بالعادات الفارسية فانهم المصريون) أنه لم يكن من عاداتهم قبل كل شىء أن يحكم ابن غير شرعى عندما يكون هناك ابن شرعى على قيد الحياة ، وثانيا لأن «قمبيز» كان ابن «كاساندان» Cassandane ابنة «فارناسبيس» (Pharnaspes) أحد الأخمينيين وليس من امرأة مصرية ، غير أنهم غيروا الحقيقة مدعين أنه منتسب الى أسرة «كورش» وهذه هى حقيقة الأمر . وهذه قصة أخرى قد قصت وهى فى نظرى لا تصدق . فقد زارت سيدة فارسية امرأة «كورش» ، وعندما رأت أولاد «كاساندان» بجمالهم وطول قامتهم واقفين بجانبها أثنت عليهم كثيرا ، وذلك لأنها أخذت بهم لدرجة فوق العادة ؛ ولكن «كاساندان» زوج «كورش» قالت : على الرغم من انى أم لمثل هؤلاء الأطفال فان «كورش» يحتقرنى ويحترم التى حصل عليها من مصر .. وقد قالت ذلك حسدا على نيتيتيس ، ولكن أحد أنجالها وهو «قمبيز» قال : « على ذلك يا والدتى عندما أبلغ سن الرجولة سأقلب كل مصر رأسا على عقب ».. وقد قال ذلك وهو فى حوالى العاشرة من عمره ، وقد دهشت النساء من ذلك ولكنه كان يحمل ذلك فى ذهنه حتى انه عندما نما واستولى على المملكة غزا مصر على حسب ذلك .

والواقع أن المقصود من قصة زواج الاميرة المصرية بالملك «كورش» هو أن الطفل الذى نتج عن هذا الزواج «هوقمبيز» الذى فتح مصر فيما بعد وأصبح فرعونا عليها ، وقد أرضى ذلك كبرياء المصريين الذين كانوا دائما يفخرون بشجاعتهم القديمة التى لم يكن فى مقدورهم الآن أن يقلدوها أو يبرهنوا على أنهم جديرون بأجدادهم الشجعان ومع ذلك فانهم فى هذا الموقف لم يعترفوا بأنه يمكن هزيمتهم أو يمكن أن يسيطر عليهم الا واحد منهم ، وعلى ذلك فان قصة الأميرة «نيتيتيس» قد قدمت لهم مادة دسمة لاشباع غرورهم . فاذا كان « قمبيز » قد أنجبته حقا أميرة من الدم الملكى المصرى ، فان ذلك يعنى أن الفرس لم تفرض عليهم أحدا ليكون ملكا على مصر ، بل على العكس قد نصبت فرعونا من دم مصرى على بلاد الفرس وعلى نصف العالم بوساطة الفرس أنفسهم لأنهم كانوا وقتئذ أصحاب ملك شاسع .

ولدينا عقبة أخرى كانت تفصل بين العدوين المتحاربين ، وأعنى بذلك الصحراء ومستنقعات الدلتا وقد تحدث عنها هردوت (Herod. III, والواقع أن المسافة بين مشارف «بلوز» وحصن انيبوس (خان يونس الحالى) الواقع على الحدود السورية لا تكاد تبعد أكثر من خمسين ميلا ، وكان يمكن قطعها بوساطة الجيش فى أقل من عشرة أيام . وقد كان عرض هذه القطعة من الصحراء فيما مضى أقل من ذلك ، غير أن « الأشوريين » ومن بعدهم « الكلدانيين » قد تباريا سويا فى جعلها بلادا جرداء قحلاء ؛ وقد كان انعدام وجود السكان فيها الآن سببا فى جعل الانتقال بوساطتها غاية فى الصعوبة .

وقد كان معسكر « قمبيز » عند مدينة « غزة » أى عند النهاية القصوى لممتلكاته من جهة مصر ، غير أنه كان فى حيرة فى كيفية مجابهة هذا الاقليم القاحل دون أن يحسب حساب فقدان نصف جيشه تحت رمال الصحراء ، وقد كان عازما على تأخير الحملة ، غير أن الحظ المفاجىء قد خلصه من هذه الصعوبة الخطيرة فاستمع لما

جاء فى « هردوت » عن ذلك (راجع Herod. III, 4, 5).

« والحادث التالى الآخر قد وقع لتمهيد هـــذه الغزوة ، فقــد كان من بين جنود « أمسيس » رجل مسقط رأســه « هليكارناس » يدعى « فانس » وكان يحمل بعض الضغن لأمسيس ، وقد هرب فى سفينة من مصر بقصد التواطؤ مع « قمبيز » ولما كان رجلا صاحب مكانة بين الجنود وعلى معرفة دقيقة بأحوال مصر فان « أمسيس » أرسل لمطاردته باذلا كل جهد للقبض عليه ؛ وقد أرسل أشد الناس اخلاصا من خصيانه للحاق به بسفينة فقبض عليه فى « ليسيا » (بالقرب من « مسينا ») ، ولكنه لما قبض عليه لم يحضره ثانية الى مصر ، لأن « فانس » تغلب عليه بحيلة فقد أسكر حراسه وفر الى جانب الفرس ، وعندما وصل الى « قمبيز » وجد أنه كان ممتنعا من السير نحو مصر اذ كان فى شك من الطريق التى يجب أن يسلكها ، وكيف يمكنه أن يجتاز الصـحراء القاحلة ؛ فأخبره عن أمور خاصة بأمسيس ، وفسر له الطريق ناصـحا اياه هكذا : أن يرسل الى ملك العرب يسأله أن يمنحه سلامة المرور فى اقطاره وبذا تصبح الطريق مفتوحة الى مصر ، وذلك لأنه من فنيقيا الى حدود بلده كاديتيس (Cadytis) (غزة) وهى التى كانت تابعة لأولئك الذين يسمون سوريى فلسطين ، ومن أول «كاديتيس» وهى مدينة ليست أقل فى نظرى من «سادريس» Sardes ،[1] كانت المواني البحرية حتى مدينـة « خان يونس » تابعـة لملك العرب ، وكذلك من « خان يوس » حتى « سربونيس » Serbonis وهى التى يمتد بجوارها جبل «كاسيوس» حتى البحر كانت تابعة للسوريين ، ومن بحيرة «سربونيس» وهى التى قيل ان «تيفون» اله الشر قد اختبأ فيها تبدأ مصر . والآن فان الاقليم الذى بين مدينة « خان يوس » وجبل « كاسيوس » وبحيرة « سربونيس » ليس بالاقليم الصغير وقد كان خاليـــا من الميـــاه كلية على مســيرة ثلاثة أيام . وقـــد وصف لنا « هردوت » بعـــد

(١) ساردس عاصمة مملكة « ليديا » القديمة فى عهد الملك « كروســـوس » و « كورش » من بعده ، وكانت شهيرة بتجارتها وثروتها

ذلك وصول الماء الى هذه القفار بما أرشده اليه « فانس » ، واستخدام عرب الصحراء الذين كانوا يرعون العهود فى ذلك ، كما وصف لنا مهارتهم فى الحصـــول عليه . (راجع Herod. III, 6 - 9) فاستمع لما يقول :

وقد لاحظ قليل من الناس الذين يقومون بسـياحات الى مصر واقعة حال سآخذ الآن فى ذكرها . كانت أوانى الفخار المملوءة بالنبيذ تجلب من بلاد الاغريق وكذلك من « فنيقيا » الى مصر مرتين كل عام ، ومع ذلك كما يقال لم تر واحدة من أوانى النبيذ هذه فيما بعد ، وقد يتساءل الانسان كيف كان يتصرف فيها ؟ وانى سأقص ذلك أيضا . فقد كان كل حاكم مجبرا أن يجمع كل هذه الاوانى من مدينته ويرسلها الى « منف » ، غير أن أهل هذه المدينة كانوا بعد ملئها بالماء يحملونها الى الأماكن القاحلة فى « سوريا » ؛ وهكذا كانت الأوانى الفخارية التى كانت تورد الى مصر تضاف الى تلك التى كانت فعلا فى « سوريا » . وعلى ذلك فان الفرس عندما أصبحوا المسيطرين على مصر سهلوا المرور الى البلاد بمدها بالماء بالطريقـة التى ذكرت فيما سبق ؛ ولكن لما كان الماء ليس حاضرا فان « قمبيز » أرسل بنصيحة الهليكارناسى الأجنبى سفراء الى العرب وسألهم سلامة المرور ، وقد حصل على ذلك ، وقد أعطاهم مواثيق الأمان كما حصل منهم عليها » . ينتقل بعد ذلك «هردوت» الى وصف مراعاة العرب للعهود والمواثيق التى كانوا يأخذونهـــا على أنفسهم وهى غاية فى الطرافة والغرابة فيقول (Herod. III, 8) كان العرب يرعون المواثيق بتـــدين كأى قوم ، وكانوا يوثقونها بالصورة الآتية : فعندما يريد أى فريق أن يعقد ميثاق شرف مع الآخر كان يقف شخص ثالث بين الفريقين ويحدث خدشا بحجر حاد فى راحة اليد بالقرب من أطول الأصابع لكل من المتعاقدين ، ثم يأخذ بعض الخيوط من لباس كل منهما ويدهن سبعة أحجار تكون موضوعة بينهما بالدم ، وكان وهو يعمل ذلك يدعو كلا من « بكوس » (اله الخمر) و « أورانيـــا » Urania وبعد انتهـــاء الاحتفال يربط الشـــخص الذى يأخـــذ على نفسه الميثاق أصـــدقاءه ضمانا للأجنبى أو

المواطن ، اذا كان الميثاق مع مواطن وكان الأصدقاء كذلك يعتبرون أنفسهم مرتبطين بميثاقهم . ولا يعترفون بأى آلهة آخرين غير « بكوس » و «أورانيا» ويقولون انشعرهم كان يقص على طريقة قص شعر « بكوس » ولكنهم كانوا يقصونه بصورة مستديرة جانبية عند الصدغين وكانوا يسمون «بكوس» أوروتال ويسمون أورانيا «اللات» .
وعلى ذلك عندما تبادل العربى المواثيق مع السفراء الذين أتوا من قبل « قمبيز » اتبع الحيلة التالية (فى توصيل الماء للفرس) فبعد أن ملأ جلود الجمال بالماء حمله على جماله الحية كلها ثم ساقها الى الاقليم القاحل وهناك انتظر جيش « قمبيز » وهذه أصدق الروايات التى رويت ، غير أنه من الصواب أن نذكر رواية أخرى وان كانت أقل صدقا الا أنها قد أكدت أيضا : كان يوجد نهر كبير فى بلاد العرب يدعى «كوريس» Corys يصب فى ذلك الذى يسمى البحر الأحمر . وقد قيل ان ملك العرب وقتئذ قد خاط أنبوبة من جلود الثيران وجلود أخرى بحيث كان طولها يصل مابين هذا النهر وبين الاقليم القاحل ثم حمل الماء بواسطتها ، وفى وسط الاقليم القاحل حفر صهريجا عظيما وحفظ الماء فيه ، وبذلك حمل الماء بوساطة ثلاثة أنابيب الى ثلاثة أماكن مختلفة »

وهكذا تمكن قمبيز من اجتياز الصحراء بوساطة الماء الذى كان يجلب الى جيشه عبر الصحراء حتى وصل الى أبواب مصر ، ولو قطعت هذه الانابيب لانقطعت الأسباب أمامه ولأخفق فى فتح مصر والاستيلاء عليها .

وما أشبه اليوم بالبارحة فقد وقف قطع أنابيب البترول التى تمر عبر البلاد السورية والأردنية حجر عثرة فى وجه الغزاة المجرمين الذين أرادوا احتلال بلاد الشرق الاوسط والسيطرة عليه بعد أن تحرر من ظلمهم . وفى تلك اللحظة التى كان يسير فيها جيش «قمبيز» عبر الصحراء للاغارة على مصر ، كانت الأمور قد تغيرت ، فقد علم «قمبيز»

---

(١) أحد الآلهات التسع التى تشرف على الفلك والهندسة وتمثل فى صورة امرأة تحمل برميلا وكرة ارضية .

عند وصوله الى بلوز أن عدوه الجبار « أمسيس » قد مات بعد مرض لم يمهله طويلا ، وخلفه على عرش الملك ابنه « بسمتيك الثالث » ، وهذا التغير فى قيادة الجيش فى تلك اللحظة التى تعد أقصى مايكون من الحرج والخطورة فى مستقبل البلاد كان فى حد ذاته كارثة عظمى ، اذ أن « أمسيس » بتجاربه الفائقة فى أحوال الرجال والأمور الدقيقة ومعرفته التامة بموارد ثروة مصر وامكانياتها ومواهبه العسكرية فى حسن القيادة ونفوذ شخصيته على من حوله ، وضربه بسهم صائب فى العلوم الهيلانية كل هذه الصفات قد جعلت رجاله يذعنون له بالطاعة كما جعلت الأجانب يبجلونه ويقدرونه حق قدره والآن ماعساه أن يقال عن خلفه « بسمتيك » الذى ورث عرشه ؟

لقد كان فى الواقع لقصر مدة حكمه يعد نكرة فى نظر المؤرخين لدرجة أن بعضهم قد تجاهل وجوده وزعم أن فتح الفرس لمصر قد وقع فى عهد « أمسيس » وبخاصة كتاب الاغريق (راجع Aristotle, Rhetoric II, 8; John of Antioch, Fragm. 27; in Muller - Didot, Fragm. Hist. Graec. Vol. IV, P. 552; Wiedemann, Geschichte, P. P. 660, 661.

ويجوز أن سبب ذلك كان قصر مدة حكمه . ويجوز أن « بسمتيك » كان الرجل الذى يمكنه أن يقابل هذا العاهل الجبار بما لديه من موارد محدودة غير أنه لم تكن لديه الخبرة الكافية للتصرف فى استعمالها بما يضمن له النصر . هذا فضلا عن الجو السياسى فى العالم الذى كان ينذر بسوء المنقلب لمصر كما كانت الحال فى القرن المنصرم عندما كانت مصر مهددة بأمم نهر دجلة والفرات ، بل كانت الآن فى خطر ينذر بشن الخراب عليها من كل آسيا من أول نهر السند حتى الدردنيل ، وبعبارة أخرى كل بلاد الامبراطورية الفارسية . وقد زاد الطين بلة أن مصر فى تلك الفترة لم يكن لديها أى حليف من البشر بل لم ترحمها الآلهة فكأنما قد تخلوا عنها فى وسط تلك المحنة وقد بدت علامات ذلك فيما أظهره الفلاح المصرى من التشاؤم بما ظهر من سقوط المطر فى اقليم مصرى قل أن تنهمر فيه السحاب الثقال ، وذلك أن المطر قل أن يسقط فى اقليم « طيبه » دون أن تحدث فيه عواصف الا مرتين أو ثلاث مرات فى كل قرن من الزمان

غير أنه بعد تولى « بسمتيك الثالث » عرش الملك نزل مطر خفيف فى « طيبة » وقد حملت أنباء ذلك الى أنحاء البلاد بالمبالغة التى يحملها رواة السوء وتدل شواهد الأحوال على أن سقوط المطر فى منطقة « طيبة » كان يعد نذير سوء حتى أيامنا فمن ذلك ما روى أن أهل الصعيد فى بداية القرن التاسع عشر عندما كانوا يتحدثون عن حملة « نابليون » كانوا يقولون « نحن نعلم أن مصيبة تهددنا وذلك بسبب أن السماء أمطرت فى « الأقصر » قبل الحملة بقليل • والواقع أن الأمطار قليلة جدا فى هذه الجهة ، وعلى أية حال تشاءم القوم وظنوا أن كارثة لابد أن تحل بمصر على يد الفرس الغزاة •

هذا وقد أسرع « بسمتيك » لمقابلة عدوه بما لديه من جنود وعربات ورماة من الأهلين ، وذلك بالاضافة الى ماكان معه من جنود من اللوبيين والسيريين والنونيين والكاريين واغريق الجزائر واليابسة •

ولندع الآن «هردوت» يحدثنا عن ذلك فاستمع لما يقول : «عسكر «بسمتيك» ابن « أمسيس » عندما يسمى مصب النيل البلوزى منتظرا « قمبيز » ، وذلك لأن « قمبيز » لم يجد « أمسيس » حيا عندما زحف على مصر ، بل مات بعد أن حكم أربعا وأربعين سنة لم تحدث فى خلالها أية مصيبة عظمى ، ولكنه بعد أن مات وحنط دفن فى الضريح الذى فى المنطقة المقدسة التى بناها هو • •

وفى خلال مدة حكم « بسمتيك » بن « أمسيس » حدثت أكبر أعجوبة للمصريين وذلك أن المطر سقط فى «طيبة» المصرية مما لم يحدث من قبل ولا فى زمنى كما يؤكد ذلك الطيبيون أنفسهم ، وذلك لأنه لم يسقط قط مطر فى أقاليم مصر العليا ، ولكن كان يسقط المطر أحيانا قطرات فى طيبة • وبعد أن قطع الفرس الاقليم القاحل عسكروا بالقرب من المصريين كأنما كانوا مصممين على الاشتباك معهم • وهناك انتقم جنود المصريين الذين كانوا يتألفون من اغريق وكاريين من « فانس » لأنه قد قاد جيشا أجنبيا على مصر وقد اتخذوا الطريقة الآتية ضده : فقد ترك « فانس » أولاده

خلفه فى مصر فأحضروهم الى المعسكر على مرأى من والدهم ووضعوا وعاء فى وسط الطريق التى بين الجيشين ثم جروا الأطفال واحدا فوحدا وذبحـــوهم فوق الوعاء وعندما ذبحوا كل الأطفال صبوا نبيذا وماء فى الوعاء ، وبعد أن شرب كل الجنود من الدم انضموا فى الحال الى المعركة وقد دار قتال شديد ، وعندما سقطت أعداد كبيرة من كلا الجانبين اضطر المصريون الى الفرار » • •

وعلى أية حال لم يكن قد ضاع كل أمل فى انقاذ البلاد ، اذ كان « بسمتيك » قد حمى بجنوده المنافذ المؤدية الى قنوات النيل وفروعه المختلفة محاربا الفرس فى كل شبر من الأرض كما فعل من قبله تهراقا (راجع مصر القديمة الجزء العـاشر ص ٥٣٤ الخ) وبذلك كان يكسب الوقت ليجمع فيه جيشـا جديدا لمحاربة العـدو ، غير أن « بسمتيك » قد فقـد صـوابه وأسرع ليحتمى فى داخل جدران « منف » دون أن يحاول جمع شتات جيشه المهزوم • وقد مكث « قمبيز » بضعة أيام لاخضاع « بلوز » • ويقال ان «قمبيز» قد أراد أن يشل حركة المقاومة فى تلك البلدة المحاصرة بحيلةذكرها «بوليانوس» (راجع ٣٨ Polyaenus stratigma VIII, 9) ؛ وذلك أنه أمر بأن توضع قطط وكلاب وحيوانات أخرى مقدسـة على رأس القوة المهاجمة ، وعلى ذلك لن يجسر المصريون على أن يستعملوا أسلحتهم خوفامن جرح أو قتل بعض آلهتهم•

هذا وفى الوقت نفســه الذى كانت تحاصر فيه « بلوز » أرسـل « قمبيز » سفينة ميليتى يطلب من « منف » التسليم ، غير أن الشعب الثائر عندما سمع بهذه الرسالة قتلوا الرسول والبحارة وجروا جثتهم الدامية فى شوارع المدينة ، وقد مكثت «منف» تقاوم مدة طويلة ، الى أن اضطرت فى النهاية لفتح أبوابها هذا بالاضافة الى أن أهل الصعيد الذين كانوا لا يزالون يقاومون سلموا ، ومن ثم أصبحت كل مصر حتى « أسوان » شطربية فارسية • أما اللوبيون فلم ينتظروا أن يطلب اليهم التسليم بل أتوا خاضعين مقدمين الجزية وقد حذا حذوهم بلاد «سيرينى» و «برقاء» ، غير أن هداياهم كانت ضئيلة لدرجة أنها أثارت حنق « قمبيز » واعتبر أنه قد أهين بذلك ، فأرخى

لغضبه العنان ، حتى أنه بدلا من قبولها ألقى بها الى جنوده بيده » .

وقد وصف لنا « هردوت » استمرار القتال بعد فرار الجيش الى «منف» فاستمع لما يقول (Herod. III, 13) ، وعندما هزم المصريون هربوا فى غير نظام كلية من ساحة القتال ، وعندما حصنوا أنفسهم فى « منف » أرسل اليهم سفينة ميليتينية صاعدة فى النيل على ظهرها رسول فارسى لدعوة المصريين للتسليم ، غير أنهم عندما رأوا السفينة تدخل « منف » هجموا فى كتلة واحدة من الجدار وحطموا السفينة وبعد أن مزقوا الملاحين اربا اربا حملوا الى القلعة . وبعد ذلك حوصر المصريون وأخيرا سلموا . ولما خاف اللوبيون المجاوَرون لهم مما أصاب مصر سلموا أنفسهم دون مقاومة وخضعوا لدفع جزية وهدايا ، وكذلك السيرينيون والبرقيون فقد استولى عليهم الذعر مع اللوبيين ففعلوا مثل مافعلوا . وقد تسلم «قمبيز» عن طيب خاطر الهدايا التى أتت من اللوبيين ، ولكنه تألم من التى قدمها « السيرينيون » كما أظن ، لأنها كانت قليلة ، وذلك لأن « السيرينيين » أرسلوا خمسمائة « مينا » من الفضة وقد قبضها بيده ووزعها بنفسه على الجنود » .

وقد وقع الفرعون «بسمتيك الثالث» أسيرا فى يد الفرس . وقد كان لانهيار مصر المفاجىء وتدهورها السريع — بعد أن كانت تحتل مكانة علية بين ممالك العالم قرونا عدة قاومت خلالها كل مهاجم يريد الاستيلاء عليها — رنة أسى وحزن فى نفوس المصريين ، وبخاصة نهاية ملكها الفتى الذى لم يكد يعتلى عرش الملك حتى انتزع منه لدرجة أنه قد حيكت حول سقوطه ومعاملة «قمبيز» له الأقاصيص التى لا بد قد نقلها «هردوت» عن أفواه العامة الذين كانوا لا يزالون يذكرون أيام بؤس مصر وشقائها . فاستمع لما قاله والد التاريخ فى ذلك : (راجع Herod. III,, 14) فى اليوم العاشر بعد استيلاء « قمبيز » على قلعة « منف » أجلس بسمتيك ملك المصريين الذى كان قد حكم ستة أشهر فقط عند مدخل المدينة احتقارا له — وكان قد أجلسه مع مصريين آخرين ، وقد عمل امتحانا لشجاعته بالطريقة الآتية . فقد ألبس ابنته ملابس

أمة وأرسلها ومعهـــا جرة لتحضر ماء ، وأرســل معها عذارى أخريات انتخبن من بنات رؤساء الأسر وألبسهن بنفس الطريقة التى ألبست بها ابنة الملك ، وعندما أتت العذارى يولولن فى حضرة أبائهم أجاب الآباء عليهن بالبكاء عندما رأوا بناتهم ذليلات بهذه الكيفية ، ولكن « بسمتيك » وحده من بينهم عندما رأى وعرف ماكان جاريا فانه نظر بعينيه الى الارض وحسب . وعندما مرت حاملات المياه هؤلاء ، أرسل (الملك) ثانيـة ابنه ومعـــه ألفان من المصريين من نفس ســنه وحول رقابهـــم أرســـان ولجم فى أفواههـــم ، وقد اقتيـــدوا ليوقع عليهم الانتقـــام من أجل أولئـــك الميلتيـــين الذين ماتوا فى « منف » مع الســـفينة وقد قضى القضـــاة الملكيون بالحكم على عشرة رجال من رؤساء المصريين بالاعدام ، ومع ذلك فانه عندما رآهم مارين به وعلم أن ابنه كان يقاد الى الموت لم يفعل غير مافعله عندما مرت به ابنته على الرغم من أن سائر المصريين الذين جلسوا حوله بكوا وأعولوا . ولكن بعد أن مر به هؤلاء ، اتفق ان واحدا من رفاقه الطيبين وكان متقدما فى السن بعض الشىء قد فقد كل مايملك ولم يكن لديه الا مايملكه شحاذ ، وكان يسأل احسانا من الجنود ، وقد مر « ببسمتيك » بن « امسيس » والمصريون جالسون فى الضواحى ، ولكن «بسمتيك» عندما رآه يبكى بمرارة مناديا أصدقاءه بالاسم ، لطم (« بسمتيك » من أجل ذلك) . وعلى أية حال كان هناك جواسيس أوصلوا الى «قمبيز» كل شىء قد حدث منه فى كل موكب ؛ غير أن«قمبيز» قد دهش من هذا الملك وأرسل رسولا مستعلما منه عما يأتى : يا «بسميتوس» ان سيدك «قمبيز» يسأل لماذا عندما رأيت ابنتك قد ذلت وابنك أرسل الى الاعدام لم تنح أو تتوجع ، وكنت جد مهموم من أجل شحاذ ليس له بك صلة نسب كما أخبر بذلك ؟ وبعد ذلك سأل هذا السؤال ، ولكن بسميتـــوس جاوب كالآتى : يابن «كورش» ان مصائب أسرتى أكبر من أن يعبر عنها بالعويل ، ولكن أحزان صديقى كانت جديرة بدموعى فهو الذى قد هوى من الثراء والسعادة وأصبح يتكفف وهو على شفا الهرم . وعندما عاد الرسول بهذا الجواب ظهر لقمبيز أنه قد أحسن القول ، وقد بكى كما يقول المصريون «كروسوس» لأنه كان قد رافق

«قمبيز» الى مصر ، وقد بكى كذلك الفرس الذين كانوا حاضرين ، وكذلك قد تأثر «قمبيز» نفسه وأخذته الشفقة ، وأعطى الأوامر فى الحال بنجاة ابنه من بين أولئك الذين سيعدمون ، وأن ينقلوه ويحضروه من الضواحى الى حضرته . غير أن الذين كانوا قد أرسلوا من أجل ابنه وجدوا أنه لم يعد بعد على قيد الحياة . وقد اقتيد «بسميتوس» نفسه الى «قمبيز» ، وقد عاش فيما بعد معه دون أن يلاقى أى عنف ، ولو لم يكن قد اتهم بأنه يتآمر كان من المحتمل أن تعاد اليه مصر ويوكل اليه أمر حكومتها ، وذلك لأن الفرس كانوا قد اعتادوا احترام أولاد الملوك ، وحتى لو شقوا عليهم عصا الطاعة ، فانهم مع ذلك كانوا يقلدون أولادهم مهام الحكم .. ولكن كان «بسميتوس» يدبر السوء ، ولذلك نال جزاءه فقد كشف أنه يحرض المصريين على الثورة ، وعند ماكشفه «قمبيز» أجبره أن يشرب دم ثور ومات على الأثر وهكذا كانت نهايته . »

هذه هى رواية «هردوت» عن الملك «بسمتيك الثالث» ونهايته ، غير أن لدينا رواية أخرى رواها مؤرخ يونانى آخر كان طبيبا للملك الفرس «ارتكزركزيس» ، يدعى «كتزياس» Ctesias ؛ وقد كتب كتابا عن الفرس . وعلى حسب ماذكره هذا المؤرخ نجد أن «بسمتيك» قد ترك دون أن يلحق به أى سوء ؛ وأرسله «قمبيز» مع ستة آلاف من الناس الى سوسا (راجع Fragm. 29 § 9 in Muller Didot, ctesiae Cnidii Fragmenta, P. 47.

ولا نزاع فى أن هناك فرقا عظيما بين رواية «هردوت» ورواية « كتزياس » طبيب ملك الفرس . والظاهر أن «هردوت» سمع قصته من المصريين وهى مشرفة لهم وتنم عن روح مصرية عالية ووطنية صادقة ، أما الرواية الثانية فتدل على روح فارسية كتبها هذا المؤرخ ليدافع عن ملوك الفرس ، ويظهر أنهم كانوا أهل تسامح وكرم ، ولكنها فى الواقع قصة لا أساس لها من الصحة [1]

---

(١) راجع Kienitz, Die Politische Geschichte Agyptens P. 34 No. 6.

وهكذا كانت نهاية الدولة الفرعونية التى مكثت آلاف السنين تحمل شعلة المعرفة والثقافة تضيىء بها على شعوب العالم من أول عهد «مينا» حتى عهد «بسمتيك الثالث» الذى أسلم روحه على ما اعتقد فى سبيل تحرير مصر وتخليصها من يد الغـــاصب الفارسى •

الآثار التى خلفها بسمتيك الثالث :

لم يترك لنا هذا الفرعون آثارا كثيرة ، وذلك لقصر مدة حكمه مصر ، ومع ذلك فقد ترك لنا بعض آثار تدل على نشاطه العظيم أهمها :

(١) **الكرنك** : وجد له منظر فى معبد الكرنك يشاهد فيه وهو يقدم قربانا للاله آمون (راجع L. D. III, 275 f, Mariette, Karnak, 56 b.
وقد جاء عليه : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «كا عنخ نى رع» بن «رع»بسمتيك معطى الحياة أبديا

(٢) وقد مثل فى منظر آخر فى الكرنك كذلك وهو يتعبد للا له «حور» راجع L. D. III, 275. g

(٣)**متحف « اللوفر »** :يوجد فى متحف اللوفر رأس لهذا الفرعون تدل صناعتها على أنها من طراز جميل وكانت قد أهدتها سيدة الى متحف اللوفر ونشرها الأثرى بنديت (راجع G. Benedite, Une tête de Statue Royale in the Gazette des Beaux-Arts Vol. XVIII, P.P. 35 - 42; The Passing of Empires (English Ed.) P. 659.

(٤) صناجة وقطعة عليهما اسم هذا الملك موجودتان فى مجموعة «بركش» و«مير» (راجع Wiedemann, Gesch, P. 661

(٥) **وثيقة** :توجد وثيقة بالديموطيقية مؤرخة بالسنة الثانية من عهد الملك «بسمتيك الثالث» (راجع Spiegelberg, Demot. Pap. Strass. P. 15, facsimile Ibid. Pl. 1

وهاك النص :

السنة الثانية شهر طوبة . مستند بواحدة وعشرين أوزه (؟) وريشة أوزه (؟) من « بدمنستو » بن «بوحور» حارس الأوز (؟) لمعبد أمون ، وهى مستحقة للوقف الالهى الخاص بأمون والمكلف بها ثلاثة حراس أوز معبد آمون . خمسة امضاءات .

وقد نسب الأستاذ «سبيلجبرج» هذه الوثيقة الطيبية للملك «بسمتيك الثالث» بسبب أن «بدمنستو» يظهر ثانية فى صك مشابه لذلك مؤرخ بالسنة الخامسة والثلاثين من عهد «دارا» فى نفس المجموعة من الأوراق البردية ، وقد أظهر أن تاريخ طوبه من السنة الثانية ممكن وقوعه فى المدة القصيرة التى حكمها كما أوضحنا ذلك فيما سبق

(٦) ويوجد فى معبد «أوزير بامريس» بالـكرنك منظر مثل فيه الملك «بسمتيك» الثالث ، على الواجهة مقابل صورة ابنة الملك بسمتيك الثانى زوج الآلهة « عنخنس نفر اب رع » الذائعة الصيت . والظاهر أن هذه الزوجة الالهية التى كانت تلقب كذلك بالكاهن الاكبر قد جاوزت حياتها عهد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (راجع A. S. VI (1905) P. 131 .

(٧) وأخيرا وجد اسم هذا الفرعون على تمثال صغير للمشرف عـلى الاسطول المسمى وزحور رسنت وسنتحدث عنه مليا فى عهد الملك قمبيز والفتح الفارسى . (راجع L. R. P. 132)

المديرون العظام للمتعبدة الآلهية
فى أواخر عهد الأسرة السادسة والعشرين

تحدثنا فى الجزء العاشر [1] عن المتعبدات الآلهيات وعن المديرين العظام الذين كانوا يقومون بتدبير شئون ملكهن فى طيبة ، وقد فصلنا القول عن بعض هؤلاءالمديرين وبخاصة فى العهد الكوشى واختصرنا الحديث عن بعضهم ، وبخاصة أولئك الذين جاءوا فى عصر الأسرة الساوية فى عهد كل من المتعبدة الآلهية «نيتوكريس» ومن بعدها الزوجة الآلهية «عنخنس نفر اب رع» التى على مايظهر ظلت على قيد الحياة بعد سقوط الأسرة السادسة والعشرين . (راجع الجزء العاشر ص ٥٢٥) .

وسنحاول هنا أن نأتى بكل مانعرفه عن ثلاثة المديرين العظام الذين تولوا هـــذا المنصب فى أواخر العهد الساوى وبخاصة ترتيب هؤلاء المديرين من الوجهة التأريخية اذ قد ظل ترتيبهم غامضا بعض الشىء حتى الآن .

(١) المدير العظيم شيشنق بن « بدينيت »

١ ــ الآثار التى وجدت له

(١) فى معبد أوزير المسمى «بامريس» بالكرنك . جاء ذكر هذا المدير على عتب باب فى منظر ظهر فيه فى الجهة اليمنى «شيشنق» هذا واقفا خلف المتعبدة الآلهية «عنخنس نفر اب رع» وقد ذكر معه المتن التالى : المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية المسمى «شيشنق» بن المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية المسمى «بدينيت» . هذا ويلحظ أن الملك الذى جاء ذكره فى هذا المنظر هو الفرعون بسمتيك الثالث (راجع (Legrain A. S. T. VI, P. 131

(٢) وجاء ذكر هذا المدير العظيم للبيت على المقصورة الثانية للمتعبدة الآلهيـــة «عنخنس نفر اب رع» فى الكرنك ، وتؤرخ بعهد الملك احمس الثانى ، وقد جاء ذكر الملك بسمتيك الثالث على البوابة العظيمة التى تؤدى الى الدهليز .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء العاشر من ص ٥٠٨ ــ ٥٤٧)

وقد نقش على الممر الداخلى للبوابة الكبيرة من الجهة الجنوبية رسم المدير العظيم للبيت يتبع المتعبدة الآلهية والمتن التالى (راجع Birch Revue Archeologique (1848) IV Année, P. 626 No. 626; L. D. III, 274 C; Mariette Karnak Pl. 56, a

(ا) المدير العظيم .. « بدينيت»

(ب) ونقش على عتب باب المقصورة فى الصورة التى على اليمين صورة «عنخنس نفر اب رع » يصحبها المدير العظيم للبيت ومعه المتن التالى : «الامير الوراثى والحاكم المدير العظيم للبيت الخاص بالمتعبدة الآلهية ، «شيشنق» بن المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية «بدينيت»

(٣) وعثر له على قطعة حجر محفوظة بالمتحف المصرى ، ولا بد أنها أتت من الكرنك (راجع (Lieblein, Dic. Nom. P. 879, No. 2334

وجاء عليها : الأمير الوراثى والحاكم ومدير البيت العظيم لزوجة الآله «شيشنق» بن المدير العظيم لزوج الآله والمتعبدة الآلهية «بدينيت» .

آثار المدير العظيم للبيت المسمى « بدينيت »

يوجد قبر هذا المدير العظيم للبيت فى «طيبة» ؟ والمدهش فى أمر هذا القبر أن الأثريين الاحداث قد أرخوه بعهد ثلاثة ملوك مختلفين فقد أرخه كل من « جاردنر » و «ويجل» بعهد الملك «بسمتيك الثانى» (راجع Gardiner - Weigall, Topographical Catalogue of Private Tombs, P. 34

وهذا خطأ بين وذلك لأنه فى قبر نفس هذا المدير قد لقب هو بأنه المدير العظيم للمتعبدة الآلهية « عنخنس نفر اب رع » وذلك فى حين أن « عنخنس نفر اب رع » لم تكن قد نصبت متعبدة آلهية الا فى السنة الرابعة من عهد الملك « أبريز »

ومن جهة أخرى نجد أن الاثرية «لحتهين» قد اتبعت هذا الرأى على حسب نظرية لها اعتبرت فيها أن المدير العظيم للبيت الذى مثل على لوحة تتويج « عنخنس نفر اب رع » (فى السنة الرابعة من عهد «ابريز» هو «شيشنق» بن « بدينيت »

وأخيرا نجد أن الاستاذ « جرفت » (J. E. A. III, P. 196) قد أرخه بعهد

أحمس الثانى وقد نسى وجود لوحة التبنى معتقدا أنه لم توجد آثار لهذه المتعبدة الالهية قبل عهد الملك أحمس الثانى . وعلى أية حال يظهر أن نظريته هى الأوفق .

وأهم آثار هذا المدير مايأتى :

(١) وجد فى قبرة المتن الرئيسى التالى (راجع Champollion, Notices Desc. I, P. 552, B & C) : « أوزير الأمير الوراثى والحاكم والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية «عنخنس نفر اب رع» (ليتها تحيا ابديا !) ، «بدنيت» بن بسمتيك والسيدة تادى بستت » . ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذا القبر لا تمكن زيارته الآن لأنه مردوم .

(٢) وقد عثر له على مخروط جنازى (راجع Daressy, Recueil de Cones Funéraires, Miss. Arch. française I, 8, No. 159 P. 287.

نقش عليه مايأتى : الأمير الوراثى والمدير العظيم لبيت المتعبدة الالهية ، « بديفيت » بن « محبوب الاله بسمتيك » والسيدة تادى بستت

(٣) مخروط جنازى جاء عليه : الأمير الوراثى والأمير والمدير العظيم لبيت المتعبدة الالهية (بديفيت) ابن محبوب الاله بسمتيك (راجع Pelligrini, 1 coni funebri del Muses Archeologico di Firenze No. 48 P. 11

مدير البيت العظيم « شيشنق » بن « حورسا ازيس »

وجد لهذا المدير عدة آثار نذكر منها مايأتى :

(١) قرص من البرنز من مجموعة السيدة «مو» (راجع Budge, Egyptian Antiquities in the possession of Lady Meux at Theobald's Park, P. 115 - 116 No. 198.

وقد جاء عليه المتن التالى : (١) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الملك والسمير الوحيد المحبوب كثيرا ، والمعروف لدى الملك حقا والذى يحبه ، المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية ، «شيشنق» بن رئيس التشريفاتية للمتعبدة الآلهية ، «حورساازيس» وأمه هى السيدة «تا - نت هبى»

«٢» المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية (المسمى) «شيشنق» ، وابنته التي يحبها هي مغنية قصر آمون (المسماة) «نيتوكريس» ولا بد أن نلحظ هنا أن شيشنق قد أسمى ابنته باسم المتعبدة الالهية «نيتوكريس»

(٣) مخروط جنازى (Pelligrini Ibid. P. 22 No. 123)
وقد جاء عليه الأمير الوراثى والحاكم والمدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية «شيشنق» وأمه هي السيدة «تانت هبى»

(٤) **مخروط جنازى** (Dassay, Ibid. No. 188)
جاء عليه : الأمير الوراثى والحاكم والمدير العظيم لبيت المتعبدة الالهية شيشنق وابنه الذى يحبه هو تشريفاتى (المتعبدة الالهية) (المسمى) « حورسا ازيس » . ولا نزاع فى أن هذا المخروط هو ملك شيشنق بن حورسا ازيس ، فقد جرت العادة فى الدولة الحديثة أحيانا أن يعطى المدير العظيم للبيت اسم والده هو لابنه (راجع . B. I. F. A. O. t. LIII, P. 42, Leclant, Enquête sur les sacerdoces et sanctuaires égyptiens à l'époque dite « ethiopienne (XXV Dy) P. 25 y).

(٥) مخروط جنازى : Daressy Ibid. No. 186) جاء عليه :
المشرف على التشريفاتية للمتعبدة الآلهية ، ورئيس أسرار الافق (= قصر المتعبدة الا لهية ؟) وكاتب مقصورة الزوجة الالهية المعروف لدى الملك «حورسا ازيس» ابن السيدة ..

وتدل شواهد الاحوال على أن هذا الأثر ربما كان خاصا بوالد «شيشنق» وقدحال دون التأكد من ذلك كسر المتن .

والآن بعد هذا العرض يجب أن نبحث عن مكان «شيشنق» بن «حورسا ازيس» بين المديرين العظام للبيت فى عهد الأسرة السادسة والعشرين .

والواقع أن الأثرية لختهيم (J. N. E. S. VII, P. 165 No. 18)
تذهب الى أن شيشنق هذا نصب مديرا عظيما لبيت المتعبدة الآلهية «نيتوكريس»

بوصفه سلفا للمدير العظيم للبيت المسمى « أبا » ، ولكنها لم تجزم بذلك ؟ والآن لدينا ثلاثة آثار تسمح لنا أن نحدد العصر الذى كان يشغل فيه « شيشنق»بن« حورساأزيس» وظيفة المدير العظيم للبيت (راجع (A. Sè.LIV, P. 88 - 89) والواضح من هذه الآثار أن « شيشنق » بن « حورسا ازيس » يجب أن يعتبر آخر مدير عظيم لبيت المتعبدة الالهية « نيتوكريس » وأول مدير عظيم لبيت المتعبدة الالهية « عنخنس نفر اب رع » ومكانه هو بين المدير العظيم « بدى حور رسنت » والمدير العظيم للبيت « بدى نيت »

هذا ومما تطيب ملاحظته هنا أن موت متعبدة آلهية كان لا يحتم فى الحال تغييرا فى الموظفين الذين كانوا فى خدمتها عند تولية خلف لها وبخاصة عندمانعلم أن«عنخنس نفر اب رع» عند توليها عرش «طيبة» لم تكن الا فتاة حديثة السن لا تجارب لها تقريبا، وتدل شواهد الاحوال على أنها قد تركت الحال مع ماكانت عليه قبل توليها الملك وبخاصة الموظفين العظام الذين كانوا فى خدمة نيتو كريس وبصفة خاصة المدير العظيم للبيت . ولا بد أن الملك الحاكم كان له يد فى مثل هذه الحالة وبخاصة عندما نعلم أن ملوك الأسرة السادسة والعشرين كانوا قابضين على زمام الأمور فى كل من الوجهين القبلى والبحرى .

ومن ثم نفهم أن «شيشنق» بن «حورسا ازيس» كان قد بقى ثابتا فى وظيفته بوصفه مديرا عظيما للبيت عند موت «نيتوكريس» . غير أن لدينا ملاحظة هامة لا بد من الاشارة اليها وهى : كان كل من شيشنق بن «حورسا ازيس» و شيشنق بن «بديفيت» يشغل وظيفة المدير العظيم للبيت فى عهد «عنخنس نفر اب رع» . ولا بد من التفرقة بينهما فى النقوش التى وصلت الينا . والواقع أن «شيشنق» ابن «بد ينيت» الذى جاء بعد سميه «شيشنق ابن «حورسا ازيس» كان دائما يميز على الآثار بأن يتبع اسمه باسم والده ، ومن جهة أخرى كان «شيشنق» بن «حورسا ازيس» لا يتبع هذه الطريقة . هذا ولا بد أن نعزو الى «شيشنق» بن «حورسا ازيس» كل الآثار التى جاء فيها لقب المدير العظيم للبيت مصحوبا باسمه وحسب دون ذكر والده أو والدته (راجع عن هذه المتون (A. S. LIV, P. 90 - 92

الخلاصة

(١) ترتيب تولى المديرين العظام فى عهد الأسرة السادسة والعشرين

لقد اتضح لنا الآن على وجه التقريب الترتيب التاريخى للمديرين العظام الذين شغلوا هذا المنصب فى عهد «نيتوكريس» . واذا أخذنا بعين الاعتبـــار العنصرين الأساسيين ـ وهما الكشف عن تمثال الآلهة تواريس وعن محرابها وهما اللذان نذرهما «بابسا» للآله فى مقصورة أقامتها شبنوبت الثانيـــة ، [1] وكذلك اقامة «نيتوكريس» مقصورة للآله «أوزير» يحتمل أن يكون ذلك فى مستهل حكمها ،عندما كلون « بابسا » وقتئذ المدير العظيم لبيتها فانه يجب أن نضع «بابسا» من حيث الترتيب التاريخى قبل «ابا»

وقد كان «أبا» هذا المدير العظيم للبيت فى السنة السادسة والعشرين من عهد الملك «بسمتيك الاول» ، وقد شغل هذه الوظيفة بدينيت فى عهد الملك «نيكاو» .

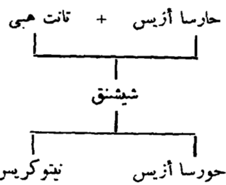
وقد حكم «نيكاو» خمس عشرة سنة وحكم ابنه «بسمتيك الثانى» ست سنوات تقريبا . ونحن نعلم أن نيتوكريس لم تمت الا فى السنة الرابعة من عهد الملك «ابريز». وعلى ذلك فان من المحتمل أنه فى نهاية حكم بسمتيك الثانى أو فى بداية حكم «ابريز» قد حل شيشنق بن «حورسا ازيس» محل «بدى حور رسنت» .

وقد خدم «شيشنق» بن «حورسا ازيس» المتعبدتين الالهتين «نيتوكريس» و«عنخنس نفر اب رع» فى خلال حكم «ابريز» والجزء الاول من عهد «أحمس الثانى» هذا اذا كان صحيحا مايعتقده الأثرى كرستوف من أن شيشنق بن حورسا ازيس هو الذى مثل فى المقصورة الأولى الخاصة بالمتعبدة الآلهية «عنخنس نفر اب رع» . (A. S. LIV, P. 92 No. 5,) وهذه المدة تعادل تقريبا نحو ربع قرن من الزمان .

---

(١) راجع Roeder, Naos, Catalog. Gen. P. 106 - 109 et Pl. 37, et 56, Daressy, Statues de Divinités, Cat. Gen. P. 284 et Pl. LV.

(ب) ويمكن من المعلومات التي توفرت لدينا من الآثار التي جمعت من هذا المهد أن نضع شجرة النسب التالية :



هذا وكان المدير العظيم للبيت شيشنق بن «حورسا ازيس» يحمل الألقاب التالية ·

(١) الأمير الوراثى والحاكم

(٢) حامل خاتم الملك

(٣) السمير الوحيد المحبوب كثيرا

(٤) المعروف حقا من الملك الذى يحبه

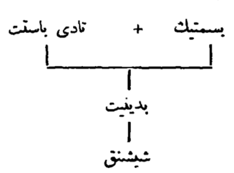
(٥) الذى يتبع سبيل سيدته

(٦) المدير العظيم للبيت للمتعبدة الالهية ·

(ج) المدير العظيم للبيت «بديفيت» :

وعلى ذلك نفهم أن «بديفيت» كان يقوم بأعباء وظيفته هذه فقط فى حوالى منتصف حكم الملك «احمس الثانى» · والآثار التى تركها لنا هذا العظيم كلها ذات صبغة جنازية، وتدل شواهد الاحوال على أنه لم يمكث طويلا فى وظيفته ، والظاهر أن كل همه فى أثناء ذلك كان ينحصر فى اعداد ابنه «شيشنق» ويمهد له الطريق ليخلفه فى هذه الوظيفة العظيمة

وهاك شجرة نسبه



هذا ولم يحمل «بديفيت» ألقابا منوعة مثل ألقاب «شيشنق» بن «حورسا ازيس»
وهاك ألقابه :
(١) الامير الوراثى والحاكم
(٢) المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية «عنخنس نفر اب رع»

(د) المدير العظيم للبيت « شيشنق » بن « بديفيت »

شغل شيشنق هذا وظيفته فى خلال الجزء الاخير من عهد الملك «احمس الثانى» وخلال عهد حكم «بسمتيك الثالث الذى حكم أقل من سنتين ، وعلى ذلك لم يكن قد مكث مدة طويلة فى وظيفته هذه كما يظن بعض الاثريين

والآن يتساءل المرء ماذا كان مصير المتعبدة الآلهية «عنخنس نفر اب رع» وأعضاء بيتها بعد احتلال البلاد على يد «قمبيز» الفارسى والاستيلاء على طيبة مقر حكمها • ؟ ومما لا نزاع فيه أن هذه المتعبدة الآلهية التى كان عمرها نحو تسع وستين سنة بعد أن تبنتها «نيتوكريس» قد تقدمت فى السن • فهل ياترى تركها الفرس تقضى بقية عمرها فى سلام ؟ ونحن لا نعلم شيئا عن ذلك بوجه التأكيد ، ولكن قد يجوز أنها قد أكرمت ، وذلك لأننا وجدنا لها تابوتا فخما عثر عليه فى عهد البطالمة وكان قد اغتصبه أحد رجال هذا العهد يحمل لقب الكاتب الملكى كما سبق الحديث عن ذلك •

وتتساءل كذلك عن مصير «شيشنق» بن «بديفيت» ؟ ولكننا نجهل كل شىء عنه • ولما كنا نظن أن القبر رقم ٢٧ بجبانة «طيبة» هو قبر «شيشنق» بن «حورسا ازيس» سميه فانا لا نعلم أين دفن آخر مدير عظيم للبيت فى عهد الأسرة السادسة والعشرين ونعنى بذلك «شيشنق بن بديفيت»

وألقاب شيشنق هذا عادية جدا وهى :

(١) الامير الوراثى والحاكم
(٢) المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية • (والزوجة الآلهية)

هـ ـ والآن بعد هذا البحث الطويل نجد لزاما علينا أن نبحث من أى وسط نشأ المديرون العظام لبيت المتعبدة الالهية فى عهد الأسرة السادسة والعشرين وبوجه

خاص بالنسبة للقب «محبوب الآله» الذى كان يحمله الكثير منهم ، وهو لقب كاهن على مايظن أو لقب يحمل فى البلاط . كما سنرى هنا

واذا فحصنا الألقاب التى كان يحملها والد كل عظيم للبيت من أولئك المديرين الذين عاشوا فى عهد الاسرة السادسة والعشرين نخرج بالنتيجة الآتية :

كان والد «بابسا» يحمل لقب «محبوب الاله ، وكان والد «أبا» يحمل نفس اللقب أما بدى «حور رسنت» فكان والده يحمل لقب الكاتب الأول وتشريفاتى المتعبدة الآلهية ؛ على حين أن والد «شيشنق» بن «حورسا ازيس» كان يلقب رئيس تشريفاتية المتعبدة الآلهية . وكان والد المدير «بدينيت» يحمل لقب محبوب الآله ؛ وأخيرا كان والد «شيشنق» بن «بدينيت» يلقب المدير العظيم لبيت المتعبدة الآلهية

ومما سبق نجد من بين ستة من المديرين العظام للبيت أن اثنين منهما وهما «بدى حور رسنت» و «شيشنق» بن «حورسا ازيس» كان والد كل منهما موظفا كبيرا فى قصر المتعبدة الآلهية . أما الاربعة الآخرون وهم «بابسا» و «ابا» و «بدينيت»وشيشنق ابن بدينيت فكان والد كل واحد منهم يحمل لقب «محبوب الآله». وقد فسر هذا اللقب بأنه كان على وجه التقريب يتبع لقب «الكاهن والد الآله» فى اللقب المركب «والد الآله ومحبوبه » ؛ غير ان الفحص الدقيق أظهر أن لقب «محبوب الآله» قد أصبح مستقلا عن اللقب : الكاهن والد الآله . وان اللقب محبوب الآله كان لقبا ذا مكانة عالية فى البلاط الملكى ، وبخاصة عندما نعلم أن المديرين العظام للبيت «بابسا» و «أبا» وبدينيت قد حمل والد كل منهم لقب محبوب الآله وهو لقب غاية فى السمو . وتظهر أهمية هذا اللقب عندما نلحظ أنه فى خلال قرن من الزمان لم يتحل به الا ثلاثة من المديرين العظام للبيت من خمسة كانوا مديرين للمتعبدة الآلهية وقد يكون هناك مجال فى ذلك لمجرد الصدفة ولكنها تكون صدفة عجيبة

و مع ذلك فاننا لم نصادف أفرادا من كهنة طيبه يحملون هذا اللقب من الذين كانوا يشتركون فى الأحفال التى كانت تظهر فيها المتعبدة الآلهية ، اذ نجد أن المتون لا تذكر الا الكهنة المطهرين والكهنة المرتلين وكهنة الساعة الخاصين بمعبد

آمون بجوار المدير العظيم للبيت ، وكاتب المخطوطات المقدسة والأصدقاء العظام كما يلاحظ ذلك فى لوحة «عنخنس نفر اب رع » .

والواقع أن هذه الحقائق تسمح لنا على مايظهر بأن نفرض أن أباء «پابسا» و «ابا» وبديفيت كانوا غرباء تماما عن طيبة وانهم كانوا يسكنون «سايس» ؟ وانهم بوصفهم ضمن حاشية الملوك المباشرة كانوا من رجال البلاط ومن المقربين وبعبارة مختصرة كانوا ينعتون بلقب المحبوبين من الآله أى من الملك . وبذلك يخرج لقب محبوب الآله عن دائرته الدينية تماما

والواقع أن «بابسا» و «أبا» كانا أولا مديرين عظيمين للمتعبدة الآلهية «نيتوكريس» . وقد كان «بسمتيك الأول» الذى نعرف عنه قوة شخصيته العظيمة يعمل بكل ماأوتى من قوة على مراقبة ادارة الوجه القبلى ، وكان يبذل جهده للأخذ بزمام الأمور من ناحية كهنة آمون الذين كانت ثروتهم لا تزال كبيرة ، (راجع Kees Zu Innepolitik der Saiten Dyn. P. 95 - 106

كما كانوا يميلون كل الميل الى ملوك كوش المشجعين لعبادة آمون والحامين لها ، ولذلك فانه عندما خلفت ابنته «نيتوكريس» المتعبدة الآلهية «شبنوبت الثانية» ، قد نصب بالقرب منها رجالا كانوا موضع ثقته . فقد عين «بسمتيك» الأول اثنين من أبناء رجال حاشيته المقربين على التوالى فى وظيفة المدير العظيم للبيت للمتعبدة الآلهية وهما « بابسا » و « ابا »

وقد مات كل من «بسمتيك الأول» و «ابا» على ماظهر فى وقت واحد تقريبا . وقد كان فى مقدور نيتوكريس أن تعمل بحرية فى أواخر أيام والدها وهو فى شيخوخته وكذلك فى عهد أخيها « نيكاو » وابن أخيها « بسمتيك الثانى » ، وكذلك فى عهد «ابريز» ومن ثم فانها قد اختارت مديرى بيتها وهما «بدى حور رسنت» و «شيشنق» بن « حورسا ازيس » من بين عظماء بيتها .

وعندما مات « شيشنق » بن « حورسا ازيس » أرسل الملك الحاكم وقتئذ وهو أحمس الثانى » بديفيت ، ليكون مديرا عظيما لبيت « عنخنس نفر اب رع » .

على أن انتخاب بدينيت لشغل هذا المنصب لم يكن قد جاء عفو الخاطر ، اذ الواقع أن المدير العظيم للبيت هذا ينسب الى أسرة كان أفرادها خداما مخلصين محبين للأسرة المالكة : فقد كان والده أحد الذين يحملون لقب « محبوب الاله » أى الفرعون كما كان يحمل اسم « بسمتيك » مؤسس الأسرة السادسة والعشرين . ومن جهة أخرى كان « لبدينيت » ابن يعرفه الملك أحمس ويقدره فعلا ، ومن ثم كان فى استطاعة « شيشنق » ابن « بدينيت » أن يقدم الى بلاط « طيبة » وينشأ على يدى والده هناك . ولما كانت « عنخنس نفر اب رع » طوع ارادة « أحمس » فانها قبلت أن يعين الابن خلفا لوالده فى وظيفة المدير العظيم للبيت .

وخلاصة القول أنه يمكننا أن نقرر هنا بشىء من التأكد أن المديرين العظام لبيت المتعبدات الالهيات على مايظهر كانوا فى غالب الأحيان ينتخبون بوساطة ملوك الاسرة الساوية فى نفس سايس من بين أبناء رجال الحاشية الذين كانوا يحملون لقب محبوب الاله أو محبوب الملك ، وعلى ذلك لا ينبغى أن نتحدث عن وراثة الوظائف عندما نأخذ فى اعتبارنا أن « بدينيت » قد خلفه ابنه « شيشنق » ، وذلك لأن «شيشنق» قد خلف والده بدينيت لأن « أحمس » قد قرر ذلك خدمة لمصالح البلاد وفائدتها لا من أجل وراثة هذه الوظيفة .

وهكذا نرى أن هذه السياسة هى التى كان قد وضعها مؤسس الأسرة الساوية ، وهى التى كانت ترمى الى توحيد السلطة فى يد الفرعون فى الوجهين القبلى والبحرى بعد أن كان جزء منها فى يد كهنة طيبة العظام فى الوجه القبلى والجزء الآخر فى يد الملوك الذين كانوا يسكنون الدلتا .

المدنية المصرية فى العهد الساوى
أحوال الجيش المصرى وطلائع الجاليات الاغريقية فى مصر

تدل كل الظواهر على أن مصر قد لبست ثوبا جديدا فى عهد الأسرة السادسة والعشرين يوحى بقيام نهضة عارمة سارت بالبلاد قدما نحو فجر جديد يعيد لها ماضيها التليد وحضارتها العريقة فى القدم وثقافتها المتشعبة النواحى ، وذلك عندما تولى عرش ملكها فرعونها الفتى « بسمتيك الأول » وأخذ بثاقب فكره يرى ضرورة اختلاط بلاده بالشعب الاغريقى ، وما انطوت عليه بلاده من حضارة فنية وثقافية أصيلة لم تكن مصر تعرفهما من قبل ، وبخاصة ما امتاز به أهل الشعب الاغريقى من النبوغ فى الفنون الحربية الحديثة التى كان يعرفها المصريون على الرغم من عراقتهم فى ضروب الطعن والنزال . ويرجع الفضل الأكبر فى اتصال القطرين بعضهما ببعض الى الملك « بسمتيك الأول » الذى يعتبر الدعامة الأولى فى تأسيس دولة « سايس » فى مصر ، فقد انتهز بما أوتى من حذق ومهارة وذكاء فذ الموقف السياسى المناسب وقتئذ لبلاده فى العالم لتحسين حالة مصر والنهوض بها ، وقد بدأ أولا لمدة فترة وجيزة بتطهير داخل بلاده مما كانت تواجهه من الصعاب ؛ وقد كان أول مابدأ به هو التغلب على أولئك الأمراء الاقطاعيين الذين أبوا الخضوع له طوعا ؛ وعلى أية حال لم يستمر النضال لاخضاعهم طويلا ، اذ بعد انقضاء سنين قلائل خضعوا له جميعا عن طيب خاطر وان كان بعضهم لم يسلم الا بعد هزيمة نكراء . وقد رأى بسمتيك ألا يضع الفريق الأخير من هؤلاء الأمراء الذين كان لا يزال يخاف شرهم الا فى مناصب كبيرة اسمية لاتمكنهم من القيام عليه كرة أخرى . فمن هؤلاء مثلا الأمير « منتومحات » الطيبى فانه لم يكن يتمتع فى عهد بسمتيك بأى استقلال سياسى كما كانت الحال فيما مضى ولكنه مع ذلك كان يحمل الألقاب التى كانت تؤهله لذلك أى أنها كانت قد أصبحت ألقاب شرف وحسب ، وكذلك نلحظ فيما ذكرناه آنفا أنه حتى أسرة أمراء رؤساء

السفن الذين كان مقرهم فى اهناسيا المدينة قد فقدوا ، على الرغم من مصادقة عظمائها القديمة للفرعون « بسمتيك » ، كل ماكان لهم من سلطان ونفوذ اقطاعى . وذلك لأن الفرعون « بسمتيك » كان قد أخذ فى اتباع تنصيب الأمراء القدامى فى وظائف حكومية ادارية بعيدة عن موطنهم الأصلى بقدر الامكان وذلك بعد سلبهم كل سلطتهم الاقطاعية . ومن ثم يلحظ أنه بعد نهاية العام الرابع والثلاثين من حكم « بسمتيك » أى حوالى عام ٦٣٠ ق.م قد اختفت عن الأعين وظيفة رياسة السفن الوراثية التى كانت تتمتع بها أسرة واحدة بعينها ، وذلك لأنه لم يكن هناك مجال لوجود مثل هذه الوظيفة المستقلة أو شبه المستقلة ، وهى الوظيفة التى كان يتمتع بها صاحبها كما شاهدنا من قبل بنفوذ عظيم فى كل من مصر الوسطى ومصر العليا فى مملكة جديدة موحدة . وبسبب اختفاء هذه الوظيفة الوراثية نصادف فى « اهناسيا المدينة » قائدا حربيا يدعى « حور » تحت سلطان الفرعون مباشرة ، وقد قام ببناء عمائر غاية فى الجمال كما قام بعمل اصلاحات فى معبد الاله « حرسفيس » (حرشف معبود أهناسيا المدينة) وقد كانت أهناسيا هى مسقط رأسه ، ولكنه كان قبل ذلك قد عين قائدا فى الوجه البحرى فى مقاطعة « بوصير » وهى المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه البحرى (راجع أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى للمؤلف ص ٧٨) . وكان والده يدعى «بسمتيك» ومن ثم نجد هنا فى « اهناسيا المدينة » رجلا من المقربين جدا للأسرة الساوية ، ومع ذلك سنرى أن نسل أمراء « اهناسيا المدينة » قد استمر حتى عهد «الاسكندر الأكبر» كما يلحظ ذلك فى أسرة الأمير «سماتوى تفنخت» الذى بقيت أسرته قائمة فى اهناسيا حتى عهد « الاسكندر الأكبر » ، ولكن لم يكن لها النفوذ الاقطاعى العظيم الذى كانت تتمتع به من قبل .

والواقع أن هؤلاء الأمراء وكذلك الملك «بسمتيك» نفسه وأسرته لم يكونوا من أصل مصرى ، وذلك أنه منذ عهد الدولة الحديثة كان السواد الأعظم من أفراد جيش فرعون من أصل أجنبى لوبى بوجه خاص ؛ فمنذ عهد « رعمسيس الثالث » كان

الجيش المصرى يحتوى على جنود لوبيين بصــورة متزايدة على مر الأيام حتى أصبح كل رجال الجيش فيما بعد يتألفون من هذا العنصر بوجه عام ، أما المواطنون المصريون الأصليون فى المدن والقرى فقد أبعدوا عن حمل السلاح بصورة مستمرة حتى انتهى بهم الأمر الى أن أغلق فى وجوههم باب الجندية والخدمة فى الجيش العامل

وقد تحدثنا من قبل عن الجيش اللوبى وتأليفه (راجع مصر القديمة الجزء التاســع ص ٤٨٢ - ٤٩١) • والواقع أنه منـــذ بداية الألف الأولى كان كل جندى من أصل لوبى يشغل وظيفة متوارثة وكان يسمى « مى » وهى كما ذكرنا من قبل مختصر اسم القبيلة اللوبية المعروفه باسم « مشوش » وهــذا الاسم الاخير حرفه اليونان الى كلمة ماشــيموى Machimoi • وكان هؤلاء الجنود ينقســـمون فرقتين احداهما تدعى « هرمونير » والأخرى تدعى « كلازيرى » وكان جنودهم يسكنون فى مستعمرات حربية مغلقة أى قائمة بذاتها فى مقاطعات الدلتا • وقد كان كل جندى يملك قطعة من الأرض معفاة من الضرائب تبلغ مساحتها اثنى عشر أرورا (= ١٢ هكتارا من الأرض) •

وقد كان كل جندى من هؤلاء لايســتمر مدة طويلة فى وظيفتــه دون أن يرقى ، وذلك لأن قائدهم الأعلى كان دائما يرعاهم ويرقيهم الى وظائف أعلى بحسب الكفاية وقد انتهى الامر بهؤلاء الجنود اللوبيين فى عام ٩٥٠ ق•م أن اعتلى أحد كبارهم العظام وهو شيشنق الذى كان من أسرة عريقة فى الجندية عرش الفراعنة • وفى خلال القرنين ونصف القرن التى تلت توليه عرش الملك أخذت البلاد فى النهاية الى التمزيق وأصبحت تتألف من عدة مقاطعات صغيرة كان يحكمها أخلاف شيشنق الأول وقواد المشوش الذين كانوا منتشرين فى البلاد بوصفهم ملوكا وأمراء مستقلين تقريبا •

وقد قام أحد هؤلاء الأمراء فى النهاية وهو « بسمتيك » وأخضع سائر المقاطعات لسلطانه ؛ وكان ذلك اما بالحرب واما بالطرق السلمية كما ذكرنا ذلك من قبل ، وبذلك سلبهم كل استقلالهم وسلطانهم • وقد كان الأساس فى نجاح « بسمتيك »

فى أعماله الحربية والسلمية يرجع الى قوة شخصيته واخلاص جيشه الذى ألفه والذى كان تحت امرته مباشرة . وقد كان فى استطاعة بسمتيك أن يعتمد على جزء من جنود المشوش وبخاصة الذين كانوا معه فى مقاطعته الأصلية اهناسيا ، غير أنه كان من المستحيل على بسمتيك أن يقيم دعائم مملكته على أسس متينة ثابتة وهى كما هى تتألف من أمراء المشوش ومن جنود المشوش أنفسهم وحسب ، يضاف الى ذلك أنه لم يكن لديه أى أمل فى تجنيد المصريين ليناهض بهم هؤلاء الأمراء أبناء جلدته ، وعلى أية حال فانه لم يفكر أى ملك من ملوك العصر المتأخر قط فى اقامة جيش من المصريين الوطنيين الذين لم يتعودوا الجندية منذ زمن بعيد وذلك بابعادهم عنها ، ومن ثم لم يبق أمام بسمتيك وسيلة أخرى للنهوض بالجيش الا أن يؤلف جيشا من الجنود الذين كانوا يفدون عليه من مصر من البلاد المجاورة وبخاصة بلاد الاغريق . وقد كانت الأحوال السياسية الخارجية مواتية لمساعدة بسمتيك على عزمه هذا بصورة مدهشة تدعو الى الأمل والفلاح . وذلك أن حركة الاستعمار التى قام بها الاغريق خارج بلادهم كانت قد بلغت فى عهده درجة عظيمة جدا من التوسع . وقد كان سبب ذلك ازدحام بلاد الاغريق نفسها بالسكان فى تلك الفترة مما جعل من المستحيل اتساع رقعة بلادهم لاطعام أهلها وايوائهم . ومن ثم كان الجم الغفير من الاغريق يغادرون بلادهم بصورة مستمرة فى جماعات . ولم يقتصر ذلك على بلاد الاغريق نفسها بل امتد ذلك الى بلاد شاطىء آسيا الصغرى التى كان يسكنها اغريق ؛ وقد كان الكل يبحثون عن وطن جديد فى أى مكان فى العالم لضيق بلادهم وازدحامها بالسكان ،ومن ثم نشأت على سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحار المجاورة له مستعمرات اغريقية جديدة من أول «تانايس» Tanais الواقعة على بحر «ازوف» حتى سواحل «اسبانيا» . ويلحظ أنه لم تكن التجارة هى المقصد الأول الذى كان يسعى اليه الاغريقى كما كان يفعل الفنيقيون فى كل عهودهم بل كان غرضهم الاستيطان قبل كل شىء . وتدل شواهد الاحوال على أن بحارة الاغريق قد ولوا وجوههم شطر

مصر ، ولكن في الواقع نجد أنه في بلاد ثقافية كمصر حتى فى أسوأ أوقاتها لم تكن نظرتها خالية من الامور السياسية ، ولذلك لم تكن هناك فرصة للاغريق للقيام بانشاء مستعمرة لهم هناك بسبب كره المصريين للاجانب . وكان كل ماوصلوا اليه فى هذا المضمار أن قراصنتهم كانوا يأتون الى دلتا النيل وهناك كانوا يتصلون بالمصريين عرضا دون أن يجرءوا على طلب الاستيطان هناك . وقد أوحى ذلك الى الفرعون بسمتيك نفسه أن يسهل للاغريق أمر الاستيطان فى مصر عندما فطن لغرضهم ، وذلك بسبب مهارة الاغريق الحربية ، هذا بالاضافة الى الكاريين الذين يذكرون معهم وهم سكان سواحل آسيا الصغرى فقد شجعهم على الهجرة لمهارتهم فى الحروب ؛ ويمكن للانسان أن يلحظ مهارة هؤلاء القوم من الوجهة الحربية فى قرصنتهم الجريئة ؛ ومن ثم بدأ بسمتيك استخدام القرصان الذين كانوا يفدون على الدلتا من هذه الجهات (راجع (Herod II, 152

وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق . وفى عام ٦٥٥ ق.م أرسل « جيجيز » ملك « ليديا » (وهى بلاد قديمة فى آسيا الصغرى وتقع بين بلاد « ميزيا » و « فريجيا » و «كاريا» وبحر «ايجه» وعاصمتها «ساردس») جنودا من الأيونيين والكاريين لمساعدة «بسمتيك» . ولا نزاع فى أن الرواية الاغريقية القديمة كانت على حق عندما تذكر أن مساعدة هؤلاء الاجانب كانت العامل الفاصل فى نجاح «بسمتيك» فى حروبه الداخلية مع أمراء الاقطاع الذين ثاروا عليه فى أول حكمه . وبعد انتهاء هذه الحروب الداخلية بسرعة لم يترك «بسمتيك» الاغريق والكاريين الذين كانوا فى خدمته يعودون الى أوطانهم وقد فضل هؤلاء من جانبهم أن يسكنوا فى مستعمرات خاصة بهم مثل جنود المشوش ، وقد رأى «بسمتيك» بما أوتيه من بعد نظر أن يوزع الجزء الاكبر من خيرة جنوده هؤلاء على الثغور الخطرة من بلاده وأعنى بذلك الحدود الشمالية الشرقية التى كانت عرضة للغزو ، ومن ثم أسس مادعى «معسكر الجيش» عند فرع النيل البلوزى فى أسفل مدينة «بوبسطة» ثم بدأ يعلم المواطنين المصريين اللغة الاغريقية ، وذلك ليكونوا تراجمة لهؤلاء الوافدين الجدد من الاغريق . ولم

يكن قصد هؤلاء الاغريق والكاريين أن يكونوا جنودا مرتزقين أو سائحا بل جاءوا ليحصلوا من الأرض التى يستعمرونها أن تكون ضمانا لاقامتهم بعد أن تغربوا عن بلادهم ، وذلك فى مقابل مايقدمونه من الالتزامات التى تعهدو بها فى خدمة الجيش المصرى •

والواقع أن هؤلاء المستعمرين الجدد مالبثوا أن مهدوا على وجه السرعة العلاقات التجارية بين مصر والبلاد التى وفدوا منها وبخاصة مانجده من وفود التجار من «آسيا الصغرى » وجزر بحر «ايجه» ، وهى الأماكن التى كان يجب منها الجنود المستعمرون ، وقد كان لأهالى بلده ميليه القدح المعلى فى ذلك فقد وفدوا بنحو ثلاثين سفينة الى فرع النيل «البوليتى» وأسسوا لهم مستودعا هناك • ويحتمل ان ذلك كان قد حدث مابين ٦٢٥ ـ ٦٠٩ ق‌م • ولا نزاع فى أن سياسة الفرعون «نيكاو» البحرية قد ضاعفت هذه العلاقات التجارية بصورة محسة ، وبخاصة عندما نعلم أنه فى عهده كان لمصر أكبر أسطول فى البحار ولا نزاع فى أن تبادل التجارة بين مصر وبلاد الاغريق قد استمر منسجما فكانت مصر ترسل الحبوب وكان الاغريق يدفعون ثمنها فضة (راجع
Grafton Milne, The Trade between Greece and Egypt before Alexander The Great J. E. A., 25 P. 177 ff.
وكذلك كانت مصر صاحبة علاقة مع الدول الإغريقية نفسها ولا أدل على ذلك من أن ابن أخ «برپندر» [1] **Periander** التيرانى صاحب «كورنثه» وخليفته وهو الذى كان يعد أقوى شخصية فى العالم الاغريقى فى القرن السابع قبل الميلاد كان قد تسمى باسم بسمتيك تيمنا به ، وفى ذلك دليل كاف على ماكان بين البلدين من ود ومصافاة • يضاف الى ذلك أن الفرعون كان يجرى وراء ايجاد علاقات دينية تربطه

---

(١) وهو أحد ملوك كورنثه من ٦٢٥ـ٥٨٥ق‌م واحد السبعة الحكماء فى بلاد اليونان ، وقد شجع التجارة والفنون ، ولكن على الرغم من شهرته بالحكمة كان غاية فى العنف وقد قتل زوجه « مليسا » بركلة من رجله ونفى ابنه «ليكوفرون» الى « كورسير » ، وذلك لأن موت أمه البسه ثوب الحزن .

بالعالم الاغريقى ، فمن ذلك أن الفرعون «نيكاو» قد قدم درعه الحربية التى كان يرتديها فى حملته على «سوريا» للآله «أبولون» صاحب معبد «ميلوس» ، وفيما بعد نجد أن «أحمس الثانى» قد قدم قربانا لآلهة سيرينى واسبرتا و«ساموس» و «لندوس» كما أسهم هذا الفرعون كذلك فى بناء معبد «دلفى» الذى كان أحرق بمبلغ ٥٤٨ تلنتا ، [١] وقد كان هذا العمل يعد دليلا عظيما على ما للجنود الاغريق القاطنين فى مصر من أهمية بالغة •

وقد كان السبب الأساسى لكل هذه المظاهر التى أبدتها مصر نحو بلاد الاغريق هو حاجة بسمتيك الملحة لكسب ثقة الرجال المهرة المدربين من الأجانب لينخرطوا فى صفوف جيشه • ومما يطيب ذكره فى هذا المقام أن العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الاغريق كان لا يمكن أن تنقطع كما كان الفرعون يرغب فى الوقت نفسه فى تنميتها وتعضيدها كثيرا وان كانت فى الأصل ليست ذات موضوع لدى بسمتيك • أما من حيث سياسة القوة فانها لم تقم بأى دور هام فى ايجاد العلاقات بين الساوية وبلاد الاغريق منذ عهد بسمتيك حتى عام ٥٤٦ ق•م بوجه عام • أى أن مصر لم تعتمد على جيش أغريقى ليساعدها فى حروبها ، على أنه من الخطأ أن يقال ان جيش الفرعون «بسمتيك» كان مؤلفا من جنود أغريق وكاريين وحسب كما نجد ذلك مذكورا بشىء من التحيز من الجانب الاغريقى • والواقع أن الاغريق والكاريين قد لعبوا دورا ممتازا من حيث القدرة والكفاية ، وكذلك من حيث العدد بوصفهم جنودا مرتزقة ، ولكن لا يفوتنا أنه كان يوجد بجانبهم فى ساحة القتال جنود من اليهود والفنيقيين والسوريين واللوبيين والنوبيين • فنعلم من الأوراق البردية التى عثر عليها فى «الفنتين» أنه كانت توجد مستعمرة يهودية فى العهد الفارسى تحتوى على جنود من اليهود ، غير أن هؤلاء اليهود كانوا يقيمون هناك قبل العهد الفارسى بزمن طويل • وقد كانت الحكومة المصرية قد سمحت ليهود «الفنتين» باقامة معبد فى

---

(١) « التلنت » يعادل ٥٦٠٠ فرنكا فضه .

حاميتهم هناك . وليس لدينا من برهان مبين لتوضيح ميزة المستعمرة اليهودية الحربية أكثر من أنها كانت ثابتة فى مكانها المعين ولكن الانسان يتساءل متى أسست هذه الحامية اليهودية فى الفنتين ؟

الواقع أنه فى كتاب التثنية يقول ملك اليهود فى الاصحاح ١٧ سطر ١٦ مايأتى : ولكن لا يكثر له الخيل ولا يرد الشعب الى مصر لكى يكثر له الخيل والرب قال لكى لا تعودوا ترجعون فى هذه الطريق أيضا . وقد فهم المؤرخ «ادوردمير» (راجع
Ed. Meyer, Kleine Schriften Bd I, P. 77; Anm. I, Comp. Papyrusfund Von Elephantine (Leipzig 1912), P. 34; Ed. Meyer, Geschichte des Altertums, III, 2, P. 146, Anm. 2)
من ذلك وجود تجارة نشطة تدور حول ارسال جنود من اليهود الى مصر فى مقابل خيل . وقد حدث ذلك منذ عهد الفرعون «بسمتيك الأول» . ولا بد أن حامية الجنود الاغريق كانت قائمة فى «الفنتين» ؟ ولا غرابة فى أن نعرف أن هذا الفرعون قد وضع حامية من الجنود اليهود عند حدود بلاده الجنوبية ، اذ لاشك فى أن ذلك كان من جانبه اجراء غاية فى الحزم وبعد النظر . هذا وقد أخذت القوات اليهودية تصل الى البلاد بعد ذلك فى عهد أخلاف « بسمتيك » . فقد ذكر لنا « أريستياس » **Aristeas** (راجع **Ad. Philokr, 13**) أنه فى عهد «بسمتيك الثانى» قد جاء الى مصر يهود بمناسبة حملته على بلاد كوش ليلتحقوا بالجيش المصرى ، ثم مكثوا هناك بعد انتهاء الحرب . ولا نزاع فى أن هذه المذكرة قد أثبتت حقيقة أنه فى كل من الحالتين التى أصيب فيها اليهود بأذى فى السنين العشر الأولى من القرن السادس زادت هجرتهم الى مصر وبخاصة لأن الامور كانت تجرى على غير مايرغبون ، وقد كانوا يخافون العقاب كما حدث لهم بعد هدم أورشليم وقتل «جوليا» حاكم المدينـــة الذى ولاه «نبوخذ نصر» .

وهكذا نما المجتمع اليهودى القاطن فى «الفنتين» بما كان يفد اليه من جنود مهاجرين ؛ على أن الحامية لم تكن تحتوى على يهود وحسب ، بل كان يوجد بينهم جنود آخرون

من الأسيويين واليهود ، بل ويحتمل كذلك من اللوبيين . هذا ونجد عدا ذلك لوبيين فى الجيش الساوى ، هذا بالاضافة الى نوبيين وسوريين وفنيقيين

وقد أوجـد « بسـمتيك » فى هـذا الجيش قوة من الأجانب دون أن يغير شيئا فى نظام المستعمرات الحربية . وهـذه القوة كانت تقف فى وجه المشوش القدامى الذين كانوا سببا فى خلق مصاعب لقائدهم بالخروج عليه عندما رأوا أنهم قد اضطهدوا . فقد ذكر « هردوت » أن ٢٤٠٫٠٠٠ مقاتل من المشوش بقوا فى حامياتهم التى كانت فى «الفنتين» و «دفنى» و «ماريا» مدة ثلاث سنوات فى حراسة حدود البلاد دون أن يسرحوا فى أجازة ؛ ومن أجل ذلك انتقضوا على «بسمتيك الاول» وذهبوا الى بلاد كوش ، وقد أسكنهم ملك هذه البلاد فى جنوب مملكته ، وقد أسرع بسمتيك خلفهم لاعادتهم ، ولكنهم لم يسمعوا رجاءه ليعودوا الى بلادهم ، وعلى الرغم مما تحتويه قصة هذه الهجرة من حديث خرافة كما أوضحنا ذلك فيما سبق فانهـا تنطوى على نواة تاريخية ، اذ لا بد أن جزءا من جنود المشوش القدامى قد هاجروا الى بلاد كوش رافضين الانضمام الى فرقة «بسمتيك» القوية ، ومن الجائز أن ذكرى التسلط الكوشى المنحل على مصر ، وهو العهد الذى كان يترك لهم فيه الحبل على الغارب ، والذى كانوا يتمتعون فيه بقوانين خاصة ، كان له يد فى ذلك ؛ وبخاصة أن « بسمتيك » قد أخذ يقبض على ناصية الامور بعزيمة ماضية . وعلى أية حال لا بد أن بسـمتيك كان قد سر من هـذا العمـل أكثر من أن يغضب اذ قد تخلص من العناصر الجامحة فى جيشه (راجع H. Schafer, klio 4 (1904), P. 152 ff)

ويتساءل الانسان كيف كان فى مقدور بسمتيك الأول أن يؤلف وحدة متماسكة بصورة مقبولة من هؤلاء الجنود الذين كانوا من قوميات متعددة متباينة حتى يصبح بذلك جيشا صالحا للقتال ؟ والواقع أن الفرعون قد توصل الى ذلك بوساطة جماعة من الضباط الذين كانوا ينحصرون فى دائرة ضيقة حول فراعنة الاسرة الساوية ، وهؤلاء الضباط كانوا بحكم التقاليد من طائفة جنود المشوش الذين كانوا مرتبطين به وملتفين حوله بحكم الدم .

وعلى الرغم من أن المادة التاريخية التى تؤكد لنا ذلك قليلة ، فان ذلك يمكن فحصه على أحسن وجه بما لدينا من معلومات من عهد الملك «بسمتيك الثانى» ، وعلى الرغم من ذلك فانه لابد أن يثق المرء فى النتائج التى توصلنا اليهـا من درس عهـد بسـمتيك الأول ، وذلك لأن ما نعلمه فيما بعد عن نظام الجيش فى عهد الاسرة السـاوية كان لا بد قد أخذ عن الانظمة التى وضعها مؤسس الدولة سواء أكان ذلك فى الامور الدينيـة أم فيما يتعلق بنظام الجيش واعداده . والواقع أنه قد جاء فى نقش باللغـة الاغريقية تركه لنا جندى اغريقى من جنود بسمتيك الثانى على تمثال من تماثيل رعمسيس الثانى الضخمة التى أقامها فى واجهة معبد « أبوسمبل » ببلاد النوبة ما يأتى : « عندما أتى الملك بسمتيك الى الفنتين كتب ذلك أولئك الذين كانوا مسافرين مع «بسمتيك» ابن «تيوكلس» Theokles ، ولقد وصلوا الى «كركيس» Kerkis بقدر ما سمح به النهر ؛ والاجانب الذين كان يقودهم القائد «بوتاسيمتو» والقائد المصرى «احمس» وقد كتبناه نحن «ارخون» Archonبن «امويبيكوس» Amoibichos و «بلكوس» Pelkos ابن «أوداموس» Udamos . ومن الواضح هنا تمام الوضوح أن قائد الاغريق كان والده يدعى «تيوكلس» ويحمل اسما اغريقيا أصيلا ، وكان الاسم الذى يدعى به هذا القائد (وهو ما يسمى بالاسم الجميل) هو اسم بسمتيك أى باسم الفرعون ، ومن ثم نفهم أنه كان قد ولد فى مصر . واذا سلمنا أنه كان قد تولى قيادة الجنود الاغريق فى الحملة التى قام بها بسمتيك الثانى وهو فى الاربعين من عمره فانه يكون قد ولد فى عام ٦٣٠ ق‌م ، وعلى ذلك فان والده كان فى خدمة الجيش المصرى فى النصف الاول من حكم بسمتيك الأول ، هذا وكانت توجد بين هذه الاسرة والبيت الساوى علاقة وطيدة (راجع

Hall, Cambridge Ancient History III, P. 301

ومن نقوش تمثال أبو سمبل السالفة الذكر قد استنبط أن جيش « بسمتيك الثانى » الذى ذهب فى حملة على بلاد النوبة كان مؤلفا من ثلاث فرق تسير جنبا لجنب وهى :

(١) فرقة من المصريين بقيادة «احمس»

(٢) فرقة من الاغريق بقيادة «بسمتيك» بن «تيوكلس»

(٣) فرقة من باقي الأجانب بقيادة «بوتاسيمتو» .

على أنه توجد هنا صعوبة حقيقية لا بد من التغلب عليها وهي ماذكره «هردوت» من أن المؤتيين والكاريين كانوا أول أجانب سمح لهم بالدخول في مصر . ولكن الموضوع هنا يتوقف على عبارة أجانب اذ أنها تعني كل ماليس بمصري بما في ذلك الاغريق . والآن يتساءل الانسان كيف تكون الحال عندما تقرن مكانة الاغريقي «بسمتيك» بمكانة بوتاسيمتو ؟. فهل كانا في مكانة متساوية .؟ والواقع أنه لدينا تابوت وآنية قربان لقائد مصري يدعى «بوتاسيمتو = » «بدى سماتوى» ، وتمثال لقائد يدعى احمس (أمسيس) وقد كان كل من هذين القائدين يمزج في اسمه اللقب الذي كان يلقب به بسمتيك الثاني وهو «نفرـابـرع» بوصفه الاسم الذي كان ينادى به كل منهما وهو ما يطلق عليه عند المصريين «الاسم الجميل» فكان القائد الاول يسمى : « (نفرـابـرع) نب كنت » والقائد الآخر يدعى « (نفرـابـرع) نخت» ومن ثم يمكن القول أنهما كانا معاصرين لهذا الفرعون . والبيانات التي وردت على الآثار تدل دلالة واضحة دقيقة على أنهما هما الشخصان اللذان ذكرا على تمثال « أبو سمبل » . وبذلك لا يوجد أي شيء في شخصيتهما ، وقد تحدثنا عنهما باسهاب عند الكلام على آثارهما فيما سبق . وكان أول مانشاهده في ألقابهما هو أن «بوتاسيمتو» كان قائد الجنود الاغريق في حين أن «أحمس» كان لا يحمل هذا اللقب وعلى ذلك كانت العلاقة بينهما في الحملة النوبية واضحة فقد كان احمس يقود الفرقة المصرية المؤلفة من جنود المشوش في حين أن « بوتاسيمتو » كان يقود كل الجنود الأجانب . وكان «بسمتيك» ابن «تيوكلس» بوصفه ضابطا للجنود الاغريق فيجيش «بوتاسيمتو» مرءوسا للأخير .

هذا وكانت الحاميات التي سبق ذكرها معسكرة في حصون الحدود الجنوبية في الفنتين وتحتوى على أغريق ويهود ، وذلك على مايظهر غير ما كانت تحتويه من جنود آسيويين ولوبيين . وقد كان القائد لحصن الفنتين معروفا لنا في عهد الملك«ابريز»

بالاسم ، وهو «حور» وتمثاله لا يزال محفوظا وقد تحدثنا عنه فيما سبق وقد كان مصريا من أهل الدلتا كما كانت الحال مع سائر قواد هذه الفترة (راجع

Kees, Nachrichten der Ges. der Wissinsch. zu Gottingen (1935) P. 95 (zur Innenpolitik der Saitendynastie; comp. A. Z. 72, P. 43 - 44; A. Z. 48, P.P. 160 - 163.

هذا ولدينا أمير بحر للأسطول يدعى «حور» من عهد بسمتيك الثانى وكان يحمل فى وقت واحد لقب أمير ورئيس خزانة ملك الوجه البحرى ، وكذلك قائد الاجانب والاغريق (راجع **Petrie, Hyksos and Israelites Cities, P. 18, Pl. XV and XX, L.R. IV, P. 99 No. 33.**

وقد ذكر لنا كل من المؤرخين «ادوردمير» و «فيدمان» قائدا آخر يحمل هذا اللقب من عهد الملك بسمتيك الثانى (راجع

Gesch. Ag. P. 364, Anm 3 bez. Ag. Gesch. P. 636 with No. 13, suppl. P. 70; K. Piehl. Rec. Trav. 3, P. 70 f, and Wiedemann Rec. Trav. 6, P. 117

هذا وبفحص التماثيل وغيرها من الآثار التى من العصر الساوى يمكن مضاعفة هذه الأمثلة . وهكذا نرى أن الجنود الاجانب كانوا مقسمين على حسب قومياتهم اغريقا ويهود، ولوبيين الخ وكان كل قسم بإمرة ضابطه ، ولكن هذه الأقسام كلها كانت تحت امرة القائد الأعلى المصرى ، وهذا ينطبق حتى على القواد المدربين القدامى فى خدمة الساويين كما يحدث ذلك فى حالة بسمتيك الافريقى الذى تحدثنا عنه .

ولم تحفظ لنا التقاليد المكتوبة التى وصلت الينا أسماء رجال تدل على المركز الثانوى الذى كان يشغله القواد الاغريق ، والمثال الوحيد الشاذ الذى وصل الينا من هذا القبيل هو « فانس » الهلكرناسى » الذى ذكره « هردوت » فى آخر العهد الساوى وقد تحدثنا عنه فيما سبق . على أن هذا المثل ليس حاسما ، إذ لم يقم هذا القائد بدور رئيسى فى قيادة جيش فى مصر بل كانت شهرته تنحصر فى دور الخائن الذى لعبه بانضمامه الى الفرس وقد لقى جزاء خيانته . وتدل شواهد

الأحوال على أن « فانس » هـــذا لم يشغل مكانة عالية مثل المكانة التى كان يشغلها بسمتيك بن «تيوكلس» بأية حال من الأحوال . وذلك على الرغم من مهارته وذكائه

ومما لا شك فيه أن اسناد القيادة العليا الى ضابط مصرى كبير بمفرده لم يكن كافيا لادارة جيش متعدد القوميات والنزعات ، كما لم يكن كافيا لايجاد نظام حقيقى بين صفوفه ، وعلى ذلك لم يكن هذا الجيش المؤلف بهذه الكيفية أداة حرب من الطراز الاول بأية صورة . وحقيقة الأمر أن حامية مثل حامية الفنتين التى كان جنودها معسكرين فى حصن واحد باستمرار كان مثلهم كمثل معسكر جنود الشوش يعملون فقط فى مناسبات ، وكان محرما على جنودها فى الأصل أن يعملوا فى صناعات أخرى خارجة عن أعمال الجيش . وعندما قرن «ارمياء» فى الاصحاح ٤٦ سطر ٢١ مرة جنود مصر بعجول الحظائر التى تفر أمام العدو بقوله (أيضا مستأجروها فى وسطها كعجول صغيرة لأنهم هم أيضا يرتدون ويهربون معا . لم يقفوا لأن يوم هلاكهم أتى عليهم وقت عقابهم) فان ذلك كان فى الواقع خبثا منه ، ولكنه لم يخطىء كل الخطأ فى تصويره هذا . وعلى أية حال فان ذلك لا يغير حقيقة أن المشاة الإغريق كانوا يفوقون كل الجنود الشرقيين بما فى ذلك الفرس ، كما برهنت الحوادث على ذلك مدة جيل بعد نهاية دولة الأسرة الساوية . فقد وجدنا فى جيوش ولايات آسياالصغرى التى كان لزاما على مصر أن تحاربها للمرة الاولى فى جيش «قمبيز» فرقا كبيرة من الجنود الاغريق (راجع Herod. III, 1; III, 139) وقد خدم فى جيش الملك «نبوخذنصر» بعض المغامرين من الاغريق مثل «انتيمنيدس» Antemenidas الذى تحدث عنه الجغرافى سترابو (Strabo XIII, 2 -3) وفضلا عن ذلك فان جيش «نبوخذنصر» ، على الرغم من انتصاراته العظيمة على الجيش الساوى ، فانه لا يكاد يختلف عنه فى كثير من الوجوه ، اذ كان مثل الجيش الساوى مؤلفا من جنود يقومون على نظام المستعمرات الحربية ، كما أنه كان من حيث النوع تنقصه أشياء كثيرة (راجع (Meissner, Babylonian und Assyrian Bd. I, P. 87 - 89

وقد كانت الانتصارات التى أحرزها الجيش البابلى على أية حال ترجع الى عبقــرية «نبوخذ نصر» نفسه .

ولا نزاع فى أن فراعنة مصر كانوا على معرفة تامة مثل «نبوخذ نصر» بهذه النقائص، يدل على ذلك دلالة لا لبس فيها ولا ابهام سياستهم الخارجيــة التى كانت متخذة خطة الدفاع لا الهجوم . على أن تجاهل الفرعون «ابريز» ماكان عليه جيشه من ضعف فى قوته ونظامه قد كلفه فى نهاية الأمر فقدان عرشه ثم هلاكه هو ؛ وقد ظلت مصر من جراء ذلك حوالى عشرين عاما تتعثر فى أذيال الاضطرابات والثورات التى انتشرت فى أنحائها ، فلم يكن من باب الصدف ماعلمناه من قيام عصيانين كبيرين فى عهد «ابريز» ؛ فقد قام لسبب غير معلوم عصيان فى حامية الفنتين وقرر جنودها الذهاب الى «بلاد كوش» وهذا القرار يذكرنا بالقرار الذى اتخذه جنود المشوش قبل ذلك بجيلين ولكن على الرغم من ذلك وصل قائد الحامية «نسحور» المصرى وهدأ العصيان كما يقول باغداق العطايا على الثائرين ، ومن ثم سيطر على الموقف وأعاد النظام الى نصابه ، وبالنسبة لهذه الحالة فان هذه النتيجة المرضية قد ترجع الى كبرياء «نسحور» .

وقد حلت بجيش «ابريز» فى آخر أيام حكمه كارثة فى حرب مع بلاد «سيرينى» (لوبيا) كما ذكرنا من قبل . ومن ثم اندلع لهيب عصيان كانت نهايته سقوط الفرعون وموته . وفى هذه المرة كان هناك سبب آخر أدى الى هذه النتيجة المحزنة ؛ فقد كانت توجد بين المصريين واللوبيين من قبيلة «المشوش» الذين فى خدمة الاسرة الساوية وبين الجنود الأجانب منافسة مستمرة . ومن المحتمل أن «ابريز» بما أظهره من مجاملة ومحاباة للاغريق قد زاد فى اذكاء الاحقاد التى كانت بين الفريقين . وقد كان لهزيمة المصريين على يد الاغريق «سيرينى» أثر سىء فى نفوس المصريين أدى الى كرههم الاغريق الذين كانوا فى مصر مما جعلهم يكنون لهم أشد العداء ، ويتمنون مغادرتهم الديار المصرية . يضاف الى ذلك أن اغتصاب «أحمس» قائد الجنود المشوش للعرش والحروب التى شنها على «ابريز» من عام ٥٦٩ ق.م حتى عام ٥٦٧ ق.م – وهى الحروب التى انضم فيها المصريون

الى جانب «احمس» المغتصب ، فى حين كان الاغريق والكاريون فى جانب «ابريز» مما زاد فى شقة الخلاف بين شطرى الجيش وانتشار الفوضى فى داخل البلاد •. ومع ذلك فان أحمس بعد انتصاره على خصمه مباشرة قد أظهر أنه لايمكنه أن يستغنى عن الجنود الاغريق • ويشهد بذكائه الذى أصبح فيما بعد مضرب الامثال انه لم يفكر قط فى الشروع فى العمل بدونهم ، غير أنه كان يرى أنه لا بد من عمل نظام جديد لاقامة الاغريق فى مصر دون اغضاب الاهلين بقدر المستطاع ، وقد سارع أحمس بتنفيذ النظام الذى كان قد صمم عليه فى الحال ، وذلك أنه عمل على ازالة الحامية الاغريقية والكارية التى كانت تقع على فرع النيل «البلوزى» ، وذلك بنقل جنودها الى «منف» (راجع (Herod. II, 154, Diod. I, 67 i وجعلهم يخدمونه بوصفهم حرسه الخاص • وقد حدث مثل ذلك من قبل فى عهد «بسمتيك الاول» • ومن ثم لم تكن مهمة الجنود الاجانب حماية مصر من أعدائها فى الخارج وحسب بل كان من واجباتهم أن يكونوا الساعد الأيمن للفرعون فى داخل البلاد • هذا وقد اتخذ «أحمس» فى الوقت نفسه اجراءات تقضى بوضع حاميات عسكرية فى الاماكن الاستراتيجية الجغرافية الرئيسية فى مصر ؛ وبذلك كان فى مقدوره أن يستعملها فى أى ناحية يهاجم منها وللقضاء بسرعة خاطفة على أى عصيان أو فتنة • هذا ويلحظ أنه فى عهد «أحمس» كان يوجد جنود أغريق كذلك فى «الفنتين» ، ومن المحتمل كذلك فى بعض أماكن أخرى خلافا للمعسكرات التى كانت تقع على الحدود الشمالية الشرقية ، وقد كانت حامية «الفنتين» لا تزال قائمة فى عهد الحكم الفارسى لمصر ؛ غير الأوراق الأرامية العدة التى وجدت فى الفنتين والمؤرخة بالقرن الخامس قبل الميلاد ليس فيها أية اشارة تدل على وجود أغريق فى هذه البلدة ، فهل يا ترى أن ذلك يعنى أن «أحمس» لم يكتف فقط بنقل الجنود الاغريق من المعسكرات وحسب ، بل كذلك أجلاهم عن أماكنهم الباقية الى منف ؟ والواقع أنه ليس لدينا مايؤكد هذا الزعم • ولم يكن «أحمس» يميل الى اغضاب جنود المشوش الذين عززوه وناصروه على الجنود الاغريق فى محنته التى انتهت بانتصاره

واعتلائه عرش الملك بعد أن قضى على خصمه «ابريز» ؟ والواقع أنه لم يكن من مصلحة «أحمس» ولا من مصلحة مصر بلاده أن يفعل غير مافعل .

وقد قام «أحمس» باتخاذ اجراء جرىء يدل على أنه كان يعلم تمام العلم بالورطة التى وقع فيها ، وذلك أن غرضه الذى كان يرمى اليه هو أن يجعل وجود الاغريق فى البلاد المصرية غير محس من قبل المصريين ، اذ كان يشعر أن وجودهم كان حملا ثقيلا على كواهلهم ، وكان فى الوقت نفسه لايريد جرح شعور الاغريق ، وبخاصة أن تجارهم كانوا قد وسعوا تجارتهم فى خلال المائة سنة الأخيرة ، ومن جهة أخرى كانت تجارة الاغريق هامة ومربحة للدولة المصرية ؟ هذا على الرغم من أن منافساتهم التجارية كانت مكروهة لدى المصريين ، وأن مجرد وجود أجانب فى مصر كان يبعث فى نفس كل فرد مصرى أشد الكرة وعدم الانسجام . على أن كل ذلك لم يثن عزم أمسيس عن اسعاد البلاد كانت أول خطوة خطاها هى تشجيع التجارة الحرة للاغريق فى مصر ، ولكنه ارضاء للمصريين أزال مستودعاتهم من كل أنحاء البلاد وبخاصة فى كل من «منف» و «سايس» اللتين تدعيان العاصمتين الرئيستين فى البلاد ، وفى مقابل ذلك منحهم مدينة نقراش الواقعة على الفرع الكانوبى فى أحسن مكان وقتئذ على البحر الأبيض المتوسط ، وقد أصبحت فيما بعد ذات شهرة عظيمة فى العالم المتمدين . وقد أسست كمستعمرة منذ بداية القرن السادس تقريبا ولكنها أخذت فى النمو بسرعة عظيمة وكانت تعتبر مدينة أغريقية على الأراضى المصرية [1] وقد حرم بذلك على أى تاجر أغريقى أن يرسو بسفن تجارته فى أى جهة أخرى من البلاد ، واذا حدث أن سفينة قد رست فى مكان آخر اضطرارا بسبب معاكسة الريح فان تجارته كانت تحمل بوساطة

---

(١) تناول موضوع هذه المؤسسة الكثيرون بالبحث (راجع : Herod. II, 178 - 9 وقد اكد « هردوت » أن نقراش قد منحهـا أمسيس للاغريق ولكنه لم يقل انها قد اسست فى عهد هذا الفرعون . وهاك ماقاله فى هذا الصدد :«ولما كان أمسيس متحيزا للاغريق انعم انعامات أخرى على اغريق متنوعين وفضلا عن ذلك اعطى مدينة نقراش اولئك الذين وفدوا على مصر ليسكنوها . أما أولئك =

سفن الى «نقراش» . وقد سهل هذا الاجراء الذى اتخذه «أحمس» مراقبة الحكومة الواردات ودفع الضرائب على السلع الاغريقية . هذا ومن النقط التى تحتاج الى بحث فى موضوع الضرائب مازعمه الاستاذ «كيس» من أن الضرائب كانت تدفع على حسب

= الذين لم يريدوا السكنى فيها ولكن كانوا يريدون الاتجار بطريق البحر فقد منحهم أماكن يمكنهم أن يقيموا فيها مذابح للآلهة .. الخ . وقد تحدث عن «نقراش» الاثرى « بترى » (راجع : Petrie, Naukratis I, (1884 - 5) P. 4 ff.; comp. Gardiner, Naukratis II, (1885 - 1886) P. 10 ff.

وقد أراد أن يقول فى نهاية تقريره هذا مع استخدام ماجاء فى كتاب الجغرافى « استرابون » عن هذه المدينة (راجع : (Strabo XVII, 1, 18 (801) ان تأسيس مدينة نقراش كان قد حدث فى النصف الاول أومنتصف القرن السابع، ولكن يعارض هذا الرأى هرشفيلد (راجع :

Rhein. Mus. 42 (1887), P. 209 - 211, Comp. 44 (1889), P. 461 - 7

وعلى حسب رأيه كانت مدينة نقراش قد أسست بعد عام ٥٧٠ق م لتكون مدينة اغريقية وكانت قبل ذلك كما يقول هردوت مؤسسة مصرية . وقد تبعه فى هذا الرأي « ادوردمير » . (راجع : Ed. Meyer, Gesch. Ag. P. 385 anm I, comp. P. 362 anm. 1; & G. D. A. II (1893)), P. 673-7, § 417 A=III,2, P. 623, Anm. 1

هذا وقد عاد « برنس » الى رأي «بترى» ثانية . (راجع : H. Prinz, Funde Aus Naukratis klio Beiheft 7 (1908) P. 1 - 6

وكذلك وافقه على رأيه بريس. (راجع :

E. R. Price, Pottery of Naukratis (Journal of Hellenic Studies 44) (1924) P. 180 ff; Comp. Kees, Naukratis in Pauly — Wissowa, Real Encyklopadic der Klassischen Altertumswissenschaft, XVI, 2, (1935) P. 1945 - 1966, bis P. 1956 - 1959; R. M. Cook, Amassis and the Greeks in Egypt. J. H. S. 57 (1937) P. 227.

وقد بحث الموضوع كله من جديد فى مؤلف حديث للأثرى « بسنج » لم يظهر بعد أقرن ماكتبه هذا الأثرى (راجع :

Bissing, Forschung zur Geschichte und Kulturellen Bedeutung der grieschen Kolonie Naukratis in Agypten, Forschungen und Fortschritte, 25 (1949, P. 1 - 2

هذا ومن الجعارين الهامة الخاصة بتاريخ هذه المدينة والتى وجدت فيها نفسها جعران باسم الفرعون « بسمتيك الأول »وآخر باسم « بسمتيك الثانى وثالث =

ماجاء في لوحة « نقراش » التي يرجع تاريخها الى عام ٣٨٠ ق م وهو مايساوى عشرة في المائة على الواردات ومثلها على المنتجات منذ عهد «أحمس» (راجع
Naukratis, R. E. XVI, 2 (1935), P. 1960 — Die stele von 380, s. Anlage 10, Naukratis I, Nr. 2.

«على الرغم من كل هذه القيود التي وضعت على حرية الاقتصاديات ، فان السياسة التي اتبعها «احمس» في «نقراش» مع الاغريق تعد امتيازا لا يقدر بقيمة ؛ اذ الواقع أن ثراء هذه المدينة الاغريقية لم يلبث أن أصبح ذا شهرة عظيمة بسرعة . وقد كان لأهالي «ميلوس» و «ساموس» و «اجنتا» معابد خاصة في «نقراش» ؛ يضاف الى ذلك أن السكان فيها من أهل «خيوس» Chios ، و «تيوس» Teos و « فوسيا » و « كالزمينيا » Kalzomenai و «رودس» و «كنيدوس» Knidos و « هليكرناس » و «فاسيليس» Phaselis و «ميلوس» ، كان لهم معابد عامة هيلانية». وقد أحس أغريق مصر الآن أن الاجراءات التي قام بها «أحمس» ، كانت عملا كريما بالنسبة لهم . هذا وقد أصبح ميل أحمس للاغريق أكثر من الميل الذي أظهره لهم «بسمتيك الأول» من قبل كما حدثتنا الأخبار عن ذلك (١) . ولا غرابة في ذلك فقد كان له اتصالات شخصية بأعظم كبار الشخصيات

= باسم «ابريز» والواقع ان الجعران الوحيد الذي وجد باسم بسمتيك الاول جاءت عليه اشارة تدل على انه عمل بعد وفاته . هذا وليس لدينا اي اثر مصري او اغريقي يحتم وجود مؤسسة اغريقية او مصرية قبل عهد بسمتيك الثاني . ولا نزاع في أن أول اغريق اتوا الى هذه المؤسسة لم يكن في عهد امسيس ، ومع ذلك فان أول ازدهار لهذه المدينة حدث في عهده كان نتيجة للاجراءات التي اتخذها بالنسبة للاغريق .

(١) وقد حدثنا عن ذلك الاثرى « فيدمان » (راجع Wiedemann. Ag. Gesch. P. 647 - 49.) ومما جاء في هذا الصدد ويلفت النظر ماذكره « هردوت » عن قصة وفد بلدة الى (Elee) (وهي بلدة قديمة ايطالية عند مصب نهر هيليس في البحر التيراني او « الاترسكي» وهي مسقط رأس الفيلسوف «نون» Zenon والفيلسوف « برمنيد » Perminide كما كانت مقر المدرسة الايلية الشهيرة) حيث يقول : وعندما كان « بساميس » (يقصد بسمتيك) هذا حاكما على مصر وصل وفد من أهل « الى » مفتخرين بأنهم قد أسسوا الالعاب الأولمبية بوساطة أنظمة ممتازة من حيث العدالة والتفوق في كل العالم ، وكانوا يعتقدون أنه حتى مصر لم تعد بالنسبة لهم احكم بلد في العالم ، اذ لا يمكنها أن تخترع أى شيء يفوقها . وعندما وصل وفدهم الى مصر ذكروا الغرض من مجيئهم ، وعلى ذلك طلب هذا الملك حضور هؤلاء الذين كانوا =

الذين كانوا معاصرين له أمثال «صولون»[1] Solon وتالس[2] Thales وكليوبولوس[3] Kliobulos و « بيـــاس » [4] Bias وبتاكوس[5] Pittakos . ومع ذلك فان عمل أمسيس كما فهمه « هردوت » ومواطنوه من الاغريق لم يكن ليدل على الصداقة للاغريق بل كان أولا وقبل كل شيء براءة منه ، بسبب تذمر المصريين من الاغريق ،

= مشهورين بين المصريين بأنهم كانوا أحكمهم وقد تقابل معهم المصريون واستمعوا الى أهل « الى » وهم يقصون ما قرروا عمله بالنسبة لهـذه الالعاب ، وبعـد ان ذكروا كل شيء قالوا أنهم قد أتوا ليتساءلوا فيمـا اذا كان المصريون فى مقدورهم إختراع أى شيء أكثر عدالة مما فعلوه ؟ وبعد أن تشاوروا معا سألوا وفد « الى » فيما اذا كان أهل وطنهم قد سمح لهم بالاشتراك فى هذه الالعاب ؟ فقالوا انهم وكل الاغريق الآخـــرين الذين يريدون كان مسموحا لهم بالمبـــاراة ، ولكن المصريين اجابوهم أنهم بعملهم بمثل هذه القوانين قد حادوا كلية عن قواعد العدالة، اذ لا يمكنهم بذلك أن يدبروا طريقـة لمنع محاباة مواطن من مواطنيهم مع عدم الحـاق ضرر بأجنبى ، ولكنهم اذا كانوا يريدون حقا سن قوانين عادلة ، واذا كانوا قد أتوا الى مصر لهـذا الغرض فانهم ينصحونهم بتأسيس ألعاب للطلاب الاجانب على شرط ألا يسمحوا لأهل « الى » بأن يشتركوا فيها ، وهكذا كان الاقتراح الذى أبداه المصريون لأهل « الى » .

(١) وهو مشروع أثينى واحـد سبعة الحكماء فى بلاد الاغريق (٦٤٠-٥٥٨ قم) وهو الذى رفع الروح المعنوية فى الشعب الأثينى وخفف من أعباء المواطنين الفقراء وأعاد الانسجام فى « أثينا » بمنحها دستورا ديمقراطيـا وقسم المواطنـين الى طوائف مؤسسة لاعلى حسب الولادة بل على حسب الثروة ، هذا مع منح كل فرد جزءا فى حكم المدينة ، هذا ولا يزال محفوظا قطعـة من شعره الذى كان يعد من الشعر الرفيع جدا

(٢) فيلسوف اغريقى يحتمل أنه ولد فى «ميلة» Millet (٦٤٠ - ٥٤٨ قم) وهو مؤسس الايونية ومؤلف المذهب القـائل أن الماء قد لعب الدور الأول فى العالم ، وهو أقدم الفلاسفة السبعة وأشهرهم

(٣) أحد الحـكماء أو الفلاسفة السبعة فى بلاد الاغريق وصديق « صولون »

(٤) أحد الحكماء السبعة فى بلاد الاغريق وكان مشـــهورا بأحكامه القضـائية العادلة

(٥) أحد الحكماء السبعة فى بلاد الاغريق ولد فى متلين حوالى ٦٥٠ قم وهو الذى خلص بلاده من المسـتبدين وحكمهـا مدة عشرة سنين ، وهو الذى تنسب اليه الحكمة القائلة : « لا شيء أكثر من اللازم »

ولا نزاع فى أن عمل « أمسيس » هذا لايزال فى نظرنا عملا سياسيا يدل على العبقرية وبعد النظر •

هذا ولما كانت مصر بعد عام ٥٢٥ قم قد أصبحت جزءا من الامبراطورية الفارسية فان هذه التحفظات التى كانت فى صالح الاغريق قد أخذت تتلاشى ، ومن ثم بدأ نجم نقراش يأفل من ناحية أنها مدينة ذات ثقافة أغريقية ، كما أخذت تجارتها الرابحة تكسد بسرعة ، ولا نعلم اذا كانت هذه المدينة بعد زوال الحكم الفارسى عن مصر قد أخذت ثانية فى استعادة احتكارها وازدهارها كرة أخرى أم لا • وقد رأينا أن هــذه المدينة قد اشــتركت فى علم ٣٦٠ قم فى الاكتتاب الهيــلانى العام لاعادة بناء معبــد « أبولو » فى دلفى (راجع

Dittenberger, Sylloge, 1³ P. 346 and P. 349; H. Prinz, Funde aus Nautkratis, Klio Beiheft 7 (1908), P. 114 - 115. Comp. Homolle, Bulletin de Correspondence Hellénique 20 (1896), P. 594, Note 2.

غير أن تأسيس الاسكندرية فى عام ٣٣١ قم كان فيه القضاء المبرم على هذه المستعمرة العظيمة ، وقد ظلت قائمة قبل سقوطها قرنين من الزمان • ولا نزاع فى أن سبب ازدهار «نقراش» كان يرجع الى مركزها الاحتكارى ، وهذا كان نتيجة تعد من أكبر وأغرب حوادث التاريخ ، فقد كان الاغريق المساعدون لفراعنة البيت الساوى لايمكن الاستغناء عن خدماتهم ، وفى الوقت نفسه كان المصريون فى جميع أنحاء بلادهم يمقتونهم مقتاشديدا ويعملون على اخراجهم من بلادهم بكل وسيلة •

المعابد والديانة فى عهد الأسرة الساوية

لعب رجال الدين دورا هاما فى حياة الشعب المصرى فى العهد الساوى بدرجة لا تقل أهميتها عن الدور الذى لعبه رجال الجيش وأجنادهم من المشوش والاغريق وغيرهم من الطوائف التى كان يتألف منها الجيش المصرى آنئذ . والواقع أن الكهنة فى تلك الحقبة من الزمن كانت لهم قوة تضارع تلك التى كانوا يتمتعون بها فى عهد الدولة الحديثة وبخاصة كهنة آمون العظام فى طيبة وقد تناولنا الحديث عن دولة طيبة الآلهية فى غير هذا المكان ، ولا شك فى أننا نعلم ماكانت عليه هذه الدولة بصورة تدعو الى الرضا ، وسنضع هنا منذ البداية الآراء المختارة عن أحسن مظاهر قامت عليها وماكانت تنطوى عليه من آراء ومقاصد بعيدة المدى .

وتدل الأحوال على أن مملكة الاله آمون التى قامت فى طيبة منذ الأسرة الواحدة والعشرين لم تكن قط هيئة سياسية قائمة بذاتها ، اذ نعلم أنها كانت فعلا قبل نهاية الألف الثانية قبل الميلاد تابعة للأسرة الواحدة والعشرين التى ينتسب ملوكها الى أسرة «تانيس» (من حوالى ١٠٨٥–٩٥٠ق م ، وعندما تولى أمير المشوش «شيشنق الأول» عرش مصر عام ٩٥٠ ق م قضى على كيان هذه المملكة الآلهية من الوجهة السياسية بتعيين الكاهن الاكبر فى «طيبة» من أسرته . حقا ظلت مكانة هذه الأسرة الدينية ملحوظة مرعية ، غير أنها قد خسرت مع ذلك الجزء الاعظم من نفوذها الذى كانت تتمتع به من قبل . ولا نزاع فى أن «شيشنق الأول» وأخلافه من أسرته لم يهاجموا مملكة آمون بوصفها مملكة دينية بل ان كل مافعلوه كان التقليل من نفوذها السياسى ، وكان ذلك كما قلنا من قبل أنهم نصبوا أعضاء أسرتهم فى منصب الكاهن الأول لآمون ؛ وقد ظلت هذه الوظيفة الواسعة النفوذ فى العهد المتأخر وراثية كما كانت وظيفة رئيس المشوش الحربية فى طيبة — وكذلك فى سائر جهات القطر — تحت سلطان الفراعنة اللوبيين ونفوذهم .

غير أن فكرة الحكومة الالهيـة ، أى الحكومة التى كان يديرها الاله آمون نفسه ، والتى حملها معه الفراعنة الكوشيون من «نباتا» قد أحدثت هزة عنيفة فى البلاد ، اذلم يقتصر

مداها على الفكرة الدينية النظرية البحتة وحسب بل تخطت ذلك الى الفكرة العملية السياسية ، ومن المحتمل جدا أن فراعنة كوش هؤلاء كانوا من أجداد شيشنق وكانوا عونا وسندا للكهنة العظام فى طيبة ؛ فقد كانوا يعتقدون أنهم وسيلة صالحة لنشر ارادة الاله آمون الذى كان يعد آلههم الأعظم وكان لابد من سـيطرته فى نظرهم ونشر نفوذه بكل وسيلة ؛ وقد كان تعصبهم لمذهبه يفوق حد الوصف ولسنا مبالغين اذا قلنا أنهم فى ذلك كانوا يشبهون طائفة الوهابيين الى حد كبير فى عهودنا الحديثة ؛ على أنه كان من سياسة هؤلاء الملوك عدم الحط من الآلهة المصريين الآخرين بل كانوا يحترمونهم ويعظمونهم ويقدمون لهم القربان بوصفهم أتباعا لالههم العظيم «آمون» .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن تمسك هؤلاء الملوك الكوشيين بديانة آمون والمغالاة فى نشرها قدقادت كهنتهم فى نهاية القرن الأخير من عهد المملكة الكوشية الى أن جعلوا وحى «آمون» هو الذى كان يفصل فى تعيين الملوك كما كان هو الذى يصدر لهم الأمر بعزل الملك وبالذهاب الى الموت [1] . ويقول فى ذلك ديدور : ان أغرب مافى عاداتهم هى العادة التى كان يحصل عليها بمناسبة موت ملكهم وذلك أن كهنة «مروى» الذين يصرفون وقتهم فى عبادة آلهتهم والشعائر التى تكسبهم الشرف هم أعظم وأقوى طائفة ، اذ كانوا يرسلون رسولا للملكهم يأمره بالموت عندما تعن لهم هذه الفكرة ، وذلك لأنهم يقولون ان الآلهـة قد كشـفوا لهم عن ذلك . وكان لزاما عليهم ألا يهملوا أمر المخلدين من قبل فرد من البشر (راجع (Diod, III, 6, t. 3) .

هذا وقد حفظ الكاهن المصرى عن الكوشى التقى الورع فكرة حسنة باستمرار كما حدثنا بذلك هردوت (راجع (Herod. II, 137, 139 ، وكذلك ديدور الصقلى (راجع (Diod. III, 2, 2 & III, 5) فقـد نقلا لنا هـذه الآراء بصورة واضحة .

والواقع أن الحكومة الآلهية لآمون صاحب «طيبة» تعد أقدم وأبسط وصاحبة

---

(١) راجع Agatharchides (E. Schwartz, Diodoros, R. E. V. I, 1903, P. 673); Diodor. III, 6 t. 3; Comp. Stele der Konigswahl Urk. III, P. 81 - 100 etc.

أمتن اجراء لحكومة آلهية عرفها التاريخ ، وقد وجدت حسن التعبير عنهــا ، وكذلك عن الأحاسيس العالمية التي كان كهنة هذا العصر المتأخر يقومون بتطبيقها . ولم يكن هنا مجال لآراء سياسية خاصة ، وكذلك كانت حياة الدولة تحددها الديانة وحدها . حقا كانت الاوضاع المتطرفة لحكومة آمون الآلهية قد نشأت في بادىء الأمر تحت تأثير الكوشيين المتعصبين غير أن المصرى كان ينظر اليها على حسب مايريد هو . ولا نزاع في أن الفكرة الأساسية في هذه الديانة لم تكن غير مصرية ولم تكن وليدة فكر الكوشيين وحدها بل كانت فضـــلا عن ذلك وهـذه الأمور الهـــامة الفاصلة في مصر ـ قاصرة على طيبة .

وقد أظهر الاستاذ «كيس» في كتابه عن الاعتقادات في الآلهة (راجع
Der Gotterglauben in Altenagypten P. 339 - 401
ان الأفكار التي كان يتمسك بها كهنة آمون في مصر في تلك الفترة كان مصدرها يبتدىء أولا منذ السيادة الكوشية على مصر ، ولكنه من جهة أخرى ينكر أن الصورة المثالية التي أوردها الكتاب الاغريق عن المملكة الآلهية التي كان يحكمها آمون لم تأت من الوجه البحرى بل أنها كانت كوشية محضة ، وعلى ذلك يجب على الانسان أن يفصل بين هذه الفكرة وبين الصورة المتطرفة لهذه الحكومة . ويرى الاستاذ «كيس» أن «هكاته الأبدرى» هو الذى نقل عنه «ديدور» فكرة السيادة المثالية للكهنة أنها قد أتت من «نباتا» ولم تأت عن طريق الكهنة المصريين . ويطيب لنا أن نذكر هنا أن «كيس» قد تجاهل الظرف الذى كتب فيه «هكاتة الابدرى» رأيه ؟ اذ الواقع أن «هكاتة» هذا قد عاش في عهد الملك «بطليموس الأول» ولم يمتد أجله حتى عهد « بطليموس الثانى »
(راجع F. Jakoby, Real - Encyk. der Klassischen Altertumwissenschaft VII, 2, 1912, P. 2751, Hekataios 4)
وذلك في وقت لم يكن الاغريق يكادون يعرفون فيه شيئا عن الكوشيين . هذا ونجد كذلك أن «ديدور» (Diod 1, 37, 5) الذى استقى معظم معلوماته عن مصر من مؤلفات «هكاته» (E. Schwartz, R.E. V, 1903 P. 670, Diodoros 37)
قد برهن على أن أول معلومات صحيحة عرفها الاغريق عن بلاد كوش كانت في الجزء

الاول من حكم بطليموس الثانى . والبيانات التى أوردها بالنسبة لما نعرفه عن العلاقات بين مصر وبلاد كوش فى المدة مابين ٦٥٠ ق‌م حتى بداية القرن الثالث قبل الميلاد مقبولة تماما . ومما له أهمية بالغة فضلا عن ذلك أن المثل الاعلى لواضع الحوليات الديموطيقيه وهو من طبقة الكهنة ومسقط رأسه الوجه البحرى كان : « الحاكم الذى لا يهمل هذا القانون » . وهذا يبرهن على أن ذيوع مثل هذه الافكار بوساطة الكهنة المصريين فى العصر المتأخر كان لايقتصر على طيبة مقر عبادة آمون .

وعلى أية حال فان الاحوال فى البلاد وقتئذ قد سمحت بامكان تطبيقها بصورة متطرفة لما اتصف به الحكام الكوشيون من تعصب دينى . وكثيرا مايمكننا أن نصل الى هذه الصورة المثالية التى مثلها لنا كهنة العهد المتأخر عن حكومة مصر الالهية وذلك مما نقله لنا الاغريق أو مما وصل الينا بطريقة مباشرة من الحوليات الديموطيقية التى ألفت فى الوجه البحرى فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وذلك من البيانات التى جاءت فى كتابات « أفلاطون » و « هكاته الأبدرى » ؛ وقد أظهر المؤرخ أدوردمير (Ed. Meyer, G. D. A. II, 2, P. 42 - 45) ان ماذكره هذان المؤلفان لم يكن من تأليف الاغريق بل نقل عن آراء مصرية بحتة . ويقول «أفلاطون» فى هذا الصدد : لاينبغى لأى ملك مصرى أن يحكم بدون كهنته ، ولكن اذا حدث أن واحدا من طائفة أخرى قد نجح فى ذلك بالقوة فانه يجب عليه بعد ذلك أن يدخل فى هذه الطائفة بالتضحية (راجع Politikos, 290 d, e.)

وقد قدم لنا « هكاته الأبدرى » صورة موجزة عن المملكة الالهية المصرية (راجع Diodoros I, 70 - 71.) فاستمع لما يقول : ومن ثم كانت أولا حياة الملوك المصريين التى يعيشونها ليست مثل حياة الناس الآخرين الذين يتمتعون بسلطان ارستقراطى فيفعلون فى كل الامور مايرغبون فيه تماما دون أن يحاسبوا عما يفعلون ، بل كانت كل أعمالهم مرتبة حسب تعاليم وضعت فى قوانين ، ولم يكن ذلك قاصرا على أعمالهم الادارية وحسب ، بل كذلك الاعمال الخاصة بالسبل التى يصرفون فيها وقتهم من يوم ليوم وكذلك بالطعام الذى يأكلونه . أما فيما يتعلق بمسألة خدمهم مثلا ،

فلم يكن واحد منهم يعتبر خادما كالذين حصل عليهم بالشراء أو ولدوا هكذا فى البيت بل كانوا كلهم من أولاد أعظم الكهنة شهرة ، وكان عمر الواحد منهم يتجاوز الواحدة والعشرين سنة ، كما كانوا من أحسن أقرانهم المواطنين تعلما ، وهذا لأجل أن يستحوذ الملك على أشرف الناس للعناية بشخصه وليرافقوه نهارا وليلا ، وبذلك لا يزاول أعمالا خسيسة ؛ وذلك لأن أى حاكم كان لايسير قدما على طريق الشر الا اذا كان حوله هؤلاء الذين يخدمون شهواته . وكانت ساعات كل من النهار والليل قد وضعت على حسب برنامج . وفى ساعات معينة كان لزاما على الملك أن يفعل ما سنه القانون وماكان يعتقد أنه أحسن شىء . فمثلا فى الصباح بمجرد استيقاظه من النوم كان عليه أن يتسلم أولا الرسائل التى أرسلت من كل النواحى ، والغرض من ذلك أن يكون قادرا على أن ينهى كل الأعمال الادارية ويتم كل عمل بعناية ، وبذلك يكون قد أخبر بدقة عن كل شىء يعمل فى كل أنحاء مملكته ، ثم بعد أن يكون قد استحم وارتدى الملابس الفاخرة وتحلى بشارة وظيفته (أى شارة الملك) كان عليه أن يضحى قربانا للآلهة .

وعندما كانت الضحايا تحضر الى المذبح كانت العادة أن يقف الكاهن الأكبر بجوار الملك وتحيط به عامة الشعب ويصلون بصوت عال ليمنح الملك والصحة وكل الأشياء الطيبة الأخرى ، هذا اذا كان يحافظ على العدالة نحو رعاياه ، وكذلك كان يعترف علنا بكل فضيلة يتحلى بها الملك ، فكان الكاهن يقول انه كان يتصرف بتقوى نحو الآلهة وبمنتهى الشفقة نحو الناس ؛ وذلك لأنه كان ضابطا لنفسه وعادلا وكريما وصادقا وجوادا بأملاكه ؛ وبالاختصار كان مسيطرا على كل رغبة فى نفسه ، وأنه عاقب الجرائم بأقل شدة مما تستحق ، وقدم للمحسنين اليه اعترافا بالجميل أكثر من احسانهم اليه . وبعد أن يتلو أكثر من ذلك بكثير بنفس النغمة كان ينهى صلاته بلعنة على الأشيا التى ارتكبت خطأ معفيا الملك من كل لوم بالنسبة لها ، وسائلا أن تقع كل العواقب السيئة والعقاب على الذين خدموه وعلموه أشياء آثمة . وكان يفعل كل ذلك ليرشد الملك الى مخافة الآلهة ويعيش عيشة رضية من جهة ، ومن جهة أخرى ليعوده

على سلوك صراط مستقيم ، لا بالتحذيرات بل بوساطة المدائح اللطيفة والتى تكون أحسن معين على الفضيلة . وبعد ذلك عندما يكون الملك قد أدى الصافة من احشاء عجل ووجد أن الفأل حسن ، كان الكاتب المقدس يقرأ بعض النصائح التهذيبية وأعمال أشهر رجالهم وذلك ليتأمل الذى كان يقبض على القيادة العليا فى عقله أميز المبادىء العامة ثم يتجه نحو الادارة التى وضعت للوظائف الشتى . وذلك لأنه كان هناك وقت معين لا لعقد المجالس والنطق بالأحكام وحسب بل كذلك للقيام بالنزهة وبالاستحمام وبالنوم مع زوجه ، وبالاختصار للقيام بكل عمل من أعمال حياته . وقد كانت عادة الملوك أن يتناولوا طعاما خفيفا فلم يكن يأكل لحما الا لحم البقر والبط ولا يشرب الا مقدارا معينا من النبيذ يقصر عن أن يجعلهم مكتظين أكثر من اللازم أو فى حالة سكر . وبوجه عام كان الطعام يطلب بدرجة من التقشف حتى ليبدو أنه كان قد عين لا بوساطة مشرع بل بوساطة أمهر الاطباء مراعين فى ذلك فقط صحتهم

وقد يظهر غريبا أن الملك لم يكن فى يده كل زمام طعامه اليومى ، غير أنه مما يلفت النظر أكثر من ذلك هو أن الملوك لم يكن مسموحا لهم أن يعطوا أى قرار قضائى أو يتمموا أى عمل خبط عشواء ، أو يعاقبوا أى شخص لحقد فى نفسهم أو وهم فى حالة غضب ، أو لأى سبب غير عادل ، بل فقط على حسب القوانين الموضوعة بالنسبة لكل جريمة ، وذلك باتباع ماتمليه العادة فى هذه الأمور ، ماداموا بعيدين عن الغضب أو لايحملون ضغينة فى نفوسهم ، فانهم على العكس كانوا فعلا يظهرون بأنهم متمسكين بالسير فى طريق أسعد حياة ، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن كل الناس الآخرين بسيرهم دون روية وبشهواتهم الطبعية كانوا يرتكبون أعمالا كثيرة تجلب عليهم الاضرار والاخطار ؛ وفى كثير من الاوقات نجد أن بعض الذين يدركون أنهم على شفا ارتكاب جريمة كانوا يقومون بأعمال دنيئة عندما يتغلب عليهم الحب أو الكره أو أية عاطفة أخرى ، فى حين أنهم من جهة أخرى (بفضل ما اكتسبوه من طريقة حياة انتخبوها لأنفسهم دون غيرها جميعا بوساطة احترام الناس) كانوا يسقطون فى أقل الأخطاء . ولما كان الملك يتبع مثل هذه الطريقة الحقة فى معاملة رعاياه ، فان

الشعب كان يظهر حسن نية نحو حكامه كانت تفوق حتى حبهم لأقاربهم ، وذلك لأنه لم تكن طائفة الكهنة بل كل سكان مصر أقل اهتماما بسلامة ملوكهم عن اهتمامهم بسلامة أزواجهم وأطفالهم وكل ما لديهم من متاع عزيز . وعلى ذلك فانه فى خلال معظم الوقت الذى أمضاه الملوك الذين نعرفهم فى الحكم نجد أنهم قد حافظوا على حكم مدنى منظم واستمروا يتمتعون بأرغد حياة سعيدة مادام نظام القوانين الذى وصفناه كان متبعا ، وأكثر من ذلك فانهم فتحوا شعوبا أكثر وجمعوا ثروة أعظم من أى شعب آخر وزينوا أراضيهم بالآثار والمبانى التى لايمكن أن تضارع ، وكذلك زينوا مدنهم بهبات غالية من كل نوع » .

والواقع أن الملوك باتباعهم نصوص القانون باخلاص قد أصبحوا محبوبين بين رعاياهم أكثر من أى صاحب سلطان فى العالم ، وفى ذلك يقول واضع الحوليات الديموطيقية : افرح بالحاكم الذى سيأتى فانه لن يحيد عن القانون » .

ومن ثم نجد أن طبقة الكهنة كانوا يرعون فى تلك الفترة التى آلت فيها البلاد الى التدهور - أن يحافظوا على كنوز التقاليد المصرية القديمة . على أن الكوشيين وان كانوا يقطنون فى مصر فى هذه الفترة من التاريخ المصرى بوصفهم حكاما أجانب فانهم لم يكونوا فى نظر الكهنة المصريين يعدون بهذا السبب أجانب ، كما أنهم لم يكونوا يشعرون من جهتهم بشىء من العداء ، اذ لم تكن وطنيتهم فى أصولها سياسة بل كانت على حسب فكرة حاملها وشعوره سحرية دينية ، وذلك لأن الأجانب الحقيقيين كانوا يعدون فى نظرهم أنجاسا مثل الخنازير ورعاتها ورعاة الغنم أيضا . (راجع ماجاء فى هردوت وفى التوراة (Herod. II, 47, [1]) سفر التكوين الاصحاح ٤٦ سطر

---

(١) عد المصرى الخنزير حيوانا نجسا وعلى ذلك اذا لمسه انسان أثناء مروره حتى بملابسه فان عليه أن يذهب الى النهر ويغطس فيه ، ومن جهة أخرى فان رعاة الخنازير على الرغم من أنهم مواطنون مصريون كانوا هم الصنف الوحيد من الناس الذين لايسمح له أن يدخل أى معبد من معابدهم ، كما أنه محرم على أى رجل أن يزوج ابنته لواحد منهم أو يأخذ لنفسه زوجة منهم بل كان رعاة الخنازير يتزوجون فيما بينهم . وعلى ذلك كان يظن المصرى أنه ليس من الصواب تضحية خنزير لأى من آلهتهم . الخ

٣٤) [1] هذا ونعلم كذلك أن الملك «بيعنخي» الكوشي لم يسمح لبعض حكام مقاطعات الدلتا الذين أرادوا تقديم فروض الطاعة والخضوع لحكمه ـ بالدخول عليه في بيته لأنهم كانوا أنجاسا من أكلمة السمك . هذا ونجد أن عددا متزايدا من الأجانب كانوا يختلطون بالمصريين من الذين كانوا في بادىء الأمر يحفظون تعاليم الشعائر المصرية التي ذكر لنا منها « هردوت » جزءا كبيرا راجع [2] (Herod. II, 37) هذا وكان المصري يعاملهم بنفس الشعور المعادي ، فمن ذلك ماجاء في التوراة (راجع سفر التكوين الاصحاح ٤٣ سطر ٣٢) [3]

---

(١) أن تقولوا عبيدك أهل مواش منذ صبانا الى الآن نحن وآباؤنا جميعا لكي تسكنوا في أرض جاسان لأن كل راعي غنم رجس للمصريين .

(٢) كان (المصريون) من بين كل العالم ، أكثر الناس انتباها بدرجة فائقة لعبادة الآلهة وكانوا يحافظون على مراعاة الشعائر التالية : وكانوا يشربون من كئوس من نحاس أصفر يجلونها كل يوم ، على أن هذه العادة لم تكن متبعة عند بعض الناس ومهملة عند آخرين بل كان الكل يمارسها وكانوا يلبسون ملابس كتان تغسل دائما من جديد ، وكانوا يهتمون بذلك اهتماما خاصا . وكانوا يختتنون من أجل النظافة اذ كانوا يظنون أن الأفضل لهم أن يكونوا نظيفين ، وأن يكونوا حسني المنظر . وكان الكهنة يحلقون كل جسمهم كل ثلاثة أيام حتى لاتوجد قملة أو أية وساخة عليهم عندما يكونوا مستغلين في خدمة الآلهة ، وكان الكهنة لايلبسون الا ملابس من الكتان وأحذية من (بيلوص = جيبل) ولم يكن مسموحا لهم أن يلبسوا أية ملابس أخرى او أية أحذية أخرى . وكانوا يغتسلون بالماء البارد مرتين كل يوم ومرتين كل ليلة . وبالاختصار كانوا يقيمون عددا من الشعائر . ومن جهة أخرى كانوا يتمتعون بميزات ليست بالقليلة ، وذلك لأنهم لم يكونوا يستهلكون أو يصرفون أي شيء من متاعهم الخاص ، بل كان يطهى لهم الطعام المقدس ، وكان يسمح لهم بمقدار كبير من لحم البقر والأوز لكل منهم يوميا كما كانوا يعطون نبيذ العنب ، غير أنه لم يكن مصرحا لهم بأكل السمك .

هذا وكان المصريون لا يزرعون الفول قط في بلادهم ، هذا فضلا عن أنهم كانوا لايأكلون ماكان يتفق أن ينمو هناك منه . كما أنهم كانوا لايأكلونه عند طهيه . وكان الكهنة في الواقع يمقتون رؤية هذه الحبوب اذ كانوا يعدونها نجسة . وكانت خدمة كل اله لاتؤدى بواحد بل بوساطة عدة كهنة كان بينهم واحد يعد كاهنا أكبر ، وعندما كان يموت واحد منهم كان يحل محله ابنه .

(٣) « فقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم . لأن المصريين لايقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين

ومما يسترعى النظر فى هذه الفترة من تاريخ البلاد المتأخر أن التزمت قد أخـذ يظهر بصورة شـديدة مسـتمرة ، اذ نجد أن الآلهـة الأجانب الذين أدخلوا فى البلاد بالقوة قد اختفوا جملة ، بل فضـلا عن ذلك نجد أن الالة المصرى القديم « ست » الذى ترجع عبادته لأقدم العصور قد عد الها مجرما وحذف اسمه من طائفة الآلهة (راجع
Ed. Meyer, Gesch. Ag. P. 372, Erman, Die Religion der Agypter. (P. 317-18; H. Kees, Der Gotterglauben im alten Agypten. P. 410-14

على أن هـذا الحذف لم يكن لأى «ست» كان قاتل أخيه الآله «أوزير» وحسب بل كان قبل كل شيء لأنه كان يعد من الالهة الأجنبية .

ومن جهة أخرى نجد أنه فى الميادين الثقافيـة قد عاد المصرى ومن قبله الكوشى الى احياء التقاليد القديمة التى كانت سائدة فى عهد الدولتين القديمة والوسطى . والواقع أن هذه النهضة الجديدة التى بدأت فى العهد الـكوشى كان الغرض منهـا اعادة المجد الزاهر لهذه الأزمان الغابرة الى الحياة ثانية كما كانت تمثل فى نظره ؛ فمنذ العهـد الكوشى بدأت العودة الى احياء الفنون القديمة ، (راجع Scharff, Handbuch der Archeologie I, P. 612 ff) وكذلك اللغـة ونقوش اللغـة المصرية القديمة وتقليدها كما كانت عليه فى أقدم نماذجها . هذا وقد أخذ القوم فى تعلم الصيغ الدينية والأدبية القديمة ، وكذلك الألقاب العتيقة ونقلها برمتها واستعمالها حتى فى غير موضعها أحيانا وبجانب ذلك شجعت عبادة الحكام العظام الذين قاموا بأدوار بارزة فى عهد الدولة القديمة ؛ ومما يلفت النظر أنه بجانب ذلك كان يجد الانسـان باستثناء أوائل الاسرة الثامنة عشرة التى كانت مخلفاتهـا الفنية تعد نموذجا معترفا به فى شتى نواحى الثقافة — ان عهد الدولة الحديثة الذى كانت فيه مصر مخالفـة لما كانت عليه فى عهد الدولتين القـديمة والوسطى على اتصـال متبـادل مع البـلاد الأجنبيـة ؛ ولم تدخل ثقافتها وفنونها فى حساب عصر النهضة الذى نحن بصدده . وقد أراد بذلك رجال تلك النهضة تجاهل تطورات ألف السنة التى عاشتها الدولة الحديثة ، على أن

يجعلوا بداية نماذج نهضتهم ماكان سائدا فى البلاد من علوم وفنون قبل غزوة الهكوس لمصر ونتائجها البعيدة على مصر بسبب اتصالهم القوى بأهل هذه البلاد الأجنبية النجسين فى نظرهم . على أنه قبل عهد النهضة هذا ببضع مئات السنين كان «رعمسيس» الثانى قد أصبح المثل اللامع للثقافة لمدة طويلة .

ولا نزاع فى أن كل هذه الآراء جميعها لم تكن فى أصلها من وحى الكهنة وحدهم اذ نجد فى الحياة العامة نفسها أن سائر المصريين كذلك كانوا فى مجموعهم روحانيين فى العهد المتأخر وتتغلب عليهم النزعة الدينية وتتغلغل عقائدها فى نفوسهم فى تلك الأزمان المتأخرة . والأمثلة على ذلك كثيرة وبخاصة عند عامة الشعب ، فمن ذلك ماكان معروفا عن الفلاحين فى مصر فى العهد الرومانى من تعصب دينى شديد مما كان يدعو الى قيام مقاطعة على أخرى من أجل مسائل متعلقة بعقائدهم الدينية التى نشئوا على اعتناقها فكانت تراق بسببها الدماء وتشج من أجلها الرءوس (راجع
Cassius, Dio, 42, 34, 2; Plutarch, De Iside et Osiride, 72; Comp. (Juvenal, Sat. XV, 33/38. ولابد أن نلفت النظر هنا الى أن سلطان الكاهن الروحى وحده على الشعب فى تلك الفترة كان لاحد له تقريبا ، ولكن نجد كذلك من الوجهة المادية المحضة أن المعابد وما كان لها من ممتلكات ضخمة من عقار ورجال وحيوان ومعادن ثمينة وغير ذلك من عرض الدنيا ، تمثل قوة لايستهان بها بجانب السلطة الروحية .

وقد كان الملك «بسمتيك الأول» وأخلافه من ملوك الأسرة الساوية مضطرين الخضوع للاجراءات التى كانت تتنافى مع سياستهم ، ولكنها تعتبر فى رأى الكهنة المثل العليا ، فنجد أن ملوك « سايس » مثلا كانوا على علاقات ود ومصافاة فى سياساتهم الاقتصادية مع الدول العظمى الاجنبية ؛ يضاف الى ذلك أن فراعنة مصر وقتئذ كانوا يجلبون الأجانب المبغضين بأنفسهم الى البلاد على الرغم من أن الشعب كان يمقتهم جملة . والواقع أن ذلك لم يكن عنادا من جانب فراعنة مصر بل لأن الأحوال السياسية كانت تقتضى ذلك ، غير أن الكهنة المتعصبين على الأجانب وكل ماهو أجنبى لم يكن

فى مقدورهم أن يفهموا مرامى هذه السياسة وبخاصة الحربية منها التى كان لابد من اتباعها لصون البلاد وحفظ كيانها بالنسبة للعالم الخارجى . وقد كان الملوك الساويون مضطرين فى معظم الأحيان الى التزام الصمت والصبر محافظة على مركزهم الذى يهدده الكهنة الذين يؤازرهم الشعب بوجه عام .

ومن أجل ذلك عمل الفراعنة فى تلك الفترة كل مافى وسعهم لاكتساب رضى الكهنة ومؤازرتهم لهم فى اجراءاتهم التى كان لابد منها لحفظ كيان البلاد ؛ فكانت طلبات الكهنة من أجل ذلك موضع عناية تامة ، كما كانت كل أوامرهم تمضى عندما لم يكن فى تنفيذها شىء يمس كيان الدولة أو يسبب لها خطرا ، فلم يكن هناك مثلا معارضة من جانب الحكومة فى الرجوع الى تقليد واحياء الأوضاع القديمة من حيث الكتابة المصرية القديمة والأعمال الفنية الرفيعة والتحلى بالألقاب العتيقة واحياؤها من جديد . والواقع أن مثل هذه الطلبات التى كانت تطلب من الحكومة لاتعد الا ظواهر ليس لها فائدة مباشرة .

على أن أول عمل محس تمثل لنا فى سياسة الملوك الساويين هو ما أقاموه من معابد وما نفذوه من اصلاحات عدة فيما تهدم من مبانى أسلافهم التى أصبحت أثرا بعد عين ، وبخاصة ماقاموا به من اصلاحات فى أهرامات ومقابر الملوك القدامى ولا يفوتنا من هذه الناحية أن نذكر ماقام به «بسمتيك» الأول بالنسبةللحكومة الآلهية فى طيبة التى كانت مستقلة تقريبا ، فقد كان لما قام به من تفاهم سياسى مع كوش والأمير «منتومحات» أميرطيبة أهمية بعيدةالمدى ، اذ الواقع أنذلك قد أدى الى حلمسألة عويصة كانت تقف فى سبيل وحدة البلاد ، فقد ضم بما أوتى من حكمة وسياسة عالية حكومة مملكة آمون التى كانت تتمثل فى أقليم «طيبة» الى مملكته فى الوجه البحرى ، وقد تم ذلك دون أن يعتدى على استقلال حكومة آمون أو بعبارة أخرى حكومة الكهنة . وقد أسهبنا القول فى ذلك عند التحدث عن « بسمتيك الأول » وسياسته . وقد اقتفى أخلاف الفرعون سياسته فى هذا الصدد . فعندما بلغت «نيتوكريس» من

العمر أرذله بعث « بسمتيك الثانى » فى السنة الأولى من حكمه أى فى ١٣ ديسمبر سنة ٥٩٤ ق.م صغرى بناته المسماة « عنخنس نفر اب رع» وهى التى تبنتها نيتوكريس ، لتكون فى منصب زوج الآله ، وكاهنة كبرى فى طيبة بعد موت الأخيرة ؛ وقد أرسلها فعلا الى طيبة استعدادا لتولى هذا المنصب • ولما توفيت « نيتوكريس » فى ١٥ ديسمبر سنة ٥٨٥ تسلمت زمام الحكم وبذلك نرى أن احدى أميرات البيت الساوى قد أخذت من جديد أعلى وظيفة روحية فى طيبة ، يضاف الى ذلك الى أن أحمس الثانى الذى كان يعد مغتصبا للملك قد أنزلها مكانة سامية جدا لدرجة القول بأنه تزوجها ليجعل شرعيته لحكم مصر مقبولة • والواقع أن هذا الزعم مكذوب من أساسه وليس فى المصادر التى فى متناولنا مايثبت ذلك أبدا • وقد تحدثنا عن ذلك من قبل (راجع كذلك Gauthier, L. R. IV. P. 102 Note 2; Sander - Hansen, Die religiosen Texte Aus dem Sarg der Anch - nes - neferib - Re, (Kopenhagen 1937 P. 2.

ومما يلفت النظر أنه فى منظر بمعبد الكرنك قد ظهر الفرعون ومعه زوج الآله آمون بحجم واحد جنبا لجنب مما يدل على مكانة هذه المتعبدة الآلهية أو زوج الآله • وقد كان هذا المنظر هو الأساس فى القول : أن « أحمس الثانى » قد تزوج من عنخنس - نفر - اب رع • وقد عاشت هذه الزوجة الآلهية حتى عهد بسمتيك الثالث ، يدل على ذلك أنه فى معبد «أوزير بامرس» بالكرنك نجد طغراءى كل من بسمتيك الثالث والزوجة الآلهية عنخنس - نفر - اب رع جنبا الى جنب • وعلى الرغم من أن بسمتيك الثالث لم يحكم أكثر من ستة أشهر فانه قد وجد الوقت قبل دخول الغزاة الفرس فى البلاد المصرية كافيا لاقامة مبان تخلد ذكراه (راجع (A. S. 6 (1905) P. 130 - 133)

هذا واذا وازنا معابد الوجه البحرى بمعابد الوجه القبلى وجدنا أن الأولى تفوق الثانية وتحتل مكانة بارزة عالية (راجع Kees, zur Innepolitik der Saiten, Nachrichten der Ges. der Wissensch. zu Gottingen (1935) P. (102; Kees, Kulturgeschichte P. 258.

وذلك لأن الأسرة الساوية قد نشأت فى الوجه البحرى ، ولا بد أن نفهم قبل كل شيء أن الدلتا كانت المهد الرئيسي للسياسة الخارجية والداخلية فى مصر ، فقد كان فيها مقر الملك كما كانت تعسكر فيها الحاميات الرئيسية ، واليها كان يفد كذلك الاجانب من كل حدب وصوب . أما الوجه القبلى فكان فى نظر ملوك سايس بمثابة أقليم اضافى لموطنهم الاصلى الوجه البحرى ولم يكن الصعيد يحتوى الا على بعض بلاد ذات أهمية كبيرة مثل «طيبة» و «العرابة المدفونة» المقدسة عند المصريين منذ أقدم العهود التاريخية .

هذا وكانت المعابد والعناية بها تعد من الأمور السياسية الداخلية ، ومن ثم كان الاهتمام بها من الموضوعات الهامة الجديدة التى عنيت بها الحكومة بصورة جدية . والواقع أن الأمر لم يكن قاصرا على اقامة المعابد التى كانت تكلف الدولة مبالغ باهظة بل الأمر تخطى ذلك بكثير ، وذلك أن الحكومة كانت فى الوقت الذى تقوم فيه ببناء معابد جديدة ملزمة باصلاح المعابد التى أصابها البلى ، وأكثر من كل ذلك ما كان يجب أن يحبس على هذه المعابد من أراض ورجال وحيوان ومحاصيل زراعية وغير ذلك من خيرات البلاد التى كانت لازمة لها لتجعلها صالحة لاقامة الشعائر فيها . وقد ضربنا الأمثلة لذلك فيما سبق . حقا كان الملوك الساويون فى كثير من الأحوال يتعدون الحدود القانونية ويستولون من الأهالى على عقارات ويقدمونها للمعابد . فمن ذلك ماحدث مع «نسحور» قائد قلعة الفنتين الذى جاء ذكره كثيرا فيما سبق فقد أهدى هذا القائد فى العام الرابع من حكم الفرعون «ابريز» ٥٨٥ق م ضيعة عظيمة من أرض المقاطعة العاشرة من مقاطعات الوجه القبلى وكان الفرعون قد وهبها أياه من قبل ، لمعبد كبش منديس ، وكانت هذه الهبة قد جاءت على حسب اقتراح من الفرعون نفسه ، ومن ثم نفهم أن «نسحور» كان له معاش يعيش منه فى شيخوخته ؟ وكانت هذه عادة أو سنة يسير على مقتضاها الضباط والموظفون (راجع H. Kees, zur Innepolitik der Saitendynastie NGGW 1935, P. 95 - 96 and,, P. 101 - 102; A. Z. 72, 1936 P. 40 - 52)

فى تلك الفترة من حكم البلاد .

هذا وقد تحدثنا فيما سبق عن الموظف الادارى العظيم المسمى «بفنفدنيت» الذى كان مديرا للخزانة والطبيب الأول للفرعون فقد انتزع كذلك ايرادات دخل احدى الاقطاعيات التى كانت تأتى اليه من الصحراء أو بعبارة أخرى كانت ضريبة تدفع على تجارة القوافل والواحات ، وكذلك ضريبــة أخرى كانت تدفع على عبور النهر عند «طينة» ، وقد أوقف كل ذلك على معبد «أوزير» . ولكن على الرغم من وقوع مثل هذه الحالات الفردية فان الاوقاف التى كانت تحبس على المعابد قد وصلت قيمتها الى مبالغ باهظة . والواقع أننا فى موقف سعيد من هذه الناحية من حيث المصادر اذ لدينا بيان حسابى يفسر لنا هذا الموقف . فقد جاء فى بردية الحوليات الديموطيقية [1] الشهيرة التى يرجع تاريخها للعهد الفارسى ما كانت تورده الحكومة من فضة وماشية وطيور وغلال وغير ذلك مما كانت تحتاج اليه المعابد فى عهد الملك أحمس الثانى . وقد اشتمل هذا البيان مجموعا ختاميا بقيمة هذه الواردات من الذهب ، غير أنه مما يؤسف له جــد الأســف أن قراءته غير مؤكدة بصــــورة قاطعــــة . ويرى المؤرخ «ادوردمير» ان هذا المبلغ يساوى ماقيمته حوالى سبعة ملايين من المركات (المارك يساوى ثمانية قروش) . ويلفت النظر هنا بصورة خاصة أن الدولة الفارسية فى هذه الفترة كانت تتقاضى من كل شطربتيها (المديرية)السادسة أى مصرمنضما اليها الواحات اللوبية و «سيرينى» (هذا بصرف النظر عن دخل مصايد الاسماك فى بحيرة «موريس» والغلال التى كانت تورد للجنود) مايعادل سبعمائة «تلنتا» بصفة ضرائب . وهذا يساوى خمسة ملايين من المركات (راجع Herod. III, 91, Ed. Meyer, G. D. A. (IV, I, P. 150

ولا نزاع فى أن هذه الموازنة تظهر لنا بصورة واضحة ماكان يقدمه الملوك الساويون للمعابد المصرية فىزمنهم . والواقع أن ماكان يقدمهفراعنةهذا العصر كانضروريا ولا بد

(١) راجع Spiegelberg, Demotische Chronick Nr VI. P. 32 - 33; Kommentar Ed Meyer Kl. Schr II, P. 98 - 100

منه . وسنتحدث عن ذلك كثيرا فيما بعد وكذلك عن النتائج التى أحدثتها هذه الهبات فى الحكومات التى جاءت بعد وهى بلا نزاع لها أهمية مادية مرتبطة بالمعابد .

وأخيرا يجوز لنا أن نذكر مع شىء من الحيطة والحذر أمرا آخر يستحق الالتفات وهو : اننا اذا قرنا المبانى التى أقامها كل فرعون ساوى على حدة بالتى لا تزال آثارها باقية حتى الآن أعطانا ذلك الصورة التالية : نجد أولا أن بسمتيك الأول و « نيكاو » الثانى بالنسبة لمدة حكميهما وهى على التوالى ٥٤ سنة للأول و ١٦ سنة للثانى لم يبق منها الا القليل ، ولكن نجد من جهة أخرى أنه فى النصف الثانى من عهد الملوك الساويين أن الآثار التى ظلت باقية حتى الآن أكثر مما بقى فى النصف الأول من حكم هذه الأسرة وبخاصة منذ عهد «بسمتيك الثانى» ، على الرغم من أنه لم يحكم أكثر من ست سنوات . حقا كانت توجد مبان عديدة أقيمت فى هذه الفترة ذات أهمية خاصة فى الدلتا كانت حالتها السيئة تتطلب سرعة اصلاحها وهذه قد زالت من الوجود ولم يبق منها شىء يذكر مثل المبانى التى أقامها بسمتيك الأول الأول فى «منف» وهى التى قد تحدث عنها «هردوت» (راجع Herod. II, 153) وعلى أية حال فان هذا الوضع ينطبق على كل العصر الساوى ، اذ نجد كذلك أن مبانى أحمس الثانى فى عاصمتى الملك «سايس» و «منف» (راجع Herod. II, 1751, 176,) قد حاق بهما نفس المصير . وقد كانت «سايس» البلدة الملكية التى أقيم فيها مدافن الأسرة المالكة ، ومع ذلك ظهرت « منف »[1] أنها كانت صاحبة المكانة الأولى فى ادارة البلاد (راجع (Griffith, Dem. Pap. Rylands Libr. III, P. 7, 79, A. 4, 97 A. 2, 184, فهل مما سبق ياترى يفهم الانسان من تلك الظاهرة انها مجرد صدفة ؟ أو أنه من الممكن أن الكهنة فى الجزء الأخير من العهد الساوى قد حصلوا على امتيازات وتنازلات كبيرة من الملوك لمد نفوذهم ؟» وبهذه المناسبة لا بد أن نذكر مرة أخرى السياحة التى قام

---

(١) راجع Herod. II, 169, III, 16

بها «بسمتيك الثانى» الى بلاد فنيقيا وهى فى الواقع غريبـة فى بابهـا اذا لم يكن سببها حربيا ، فانها يمكن أن تشـير هنا الى أنها كانت بوجه خاص قد حدثت بتأثير قوى من الكهنة وعظم نفوذهم فى داخل البلاد وخارجها • ولا ريب فى أن حصر « أحمس الثانى» الاغريق الأجانب فى بلد «نقراش» وعدم السماح لهم بالسـكنى فى أى بقعة أخرى من الأراضى المصرية كان سببه مراعاة شعور رجال الدين الذين كانوا يمقتون الاجانب من أعماق قلوبهم ، على الرغم من أنهم قد أفادوا مصر من الناحية الحربية والتجارية ••
وفى نهاية حكم « أحمس الثانى » انقطع أمامنـا حبل تطورات الأحوال بسبب الفتح الفارسى الذى داهم البلاد عام ٥٢٥ ق‌م وبذلك ختم عهـد النهضـة المصرية الأخيرة التى كانت ولا تزال تعد من أمجد عصور مصر وأكثرها ازدهارا فى كل ميادين الثقافة والفن والحرب

علاقات مصر بالبلاد المجاورة

علاقة مصر بالواحات فى الأسرة السادسة والعشرين

كانت الواحات ضمن أملاك الدولة المصرية فى عهد الأسرة الثانية والعشرين كما أوضحنا ذلك فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة . غير أن سلطانها كان قد ضعف بسبب ماحل بمصر من تفكك وانحلال فى عهد أواخر الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين وأوائل الخامسة والعشرين ، وكانت هذه الأسرات كلها تحكم سويا فى مصر فى آن واحد ، ولا غرابة فى ذلك فقد كانت البلاد فى الواقع فى هذه الفترة مقسمة عدة دويلات صغيرة وصلت فى خلالها الى أكثر من ثمانى عشرة دويلة ، وبخاصة فى الدلتا . ولقد كشف لنا عن هذه الحالة المفزعة من الانقسام ماجاء على لوحة الملك «بيعنخى» الكوشى [1] . حقا ورد فى نقوش الأسرة الخامسة والعشرين مايدل على نفوذ ملوك كوش على هذه الواحات بعد استقرار سلطانهم على البلاد ولم شملها ، غير أنه لم تصل الينا نقوش بارزة فى هذا الصدد [2] ، وكل ماعثر عليه من عهد الاسرة الخامسة والعشرين بعض قطع من مقصورة أقامها الملك « تهرقا » فى الواحة ، وقد استعمل الأهالى هذه الأحجار فى مبانيهم الحديثة ، ولا يبعد أن هناك آثارا كثيرة له لم يكشف عنها بعد وبخاصة أن «تهرقا» قد أشار الى ثراء الواحات فى نقوشه التى تركها لنا .

أما فى عهد الأسرة السادسة والعشرين فقد كان هناك اتصال وثيق بين مصر والواحات وبخاصة فى الواحتين البحرية وسيوة . وترجع هذه العلاقات

---

(١) راجع : الجزء الحادى‌عشر ص ١ــ٢

(٢) راجع : مصر القديمة‌الجزء الحادى عشر ص٧٦،١٧٩،١٨٨ وراجع كذلك :
Fakhry, Bahria Oasis, II, P. 73 - 80 with Fig. 53 - 64 & Pls. XL VIII.

الى أزمان سحيقة فى القدم فى عهد الملكين « أبريز » و « أحمس الثانى » ؛ وقد كان عهد الأخير يعد عصرا ذهبيا بالنسبة للواحات [١]

وقد تحدثنا فيما سبق عن الحروب التى قامت بين « أبريز » بقيادة « أحمس » الذى اغتصب الملك منه فيما بعد وبين المستعمرة الاغريقية التى كانت قائمة فى عهـده فى بلاد لوبيا (سـيرينى) ، وقد كان من جراء ذلك أن هزم الجيش المصرى للأسـباب التى ذكرناها فيما سبق ، وتولى بعد ذلك «أحمس» عرش الملك بعد أن خلع سيده «أبريز». وقد كانت الواحات آخذة فى التقدم فعلا فى عهد الملك « أبريز » ، اذ كانت العلاقات بينها وبين مصر آخذة فى الظهور بصورة محسة ، فقد أقيم فى عهـده معبد [٢] لاتزال بقاياه موجودة .

وقد كان « أحمس » الثانى بعد توليـه الملك على تمـام الأهبة والحيطة فى أن تكون علاقته مع الواحات وطيدة سليمة وأن يكون هو المسيطر عليها ، لأنها كانت المفتـاح الخارجى لمصر وبخاصة طرق القوافل المؤدية الى بلاد النوبة والسودان ، ومن أجل ذلك عمل على أن تكون هذه النقط الاسـتراتيجية والتجارية فى الصـحراء تابعة له ، وسعى فى أن يوليها عنايته ويعمل على بث الأمن والثراء فى أرجائها وعلى اقامة المعاقل لصد أى عدوان من جيرانه الذين كانوا فى غربيها . وسنحاول فيما يلى أن نظهر الى أى حد حقق كل هذه الأغراض .

ففى واحة «سيوة» التى تعد أقرب محط خارجى لبلاد « لوبيا » أقام « أحمس الثانى » حصنا على صخرة كان من الصعب مهاجمته ، كما أقام فى داخل هذا المعقل معبدا ؛ غير أنه لم توجد فيه نقوش الا فى حجرة واحدة ؛ وقد وجد فيه طغراء مهشمة بعض الشىء نسبها الأستاذ «ستيندروف» الى الملك «أكوريس» أحد ملوك الأسرة الثلاثين ، غير

(١) راجع Porter & Moss, VII, p. 299 - 311

(٢) راجع Ahmed Fakhry, Die Kapelle aus der Zeit des Apries in der Oase Bahria in Archiv Fur Aegypt, Arch I (April, 1, 1938) p. 97 ff.

أن الأستاذ « أحمد فخرى » يقول انها للملك « أحمس » [1] . وهذا المعبد قد أقامه مدير البلاد الأجنبية المسمى « ستخارديس » الذى مثل على أحد جدران هذا المعبد وهو يضع ريشة فى شعره وهى العلامة المميزة للوبيين . وعلى مدى الأيام أصبح كهنة معبد « سيوة » على شهرة عظيمة بسبب وحى الاله « آمون » المعروف .

وكذلك نالت كل من الواحة الداخلة والخارجة قسطا من عناية الملك «أحمس» ، غير أن آثارهما لم تفحص بعد بصورة تمكننا من اثبات الأعمال التى قام بها هذا الفرعون فى هاتين الجهتين ، وعلى أية حال فان معبد « هيبيس » الكبير الواقع فى الواحة الخارجة قد بدىء العمل فيه فى عهد الأسرة السادسة والعشرين ، ومن المحتمل أن ذلك كان فى عهد « أحمس الثانى » ؟ ومهما يكن من أمر فان نقوش هذا المعبد لم يكن قد تم العمل فيها قبل العهد الفارسى ، وذلك لأن اسم الملك « دارا » يشاهد على جدرانه [2]

هذا ونجد أن الواحات الأخرى قد أخذت فى أسباب الثراء ، ولا أدل على ذلك من أن بعض السكان أخذوا فى اقامة مقابر فيها تضارع التى كانت تقام فى مدن وادى النيل نفسه ؟ ففى « الواحة البحرية » عثر على أربع مقابر يرجع عهدها الى الأسرة السادسة والعشرين كان أصحابها من الذين يشغلون مكانة عليا فى الواحة ، ونعلم أنه كان منهما اثنان يشغلان وظيفة كاهن وهم : (١) «بدعشتر» الكاهن الأكبر للالهين «خنسو» و «حور» ، (٢) «باتى» وهو كاهن «خنسو» وحاجب «آمون» ، وقد كان حفيد الكاهن «بدعشتر» و (٣) «زد أمنوف عنخ» وقبره بالقرب من « قعرت قصر سليم » شرقى «البويطى» ، وأخيرا (٤) قبر «بانانتيو» ويقع غربى الأخير .

هذا وتدل النقوش المكشوفة فى هذه الجهة على أن الكاهن الثانى المسمى « زد خنسوف عنخ » قد أصبح كاهن معابد الواحة البحرية وحاكمها ؟ وقد أقام فيها معبدين عظيمين باسم « أحمس الثانى » ، وكان هذا الحاكم من الثراء بحيث أقام لنفسه هناك

---

(١) راجع The Necropolis of Gabal el Mota, A.S., XL, p. 786.

(٢) راجع Bahria Oasis, Ibid, p. 21.

تماثيل كبيرة من المرمر ، وقد عثر على اثنين منها ؛ وكذلك أقام عدة مقاصير فى الواحة البحرية على مقربة من عين « المفتلا » . وقد كشف عن أربع منها . وقد أقيمت هذه المقاصير من الحجر واللبنات ونقشت جدرانها وزينت بالألوان ، ويشاهد عليها مناظر كثيرة يرى فيها «أحمس» يتبعه حاكم الواحة البحرية الموالى له ، كما تشاهد عدة آلهة من الذين كانوا يعبدون هناك ، ومما يؤسف له جد الأسف أن قبر هذا الحاكم العظيم لم يعثر عليه بعد ، ولكن من جهة أخرى كشف عن مقابر ثلاثة من أقربائه عثر عليهم الدكتور « احمد فخرى » .

وهذه المقابر تدل على ماكانت تتمتع به هذه الأسرة من ثروة عظيمة حتى قبل عهد الملك « أحمس الثانى » ، اذ فى الواقع يرجع اقامة بعضها الى عهد الملك « ابريز » .

المبانى التى أقيمت فى عهد « أحمس الثانى »

مقاصير « عين المفتلا » :

من أهم المبانى الدينية التى يرجع عهد اقامتها الى عصر الملك «أحمس الثانى» المقاصير التى كشف عنها فى « عين المفتلا » . وهذا الكشف يبشر فى الواقع بوجود آثار كثيرة فى تلك الجهة فى المستقبل ، فقد كشف الأثرى « ستيندورف » عن جدار منقوش فى عام ١٩٠٠ م ثم كشف بعده الأثرى « احمد فخرى » عن بقيــة جــدران المبنى وهى مقصـــورة ، ثم تابع أعمال الحفر حتى كشف عن ثلاث مقاصير أخرى بالقرب من الأولى ، وكل هذه المقاصير يرجع عهدها الى الأسرة السادسة والعشرين . وكان قد أقامها كلها الكاهن الثانى « لآمون » المسمى «زدخنسوف عنخ» وأسرته . ويتضح من فحص تصميم هذه المقاصير أنها كانت جزءا من مبنى واحد عظيم لايزال مدفونا تحت الأرض . وتدل شواهد الأحوال على أن جوار «عين المفتلا» كان مركز العاصمة أو جزءا منها .

وتقع المقاصير على مسافة قريبة من قرية « القصر » الحالــة ؛ ويلحظ هنا أن كل

المقاصير الأربعة مقامة من قطع من الحجر واللبنات . والمقاصير الثلاث الأول مبنية جدرانها بالحجر ، وكانت نقوشها الغائرة ملونة ، أما الرابعة فمبنية باللبنات . ومما يؤسف له أن أحجار هذه المقاصير قد نزعت منها واستعملت فى أغراض أخرى على يد الأهالى .

المقصورة الاولى : هذه المقصورة أكبر المقاصير الأربع حجما وتحتوى على قاعتين وحجرتين صغيرتين خاليتين من النقوش ، ويلاحظ أن الفرعون «أمسيس» قد مثل على واجهة المقصورة فى حضرة الاله « حرسفيس » (حرشف) ، وفى الجهة الأخرى من الواجهة مثل الملك يقدم قربانا لحور الذى مثل برأس صقر .

وفى القاعة الأولى يشاهد الحاكم « شبن خنسو » يتبع سيده « أحمس » وكلاهما يقدمان قربانا لثلاثة عشر آلهة ممثلة على الجدار الشـــمالى ، ويشاهد الملك فى أقصى الجدار الغربى يقدم للآلهة ويحمل على يده طبقا عليه أربعة رغفان ، كما يوجد أمامه مائدة قربان محملة بالمواد الغذائية . والآلهة الذين يقدم لهم هم : (١) الاله «ماحسا» برأس أسد ، (٢) الالهة « باست » ، (٣) الاله «آمون» ، (٤) الاله «موت» (وتسمى عين رع ») ، (٥) الاله «خنسو» (٦) الاله « حرسفيس » برأس كبش عليه قرص الشمس ، (٧) الآلهة «حتحور» سيدة الأرضين ، (٨) الإله «تحوت» نزيل الواحة البحرية ، (٩) الالهة «نحم عاوا » وهى زوج «تحوت» ، (١٠) الاله «آمون» الذى ينير «طيبة» والاله العظيم نزيل الواحة البحرية ، (١١) الالهة «موت» سيدة الأرضين (١٢) الاله «أنوبيس» المشرف على مقصورته ورب السماء ، (١٣) الالهة «ازيس» الأم العظيمة المقدسة .

وأهم منظر فى القاعة الثانية يشاهد على الجدار الغربى ، وقد مثل فيه الملك يقدم القربان لثمانية آلهة وهم : «أوزير» ،(٢) «أزيس» ، (٣) «نفتيس» ، (٤) «حور» ، (٥) الآلهة «سشات» آلهة الكتابة وقد لقبت هنا سيدة الأرضين ، (٦) الآلهة «تحوت» نزيل الواحة البحرية ، (٧) الالهـــة « نحم عاوا » زوج «تحوت» ، (٨) الاله «حا»

صاحب الترب (اله الصحراء وهو خاص بهذه الجهة) .

المقصورة الثانية : وتعتبر أصغر المقاصير الأربع . ويشاهد على واجهتها الملك « أمسيس » يقدم قربانا لا له في صورة انسان وبرأس صقر . هذا ويشاهد فى الصف الأسفل من الواجهة الا له «أوزير» قاعدا وأمامه بانى المقصورة وهو « زدخنسوف » - عنخ » يصلى ، وقد نقش أمامه وفوقه ثمانية أسطر عمودية جاء فيها ألقابه وهى : ان الخادم الممتاز لدى سيده ، والأمير الوراثى ، وحاكم الواحة ، ومثبت العين السليمة ، والكاهن الثانى ، والكاهن الثالث ، وكاهن الا لهة «موت» ، وكاهن «خنسو» ، وكاهن « خنسو الطفل » ؟ ، وكاهن «منتو» ، ومربى «خنسو الطفل» ، وكاتب المعبد الكبير فى نوبته الشهرية ، وكاهن «أوزير» ، وكاهن الاله « سكر فكا » ، وكاهن «أزيس» وكاهن«حور» وكاهن«مين» ، مربى «حوربوخراد» ، وكاهن «أوزير» وكاهن «أوزير حب» ، وكاهن «آمون» ملك الأرضين نزيلالواحة ، وكاهن «حتحور» ، قدأحضرالى المحصول : « زد خنسوف عنخ » ابن الأمير الوراثى حاكم الواحات مثبت (العين السليمة) « بديسى » بن «بد أمون» بن «حور حب حنو» - بن « ون حرعنخ وتنفر » بن « ون جر » المشرف على خزانة بيت « آمون » والأمير الوراثى حاكم الواحة : «شبن خنسو » .

وكذلك يشاهد فى الصف الأعلى من الجدار الشرقى مناظر دينية متعلقة بالمناظر التى على هذا الجدار من الخلف وأهم مايلفت النظر فيها هو مانشاهده على الجدار الخلفى وهو صورة كبيرة للاله «أوزير»محنطا ونائما على أفعى . وفى الصف الأسفل من هذا الجدار من الداخل يشاهد الأمير « زد خنسوف عنخ » يتعبد لصور عدة آلهة كان هو كاهنها ، وقد ذكرناها فيما سبق . هذا ويشاهد على الجدار الخلفى مناظر دينية ظهر فيها الاله «أوزير» تنعاه زوجه وأخته «أزيس» ، ثم يلى ذلك منظر يمثل حمل «أزيس» فى ابنها « حور » ثم اعادة «أوزير» للحياة ثم ذهابه الى عالم الآخرة ليكون حاكمها .

المقصورة الثالثة : تقع قبالة الأولى على مسافة أمتار منها ومعظم مبانيها قد انتزع واستعمل في أماكن أخرى ، وتحتوى على حجرة واحدة لها مدخل ، وما بقي من زينتها ونقوشها قليل جدا ، غير أن مابقى منها يوحى بأنها كانت مخصصة لعبادة الاله «بس» ، وهذا الآله كان يعبد منذ عهد الدولة الحديثة ويقوم بدور هام فى حياة الموسيقاريين .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الاله كان من الآلهة المحليين فى بلاد «كوش» وقد وجدت فى معبد « جبل برقل » أعمدة عليها صور هذا الاله [1] وترجع الى عهـد الأسرة الخامسة والعشرين ، وهـــذا الاله هو رمز للفرح والسرور عند المصريين ويطيب لنا أن نذكر هنا أنه لم يكن مشوه الخلق كما يظهر فى الصور بل هو فى الواقع يمثل الها قزما وحسب . وهذا يذكرنا بالأقزام الذين كانوا يقومون منـــذ الدولة القديمة برقصة خاصة دينية كما كان ملوك مصر فى الدولة يأمرون باحضارهم من أواسط افريقيا للتسلية [2] ولا نزاع فى أن هـــده المقصورة ترجع الى عهد الأسرة السادسة والعشرين ، ولا نعلم لأى غرض خاص أقيمت ، ولكن تدل شواهد الاحوال على أنها كانت للاله «بس» . هذا وقد وجد على الجزء الجنوبي من الجـــدار الشرقى فى الصف الأسفل ستة من أسماء ممالك الأقواس التســـعة وقد تحدثت عن هذه الأقوام ببعض التفصيل فى غير هذا المكان . [3]

الا أبوابهما فقد بنيت بالحجر ، ويرجع عهدها الى عصر الملك « أحمس الثانى » ، وقد أقامها الكاهن « رد حنسوف عنخ » . وقد نقش حاجبا البوابة بمتون فى أربعة صفوف ضاع الصف الأول منها . ويشاهد فى الصف الأعلى الملك « أحمس » واقفا على اليمين مقدما اناء لآله فى صورة آدمى ، وفى الصف الثانى نشاهد «أحمس» فى حضرة

المقصورة الرابعة : هذه المقصورة تحتوى بأقل تقدير على حجرتين أقيمتا باللبنات

---

(١) راجع مصر القديمـــة الجزء الحادى عشر ص ٢٤٠ .
(٢) راجع مصر القـــديمة الجزء العاشر ص ٤٠ ـ ٤٤
(٣) راجع مصر القديمـــة الجزء التاسع ص ١١٨ـ١٢٢

الآله « خنوم » وقد نقش أمام الملك لقبه واسمه ونقش أمام الاله «خنوم» : « الاله « خنوم » ــ رب السماء ، ضيف «الفنتين» .

وفى الصف الثالث مثل الملك فى حضرة الآله « حرشف » الذى مثل برأس كبش ومعه النقش : « حرشف » الاله العظيم » ويلفت النظر أن هذين الالهين كانا خاصين بالماء مما يتفق وطبيعة الواحة . فالأول هو اله الشلال ، والثانى وهو « حرشف » يعنى « الذي على بحيرته » ، وهو اله جهة « الفيوم » حيث توجد « بحيرة موريس » ويعبد بوجه خاص فى « اهناسيا المدينة » .

ونقوش الجانب الأيسر ممزقة ولم يبق منها كثير ، ويشاهد فى الصف الأسفل « زدخنسوف عنخ » يقدم قربانا الى آله قد هشمت صورته ، وقد نقش فوق صورة « زدخنسوف عنخ » أربعة أسطر جاء فيها : « الأمير الوراثى ، وحاكم المدينة .. والكاهن الثانى للالهة « تخبيت » ، وكاهن « أوزير » « زد خنسوف عنخ » بن مثيله « بديسى » والذى أنجبته « تعس » .

وكذلك نجد أن البوابتين المصنوعتين من الحجر وهما المؤديتان الى الحجرة الثانية قد نقشتا بحروف غائرة . وهنا كذلك يشاهد الملك يقدم قربانا ولكن النقش مهشم . وفى الصف الأسفل نشاهد الاله «تحوت» على اليمين ، والاله « حور » على اليسار وهما يقومان بعملية التطهير ، ونقش أمام « تحوت » : « تحوت » المزدوج العظمة رب «الأشمونين» والاله العظيم رب السماء .. انك تطهر ، انك تطهر ، انك تطهر . » ونقش أمام «حور» : « بحدتى » الاله العظيم رب السماء صاحب الريش ذى الألوان المختلفة والذى يخرج من الأفق مثل «رع» معطى الحياة . »

ومما سبق يتضح لنا أن هذه المقاصير الأربع قد بنيت فى عهد الفرعون «أحمس الثانى» ، غير أنها لم تبن فى وقت واحد . وأقدمها هى الأولى التى كشف عن جزء منها الأستاذ «ستيندورف» حيث نجد الامير « زد خنسوف عنخ » يلعب دورا ثانويا فى نقوشها ، وكانت الأولوية لأخيه « شسن خنسو » الذى كان يقوم بوظيفة

الحاكم للواحة البحرية . ولم تسمح لنا النقوش القليلة التي بقيت لنا على جدران المقصورة الثالثة بتحديد وقت اقامتها على وجه التأكيد . ومن نقوش المقصورة الرابعة والأخيرة نفهم أن «زدخنسوف عنخ» كان حاكم الواحة عند اقامتها ، كما كان يحمل لقب الكاهن الثاني . وتدل نقوش المقصورة الثانية على أن « زدخنسوف عنخ » قد أقامها وهو في قمة مجده ، فقد ذكر لنا على جدرانها سلسلة من ألقابه التي لم نجدها في المقاصير الأخرى ، والواقع أنه كان وقتئذ حاكم الواحة البحرية وكاهن الآلهة كلها التي ذكرت على جدران هذه المقاصير سواء أكانوا وافدين زوارا على الواحة البحرية أم كانوا آلهة أصليين يعبدون فيها ؟ وليس هناك من شك ، (اذا صدقنا ما تركه لنا من نقوش) ، في أنه كان رئيس كل الكهنة هناك . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان في يده سلطة كبيرة ومال وفير لاقامة هذه المقاصير ، وكذلك لاقامة معبد « البويطي » وغيره من الآثار التي تحمل اسمه ، وعلى أية حال فان الواحة البحرية قد شهدت أمجد عصر لها في عهد الملك « أحمس الثاني » وحاكمها «زد خنسوف عنخ» .

وقد كان أعظم لقب يتحلى به هذا الحاكم هو الكاهن الثاني وهذا اللقب بالنسبة للواحات يعد لقبا غامضا . والواقع أن هذا اللقب المجرد عن التعريف كان يعتبر لقب الكاهن الثاني « لآمون » كما جرت العادة بالنسبة لهذا العصر . فقد كان الكاهن الأكبر لهذا الاله يسكن «طيبة» . ويلحظ كذلك أن « زد خنسوف عنخ » قد لقب نفسه كذلك الكاهن الثالث دون أن يذكر الآله الذي هو كاهنه . ولا نزاع في أن لقب كاهن من أي درجة سواء أكانت الدرجة الأولى أم الثانية أم الثالثة أم الرابعة دون ذكر اسم الآله كان يعود على «آمون» الذي كانت عبادته هي العبادة السائدة في هذا العهد ، وبخاصة بعد أن بث الكوشيون عبادته بصورة بارزة ، وأصبح لسلطان طائفته نفوذ عظيم كان لابد أن تخضع له ملوك الأسرة الساوية على الرغم من مقاومتهم الفاشلة في اطفاء جذوتها التي كانت متأججة في كل البلاد . ومما يؤكد أن المقصود هنا هو الاله « آمون » أنه بعد ذكر الكاهن الثاني والكاهن الثالث جاء أنه كاهن الالهة

«موت» ثم كاهن الاله «خنسو» وهما المتممان لثالوث «آمون» الذى كان مقر عبادته « طيبة » . هذا وينطبق هذا الوضع كذلك عند ذكر مدينة «طيبة» فانها أحيانا تذكر بلفظة « المدينة » وحسب ويعنى ذلك مدينة « طيبة » . والأمر الذى يلفت النظر هنا ان الآلهة الذين كانوا يعبدون فى هـــذه الواحة قد بلغ عددهم العشرات وقد كان صاحبنا « زدخنسوف عنخ » يقوم بوظيفة الكاهن لمعظم هؤلاء الآلهة .

ونظرة فاحصة فى أسماء هؤلاء الآلهة تكشف لنا عن أمرين هامين ، الأمر الأول أن الرياسة العظمى كانت فى «طيبة» وليست فى «سايس» وبخاصة عندما نعلم أن الالهة «نيت» لم تذكر الا مرة واحدة فى نقوش المقاصير والمعابد ، وذلك على الرغم من أن الملك الذى أقيمت فى عهده كان يدعى «أحمس» بن «نيت» ، وهـــذا برهان على تغلب عباده « آمون » وسيادتها فى هذا العهد .

هذا بغض النظر عن عبادة «أوزير» الذى كان يعد اله الآخرة فى كل زمان ومكان، وقد جاء اسمه فى هذه المقاصير بصور مختلفة . ولا ننسى أن اسم حاكم البحرية كان مركبا تركيبا مزجيا مع « خنسو » بن «آمون» كما كان «بدعشتر» ابن عمه كاهنـــا « لخنسو » أى لابن «آمون» . أما الآلهة الآخرون فان عبادتهم كانت مشتركة فى كل البلاد طولا وعرضا . والظاهر أن عبادتهم فى الواحات كان القصد منها التقرب اليهم بصلاة خاصة بطبيعة الواحات ، ولاظهار نفوذ وعظمة باقى هذه المقاصير وبخاصة أنه كان الحاكم هناك . والواقع أنه كانت هناك آلهة خاصـــة تتفق وطبيعة الواحات ، فمثلا كانت هناك عبادة الاله « حا » اله الغرب وهو خاص بالصحراء ، كما كانت هناك عبادة الآلهة المائية مثل الاله « خنوم » والاله « حرشف » ، والأول هو اله «الشلال» والثانى اله «الفيوم» و «اهناسيا المدينة» ومعناه المشرف على بحيرته أى «بحيرة قارون» كما كانت هناك عبادة الالهتين «مرتى» أى النيل الجنوبى والنيل الشمالى ، ومنهما تأخذ الواحات مياهها الأرضية التى تتفجر عيونها نهرا .

أما عبادة الاله « أوزير » وانتشارها فى المقابر بصـــورة بارزة فيرجع الى اتصـــال

الواحات منذ الأسرة الثامنة عشرة «بالعرابة المدفونة» وقد أشرنا الى ذلك من قبل (١)

معبد القصر : تدل البحوث التى عملت حتى الآن على أن المعبد الكبير فى الواحة البحرية كان قائما تحت قرية «القصر» الحالية . والواقع أنه لاتزال بعض جدران قليلة من هذا المعبد قائمة بالقرب من منزل عمدة القرية ؛ ولا نزاع فى أن المقصورة التى وجدت هناك تنسب الى عهد «ابريز» الذى يعد أول من بدأ عهد النهضة فى الواحات ولا نزاع فى أن «أحمس» قد أضاف اليها بعض المبانى كما هى عادة ملوك مصر (٢)

معبد البويطى : : هذا ويوجد المعبد الذى أقامه الملك «أحمس الثانى» فى وسط المنازل التى فى قرية «البويطى» وهو تحت المنازل الحالية للقرية ولم يتبق منه الا القليل، غير أنه يمكن مما بقى منه أن تتعرف على تصميمه ، وأجزاء مبانيه السفلية لا تزال تحتفظ بنقوشها .

المقابر التى من عهد «أحمس الثانى» فى الواحة البحرية (قرية البويطى) :

عثر على بعض مقابر هامة تحت منازل قرية «البويطى» من عهد «أحمس الثانى» ، وقد وجدت عليها نقوش وعددها ثلاث وهى : (١) مقبرة ثاتى ، (٢) ومقبرة «بدعشتر» ، (٣) ومقبرة «تانفرت باست» . وهذه المقابر وجدت متجاورة ، وقد قطعت فى نفس التل القريب من «الشيخ الصوبى» وكلها مقطوعة فى الصخر وتحتوى كل واحدة منها على عدة حجرات عليها نقوش على ملاط ملون . ومناظرها ذات صبغة دينية فى معظمها ، وبعض هذه النقوش له أهمية عظيمة لدراسة ديانة هذا العصر ، ويلحظ أن ملابس

---

(١) راجع ماكتبناه عن بفنفد نيت الطبيب الاول والمشرف على الخزانة فى عهد «احمس الثانى» فى هذا الكتاب

(٢) وقد رأى الاستاذ «ستيندورف» تمثالا للكاهن الثانى لآمون امام احد منازل قرية «القصر» . وهذا التمثال قد نقل الى مركز البوليس منذ بضع سنين وقد شاهده الاستاذ «فخرى» هناك . هذا وقد عثر كذلك الاستاذ «فخرى» على تمثال آخر مثل على جانبيه «زدخنسوف عنخ» راكعا ، وهذا التمثال الثانى قد وجد فى قرية «القصر» ، ولا بد انهما قد وجدا فى انقاض المعبد الذى نحن بصدده راجع Fakhry, Bahria, p. 33

السيدات اللائى مثلهن هناك لها طابع خاص وتختلف عن الملابس المصرية العادية ، ويظهر فيها التأثير الاجنبى وبخاصة الاغريقى ، ولا غرابة فى ذلك لأن مصر بخاصة فى عهد الأسرة السادسة والعشرين كان اختلاطها بالاغريق قد ازداد بدرجة محسة تمشيا مع السياسة المصرية وقتئذ . أنظر الصورة رقم

وتدل شواهد الأحوال على أن «بدعشتر» لا بد كان عائشا فى عهد الملك «أبريز» أو قبله . أما «ثاتى» فهو حفيده ، وعلى ذلك فان القبرين يؤرخان بالأسرة السادسة والعشرين . وسنحاول هنا أن نتحدث عن هذه المقابر بشىء من الايجاز مع ملاحظة مافيها من مميزات بارزة .

مقبرة «بدعشتر» : تحتوى هذه المقبرة على أربع قاعات ذات عمد وثلاث حجرات . ويلاحظ أن نقوش هذه المقبرة قد عملت على يد مفتنين مهرة ، غير أن معظم نقوشها قد أبيد . وتابوتها منحوت نحتا جميلا ، ونقش عليه ساعات الليل وساعات النهار كما رسم عليه الاثنان والأربعون قاضيا لقاعة المحاكمة . والمناظر التى على كل جدران المقبرة ذات صبغة دينية .

ويدل اسم صاحب المقبرة المركب تركيبا مزجيا على أنه كان فيه عنصر أجنبى ، ومعنى «بدعشتر» هو «هدية الآلهة عشتار» وهى الهة سورية وقد أدخلت عبادتها مصر منذ الأسرة الثامنة عشرة وتمثل بشكل امرأة لها رأس لبؤة . وتوحد أحيانا بالآلهة «سخمت» الهة القوة كما توحد أحيانا بالالهة «حتحور» .

وكان «بدعشتر» يحمل لقبى الكاهن الأول للآله «خنسو» وكاهن الاله «حور» ، وكان والده المسمى «حورخب» يحمل نفس اللقبين ، وكانت أمه تدعى «تاأرو» ، وقد تزوج «بدعشتر» من سيدة تدعى «تانفرت باست» ، وأنجب منها ذكرا وأنثى وهما على التوالى «بديسى» و «نعس» وقد تزوج أحدهما من الآخر ، وهذا مثل من الأمثلة القليلة التى لدينا فى مصر القديمة التى يتزوج الأخ من أخته من عامة الشعب . وعند فحص شجرة نسب هذه الأسرة اتضح لنا أن «بدعشتر» لابد كان

على قيد الحياة فى عهد الملك «ابريز» [١] . ونحن نعلم من شجرة النسب أن «زدخنسوف عنخ» الكاهن الثانى للاله «آمون» والكاهن لمعظم آلهة الواحة البحرية وحاكمها فى الوقت نفسه هو ابن عم « بديسى » عم « بدعشتر » . ومما ذكره آنفا أن «زدخنسوف عنخ» قد بدأ مجال حياته فى عهد الملك «ابريز» ولكنه وصل الى قمة مجده فى عهد الملك «أمسيس» [٢] . والظاهر أن مقبرة «بدعشتر» هى أقدم مقبرة بعد مقبرة «أمنحوتب» التى ترجع الى عهد أواخر الأسرة الثامنة عشرة تقريبا ، وهى مقامة فى «قصرت حلوه»

ومن سلسلة النسب يمكن القول أن « زدخنسوف عنخ » قد عاش فى عهد كل من «أبريز» و «أحمس الثانى» ، ومن ثم يمكن نسبة كل مقابر أسرته الى الاسرة السادسة والعشرين . ومناظر مقبرة «بدعشتر» كلها دينية ولكنها على مستوى عال ، فقد استعمل فى تزيينها المناظر التى كانت لا تستعمل الا للملوك ، مثال ذلك نشاهد الالهين «حور» و «تحوت» يطهرانه ، ولا شك فى أن ذلك قد حدث بعد أن انتشرت الديموقراطية فى الديانة المصرية ، وهى أقدم ديموقراطية ظهرت فى العالم . وكذلك نجد أن أرواح «با» و «نخن» التى كانت تنتحب وتنعى اخوتها من الآلهة أصبحت تنتحب وتنعى أفراد الشعب كأنهم اخوتها .

ومن المشاهدات الغريبة كذلك فى هذا القبر أنه بدلا من قيام الآلهتين «أزيس» و «نفتيس» بالحزن على أخيهما المتوفى نجد أنه قد حل محلهما الالهتان «مرت شمع» اى الهة النيل الجنوبى والآلهة «مرت محيت» اى آلهة النيل الشمالى وهما توحدان فى بعض المتون بالالهتين «نخبيت» و «وازيت» أى فيضان النيل الجنوبى وفيضان النيل الشمالى . ونحن نعلم من جهتنا أن «أزيس» عندما بكت على أخيها «أوزير» فاض النيل وهو ما يعرف عند العامة حتى الآن «بليلة النقطة» التى تحدث فى حوالى ١٩

---

(١) راجع Fakhry, Bahria, Ibid, p. 98

(٢) راجع A. S. XXXIX, p. 629 f

يونية من كل سنة ، ويقول الفلاحون المصريون ان فى هذه الليلة تنزل الحلاوة فى الفاكهة ويبدأ ارتفاع النيل تدريجا . هذا فضلا عن أن أوزير كان يوحد بالنيل .

هذا ومن المناظر المألوفة التى نجدها فى مقابر هذا العهد فى الواحة البحرية وتشاهد فى مقبرة «بدعشتر» منظر محاكمة المتوفى امام الاله «أوزير» بكل حذافيره . ومن المناظر التى ألفنا وجودها كذلك فى المعابد ويقوم بها الملك للآله وانتقلت الى المقابر ما نشاهده فى الحجرة الثانية من مقبرة «بدعشتر» [1] ، اذ نرى على الجانب الأيمن للباب منظر «بدعشتر» يقدم صورة الآلهة «ماعت» (العدالة) للاله «أوزير» لتكون غذاء له ماديا وروحيا ، ونشاهد تحت صورة «ماعت» متنا نعرف منه أن «بدعشتر» كان الكاهن الأكبر للآله «خنسو» وكاهن «حور» ، وان والده يدعى «حورخب» وأمه تدعى «تا أرو» .

ومما يلفت النظر فى نقوش مقبرة «بدعشتر» المنظر الذى مثل فيه صاحب المقبرة يؤدى حسابه فى الآخرة أمام الاله «رع» وتقدمه الآلهة «ماعت» ، وهذا المنظر يعود بنا الى الفكرة الأولى القائلة بأن حساب المتوفى فى الآخرة كان يجري أمام الآله «رع» ، ثم حل محله بعد ذلك الآله «أوزير» عندما أصبح اله الآخرة [2] .

« **مقبرة ثاتى** » تمتاز مقبرة هذا السيد بأن مناظرها ذات أهميـة من الوجهة الأثرية ، وذلك على الرغم من أن رسـمها غير دقيق . ويفتح بابهـا نحو الجنوب وتحتوى على قاعة ذات عمد . وتقع مقبرة «بدعشتر» خلف مقبرة هذا السيد ، هذا وتحتوى المقبرة خلافا لقاعة العمد هذه على حجرتين ، وتدل شواهد الأحوال على أن الأخيرة كانت هى حجرة الدفن . والظاهر أنها نهبت فى العهد المتأخر وقد استعملت للدفن كرة أخرى ، وقد وجد فيها أربعة توابيت لم يبق سليما منهـا الا واحد وفيـه جسم رجل محنط ، ولم يكن معه بطبيعة الحال شىء يذكر من الحلى الفاخرة .

---

(١) راجع Ibid, p. 111

(٢) راجع Ibid, p. 119, Fig. 87

والمناظر التي صورت على جدران قاعة العمد تحتوى على منظر محاكمة المتوفى أمام «أوزير» ووزن قلبه ، كما نشاهد فيها الآلهين «حور» و «تحوت» يقومان بعملية التطهير التي كانت لاتعمل قديما بوساطة هذين الآلهين الا للملك كما سبقت الاشارة لذلك يضاف الى هذا أننا نشاهد في نفس الحجرة صورتى أرواح بلدة « نخن » وبلدة «ب» الأولى ممثلة بأربعة صقور ، والأخرى بأربعة من أولاد آوى ، وهؤلاء في الواقع كانوا يمثلون أرواح الملوك الذين غبروا وقد مثلت هنا لتكون في خدمة المتوفى وكانت من قبل في خدمة الملوك والآلهة فقط .

وفى هذه القاعة ذات العمد يشاهد منظر غاية فى الأهمية يمثل زوج صاحب المقبرة وتدعى «تانفرت باست» ـ وقبرها على مايقرب من مائة متر من قبر زوجها ـ ومعها ابنتها وتقدمان قربانا . وأهم مايلفت النظر فى منظرهما أنهما لاترتديان ملابس[1] مصرية بل تنم ملابسهما عن أصل أجنبى ، وتدل الظواهر على أنها من أصل فنيقى أو أغريقى على مايظن . وكذلك يشاهد على نفس العمود الذى رسمتا عليه والد «ثانى» الذى كان يدعى «بديسى» ، ويشاهد كذلك «بدعشتر» ابنه يمشى أمامه وهو أخو صاحب المقبرة ، ويجب ألا نخلط بينه وبين صاحب المقبرة السابقة الذى يعتبر جد « ثانى » . وكذلك يشاهد فى هذه القاعة بعض مناظر من التى كانت لاترسم الا فى مقابر الملوك ، وبوجه خاص منظر سفينة الشمس تجرها أولاد آوى فى العالم السفلى لخلوه من الريح وذلك فى أثناء سير سفينة «رع» ليلا فى عالم الآخرة .

وفى الحجرة الثانية من هذا القبر نجد كل مناظرها ذات طابع دينى تمثل مناظر من عالم الآخرة وعددا من الآلهة من الذين يوجدون فى كتاب الموتى وعلى توابيت الدولة الحديثة .

أما حجرة الدفن فقد مثل عليها منظر ظهر فيه «أوزير» على نعش تكنفه كل من الآلهتين «نفتيس» و «أزيس» ، الأولى عن يمينه ، والأخرى عن يساره .

مقبرة «تانفرت باست» زوج ثانى : تقع هذه المقبرة على مسافة قريبة جدا خلف

---

(١) انظر الصورة رقم ١٨

مقبرة زوجها ، وتدل حالة المقبرة على أنه لم يكن قد تم نحتها ، ولم يلون من القبر الا جزء صغير ، ويشاهد فى الحجرة الداخلية صاحبة المقبرة تقودها الالهة « ازيس » ومعها أختها « نفتيس » الى الاله «أوزير» ، وتدل شواهد الأحوال على أن القبر لم يكن قد تم عند موت صاحبته .

مقابر « قعرت سليم » المنحوتة فى الحافة الشرقية لجبل «البويطى»

يوجد فى هذه الجهة مقبرتان من عهد الملك «أحمس الثانى» وهما :

(١) مقبرة «زدأموتفعنخ» : ويلحظ أنه لم يوجد أثر مقصورة لهذه المقبرة وتحتوى على قاعة ذات أربعة عمد ، وقد نهبت المقبرة فى العهد الرومانى ، واستعملت للدفن ثانية ، غير أنه من حسن الحظ لم تشوه نقوشها كثيرا ، وقد نهبت من جديد فى عصرنا الحديث ، وأخيرا نظفها من جديد «الدكتور احمد فخرى» ونشر نقوشها . وتحتوى حجرة الدفن على غرفة مربعة تقريبا يصل اليها الانسان بوساطة بئر عمقها حوالى خمسة أمتار . وقد حفظت لنا كل نقوشها الا ماكان فى الجزء الذى قطع فيه المدخل للدفنة المتأخرة ، فقد هشم ، ولا تزال هذه النقوش حافظة لرونقها . ومما تجدر ملاحظته فى نقوش هذه المقبرة أن اسم صاحبها « زد أموتف عنخ » قد ذكر مرات عدة دون أن يذكر معه أى لقب أو وظيفة من الوظائف التى كان يحملها فى حياته الدنيا ، كما هى العادة تقريبا فى كل المقابر التى عثر عليها فى كل أنحاء وادى النيل ، ولعل السبب فى ذلك هو أن « زد أموتف عنخ » هذا كان تاجرا من أصحاب اليسار من الذين كانوا يتجرون بين وادى النيل والواحات وغيرها من البلدان المجاورة ، ولذلك لم يكن موظفا فى الحكومة ولم يحمل من أجل ذلك لقبا معينا . وتدل شواهد الاحوال على أن هذا هو على أغلب الظن السبب الحقيقى لهذه الظاهرة ، اذ سنجد أن ابنه الذى يدعى « بان نتى » الذى يوجد قبره بجوار قبر والده لم يحمل أى لقب كذلك فى النقوش التى تركها لنا على قبره ، وهذا يعنى أنه كان كوالده تاجرا حرا ولم يكن قط موظفا .

ومما تجدر ملاحظته فى نقوش هذا القبر أن مدخله قد زين بنقوش ومناظر كالتى

الاله «حور» على اليسار وصورة الاله «تحوت» على اليمين ، وكل منهمـا يصب ماء الطهور كأن صاحب المقبرة كان ملكا ، وهذه الظاهرة كما ذكرنا من قبل أن دلت على شيء فانما تدل على منتهى الديموقراطية فى عالم الآخرة التى قامت فى مصر على أعقاب الثورة الاجتماعية بعد سقوط الأسرة السادسة .

والمناظر التى فى الحجرة الداخلية مأخوذة من كتاب الموتى الذى كان غالبا مايكتب معظمه أو بعضه ويوضع مع المتوفى على اضمامة من البردى ، والظاهر هنا أن المتوفى كان يحرص على أن تكون معه فصول بعض هذا الكتاب فى قبره بصورة ثابتة فنقشها على الجدران يضمن بقاءها أكثر من كتابتها على البردى الذى كان قابلا للتلف بسرعة ، وبخاصة أن عبادة الاله «أوزير» اله الآخرة كانت منتشرة بصورة بارزة فى الواحات لقربها من مقر عبادته وهو «العرابة المدفونة» . وقد خلت المقبرة من المناظر الدنيوية التى كنا نراها فى مقابر الدولة الحديثة واقتصر الأمر على المناظر الدينية البحتة .

وفى مدخل المقبرة نشاهد كاهنين يحملان آنيتين ، كما نشـاهد متونا تحدثنـا عن القرابين التى تقدم للمتوفى ، ثم نشـاهد بعد ذلك ثمانى نائحات صـورن على مدخل الحجرة أربعا على كل من الجانبين ، ويرتدين ملابس بيض وهى لبـاس الحزن عند المصريين القدامى . ونشاهد بعد ذلك على الجدار الشرقى للحجرة أولاد «حور» الأربعـة وهم «دواموتف» و «كبحسنوف» و «أمستى» ثم «حابى» ، وهم الآلهة و الذين كان يوكل اليهم حفظ أحشاء المتوفى منـذ ظهورهم بصورة واضـحة فى عهد الدولة الوسطى ، وقد كانوا يرسمون بوصفهم ذكورا غير أنه قد رسم هنا منهم اثنتان فى صورة أنثيين وهما «حابى» و «أمستى» ، وتحملان آنيتين ، أما الاثنان الآخران وهما «دواموتف» و «كبحسنوف» فقد مثلا فى هيئة رجلين يهرولان وفى يد كل منهما سكين كأنهما يدرءان الخطر عن المتوفى ، وهـــذه ظاهرة جديدة فى وظائف أولاد «حور» (١) . والمناظر الباقية على جدران هذه المقبرة ليس فيها ما يلفت النظر بل كلها مناظر دينية عادية .

---

(١) راجع مصر القـديمة الجزء التاسع ص ٢٩ و ٤٧٧ ـ ٤٧٩

مقبرة « بان ننتى » او « بناتى » بن « زد اموتف عنخ » : توجد مقبرة « بنــاتى بالقرب من مقبرة والده « زد أموتف عنخ » وبئرها على مسافة خمسة عشر مترا من بئر « زد أموتف عنخ » من جهة الغرب ، وليس هناك أى أثر لوجود مقصورة لهذه المقبرة ، وتبلغ عمق البئر ســتة أمتــار ، وفى نهاية البئر فتحتان أهمهمـا هى التى فى الشمال وتؤدى الى حجرة الدفن التى تحتوى على قاعة ذات عمد وثلاث كوات مسدودة ، واحدة منها منقوشة جــدرانها • وعلى الرغم من أن المقــبرة قد نهبت فى العهد الرومانى واستعملت ثانية فان نقوشها قد حفظت حفظا جيدا ، هذا بالاضافة الى اتقان نقوشها • وعندما أعاد فتحها الدكتور « احمد فخرى » لم يجد فيها أية آثار •

وأهم المناظر التى صورت على جدران هذه المقبرة فى القاعة ذات العمد ميأتى : منظر يرى فيه صاحب المقبرة يقوده « ايونموتف » (عمود أمه) والاله « أنوبيس » الى الآلهة « أوزير » و «أزيس» و «حور» ، ثم يشاهد المتوفى على الجدار الغربى واقفا وأمامه مائدة قربان يحملها المتوفى راكعا كأنه نفسه مائدة أمام الآلهين «حور أختى» والالهة « عنعنست » على رأسها قمفذ ، وقد كتب أمامها « عنعنست » الالهة العصيمة سيدة السماء وسيدة الآلهة • وقد كان القنفذ فى مصر القديمة يعد حيوانا مقدسا ، وقد استعملت صورته تعاويذ سحرية •

وعلى الجدار الشرقى الذى يقابل المنظر السالف الذكر منظر آخر مثل فيه المتوفى يقوده « أيونموتف » و «أنوبيس» الى الآلهين «آمون» و«حورسا أزيس» • وقد نقش أمام «أنوبيس» : «أنوبيس» رب الأرض العالية (أى المقدسة) ، والاله العصم صاحب «حرت» • ولا بد أن « حرت » هذه تعنى المكان العالى الذى فيه الجبانة فى هذه الجهة ، ولدينا نظير يشبه هذا التعبير فى مقبرة «دبحنى» بالجيزة وذلك عندما كان يتحدث عن هرم الملكة « خنتكاوس » (١)

هذا ويشاهد على نفس الجدار ستة رموز لآلهة كل منها على حامل وهى الآلهة : نجدها فى المعابد ومقابر الملوك ، فنجد مثــلا أنه قد زين عارضتى باب القبر صــورة

---

(١) راجع Excavations at Giza, Vol. IV, p. 168

«وبوات» (فاتح الطريق) ، (٢) «حور» ، (٣) « أبيس» ، (٤) «نفرتوم ، (٥) « رع حور أختى ، (٦) الآله «خنسو» ؛ كما يشاهد على الجهة اليسرى ستة آلهة على حوامل أيضا وهى كالسابقة عدا رمز الآله «نفرتوم» ، وكذلك نرى رمز الاله «نفرتوم» على حامل وتقف كل من « أزيس » و «نفتيس» على الجانبين ناشرتين أجنحتهما حامية لهذا الرمز ، وهذا المنظر غريب فى بابه فى مناظر مقابر أفراد الشعب .

هذا ويرى على نفس الجدار فى الصف الأعلى الاله «أنوبيس» يحنط مومية المتوفى على مغسلة على جانبيها آلهتان ، وفى الصف الأسفل نشاهد المومية تتعبد اليها كل من « أزيس » و «نفتيس» فى حضرة كل من « أوزير وتنفر » و « حورسا أزيس » . ويلفت النظر هنا أن « أوزير وتنفر » لم يمثل فى هيئة مومية بل فى هيئة آله يخطو الى الأمام . وعلى الجدار الشمالى نشاهد سفينة الشمس تجرها آلهة فى صورة أبناء آوى ويحملها الاله «شو» (اله الهواء) وأربعة آلهة آخرين ويتعبد اليها آلهة وثامون بلدة «الأشمونين» وهم آلهة مثلوا فى صورة قردة . وقد صور على عمد القاعة الآله « جب » آله الأرض والآلهة «نوت» آلهة السماء والآله « منديس بانبددو » فى صورة كبش (آله تمى الامديد الحالية) والآلهة « عبعأست » و « أوزير وتنفر » و « أزيس » وروح الآله « شو » آله الفضاء ثم الآلهة « تفنوت » آلهة الرطوبة .

حجرة الدفن : يشاهد فى مدخل هذه الحجرة على العتب الخارجى الشمس المجنحة ومعها متن يخاطب الآله «أوزير» ، وعلى عارضتى الباب يشاهد الآله «تحوت» على اليسار والآله « حور » على اليمين يطهران المتوفى . ويشاهد قبالة المدخل فى وسط الجدار سطر من النقوش ، وعلى يمين ويسار الجدار منظر قاعة محاكمة «أوزير» للمتوفى ووزن قلبه ، وعلى اليسار يوجد منظر آخر يمثل فيه «أوزير» جالسا على عرشه كما يشاهد صاحب المقبرة يتبعه عدد من الآلهة يقدمون له القربان . هذا ويلحظ أنه على كلا جانبى الجدار الجنوبى على اليسار وعلى اليمين من المدخل مناظر ملونة ، فعلى اليمين منظر تحنيط فى الصف الأعلى وفى الصف الأسفل نشاهد الالهة «نيت» قابضة على

قوسها ، وقد لقبت « نيت العظيمة » ويتبعها الآلهان «أنوبيس» و «تحوت» ، وفي الجانب الآخر يشاهد الآله «حا» يقبض على حربته ، ويلحظ أن كلا من الالهين «حا» و «نيت» كان مستعدا لمهاجمة الاعداء الذين يريدون شرا بمومية المتوفى وبذلك كانا يحميانها من كل خطر يتهددها .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن الآلهة «نيت» لم يأت ذكرها في النقوش التي كشف عنها في الواحات حتى الآن الا في هذا المتن الديني الخاص بالعالم السفلي وكنا ننتظر انتشار عبادة هذه الآلهة في الواحات التي قام بتعميرها «أحمس» الثاني الذي يعد نفسه ابنا لها اذ يدعى «أحمس سانيت» أي «أحمس بن نيت» . ولعل السبب في ذلك يرجع الى ضعف نفوذ كهنة صا الحجر وقتئذ وطغيان سلطان كهنة آمون في هذا العهد وسنرى بعد أن ملوك الاسرة السادسة والعشرين كانوا يخشون بأس كهنة آمون الذين كانوا قد تسلطوا على البلاد بدرجة عظيمة في عهد الأسرة الخامسة والعشرين وهي التي كان ملوكها متمسكين بعقائد آمون وتعاليمه بدرجة التعصب الذي مابعده تعصب .

علاقة مصر ببلاد كوش
منذ العهد الساوى حتى الفتح الفارسى

مقـــدمة :

كانت بلاد النوبة منذ أقدم العهود مرتبطة بمصر ارتباطا وثيقا فى معظم العصور . غير أن هذا الارتباط كانت تنحل عراه بعض الشىء فى عهد الثورات التى كانت تشب فى مصر من وقت الى آخر ، وقد ظلت الحال كذلك حتى عهد الأسرة الخامسة والعشرين حين غزا الكوشيون مصر واستولوا عليها جملة ، وظلوا يحكمونها حوالى قرن من الزمان الى أن أجلاهم «بسمتيك الاول» عنها تماما حوالى عام ٦٥٥ ق.م ، وذلك حينما استولى على اقليم طيبة ، وطرد آخر كوشى منها ؛ ومنذ ذلك العهد بقيت دولة الفراعنة فى «سايس» وفى «نباتا» منفصلتين بعضهما عن بعض . ويتساءل المرء الآن كيف يمكن تصوير العلاقات التى كانت بين الدولتين ؟

وتدل شواهد الأحوال على أن الكوشيين لم يحاولوا الاستيلاء على مصر كرة أخرى بل وجهوا كل اهتمامهم الى الجنوب ؛ اذ الواقع أن آمالهم كانت تتجه الى الأرض السودانية الخصبة ؛ ولا غرابة فى ذلك فقد كانت المستعمرة المصرية القديمة لفراعنة مصر التى طالما أغدقت عليهم الخيرات العميمة ، وذلك على عكس الأراضى القاحلة التى كانت تخترقها الشلالات فى أعلى «وادى حلفا» ، والشريط الطويل الضيق من الأرض المعروف باسم بلاد «النوبة السفلى» التى تفصل مصر عن السودان . ولا بد أن نتعرف أولا على الذكريات التاريخية التى ربطت مصر ببلاد كوش ، والواقع أن الهزائم المستمرة التى تحملها القوم فى مصر تساعدنا فى الوصول الى ذلك .

ومن جهة أخرى نعرف أنه لا «بسمتيك الاول» ولا ابنه وخليفته «نيكاو» قد تعدى سلطانهما حصن الحدود الجنوبية عند الفنتين أى جهة الشلال الأول . على أن قيام

حملة مصرية على بلاد الجنوب كان يقف فى وجهها الضغط الكامن الذى كان يتهددها من الشمال الشرقى ويمنع ملوكها الساويين من أى عمل حربى فى الجنوب ، وذلك لأن الأحوال فى آسيا الصغرى كانت دائما تدعو الى الخوف والقلق اذ كان يتوقع فى كل لحظة أن يقوم جيش بلاد الشمال الشرقى كله بهجوم على مصر كما رأينا من قبل .

ومن جهة أخرى لا بد أن نعترف بوجود علاقات حربية أو اقتصادية بين المملكتين يدل على ذلك أنه قد عثر فى «ميت رهينه» (منف) على قطعة من مائدة قربان باسم الفرعون الكوشى « سن كا امن سكن » (حوالى ٦٤٣-٦٢٣ق م) راجع

Cairo Museum, J. D. E. Nr. 41293; Daressy, A. S. 109, P. 183 - 4, Gauthier, L. R. IV, P. 53 Nr. 2.

ولا شك فى أن مصر كانت قبل كل شىء فى حاجة الى المحاصيل السودانية ، وبخاصة ذهب جبال بلاد النوبة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت بلاد النوبة الفقيرة فى المحاصيل الزراعية فى حاجة الى استيرادها ولو بكمية قليلة من مصر بعد أن استقلت عنها . وقد كانت تقف فى وجه العلاقات التجارية على أية حال بين البلدين الشلالات التى كان لا يمكن اختراقها الا فى زمن الفيضان . وقد كان يزيد فى هذه الصعوبات الطبيعية قبائل بلاد النوبة السفلى الذين جبلوا على السلب والنهب ، هذا وكانت السياسة الساوية متجهة نحو الشمال فى حين كانت سياسة مملكة «نباتا» من جهة أخرى متجهة نحو الجنوب باستمرار ، ومن ثم أصبحت العلاقات بين المملكتين تتناقص شيئا فشيئا ، غير أنه حدث تغير فى الموقف فى عهد «بسمتيك الثانى» كما سنرى بعد

أما الأثر الثانى الذى نجد فيه علاقات بين مصر وبلاد كوش فقد جاء فى ورقة ديموطيقية مؤرخة بالشهر الرابع من عام ٤١ من حكم الملك « أحمس» (.بريل ٥٢٩) عثر عليها فى الفنتين ومحفوظة الآن بمتحف برلين (راجع

(Museum Berlin Nr. 13615. W. Ericksen, Klio. 34 (1942), P. 56 - 61)

وهذه الورقة خاصة على مايظهر بسجل لأمير عن أناس ذاهبين الى بلاد كوش ،

وقد جاء عليها البيانات التالية « كاتب ٠٠٠٠ مشاة (؟) : ١٣٠ رجلا ، مجدفون : ٣٠ رجلا ، محارب : ٥٠ رجلا ، مشاة (؟) ١٣٠ رجلا ، «نوبى» س رجلا ، فلسطينيون ٦٠ رجلا ، سورى ١٥ رجلا » .

ويفهم من هذه الأعداد أن الجنود الذين ذكرتهم كانوا ذاهبين لمحاربة بلاد كوش أو لاخضاع بعض القبائل فى بلاد النوبة السفلى ، غير أن هذا العدد كان قليلا لايكفى لذلك . وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الجنود كانوا فى حراسة قافلة تجارية وبخاصة لأنه كان معهم كتاب . على أن وجود مثل هذا الحرس من الجنود يدل على أن هذه القوافل كان من الضرورى حمايتها من اللصوص حتى تصل الى مملكة «نباتا» .

وهكذا نرى أنه من أول عهد الملك «بسمتيك الأول» الى عهد «أحمس الثانى» كانت معلوماتنا لا تزال قليلة من حيث المتون التى فى متناولنا الدالة على العلاقات التى بين مصر وبلاد كوش . ولا نزاع فى أن العلاقات السياسية بين المملكتين لم تقم بأى دور قط ، ومن ثم بقيت الأحوال كذلك حتى ظهر « قمبيز » الفارسى فى مصر عام ٥٢٥ ق م .

وسنحاول فيما يأتى أن نتحدث عن الملوك الذين حكموا بلاد كوش من بداية الأسرة السادسة والعشرين أى منذ خروج الكوشيين من مصر نهائيا على يد الملك «بسمتيك الأول» وانزواء ملوكهم فى نباتا عاصمة ملكهم فى الجنوب ، الى أن جاء «قمبيز» واستولى على الديار المصرية ثم غزا بلاد كوش وأخضعها لسلطانه أيضـــا . وسنحاول جاهدين فى هذا الباب ذكر كل ماوصل الينا عن هؤلاء الملوك وماتركوه من آثار باقية فى بلادهم .

وعلى الرغم من أن ملوك كوش قد قصروا همهم على تنمية موارد بلادهم والانزواء فيها وبعدهم عن العالم الخارجى حتى الفتح الفارسى فانهم كانوا يلقبون أنفسهم بالالقاب الفرعونية ويدعون ملك مصر حتى نهاية دولتهم ، وحتى بعد أن هزمهم بسمتيك الثانى كما سنرى بعد .

ويرجع الفضل فى كشف النقاب عن أسماء ملوك كوش وترتيبها من أول عهد

بسمتيك حتى نهاية الدولة الكوشية الى البحوث التى قام بها الدكتور ريزنر ونشرها فى عدة كتب قيمة أماطت اللثام عن حقائق بقيت مجهولة حتى عهد قريب (راجع هذه المصادر فى

The Harvard-Boston Archaeological Expedition in the Sudan. A Progress Report on Publication by Down Dunham, in Kush, Journal of the Sudan Antiquities Service Vol. III, P. 70 ff.

يضاف الى ذلك ماقام به كل من الاثريين«جارستانج» و « جرفث » و «ماكا دم» من حفائر كانت نتائجها مثمرة عن كشف النقاب عن تاريخ بلاد كوش (راجع

The Temples of Kawa by M. F. Laming Macadam in 4 vol. Oxford University Press London 1949 ff.

وعلى الرغم من أن قائمة الملوك التى وضعها الاستاذ ريزنر هى الاساس الذى يسير عليه علماء الآثار عند التحدث عن ملوك كوش فانه توجد نقاط يكتنفها الغموض والابهام ولا أدل على ذلك من أن الملك الذى حاربه الملك بسمتيك الثانى وصده عن بلاده هوالملك«اسبالتا» على حسب التاريخ الذىوضعه «ريزنر» لم يذكر لنا أى شىء عن هذه الحروب التى نشبت بينه وبين مصر وكان الفوز فيها للجانب المصرى كما حدثتنا النقوش المصرية التى عثر عليها حديثا • يضاف الى ذلك أن بسمتيك الثانى لم يذكر لنا اسم الملك الكوشى الذى حاربه ومن أجل ذلك أفردنا فصلا خاصا لهذه الحروب وتناولنا فيه العلاقات بين الدولتين بشىء من التفصيل بقدر ما وصلت اليه معلوماتنا • ثم أتبعناه بفصل آخر عن ملوك كوش حتى بداية العهد الفارسى •

محاولة ملوك كوش غزو مصر فى عهد بسمتيك الثانى

لقد ظلت معلوماتنا عن العلاقات بين ملوك كوش ومصر بعد ارتدادهم الى «نباتا» فى عهد الملك « تانوت آمون » غامضة مبهمة الى عهد قريب جدا ، ويرجع السبب فى ذلك بوجه عام الى قلة المصادر ، وقد ظلت الحال كذلك الى أن جادت علينا الكشوف الحديثة ببعض الوثائق التى تكشف عن شىء قليل فى علاقة البلدين الواحـــدة مع الأخرى ، وأهم الوثائق التى وصلت الينا فى هذا الصدد اللوحات التى تحدثنا بعض الشىء عن الحملة التى قام بها «بسمتيك الثانى» حوالى عام ٥٩١ ق٠م ٠ لدرء الخطر الذى كان يهدد البلاد المصرية من ناحية ملوك «نباتا» ؛ وعلى الرغم من أن هذه الوثائق قد وصلت الينا مهشمة فان درسها وتحليل ماجاء فيها يضع أمامنا صورة لا بأس بها عن الروابط التى كانت بين البلدين فى كثير من الوجوه ٠ وسنتحدث هنا عن هذه الحملة بشىء من التفصيل ٠

الملك « پسمتيك الثانى » :

ذكر لنا «هردوت» بصورة موجزة [1] أن «بساميس» والد الملك «ابريز» لم يمتد حكمه على أرض الكنانة الا ست سنوات (٥٩٤–٥٨٨ ق٠م٠) وقد قام فى حلالها بحملة على بلاد كوش ، ثم مات بعدها مباشرة ٠ وقد فسر بعض المؤرخين تسمية «هردوت» للملك «بسمتيك الثانى» بلفظه «بساميس» بصورة مختلفة [2] ٠ وبعد حكم هذا الفرعون فترة مبهمة الى درجة ما تقع بين حكم الملك « نيكاو الثانى » (٦٠٩ – ٥٩٤ ق٠م) الذى قهر «أشعيا» وحث على القيام بالطوفان حول «افريقيا» ، وبين حكم الملك «ابريز» الذى كان لا يقل عن سابقه شهرة (٥٨٨–٥٦٨ ق٠م) ٠ فقد خفف

---

(١) راجع Herodot, II, p. 161.

(٢) راجع Mallet, Les Prĕmiers Etablissements des Grecs en Egypte, (M. M. P. F., 12) p. 113 Note 3.

لمساعدة اليهود ، وهو الذى أنزله «أحمس الثانى» عن عرشه بصورة رائعة ، وقد ذهب بعضهم الى حد القول أن حكم «بسمتيك الثانى» كان لا يعد شيئا مذكورا [١] . وهذا الحكم على «بسمتيك الثانى» يعد حكما جائرا بعيدا عن الدقة ، اذ الواقع أنه على الرغم من قصر مدة توليه العرش فانه قد خلف لنا عددا عظيما من الآثار الخاصة به هو كما وصل الينا عدد لا بأس به من آثار موظفيه العظماء [٢] وهى فى عددها تفوق ما عثر عليه من الآثار لسابقيه من الملوك . وتدل شواهد الأحوال على أن عهده يقع فى اللحظة التى كانت فيها الأسرة الساوية قد أخذت تدخل فى طور تقدم مادى عظيم [٣] .

هذا ونجد الآن من جهة أخرى أنه يحق لنا أن نسأل اذا كانت الحقيقة الوحيدة من التاريخ المصرى التى رأى «هردوت» من الفائدة أن يقرنها بذكرى « بسمتيك الثانى » ، وهى الحملة التى قام بها على بلاد النوبة ، لم تكن فى الواقع الا عملية جغرافية محدودة ، وانه ليس لها أية أهمية سياسية كما يقال عنها عادة ؟ والواقع اننا نرى عددا عظيما من المؤرخين قد مثلوا حملة «بسمتيك الثانى» على بلاد النوبة بأنها جولة حربية دون شهرة ، وانها لم تتجاوز الشلال الثانى [٤] ؟ وعلى أية حال نجد أن بعض المؤرخين فيما سبق قد أرادوا أن يضفوا على هذه الحملة شيئا من الأهمية ونخص بالذكر منهم الأثرى «بروكش» [٥] والمؤرخ «فيدمان» [٦] ، وقد قال الأخير فى هذا الصدد : « ان هذه الحرب كانت ذات أهمية عظيمة ، اذ نرى فيها أنه بعد سنين طوال

---

(١) راجع Mallet, Ibid, p. 114

(٢) راجع Bull. Inst. Fr. d'Arch., T. L. p. 158 n. 1

(٣) راجع Wiedmann, Gesch., p. 633

(٤) راجع Maspero, Hist. III, p. 537 - 538; Hall, C. A. H., 3, p. 301; Gauthier, Précis de l'Hist. d'Egypte, I, p. 208; Moret, Hist. d'Orient p. 735 - 736; Meyer, Gesch. Alter, 3, Abt. 2 (1937), p. 147; Scharff, in Agypten und Vorderasein (1950).

(٥) راجع Egypt under the Pharaohs, p. 323 (Ed. 1881)

(٦) راجع Wiedermann, Gesch., p. 631.

سادها السلم بين اثيوبيا (كوش) ومصر وكان فى خلالها تاج البـــلاد مقسما بين «تانو تآمون» «وبسمتيك الأول» ، قد عادت ثانية فترة نشبت فيها الحرب بين البلدين».

وقد ظلت الاحوال غامضة بالنسبة لهذه الحرب الى أوائل القرن الحالى حين أخذت المعلومات عنها تتجمع لدينا شيئا فشيئا حتى أصبح فى متناولنا عدة وثائق هامة تكشف لنا عن مدى العلاقات بين البلدين من وجوه عدة . ففى عام ١٩٠٥ م نقل الأثرى «ماكس مولر» بالقرب من البوابة الثانية لمعبد الكرنك نقوش قطع من لوحة تاريخية بقى عليها بقايا قصة حملة «بسمتيك الثانى» على بلاد كوش (١) . وبعد ذلك بمدة قرر لنا الأثرى «لفبر» خلال جمعه عدة آثار عن القائدين «أحمس» و «بوتاسمتو» جاءت فى النقوش الاغريقية الشهيرة التى وجدت فى «أبو سمبل» ، بصورة أكيدة أن النقوش الصخرية المنقوشة بالاغريقية والكارية والفنيقية على تمثالى «رعمسيس الثانى» ليست الا ذكريات لمرور جنود «بسمتيك الثانى» صوب بلاد النوبة (٢) . هذا فضلا عما وجد من آثار مصرية عن هذين القائدين «أحمس» و «بوتاسمتو» توحدهما بالقائدين اللذين ذكرا فى النقوش الأغريقية كما سبق ذكره .

وأخيرا فى عام ١٩٣٧ عثر الأثرى «مونتيه» فى خبيئة معبد «آمون» فى « تانيس » على الجزء الاعظم من لوحة تاريخية قدمت لنا بيانا جديدا عن نفس هذه الحملة وتؤرخ بوضوح هذه الحرب بالسنة الثالثة من عهد الملك «بسمتيك الثانى» (٥٩١ ق.م.) (٣)

ومما سبق يتضح أن هذه الحملة لم تكن ذات صبغة رسمية وحسب ، بل كان لها أهمية خاصة فى أعين الشعب المعاصر لها . ولا نزاع فى أن ما ذكره كل من «بروكش» و «فيدمان» من أهمية لهذه الحملة له مايعضـده ، اذ الواقع أننا نجد أن « بسـمتيك

---

(١) راجع; Max Müller, Egyptological Researches, I, p. 22123, pl. 12-13; Ibid. II, p. 185.

(٢) راجع B. S. R. A. A. 21, (1925), p. 48 - 57; G. I. G. No. 5126, cf, p. 187.

(٣) راجع J. E., Caire, No. 67095; & Kemi 8, p. 39 - 40.

الثانى» قد اضطهد ذكريات تسلط الكوشيين على مصر وذلك بتهشيم أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وهذه بلا شك ظاهرة لها علاقتها بالحوادث الحربية التى وقعت فى السنة الثالثة من حكم هذا الفرعون [١] . وفى الحق أنه عند فحص الوثائق الخاصة بهذه الحملة وجد أنها لم تكن قليلة الأهمية قط ، بل تمثل على أغلب الظن طورا دقيقا فى المعارك التى نشبت منذ منتصف القرن الثامن قبل الميلاد بين مملكة «نباتا» ومملكة «سايس» ، ويمكن القول مع كل التحفظات عن الجيوش المصرية أنها قد أوغلت وقتئذ فى قلب السودان . ومهما يكن من أمر فان هذه الحرب قد صحبتها عدة مظاهر كان من نتائجها الاشادة بالظفر الذى ناله مصر على الكوشيين . وهذه التحفظات التى ذكرناها من جانبنا ترجع الى أن المصادر التى وصلت الينا كانت من الجانب المصرى وحسب ، وهذا يذكرنا بما جاء على لوحة «بيعنخى» وانتصاراته على المصريين فقد جاءت الينا من جانب واحد وهو الجانب الكوشى وحده ، ولذلك فان الحكم بوساطتها يكون ناقصا ومتحيزا .

(١) **لوحة الكرنك** : أول لوحة عثر عليها خاصة بانتصار المصريين على الكوشيين فى حملة عام ٥٩١ ق.م . هى لوحة الكرنك كما ذكرنا آنفا ، وقد وصلت الينا فى حالة سيئة جدا . وتبتدىء اللوحة بذكر ألقاب «بسمتيك الثانى» كاملة ، ومن المحتمل أنها كانت مسبوقة بتاريخ كتابتها ، ويأتى بعد ذلك النعت «محبوب» «آمون رع» رب عروش الارضين المسيطر على «أبت - سوت» (الكرنك) ، و«منتو» سيد «طيبة» ، يلى ذلك مديح قصير : « .. الآله الكامل ...» وأخيرا نجد عبارة خاصة بالأقواس التسعة . والجملة التى تلى ذلك تقدم لنا شيئا عن نشاط الفرعون عند بداية البيان عن الحملة : « وهكذا كان جلالته قائما بالتنزه على بحيرة .. «نفر اب رع » (بسمتيك الثانى) عندما ...» والجمل الباقية من العمود الرابع تقدم لنا على مايظهر بعض تفاصيل عن الاعمال التى كان يقوم بها حينذاك «بسمتيك» ، فتحدثنا عن : « شجرات الجميز

---

(١) راجع Rev. d'Eg., 8, 215 - 239.

الشرقية ، وكان يسلى قلبه وهو داخل للتأمل . » وهذه العبارات على الرغم من عدم تماسكها بسبب تهشيم المتن ربما كانت تشير الى شجر الجميز الذى كان يزين حافة البحيرة التى كان يتنزه فيها . ومن المحتمل أنه لما كان «بسمتيك الثانى» مشغول البال بمصير جيشه الذى سيره نحو الجنوب وبقى هو فى مصر كما ستحدثنا عن ذلك لوحة «تانيس» ونقوش «أبو سمبل» الكبيرة كان فى حاجة الى أن يرفه عن نفسه بنزهة خلوية (؟) ، وفى أثناء ذلك على ما يظهر وصل الرسول مبشرا جلالته بظفر جيشه كما تشير الى ذلك نهاية السطر الرابع من المتن ، ومن السطر الخامس يعلم(فى الواقع) الملك النتيجة السارة عن عمليات جيشه الحربيـة لأن ماتبقى من المتن يقول : « ان جيش جلالتك الذى أرسلته على بلاد النوبة ، قد وصل الى أقليم «بنوبس» (سليما) (؟) وبدون خسارة (؟) وهذه الفقرة فى متن الكرنك وهى التى بوساطتها نعلم أن «بنوبس» تعد مرحلة هامة فى العمليات الحربية التى قام بها جيش «بسمتيك» . وهذه المدينة المخصصة لعبادة اله الدولة « آمون » ولعبادة الاله « أوزير » وهو الاله الآخر العظيم فى بلاد كوش تظهر فى الواقع فى الوثائق الخاصة بملوك «نباتا» بوصفها أقصى بلدة فى الشمال بالنسبة للعواصم الكوشية الاربع العظيمة . على أن مجرد العلم بأن الجيش المصرى قد وصل فى زحفه الى ضواحى هذه المدينة يقرر بوضـوح أن حرب عام ٥٩١ ق.م . كان قد وجه الى المملكة الفرعونية السودانية ، وكان هدفه الاقاليم الخاضعة لسلطان ملك السودان . وتدل الوثائق التى فحصت فى هذا الصدد على أن «بنوبس» تقع فى أقليم «الشلال الثالث» وتقع على مايظهر مكان جزيرة «أرجو» . وعلى ذلك يكون الجيش المصرى قد وصل الى البلاد الثرية جدا التى تؤلف الجزء الشمالى من مديرية «دنقلة» ، وذلك بعد أن اجتاز بنجاح العقبات الطبعية التى صادفته منذ دخوله الشلال الثانى حتى الخروج من الشلال الثالث .

ولا نعلم مما بقى من السطر السادس من هذا المتن اذا كان ماجاء فيه هو استمرار للأخبار التى حملت لجلالته ، أو أنه يقدم لنا بيانا مستقلا عن العمليات الحربية فقد جاء فيه : « كل بلدة أجنبية نحوه (= ضده) وقلوبهم كانت مفعمة بالشجاعة .

وعندما علم أنه قد هزم (؟) .. » والظاهر هنا على أية حال أن المتن يشير الى الجنود المرتزقة من أغريق وكاريين وساميين وهم الذين كانوا مشتركين في الحملة بقيادة « بوتاسمتو » . وقد نقش بعضهم أسماءهم على تمثالى معبد «أبو سمبل» .

ومما تبقى من السطر السابع وهو : «يجعل الاعداء .. دون أن يشد واحد منهم عن قوسه عليهم لأجل ...» قد يجوز أنه يعنى أن المصريين قد داهموا عدوهم قبل أن يستعد لمحاربتهم ، وعلى ذلك يمكن أن نكمل المتن بما يأتى : «هزم العدو دون أن يكون فى مقدور واحد منهم أن يركب سهمه ليفوقه » .

وما بقى من المتن فى الاسطر الباقية نفهم منه بصورة مبهمة أن العدو قد أسر ؛ وبعد ذلك ينتهى البيان عن الحملة ثم يأتى تقديم القربان شكرا للآله على نجاح الحملة. هذا ما أمكن استخلاصه من هذه اللوحة مع كل تحفظ .

(٢) لوحة « تانيس » : هذه اللوحة محفوظة أحسن من السابقة نسبيا ، وتقدم لنا بعض تفاصيل تخول لنا أن نستنبط منها أن الحملة التى أرسلت الى بلاد النوبة فى السنة الثالثة من حكم «بسمتيك الثانى» كانت موجهة فعلا الى مملكة «نباتا» وانها أوغلت على مايحتمل الى مسافة بعيدة فى الجنوب .

وصف اللوحة : نشاهد فى المنظر الذى يزين أعلى اللوحة الملك ممثلا وهو يقدم قربانا سائلا لثالوث «طيبة» الذى كان يعبد فى «تانيس» وهو «آمون» و «موت سيدة أشرو » و « خنسو » ، هذا الى اله طيبة الحربى «منتو» ، وخلف هذا الاله الأخير نقرأ صيغة حماية خاصة بالملك : «حماية حوله[1] ، مثل «رع» أبديا» . وفى الجزء الاسفل من اللوحة ثلاثة عشر سطرا تحتوى على أسماء «بسمتيك الثانى» ومقدمة ذكر فيها على حسب المعتاد الاعمال الخيرية التى أنجزها الفرعون ، وأخيرا يذكر لنا بيانا مفصلا عن الحرب وهو خارج عن حد المعتاد قليلا ، ويشتمل على حقائق تاريخية أكثر من متن لوحة الكرنك السابقة .

---

(١) هذا التعبير لا يزال باقيا عند العامة، اذ عند الرقى يقال اسم الله حواليك .

الترجمة : ألقاب الملك : حور ممتاز القلب (منخ اب) سيد التاجين (وسرورع) . حور الذهبى (سنفر تاوى الملك «نفر اب رع») ، ابن «رع» «بسمتيك» عاشا أبديا وسرمديا (؟) (٢) محبوب «آمون»(رع)» سند (عروش الأرضين (؟) سيدالـ .. «لموت» و «خنسو» و «منتو» سيد «طيبة» ، («حتحور» القاطنة فى) أقليم «رع نفر» والتاسوع الموجود فى مروج (٣) (سايس معطى) الحياة والثبات والقوة مثبت فى مكان حور الأحياء » .

المقدمة : « وهكذا فان جلالته الذى يحب الاله أكثر من الكل (٣) أمضى وقته فى عمل ما هو مفيد (٤) للآلهة بتجديد معابدهم التى آلت للخراب ، وتموين موائد قربانهم وامداد أدواتهم ، وقد عمل له مكافأة على ذلك وهى الشجاعة والقوة .

حملة السنة الثالثة : « ذهب انسان ليقول لجلالته فى السنة الثالثة من تتويجه : ان بلاد النوبيين .. تفكر فى محاربتك (؟) (٦) وقد جعل جلالته جيشا يسير تجاه بلاد «شاس» ، واشراف القصر معه . وهاك فانهم قد وصلوا الى ....) وكانت هذه مقر الكور (=الملك) الذى كان فيها) وكذلك الى مدينة تدعى « تادهن » . وعندئذ ذبحهم جيش جلالته ووقعت مذبحة عظيمة بينهم . وهاك فانهم .. الكور (= الملك) الذى كان فى .. فى المقر (؟) التابع لـ .. وقد ذهب معه .. (٩) .. هم (يحارب) مع جيش جلالته . وعلى ذلك قتل (١٠) .. هم وهاك فقد وجد الكور .. الذين عملوا هناك وقد استولى على أشجارهم (١٢) .. صورة (؟) من .. (١٣) « بسمتيك» عاشا أبديا معطى الحياة مثل «رع» ابديا . » .

وهذا المتن على مابه من فجوات يمكن أن نتتبع فيه سير الحوادث دون كبير عناء من السطر الخامس الى السطر السادس : وذلك أن مقاصد النوبيين العدائية قد حتمت على «بسمتيك الثانى» أن يسير عليهم جيشا بقيادة كبار رجال أشرافه . وأهم النقوش الصخرية التى وجدت على صخور «أبو سمبل» تؤكد أن الملك لم يتعد فى سيره مع

الجيش حدود «الفنتين» ، بل بقى فى الاراضى المصرية ، ووكل أمر توجيه الاعمال الحربية للقائدين «احمس» و «بدى سمتاوى» (بوتاسمتو) ، وبعد ذكر أول انتصار ناله الجيش المصرى على ملك كوش الذى أشير اليه بكلمة «كور» فى « ••ر ـد با » و «تادهن» ، تبتدىء مرحلة جديدة فى الحرب ذكرت فى فقرة مهشمة جاء فيها ذكر مكان جديد •• وشخصية جديدة يظهر أن لها علاقة بالكور (= ملك) • ونهاية المتن ممزق جدا ، وأكثر من نصف الاسطر من ٩ الى ١٣ ناقص • هذا ونفهم من بين السطور أن الجيش المصرى قد تقابل كرة أخرى مع الكور (سطر ١٠) وخرب بساتين الكوشيين ، وهذه كانت عادة متبعة عند الجيوش المصرية فى كل الازمان (١) • ونفهم تماما أن الجيش فى اقتفائه أثر العدو قد نال انتصارات جديدة ، وانه من حقنا أن نفرض أنه قد وصل فعلا حتى بلاد «شاس» ، أما اذا كان الامر على العكس من ذلك فان ذكر هذا الاقليم هنا بوصفه هدف الحملة (كما جاء فى السطر السادس) يعد تضليلا مشينا !

ولما كانت لوحة الكرنك قد ذكرت «بنوبس» بوصفها احدى مراحل الحملة فانه يتحتم علينا أن نضع بلاد «شاس» على مسافة من جنوبى الشلال الثالث وهى الهدف الذى كان يرمى اليه الملك وجنوده كما أنه ينبغى أن تكون مركزا هاما لبلاد النوبة • وأغلب الظن أنها أقليم شاسع يحتوى على عاصمة الأمير المعادى • وتدل البحوث على أن هذا الاقليم يمكن أن يكون اقليم «صنم» الذى وجد فيه هذا الاسم أو الاقليم الشاسع الممتد حول العاصمة الملكية بما فيه «صنم» نفسها و «نباتا» وجبانتى «نورى» و «الكورو» اللتين دفن فيهما ملوك كوش (٢)• ومن الجائز أن «تاشاس» (بلاد «شاس») التى كانت هدف الجيش «الساوى» عام ٥٩١ ق•م • كانت تمثل العاصمة نفسها لمملكة كوش وتقع قبل الشلال الرابع بقليل •

هذا ونعرف من لوحة « تانيس » فضلا عن ذلك أن أول تصادم وقع بين المصريين

---

(١) راجع Bull. 50, p. 175, Note 3

(٢) راجع Bull. Ibid. p. 176.

والاثيوبيين بالقرب من مدينة هامة ورد اسمها مهشما بعض الشيء وكذلك بالقرب من بلدة تدعى « تادهن » (ومعناه المرتفع) ، وهذا الاسم قد أطلق على أماكن كثيرة فى مصر ، قد ثبت أنه اسم مدينة سودانية وتقع بين «نباتا» و «جاتون» ويحتمل كثيرا أنها كانت تحتل مكان «دنقلة العجوز» الحالية ، وقد كان على الجيش المصرى لأجل أن يهدد العواصم الكبيرة الكوشيةوهى «بريميس» (عمارهشرق) و «بنوبس» و«جاتون» (الكوة) و «مراوى» (مروى ؟) و «نباتا» ، أن يسير على الشاطىء الأيمن . والواقع أن « دنقلة » هى المدينة الوحيدة الواقعة فى الشرق بين الشلال الثالث والرابع وتقع على مرتفع كبير صخرى ، وترجع أهميتها الى دورها القديم الذى لعبته بوصفها عاصمة المديرية وهذه نظرية مقبولة .

هذا ونعلم أن كلمة «كور» التى نجدها مركبة مع كلمات كثيرة كوشية تقابل كلمة «ملك» فى المصرية القديمة [1]

أهمية الحملة : تدل شواهد الأحوال على أن السبب الذى حدا بمعظم المؤرخين ألا ينظروا الى هذه الحملة الا أنها حركة استراتيجية وأن أهميتها السياسية محدودة جدا ، هو الموقع الجغرافى للنقوش الصخرية التى خلفها لنا كثير من جنود « بسمتيك الثانى » المرتزقة فى « أبو سمبل » . فعلى ساقى تمثالى « رعمسيس الثانى » الضخمين نجد أن جنودا كاريين قد نقشوا ستة متون سيكشف النقاب فى البحوث الأناضولية عن معناها فى القريب العاجل على ما نعتقد [2] . ولا بد أن نذكر هنا وجود نقوش كارية فى مقبرة « منتومحات »[3] . وبجانب هذه النقوش توجد أسماء كثيرين من الفنيقيين كانوا قد جندوا من مستعمرة مؤسسة منذ زمن معين فى مصر . وأخيرا يوجد نقش صغير اغريقى مؤلف من خمسة أسطر يذكر لنا كيف يميز عدد كبير من

---

(١) راجع Bull., 50, p. 186 ff.
(٢) راجع Robert, Hellinica 8, (Paris (1950) p. 5 ff
(٣) راجع Leclant, Orientalia N. 5. 20, p. 474, pl. 64

الأجناد من أصل «أيونى» و «دورى» . وقد كتبت امضاءاتهم حول النقش التالى [١] :
الملك «بسمتيك» قد أتى حتى «الفنتين» ، وهؤلاء الذين ساحوا مع «بساما بسمتيكوس» بن «تيوكليس» وصعدوا منحدرين الى «كركيس» بقدر مايسمح النهر قد كتبوا هنا وكان « بوتاسمتو » يقود الفرقة الأجنبية « وأحمس » يقود المصريين [٢] ... ،
وتدل الترجمة التقليدية على أن العلامات الاغريقية الدالة على أقصى نقطة وصل اليها أصحاب الامضاءات لهذا المتن لايمكن أن تشير الا الى الشلال الثانى . وهذه الترجمة أصبح لهذا من الصعب الأخذ بها لأن وصول الجنود الساويين الى اقليم « بنوبس » يدل على أنهم قد اجتازوا الشلال الثالث . ويستحسن اذا أن يبحث فى الجنوب عن هذه البلدة الأخيرة فى المنطقة الصعبة التى عاقت رجال « بسمتيكوس » (= بسمتيك) أى على الأرجح عند الشلال الرابع . وهذا يحتم على مايظهر أن الجنود الذين أرسلوا الى بلاد « شس » السالفة الذكر قد وصلوا فعلا الى اقليم «نباتا» ، وعلى ذلك تكون « كركيس » واقعة بعد هذه العاصمة على مرنظن ، وهى المكان الذى فاخر بعض الاغريق أنهم تعدوه خلال الحملة . واسم هذا المكان على أية حال ليس معروفا لنا بالاغريقية فى هذه الصورة ولكنه يمكن أن يكون مقابلا صوتيا لاسم من الأسماء العدة القديمة أو الحديثة فى السودان ، فقد يمكن تقريبه من جبل كولكيلى ، وهو محطة صخرية تشرف على النهر عند مدخل سهل «دنقلة» ، وكذلك من المحتمل أن تكون فى موقع المكان القديم « كوركوس » (Korkos) حيث كانت توجد قلعة تحمى المرور فى عهد الدولة الحديثة بعد الشلال الرابع ؟ واذا أخذنا بالنظرية الأخيرة فلابد أن نعترف أن جيش «بسمتيك الثانى» قد أوغل حتى الشلال الخامس وعلى أية حال فانه ليس لدينا حجج يمكن أن نبرهن بها على أن « كركيس » يجب أن توحد ببلدة « كولكيلى » أو « كوركوس » (= حجر المروا) . وعلى أية حال فـ

---

(١) راجع. ..D., 6, 98 (516, 517, 519) et 99, (515, 528, 529, 530, 534)
(٢) راجع عن الدور الذى قام به كل من هذين القائدين فى هذا المؤلف .
Bull. No. 50, P. 188, Note 7,

البلاد المركبة أسماؤها مع كلمة «كرك» أو «كلك» تقع جنوبى الشــلال الثالث بعد بلدة «بنوبس» ولذلك فانه يجوز تماما الأخذ بالنظرية القائلة ان حملة عام ٥٩١ ق٠م قد وصلت خلالها الجيوش المصرية حتى مرتفع « دنقلة » ٠ وعلى أية حال فانه مما يمكن تصوره أن الجنود المصريين بعد احتلال اقليم العواصم (شاس) قد تابعوا ســيرهم فى اقتفاء العدو حتى الشلال الرابع وأن جماعة منهم قاموا بالاستطلاع شاقين طريقهم حتى شلالات « السليمانية » ٠

واذا أردنا أن نستخلص نتيجة قصوى من الايضاحات والتفسيرات التى أوردناها هنا من متون الكرنك و « تانيس » و « أبو سمبل » فقد يجوز لنا أن نكيف الحوادث التى وقعت فى السنة الثالثة من عهد « بسمتيك الثانى » فى الصورة التالية ، ولكن مع كل تحفظ ممكن ، اذ أن ذلك لايخرج عن نطاق النظريات البحتة :

تدل شواهد الأحوال على أن ملك « كوش » كان يتأهب لمهاجمة «بسمتيك الثانى» وأن الأخير قد بادره مباشرة بجيش لمهاجمته وصاحبه بنفسه حتى « الفنتين » ٠ وقد تعدت الفرق الحربية التى كان يتألف منها جيش « بسمتيك » وهى التى كانت تحت اشراف عظماء بلاطه الفنتين ثم اجتازت الشلال الثانى ثم تابعت السير حتى وصلت الى اقليم « أرجو » ، وذلك اما بعد أن قام الجيش بالسير الشـــاق الى بطن الحجر ٠ أو اخترقوا على الأقدام الاقليم المقفر الذى يحاذى النهر فى هــذا الجزء من مجراه ٠ والظاهر أنه كان قد نال نصرا مبينــا على ملك كوش فى سهل « دنقلة » ثم واصــل سيره نحو « نباتا » ٠ ومن المحتمل أن هــذا الجيش قد اجتاز هــذه العاصمة بمسافة وخرب بلاد العدو ثم عاد الى مصر حاملا الغنائم الكثيرة وسائقا أمامه الأسرى ٠ ومن المحتمل أن بعض الجنود الاغريق قد أوغلوا فى سيرهم الى أعالى النهر حتى الشلال الخامس وعند عودتهم تركوا فى طريقهم ذكرياتهم على آثار « أبو سمبل » ٠

وعلى الرغم من المقارنات التى أمكننا أن نقررها هنا فى موضــوع الأماكن «شاس» و « تادهن » و « كركيس » تظهر لنا أنها تتفق كتابة مع فكرة حملة تم بها المصريون

على السودان ولكن لايمكن أن تخفى أن تحديدنا لمواقع هذه الأماكن لايزال غير مؤكد وعلى ذلك يجب أن نكون على حذر من الصورة التى اقترحناها هنا . ولكن على أية حال يمكن قبول هذه النظرية بوصفها مادة للعمل بها وحسب . ومهما يكن من أمر فانه بقدر ماتسمح به نقوش لوحة الكرنك نرى أن قراءة اسم « بنوبس » وموقعها يظهر مؤكدا ، وعلى ذلك يمكننا على مايظهر أن نعترف أن جنود « بسمتيك الثانى » قد وصلوا على أقل تقدير الى « دنقلة » . وعلى أية حال فان التاريخ الذى اتخذ لبداية تهشيم أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وكذلك استعمال لفظة «كور» للدلالة على زعيم الاعداء فى متن «تانيس» ، وأخيرا ذكر المدينتين التابعتين لمملكة كوش فى لوحتى النصر (وهما « بنوبس » و « تادهن ») يحتم علينا تقريبا قبول النتيجة التالية : كانت حملة عام ٥٩١ ق.م عمـــلا حربيا على مملـكة « نبـاتا » التى غزت ممتلكاتها الجيش المصرى .

وتدل الأحوال فى مصر نفسها على أن المظاهر التى صحبت هذه الأعمال الحربية أو جاءت بعدها كانت تنطبق مع خطورة مثل هـذا الحادث ، ومع الانتصـــارات التى أحرزها الجيش المصرى بالنسبة لملوك كوش وعلاقتهم مع مصر .

فنجـد **اولا** أن ملوك « نبـــاتا » الذين حكموا مصر ســـابقا أخذوا يعملون على استرجاع مافقدوه من اسم . والواقع أن ملوك الأسرة الخامســة والعشرين الذين كانوا يعدون أنفسهم ملوكا شرعيين كانوا يعتبرون فى مصر مغتصبين ، وأنهم أفراد ارتكبوا جريمة التعـدى على سلطان البـلاد المصرية ، وعلى ذلك فان ملوك الأسرة الساوية قد محوا ذكرياتهم ــ وهـذا أمر كان لابد منه لبقائهم فى عالم الآخرة ــ وقد أنكروا فى الوقت نفسه حقوق أمراء كوش فى شرعيتهم التى اكتسبوها على عرش مصر ، هذا بالاضافة الى أن المصريين قد هشموا المظاهر الخارجية التى يمكن أن تذكر أتباعهم فى مصر بهذه الحقوق . فهشمت طغراءات « بيعنخى » وأخلافه على آثارهم

وآثار المتعبدات الالهية [١] . ومن ثم نجد فى المعابد أن أسـماء ملوك كوش كانت لاتحترم قط وتهشم كلها الا أسماء الآلهة ، ولم تفلت من يد المهشمين الا فى حالات شاذة [٢] . وقد كانت الآثار الجنـازية والآثار الخاصـة وكذلك الآثار الصغيرة وبصفة عامة كل الآثار التى كانت لا تقع تحت نظر المهشم ، مثل النقوش الصخرية وشواهد قبور الحيوان المقدس ولوحات الهبـات ، كانت كلهـا فى العادة لاتمسها يد المضطهدين ، وذلك بسبب أنهـا كانت محجوبة عن الأنظار بتماثيل قريبة منهـا أو موضوعة تجاه الجدار ، وبذلك فان الطغراءات التى كانت عليها لاترى . هذا ونجد أن ألقاب «بسمتيك الثانى» كانت فى كثير من الأحوال تحل محلّ اسم مهشم من ملوك كوش اللهم الا فى سلسلات النسب كما هو مفهوم [٣]

ثانيا لوحظ أن على جدران عدة مبانى « طيبية » من التى يكون عليهـا اسم ملوك النوبة مهشما أن الصل المزدوج الذى كان يعد الميزة الخاصـة بلباس الرأس عنـد ملوك كوش كان يكشط أو يصلح ليصير صلا واحدا ؛ وذلك ليتحول بهذه الكيفية من صورة ملك كوشى الى صورة ملك مصرى تقليدى ، اذ كان ملك مصر لايلبس الا صلا واحدا . وهذا التغيير لم ينحصر فقط فى الصـور التى فى المناظر بل قد شـوهد كذلك فى لباس رأس تمثال الملك « شبكا » الضخم [٤] . وأفظع من ذلك مانجده فى كثير من تماثيل الملوك وعلى بعض المناظر اذ نشاهد أن الصلين قد محيا محوا تاما . وكل هذه الحالات تدل تماما على ماكان يرغب فيه « بسمتيك الثانى » من القضاء نهائيا على الصفة النوبية لهذه الصور ، وكذلك شغفه بأن يمحو فى الوقت نفسـه أى رمز ظاهر لادعاءات الكوشيين بالملكية المزدوجة أى على مصر والسودان .

ثالثا نجد فى الوقت نفسه أنه قد نشأت التقاليد الشعبية التى جعلت من « الكور »

---

(١) راجع Rev. D'Eg., 8 p. 215 ff
(٢) راجع Ibid. p. 218 N. 1; p. 222, N. 3; p. 222, N. 4; p. 224, N. 1
(٣) راجع Rev. d'Egypte, 8, p. 234 - 237
(٤) راجع Bull. Inst., 50, p. 193 Note 3.

(أى الملك) العدو الأول لمصر ومن كوش شيئا مستهجنا كما كان الآله « ست » اله الشر يوحد بكلمة نوبى .

وهذه الظواهر السلبية كانت قد تضاعفت بدعاية ايجابية تميل الى ابراز عظمة الانتصار الذى أحرزه « بسمتيك الثانى » . وهذا النوع من المظاهر بوساطة النقوش الدالة على الانتصارات والنقوش الخاصة بالمديح ، واغتصاب انتصارات أحرزها السلف ، وغيرها لم تكن تشاهد الا قليلا فى عهود الملوك الساويين السالفين . ولذلك فانه يصعب علينا ألا ينسب كثرتها وتنوعها الى شىء هام . ولا نزاع فى أن حربا على ورثة الأسرة الخامسة والعشرين قد أثارت أمورا سياسية داخلية بقدر ما أثارت أمورا سياسية خارجية ؛ فقد كان فرعون « سايس » يريد أن يكسب أمام شعبه مكانة من النفوذ الخلقى الذى نتج عن هذه الانتصارات .

ومن أجل ذلك نجده قد أقام لوحات مبينا فيها العلاقات المختلفة للحملة فمنها لوحتا « تانيس » والكرنك ، ويحتمل كذلك لوحة الشلال ، التى بقى جزؤها الأعلى محفوظا وتشبه فى توزيع نقوشها توزيع نقوش الآثار الطيبية ، فنجد على لوحة الكرنك أن الملك يلقب « محبوب آمون » سيد عروش الأرضين و «مين منتو » سيد «طيبة» ، وعلى لوحة «تانيس» نجد أن الاله الأخير يصحب ثالوث «طيبة» فى المنظر كما فى المتن . ويمكن الانسان أن يتساءل فيما اذا لم يكن المقصود فى هذين الأثرين هو أن يربط « بسمتيك » المظفر بآله « طيبة » الحربى ؟

ونجد مواجها لبلاد النوبة على الصخور المحيطة بالشلال الأول وفى « الفنتين » و «كونوسو» و « بيجه » عددا عظيما من الطغراءات وأسماء الأعلام منقوشة باسم الملك « بسمتيك الثانى » مما يشهد — مع عدم وجود طغراءات مماثلة لأسلافه — على أنها كانت قد نقشت فى أثناء اقامة هذا الملك فى « الفنتين » أو فى أثناء عودة جيشه مظفرا وعلى أن عزيمة فاتح بلاد كوش كانت ترمى الى توطيد سلطانه على الحدود الجنوبية لمصر .

هذا وقد بالغ « بسمتيك الثانى » فى تأكيد انتصاره على بلاد النوبة بأنه اغتصب

آثار ملك آخر ممن قهروا بلاد كوش فنجد فى منظر بالكرنك يمثل «شيشنق الأول» أمام الاله « آمون » أن «بسمتيك الثانى» قد وضع أسماءه مكان أسماء الملك «شيشنق» العظيم مع أنه لم يكن بينهما عداوة . والمتن الذى يتبع المنظر بانتصارات «شيشنق» وبوجه خاص اخضاعه لبلاد النوبة (١) . وعلى ذلك فاننا فى حل من أن نتساءل فيما اذا كان هذا الاغتصاب الشاذ كان سببه الرغبة الشديدة من جانب «بسمتيك» فى أن يكون فاتحا لبلاد كوش بطريقة اقتصادية لاتكلفه حفر نقوش جديدة ، بل اقتصرت على وضع اسمه بدل اسم ملك عظيم آخر فتح فيما مضى بلاد النوبة ؟

ويلحظ أنه قد أدخل عرضا فى طغراء « بسمتيك الثانى » النعت « نب بحتى » (= رب القوة) (٢) وهذا اللقب كان يحمله اله الحرب والفاتحون العظام مثل«أحمس الأول » . ولدينا نقش « لبسمتيك الثانى » على قاعدة تمثال بولهول يلقب فيه هذا الفرعون أنه : « الاله الكامل الذى يضرب آسيا ... والنوبيين والذى خوفه يقضى على الشخصيات الشريرة (٣) . ومن المحتمل جدا أن هذه العبارة ليست الا مثالا من ألقاب المدائح التى كانت يمكن أن تظهره بمناسبة انتصاره على الكوشيين .

ويظهر لنا الاسمان الجميلان « نفر اب رع قوى » و « نفر اب رع » رب الشجاعة اللذان يحملهما كل من «أحمس» و «بوتاسمتو» قائدى «بسمتيك الثانى» على أنهما كانا قد أعطيا اياهما مكافأة على شجاعتهما فى هذه الحرب (٤) .

ومن المحتمل جدا أن القائد «حور» المسمى « نفر اب رع أم ابت » أى « نفر اب رع فى الاقصر » قد سمى نفسه بهذه التسمية لأجل أن يذكر الناس باشتراكه فى الحملة الوحيدة الباهرة التى أرسلها « بسمتيك الثانى » على بلاد كوش . ولا نزاع

---

(١) راجع Müller, Egyp. Researches 2, pp. 145 - 152

(٢) راجع Couyat - Montet, Hamm., 71, No. 100; Rev. d'Eg. 8, p. 238

(٣) راجع A. S., 34, p. 129 - 130.

(٤) راجع A. S. 38, p. 170; & p. 188 n. 7; Ibid. p. 169

فى أنه كان معاصرا لهذا الملك وقد أدخل فى ألقابه النعوت التالية : « رجل ثقة لسيد الأرضين والذى نشر خوف جلالته فى بلاد الأعداء ، وألقى الرعب بين أولئك الذين كانوا عقبة فى طريقه (١) . ولدينا شخصية معاصرة « لبسمتيك الثانى » يدعى «بزا» وقد مثل نفسه مقدما صــورة ملك فى هيئــة تقليــدية للملك طفل يدوس الأقواس التسعة (٢)

وأخيرا قد لايكون من المستحيل أن السياحة التى قام بها « بســمتيك الثانى » الى فلسطين مصحوبا بكهنة كانوا يحملون له طاقة الأزهار الرمزية التى قدمتها الآلهــة اعترافا بالجميل ، كان الغرض منها أن يعقدوا فى بلدة فلسطينيه مجلس انتصار لأجل أن يؤكدوا لآسيا قوة بطش المملكة المصرية (٣) .

وعلى الرغم من أن حرب السنة الثالثة من حكم « بسمتيك الثانى » كانت بلا نزاع أول حملة مظفرة كسبتها الأسرة الساوية منذ زمن بعيد جدا ، فان الاضطهاد الغشوم الذى وقع وقتئذ على ملوك النوبة القدامى ، هــذا بالاضــافة الى المظاهر التى قدميت هذا الانتصار ، كل ذلك يفسر بوضوح أن هذه الحرب قد انطلقت من عقالها لا عن رغبة مصرية بل بسبب طموح الفاتحين الكوشيين : اذ لا نزاع فى أن لوحة « تانيس » تدل تماما على أن التعدى من الوجهة المصرية كان قد أتى من قبل الكوشيين ، والواقع أنه حوالى عام ٥٩٤ ق٠م ٠ وهو تاريخ تتويج «بسمتيك الثانى» كانت آسيا بوجه خاص لا بلاد النوبة هى التى كان يجب أن تسترعى انتباه ملك «سايس» بصورة مقلقة ٠ فمنذ هزيمة « نيكاو الثانى » فى «كركميش» كان ازدياد قوة «بابل» فى فلسطين يعد تهديدا خطيرا لمصر (٤) ٠ ويصعب على الانسان أن يتصور أنه حوالى هذا العهد

---

(١) راجع A. S. 25, 259; A. S. 5, p. 199, § II.

(٢) راجع Bull. Inst. 50, p. 198

(٣) راجع Sauneron - Yoyotte, Sur le voyage Asiatique de Psammetique II, Vetus Testamentum, 1/2, p. 140 - 144.

(٤) راجع عن الحرب التى قامت به ملوك « سايس الاول » وبين بابل كتاب De Meulenaere, Herodotos Over. de 26me Dynastie p. 54-60

كان فى مقدور مصر أن ترسل جيشا على السودان متحدية مناوشة جارتها الجنوبية عن قصد • والواقع أن الحرب التى شنها «بسمتيك الثانى» فى أفريقيا كانت حرب دفاع لا حرب فخار • وعلى ذلك فقد كان من باب أولى أن «كور» (ملك) بلاد كوش رأى أن يفيد من الاحوال الجارية لأجل أن يعيد السياسة الامبراطورية التى كان يتمتع بها ملوك «نباتا» الأول على مصر • ولا بد أن تجهيزاته الحربية كانت قد أقضت مضجع حكومة «سايس» • وقد كان غرض حكومة «سايس» أن تعمل على اختفاء ذكرى الاسرة التى كانت ذكراها يمكن أن تجد لها مبررا فى أعين الذين كان رأيهم يميل مع فراعنة الجنوب ذوى المطامح الطاغية على مصر • ولم يكن على مايظهر لدى ملك كوش الوقت ليخطو مسافة بعيدة فى مشروعه • فقد كان الجواب المصرى عندما أحس استعدادات كوش غاية فى السرعة ، ولم يلبث أن انتهى بنصر باهر لم يتطلب أكثر من حملة واحدة على مايظهر • ولم يتجاوز « بسمتيك الثانى » نفسه حدود «الفنتين» وكان سبب ذلك بلا شك ألا يفقد حلقة الاتصال برسله الذين كانوا يحملون له الاخبار من آسيا • ومنذ أن بدأت الحرب فى كوش ، أخذ يظهر فى فلسطين درءا للخطر الذى كان يتهدد مصر •

وعلى ذلك فان الحملة التى قام بها « بسمتيك الثانى » على مملكة «نباتا» كانت قد حدثت فى زمن أزمة سياسية خارجية للأسرة السادسة والعشرين ، وهذه السياسة كانت بطبيعة الحال موجهة نحو آسيا بمقتضيات الحوادث • وهذا التحول كان سببه مظهرا جديدا يرجع الى الادعاء بالسيطرة على مصر من قبل ملوك كوش منذ منتصف القرن الثامن ق•م• ، وقد كان هذا الادعاء لا يزال حيا كما يثبت ذلك الصل المزدوج الذى كان يلبسه أخلافهم حتى بعد أن تقهقروا الى بلاد النوبة فقد كانوا لا يزالون يحملونه على جباههم فى لباس رأسهم أى أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ملوك مصر والسودان • والصلان يرمزان للبلدين مصر والسودان

واذا كانت ولاية «طيبه» فى عهد الاسرة الخامســـة والعشرين وهى التى كانت

محكومة بالمتعبدة الآلهية التابعة لأسرة كوشية قد ظهرت بأنها كانت فى قبضة هذه المتعبدة تماما فان الكوشيين كانوا مضطرين فى أحوال عدة أن يعيـــدوا فتح الوجه البحرى ، حيث كان الأمراء المحليون هناك وبوجه خاص حكام « سايس » ، قد ظهر أنهم انتهزوا الفرص لنزع نيرهم عنهم . فنجد على التوالى «بيعنخى» و «شبكا»ويحتمل كذلك « شبتاكا » ، وأخيرا «تانوتآمون» كان يجب عليهم أن ينزلوا الى الدلتا ويسكنوها لأجل أن يشعروا القوم بسلطانهم . وبعد أن اضطرت جيوش «أشوربنيبال» الملك «تانوتا مون» أن يرتد الى بلاد النوبة فان الأخير قد استولى ثانية على امارة «طيبة» ، واذا أمكن الانسان أن يوحده مع ملك مصر المسمى «تمنتيس» وهو الذى على حسب قول المؤرخ «بولين» قد نازل الملك «بسمتيك» وهزم على يديه بالقرب من «منف»[١]، فانه يجب أن نعترف بأن آخر ملوك الاسرة الخامسة والعشرين كان قد حاول كرة أخرى أن يعيد فتح الوجه البحرى . ويمكن أن الحالة المستديمة لاعادة الفتح الكوشى لمصر قد تركت لورثة الملك الأمل فى توحيد القطرين من جديد تحت صولجان ملك بلاد كوش ومصر معا .

ولا نزاع فى أن «بسمتيك الأول» الساوى كان قد أفلح منذ عام ٥٥٦ ق.م الاستيلاء على «طيبة» وفى أن يولى على عرشها ابنته «نيتوكريس» لتكون خلفا للمتعبدة الالهية الكوشية ، كما أفلح فى وضع حامية فى « الفنتين » [٢] . ولدينا قطعة من متن عثر عليها فى «ادفو» تكشف لنا عن أن «بسمتيك الاول» كان قد أرسل فى وقت ما من حكمه حملة حربية الى بلاد « واوات » أى الى بلاد النوبة السفلى [٣]

هذا ويوجد فى مصر نفسها مايدل على أن الأسرة النباتية كان لها بعد خروجها من مصر أعوان . ولا نزاع فى ذلك اذ نعلم أنه فى خلال القرن الثامن ق.م . قد توطن فى اقليم «طيبة» طبقة اشراف نوبيين كما أن الأسرة الكبيرة المحلية كانت ملتفة حول

---

(١) راجع Polyen, Stratagemata, 7, 3; cf Hopfner, Fontes, 342, 15
(٢) راجع De Meulenaere, Herodot. Over., p. 38 - 40
(٣) راجع Bull. 5, p. 201 No. 3

الحكم الكوشى . فمثلا نجد أن أمراء كوشيين كانوا يشغلون وظائف كبيرة بين كهنة « آمون » [١] . وكذلك تدل أسماء عظماء رجال الادارة الطيبية بوضوح على أنهم من أصل كوشى مثال ذلك «كارابيسكن» [٢] و«اريجاديجان» [٣] و «كاررخى – أمانى » [٤] والظاهر أن الأسرة الخامسة والعشرين كانت خلافا لذلك قد حابت الكهنة المحليين المختلفين وبخاصة كهنة «منف» ، وهى المدينة التى كان قد اتخذها مقرا له كل من «شبكا» و «تهرقا» كما تدل على ذلك النقوش [٥] . ومن جهة أخرى يلحظ أن بعض الأمراء المحليين هناك قد فضلوا بلا شك أن يكونوا تحت سلطان فراعنة الجنوب عن أن يكونوا تحت حكم ملك مصر ، وذلك مقاومة لمطامع ملك «سايس» . والواقع أن فراعنة الجنوب أى الكوشيين كان معترفا بهم لدرجة عظيمة حتى أن « بسمتيك » لم يكن يفكر فى عدم شرعيتهم ، وكان عليه أن يسلم بأنه خلفهم [٦] ففى الأزمان الاولى من تسلطه على الوجه القبلى نلحظ أن «بسمتيك» قد احترم ظاهرا جزءا من المميزات الخاصة بأمراء الكوشيين أصحاب «طيبة» ، فمثلا نجد أن «منتومحات» وابنه «نسبتاح» من بعده قد حافظ كل منهما فى عهد «بسمتيك الأول» على لقبه «عمدة نو » (أى طيبة) وحاكم الوجه القبلى . وفى «أدفو» نجد أن عمدتها «خنس – اردس» ظهر أنه كان يقوم على مايظهر فى العهد الساوى بدور حاكم الوجه القبلى وهى الوظيفة التى كان والده « باثنف » يشغلها فى عهد الكوشيين [٧] . ولكن على الرغم من هذه السياسة المهادنة فان مملكة كوش قد بقيت مركز تجمع للخارجين على مصر ،

---

(١) راجع Gauthier, L. R., 4, 23 & 41; A. S. 25, 25 - 31

(٢) راجع P. M. I, 194

(٣) راجع Kirwan, Melanges Maspero I, 373 - 377; & Kuenz, B.I.F.A.O. 34, p. 144 pl. 1 - 2

(٤) راجع Gardiner - Weigall, Topogr. Cat. Theban Necrop., 36, [223]

(٥) راجع Bull. 50, p. 202 No. 1

(٦) راجع ذكر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (بسمتيك الأول) Rev. D'Eg., 8, p. 232 - 234

(٧) راجع Yoyotte, Trois Notes pour Servir à l'histoire d'Edfou, Kemi XII

اذ كان يتوجه صوبها رجال الارستقراطية الحربية المصرية اللوبية عندما حرموا استقلالهم على يد «بسمتيك الاول» وأصبحوا يتوجسون خيفة من الجنود المرتزقة الأجانب الذين كان يعتمد عليهم «بسمتيك» ، وأخيرا هجروه [١] بعد أن ضاقت بهم السبل . وعلى أية حال فان أسرة «نباتا» كانت قد حافظت على بعض ثرائها ، على الرغم من الهزمات التى حلت بها . والواقع أن الانسان اذا قدر الآثار العدة التى تركوها وما دلت عليه محتويات جباناتهم من ثروة فان أخلاف «تانوتآمون» وهم «اتلانرسا» Atlanersa و«سنكامانيسكن» Senkamaniskin و «انلامانى» Anlamani و « أمتالقا » Amtalqa و«مالناقن» Malenaqen قد ظهروا بأنهم كانوا ملوكا أقوياء . وسنتحدث عنهم [٢] . ومما يؤسف له أننا نجهل حتى الآن من هو الملك من بين هؤلاء الذين ذكرناهم الآن كان يحارب بسمتيك الثانى ، ولكن على حسب آخر تأريخ لملوك كوش اقترحه «ريزنر» ، فان حرب سنة ٥٩٤ ق.م. قد حدد على وجه التقريب حوالى حكم الملك «اسبلتاه» [٣] ؛ وعلى حسبه يكون حكم «اسبلتا» هذا من عام ٥٩٣ لغاية ٥٦٨ ق.م. والواقع أنه اذا كان الجيش الكوشى قد وجد فى أقليم «أبوسمبل» كما هو المعترف به بوجه عام عند موت الملك «اللامانى» [٤] ، فانه يمكن الفرض أنه فى هذا العهد كانت على وجه التقريب اللحظة التى كانت القوات الساوية تنازل فيها الجيش الكوشى . وعلى ذلك فانه من المحتمل جدا أن لوحة «سنكامان يسكن» التى عثر عليها فى «منف» [٥] لا بد كانت قد أتت من غنيمة الجيش المصرى . وقد يكون من الامور المغرية وان لم تكن من المؤكدة تماما أن يجد الانسان فى جبل «برقل» فى تهشيم الطغراءات التى على اللوحات التى تدعى «الطرد» [٦] وعلى لوحة تتويج

---

(١) راجع De Meulenaere, Herodot., p. 41 - 43.
(٢) راجع كذلك Bull. Inst., L, p. 202 No. 6
(٣) راجع Reisner, J. E. A., 9, p. 75
(٤) راجع Bull. Inst. Ibid, p. 203 No. 2
(٥) راجع A. S., 10, p. 183 - 184
(٦) راجع Bull., Ibid. p. 203 No. 4

«اسبلتا» [1] وكذلك فى تهشيم تماثيل «تهرقا» و «تانوتا مون» و «سنكامان يسكن» و «انلامانى» و «اسبلتا» [2] شواهد على مرور جنود القائدين «احمس» و «بوتاسيمتو» بهذه الجهات [3] . ومهما يكن من امر فانه فى بداية القرن السادس قبل الميلاد كان بدأ عصر حرج للحوادث التى ظهرت فيها كوش بمظهر الدولة الطامحة فى ملك مصر لاعادة امبراطوريتها القديمة . والواقع أن أمارة «طيبة» التى كانت قد اختفى فيها حكم المتعبدة الآلهية الكوشية المسماة «شبنوبت» ، كانت تحت حكم مملكة الشمال مدة ستين عاما ، وقد حل محل العظماء الذين كانوا فى عهد السيادة النوبية — آخرون من الموظفين الذين ينسبون الى الدلتا ولو جزئيا ، فمنذ حكم «بسمتيك الاول» نقلت حكومة «ادفو» الى شريف من أشراف الدلتا الغربية يدعى «اسناوياو» [4] وكان «بابس» مدير بيت المتعبدة الالهية «عنخنس نفر أب رع» على مايظهر من شرقى الدلتا [5] وكان ابن سلفه «اباء» [6] يدعى «بدى حور رسنى» ، ونفس هذا الاسم كان يحمله خلفه [7] ومن المحتمل أن كلا منهما كان من بلدة « سايس » وهى التى كان يعبد فيها « حور — رسنى » وهو من أهم المعبودات ؛ ومن ثم نجد أن النتيجة التى كسبتها سياسة الهضم التى استعملتها الأسرة الخامسة والعشرون كانت فى طريقها الى الزوال . فمن الأمور البارزة أنه منذ السنة الأولى من حكم «بسمتيك الثانى» قد نصبت متعبدة آلهية وهى ابنته «عنخنس نفر اب رع » بجوار عمتها «نيتوكريس» التى تبنتها فقدس بذلك ارادة أسرته بضم امارة «طيبة» اليه [8]

---

(١) راجع Mariette, Mon. Div., pl. 9; & L. R., 4, p. 55 (8/1)

(٢) راجع Bull., Ibid. No. 6

(٣) راجع Ibid, N. 7.

(٤) راجع A. Z., 44, p. 42 - 54

(٥) راجع اقرن بذلك تمثاله الذى عثر عليه فى «البوهة » مركز ميت غمر راجع : Borchardt, Stat., 3, p. 155 - 156

(٦) راجع J. N. E. S., 7, p. 165

(٧) راجع Ibid, p. 165 - 166

(٨) راجع A. S., 5, 84 - 90

ومع ذلك فان المملكة الساوية التى كانت مهددة من قبل آسيا لم تكن قد قامت بأى عمل جدى ضد مناهضتها «نباتا» ، وكانت مملكة «نباتا» فى الواقع تنظر دائما الى موضوع ضم البلاد المصرية الى ملكها بعين الرضا ؛ كما كانت ترى أن مملكة كوش كانت تعمل مستعدة على مايظهر للحرب حوالى عام ٥٩٤ق٠م٠ ، غير أن مبادرة «بسمتيك الثانى» بالهجوم كانت قد صدمت الاطماع الامبراطورية التى كانت تختلج فى صدر «كور» كوش ، كما أكدت أن فى الكنانة جيشا قويا يحمى حماها ٠ وعلى أية حال فان النصر الذى ناله المصريون لم يكن حلا نهائيا لهذا الموضوع ٠

وليس من المؤكد أن المصريين اضطروا الى حمل السلاح لمحاربة بلاد النوبة ثانية ، غير أن كثرة النقوش الصخرية فى أقليم «أسوان» بأسماء «بسمتيك الثانى» ، تكشف لنا فعلا الى حد ما عن أن الملوك الساويين كانوا مهتمين منذ ذلك الوقت بأحوال حدودهم كثيرا جدا ٠ ولكن من جهة أخرى نجد أن بعض المؤرخين يفسر وجود هذه النقوش الكثيرة التى من عهدى «بسمتيك الثانى» و «ابريز» على أنها دليل على نشاط محاجر «أسوان» فى حكميهما [1] ٠ ويذكر لنا «اسحور» الذى عاش فى عهد «ابريز» صراحة أنه كان قد نصب حاكما لتخوم الجنوب لأجل أن يصد غارات فعلية من جانب المتوحشين [2] ٠ ولدينا قصة صغيرة نقلا عن «بلوتارك» نجد فى ثناياها الأدلة التى بقيت عن موضوع أقليم «الفنتين» وقد وقعت بين ملك كوش و «احمس الثانى» ، وتتلخص القصة فى أن «احمس» أمره ملك كوش أن يشرب البحر ولما أراد أن يتخلص من هذه الورطة طلب (بنصيحة « بياس» أحد الحكماء السبعة) من قرنه أن يوقف مقدما الانهار لأجل أن يكون المشروع ممكنا ، وعلى عكس مايقول البعض فان هذه القصة لم تكن فى واقع الأمر خرافة تخيلها الكاتب الاغريقى ، بل من المحتمل أن الكاتب الأغريقى قد أفاد من قصة مصرية ووضعها فى قالب

---

(١) راجع De Meulenaere, Herod., p. 119

(٢) راجع Louvre, A. 90, col. 1; L. R., 4, p. 112

أغريقى . والواقع أن هناك تقليدا مصريا يجعل من «أحمس» سكيرا مدمنا ، ومن الممكن أنه قد راهن على أن يشرب مقدارا كبيرا من النبيذ القوى [١] .

ولدينا تقرير كتب بالديموطيقية فى السنة الواحدة والاربعين من حكم الملك «احمس» يشير الى اجتياز كوكبة صغيرة من الجنود الشلال الأول متجهة نحو الجنوب [٢] . غير أن ذلك لا ينسب على مايظهر الى حملة بل تدل شواهد الاحوال على أن هذه الكوكبه كانت تقوم بمراقبة حربية على بلاد النوبة السفلى . وقد كانت الاحوال تحتم وجود نظام دفاعى قوى خوفا من اغارة النوبيين .

ومن ثم نفهم أن مملكة كوش على الرغم من غزوة عام ٥٩١ ق.م. كانت دائما مركز خطر كاف بوصفها ملجأ للخارجين ، كما كانت تقوى العقبات التى تواجهها سياسة الأسرة الساوية فى داخل البلاد : فقد حدث بعد انتصار « بسمتيك الثانى» على النوبيين بزمن قليل أن ثار جنود مرتزقون على « ابريز » وحاولوا أن يجدوا لهم ملجأ فى كوش [٣] . وهناك سبب أقوى فى أن تكون المعارضة قوية فى ولاية «طيبة» التى لم يكن قد تم اندماجها فعلا فى النظام الادارى للدلتا على مايظهر الا بعد نصف قرن تقريبا من بعد عهد «بسمتيك الثانى» اذ نجد أن احلال الديموطيقية بدلا من الخط الهيراطيقى الشاذ الذى كان يستعمل فى ولاية «طيبة» لم يحدث الا فى خلال حكم «احمس الثانى» [٤] . وعلى الرغم من الاضطهاد المتأخر الذى صوبه هذا الملك الأخير على الأسرة الخامسة والعشرين فانه كان لا يزال يوجد شارع فى «منف» يذكرنا اسمه بالملك «شبكا» فى عهد البطالمة [٥] ، هذا ونلحظ أن طغراءات كل من

---

(١) راجع Bull., Ibid, p. 193 Note 6

(٢) راجع Erichsen, Klio 34, p. 56 - 61 (cf. C d. E., 18, 251 - 253 & De Meulenaere, Op. cit. 98.)

(٣) راجع Louvre A 90, cf Bull., 50, P. 177, No. 3

(٤) راجع Malenine, L'origine du demotique Comm. XXIe Congrès intern. des Orientalistes.

(٥) راجع L. R. IV, p. 16 No. 1

«شبكا» و «تهرقا» التى كانت قد محيت أعيدت ثانية فى المعابد الطيبيةفى العهد الهيلانى [١] يضاف الى ذلك أن معظم القصص التى وضعها الكتاب الكلاسيكيون عن الكوشيين ، وتسلطهم على مصر تظهر لنا ملوك كوش فى صورة محببة فمثلا يظهر «سبكون» بأنه رجل صالح تقى ، وبقدر ماكان انسانا كان صاحب أدب راق [٢] .وقد ظهر «تركوس» (تهرقا) بصورة مناقضة للحقيقة مساويا للملك «سوزسنريس» [٣] ، هذا بالاضافة الى فضائل الكوشيين والغنى الخيــــالى لبلادهم النائية ، وكذلك القصص العــــدة التى كان مفعما بها العصر الفارسى ، والميل الظاهر من قبل المصريين للقوم الذين وقفوا حجر عثرة فى وجه الغاشم الممقوت (ملك الفرس) ، هذا الى تقاليد عدة تشهد بمقدار تعلق بعض المصريين بالأسرة الكوشية ، وكيف أن هذا التعلق قد بقى حيا على الرغم من «بسمتيك الثانى» وانتصاره الذى احتفل به بمبالغة كبيرة ، وماقام به من اضطهادات انصبت على تهشيم آثار الكوشيين ومحو أسمائهم .

ونجد فى أمارة «طيبة» التى كانت خاضعة لحكومة الشمال أن العلاقات مع المملكة الجنوبية قد بقيت ضاربة باعراقها فى تلك البقعة كما كانت الحال فى عهد «بطليموس ابفان » حيث نجد أن الامارات الثائرة قد ارتمت فى أحضــــــان الأمراء النوبيين [٤] مجددين بذلك الحركة الساوية اذ نجد أن الملك اللاجيـــدى قد أمر بتهشيم طغراءات خلفه العظيم « ارجامن » فى معبد ارستوفيس فى الفيلة [٥]

---

(١) راجع Leclant, Rev. d'Egypte 8, p. 115 - 120

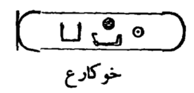
(٢) راجع Herod., 2, 137 et 139; Diodor, 1, 65

(٣) راجع Strabon I, 3:21 et 15, 1:6, cf CDE, 22, 239 - 44

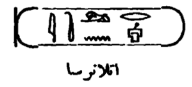
(٤) راجع Preaux, CDE 11, p. 530 - 536; Alliot, La fin de la résistance Egyptienne sous Epiphane Comm. au VI Congrès Int. de Papyrologie

(٥) راجع L. R. IV, p. 425 (11)

ملوك كوش الذين حكموا فى « نباتا »
بعد الملك « تانوتآمون »
فى عهد الأسرة السادسة والعشرين وما بعدها
الملك « اتلانرسا »[1]
٦٥٣ - ٦٤٣ ق . م



خوكارع



اتلانرسا

تدل النقوش التى لدينا على أن «اتلانرساه» هو ابن الملك «تهرقا» والملكة«..سالكا».

وجد لهذا الملك وديعتان فى معبد «برقل» رقم ٧٠٠ باسم الملك «اتلانرسا» وتحتوى كل منهما على لوحات صغيرة من المعدن والحجر والخزف المطلى . هذا وقد وجد اسم هذا الملك على بعض حجرات هذا المعبد وعمده . وتدل شواهد الاحوال على أن هذا المعبد كان قد أتمه تقريبا هذا الملك ثم أضيف اليه اسم الملك «سنكا مانيسكن» فيما بعد (٢)

وكذلك وجدت له لوحة فى ردم « نورى» رقم ٥٠٠ ، وهذه لوحة جنازية وليست من أساس معبد (٣) . وقد استنبط «ريزنر» من وجود هذه اللوحة فى هذا المكان

---

(١) المصادر — راجع (1) G., L. R., IV, p. 53 f.

(2) Reisner, Prelimenary Report on the Harvard-Boston Excavations at Nuri; The Kings of Ethiopia after Tirhaqa, p. 18 ff

(3) J. E. A. vol. 35, p. 139; Names and Relationships of the Royal Family of Napata, p. 143 No. 21.

(٢) راجع Reisner, Prelimenary Report, p. 21 ff

(٣) راجع Ibid, p. 47

أن «اتلانرسا» دفن فى «نورى» فى الهرم رقم ٢٠ غير أنه لم يوجد فى بقايا هذا الهرم مايؤكد ذلك .

هذا وكان قد وجد لهذا الملك مائدة قربان عثر عليها الأثرى «لبسيوس» فى المعبد F بجبل «برقل» وحملها الى متحف «برلين» ، وقد جاء عليها : «حور» مهدىء الارضين ، السيدتان : محبوب «ماعت» (= العدالة) ، ملك الوجـــه القبلى والوجه البحرى ، «منتو» جيشه ، «خوكارع» بن «رع» من جسده محبوبه ، «اتلانرسا» محبوب «آمون رع» رب عرش الأرضين المشرف على الكرنك (١) .

وكذلك وجد اسمه على قطعة حجر فى المعبد H القائم فى جبل «برقل» (٢) .

يضاف الى ذلك أنه وجدت قطعة من مسلة على الأرجح (أو من عمود) من الجرانيت الأسود فى «دنقله» وجىء بهاالى«المتحف المصرى»(٣) ونقرأ عليها : « ماعت؟ (= العدالة) حور الذهبى مثبت القوانين ، ملك الوجه القبلىوالوجهالبحرى«خوكارع» ابن «رع» «اتلانرسا» محبوب «آمون» «نباتا» القاطن فى الجبل المطهر . »

وأخيرا وجد له جعران محفوظ فى «متحف اللوفر» غير أن كتابتـــه غريبة(٤) مما يجعل الاسم يقرأ «اديلانلاس»

---

(١) راجع L. R., IV, p. 53
(٢) راجع Ibid, p. 53
(٣) راجع Bouriant, Rec. Trav. VIII, p. 169; & L. R., IV, p. 54
(٤) راجع Petrie, Historical Scarabs, No. 2001; & Hist., III, p. 310

الملك « سنكامان سكن »

٦٤٣ – ٦٢٣ ق . م



سنكا – أمن – سكن   سخبر – نى – رع

تولى «سنكا مان سكن» الملك بعد وفاة والده «اتلانرسا» وأمه تدعى «ماليتارال» (؟) الأولى .

وهرمه فى جبانة «نورى» رقم ٣ وتبلغ مساحته ٢٧٥٩ مترا مربعا [١]

وأهم الآثار التى عثر عليها لهذا الفرعون :

(١) تماثيل مجاوبة مختلفة الأنواع يبلغ عددها أكثر من ثلثمائة صنعت كلها باليد ، ويلحظ أن لباس الرأس قد حلى بصلين كما هى عادة ملوك كوش [٢] .

(٢) كما وجدت فى قبره كذلك آنيتان للاحشاء وغطاءات

(٣) وعثر له على لوحات صغيرة عليها اسمه [٣]

(٤) وجد له تمثال من الجرانيت فى معبد «برقل» رقم ٥٠٠ وهو محفوظ الآن بمتحف «بوسطون» [٤] وجاء على هذا التمثال «حورمهدى الأرضين؟ والسيدتان» صورة ماعت (؟) ، حور الذهبى : عظيم القوة : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سخبر – نى – رع » «سنكامان سكن» .

هذا وقد وجد اسمه على الواجهة الشرقية لبوابة معبد «برقل» وقد نقل نقوشه الأثرى « كايو » [٥]

---

(١) راجع Reisner, Prelim. Report, p. 48; J. E. A., vol. 35, p. 147; & pl. XVI.

(٢) راجع Ibid, p. 29

(٣) راجع Ibid

(٤) راجع Boston, 23 - 731 [67, c]

(٥) راجع Cailliaud, Voyages à Meroc, pl. LIX; LXI; L. D., 1, p. 127

وعثر له على مائدة قربان نقشت من ثلاثة أوجه ، عثر عليها «لبسيوس» فى خرائب معبد F فى جبل « برقل » ونقلها الى متحف «برلين» (١) وقد جاء عليها : «محبوب «آمون رع» رب تاج الأرضين القاطن فى الجبل المقدس ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، رب الأرضين « سخبر-نى-رع» معطى الحياة ، ابن «رع» رب التيجان «سنكامان سكن» أبديا » .

ومن المدهش أن هذا الملك الذى كان يقطن «نباتا» قد عثر له على قطعة من الخزف مطلية وهى من لوحة جنازية فى بلدة «ميت رهينة» وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى (٢) .

ويقول بعض المؤرخين أنه من المحتمل أن هذه القطعة قد جىء بها فى عهد الحملة التى قام بها «بسمتيك الثانى» على بلاد كوش حوالى عام ٥٩١ ق.م. ، ويظن بعض المؤرخين أن اللقب «مهدى الأرضين» وكذلك اللقب «عظيم القوة أو البطش» قد يوحيان بأن هذا الملك قد غزا مصر لمدة قصيرة ، وبخاصة عندما نعلم أن ملوك كوش كانوا دائما يحاولون غزو القطر المصرى منذ أن خرجوا منه على يد «بسمتيك الاول». وقد رأينا أن «بسمتيك الثانى» قد صد غارة كانت تحاول الاستيلاء على مصر . وعلى أية حال فان وجود هذه القطعة من الخزف توحى بوجود علاقات بين البلدين قد تكون تجارية كما أشرنا الى ذلك من قبل .

---

(١) راجع L. D., V. 15 a; Budge, Egyptian Sudan II, p. 57

(٢) راجع A. S., X, p. 183 - 184

الملك « انلامانى »[1]

٦٢٣ - ٥٩٣ ق . م



عنخ كا رع　　　　　　　　أنلا مانى

تولى هذا الملك عرش كوش بعد موت والده «سنكامان سكن» ووالدته هى الملكة «ناسلسا» . ودفن فى هرمه «بنورى» رقم ٦ .

وأهم أثر له لوحة [٢] عثر عليها حديثا فى معبد T «بالكوه» فى الردهة الأولى مسندة على النصف الشمالى من الجدار الشرقى على الجانب الشمالى للوحةرقم٤٩٨(أى لوحة «تهرقا» للسنة السادسة التى تحدثنا عنها فيما سبق (مصر القديمة ١١ ص ١٩٢) .

وهذه اللوحة موجودة الآن فى « نى كارلسبرج جليبتوتك» «بكوبنهاجن» [٣] .
.(Ny Carlsberg Glyptotek Copenhagen)

وصف اللوحة : ابعادها هى ١٫٦٥ × ٠٫٨٦ × ٠٫٢٥ مترا ، وهى مصنوعة من الجرانيت الرمادى ، وهى لوحة جميلة مكسورة من القمة الى أسفل تقريبا من الجهة اليمنى التى وجد منها عدة قطع منفصلة فى الركن الشمالى الشرقى للردهة الاولى من

---

(١) يقرأ هذا الاسم فى الواقع « امن نل» راجع : Bull., 51, p. 8

(٢) هذه اللوحة تحدثنا عن سفرة قام بها الملك « انلامانى » فى انحاء مديرياته ، وقد خص فيها عنايته بالمعابد كما يتحدث عن حملة أرسلها من « جاآتون » على بلاد « بولهو » وعن سياحة الأم الملكية «ناسلسا» ، واذا كانت بلاد « بولهو » التى أرسل عليها « انلامانى » حملته هى حقيقة بلاد « البلمى » فيجب أن نعترف ان هؤلاء القوم ، وهم الذين سنراهم فيما بعد متوطنين فى بلاد النوبة السفلى ، كانوا شوكة فى جنب مملكة « نباتا » فى نهاية القرن السابع ، وهؤلاء القوم هم الذين نجدهم فى عهد الدولة السودانية السفلى وقد غزوا مرات عدة مديرية مصر للرومانية وربما يرجع عهدهم الى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد راجع : Bull. Inst., 51, p. 30

(٣) راجع The Temples of Kawa I. The Inscriptions Text p. 44 ff
Ibid. vol. I, Pl. 16

معبد T ، وهى منقوشة من وجهها فقط وتحتوى على ثمانية وعشرين سطرا بكتابة متوسطة الحجم وحفرها لم يبلغ من الحسن مبلغ حفر لوحات الملك «تهرقا» ، غير أن نقوشها مع ذلك لا تزال واضحة وتقرأ بسهولة .

والكتابة الهيروغليفية التى فى المتن الرئيسى والتى فى الجزء الأعلى المستدير من اللوحة محفورة والاشكال التى فى المناظر محفورة حفرا غائرا وعضلات الساقين بوجه خاص ممثلة بوضوح .

الجزء الاعلى من اللوحة : حـــدد أعلى اللوحة بعلامة الســـماء والصـــولجان فى القمـــة والجانبين على التوالى ، ويشـــاهد أسـفل علامة الســـماء بقايا قرص الشـمس المجنح الذى نقش تحته : « هو صاحب « بحدت » ، الآله العظيم رب السماء » مكتوبة من اليمين الى الشمال وبالعكس وعبارة «رب السماء» مشتركة بينهما ، وفى الأسفل من هذا : المنظران التاليان يفصل الواحد منهما عن الآخر عمودان من النقوش :

الجانب اليسرى : يشاهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «عنخ-كا-رع» بن «رع» «انلامانى» معطى الحياة ابديا ، واقفا ومقدما صورة الآله «ماعت» لوالده«آمون» عسى أن يمنحه الحياة » .

ولباس رأس الملك المؤلف من ريش طويل هو فى الواقع لبـــاس رأس الاله «اونوريس» (راجع L. D., V. P. 5) حيث نجد الملك يقدم للاله «اونوريس» وكلاهما يلبس نفس لباس الرأس . أما «آمون رع» المصور هنا برأس كبش والذى كتب فوقه « قول «آمون رع» صاحب « جماتون » ، فعلى رأسه القرص العادى وقرنا الكبش . هذا ويلحظ أن شكل الشعر المستعار الذى ظهر جزء منه فى مقدمة الرقبة عادى منذ الازمان المبكرة . وشكل الشعر المستعار الذى نشاهده فى لوحات «تهرقا» على أية حال نادر جدا ، اذ ليس فيه خصلات الشعر الامامية . وخلف هذا الاله العمود الأول من النقوش وهو أحد العمودين اللذين يفصلان المنظرين الموجودين

وفى أعلى اللوحة الكلمات التى فاه بها هذا الآله وهى قوله : « انى أعطيك كل الحياة وكل القوة وكل الصحة والسعادة مثل «رع» ابديا » .

وتقف خلف «أنلامانى» أم الملك المسماة «ناسلسا» ((Nasalsa)) على رأسها لباس رأس طويل وترتدى رداء طويلا مسبلا من الكتف الى الكعب ذا أهداب من الأمام ، وهى تلعب بالصاجات لوالدها لأجل أن تمنح الحياة ، وقد رفعت يدها الخالية فى هيئة تعبد .

الجانب الأيمن : يشاهد «انلامانى» واقفا يؤدى شعائر دينية أمام الاله «آمون رع» الممثل برأس كبش ، ولم يبق من النقوش الخاصة به الا : « ..لأجل أن يعطى الحياة » ، والظاهر أن الملك كان يلبس تاج أتف ويحمل درة مثل «أوزير» .

والاله « آمون رع » هنا يقبض على علامة الحياة ☥ والصولجان 𓌀 وعلى رأسه ريش طويل ، وخلفه العمود الآخر الفاصل للمنظرين وجاءت فيه نفس الكلمات التى فى العمود الأول .

وتقف خلف « انلامانى » ثانية « ناسلسا » ولم يبق من صورتها الا الجزء الأعلى وكلتا يديها مرفوعة قصدا ، وفى اليمنى الصاجات وتلبس نفس اللباس الذى تلبسه فى المنظر الأول تقريبا .

المتن الرئيسى : هـذا المتن مبنى فى مجموعه على أسلوب نقوش الملك « تهرقا » ، والقطع التى فيها أوائل الأسطر الناقصة لم يعثر عليها قط ، ومن المحتمل أن السكان الجدد فى هذا المعبد قد أخذوها لتستعمل فى أغراض أخرى ، ولحسن الحظ قد بقى من الأسطر مايكفى أن يقترح الانسان تكملة مانقص فى معظم الأحيان :

« السنة .... » فى عهد جلالته « حوركا – نخت – خع – م – ماعت ، السيدتان سعنخ – أبو تاوى » ، حور الذهبى « هر – حر – ماعت » ، ملك الوجه القبلى « عنخ – كا – رع » « انلامانى » (ليته يعيش أبديا) ، محبوب (« آمون رع » ، رب عروش الأرضين ، الأسد) على المملكة الجنوبية القاطن فى «جماتون» . قال جـلالته لحاشيته

الذين كانوا فى ركابه ؟ « ... لاتدع أحدا يقتل فىزمنى الا العصاة ، (أولئك) الذين يخلقون ؟) ... (ولا تدع فيما ينطق لعنة على الملك ، ولا تجعل أحدا يحزن الأرملة ولا تدع انسانا يتكلم النميمة فى زمنى » . وأجابوا جـــلالته : « انك بكر « آمون » ونسله وزعيم الأراضى ورئيس الاحيـــاء وقد رآك فى فرج أمك قبل أن كنت قد خرجت (٦) .... الممالك » وقال لهم : « انى أتوق الى رؤية والدى سـيد الآلهة «آمون رع» صاحب جمأتون » . . فقالوا له (حقا) انه يميل (٧) الىروحك ، ويعطيك المملكة ويهزم كل أعدائك فى هذه الأرض » . وقد سافر شمالا فى الشهر الثانى من الشتاء منظما كل مقاطعة جاعلا انعـــامات لكل اله (٨) ومانحا أوقافا للكهنـــة خدام الاله (ولكهنة) كل معبد وصـــل اليه . وقد فرحت كل مقاطعـة عند مقابلته مهللة ومقدمة الشكر وحاملة الخشوع (٩) وقد وصـل الى « جمأتون » فى الشهر الثـــانى من الشتاء ، اليوم التاسع والعشرين ، وقد نصب كاهنا ثالثا لمعبد هذا الاله وذلك مالم يفعله أولئك الذين غبروا ومنحه (متاعا) قائلا : « أما عن هذه الوظيفة التى أغدقتها عليك (١٠) فانها ملك أسرتك أبد الآبدين » . وجعل « آمون صاحب جمأتون » يظهر (١١) (أو يملك) ... فى أول عيد « لآمون » وهو الذى كان يوم عيـــد الملك . فأعطاه عيدا [١] من الخبز والجعة والثيران والطيور والنبيذ (١٢) ... وخدم فى هذه المقاطعة معيدين نهـارا وليلا لمدة سبعة الايام وهى عيد الاله (١٣) ... ليت روحك يمجده ابن «رع» « انلامانى » وليته يعيش أبديا ، امنحه أن يحفل بملايين الأعيـــاد الثلاثينية واهزم (١٤) كل أعدائه أمواتا وأحياء ، لأنه نصب كاهنا ثالثا وجعلك تظهر فى العيـد الأول لآمون وهو شىء لم يفعله ملوك الوجـه القبلى والوجـه البحرى السابقون (١٥) والمكافأة على ذلك هى منحه بوساطة والده « آمون رع » رب عروش الأرضين والأسـد على بلاد الجنوب الذى فى « جمأتون » كل الحياة من نفســه وكل الصحة من نفسه (١٦) وكل الثبات وكل الفلاح والســعادة من نفسه والظهور على عرش الأحياء مثل الأحياء مثل « رع » أبديا » .

(١) أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا .

والآن أرسل جلالته جيشه على بلاد «بولهو» (بجا ؟) (١٧) ورئيس (بلاط(؟) جلالته كان قائده ، ولم يذهب جلالتـــه اليهم بل ظل فى قصره مصـــدرا أوامر بعد (١٨) ... « لرع » بعد أن أصبح ملكا . وقد عملوا مذبحة عظيمة منهم لا حصر لها (١٩) وبعد ذلك أسروا أربعـة رجال وأحضروهم أسرى أحيـــاء . وأخذوا كل نسائهم وكل أطفالهم وكل (٢٠) حيوانهم وكل (متاعهم) وعينهم ليكونوا خدما وخادمات لكل الآلهة . وهذه الأرض فرحت فى زمنه بكل رغبة أنجزت ، وكل انســان نام حتى طلوع النهار ؛ ولم يثر البدو فى زمنه لأن والده « آمون » كان يحبه كثيرا (٢٢) والآن كانت الملكة الأم ليتها تعيش أبديا بين الاخوات الملكيات ، وهى أم ملك حلوة الحب سيدة كل النساء ؛ وأرسل جلالته حاشيته (٢٣) لاحضارها . وقد وجدت ابنها « متوجا مثل « حور » على عرشه ، وقد فرحت جد الفرح عندما رأت جمـال جلالته كما رأت « ازيس » ابنها «حور» متوجا على (٢٤) الأرض » .

«وقد وهب جلالته أخواته الأربع للآلهة لتكن لاعبات صاجات ، واحدة «لآمون» صاحب « نباتا » وواحدة « لآمون رع » صاحب « جمأتون » ، وواحدة «لآمون» صاحب « بنوبس » وواحـدة « لآمون رع » «ثور نوبيا» لأجل أن تلعبن بالصـــاجات أمامهم (٢٥) ولتصلين لحياة وفلاح وصحة وعمر طويل للملك كل يوم . وقال جلالته « يا آمون رع » صاحب « جمأتون » ، انك سريع الخطوة تأتى لمن يناديك ، امنح حياة طويلة خالية من المرض (٢٦) ، صد عنى المتـــآمر على الشر ، انظر (باحسان) الى والدتى وثبت سعادتها على الأرض وامنحنا فيضانا عظيما وطيب الحصاد (٢٧) ، ونيـــلا كبيرا ليس له تأثير مؤذ ، واجعل هذه الأرض سعيدة فى زمنى » .

وظهر « آمون رع » صاحب « جمأتون » حالما كان واقفا فى حضرته ، وهـذا الاله حول محياه (٢٨) نحوه وأمضى مدة طويلة واقفا صاغيا لكل ماقاله ، ومنحه كل الحياة والثبات والفلاح من نفسه ، وكل الصحة لنفسه وكل السعادة من نفسه ، والظهور على عرش « حور » مثل « رع » سرمديا » .

ووجد فى مقبرة هذا الملك تابوت من الجرانيت محفوظ الآن بمتحف مروى (رقم ١و٢) . هذا وله كذلك حوضان من الجرانيت عثر عليهما فى مقصورته وهما الآن فى متحف « بوسطون » (١) .

ووجد فى قبره أكثر من ٢٧٠ تمثالا مجيبـــا باسمه مصنوعة من الخزف المطفى كما وجدت له آنيتان للاحشاء وثلاثة أغطية أوانى أحشاء أيضا (٢) ، وكانت مقصـــورته محلاة ببعض المناظر الجنازية .

وعندما فحصت ودائع الأساس وجد له ثمانية عشر قدحا من الخزف كلها منقوشه باسمه (٣) .

ولهذا الملك تمثال من الجرانيت محفوظ بمتحف «بوسطون» عثر عليه فى معبد «برقل» رقم ٥٠٠ (٤) .

وقد تزوج هذا الملك من الملكة « مديقن » التى عثر على هرمهـــا فى « نورى » رقم ١٧ وهى أخته من أبيه « سنكامان سكن » . وأمه « ناسلسا » ، والظاهر أنها ماتت فى عهد الملك « أسبلتا » ، وقد عثر لها على تماثيل مجيبة وغطاء اسطوانة (٥) .

---

(١) راجع J. E. A., 35, pl. XV, N. 14 b.

(٢) راجع : Reisner, Ibid, p. 29 & 36.

(٣) راجع : Reisner, Ibid, p. 42.

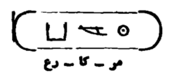
(٤) راجع النقوش J. E. A., vol. 35, pl. XV, No. 14.

(٥) راجع : J. E. A., vol. 35, p. 144.

الملك « اسبلتا »

٥٩٣ - ٥٦٨ ق . م





كان الملك « اسبلتا » بن الملك «سنكامان سكن» والملكة «ناسلسا» ، والأخ الأصغر للملك « انلاماني » . وقد تولى الملك بعد موت الأخير ، وقبره معروف وهو الهرم الثامن بين أهرام « نوري » . وقد زين جدران حجرة دفنه بالنقوش الجنازية وتابوته محفوظ بمتحف « بوسطون » ، وعثر له على تماثيل مجيبة ، ثمانية عشر منها مكتوبة ، كما عثر له على أواني للاحشاء ولوحات صغيرة وأقداح وأشياء أخرى كثيرة فى حجرة دفنه (١) .

ووجد له تمثال فى معبد « برقل » رقم ٥٠٠ وهو محفوظ بمتحف « بوسطون » (٢) وأهم النقوش التى وضعت فى عهده هى :

أولا : لوحة انتخاب للملك : وهذه اللوحة من الجرانيت وقد عثر عليها مع لوحة النصر الخاصة بالملك « بيعنخى » التى تحدثنا عنها فى مكانها ، وهى موجودة بالمتحف المصرى ، وقد كان أول من نشر شيئا علميا عنهـا هو الأثرى « مريت » (٣) ثم قام بنشرها «مسبرو» وعلق عليها (٤) ثم ترجمهـا « بدج » عام ١٩٠٧ (٥) وأخيرا نقلها « شيفر » (٦) .

---

(١) راجع : J. E. A., vol. 35, p. 142.
(٢) راجع : J. E. A., vol. 35, p. 142.
(٣) راجع : Mariette, Mon. div . pl. 9
(٤) راجع Revue Arch., Tom. XXV, p. 300; & Bibliothèque Egyptologique, Tom. VII, p. 223.
(٥) راجع : The Egyptian Sudan, vol. II, p. 63 ff.
(٦) راجع Schaefer, Urkunden, III, p. 91

والجزء الأعلى من هذه اللوحة مستدير وقد مثل فيه منظر يظهر فيه الملك راكعا عند قدمي « آمون رع » صاحب الجبل المطهر (فى جبل « برقل ») . ويلحظ فى هذا المنظر أن نقوش الطغراءات قد كشطت ويحتمل أن ذلك كان بيد عدو الملك «اسبلتا» الذى ظن أنه بعمله هذا يمحو اسم « اسبلتا » من الأرض . ولحسن الحظ على أية حال يظهر أن عدوه قد نسى أن السطر الأول من النقش نفسه كان يحتوى على الاسم الحورى لهذا الملك ، وكذلك اسم السيدتين واسم حور الذهبى ، وبذلك أمكن للباحث الحديث أن يتعرف على اسم صاحب اللوحه لأنها أسماء كانت خاصة به وحسب .

وقد لاحظ « مسبرو » عندما كان يجهز ترجمة لهذه اللوحة أن أسماء هذا الملك الخمس توجد على لوحة كانت وقتئذ فى حيازة « دى روجيه » . وهى : « حور الطيب الظهور » ، « السيدتان الطيب الظهور » ، « حور الذهبى » ، « قوى القلب » ، « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » ، « مرى كارع » ، « ابن رع » ، « اسبلتا » ، ويشاهد فى يد الاله الذى برأس كبش علامة الحياة ويده الأخرى ممتدة على رأس الملك الراكع عند قدميه ، ويقبض الملك فى يده اليمنى على علامتى الحكم والدرة ، وفى يده اليسرى علامة الحياة ويشاهد على جبهته صلان وهما علامتا الحكم على الشمال والجنوب ، ويقول الاله فى المتن الذى أمامه :

« قول آمون نباتا لابنه محبوبه « ... انى أعطيك تاج « رع » وسيادته على عرشه وانى أثبت السيدتين (التاجين) على رأسك كما ثبت السماء على عمده الأربعة ، وستعيش وتكون قويا ومجددا لنفسك ومجددا لشبابك مثل «رع» أبديا ، وكل الأراضى وكل الصحارى قد جمعت معا تحت قدميك » .

ويقف خلف الاله الالهة «موت» سيدة السماء التى تقول : « انى أعطيك الحياة وكل الفلاح وكل الصحة وكل فرح القلب أبديا »

وتقف أمام الاله الملكة « ناسلسا » التى محى وجهها وكذلك اسمها ، غير أنه يمكن

معرفته من لوحة فى متحف «اللوفر» ، وتلبس الملكة ثوبا فضفاضا وفى كل من يديها صناجة ومحتذية نعلين . والنقش الذى أمامه جاء فيه : « الأخت الملكية ، والأم الملكية ملكة كوش « ناسلسا » تقول : « انى آتى اليك يا «آمون رع » يارب عرش الأرضين يأيها الاله العظيم القاطن فى حريمه ، والذى يعرف الاسم ، والذى تعطى القوة تابعك . مكن أنت ابنك المحب اليك « اسبلتا » العائش أبديا فى مأوى (؟) «رع» الرئيسى ، واجعله هناك أعظم من كل الآلهة . ضاعف سنى حياته على حياته مثل (سنى) « آتون » صاحب السماء . امنحه الحياة والفلاح أمامك ، وكل الصحة أمامك ، وكل انشراح القلب أمامك ، واجعله يرتفع بمثابة ملك على عرش « حور » أبديا » .

مضمون اللوحة : يجدر بنا أولا أن نذكر أن المؤرخ « ديدور » يحدثنا أنه عندما كان يتوج ملك فى بلاد النوبة كان الكهنة أولا ينتخبون عددا من المرشحين اللائقين لهذا المنصب الرفيع وكان هؤلاء المرشحون يحضرون أمام تمثال الاله فى أثناء تأدية شعائر دينية خاصة ، وكان الفرد الذى يلمسه أو يعانقه الاله هو الذى يختار ملكا للبلاد ، وعلى أثر حدوث ذلك كان يسجد جميع الحاضرين على وجوههم ويعبدون الملك المختار بوصفه الها ، معتقدين أن القوة الالهية قد انتقلت اليه بلمس التمثال أو معانقته ومن ذلك نفهم أن « ديدور » كما سنرى بعد على علم تام بهذا الموضوع ، هذا وتقدم لنا لوحة التتويج التى نحن بصددها عدة تفاصيل تعد اضافة للبيان الذى قدمه لنا .

أرخت لوحة الانتخاب التى تحتوى على ثلاثين سطرا باليوم الثالث عشر من الشهر الثانى من الفصل الثانى (أى شهر الزرع) أى فى أوائل يناير من السنة الأولى من حكم « أسبلتا » . ويذكر فى ابتداء المتن أن الجيش النوبى قد اجتمع عند الجبل المقدس الذى يدعى الهه « ددون » وذلك بعد موت الملك بقليل ، وقد عبر عن ذلك بالكلمات : « وصل الصقر الى قصره » أى أن خلف « حور العرش » قد وضع فى قبره الذى تقف عليه روحه . وانه لمن المهم أن نلحظ هنا ذكر الاله « ددون » وهو اله البلاد القديم وان الاله « آمون » لم يذكر مكانه وكان الجيش قد جمع

ليحفظ النظام فى أثناء انتخاب الملك ، ويرضى رغبات الناخبين فى حالة حدوث أى معارضة . وكان الناخبون يتألفون من ستة رجال يعينهم الجيش ، وستة رجال يعينهم رئيس المالية وستة رجال يعينهم البيت المالك . وكان هؤلاء يدعون الجيش ليذهب ويختار ملكا يكون كالثور الفتى القوى . وكان الجيش يرد على هذه الدعوة بأن الملك موجود بينهم اذا كان فى مقدورهم أن يتعرفوا عليه . وكان الاله « رع » وحده هو الذى يعرف من هو . ولما كان الاله «رع» فى عالم الآخرة فانه لم يكن فى مقدوره أن يقودهم فى اختيارهم . وكان « رع » قد قرر من قديم الزمان أن ملك النوبة يجب أن يكون ابنه ، ولكن العرش كان خاليا ولم يكن هناك من يلبس تاجه ، ولما لم يكن الجنود يعرفون من الذى سينتخب لهذا المنصب فانهم كانوا جميعا فى حزن . ومن المحتمل اذا أنه بايعاز من كهنة « آمون » كان يقترح أن يستشيروا الاله « آمون رع » الذى كان يعد وقتئذ ممثلا للاله « رع » وأن عليهم أن يذهبوا الى الآله ويقدموا له الطاعة ويرجونه أن يمنحهم ملكا يشرف الآلهة ويستمر فى تقديم القربان لهم . وقد أعلن الجيش أن هذا الاقتراح حسن وعملوا به مباشرة . وبعد ذلك ذهب القواد والسمار الى المعبد حيث وجدوا كل الكهنة مجتمعين ورجوهم أن يسألوا « آمون رع » لينتخب ملكا لهم . وذهبوا كلهم فى حضرة الاله وبعد عمل شعائر التطهير يضع الجيش ملتمسه أمام الاله ، وبعد ذلك يقدم كل الأخوة الملكيين وهم الاعضاء المرشحون للملك أمام الاله . ولكن « آمون رع » رفضهم جميعا . وبعد ذلك أحضر الكهنة الأخ الملكى «اسبلتا» أمام الاله ، وعندئذ أعلن «آمون رع» أنه يجب أن يكون ملكا ، وذكر سلسلة نسبه التى أظهرت أنه كان الفرد اللائق لحكم بلاد النوبة بمولده وأصله . وبعد ذلك انبطح قواد الجيش وموظفو البيت الملكى على الأرض وشكروا «آمون رع» من أجل الملك الذى منحه اياهم ، وبعد ذلك ذهب « اسبلتا » أمام الاله ورد التحية على انتخابه للعرش ورجاه أن يعطيه ملكا دائما بالتاج والصولجان ، وقد ذكر الاله « آمون رع » فى الجواب الذى ألقاه على مسمع الملك « اسبلتا » أنه أعطاه تاج أخيه وصولجانه وبه

سيهزم كل أعدائه . وبعد ذلك قدم « اسبلتا » صلاة ثانية طلب فيها الى الاله أن يجعل حكمه فالحا ، وأن يجعله محبوبا من شعبه ، وقد وعده الاله بكل هـذه الأشـياء التى التمسها ؛ وأخبره أنه لن يجعله يحتاج الى شيء لأن كل شيء يمكن أن يتمناه سيمنح اياه . وبعد ذلك خرج الملك الىالأجناد الذين استقبلوه بنداءات الفرح كما أن كبار الموظفين أظهروا رحهم العظيم بملكهم الجديد . وبعد ذلك قرر « اسبلتا » اقامة أعياد على شرف « آمون رع » ووزع هدايا عظيمة على الكهنة .

ترجمة اللوحة : (١) التأريخ : « السنة الأولى ، الشهر الثانى ، من فصـل الزرع (الربيع) اليوم الثالث عشر (أو الخامس عشر) فى عهد جـلالة حور جميل الطلعة ، نبتى (السيدتان) (المسمى) جميل الطلعة ، حور الذهبى ، (المسمى) قوى القلب ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) رب الأرضـين (مر ـ كا ـ رع) ، ابن رع (المسمى) رب التيجان « أسبلتا » محبوب « آمون رع » رب عرش الأرضين القاطن الجبل المطهر (جو وعب) .

(٢) اجتماع الجيش بعد موت الملك فى مدينة « جو وعب» (الجبل المطهر) : « (٢) والآن تأمل فان جيش جلالته كله كان فى قاعة المدينة التى أسمها «جو وعب» والاله الذى فيها هو «ددون» ختى نفرت (؟) وهو آله كوش (٣) وذلك بعد أن ثبت الصقر على عرشه . »

(٣) القوادينتخبونملكا جديدا من بين ورثة العرش : « تأمل كان يوجد هناك ضباط ملء القلب من جنود جلالته عددهم ستة رجال ، تأمل وكان هناك ستة ضباط ملء القلب فيهم من المشرفين على الاختام ، وكان هناك مشرفون على الوثائق ملء القلب وكان هناك عظماء حاملو الاختام للبيت الملـكى وعددهم سـتة . وعندئذ قالوا لكل الجيش قاطبة :

« تعالوا ننصب علينا سيدا يكون كالثور الفتى لاتمكن محاربته . » وعندئذ فكر هذا الجيش كثيرا جدا وقال : «ان سيدنا موجود بيننا ولكن لا نعرفه . (٦) وليتنا نعرفه

حتى ندخل تحت سلطانه ونخدمه كما خدمت الارضان «حور» بن «أزيس» عندما جلس على عرش والده «أوزير» ، ونقدم صلوات لصلبه (اللذين على جبهته) »

(٤) الاله «رع» هو الذي يعرفه : وعلى ذلك قال واحد لصاحبه من بينهم : «لا أحد يعرفه من الناس الا «رع» نفسه . ليت هذا الاله يبعد عن الملك الشرور التى تهدده فى كل الاماكن التى يوجد فيها » . ثم تحدث واحد من بينهم الى جاره : انه (الملك المتوفى) قد غرب فى أرض الحياة (الجبانة) ولكن تاجه باق بيننا .» وعلى ذلك قال واحد من بينهم الى جاره : « انه «ماعت» وهو قانون «رع» منذ وجدت السماء ومنذ وحد تاج الملك ، وقد أعطاه ابنه محبوبه لان الملك صورة «رع» بين الاحياء . ألم يجعله «رع» ملك هذه الارض لأجل أن تظل هذه الارض فى سلام .» »

(٥) رابع يتكلم : « وبعد ذلك تكلم الواحد لجاره من بينهم : « ألم يذهب «رع» الى السماء وعرشه خال من حاكم (ليس) عليه ملك ، ووظائفه المتـــازة فى يديه ، وسيعطيها ابنه الذى يحبه ، لأن «رع» يعرف انه سيعمل القوانين الحسنة على عرشه .» وعلى ذلك فان هذا الجيش قاطبة قال متوجعا : « ان سيدنا معنا ولكنا لا نعرفه . » ومن ثم قال جنود جلالته جميعا بفم واحد : ولكن هذا الاله «آمون رع» رب عرش الأرضين القاطن فى الجبل المطهر هو اله «كوش» : «تعالوا نحن ونذهب اليه ، ولا نصنع كلاما يجهله ، وانه ليس بالحسن الكلام الذى يعمل بدون علمه ، ولنضع الحالة أمام الاله ، فهو آله مملكة «كوش» منذ زمن «رع» (أى منذ حكم «رع») ، وانه هو الذى يرشدنا لأن مملكة «كوش» فى يديه ، وهو الذى يمنحها ابنه الذى يحبه فلنصل لوجهه ولنقبل الأرض منبطحين على وجهنا ، ونقول أمامه : « لقد أتينا اليك يا «آمون» فامنحنا سيدنا لأجل أن ننعش ولنقام المعابد لجميع الآلهة والآلهات للوجه القبلى والوجه البحرى ولتأسيس قربانهم ، ولم نصنع كلاما بدونك فانك الذى ترشدنا ، ولن يقال كلام لاتعرفه . وعلى ذلك قال الجيش جميعه : « انه كلام حسن ويعلن صدقه مئات آلاف المرات » .

« وذهب قواد جيش جلالته مع سمار بيت الملك الى معبد « امون » ووجدوا الكهنة خدام الاله والكهنة العظام المطهرين واقفين عند باب المعبد ، فقالوا له : لقد أتينا لهذا الاله «آمون رع» القاطن فى الجبل المطهر لتجعله يهبنا سيدنا ليحينا وليقيم المعابد لجميع الآلهة والآلهات للوجه القبلى والوجه البحرى ، وليؤسس قربانهم ، ولن تنفذ كلاما دون علم هذا الاله لأنه مرشدنا » .

عندئذ دخل الكهنة خدام الآله والكهنة المطهرون العظام فى المعبد وعملت كل شعائر صب الماء واطلاق البخور . ثم دخل قواد جيش جلالته مع عظماء بيت الملك فى المعبد وانبطحوا على بطونهم أمام هذا الاله وقالوا : « لقد أتينا اليك يا «آمون رع» يارب تاج الأرضين القاطن فى الجبل المطهر ، أعطنا ملكا ليحينا وليقيم معابد آلهة الوجه القبلى والوجه البحرى وليؤسس القرابين ، والوظيفة الفاخرة التى فى يديك امنحها لابنك الذى تحبه » .

وعلى ذلك تجمع أخوة الملك أمام هذا الاله ، ولكنه لم يأخذ واحدا من بينهم .

ثم وضع مرة ثانية الأخ الملكى ابن «آمون» والذى وضعته «موت» ربة السماء ابن «رع» عاش مخلدا ، فقام هذا الآله «آمون رع» رب تاج الأرضين وقال : « انه هو مليككم وانه هو الذى سيحيكم وهو الذى سيقيم معابد الوجه القبلى والوجه البحرى ، وهو الذى سيؤسس قربانهم ، وان والده ابنى ابن « رع » . . . . . . المرحوم ، وأمها أخت الملك ، والام الملكية سيدة كوش وابنة «رع» . . . . . عاشت مخلدة ، وأمها هى الاخت الملكية والمتعبدة الآلهية «لآمون رع» ملك الآلهة فى « طيبة » .... المرحومة

وأمها الاخت الملكيه .... المرحومة

» .... » » »

» .... » » »

» .... » » »

» .... » » »

وأمها الاخت الملكية سيدة كوش .... المرحومة . وهو سيدكم

« وانبطح قواد جلالته وعظماء جلالته وعظماء البيت المالك على بطونهم أمام هذا الآله وقبلوا الأرض كثيرا جدا وقدموا الصلوات لهذا الاله (٢٢) بسبب الشجاعة التى عملها لابنه الذى يحبه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى عاش مخلدا . »

« ثم دخل جلالته وظهر أمام والده «آمون رع» رب عرش الارضين فوجد شارات ملك «كوش» كلها وصولجاناتها موضوعه أمام هذا الاله . (٢٣) وعندئذ قال جلالته أمام هذا الاله : «تعال الى يا «آمون رع» رب تاج الأرضين القاطن فى الجبل المطهر وامنحنى المنصب الممتاز الذى لم يكن فى بالى (قلبى) بسبب حبك العظيم ، امنحنى التاج على حسب رغبتك وكذلك الصولجان . »

وعلى ذلك أجاب هذا الاله : « ان تاج أخيك ملك الوجه القبلى والوجه البحرى .... المرحوم ملكك ، وهو مثبت على جبينك مثل ما ... على جبينك . وصولجانه فى قبضتك وستهزم به كل أعدائك » . وعلى ذلك ظهر (توج) جلالته أمام .... المرحوم ، وأعطى صولجانه فى قبضته ، وعندئذ انبطح جلالته على بطنه أمام هذا الاله ليقبل الأرض كثيرا جدا . وقال : « تعال الى يا «آمون رع» يارب الأرضين القاطن فى الجبل المطهر يأيها الآله العظيم اللذيذ الحب والذى يصغى الى من يشكو اليه .. امنحنى الحياة والثبات والفلاح كلها والصحة وفرح القلب كله مثل «رع» أبديا والعمر الجميل الطويل . (٢٦) واعطنى الفهم .. فى زمن «رع» ، ولن أجعلك تنام .... فى تهليل ، وامنحنى الحب فى داخل «كوش» . (٢٧) وقد أجاب الآله على هذا الدعاء قائلا : « سأمنحك كل البلاد الاجنبية جميعها ولن تحتاج أن تقول : ياليت لى ذلك ، أبد الآبدين . وعندما خرج جلالته من المعبد لجيشه مثل (....) فرح كل قومه كثيرا جدا مهللين وقلوبهم فرحة من أجله . وعبدوه قائلين : «تعال فى سلام .. مثل سنين «رع» فى وسط جيشك وتشرف على العرش مثل «رع» ابديا » .

وقد خلد الملك هذا الحادث بقربان سنوى وهو مايحتويه السطران الاخيران . وبعد

أن ذكر أنواع القربان المختلفة منح كهنة المعبد ١٤٠ جرة من الجعة .

تعليق وتحليل لهذا المتن : كانت الملكية الكوشية انتخابية ولو اسميا على الأقل ، وقد أكد لنا «ديدور» هذا الرأى ، ولوحة الملك «اسبلتا» التى ترجمناها فيما سبق تبرهن بصفة قاطعة على أن ماأورده « ديدور » كان على أساس صحيح . وعلى حسب قول هذا المؤرخ كان الانتخاب يعمل على درجتين . فكان الكهنة ينتخبون أولا أبرز الأعضاء من طائفتهم ليقدموهم للآله ، وكان الاله يختار من بين هؤلاء العضو الذى يميل اليه أكثر من الكل . وعلى حسب ماجاء فى اللوحة كان انتخاب الملك فى غاية البساطة ، فكان يقدم أمام « آمون » دون أى انتخاب أخوة الفرعون وهم أعضاء من أسرة الأمير المتوفى أو من نسل الفراعنة الذين غبروا ، وفى هذا نجد أن ما أورده «ديدور» لا يتفق مع ماجاء على الآثار ، ويمكن أن نتهمه بعدم الدقة . وذلك أن سلسلة النسب الملكية الكوشية التى تصلها بكهنة «آمون» العظام فى «طيبة» ، كانت كذلك من أسرة كهانه — وعلى ذلك فان «ديدور» أو المؤرخ الذى نقل عنه «ديدور» هذه المعلومات عن «كوش» ، كان قد ظن أن الكهنة قد انتخبوا المرشحين للملكية من بين أعضاء كل هذه الطائفة عندما كانوا يعرضون على الآله فقط أولئك الأعضاء الذين ينسبون الى الأسرة المالكة .

وكان الانتخاب يعمل فى «نباتا» نفسها فى معبد «آمون» الكبير فى حضرة عدد معين من المندوبين الذين عينوا خصيصا لهذه المهمة من طبقات معينة من الدولة . وهاك الجملة التى جاءت فى المتن الذى نحن بصدده لتقدم هؤلاء الممثلين للأمة الكوشية : « تأمل كان يوجد هناك ضباط ملء القلب من المشرفين على الأختام عددهم ستة ، تأمل كان يوجد حكام مشرفون على المالية للقصر الملكى عددهم ستة . » ونرى الممثلين الأولين قد أشير الى كل منهم بصيغة تدل على الطائفة التى انتخب عنها هؤلاء الستة . فقد كان ستة قواد ملء القلب من بين جمعية جنود جلالته ، وكان هناك ستة ضباط ملء القلب حفاظ الاختام . والطائفة الثالثة قد ذكر أنهم من المشرفين على الوثائق ممن

يملأ قلب طائفة لم تذكر ، ولكن يتساءل الانسان ماهى هذه الطائفة ؟ حقا وجدنا أن الجنود وحفاظ الأختام وضباط القصر الملكى كان لكل طائفة منهم من يمثله ، وقد وجدنا فقط أن طبقة الكهنة التى كانت ذات أهمية عظمى لم تذكر . وقد كان ينبغى أن يكون لدينا فى نهاية الجملة الأخيرة من الجمل التى تحدثنا عن ممثلى الانتخاب : « ملء قلب الكهنة خدام الاله والكهنة المطهرين العظام » . غير أن هؤلاء الكهنة خدام الآله والكهنة المطهرين قد ذكروا فيما بعد ومثلوا بوصفهم منتظرين وصول الوفود على باب المعبد . وعلى ذلك فانهم ليسوا المقصودين هنا ، ولكن المقصود موظف عال له مكانة تشبه وظيفة حامل الختم الذى ذكر قبل وهو المشرف على بيت الحياة للكتاب أو جماعة من الكتبة الذين يملئون قلب جمعية الناس المتبحرين فى فروع العلم من جمعية المقدسين . ومهما يكن من أمر هذا الاصلاح المقترح فانه من المؤكد أن الوفد المكلف بالذهاب للاشتراك فى انتخاب كان يتألف من أربع جماعات كل منها تتألف من ستة أشخاص أى أربعة وعشرين شخصا تابعين للادارة والجيش وكلية الكتاب وموظفى القصر الملكى . والأخيرون قد سموا الحكام وحاملى أختام القصر الملكى ، وأحيانا كانوا يذكرون بعبارة « حكام القصر الملكى » وأحيانا يذكرون بأنهم أصدقاء البيت الملكى » . والواقع أن ذكر أصدقاء الملك على هذه اللوحة له أهمية عظيمة اذ يسمح لنا أن نصحح على الأقل فيما يخص هذا العصر خطأ وقع فيه كل من «ديدور» و «استرابون» ، اذ على حسب قول هذين المؤرخين «كانت العادة الكوشية أنه اذا حدث أن الملك لسبب ما فقد عضوا من أعضاء جسمه فان جميع رفاقه يقطعون نفس هذه العضو من أجسامهم بمحض اختيارهم ، وقد كان يظن أنه من العار اذا فقد الملك ساقه أن يظل أصدقاؤه بسيقانهم ولم يتبعوا الملك فى روحاته عرجا مثله أيضا .. ويقال كذلك أن أصدقاء الملك كانوا يقضون على حياتهم عن طيب خاطر فى اليوم الذى يموت فيه الملك وهذا الموت كان شرفا لهم ويعتبر بمثابة علامة اخلاص حقيقى ، وكذلك كانت المؤامرات على شخص الملك نادرة جدا فى كوش ، وذلك لأن كل أصدقاء الملك بسهرهم على حياة الملك كانوا يسهرون على ضمان بقاء حياتهم

أنفسهم . والواقع أن عادة موت خدم الملك وأتباعه قد وجدت فى بلاد السودان ويرجع عهدها على حسب الكشوف الحديثة الى الأسرة الثانية عشرة المصرية وقد أسهبنا القول فى ذلك فى مكانه فى الجزء العاشر من هذه الموسوعة (راجع مصر القديمة الجزء العاشر ص ١٨٢ الخ)

والاحتفال بانتخاب الملك كما هو موصوف فى اللوحة التى نحن بصددها كان غاية فى الغرابة . فقبل أن يخاطب الآله كان الوفود يخاطبون الجيش الكوشى ، فقد قالوا : « تعالوا لنتوج ملكا يكون مثل الثور الفتى الذى لا يقاوم » . وعند هذا الاقتراح انفجر الجيش مرددا « ان سيدنا موجود بيننا دون أن نعرفه ، ليتنا نعرفه حتى ندخل تحت سلطانه ونخدمه كما خدمت الارضان «حور» بن «ازيس» عندما جلس على عرش والده «أوزير» ونقدم صلوات لصليه . » وتتبع هذه العبارة محادثة بين الجنود تحتوى على مدح للآله «رع» ويعلن فيها أن الملك هو صورته على الأرض وهذا الجزء من المتن ينتهى كما ابتدأ بعبارةالشكوى : «انسيدنا موجود بيننا ولكنا لانعرفه». وعندئذ اتجه الجيش نحو الآله أى نحو «آمون» اله بلاد «كوش» ويحذر من نكران قوة آلهه وألا يشرع فى عمل شىء بدونه : « فلنسجد أمامه ولنقل لوجهه : لقد أتينا اليك يا «آمون» فامنحنا سيدنا لأجل أن ننعش .... ولن نصنع كلاما ما بدونك . فانك الذى ترشدنا ، ولن يقال كلام لانعرفه » . وعند ذلك ذهب الوفود فى حفل الى معبد «آمون» لاستشارة الآله وليتسلموا ملكا من يده ، وقد وجدوا عند باب المعبد الكهنة الكوشيين ينتظرونهم ويسألونهم عن سبب مجيئهم ، فيجاوبونهم قائلين : « لقد أتينا لهذا الآله «آمون ــ رع» لنجعله يهبنا سيدنا ليحيينا ... ولن ننفذ كلاما دون علم هذا الاله لانه مرشدنا » . وقبل أن يقدموا أمام الآله يدخل الكهنة ليعلنوا وصولهم وليمهدوا على أن يكون «آمون» فى جانبهم بتقديم القربات الأولية . وبعد الانتهاء من تقديم القربان يعود الوفود الى المحراب ويجددون مباشرة هذه المرة تلاوة الصيغة التى عرضوها بموافقة الجنود والكهنة فيقولون : « لقد أتينا اليك يا « آمون

رع » .. اعطنا سيدنا ليحيينا .. » وعندما يوافق الاله يقدم اليه الاخوة الملكيون فيرفضهم كلهم بدوره ثم يقدم اليه «اسبلتا» أخو الملك فيقبله ، وبعد ذلك يدخل الملك الجديد فى آخر حجرة من المعبد وهى قدس الاقداس حيث يقف أمام الاله وجها لوجه . وقد رأينا فيما سبق فى نص لوحة «بيعنخى» أن مثل هذه المقابلة السرية بين الاله والملك قد حدثت ، وذلك أن «بيعنخى» عندما وصل الى «هليوبوليس» صعد فى السلم الذى يؤدى الى المحراب العظيم لأجل أن يرى «رع» فى «حت-عا-بنبن» والملك نفسه يشد الضبة ويفتح المصراعين ويرى والده «رع» فى «حت عا - بنبن» ويقدم الصلاة لسفينة النهار (معنزت) والى سفينة الليل (مسكتت) الخاصة بالاله «آتوم» ، ثم يغلق المصراعين ويضع الطين ويختمه بخاتم الملك نفسه .

وفى خلال مقابلة «اسبلتا» مع «آمون» صاحب «نباتا» يتسلم من الاله والده التاج والصولجان وهما شارتا الملك ، ثم يخرج ملكا من المعبد الذى دخل فيه فردا عاديا .

ومما لانزاع فيه أن الجزء الأول من الحفل ، وهو انتخاب الوفود والاستشارة وخطب الجيش والعزم على وضع الانتخاب أمام الاله ، لم تكن الا مجرد رسميات دون أهمية سياسية بل الواقع أنها كانت تمثيلا لأجل أن يستر بقدر المستطاع على نفوذ طبقة الكهنة الذين كانوا أصحاب النفوذ المطلق فى البلاد . ويلحظ أن الاله أو الكهنة قد ظهروا بأنهم لا يتدخلون فى أمر الانتخاب الا عندما كان العنصر الخارج عن الكهنة من السكان يقتنع بنفسه من أنه غير قادر على اختيار ملك لهم ، وعلى ذلك كان لزاما عليهم أن يذهبوا الى المعبد ليرجوا «آمون» لينتخب لهم ملكا . والظاهر أنه فى العصر الذى كان يحكم فيه «اسبلتا» لم يكن هذا الاحتفال المبدئى الا مجرد نوع من الروايات المضحكة ، حيث كان يقوم كل شخص بدوره وهو يعلم من قبل بالخاتمة .

وعلى أية حال فان مبدأ الانتخاب لم يكن قاطعا ، لأن الكهنة على الرغم من أنه كان لهم الحق فى أن ينتخبوا الملك من بين أخوته كانوا بلاشك ينتخبون فى العادة ابن الملك المتوفى . وهذه هى الحال فى أمر انتخاب «اسبلتا» ؟ يضاف الى ذلك أن الاحتفال بالتقديم الالهى

نفسه ، وهو الذى وصف على لوحتنا ، بمثابة شيء رسمى خاص بالتتويج ، كان يفرغ منه بأقصى سرعة . فقد كان يقدم أولا اخوة الملك دفعة واحدة لأجل أن يتجنب كل تأخير ، ثم عندما رفضهم الملك دفعة واحدة أحضر اليه الأخ الملكى « اسبلتا » الذى أسرع الاله فى قبوله . وعندئذ حياه كل الناس ولم يكن أمام «اسبلتا» الا تسلم الصولجان والتاج فى محراب الاله لأجل أن يتم حفل التتويج ، ولأجل أن يوجد الملك المنتخب ويصير كأنه ملك وراثى وملك بالفعل .

واذا اعتبرنا الحقائق التى وجدت على هذا الأثر وكذلك المعلومات التى وجدناها على الآثار السابقة لهذا العهد وكذلك الكتابات التى تركها لنا المؤرخون الأقدمون فانه من الممكن على مايظهر أن نقرر ثلاثة عصور فى تاريخ المملكة الكوشية :

العصر الأول الوراثى عندما كان الملوك الكهنة الطيبيون قد أدخلوا فى أثيوبيا (كوش) عادات المملكة المصرية .

العصر الثانى عندما دخل الملوك الكوشيون بوصفهم فاتحين لمصر .

والعصر الثالث هو خروجهم من مصر وانزواؤهم فى بلاد السودان وقد حاولوا مرة واحدة وربما أكثر فتح مصر ثانية ولكنهم لم يفلحوا ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنه كانت توجد معاملات بين البلدين .

يلحظ أن عادة انتخاب الملك من بين أخوة الملك الحاكم كانت موجودة فى عهد « شبتاكا » فقد انتخب أخاه « تهرقا » كما جاء فى لوحة « تهرقا » التى عثر عليها فى معبد « الكوة » (راجع مصر القديمة الجزء ١١ ص ٢٢١) .

وخلافا للوحة السابقة توجد للزوجة الملكية « ناسلسا » لوحة عثر عليها فى جبل « برقل » ، وقد أقامتها لتخليد الهبات التى عملتها لمعبد « آمون رع » هناك ، وهذه اللوحة بعد أن نقلت من السودان أصبحت ملكا للمهندس « لينان بك » ثم استولى عليها الأمير « نابليون » ، وبعد ذلك أصبحت ملكا للأثرى « دى روجيه » وبعد موته أعطيت هبة من أسرته لمتحف « اللوفر » .

ويشاهد على الجزء الأعلى من هذه اللوحة منظر محوت مثل فيه « اسبلتا » يقدم صورة العدالة قربانا للاله « آمون رع » والالهة «موت» والاله « خنسو » ، وخلف الملك تقف أمه « ناسلسا » ثم زوجه وأخته « ماد ••• حسن » وأخته سيدة الأرض « خبيت » وكل منهن تصب قربانا بيدها اليمنى وتقبض بيدها اليسرى على صناجة •

وتحت هذا المنظر نقش ثلاثة وعشرون سطرا • وقد تناول بالبحث هذا المتن عدة أثريين منهم (١) «بروكش» [١] (٢) ومريت [٢] (٣) و « بيريه [٣] (٤) و «شيفر» [٤] و (٥) «بدج» [٥]

وهاك ترجمة اللوحة : **التأريخ** : « (١) السنة الثالثة الشهر الرابع من فصل الزرع اليوم الرابع والعشرون (؟) فى عهد جلالة «حور» جميل الطلعة ، صاحب السيدتين (المسمى) جميل الطلعة ، حور الذهبى (المسمى) شجاع القلب ، ملك الوجه القبلى والبحرى (المسمى) « مر كارع » ، ابن رع (المسمى) « اسبلتا » ، عاش مخلدا » •

(٢) « محبوب » «آمون رع » نور النوبة » (ثم قائمة بأسماء الموظفين الذين أتوا الى معبد آمون)

« فى هذا اليوم الذى أتى فيه الى معبد « آمون رع » نور بلاد النوبة : أمراء جلالته (وهم) المشرف على خزينة بلاط الفرعون ، وأمير النوبة ، والمشرف على ••• « رو ـ مى ـ أمن » ؛ والمشرف على خزانة البلاط ••• « أمن • تا ـ رو ـ ها ـ ك ـ نن » والمشرف على خزانة بيت الفرعون « نبوتو » (؟) ••• « أ ـ أمن ـ سا ـ ك • نن » ؛ والمشرف على خزانة الفرعون « ا ـ نا ـ وا ـ سارسو » ، « كا ـ را ـ أمن ـ ثا ـ نن» والمشرف على بيت الفرعون « د ••• سا ـ مى ـ خى ـ نن » ، والمشرف على بيت

---

(١) راجع : A. Z., 1871, p. 60
(٢) راجع : Rev. Arch., N. S. XII, p. 169
(٣) راجع : P. Pierret, Etud. Eg., I, 96; & Record of the Past, IV, 87.
(٤) راجع : Schaefer, A. Z. (1895) P. 101 ff
(٥) راجع : Budge, The Egyptian Sudan vol. II, P. 66

الفرعون ورئيس محكمة العدل « نا - سا - تا - ى - بو - سا - ك - نن »

وهؤلاء الموظفون الستة يؤلفون مجموعة وكلهم يحملون لقب المشرف على خزانة بيت الفرعون . وخلافا لهذا اللقب يحمل كل منهم لقبا خاصا يميزه عن الآخرين .

فعلى رأس هؤلاء أمير بلاد النوبة أى أنه الرئيس الاعلى لهذه المديرية التى تقع فيها العاصمة اذ نعلم أن «آمون» و « موت » يحمل كل منهما فى معبد جبل « برقل » لقب القاطن فى أرض النوبة وله لقب آخر ، غير أنه وجد مهشما على اللوحة . ويلحظ هنا أن الكاتب عند نقش اسمه قد جعل مخصصه يدل على شرف محتده ، اذ صوره وهو جالس على كرسيه وبيده درة الحكم . أما الآخرون فقد خصصوا برجل عادى . أما المشرفان الثانى والثالث فهما تابعان لعضوين من الأسرة الملكية ، أولهما ذكر والآخر أنثى . واللقب الثانى للمشرف الرابع هام بصفة خاصة ، وذلك لأنه يدل ظاهرا على وظيفته ولم يجد لها الكاتب المصرى مايماثلها . أما المشرف الخامس فقد جاء بعد لقبه عبارة غير مفهومة . والمشرف السادس والأخير موظف قضائى . وعلى أية حال نفهم أن هؤلاء الموظفين ليسوا من الموظفين الصغار .

ولا أدل على ذلك من أننا قد رأينا فى نقوش لوحة الانتخاب الخاصة بهذا الملك «اسبلتا» نفسه أنهم من الشخصيات البارزة فى جملة أربع الطوائف التى تشتمل كل منها على ستة أشخاص لانتخاب الملك ، فقد كانت احدى هذه الطوائف تسمى «الأمراء المشرفون على خزانة بيت الفرعون» وعددها ست ومن ثم نفهم أنه ليس من باب الصدفة أن نجد فى النقش الذى نحن بصدده هنا ستة موظفين يحمل كل منهم لقب « المشرف على خزانة بيت الملك » .

ثم يستمر المتن : « (٧) ورئيس كتبة كوش « مى - را (؟) - بى (؟) وا - أمن » ، والكاتب الملكى والمشرف على المخازن « خنسو - اردى » ، والمشرف على الخزينة « وارر » النوبى ، « ا - رو - تا » (؟) وكاتب الملك لمخزن الغلال « تا - كا - رو، (؟) - تا (؟) » ، وصراف خزينة بلاط الفرعون (؟) « بدى - نوب » . بالاضافة الى أحد

عشر شخصا قد أتوا الى معبد « آمون رع » ثور النوبة •• وهم يقولون من قبل جلالة «حور» صاحب البيت العظيم للكهنة والكهنة آباء الآلهة التابعين لهذا المعبد :

« ان الاخت الملكية والزوجة الملكية (للملك) العائش(واسمها) «ميدى(؟)•• نن» (وهى) التى أمها الاخت الملكية والأم الملكية سـيدة كوش « ناسلسا » ، وهى التى نصبها كاهنة الفرعون « أمن ••• رو » أمام والده «آمون» ثور النوبة ، ووضع فى يدها اليمنى ابريقا من الفضة وفى يدها اليسرى صناجة لأجل أن تسر قلب هذا الاله ، وجعل لها بمثابة مئونة فى هذا المعبد مايأتى : عشرة رغفان « بيا » وخمسة رغفان بيض ، وخمسة عشر أبريقا من الجعة شهريا ، وثلاثة ثيران سنويا عدا (؟) فى كل عيد واحد •• اثنان ••• جعة •• تعطيها الأخت الملكة والابنة الملكية سيدة الأرض « خب » الابنة الكبرى لأخت الملك والزوجة الملكية للملك العائش المسماه « مى - وى ••• نن » •

وانه لمن الصعب أن نصل الى المعنى الحقيقى من هذه الجمل المفككة ، والواقع أن الكاتب يريد أن يقول ان ماوهبه الملك المجهول (نن) الى الملكة العائشة (المجهولة) بتعيينها كاهنـة يعطيه الآن أختهـا (س) • غير أن عدم معرفة سلسلة النسب هنـا تجعل فهم الجملة صعب المنال • ثم يستمر المتن : « يجب ألا يبقى ذلك أبد الآبدين • وينبغى أن تكون ملكا وتبقى أبد الآبدين لأولادهم وأولاد أولادهم دون أن يقتطع منها شيئا • » « وان من يثبت بقاء هذه الوثيقة فى معبـد « آمون رع » ثور النوبة فانه سيبقى محظوظا بجانب « آمون رع » وسيمكن ابنه على كرسـيه • أما من يقص هذه الوثيقة من معبد « آمون رع » ثور النوبة فانه سـيقطع بسيف «آمون رع » وبلهيب الالهة « سخمت » وابنه لن يبقى على كرسيه » •

الامضـــاءات : (١) « أمام الـكاهن الثانى » لآمون رع » ثور أرض النـوبة (المسمى) وا - هـ - مى - نى - أمن »

(٢) أمام الكاهن الثالث « لآمون رع » ثور أرض النوبة (المسمى) «تا - نن - أمن

(٣) أمام الكاهن الرابع « لآمون رع » ثور أرض النوبة (المسمى) « تا — نن — بو — تا » .

(٤) أمام الكاتب المقدس « لآمون رع » ثور أرض النوبة ... ن

(٥) أمام الكاهن المطهر الكبير لهذا الاله (المسمى) « سا — ب — ى — خى [١] الخ .

لوحة الامير خاليوت

ووجد للملك « اسبلتا » لوحة فى جبل «برقل» فى عام ١٩٢٠ ميلادية أقامها تذكارا للأمير « خاليوت » [٢] بالمعبد الرقم B 500 عند البوابة الاولى .

وهذه اللوحة من الديوريت غير الشفيف ، ويبلغ طولها ١٣٠ سنتيمترا وعرضها ستون سنتيمترا وسمكها ٢٨ سنتيمترا .

وقد كانت مسألة علاقة الأمير « خاليوت » بالملك « اسبلتا » فى بادىء الأمر تظهر صعبة ، غير أنه بعد درس اللوحة أصبحت سهلة يسيرة . وقد جاءت ألقاب هذا الأمير واسمه سبع مرات على اللوحة كما سنرى فى الترجمة ، وقد نص صراحة فى المتن الرئيسى على أن « خاليوت » كان ابن الملك « بيعنخى » وقد ذكر فى النقش الذى فى أعلى اللوحة على أنه ابن الملك « بيعنخى » من ظهره ، غير أنه يكاد يكون من المستحيل أن ابنا للملك « بيعنخى » يمكن أن يكون قد استمر على قيد الحياة حتى عهد الملك « اسبلتا » الذى أقام مقبرة «خاليوت» كما ذكر ذلك صراحة فى صلب متن اللوحة ، اذ كانت قد توالت سبع مدد حكم للملوك بين نهاية حكم « بيعنخى » وبين تولية «اسبلتا» عرش الملك . ومدد الحكم هذه كما ذكرنا من قبل هى مدة حكم كل من « شبكا » و « وشبتاكا » و « تهرقا » ، « تانو تآمون » و « اتلانرسا » و « سنكامان سكن » و « انلامانى » . وقد قدر « ريزنر » مدد حكم هؤلاء الملوك بنحو ١١٧ سنة [٣] .

وليس لدينا الا تفسير واحد مقبول قد اقترح على حسب ماجاء فى البيان الذى ورد فى السطر السابع عشر من متن هذه اللوحة وهو : أن « اسبلتا » قد أقام مقابر لمن

(١) انظر الترجمة مع تصرف فى : A. Z., 33, p. 1112

(٢) راجع : A. Z., 10, p. 35 ff

(٣) راجع J. E. A., vol. IX, 1923, p. 75.

لا مقابر لهم » . ويفهم من هذه العبارة أن «خاليوت» كان قد مات قبل عهد «اسبلتا» ، وأن قبره كان لايعد شيئا يلفت النظر ، أو كان قد هدم فى عهده ، وأن « اسبلتا » قد بنى له فى نفس المكان مبنى آخر فى صورة هرم كما تذكر لنا النقوش ، كما أقام له مقصورة محلاة بالنقوش . ومن الجائز كذلك أنه قد دفنه من جديد فى هــذا الهرم الذى أقامه . هذا ويحدثنا متن اللوحة أن « اسبلتا » قد أمد هذا القبر بكل مايلزم من معدات ، وكذلك خصص له أوقافا بما فى ذلك الكهنة الجنازيون ، وكذلك أقام لوحة فى حل « برقل » أحياء لذكرى هذا العمل الصالح الذى أنجزه .

وتدل نتائج الحفر التى عملت حتى الآن على أن قبر الأمير «خاليوت» لم يعرف بعد مكانه فى أى موقع من المواقع التى حول « نبــاتا » ، والمظنون أنه يوجــد بين أهرام الأمراء فى الجبانة الشــمالية الواقعة عند « البجراوية » . وهــذه الأهرام تنحصر تواريخها من عهد « بيعنخى » حتى الملك « نستاسن » ، وقد وجد فى أحدها أوان من المرمر منقوش عليها اسم «اسبلتا» [1] . وهذا كان هرما ذا حفرة [2] والنقوش التى على احــدى أوانى زيت العطور الموجودة الآن « بالخرطوم » هى مايأتى : « الزهرة لك . ليت الحياة ترافق أعضاءك مثل «رع» ياسيد الأرضين ، وسيد الآثار «مركارع» « اسبلتا » .

وينقسم متن اللوحة الرئيسى كما ياتى :

(ا) **حياة** « خاليوت » على الأرض :

(١) خدماته للآلهة من سطر ١–٣

(٢) اعترافات المتوفى بعدم ارتكاب جرائم سطر ٤ – ٨

(ب) صلوات « خاليوت » للملك « اسلتا » من أجل الآله « حور الأفق » .

(١) الصلوات من سطر ٩ – ١٥

---

(١) راجع Sudan Notes & Records, vol. IV, No. 2, July, 1921

(٢) راجع J. E. A., vol. IX, p. 44.

(٢) مديح « اسبلتا » من سطر ١٦ - ٢٠

(٣) كيف بنى « اسبلتا » قبر « خاليوت » وأوقف عليه الأوقاف من سطر ٢١ - ٢٤

(٤) استمرار الصلوات من سطر ٢٥ - ٢٧

(٥) قائمة بالأواني ومعدات القبر الأخرى التى قدمها « اسبلتا » للامير «خاليوت» ٢٨ - ٣٤

والواقع أن الجزء الأعظم من نقوش هذه اللوحة يتحدث عن « اسبلتا » ، وفى حين نرى فى المنظر الذى فى أعلى اللوحة أن الآلهة تضمن « لخاليوت » الحياة بعد الموت وتخليد اسمه ، فاننا من جهة أخرى نلحظ أن كلامه لايخرج عن كونه صلاة للملك « اسبلتا » وحسب .

وتدل شواهد الأحوال اذا على أن اللوحة كانت قد جهزت بأمر الملك«اسبلتا» نفسه ووضعت بتعليمات منه فى المكان الذى وجدت فيه فى المعبد . ويلحظ أنه لم يكشط واحد من الطغراءات التى على اللوحة وأنها قد بقيت مقامة فى مكانها على الرغم مما مر من أحداث على المعبد من عهد الملك « اسبلتا » حتى عهد العثور عليها . وكان الكشك الواقع فى محور المعبد قد أقيم أمام مخرج البوابة الأولى ، وبذلك أخفى اللوحة عن أعين أولئك الذين يدخلون المعبد من الباب الرئيسى . ويدل مافى الاسطر الأولى من اللوحة من صلاح وتقى على أنها كانت ذات حظوة عند الكهنة وساعدت ماديا على حفظ هذا الأثر .

المنظر الذى فى أعلى اللوحة : ينقسم المنظر الذى فى أعلى هذه اللوحة قسمين يشاهد فوقهما قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان وأسفل ذلك بين الصلين يوجد طغراء الملك « اسبلتا » وبجانب كل من الصلين نقش : « أعطيك الصولجان » . ونقش تحت الطغراء سطران عموديان من الكتابة . والجزء الأيمن من المنظر يحتوى على ثلاثة أشكال ؛ ففى الوسط يقف « حور الافق » متجها نحو اليمين وبيده اليسرى صولجان وخلفه الهة على رأسها قرص الشمس بقرنين متجهة نحو اليسار ، وأمام « حور

الأفق » يقف « خاليوت » بيديه مرفوعتين تعبدا . والجزء الأيسر من المنظر يحتوى على ثلاثة أشكال ففى الوسط يقف الآله « أوزير » متجها نحو اليسار وخلفه آلهة بقرص الشمس ذى القرنين على رأسها ، وخلف « أوزير » « خاليوت » متجها نحو اليمين وقد أحيط بكل من قسمى المنظر نقوش تتضمن صلوات وأدعية .

المتن الرئيسى : (ا) حياة « خاليوت» على الارض :

(١) خـــدماته للآلهة : السطر الأول (١) قيل بوساطة «أوزير» حاكم «كاناد» ، ابن الملك بعنخى صادق القول «خاليوت» المرحوم .

حينما كنت على الأرض كنت تابعا لكل الآلهة كما كنت خاضـعا لهم مقيما عيدا للآله ملك (الآلهة ؟) فى كل يوم عيد خاص بالسموات والارض ، ومحضرا قربانا من الخبز والجعة ولحم البقر والدواجن للآله الذى كان فى يومه (أى اليوم الذى كان يقدم له فيه القربان) . وقد أقمت الحداد فى الاحتفال بالاعياد فى فصولها ، لاجل أن أرضى قلب هذه الالهة «ازيس» العظيمة أم الاله .

(٢) تصريحات المتوفى بعدم ارتكاب جرائم : لم أقترف كذبة وهى مايمقته الآلهة، ولم أسرق الناس ، ولم أرتكب جرما ، ولم يتعد قلبى الى الاضرار بالفقير ، ولم أقتل رجلا ظلما ، عندما لم تكن جريمته قد وقعت . لم أتسلم رشوة من أجل عمل شرير ، لم أسلم خادما الى يد سيده . لم يكن لى صلة بامرأة متزوجة ، لم أصدرحكما باطلا ، لم أحبل الطيور المقدسة ، ولم أذبح الحيوانات المقدسة ، ولم أغتصب قربان الآلهة ، بل أعطيت قربانا كل الآلهة والآلهات ، وأعطيت الجوعان خبزا ، والظمآن ماء ، والعريان ملابس ، وقد عملت هذه الاشياء على الارض ، وقد سرت على طرق الآلهة ، وبعدت عن لعنتهم لأجل نهاية طيبة للاطفال الذين يأتون بعدى فى هذه الأرض أبد الآبدين . »

صلوات « خاليوت » من أجل الملك « اسبلتا » للآله « حور الافق (٩) ان «أوزير» حاكم «كاناد» ، ابن الملك ، «خاليوت» ، صادق القول يقول : «ياحور الافق» ، أيها

الآله الفاخر ، حاكم التاسوع ، والروح العائش ابديا ، من يخترق السماء كل يوم ، ويذهب فى العالم السفلى بين الأموات المنعمين كل ليلة . ان كل السنين التى سأعيشها فى مملكة الاموات أمام « أوزير » ، ليتك تعطيها سـنين على رأس الاحيـاء ، ابنك الذى يحبك ، «حور» الذى هو الصقر « اسبلتا » العائش أبديا . لقد أعطيته عمرك السماوى ومملكة «اتوم» ، وعرش «جب» ، والظهور بمثابة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى على عرش «حور» الاحياء أبديا ، وكذلك أم الملك «ناسلسا» عائشة مثل ماعاشت مع ابنها «حور» فى مصر العليا والسفلى ، وآثاره هناك ممتدة بقدر ماتضىء أشعتك . وذلك لانه ابن فاخر لوالده «أوزير» حامى أمه (؟) .

مديح «اسبلتا» : « ما أسعد الآلهة والناس ، اذ أنه منذ أن ظهر جلالته (على العرش) كان يجرى وراء ماهو مفيد . وان كل مافعله لكل الآلهة والآلهات هو أن يصنع صورهم المقدسة ، ويقيم موائد قربانهم ، ويبنى محاريبهم ، ويمد معابدهم بكل شىء طيب ، مضاعفا قربانهم من الذهب والفضة والنحاس ، ومؤسسا لهم أوقاف المعابد ، وواهبا قربانا جنازيا للأموات المنعمين ، ومقيما مقابر لأولئك الذين لا مقابر لهم ، محترما صورة المتوفى بوصفها أثر روحه ، وواضعا ابنه مكانه . وانه يمنح نفسا لكل أنف جاعلا كل الناس يعيشون ، ولا فكرة خبيثة تسكن فيه أو على مقربة منه ، لقد عمل تصميمات ممتازة فى هذه الأرض كما فعل «حور» بعد أن ظهر على عرش والده «أوزير» ، وأنه يمنحك الصدق الذى تحبه وأنه يرضى قلبك كل يوم . »

كيف أقام « اسبلتا » مقبرة « خاليوت »ومونها بأوقاف : « ياسيدى «رع حور أختى» انك تعلم هذه الأشياء التى عملها لى ابن «رع» «اسبلتا» العائش أبديا انه أقام لى هرما من الحجر الجيرى الأبيض الصلب (حجر رملى) ، ومون لى بيتا للملايين السنين بكل شىء ، وجعل اسمى يمكث فيها ، وضاعف قربانى من الذهب والفضـة والنحاس ، وأعطانى أرضا لأجل أن يجلب لى أزهارا .. كل يوم (؟) ، ومنحنى حاشـية من الخدم (كهنة جنازيون) ، ووطد قربانى من الطعام أبد الآبدين ، كما فعل «حور»

(لوالده «أوزير») • وانى أقول ذلك لسـيدى «رع حور أختى» انك والد الآباء ، وانك الوارث الأبدى الخفى الممتاز (وانك أعطيت إياه) «اسبلتا» ملكك وحضرتك الفاخرة وقوتك • وانك تقتل كل أعدائه كما تقتل «أبوفيس» [١] كل يوم • ليتك تمنحه كل الحياة والثبات والفلاح وكل الصحة وكل فرح القلب مثل رع أبديا • وليتك توطد وارثه ، وليتك تربى كل أولاده على الأرض حتى لايفنون أبد الآبدين • »

قائمة بالجرار ومعدات القبر الأخرى التى أمد بها « اسبلتا » الامير « خاليوت » :

« قائمة بجرار القربان السائلة التى عملها ابن «رع» «اسبلتا» العائش أبديا لأجل «أوزير» حاكم «كانادء» ، ابن الملك «خاليوت» صادق القول لأجل أن يمد بيته أبد الآبدين مثل مافعل «حور» لوالده «أوزير» »

ويلحظ أن الجزء الاكبر من ستة الأسطر الأخيرة لا يمكن قراءتها بالمرة وهى فى الركن الاسفل من اليمين من اللوحة حيث أن سطح الحجر قد تآكل نهائيا وفى نهايات الأسطر توجد بعض اشارات قليلة وكلمات يمكن معرفة معناها وتدل على أنها فى الأصل كانت تحتوى على قائمة قربان وأثاث جنازى •

هذا وقد وجد لهذا الملك فى حفائر « الكوة » لوحان مهشـمان من الخزف المطلى الاخضر فى معبد A وقد نقش على كل منهما اسمه [٢] ، وكذلك بعض قطع صغيرة لا فائدة منها •

مرسوم اللعنة :

هذا وينسب مرسوم اللعنة للملك «اسبلتا» [٣] ، غير أن هذا ليس مؤكدا لأن اسم الفرعون فى اللوحة قد محى [٤]، وسنورد وصف هذه اللوحة وترجمتها هنا على الرغم

(١) الثعبان الذى يعترض سير الشمس فى عالم الآخرة
(٢) راجع : Kawa, I, p. 89
(٣) راجع : Budge, Annales of Nubian Kings, p. CI. & Budge, The Egyptian Sudan II, p. 69.
(٤) راجع Urkunden Der Alteren Athiopenkonige, III, p. 108 ff; Mariette, Mon. Divers, Plate 10; Maspero, Rev. Arch. 1871, Tom. XXI, p. 329; Records of the Past vol. IV, p. 95 ff., Etude de Mythologie, Tom. III, p. 229; Mariette, Revue Arch. (1865), II, p. 161.

من عدم معرفة حقيقة اسم الملك الذى أصدرها وذلك لما فيها من غرابة :

عثر على هذه اللوحة فى جبل «برقل» كما أسلفنا القول فى ذلك عند التحدث عن لوحة «بيعنخى» . وتحتوى على منشور أطلق عليه علماء الآثار «منشور اللعنة» ، وعلى الجزء الاعلى منها تحت منظر نشاهد فيه الملك الذى كشط اسمه من طغرائه يقدم صورة العدالة قربانا للاله «آمون رع» الذى مثل بدوره بصورة رأس كبش يعلوه قرص الشمس المحلى بريشتين ، وخلف هذا الآله وقفت الآلهة «موت» والآله « خنسو » . وقد نقش على يمين الآله « آمون رع » فى صورة الكبش « آمون رع » رب تاج الأرضين القاطن فى الجبل المطهر ، يقول : « انى أعطيك كل الحياة وكل القوة » . ونقش مع «موت» : «موت» ربة السماء سيدة الآلهة تقول : « انى أعطيك الصحة كلها . » ونقش مع «خنسو»:«خنسو»فى «طيبة» ، الكاتب الحقيقى للتاسوع ، سيد السرور يقول : انى أعطيك انشراح الصدر . »

المتن : « الآله الطيب مثل «رع» ، و «أتوم» بادىء الخلق ، والذى يعرف بالموت(؟) .. واسع الخطوة وضوء «آتون» ، والذى يعطى النفس كل أنف ، والذىيجعلالناس يحيون ومن يستولى بقوته مثل من أنجبه ، ومن يرشد جلالته فى كل حالة من حالاته، رب الأشياء الممتازة والابن الاكبر وحاميه (المنتقم له) ، ومن أجاب عندما تسلم عرشه : ملك الجنوب والشمال (....) ابن رع (....) محبوب «آمون رع» رب عرش الأرضين ، والقاطن فى الجبل المطهر معطى الحياة أبد الآبدين .

فى السنة الثانية (بعد) تتويجه كان جلالته على عرش «جب» ، وذهب جـــلالته الى معبد والده «آمون نباتا» قاطن الجبل المطهر ليطرد هؤلاء القوم الذين كانوا مبغضين للاله وهم الذين ...... قائلا : « اعمل على ألايسمح لهم بالدخول فى معبد « آمون نباتا » القاطن فى الجبل المطهر ، وذلك بسبب الأمر الذى يعداعلانه شيئا ممقوتا ، وهو الذى قد ارتكبوه فى معبد «آمون» . وقد عملوا شيئا لم يأمر بعمله الآله ، فقد ارتكبوا

شيئا منكرا فى قلوبهم خاصا بقتل انسان كان خلوا من الشىء المنكر الذى أمر الاله بألا يعمل . (٨) وقد دفع الاله كلماتهم فى أفواههم لأنه أراد أن ينزل بهم هلاكهم وقد ذبحهم وجعلهم .. (٩) لأجل أن يلقى الخوف فى كل خدام الاله وكل المقربين الذين سيدخلون فى حضرة هذا الاله المقدس الذى تحدث جلالته عن عظم قدرته وعظم سلطانه قائلا : « اذا كان أى خادم للاله مهما كان ، أو أى مقرب يرتكب أى ذنب فى المعبد فان الاله سيضربهم ولن يسمح لأقدامهم أن تكون على الارض ، ولن يسمح لهم أن يولوا خلفاء من بعدهم ، حتى لا يملأ المعبد بالأرجاس وأن تكون مبانيه خالية منها . »

آثار اسبلتا فى معبد تهرقا فى الكوة (راجع Kawa, I, p. 89)

وجد لهذا الفرعون بعض قطع من لوحة من الجرانيت ، كما وجد له لوحتان مكسورتان من الفخار المطلى من معبد **A** .

أسرة الملك « اسبلتا »

أزواجه : (١) تزوج الملك «اسبلتا» من الملكة «حنوت تاخيت» التى دفنت فى«نورى» بالمقبرة رقم ٢٨ ، ومن المحتمل أنها ابنة الملك « سنكامان سكن » . وقد تبنتها الملكة «ماديقين» ؛ وقد انجبت من «اسبلتا» ابنه «امتالقا» . وعثر لها على تماثيل مجيبة فى هرمها كما وجدت بقايا أوراق من الذهب [١] . وقد جاء ذكر تعيينها كاهنة فى اللوحة المؤرخة بالسنة الثالثة من حكم «اسبلتا» وقد تحدثنا عنها فيما سبق .

(٢) وكذلك تزوج الملك «اسبلتا» من الملكة «اساتا» التى عثر على هرمها فى جبانة « نورى » رقم ٤٢ ، وقد عثر لها على تماثيل مجيبة وجعران قلب محفوظ بمتحف «بوسطون» [٢]

---

(١) راجع : J. E. A., vol. 35, p. 143; GLR., IV, p. 58.

(٢) راجع : J. E. A., vol. 35, p. 142.

(٣) ومن أزواجه كذلك الملكة «أرتاها» وهرمها فى جبانة «نورى» رقم ٥٨ ووجد فيها تماثيل مجيبة باسمها [١]

(٤) ومن المحتمل أنه تزوج من الملكة «مقمالى» التى عثر على هرمها فى جبانة «نورى» رقم ٤٠ . وقد وجد لها تماثيل مجيبه ، وكذلك وجد لها تمثال مجيب آخر يقال انه عثر عليه فى معبد « صنم » [٢]

---

(١) راجع Ibid.

(٢) راجع Ann. Arch. Anth., 9, p. 88 - 89, pl. 18; & J. E. A., vol. 35, p. 145.

الملك « مالنافن »

٥٥٣ - ٥٣٨ ق . م



تولى الحكم الملك « مالناقن » بعد والده « امتالقا » أما أمه فهى الملكة « امانى تاكاى » ابنة الملك « اسبلتا » ودفنت فى هرمها بجبانة « نورى » رقم ٢٦ .

ودفن هذا الملك فى جبانة « نورى » بالهرم رقم ٥ . وقد عثر على عدة تماثيل مجيبة تربى على العشرين كما وجدت له خمس أوان من المرمر . هذا بالاضافة الى ودائع الأساس التى وجدت فى ركنين من هرمه ، وتحتوى كل مجموعة منها على اثنتى عشرة لوحة نقش على كل منها الاله الطيب « مالناقن » عاش مخلدا [١]

وأخيرا وجد له فى معبد « الكوة » خمس طغراءات منقوشة على الفخار المطلى كتبت بطرق مختلفة [٢]

والظاهر أنه تزوج من ملكة تدعى « تاجال » (؟) دفنت فى جبـــانة « نورى » رقم ٤٥ . وقد عثر لها على تماثيل مجيبة هناك [٣] .

---

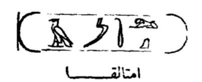
(١) راجع : Reisner, Prelim. Rep., p. 8; & J. E. A., vol. 35, p. 144

(٢) راجع : Temple of Kawa, I, p. 89, pl. 35.

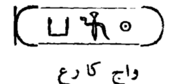
(٣) راجع : J. E. A., vol. 35, p. 147.

الملك « امتالقا »

٥٦٨ - ٥٥٣ ق . م



امتالقـــا



واج كا رع

تولى الحكم بعد الملك «اسبلتا» ابنه المسمى «امتالقا» وأمه هي الملكة «حنوت تاخيت»، وجد هرمه في جبانة «نوري» رقم ٩ .

وآثاره الباقية هي تماثيل مجيبة ، وقراب أسطوانة ، وشريط من الذهب ، هذا بالاضافة الى ودائع أساس في ركنين من أركان هرمه وجد في كل منهمـا احدى عشرة لوحة صغيرة مكتوبة باسـمه [١] ، وكذلك عثر له على آلة توســيع (Spacer) من الذهب [٢] .

أسرة الملك « أمتالقا» :

(١) والظاهر أنه تزوج من أخت له تدعى «أخيقا» (؟) دفنت في جبـانة «نوري» بالهرم رقم ٣٨ ، وهي ابنة الملكة «حنوت تاخيت » ، وقد عثر لها على تماثيل مجيبة كما عثر لها على جعران في «مروى غرب» [٣]

(٢) وتزوج كذلك من الملكة «اماني تاكاي» المدفونة في الهرم رقم ٢٨ بجبانة «نوري» وهي ابنة الملك «اسبلتا» وأم الملك «مالناقن»

---

(١) راجع : Prelim. Report of the Harvard at Nuri, p. 8.

(٢) راجع : J. E. A., Ibid, p. 142.

(٣) راجع : J. E. A., Ibid, p. 141.

الملك « أنالماى »

٥٣٨ - ٥٣٣ ق . م



أنا لماى — نسوت بيتى نفر كا رع

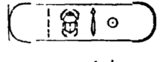
لا نعرف الا القليل عن الملك « أنا لماى » فقد عثر على هرمه فى جبانة « نورى » رقم ١٨ ، وقد وجد فى هذا القبر أكثر من خمسة تماثيل مجيبة ، كما وجدت له أربع ودائع أساس تحتوى كل منها على لوحتين صغيرتين باسمه ، وكذلك عثر له على آنية قربان وجدت فى مقبرة الملك « أمانى - نتكاى - لبتى » الذى يظن أنه حكم بعده مباشرة [١] .

---

(١) راجع : Reisner, Prelim. Report, p. 8 ; & A., vol. 35, p. 142 .E & p. 52.

الملك « امانى - نتكاى - لبتى »

٥٣٣ - ٥١٣ ق . م



أمانى ـ نتكاى ـ لبتى — عا خبرو رع

وجد لهذا الملك أكثر من عشرة تماثيل مجيبة فى هرمه الذى دفن فيه بجبانة «نورى» رقم عشرة ، وكذلك وجد له قراب أسطوانة مصنوع من الذهب ومرآة من الفضة محفوظة بمتحف « بوسطون » . وكشفت أعمال الحفر له عن ثلاث ودائع أســاس فى كل منها لوحتان باسمه [1] .

(١) راجع: J. E. A., Ibid, p. 142; & Reisner, Prelim. Report, p. 8 - 55;

نظرة عامة
فى
الحضارة الأغريقية

الحضارة الأغريقية

لانزاع فى أن الانسان اذا رغب فى دراسة تاريخ أمه دراسة صحيحة وجب عليه أن يعرف أحوال الأمم التى تحيط بهـا حتى يكون على بينـة من الظروف السياسـية والاجتماعية والحربية التى تضرب بسبب الى الأمة التى يدرس تاريخها • وقد اتصلت بلاد الاغريق بالأمة المصرية اتصالا مباشرا وغير مبـاشر من منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، وقد ازداد هذا الاتصال فى القرن السابع قبل الميلاد بصفة بارزة أى من العصر الذى بدأت فيه البلاد الاغريقية تلعب دورا هاما فى تاريخ الشعب المصرى الى أن انتهى الأمر باحتلال « الاسكندر المقدونى » البلاد عام ٣٣٢ ق•م•

من أجل ذلك نرى لزاما علينا أن نورد هنا مختصرا عن الحضـارة الاغريقية منـذ نشأتها حتى نهاية « عهد الاسكندر الأكبر » ، لأن مصر بعد حكمه أصبحت محكومة بحكام اغريق وان كانت فى ظاهرها مستقلة •

الأساطير الأغريقية الأولى

ان كل حوادث التاريخ قبل اختراع الكتابة وتدوين الحوادث قد وصـل الينا عن طريق الرواية التى تعتمد على أسس واهية ، ومن ثم نتجت الأساطير والأقاصيص التى أفعمت بالمعجزات مما جعلها تظهر كالخرافات وقصص الجان • ولا شك فى أن مثل هذه القصص تحمل فى تضاعيفها كثيرا من الحقـائق التاريخية فاذا مافحصت فحصـا علميا دقيقا وأميط عنها مانسج حولها من خيال وما ابتـدع فيها من أوهام برزت لنـا نواة الحقيقة بصورة ما • وسنقص هنا قصـة خرافيـة عن « جزيرة كريت » الواقعة فى البحر الايجى عن ملكها الشهير المسمى « مينوس »

وتقول الأساطير ان « مينوس » هذا كان ابن « زيوس » أكبر الآلهة كلها ، وقد أصبح ملـكا قوى السلطان ، ولم يكن حكمه يقتصر على جزيرته « كريت » فحسب

بل كان نفوذه فى الواقع يمتد على كل بحر «ايجه» . وكان ابنه قد ذبح غيلة فى «أثينا» وانتقاما لذلك أجبر ملكها على أن يرسل اليه كل تسع سنين جزية مقدارها سبعة من الشبان وسبع من العذارى وهؤلاء كانوا يقدمون ضحية الى « مينوتور » (Minotaur) وهو مارد فى صورة ثور ذى رأس ضخم قد وضعه الملك فى التيه الذى كان صنعه له صانعه المسمى «دادالوس» (Daedalus) وقد حملت السفينة فى « أثينا » مرتين عبر البحر الايجى بحمولتها المؤلفة من سبعةشبان وسبع عذارى ، وقد كانوا فى كل مرة يؤخذون ويذبحون فى التيه لكنه فى المرة الثالثة عزم « تيسيوس » (Theseus) ابن « ايجيوس » ملك « أثينا » على أن يذهب بنفسه الى « كريت » ويذبح هناك المارد ، ثم يقضى قضاء نهائيا على وصمة العار هذه التى كانت عالقة بمدينة « أثينا » . وفعلا أحضر أمام « مينوس » الذى وضعه بدوره فى أعماق السجن انتظارا لحتفه . ولكن لحسن حظ السجين وقعت « أريادنى » (Ariadne) ابنة الملك فى حب « تيسيوس » وذهبت الى السجن خفيه وأعطته سيفا ليقتل به المارد ، كما أعطته كرة من الخيط ليسترشد بها الى الخارج من منحنيات التيه ومنعطفاته . وفعلا قتل « تيسيوس » المارد « مينوتور » ووجد سبيله الى خارج التيه بوساطة الخيط وخلص صحابه ثم أقلعوا وبصحبتهم « أريادنى » من « كريت » الى « أثينا » .

وكان قد وعد والده «ايجيوس» أن ينشر ملاحوه شراعا أسود اذا كان هو قد هلك أما اذا ظل على قيد الحياة فكان عليهم أن ينشروا شراعا أبيض . ولكن مما يؤسف كثيرا أن هذا الامر قد نسى ، ورفع الشراع الأسود فلما رآه «ايجيوس» اعتقد أن الكارثة قد حدثت فألقى بنفسه فى الماء ، وهذا هو السبب فى تسمية هذا الجزء من البحر الأبيض المتوسط « أيجى » . هذه هى قصة التيه وماردها وضحاياها من الشبان والعذارى .

وقد أطلق المؤرخ « هردوت » لفظة « لبرنته » (أى التيه) على المعبد الجنازى لهرم

الملك « امنمحات الثالث » الذى أقامه فى الفيوم لكثرة ماكان يحويه من حجرات يضل فيها الزائر [١] .

وقد كشف حديثا أن « جزيرة كريت » كانت مملكة قائمة بذاتها لمدة طويلة وصاحبة السلطان العظيم فى بحر « ايجه » ، وكانت عاصمتها « كنوسوس » (Knossos) ، يضاف الى ذلك أنه قد أميط اللثام عن حل لرموز لغتها بفضل العالم « بيدرخ هروزنى » [٢] .

وقد كان الاغريق يعتقدون بوجود ملك يدعى « مينوس » . والمظنون أنه هو أو سلسلة من الملوك الذين كانوا يحملون هذا الاسم قد حكموا مدة من الزمن كانت فيها الجزيرة فى رخاء عظيم وقوة ضخمة . وقد بلغ من قوة هذا الحكم أن مدنا أجنبية دفعت له الجزية . وحضارة العصر البرونزى الذى عاش فيه كان يسمى العصر المنوانى . ويمكن أن نتتبع الآن تفاصيل حياة « مينوس » وحالته وحال غيره من عظماء ملوك « كريت » ، وذلك لأنه منذ بداية القرن العشرين الحالى أخذ الأثريون بقيادة «سير ارثر ايفانز» (Sir Arthur Evans) يقومون بعمل حفائر فى آثار هذه الجزيرة مما كشف لنا النقاب عن قصة المدينة منذ حوالى ٣٠٠٠ ق.م . أو حتى قبل ذلك بصورة جلية يمكن تصورها .

فيمكن أن نتصور أحد ملوك هذه الجزيرة فى قصره بمدينة «كنوسوس»[١] يحيط به الثراء ويزدان بالرزانة وبعد النظر وهو متربع على عرشه ذى الظهر المرتفع بين نصحائه يأمر وينهى فى مملكته مصرفا أمورها بالعدل وكانت له أوقات فراغ كذلك يتمتع بها فقد كان مغرما بمشاهدة مباراة الثيران الشهيرة فى ميدان فسيح أقيم بجوار قصره . وكان يقف المدرب على هذا النوع من الرياضة من الشبان أو الفتيات وجها لوجه أمام الثور الضخم وكان الثور ينقض برأس منحنية الى أسفل فى حين كان الشاب يتلافاه ويقبض على احدى قرنيه ويأرجح نفسه على رأس الثور ، ويقف عليه مدة ، أو يضع

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٢٨ الخ

(٢) راجع Bedrich Hrozny, Histoire de L'Asie Antérieure p. 278 etc.

نفســـه عليـه ظهرا لظهر ثم ينقلب على الأرض خلف الثور حيث ينتظره مدرب آخر ليتلقفه •

وكان بعض نواحى قصر « كنوسوس » يحتوى على ردهة عظيمة ذات أعلام ، وبها حجرة تسع أربعمائة أو خمسمائة من النظارة تطل عليها درجات ومقعد ملكى على علو مرتفع فى نهايتها • وفى هذه الردهة كانت تقام المصارعة والملاكمة وألعاب الكرة كما تتخذ مسرحا يموج بالراقصين والراقصات من الشبان والشواب يؤدون رقصات شهيرة على أنغام القيثارة والصفارة • وكان من بين النظارة أسراب من سيدات الكريت وقد خرجن فى زى أنيق بأثواب طويلة تحلى أطرافهـا هدابات وأحزمة مسـدودة ، أما شعورهن فكانت مجعدة فى صور خواتم صغيرة مصفوفة على رءوسهن • وكانت مساحة القصر كله تشغل مايزيد عن أربعة أفدنة ونصف فدان وتتألف من ثلاث طبقات فى بعض جهاتها وفى البعض الآخر من أربع طبقات عاليـة • ويحتمل أن يكون هـذا القصر وما يضمه من حجرات عديدة منشأ قصة التيه أو اللبرنته ، وهى كلمة صارت تعنى فيما بعد التيه ذا الممرات المعقـــدة والمســالك الملتوية التى لايمكن النـــاس أن يجدوا فيها طريقهم بسهولة دون دليل يرشدهم • وكلمة « لبرنت » يمكن أن تعنى فى الأصل مكان البلط وهى مشـتقة من كلمـة تعنى بلطة ذات رأسـين وهى رمز استعمله أهل « كريت » ونقشوه على العمد وفى أماكن أخرى من القصر •

أما الثور فقد وجدت له صور على أجزاء مختلفة فى الجزيرة بوصفه حيوانا مقدسا •
وها نحن أولاء قد بدأنا نرى آثار الحقائق التاريخية مختفـــة خلف قصـة المارد « مينوتور » التيه (لبرنت)

ولاشك فى أن الملك كانت له أشياء أخرى يهتم بها غير الرياضة • فقـد وجد فى أجزاء من قصره فى مدينة « كنوسوس » مصـنع لعمـل الفخار تصـنع فيه الأوانى الفخارية الكريتية الشهيرة ذات النماذج المحبية الى النفس والألوان البهجة • وكانت

مخازنه مملوءة بالجرار المصنوعة من الفخار تسع الواحدة منهـا رجلا كالتى نقرأ عنها فى قصة « على بابا » والأربعين لصا ، أو كالسلات التى أعدها قائد « تحتمس الثالث » عندما أراد أن يستولى على « يافا » خلسة ووضع فيها مائتى جندى (١) . وهذه الجرات الكريتية كانت تسع كميات هائلة من النبيذ والزيت والحبوب لاستعمال الملك وجنوده ومستخدميه ومفتنيه ونحاتيـه وصناع أسـلحته وخدمه ، وكذلك الأجانب الذين كانوا يفدون على بلاطه .

وكانت جزيرة «كريت» جميلة بما فيها من جبال ومرافىء وأشـجار وأزهار (مثل السوسن والورد والزعفران) وكانت تحتوى على تسـعين مدينـة وعدد عظيم من السكان يشتغل بعضهم بالنسيج وصباغة الملابس أو بصياغة الحلى من الذهب ، والاسلحة من النحاس المطعم . ويشتغل آخرون جوابين يعبرون البحار على ظهر السـفن أو صيادين أو عاملين فى زرع الأرض وحرثها .

وقد امتدت التجارة بين « كريت » والبلاد التى كانت فى متناولها امتـدادا عظيما . فـكان يأتى اليها النحـاس من « قبرص » . والقصـدير يحتمل أنه كان يأتى من « كورنول » . والكهرمان عن طريق أوروبا مخترقا « البلطيق » الى «البحر الأسود» ، ومن ثم الى البحر « الايجى » والى « كريت » . أما مصر فكانت تورد لهـا الأوانى المصنوعة من الحجر والعاج والخرز ، فى حين كانت تصدر « كريت » فى مقابل ذلك كميات من الزيت والنبذ والقطع الفنية ، هـذا بالاضافة الى الأدوات المصـنوعة من المعدن الذى كانت مشتهرة به . ونرى ازدهار التجارة بين مصر وجزيرة « كريت » فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وقد تحدثنا عن ذلك بقدر ماوصلت اليه معلوماتنا فى كتاب مصر القديمة (٢) .

وقد كان تبادل التجارة بين « كريت » والبلاد الأخرى سهلا ميسـورا ، وذلك

---

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١١٠ ـ ١١١
(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ١٨٨ و ١٩٧ و ٢١٦ و ٣٤٤ و ٣٤٥

لأن « كريت » كانت قد فتحت أو أرسلت مستعمرين الى أماكن عدة فى جزر بحر ايجه وما وراءه ، ولم تكن مصر على عظمتها وجبروتها وقتئذ لترفض التجارة مع «كريت» سيدة بحر « ايجه » • والواقع أن حكام هذه الجزيرة وقتئذ كانوا يقبضون بيد من حديد على قرصان البحر فلا نهب ولا سلب ، وقد بلغ بهؤلاء الملوك الكبرياء والاعتزاز بالنفس والجبروت الى أن تركوا مدن جزيرتهم دون تحصين متكلين على الخوف من اسمهم وأسطولهم والبحر الذى يحرسهم لوقاية مملكتهم الفتية المزهوة بقوتها ، غير أن الطبيعة لم تترك هذه الجزيرة تمرح فى بحبوحة هذا السلطان والثراء ، بل كانت تفجؤها بالزلازل التى تخرب قصورها فيعيدها الأهلون ثانية بعد كل هزة أرضية بصورة أحسن مما كانت عليه من قبل •

وفى حوالى عام ١٤٠٠ ق•م • يظهر أنه قد أصاب البلاد زلزال مفاجىء قضى عليها حتى أنه فى مدينة « كنوسوس » قد رئى الزيت الذى كان على وشك أن يصب فى الأوانى للاحفال الدينية ولكن هول المصاب الداهم حال دون ذلك فلم يصب الزيت ، وفى أماكن أخرى من الجزيرة عثر الحفارون على مايثبت حدوث مصيبة مفاجئة حلت بالناس وهم منهمكون فى أعمالهم ، يضاف الى ذلك انتشار الحرائق التى خربت البلاد • والمظنون الآن أن ذلك الحادث قد نجم عن زلزال ، وان كان من المحتمل أن أعداء للبلاد قد زادوا الطين بلة فقضوا على ماغفلت عنه عين الزلزال بالسلب والنهب •

حقا قد أعيد بعض المبانى فى « كريت » غير أن الحياة فى العاصمة لم تعد الى ماكانت عليه من قبل تماما • والظاهر أن قوة الجزيرة البحرية قد استمرت بعد هذا الحادث مدة من الزمن ، ولكن أسطولها أخذ فى الضعف شيئا فشيئا ، فظهر قرصان البحر يشقون عبابه ثانية ويعيثون فسادا فى السفن التى تحمل المتاجر •

والجدير بالذكر هنا أن ثقافة « كريت » قد تركت أثرها فى بلاد اليونان نفسها ومن ثم لم تمت مدنيتها • وقد ظلت معلوماتنا عن مدنية هذه الجزيرة ترتكز على ماتخرجه يد الحفار من آثار لا على ماجد من نقوش ، وذلك لأن العلماء الباحثين قد بذلوا

مجهودات جبارة لحل رموز نقوشها ، ولكنهم باءوا بالفشل ، وظلت الحال كذلك الى أن أماط اللثام عنها اللغوى العظيم «بيدرخ هروزنى» فى مقال له عن أسرار لغة هؤلاء القوم [١] . وقد حل كثيرا من رموز هذه اللغة واستنبط أن سكان « كريت » على مايظهر كانوا خليطا من أقوام عدة وأن الجزيرة كانت محكومة فى بادىء الأمر بطبقة من الفاتحين وفدوا من داخل بلاد « آسيا » والجزء الأعظم منهم من أصل هندى أوربى . فقد قال : لانكون مخطئين اذا قلنا انه عندحدوث هجرة أقوام فى آسيا الوسطى فى البلقان كان يستقر بعضهم فى جزيرة « كريت » ومن ثم تألفت المدنية الخارقة المجوزة للمألوف المعروفة بالمدنية المنوانية وهى التى سبقت المدنية الاغريقية ؛ وهى جدة المدنيات الأوروبية . وقد تألفت أولا بالسكان الهنود الأوربيين . وان العالم ينتظر اتمام بحوث هذا العالم ، ولكن على أية حال يمكن من الآن القول مما وصل اليه من الكتابات الكريتية أن جزيرة «كريت» ذات الشمس المشرقة كانت ذات يوم مهيمنة على البحر ، وسكانها من المحبين للفنون والاناقة والملاذ ، وهم من أصل هندى أوربى من جهة واسيوى من جهة أخرى . كل ذلك جعلها تمثل بجانب « سومر » و « اكاد » و « مصر » وبلاد «ختا» ووادى «نهر السند» و «بلاد الصين» القديمه مهدا سادسا هاما للثقافة القديمة ، هذا بالاضافة الى أنها الأقدم تاريخيا بين المدنيات الأوربية [٢] .

بلاد اليونان وحروبها مع طروادة

نتقل الآن الى بلاد الاغريق نفسها ، ولا نزاع فى أن جزيرة « كريت » كانت ذات يوم صاحبة قوة عظيمة فيها ، ولكنا نجد الى ماقبل سقوط « كريت » أقواما من الجنس المسمى «الآخيين» (Achean) كانوا يهاجرون جنوبا من مواطنهم الى الجزء الشمالى من بلاد الاغريق ، وحوالى ١٢٠٠ ق.م . كانوا قد أصبحوا أقوياء لدرجة

(١) راجع Archivum Orientale Pragenese, (A. O. P.) XIV (1943) p. 1 - 117 & Ibid, XV (1945) p. 158.

(٢) راجع Hrozny, Ibid, p. 313.

أنهم صاروا أقوى قوم فى بحر «ايجه» . وكانوا قد تعلموا كثيرا من المدنية الكريتية ، ولكن أصبحت لهم حياتهم الصالحة الخاصة المميزة بهم ، كما كان رؤساؤهم ومدنهم يتمتعون بثراء وفير وحياة ناعمة . وكانت «ميسينى» تمثل المكانة الأولى من حيث العظمة والسؤدد ، وكان ملكها التقليدى المسمى «اجاممنون» صاحب ثروة ضخمة من الذهب والفضة والبرنز والعربات والسفن يعيش فى أبهة وترف فى قصره المشرف على المدينة والسهل الذى يقع أسفل منه . وقد أطلق على مدنية هذه البلد « الحضارة الميسينية » اذ كان لها طابع خاص بها .

وفى الشمال الشرقى من بحر «ايجه» كانت توجد مدينة أخرى تدعى «طروادة» وكانت ذات سور منيع وتقع على «هلسبونت» (الدردنيل) حيث تلتقى أوربا بآسيا ، وكان قوم الآخيين من البحارة الجسورين الشغوفين بالحصول على منافذ جديدة لمشاريعهم فى شرقى بحر ايجه ، وقد سبب طموحهم هذا تصادمهم مع «طروادة» ، وفعلا شبت نار حرب بينهما حوالى ١١٩٠ ق.م ، ويقال انها استمرت مستعرة بينهما نحو عشر سنين . وبعد هذه الحرب أنشد الشعراء الأناشيد الموقعة على القيثارة تشيد بأعمال الشجاعة العظيمة التى قام بها الرؤساء من كلا الجانبين ، وقد تناقلتها الأجيال وزاد عليها فى أثناء انتقالها من جيل الى جيل كثير من الأساطير والاعاجيب طغت على مافيها من حقائق .

وعندما غزا الدوريون بلاد الاغريق كما سنرى بعد هاجر كثير من الآخيين من بلاد الاغريق الى «ايونيا» الواقعة على ساحل آسيا الصغرى حاملين معهم هذه الأقاصيص التى بقيت حية متداولة وقص فيها الشعراء القصائد الطويلة ، وكان أكبر هؤلاء الشعراء وأعظمهم « هومر » ، والمفروض أنه كان كفيف البصر وعاش فى «أيونيا» حوالى عام ٩٠٠ ق.م. وقد نسبته سبعة أماكن فى هذه الجهة لنفسها فكان يدعى كل مكان منها أنه مسقط رأس «هومر» . والواقع أننا لا نعرف عنه كثيرا ، غير أنه كان من أعظم شعراء العالم . وقد أنتج ملحمتين وهما « الألياذة » [1] التى

(١) وكلمة « الياذة » مشتقة من كلمة (Ilion) وهو اسم آخر لمدينة «طروادة»

تتحدث عن جزء من حرب «طروادة» ، و «الأودسى» وهى التى تحدثنا عن مخاطرات «أودسيوس» وهو عائد الى بلاد الأغريق بعد الانتهاء من الحروب الطروادية •

ملحمة الالياذة

وتدل البحوث العلمية الحديثة على أن «هومر» لم يؤلف فعلا كل هاتين الملحمتين بل وضع فى كتاب واحد كل قصائده وكذلك قصائد الشعراء الآخرين ، والقصة التى بنى عليها كتابه هى مايأتى : ــ خطف «باريس» ابن «بريام» ملك «طروادة» «هيلانة» الجميلة زوج «منلاوس» الذى كان ملك «اسبرتا» وقتئذ وأخ «اجاممنون» • وعلى الرغم من أن هيلانة قد ذهبت معه عن طيب خاطر فان المدن الأغريقية قد انضمت تحت لواء «أجا ممنون» فى حملة على «طروادة» وانتهت بخراب «طروادة» وقتل أهل « طروادة » فى خلال هذه الحرب أو حملوا أسرى ، ولم يبق الا قليل بين خرائب مدينتهم وقد عاد الأغريق الى أوطانهم ولواء النصر معقود على رءوسهم •

ويلحظ فى القصة كما رواها الشاعر «هومر» أن الآلهة والآلهات قد أخذوا بنصيب فى هذه الحرب ، وسنشرح ذلك فيما بعد • والآله الوحيد الذى يعنينا هنا هو الاله «زيوس» أعظم الآلهة • أما الآلهة الآخرون فنذكر منهم : الاله «أبوللو» اله الموسيقى والشعر والتنبؤ بالغيب ، والآلهة «بلاس أثينا» آلهة الحكمة ، والآله «هرميس» رسول الآلهة آله الحكمة ، ويقابل عند المصريين الآله تحوت ، ثم الاله «هفاستيوس» آله الفنون التى تصنع بالنار • ونرى عند فاتحة هذه الملحمة « أخيل » (Achille) الذى كان أعظم بطل فى المعسكر الأغريقى فى سرادقه وهو فى حالة غضب وتفكير عميق بسبب ان «اجاممنون» قد اغتصب منه أمة استولى عليها فى أثناء الحرب • وقد صاح «أخيل» قائلا : « لقد كان ذلك مكافأته مقابل أيام وليال طويلة قضاها ساهرا يشن الحرب للاستيلاء على المدن والكنوز التى سلمت كلها الى «اجاممنون» بوصفه سيده الأعلى » • وبذلك لم يذهب «أخيل» الى مكان الاجتماع ولا الى ميدان الحرب بل أضنى قلبه فى التفكير فى منواه ، وكان يتوق عند سماعه

صيحة اعلان الحرب والاشتباك فى المعركة الى منازلة العدو .

وفى تلك الفترة كان كل من الفريقين المتحاربين يأتى بضروب الشجاعة التى لا تحصى . وكان الآلهة يميلون طورا الى هذا الفريق وتارة الى ذاك ، أما الآله «زيوس» فكان يقبض فى يده عـلى كفتى الميزان الذهبى وازنا أقـدار الاغريق والطرواديين . وكان أشجع الشجعان فى الجيش الطروادى هو «هكتور» بن الملك «بريام» فقد ودع زوجه وابنه الصغير عند مشارف المدينة ولم يكن فى مقدوره أن يصغى الى تضرعات زوجه ليبقى معها وعندئذ جاوبها « هكتور » كرة أخرى وعلى رأسه خوذته البرنزية :

زوجتى العزيزة ان فى كلماتك حكمة كثيرة
ولكنى اذا أحجمت لحقنى العار
أمام نساء «طروادة» اللائى يجررن أذيالهن أمام أزواجهن
لا بل أن روحى فضلا عن ذلك ليست مكانا
للجبن . ان واجبى أن أقف بمفردى
وأن أسلط أول السيوف الطروادية
نائلا بذلك فخر والدى وفخرى أنا نفسى
ومع ذلك فانه فى أعماق قلبى وروحى يعرف شىء واحد .

وبعد ذلك مد ذراعيه لابنه الذى أسرع الى أحضان مربيته منزعجا من ريشة خوذته المنحنية ، ولما رأى «هكتور» ذلك ألقى خوذته جانبا وأخذ الطفل بين ذراعيه ودعا « زيوس » أن يصبح شجاعا ومنتصرا أكثر منه نفسه .

وبعد ذلك ضحك والده وأمه بوداعة
ووضع «هكتور» خوذته على الأرض
وكلها تسطع بوضاءة . وأخذ الطفل وقبله
راجيا «زيوس» وكل الآلهة الذين حوله :

هب يا «زيوس» أن يكون ابنى هذا شجاعا
مثلى ، وليت شهرته تضىء لامعة
بين الطرواديين وأن تكثر قوته
وعندئذ سيقول الناس : « لقد فاق فى القوة
والده » ، عندما يعود منتصرا من الحرب •

وبعد ذلك ذهب لمحاربة الاعداء وهو يعلم فى قرارة نفسه وأعماق روحه أنه سيقتل وان «طروادة» ستسقط فى يد العدو •

قتل «هكتور» خلقا كثيرا من الأعداء ، ولقد قفز فوق جدار المعسكر الأغريقى ونادى رجاله أن يتبعوه وشتت شمل الاغريق حتى ولوا هاربين ، وبعد ذلك قتل « باتروكلوس » (Patroclus) أكبر أصدقاء «أخيل» ؟ وأخيرا أزكى نار الانتقام فى نفس «أخيل» فنزل الى ساحة الوغى وتقابل الخصمان وجها لوجه وتبارزا ، وكانت درع «أخيل» قد صنعها له الاله «هفاستيوس» [1] (Hephaestus) وكانت درعه أشهر درع جاء ذكرها فى الكتب ، لانها كانت مزركشة بالذهب والفضة والبرنز وحفر عليها مناظر من حياة تلك الأيام منها منظر حفل زواج وشجار فى مكان السوق وجيوش محاصرة وكرم ومنظر حصاد وحرث أرض ومرعى :

وبعد ذلك صور مكان رقص هناك
مثل ما كان قد عمله «دادالوس» فى «كنوسوس»
تلك المدينة الشاسعة لسيدة جميلة
وهى العذراء اريادنى صاحبة الشعر الجميل
وكان هناك شباب يرقصون على تلك الارض

---

(١) هذا الاله يقابل الاله بتاح المصرى الذى كان مقر عبادته « منف » وهو آله الحرف والفن والصناعات •

وعذارى كثرت مغازلتهن ولكن صعب استمالتهن
ويرقصن ممسكة احداهن بيد الأخرى
والبنات ارتدين الكتان الجميل والشبان يلبسون
أثوابا نسجت نسجا جميلا ، يضيء لهم مصباح خافت
بالزيت ، وكان يزين رأس كل عذراء أكليل .
والشباب كانوا يحملون خناجر محلاة بالذهب فقط
وحمالات سيوف متدلية من الفضة . وهكذا مشوا
بأقدام ماهرة تلف ، وخطوا برشاقة
وهكذا بالضبط يجلس صانع فخار بعجلته
ممكنة بين يديه كأنه يجربها
لتجرى فى وقتها . وهكذا يديرها
وكان كل واحد يقابل الباقى ثانية فى صفوف منظمة
كان يجلس حول الرهط الأنيق كثير من الضيفان
كان يغنى لهم الشاعر الشبيه بالآله
أناشيد غنائية وقد ملأ الفرح صدرهم
وقد أحاطوا جميعا أنفسهم بمهاجرين
. . . .

وهاجم «أخيل» «هكتور» الذى فر أخيرا من أمامه ، وبعد ذلك تبعه «أخيل» مثل «اريس» اله الحرب أو كالصقر عندما ينقض على يمامة أو ككلب الصيد عندما ينطلق وراء جرو . وكان الاله «زيوس» يقبض على كفتى الميزان المصنوعتين من الذهب وقد خفت موازين « هكتور » فهوت كفته .

وقد تغلب الغضب الوحشى على «أخيل» آنذاك

وعلى ذلك فانه عندما انقض قابضا أمام صدره
درعه المنقوشة وطوح خوذته اللامعة
التى كان يموج حولها أربع ريشات .
كان يجلس على مقربة « هفاستيوس » ، وهكذا فان أجمل
كل كواكب السماء «هسبروس» كان يسير
فى ليلة مظلمة يفوق ضوءه كل الكواكب
وهكذا فى يد «أخيل» اليمنى عندئذ
سطعت حربته الحادة عندما صوب حربته المميته ،

وعندما هوت الطعنة وسقط «هكتور» على الارض لافظا النفس الاخير رجا «أخيل» أن يقوم بدفن جثته وحذره أنه هو كذلك سيلاقى نفس المصير تحت جدران « طروادة » .

وعندئذ تكلم «هكتور» صاحب الخوذة اللامعة ـ وهو يموت ـ مرة أخرى :
« حقا أنى أعرفك تماما وأرى بوضوح
ان قلبك من حديد صلب لم يتحرك من أجلى
ومع ذلك فانك ستقتل بيد «باريس» و «أبوللو» .
ولا نزاع فى أنه سيقضى عليك عند بوابة «سكايين» ،
على الرغم من كل قوتك . فاحذر اذا مرة أخرى
لئلا أصب عليك كره ربك المر
وقد انتهى نادبا مصيره المحزن ،
وخرجت روحه وكانت لا بد أن تذهب الى عالم الآخرة
مجردة من شبابها ومحرومة من قوتها

وقد قتله «أخيل» دون أن يحير جوابا على رجاء «هكتور» لدفنه كما أنه لم يكترث بما قيل له عن مصيره هو .

وبعد ذلك تكلم «أخيل» العظيم : « فلتكن نهايتك
وأنا كذلك سأتقبل الهلاك الذى سترسله الآلهة • »

وبعد ذلك أتى «بريام» المسن راجيا أخذ جثة ابنه ، وعندئذ تحركت الشفقة فى قلب «أخيل» فأعطاه اياها لتدفن •

وهنا تنتهى قصة الالياذة ، لأن موضوعها هو غضب «أخيل» الذى بدأ بشجاره مع «اجاممنون» وانتهى بدفن الرجل الذى قتل أعز صديق لديه •

ملحمة الأودسى :

هذه الملحمة تحدثنا عن كيف أنه بعد أن أمضى « أودسيوس » وهو رئيس أغريقى ، عشرة أعوام هائما فى البحار وصل أخيرا الى جزيرة «أتاكا» مسقط رأسه •

وفى هذه الملحمة نرى أن «بنلوبى» زوج «أودسيوس» كانت تنسج منذ ثلاث سنوات نسيجا وكانت تنقضه ليلة فليلة ، وذلك لأنها كانت حائرة بين عدة عشاق لها كانوا لابد أن يضطروها لتختار واحدا من بينهم عندما يتم هذا النسيج ، وهؤلاء العشاق كانوا يأتون الى بيتها يوميا بكبرياء مفعم بالوقاحة فكانوا يضحون الثيران والغنم والماعز ويحتسون نبيذها بتهور مبذرين ثروة بيتها ، ولكن فى آخر الأمر كشفت سر عملها احدى نسائها وأفشته ، غير أن النجدة كانت قد أتت اليها من «أوليمبوس» مثوى الآلهة ، اذ نجد أن الآلهــة «باللاس أثينا» قد أتت لتخليصها بسرعة كالريح عابرة البحر والأراضى التى لا تحد ، وقد نفخت فى روح «تلماكوس» بن « أودسيوس » الاصغر فتحدى هؤلاء العشاق :

أسرفوا فى أموالكم ذاهبين من بيت الى بيت
بالتوالى ، ومع ذلك فانه اذا ظهر أنه شىء أفضل
أن يؤكل طعام الانسان ويشرب نبيذه
دون ثمن فلتذهب اللذات
ومع ذلك فانى سأضرع للآلهة الخالدين أن يرسلوا

انتقاما ، وأن يرسل «زيوس» جزاء فى وقته
وأنتم جميعا ستنالون نهايتكم غير مشكورين

وقد ظهر «تلماكوس» على حين غفلة بوصفه رجلا وسيد بيته فى آن واحد •

وفى أثناء هذه الحوادث كان « أودسيوس » يقترب من نهاية مخاطراته فى عرض البحار • والواقع أن الآلهة «كاليبسو» (Calypso) قد حجزته سبع سنين فى جزيرتها الجميلة باذلة جهد طاقتها بكلماتها الساحرة أن ينسى «اتاكا» مسقط رأسه ، ولكنه الشوق الى وطنه كان يبرى قلبه • وأخيرا أرسل الآله «زيوس» الآله «هرمس» ليخلصه من ورطته هذه :

فوق «بيريا» مارا بسرعة
قافلا ومن طبقة الهواء العليا جاء «هرمس» السريع
وغاص مثل غراب الماء فى البحر الخ

وقد أدى « هرمس » رسالته وقد سمح لأودسيوس » أن يصنع لنفسه قاربا ويذهب فى عرض البحر ، وبعد مضى سبعة عشر يوما لاحت له فى الأفق جزيرة كأنها درع فى البحر الملبد بالضباب ، وتلك كانت أرض «الفاسيين» (Phaecians) ولكن قبل أن يصل الى تلك الجزيرة الرحيمة ، أغرقت قاربه عاصفة هوجاء ، واضطر أن يسبح فى الماء يومين وليلتين الى أن رأى أرضا ذات رءوس وصخور وشعاب تصطخب عليها الأمواج وقد قذفت به الأمواج الى الساحل ومن ثم سبح فى مصب نهر ورسا سالما على الشاطىء •

وفى تلك الأثناء كانت « نوسيكا » (Nausicaa) ابنة ملك « السيوس » (Alcinous) قد أتت مع جواريها لتغسل ثيابها فى مجرى النهر الجميل ببركه وعيونه المتفجرة :

« وعندئذ حملن من العربة فى أيديهن
الملابس وأخذنها بقوة

هناك فى الأحواض عند شاطىء الماء المظلم
منهمكات فى المنافسة ثم تشرنها ثانية
على شاطىء البحر حيث الأمواج
تغسل تماما الحصباء وتصدم بالشاطىء

وعندما استحممن وتدلكن بزيت الزيتون أكلن واضطجعن بجانب شاطىء النهر طلبا للراحة من مجهود العمل منتظرات حتى تجفف أشعة الشمس الثياب المغسولة ، وبعد ذلك وضعن كوفياتهن بجانبهن بعد الوجبة ، وأخذت بنت الملك والعذارى اللاتى معها يلعبن الكرة . وقد أخطأت آخر كرة الهدف وسقطت فى الماء فأيقظت « أودسيوس » من سباته العميق ، وعندئذ على حسب أمر « نوسيكا » ذهب الى قصر « السينوس » الجميل حيث أكرمت وفادته ، وقد أخبرهن بمخاطراته وكيف أنه هرب من « سيكلوبس » ومن مارد أعور ، ومن عاصفة هوجاء ومن الساحرة « سيرس » (Circe) ومن سيرنز الفاتنات ، ومن أخطار المرور بين ماردتى البحر ، « سيلا » (Scylla) و « شاريبدس » (Charybdis) [1] (وهما ماردتان تقفان حجر عثرة فى طريق البحارة)

وفى اليوم التالى وضعه (السينوس) فى احدى سفنه السحرية وكانت سريعة كالعصفور فى طيرانه أو كالفكر فى جولاته ، وقد حملته الى « أتاكا » وعلى الرغم من أنه كان مستخفيا فى زى متكفف مسن فان مربيته المسنة قد عرفته كما عرفه كلبه « أرجوس » الذى كان فيما مضى عداء سريعا وصيادا شجاعا ، والآن أصبح مسنا وضعيفا ومهملا ، وقد رفع رأسه وطأطأ أذنيه وبعد ذلك :

« هز ذيله وأرخى أذنيه
ومع ذلك فان سيده لم يكن لديه القوة على السير

---

(١) « سيلا » و « شاريبدس » تمثلان الدوامات والعقبات المشهورة عند مضيق « مسينا » ، وقد أصبح ذلك يطلق على الرعب الذى ينتاب السياح منهما ، فعند ماكان يقابل الانسان واحدة منهما فانه كان يصطدم بالاخرى وقد أصبح يضرب بهما المثل عندما يتخلص الانسان من شر ويقع فيما هو شر منه .

وعندما رأى « أودسيوس » فى هذه الساعة
التى تلاقيا فيها بعد مضى عشرين سنة
سقط أخيرا الموت الاسود على « أرجوس » •

وبمساعدة «تلماكوس» الذى عرف الآن الحقيقة قتل « أودسيوس » العشاق بنشابه الجبار وبعد ذلك كشف « لبنلوب » عن نفسه • ومن وقتئذ ذهب الخراب وانقشعت ويلات الحرب الى غير رجعة وسادت الطمأنينة فى الحجرات ذات الظلال الناعمة •

النظم السياسية والاجتماعية فى العهد المبكر لبلاد الاغريق :

ان من يقرأ اشعار « هومر » فى ملحمتى «الالياذة» و «الأودسى » يستطيع أن يكون فكرة لا بأس بها عن الأنظمة السياسية المبكرة لبلاد الاغريق العتيقة ، وهى تلك الأنظمة التى صارت فيما بعد الارث المشترك الذى ورثه عنها الاغريق ثم الرومان والألمان على السواء ؛ فنفهم من تلك الأشعار أن الملك كان على رأس الحكومة ، غير أنه لم يكن يحكم بمفرده على حسب ارادته ؛ بل كان يرشده مجلس مؤلف من رؤساء رجال يستشيرهم فى ادارة البلاد • وكانت القرارات التى يتخذها الملك بالاتفاق مع هذا المجلس توضح أمام جمعية مؤلفة من كل الشعب • وقد نما من هذه العناصر الثلاثة أى الملك والمجلس والجمعية العمومية دساتير أوربا • وفى هذه نجد بذور كل الأشكال المنوعة للملكية والارستقراطية والديمقراطية ؛ ولكن فى أقدم العهود كان هذا النظام السياسى ضعيفا ومفككا • والواقع أن القوة الحقيقية فى المجتمع البدائى كانت فى الأسرة • وعندما نلتقى بالاغريق فى بادىء الامر نجد أنهم كانوا يسكنون معا فى جماعات أسرية • وقراهم لم تكن الا مساكن لقبائل أو أسر بمعنى واسع ، وكان أفرادها منحدرين من جد مشترك وتربط بعضهم ببعض رابطة الدم • وكان رئيس الأسرة فى الأصل فى يده سلطة الحياة والموت على كل من ينتسب للأسرة • وهذه السلطة لم تنتزع من يده الا عندما نمت سلطة الحكومة بالتدريج

وقامت فى وجه اسـتقلال الأسرة ، ولـكن المجتمعات القروية لم تكن الا جزءا من مجتمع أكبر يسمى « القبيلة » (Phyle) ، والاقليم الذى كانت تسـكنه القبيلة يسمى « ديم » (Deme) ، وعندما كان يسـيطر ملك ما على أقاليم ملوك مجاورين له كان ينشأ من ذلك مجتمع مؤلف من أكثر من قبيلة .

وكانت العادة أن تتجمع عدة أسر سـويا فى مجتمع يسمى « فرانزا » أى الاخوة كان له عادات دينية مشتركة . وقد وصف « هومر » طريدا بأنه فرد ليس له أخوة وليس له موقد أى لا أخوة ولا أسرة له .

ونجد أهمية الأسرة ممثلة بصورة حية فى كيفية تملك الاغريق للبلاد التى فتحوها ، فلم تكن الأرض ملكا خاصا للفرد الحر كما أنها لم تكن مع ذلك ملك المجتمع كله ؛ بل كانت ملك القبيلة أو القبائل فيقسم كل الاقليم قطعـا على حسب عدد الأسرات فى المجتمع ، وكانت الأسر تقترع على هذه الضياع من الأرض ، وبعد ذلك كانت كل أسرة تصبح مالكة لضيعتها التى كان يديرها رئيس الأسرة ؛ غير أنه لم تكن لديه السلطة للتصرف فيها . فالأرض كانت ملكا لكل أقاربه وليست لأى فرد معين . وكان حق الملكية على مايظهر لايرتكز على الفتح بل على فكرة دينيـة . وكانت كل أسرة تدفن موتاها فى داخل حدود أملاكها . وكان من المسلم به أن المتوفى يملك الى أبد الا بدين البقعة التى دفن فيها ، وان الارض التى حول الضريح كانت ملكا شرعيا لأقارب المتوفى . وكان من أهم واجبات الأبناء أن يحموا قبور آبائهم ويرعوها ، كما كانت الحال بالضبط عند قدماء المصريين . وكان الملك يقوم بوظيفة الكاهن الأكبر ورئيس القضاة وقائد الحرب الأعلى للقبيلة فى وقت واحد . وكان ينسب الى أسرة تدعى أنها منحدرة من الآلهة أنفسهم وكانت علاقته بشعبه علاقة آله حام ، فكان يحترم بوصفه الها فى الاقليم (ديم) وكانت الملكية تنتقل من الأب للابن ، ولكن من المحتمل أن الشعب كان يرفض تولية ابن خليع عليهم ليس كفئا للقيام بأعباء الواجب الذى كان يقوم به والده .وكان الملك صاحب الصولجان له ميزات منوعة منها أن يكون

له مكان الشرف فى الأعياد ويتمتع بجزء كبير من الغنيمة التى تغنم فى الحرب ومن الطعام الذى يقدم قربانا . هذا بالاضافة الى جزء خاص من الأرض يحدد ويصبح ضيعة ملكيه مميزة من التى كانت تملكها أسرته .

وفى هذه الميزات السالفة تشابه كبير بالميزات التى كان يتمتع بها ملوك مصر فى العهد الفرعونى .

ولم يكن لدى الملك القوة على أن يفرض ارادته اذا لم تحز موافقة رؤساء الشعب فكان لزاما عليه أن يتطلع دائما الى موافقة مجلس الشيوخ ويعمل برأيه وكان بعض الأسر يعد أسرا شريفة منحدرة من الاله «زيوس» ومن هؤلاء الأشراف كان يتألف مجلس الشيوخ . وفى مجلس الشيوخ هذا نشأت نواة ارستقراطية المستقبل .

وكان أهم من الملك والمجلس لنمو بلاد الاغريق المستقبلة اجتماع الشعب الذى نبعث منه الديموقراطية . فكان كل رجال القبيلة الأحرار ــ وكل الرجال الأحرار الذين تتألف منهم الأمة عندما كانت تتحد قبائل كثيرة معا ــ يجتمعون سويا لا فى أوقات معينة ، بل عندما كان الملك يطلبهم ليسمعوا ويوافقوا على ما اقترحه هو ومجلسه. وكانت وظيفة هذه الجمعية العمومية هى أن يسمعوا ويوافقوا لا ليناقشوا ويقترحوا . ولم تكن الجمعية العمومية بعد مميزة عن الجيش بوصفها مؤسسة . وهذه الجمعية هى جمعية الشعب بكل معانى الكلمة . وكان يحيط بالملك جماعة من الرفاق والأتباع مرتبطين به بصلات شخصية يقومون بخدمته ، وهؤلاء هم الحاشية .

أحوال بلاد اليونان برا وبحرا
منذ عام ١١٠٠ ق .م تقريبا
غزو الدوريين لبلاد اليونان

لم يترك قوم الآخيين في سلام مدة طويلة لأن غزاة من الشمال أو الشمال الغربي يدعون « الدوريين » انقضـوا على بلاد الاغريق مخربين وفاتحين المدن فى طريقهم • وقد انتهت غزوات هؤلاء القوم حوالى عام ١٠٠٠ ق•م • ومن الأسـباب التى كانت عاملا فى نجاحهم اليسير هو أنهم قد استعملوا فى حروبهم أسلحة وآلات مصنوعة من الحديد فى حين كان «الآخيون» يستعملون أسلحة مصنوعة من معدن البرنز الذى كان أقل صلابة من الحديد ولم يكونوا قد دخلوا بعد فى دور عصر استعمال الحديد • وقد احتل «الدوريون» مدينة «كورنث» ومعظم شبه جزيرة «البلوبونيز» ؛ وقد استولوا على بعض المدن وخربوا بعضها الآخر بما فى ذلك «ميسينا» (Mycenae) وكذلك أصبحت « اسبرتا » مدينة دورية • أما مدينة «أثينا» التى كانت بعيدة عن طريقهم الرئيسية فقد تركت ولم تمس بسوء وقد استوطن كثير من «الآخيين» الذين طردوا من أوطانهم « أتيكا » وتشمل الاقليم الذى حول « أثينا » ، كما استوطنوا جزيرة «ايبوا» (Euboea) ، وعندما أصبحت هذه الأماكن مكتظة بالسكان هاجر أهلها الى ساحل «آسيا الصغرى» وصارت مستعمراتهم تؤلف المدن الايونية الغنيـة المثقفة وهى التى سنسمع عنها فيما بعد هنا • ومن ثم أصبح يسكن فى بلاد الأغريق «آخيون» و «دوريون» وكلاهما كان يتكلم الأغريقية ، ولكن بلهجة أغريقية مختلفة بعض الشىء ، كما كان لدينا جماعة أخرى تتكلم الاغريقية تقطن الجانب الآخر من بحر «ايجه» •

نمو المدن المستقلة :

لا نزاع فى أن المتعمق فى تاريخ بلاد اليونان يلحظ لأول وهلة أن تاريخ الاغريق لمدة تبلغ نحو مائتى سنة بعد دخول الدوريين يظهر مبهما ومرتبكا ، غير أنه قد أصبح

يتضح لنا شيئا فشيئا . ففى حوالى عام ٨٠٠ ق.م . قد بدأ عدد من المدن ينمو كل بحياتها الخاصة وحكومتها المستقلة . فقد وهبت الجبال والمداخل الاغريقية كل مدينة حدا طبعيا يقف فى وجه كل معتد أجنبى ، وعلى الرغم من أن هذه المدن المستقلة كانت كل واحدة منها تستعمل نفس لغة المدن الأخرى فانها كانت مستقلة منفصلا بعضها عن بعض تماما ، وكثيرا ماكان يقع بينهم النزاع والحرب . وهذه المدن كانت كل منها تؤلف حكومة خاصة قائمة بذاتها تسيطر على جزء معين من الاراضى التى حولها .

عهد الاستعمار من ٧٧٠ ــ ٦٥٠ ق. م.

ومن الطبعى أنه كلما نمت هذه المدن المســـتقلة كانت حدود دائرة نفوذها تضيق بسكانها ، ومن أجل ذلك أخذ كثير من المدن تبحث خارج نطاقها عن بلاد أخرى تستوطنها . والواقع أن آمال أهلها كانت تمنى بالخيبة فى كثير من الاحيان فى وطنهم وبخاصة الذين كانوا يشتغلون بزراعة الأرض وهم الذين كانوا يعيشون عيشـــة كدح قاسية . وغالبا ما كانوا رجالا ذوى نفوس جبلت على حب المغامرة يريدون أن يفتحوا مراكز جديدة للتجارة ، ولهذه الأسباب نجد أن مستعمرين قد خرجوا من ديارهم وانتشروا فى كل الجهات واستقروا حول البحار « كالضفادع حول البركة » .

هذا وكانت حرفة القرصنة لا تزال منتشرة فى البحـــــر ، وكان بعض هؤلاء المستعمرين أنفسهم قراصنة بحر . فمثلا نجد أن طائفة من هؤلاء المستعمرين قــد اتخذوا جزر «ليبارى» القريبة من جزيرة «صقلية» موطنا لهم ، وكان نصفهم يشتغل فى فلاحة الارض فى حين كان النصف الآخر يتربص بالسفن «الاترسكية» الآتية من «ايطاليا» ويسلبها متاعها . وعلى أية حال فان الأغريق فى الوقت المناسب وضعوا حدا لهذه العادة الهمجية ، ونظموا استعمارهم بالطريقة التالية :

فقد كانوا أولا يستشيرون وحى معبد «دلفى» ليعرف اذا كانت الآلهةقداستحسنت المشروع ، وبعد ذلك كان ينتخب قائد وتجهز السفن ، وكانت فى العادة سفنا طويلة

سريعة تحرك بخمسين مجدافا ، وكانت طريقهم عبر البحر الايجى سهلة ميسورة لانه كان من النادر أن تبعد السفن عن رؤية الجزر التى كانت ترشدهم كأنها وسيلة لهدايتهم فى عرض البحر ، غير أن كثيرا من السياحات كانت غاية فى الخطر لأن السفن كانت تذهب بهم أحيانا بعيدا الى «ايطاليا» و «اسبانيا» وجنوب بلاد «غال» وشمالى أفريقيا والبحر الاسود . وكان المستعمرون يحملون معهم النار المقدسة من «بريتانيوم» (Prytaneum) (قاعة المدينة) من مدينتهم الأصلية ، لأجل أن تبقى مشتعلة فى الموقد العام لموطنهم الجديد ، وكذلك كانوا يحافظون على أواصر القربى والمحبة على الرغم من أنهم كانوا فى موطنهم الحديث مستقلين تمام الاستقلال . وكانت دياناتهم ولغتهم ومبانيهم وطرق حياتهم أغريقية بحتة ، وعلى ذلك كانت مستعمراتهم كبذور من بلاد الاغريق زرعت فى تربة أجنبية . والواقع أن كثيرا من هذه المستعمرات أصبحت فيما بعد غاية فى الثراء كما كانت تزيد فى ساحتها عن مدينتهم الاصلية . مثال ذلك مدينة «سيراقوز» بجزيرة «صقلية» فقد كانت مستعمرة لبلدة «كورنت» وكذلك مدينة «بيزنطم» («القسطنطينية» فيما بعد) فقد كانت مستعمرة لمدينة « مجارا » . وكانت المنطقة المستعمرة وتشمل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ، غنية بمواردها الطبيعية مثل الذهب والفضة والمعادن الأخرى التى كانت تستخرج من المناجم وكذلك الخشب الذى كان يحصل عليه من الغابات ، والقمح والزيت والنبيذ من الارض المنزرعة . وكانت كل هذه الثروة تمر حرة من جزء من العالم الأغريقى الى الجزء الآخر منه . وقد تبع هذا الثراء انتشار المعرفة وذلك لأن المستعمرين الاغريق كانوا عادة يستوطنون فى أماكن على البحر ومن ثم كانت هناك طرق داخلية تسهل لهم أعمال التجارة ، وبهذه الكيفية كان فى مقدورهم أن يرسلوا معلومات عن البلاد التى يرودونها . وهذه المعلومات الجديدة عن جغرافية هذه البلاد وتاريخها كان يتلقفهـا القوم بشغف وكان الاغريق يروونها فى وطنهم فتنير الأذهان عن العالم الخارجى . وقد كان اتصال مصر بالاغريق فى تلك الفترة أى فى القرن

السابع وما بعده عظيما جدا كما أشرنا الى ذلك عند الكلام على ملوك الأسرة السادسة والعشرين • ففي تلك الحقبة أخذ الأغريق يفدون على مصر وينهلون من علومها •

ديانة الأغريق

كان الاغريق في فجر تاريخهم يعتقدون أن الطبيعة ملأى بالقوى الخفية التي تساعد بني الانسان أو تلحق به الضرر شأنهم في ذلك شأن كل الامم القديمة كمصر و «بابل» و «آشور» وغيرها من الامم الشرقية ؛ فكان لديهم الاله «بان» آله الغابات والتلال والقطعان (وبخاصة الماعز) والرعاة وكان يمثل في صورة انسان ، ولكن بقرني وساقي معزى ، ومن اسم هذا الآله «بان» (Pan) اشتقت كلمة «بنك» (Panic) وهي تعني الرعب الذي ينتاب الناس في الأماكن الموحشة وذلك لأن هذا الاله كان يخيف السابلة بظهوره المفاجيء •

وكانت الهات الماء يتخيلها القوم عذارى جميلات يسكن الانهار والجداول (وكانت تدعى «نريدس» (Nereids)[1] والجبال وتدعى (Oreads) والاشجار وتدعى (Dryads) والبحر • وكانت هذه الجنيات الطبعية لابد أن تصير مصادقة للانسان ، وذلك بتقديم قربان من اللبن والشهد أو الحيوانات الوحشية ، ومن أجل ذلك كانت توجد صور صغيرة ومحاريب وموائد قربان مبعثرة في طول البلاد وعرضها لعبادتها في الريف •

وكذلك كانت الآلهة العظيمة لبلاد الاغريق تعبد في المدن وفي الريف على السواء• وهذه الآلهة كان يتصورها القوم في صور مخلوقات مثل الرجال والنساء ، ولكنها كانت أعظم منهم وأكثر جمالا • وكان يتخيلهم الاغريق في عقولهم بصور واضحة ، وذلك لأن «هومر» من جهة قد وصفهم في اشعاره ومن جهة أخرى لأن المثالين والمفتنين قد صنعوا لهم تماثيل وصورا ، وقد أصبحت هذه الآلهة شيئا فشيئا أكثر أهمية من أية قوة أخرى ، غير أن الاعتقاد في «بان» وآلهات البحر وما اليها من جنيات الطبيعة قد فاق غيره فاستمرت تعبد بوجه خاص في الأقاليم الريفية •

(١) و « نريدس » (Nereids) من بنات « نيروس » (Nereus) وهو اله البحر •

وكان أعظم الآلهة هو «زيوس» والد الآلهة والناس ، كما كان أعظم الآلهة فخارا وقوة ، وكان يسكن فى «أوليمبوس» وهو جبل عال قمته فوق السحاب ، وهناك كان يعقد مجلس الآلهة ، ومن ثم كان يرسل صواعقه على البشر الذين أغضبوه . وكانت «هيرا» زوج «زيوس» وملكة السماء الهة صاحبة جمال بارع ومقام عال ، غير أنها لم تكن جذابة لأنها كانت جامدة غيورة ، وكانت الساعات خادماتها و «اريس» (Iris) الهة قوس قزح بريدها .

وكانت الالهة «ارتميس» تعبد بوصفها نور القمر . وكانت بوصفها الهة الصيد تطوف الغابات والوديان والانهار والتلال مسلحة بقوسها ونشابها صائدة اما حيوانات برية أو مشتركة فى الرقص واللعب مع اتباعها من آلهات الماء وهى أخت الآله «أبوللو» (وهى ديانا عند الرومان)

أما «أفروديت» فكانت الهة الحب والجمال ، وكان ابنها هو «اروس» (Eros) (اله حب صغير) ، وكان اليمام طائرها المقدس وزهرتها المحببة هى الوردة .

وكانت «هستيا» (Hestia) آلهة الموقد وقد عبدت بوصفها مركزا ورمزا لحياة الاسر والدولة . وكان موقدها المقدس لا يقتصر على اقامته فى كل بيت بل كان يقام كذلك فى «البريتانيوم» (قاعة المدينة) فى كل مدينة ، وكانت النار المشتعلة هناك لا يسمح باخمادها أبدا . وكان كبار موظفى الدولة والسفراء من أماكن أخرى يقدمون القربان على النار لهذه الآلهة . وكما ذكرنا من قبل أخذ المستعمرون معهم بعض هذه النار المقدسة الى أوطانهم الجديدة .

وكانت «بلاس أثينا» وهى الابنة العذراء للآله «زيوس» تعد آلهة الحرب والحامية لمدينتها «أثينا» . وكذلك كانت الهة الحكمة والمهارة وحضور الذهن وحزم الرأى وكانت الحامية للنسيج ولحرف أخرى ، وكانت الهة شريفة جميلة طويلة القامة ماهرة فى الأعمال اليدوية الفاخرة . وشجرتها المقدسة هى شجرة الزيتون .

وكان «بوزيدون» (Poseidon) آله البحر والينابيع عذبها وملحها ، وكان

بصولجانه المثلث الشوكات يهيج البحر ويفلق الصخور التى تنفجر منها نافورات الماء وتنبثق منها العيون ·

وكان «ديونيسوس» اله النبيذ ، وقد غنى الاثينيون ورقصوا على شرفه ليضمنوا محصولا طيبا من كرومهم · وهذه الاغانى والرقصات كانت أصل الدراما الاغريقية التى كانت تنظر اليه بوصفه آلهها وحاميها (١)

وكان «هفاستوس» الذى عمل درع «أخيل» يعتبر اله النار وكل مايصنع منها كالصور المصوغة من الذهب والفضة والاوانى المزركشة بصور غريبة ·

أما الاله « هرميس » (تحوت عند المصريين) الذى كان قد أرسله الاله «زيوس» لاحضار «اودسيوس» من جزيرة «كاليبسو» فكان رسول الآله وبيده عصا كان يحمل بها النوم الى أعين الناس أو يقود بها أرواح الموتى الى مسكنها فى عالم الآخرة

وهؤلاء الآلهة الذين ذكرناهم هنا كانوا بوجه عام عظماء ومنعمين على الناس ، ولكن على حسب ماجاء فى شعر «هومر» وغيره من الشعراء الاغريق كانوا غالبا مايشتجرون فيما بينهم وتقوم بينهم العداوة والبغضاء ، ففى حرب «طروادة» ساعد كل من «هيرا» و «أثينا» الاغريق ، فى حين أن «أفروديت» و «أبوللو» قد ناصرا أهل «طروادة» وعززاهم ·

على أن الناس الذين كانوا يفكرون فى ذلك تفكيرا عميقا رأوا شيئا فشيئا أنه يوجد شىء خاطىء فى ذلك ، ولم نلبث أن رأينا أعظم الشعراء وغيرهم من أهل الفكر قد بدءوا يكتبون عن «زيوس» أنه عال جدا وأنه بعيد عن كل القوى الأخرى ، وأنه قريب لمساعدة كل الناس ويقيم العدل ويعاقب الاثم · ولكن على الرغم من ذلك فان عامة الشعب كانوا يتمسكون بالافكار القديمة فنرى فى كل أطوار التاريخ الاغريقى العبادات والاعياد تقام فى كل مكان على شرف آلهة «أوليمبوس» العديدين ، على الرغم

---

(١) راجع ما كتب فى كتاب الادب المصرى القديم عن الدراما وأصلها الجزء الثانى ص ١ الخ ·

من الاعتقاد فى آله واحد مسيطر ، وتلك كانت نفس الحالة فى مصر الى أن ظهرت عبادة «آتون» لمدة ثم اختفت وعادت البلاد سيرتها الاولى •

معبد دلفى :

كان يوجد فى عدة أجزاء من بلاد الأغريق أماكن مقدسة يعرف كل منها باسم «الوحى» حيث كانت الآلهة توحى بارادتهم للناس • وكان أهم وحى هو « وحى دلفى » وكان يحدد بالبقعة التى أقيم فيها نسران قيل أنهما تقابلا هناك (وكانا قد أرسلهما «زيوس» شرقا وغربا من نهاية العالم) مدللين بذلك على أن «دلفى» هى وسط العالم • وقد كشف النقاب عن «دلفى» هذه الحفائر التى قام بها الفرنسيون فى نهاية القرن التاسع عشر • وكان قد أقيم على موقعها قرية حديثة كان على الحفارين أن يزيلوها ويقيموا أخرى بدلا منها قبل البدء فى أعمال الحفر • وآله «دلفى» هو «أبوللو» ، وكان جذابا وجماله يفوق جمال كل الآلهة الآخرين ، وكان يعد اله كل الكلام الملهم فى الموسيقى والشعر والتنبؤ • وكان يقال أنه ابن «زيوس» نفسه ، وأنه ينطق بارادته • ولا غرابة اذا كان قد جمع كل بلاد الاغريق فى حظيرته المقدسة • والواقع أن «دلفى» تقع فى مكان غريب على صورة شعب ارتفاعه ألف قدم على جانب جبل ، يشرف خلفها جبل «برناسوس» (Parnassus) • وتنبع من بين قمتين من قمم هذا الجبل عين « كاستيليان » من الصخر • وكان كل من جبل « برناسوس » و « كاستيليان » مقدسا لآلهات الشعر « ميوزس » (Muses) وكان على الحجاج الذين هم فى حاجة لاستشارة الوحى أن يغتسلوا فى « العين الكستيليانية » • وبعد ذلك كانوا يتسلقون الطريق المقدسة الى مذبح « أبوللو » ، وهنا كانوا يقدمون قربانهم ويقيمون صلواتهم ، وعلى مقربة من المذبح يوجد المعبد الكبير الذى كان يحتوى على تمثال للآله « أبوللو » ونار مقدسة حفظت مشتعلة بالغار وخشب الصنوبر ، وفى المحراب الداخلى كان ينطق الوحى بما يوحى به لكل سائل •

والكاهنة التى تنطق بما يقول كانت تسمى « بيثيا » (Pythia) ولابد من أن

تكون امرأة من أهل « دلفى » حرة لا غبار على حياتها ، ولكنها لم تكن على شيء من الذكاء لأنه لم يكن مطلوبا منها أن تركن الى شيء من العلم والمهارة ، بل كان كل ماتركن اليه هو الهام الاله لها . ومن الممكن كذلك أنهـا كانت قد وهبت بصـيرة أخرى . وكانت هذه الكاهنة تصوم وتستحم فى عين « كستيليان » كما كانت تمضغ أوراق غار مقدس وفيرة ، ثم تأتى بعد ذلك فى أثواب فضفاضة محلية شعرها يحلى من الذهب وتقعد على كرسى مثلث الأرجل فى داخل المحراب على شق فى الأرض ، وكان يخرج من عين تحت الشـق بخار يظهر أنه كان يجعلهـا فى غيبوبة حتى أنها كانت تنطق بأصوات متقطعة أو كلمات أوحى بهـــا الاله . وكان كاهن « أبوللو » يقف على مقربة ليترجم فيكتب الجواب على لوحة ويعطى السائل اياه . وكان الوحى يستشار فى كل الامور ، فكان يستشار مثلا قبل الدخول فى حرب أو تأسيس مدينة . وعندما كانت أثينا فى خطر داهم من الفرس أخبر «الوحى» المواطنين أن يتقوا فى جدرانهم الخشبية ، وقد أكد لهم رجل سياستهم « تميستوكليز » أن المقصود من ذلك هو سفنهم المصنوعة من الخشب وأغراهم أن يضعوا أسرهم على ظهر السفن لتكون حماية لهم فى أماكن قريبة وبذلك نجوا . وكان الوحى به يفهم على وجهين أحيانا فمثلا نجد أن « كروســوس » (الذى سنتحدث عنه فيما بعد) ملك « ليديا » الغنى كان مصمما على عبور نهر «هاليس» فى آسيا الصغرى واعلان الحرب على الفرس، ولما كان جواب الوحى كالآتى :

« وعندما يعبر « كروسوس » « هاليس » (النهر)

فان امبراطورية عظيمة ستفقد »

فقد عبر « كروسوس » النهر وهو واثق من النصر ، ولـكنه وجد فيمـا بعد أن الامبراطورية العظيمة التى فقدت كانت امبراطوريته .

وأحيانا يكون الوحى مبهما أو خاطئا ، ولكن نصيحته كانت حكيمة سليمة بعامة ، وذلك لأن الكهنة الذين كانوا يلقنون الوحى كانوا يعرفون كثيرا عن النـاس وعن

الأحوال الجارية فى البلاد ، وقد استعملوا معرفتهم لمساعدتهم فى ترجمة الكلمات التى تنطق بها «بيثيا» الكاهنة . وهذا الوحى كان فى الواقع احدى الروابط التى تربط الوحدة الاغريقية ، فكان الاغريق يشعرون بأن هذا المحراب ملك كل الاغريق لا ملك بلدة « دلفى » نفسها ، ولذلك تألف مجلس كان يحتوى على اثنى عشر نائبا مقدسا أرسلوا من حلف مؤلف من احدى عشرة مدينة أو دولة (وقد أرسلت «دلفى» نائبين) وذلك لمنع التعدى على أى عضو من الحلف ، وكذلك من التعدى على محراب «دلفى» نفسه . وقد قامت حربان مقدستان شنهما أعضاء الحلف حماية لهذا المحراب .

وكانت تتدفق على هذا المحراب الهبات وتقدم له كذلك الهدايا حتى أن المكان أصبح مفعما بالمحاريب والنقوش والتماثيل والآثار التى تقدم شكرا على مانال مقدموها من نصر . ولابد أن « دلفى » كانت مزدحمة أكثر مما يجب ، ولكن ماعسى أن يفعله الانسان عندما يقدم القوم هدايا ؟

وكانت تقام فى « دلفى » أعياد عظيمة يفد اليها الناس من كل أنحاء بلاد «هلاس» (١) . وفى هذه البقعة كان يشعر سكان « هلاس » بأنهم جميعا مواطنون أغريق ، وكذلك فى هذه البقعة كانوا يشتركون فى الألعاب الرياضية التى كانت تعتبر جزءا من عيدهم ، وكذلك كانوا يشتركون فى العبادة عند المحراب الذى كان يتوسطها .

دولة « اسبرتا »

تقع مدينة « اسبرتا » على مسافة خمسة وعشرين ميلا من الشاطىء الجنوبى لشبه جزيرة « البلوبونيز » وهى المقر الرئيسى لغزاة قوم الدوريين المحاربين ، وكانت المدينة تحتل موقعا جميلا على نهر فى واد واسع بين الجبال ينبت فيه الكروم على منحدرات التلال والغلال والزيتون فى الحقول . وكان صناعها فى باكورة تاريخها يعملون فى البرنز والطين والحجر .

(١) « هيلاس » هو اسم يطلق على بلاد الاغريق وكذلك كان يستعمل وان لم يكن من الوجهة الجغرافية ليدل على كل الاراضى التى يسكنها اغريق .

وقد أقيمت معابد هناك ورحب بالشعراء ، وكان فيها شيء من متاع الحياة ومباهجها . وفى الحق كانت « اسبرتا » تنمو على نسق المدن الاغريقية الأخرى ، ولكن حوالى عام ٦٠٠ ق.م . حدث تغير جعل حياتها جافة قاسية .

وقد كان السبب فى ذلك هو الخوف . فقد كانت « اسبرتا » فى هذا الوقت قد فتحت « لاكونيا » واستولت على أحسن أراضيها . وسكان « لاكونيا » الذين خضعوا لحكم «اسبرتا» قد بقوا أحرارا وعالوا أنفسهم بالصناعة والتجارة فى الداخل وفى الخارج ، غير أنهم مع ذلك لم يحسبوا ضمن أهل « اسبرتا » بل كانوا يسمون «بريواكوى» (١) ، والسكان الذين قاوموا «الاسبرتيين» حتى النهاية أصبحوا عبيدا وأطلق عليهم اسم « هلوت » (Helots) ، وقدعبر الاسبرتيون فيمابعد هضبة جبال « تايجيتوس » (Taygetus) متجهين نحو الغرب وغزوا أراضى « مسينيا » الخصبة . وقد حارب أهلها بشجاعة وعناد ، ولكن فى النهاية هاجم العدو حصونهم واستولى عليهم وبذلك خضعوا وأصبحوا «هلوت» أى عبيدا . وكل هؤلاء « الهلوت » أو العبيد كانوا يمنحون قطعا من الأرض حيث كانوا يضطرون أن يعيشوا فيها بكدحهم ، ويدفعون لأسيادهم مقدارا محددا من محصولهم . وكان عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية ، ولكن فى أيام السلم كان محرما عليهم أن ينتقلوا بعيدا من أرضهم التى منحوها . ولم يكونوا مع ذلك عبيدا بالمعنى الحقيقى ، لأنه كان لا يمكن بيعهم ، وقد أصبح بعضهم غنيا عندما كانت مزارعهم يصيبها الفلاح ولم يمض طويل زمن حتى فاق عددهم عدد أهل « اسبرتا » الذين كانوا دائما فى خوف دائم من أن هذه السلالة المهزومة يمكن أن يخرج يوما ما أفرادها عليهم حتى أنهم من شدة خوفهم منهم عينوا عليهم نوعا من الشرطة السرية كانوا يندسون بين هؤلاء « الهلوت » ويقتلون كل من شكوا فى أمره . وكان أهل « اسبرتا » يعلمون أن هذا العمل القاسى لم يكن كافيا لاخضاعهم ، بل كان عليهم أن يقووا أنفسهم بكل طريقة ممكنة لاذلالهم

(١) معنى « بريواكوى » القاطنون حول .

وتنفيذا لذلك حرموا على أنفسهم كل الكماليات ، فمنعوا التجارة الخارجية بأن جعلوا لهم عملة واحدة من الحديد وطردوا الأجانب عندما كانوا يرون فى ذلك فائدة لهم ، وجعلوا من أنفسهم أمة جنود . وقد قال عنهم « بلوتارخ » : ان مدينتهم كانت نوعا من المعسكر المسلح الذى كان لكل رجل فيه نصيبه من المؤن والاشغال تؤدى . وكان الفرد منهم ينظر الى نفسه كأنه ولد ليخدم بلاده . وكانت حياة « الاسبرتى » الأصيل منذ الولادة ملكا للدولة . فلم يكن يسمح بالحياة الا للأطفال الذين يتمتعون بصحة جيدة ، أما الضعفاء فانهم كانوا يحملون الى جبل «تايجيتوس» ويتركون هناك ليلاقوا حتفهم .

وكان الذكور يؤخذون فى سن السابعة من بيوتهم وتدربهم الدولة حتى سن العشرين ، وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والموسيقا ومبادىء الحساب ومقطوعات من شعر « هومر » أو مقطوعات من شعر شاعرهم « تيرتايوس » Tyrtaeus ولم يكن يسمح لهم بقراءة كتب الا اذا كانت عن الحرب ، هذا مع عدم التمرن على تنميق الكلام أو الكتابة ، وذلك لأن أهل «اسبرتا» كانوا يحتقرون الكلام فكانوا لايستعملون من الألفاظ الا القليل فى كلامهم بقدر المستطاع حتى أن كلمة «لاكونيك» Laconic المشتقة من بلدة « لاكونيا » لاتزال تستعمل حتى الآن للدلالة على الكلام المختصر المقتضب . وكان التمرين على الجرى والمصارعة والرماية جعل الأولاد أقوياء مع خفة حركة ، وقد أصبحوا بتدريبهم على الألعاب الاخرى أقوياء البأس شجعانا صالحين ليكونوا قوادا عند الحاجة .

وكانوا يلبسون رداء واحدا ويمشون حفاة وينامون على القش الذى جمعوه من شاطىء النهر ويضيفون بعض شوك العوسج اليه فى الشتاء ، وطعامهم كان بسيطا يستولون عليه بالسرقة ، واذا قبض عليهم فى أثناء السرقة ضربوا بالسياط لا من أجل السرقة ولكن لعدم مهارتهم فيها . وكانوا يضربون بالسياط كل سنة مرة ليتعودوا احتمال الألم . وكانوا يدربون تدريبا خاصا من سن الثامنة عشرة الى العشرين على

فنون الحرب وكانوا من سن العشرين يصبحون معلمين للأولاد الصغار ، ويسمح لهم بالزواج ولكن على ألا يقيموا فى بيوتهم . ومن سن الثلاثين فما فوق يصبحون مواطنين تماما (ويسمون الأكفاء) ويعيشون فى بيوتهم ، غير أنهم مع ذلك كانوا يتناولون وجباتهم الرئيسية فى المعسكرات ولا يسمح لهم بترك المدينة دون اذن اذ قد يطلبون لحمل السلاح والذهاب الى ساحة القتال .

وكان كل خمسة عشر رجلا منهم يشتركون فى مائدة واحدة عند أخذ وجباتهم ، واذا أراد فرد أن ينضم الى احدى هذه الجماعات كان لزاما على كل واحد من الأربعة عشر الآخرين أن يأخذ كرة من الخبز الناعم (وتعد صوت اقتراعه) ويلقى بها فى حوض خاص بذلك ، فاذا وجد أن كرة من هذه الكرات قد دحيت رفض قبول العضو الجديد لأن ذلك يدل على أن فردا واحدا على الأقل لا يرغب فى انضمامه اليهم . وكان على كل فرد أن يورد نصيبه من الشعير والنبيذ والجبن والتين وبعض النقود لشراء سمك ولحم . وكانت ملابس الجميع واحدة وتحتوى على ثوب مصبوغ باللون الأرجوانى ، كما كانوا أصدقاء حميمين فى السلم والحرب وكانوا يسيرون سويا الى ميدان القتال على نغمة المزمار .

أما البنات الاسبرتيات فكن يدربن عقليا وبدنيا ليصبحن أمهات لرجال شجعان . فكن يدربن على الأعمال الرياضية كالأولاد الذكور ، وعندما يتزوجن كن يحثثن رجالهن على أعمال الشجاعة والفروسية . ويقال أن أما اسبرتية قد أخبرت ابنها أن يعود من المعركة أما مرتديا درعه العظيمة أو محمولا عليها ، وذلك لأن الجندى كان لا يلقى بدرعه الا عند الهرب ، والأفضل أن تحمل الى وطنك عليه ميتا .

حكومة اسبرتا : كان لمدينة «اسبرتا» ملكان فى وقت واحد ، وقد أخذا يفقدان من سلطانهما شيئا فشيئا ولكن كان تسيير الأمور فى يد خمسة « افور » أو مشرفين ، ومجلس مؤلف من ثمانية وعشرين شيخا ؛ وكان لهم مع المشرفين من القوة بحيث كان فى استطاعتهم استحضار الملكين أمامهم . أما سلطة الشعب فى جمعيتهم فكانت تنحصر فى أن

أفراد الشعب كانوا يجتمعون على الأقل مرة كل شـهر ليصـوتوا على القوانين التى اقترحها المجلس ، غير أنه لم يكن من سلطتهم مناقشتها ، والظاهر أن المجلس أحيانا كان لا يلتفت الى الطريقة التى صوتوا بها .

ومن الطريف أن أهل «اسبرتا» أنفسهم كانوا يعتقدون أن كل نظم قوانينهم قد وضعها لهم مقنن يدعى « ليسكورجوس » ، (Lycurgus) ويقال أنه كان رجلا حكيما أراد أن يساعد مدينته ولم يكن يقصد من وراء ذلك جمع سلطة فى يده ، وبعد أن أتم عمله ترك المدينة كما يقال بعد أن أخذ ميثاقا من الأهلين على أن يحافظوا على قوانينه الى أن يعود . وقد ذهب فى الحال الى وحى «دلفى» الذى أخبره بدوره أن « اسبرتا » ستفلح وتسعد ما دامت محافظة على قوانينه ، وعلى ذلك فانه لم يعد قط الى «اسبرتا» ولم يسمع عنه بعد ذلك ثانية . تلك هى القصة كما تروى فى الاساطير أو القصص الأسبرتية ؛ والواقع أن التواريخ فى هذه الفترة كانت مبهمة فلم تحدثنا عن هذا المقنن وشخصيته التى يحفها الغموض بالنسبة لنا حتى أنه لا يمكن أن يعد فى نظرنا شخصية تاريخية . والظاهر أنه كان بطلا أو آلها يعبد فى بلاد «لسيدمون» (= «اسبرتا» وما حولها) . غير أنه مما لاشك فيه أن «اسبرتا» قد حافظت على القواعد والأنظمة الخارقة للعادة التى وضعها كما يقال «ليكورجوس» ، وانها بوساطتها قد أصبحت أقوى دولة حربية برية فى بلاد اليونان جمعاء

دولة « أثينا »

كانت «أثينا» في بادىء أمرها كباقي الدويلات الصغيرة التي تتألف منها بلادالبونان، غير أنها على مر الزمن فاقتها جميعا . واذا قرناها «باسبرتا» وجدنا أن الاخيرة كانت محكومة بقوانين صارمة لا تتغير اذ الواقع أنها كانت حكومة أقلية يدير شئونها حفنة من الرجال فى حين أن «أثينا» قد صارت دولة حرة راقية ، اذ كانت حكومتها ديموقراطية يدير شئونها مواطنوها على حسب ارادة الشعب وسنرى فيما يلى كيف أنها وصلت الى هذا الحكم الشعبى شيئا فشيئا حتى أصبحت مضرب الأمثال فى كل تاريخ العالم . ففى حين نرى «اسبرتا» قد فتحت كل من «لاكونيا» و «مسينيا» بالقوة وأبقتهما فى يدها بالخوف والعنف ، نجد أن «أثينا» قد حكمت « اتيكا » بارادتها . والواقع أننا نجد فى تاريخ أثينا المبكر أن المدن التى كانت يتألف منها أقليم « أتيكا » قد انضمت تحت لواء حكومة «أثينا» بالطرق السلمية دون عنف ما ، وقد كان ذلك من حسن حظ « أثينا » ، اذ قد أحاطت نفسها بأصدقاء وجعلت سلطانها يمتد على مساحة عظيمة تبلغ حوالى عشرة آلاف ميل مربع ، وتحتوى على موارد طبيعية مثل المرمر والأحجار فى جبالها والفضة والقصدير فى مناجمها والطين فى أنهارها لصنع الفخار ، والزيتون والكروم الوفيرة وبعض الغلال مما تنبته تربتها ، غير أن الغلال لم تعد كافية على مر الأيام وازدياد عدد السكان لسد حاجاتها . وقد كان أقليم «أتيكا» من جهة اليابسة محميا بجبال ولكن لم تكن تكنفها هذه الجبال لوجود ممرات عبرها يمكن استعمالها فى وقت السلم . أما ساحل « أتيكا » فيبرز فى البحر نحو جزر « ايجة » والشرق ، وهذا كان مغريا على ركوب المخاطر فى عرض البحر ، والواقع أنه لم تلبث طويلا حتى أبحرت عدة سفن من مينائها محملة بزيت الزيتون والفخار للتجارة ، ثم العودة بالغلال ، وعلى ذلك كانت التجارة نشطة فى بحر «ايجة» مع «أثينا» . وكانت «أثينا» فى بادىء أمرها محكومة بملوك ، ولكن حوالى عام ٦٥٠ ق٠م . حدث تغيير لم يأت عن طريق ثورة بل بالطرق السلمية ، وذلك أن الملوك الذين فقدوا سلطانهم شيئا فشيئا قد انقطعوا عن الحكم حتى الاسمى منه ، وأصبحت حكومة البلاد فى يد عصابة من الأسر الشريفة

يقودها حكام يطلق عليهم «اركون» وكان عددهم فى بادىء الأمر ثلاثة ثم ازدادوا الى تسعة ، وكان هؤلاء ينتخبون من أفراد هذه الاسر . وكان الشعب مقسما طبقات على حسب الثروة وكان لكل الطبقات حق التصويت الا أحط طبقة فى جمعية الشعب . وفى هذه الجمعية كان من الممكن الموافقة على انتخاب «الاركون» (الحكام) رسميا . وعند تولى هؤلاء الحكام زمام الأمور كانوا يحلفون اليمين على أن يحكموا على حسب القوانين وألا يقبلوا رشوة قط ، واذا لم يقوموا بهذه الالتزامات كان عليهم أن يهدوا لمعبد «دلفى» تمثالا من الذهب ، ومن المحتمل أن هذا التمثال كان بالحجم الطبيعى ولكن لم يمض طويل زمن حتى قامت الصعاب وبوجه خاص بين الطبقة السفلى التى لم يكن لها حقوق سياسية ؟ وهكذا فانه فى مدة المائة والخمسين سنة التى تلت وضع هذا النظام عملت تغييرات من وقت لآخر سارت بأثينا نحو الديموقراطية الحقة الى درجة عظيمة .

دراكون : ففى عام ٦٢١ ق.م. طلب الى «اركون» (حاكم) يدعى «دراكون» أن يضع قائمة بقوانين «أثينا» . والواقع أن «دراكون» وتشريعاته القانونية ليست معروفة لدينا الا بصورة مبهمة ، ولكن يظهر جليا أن العقوبات التى توقع على المدنيين كانت صارمة جدا حتى أنه الى أيامنا هذه يضرب بها المثل فى القسوة والشدة ، وقد ذكر لنا « بلوتارخ » المؤرخ الرومانى أن الموت كان العقاب على كل الجرائم تقريبا فكان يوقع عقاب الموت من أجل سرقة تفاحة أو كرنبة ، أو من أجل البطالة ، أو من أجل قتل نفس . ولكن « بلوتارخ » كتب ذلك بعد عهد « دراكون » بنحو ٧٠٠ سنة فيحتمل ألا يكون بيانه مضبوطا ؟ غير أنه مما لا شك فيه أن الأغريق أنفسهم اعتقدوا أن القوانين كانت صارمة جدا حتى قال عنها الخطيب الاثينى « دمادس » أنها لم تكن مكتوبة بالحبر بل بالدم ، وعلى أية حال فانها كانت خطوة للأثينيين فى أن يكون لهم قوانين يحكمون بها مكتوبة للجميع ، ولكن لم تلبث هذه القوانين مدة طويلة حتى حلت محلها قوانين أخرى .

«سولون»: ننتقل الآن من عهد الاشخاص المبهمة فى التاريخ مثل «ليكورجوس» وغيره من الاشخاص غير المعروفين لنا بصفة محسة مثل «دراكون» الى أشـــخاص

عرفناهم معرفة أكيدة مدونين فى تاريخ بلاد اليونان ، ونخص بالذكر أولا «سولون» الذى ينحدر من أسرة أثينية عريقة فى الحسب والنسب فكان أولا تاجرا ثريا لاحظ فى أسفاره كيف كانت تحكم المدن الاخرى ، ولقد رأى أن تشريع «دراكون» على الرغم من أنه قد وضع الحجر الأساسى للحكم المقنن يلمس جذور الفساد فقدكان يرى كل عام ظلم الأغنياء القليلى العدد والفقر الذى كان يتفاقم أمره بين صغار الزراع . ومن أجل ذلك عزم على أن يساعد «أثينا» ويعمل عملا نبيلا لبلاده وقد أخذ اسمه يعلو الى أن انتخب عام ٥٩٤ ق.م. «أركون» فأخذ يقوم باصلاحاته . وقد نقل بعض القوانين عن مصر كما أشرنا الى ذلك عند الكلام عن الملك أحمس الثانى .

والواقع أنه كان يوجد فى «أتيكا» عدد كبير من صغار الفلاحين يئنون من الفقر لدرجة أنهم كانوا يقترضون نقودا بأرباح فاحشة من كبار الملاك وغيرهم من أثرياء القوم بضمان ما ملكت أيديهم من أرض زراعية ، وهذا يعنى أنهم كانوا يرهنون أراضيهم أى أنهم كانوا يسلمونها لدائنيهم ، اذا لم يقوموا بتسديد ماعليهم من ديون . وهذه الأراضى المرهونة كانت محددة بأحجار (وتسمى أحيانا أعمدة الرهن) ، وغالبا ما كانت تبقى منتصبة هناك لا تزحزح اذا أخفق الدائن فى دفع ما عليه . وعلى ذلك كان المدين يستمر يعمل فى الارض التى كانت يوما ملكه ، والظاهر أنه كان يدفع سدس محصولها فائدة لدائنه . والناس الذين ليس لهم أرض أو الذين لم يكن فى مقدورهم دفع ما عليهم من ضريبة كان عليهم أحيانا أن يرهنوا أنفسهم وأسرهم وعندما يظل الدين قائما بعد ذلك يصبح هؤلاء الرهائن فى موقف العبيد الذين يمكن بيعهم فى داخل البلاد أو فى خارجها على يد أسيادهم .

وأول عمل قام به «سولون» أن خلع أحجار الحدود وحرر العبيد وحرم على الناس أن يبيعوا أنفسهم وألغى الديون التى فرضت بسبب ذلك . وهذا العمل كان يطلق عليه كلمة اغريقية معناها «نزع النير» وقد خلصت فعلا «أثينا» فى مدة وجيزة كل من كان حولها من رجال عوملوا معاملة سيئة ، وكانوا خطرا عليها خطر طبقة «هلوت» الذين كانوا شوكة فى ظهر «اسبرتا» فى كل أطوار تاريخها .

وقد حاول «سولون» أن يجعل من الأثينيين مواطنين يدب فيهم روح شعبى عال طيب فقسم الشعب طبقات وأعطى أحقر طبقة وهم الكادحون حق التصويت فى الجمعية العمومية للشعب ووضع محاكم تشريعية تتألف من مواطنين محلفين ورحب بالأجانب الذين كانوا يفدون على «أثينا» وشجع التجارة وشدد فى ضبط الموازين والمكاييل ولم يسمح لواحد أن يغتاب الأحياء فى الأماكن العامة كما كان محظورا عليه أن يذم الموتى ، وقرر أنه على كل والد ألا ينتظر معونة ابنه اذا لم يكن قد رباه ليكون صاحب تجارة أو حرفه ، كما أنه لم يسمح لأى فرد أن يقف على الحياد أى أن يقف بعيدا عن الاشتراك فى مصالح بلاده ، اذا كانت هناك أحزاب مختلفة فى البلاد . وأخيرا لم يسمح لأى امرأة أن تغالى فى زينتها وقد كتب «سولون» قوانينه هذه على ألواح من الخشب وحفظت فى قاعة المدينة (Prytaneum) ، وحتم على كل مواطن أن يطبعها .. وبعد أن أتم كل هذه الاصلاحات قام بأسفاره ثانية لمدة عشر سنوات ثم مات فى عزلته فى «أثينا» عام ٥٥٩ ق.م.

اثينا فى عهد « بيزستراتوس » Pesistratus

وقبل موت «سولون» ظهر على مسرح الحياة الأثينية رجل عظيم آخر يدعى «بيزستراتوس» وقد استمال الى جانبه عامة الشعب بميوله الديمقراطية المتطرفة وبخاصة سكان التلال الذين كانوا يقطنون الجهات المرتفعة بجوار «أثينا» ، وكان لنفسه منهم حزب يدعى حزب التل ، هذا بالاضافة الى المواطنين الذين لم يعمل «سولون» شيئا يرضيهم .

والواقع أن تشريعات «سولون» لم ترض كل طبقات الشعب مما أدى الى انقسام السكان ثلاثة أحزاب وهم أهل الشاطىء ، وأهل السهل ، ثم أهل التلال الذين كان على رأسهم «بيزاستراتوس» منذ عام ٥٦١ق.م .. ويقال انه ذات يوم كان يسير بعربته فى مكان السوق فأشار الى الجروح التى أصابته كما قال من يد أعدائه ، ولم يكن ذلك صحيحا اذ أنه قد جرح نفسه ليضلل الناس ، ولكن كلامه وجد أذنا صاغية وصدقه الشعب وأعطى حرسا مؤلفا من خمسين رجلا ولم يلبث أن زادوا الى أربعمائة جندى، وبمساعدتهم استولى على « الأكروبوليس » (Acropolis) (وهو التل

ذو الجوانب المنحدرة القائم فى وسط « أثينا ») وبعد ذلك فرض نفسه حاكما مطلقا على « أثينا » بوساطة حزبه المؤلف من رجال التلال .

وكلمة حاكم مطلق « تيرنت » لاتعنى فى الأصل حاكما قاسيا طاغية ، على الرغم من أن الحاكم المطلق يمكن أن يكون متصفا بهذه الصفات . وكلمة «تيرنت» تعنى هنا رجلا يحكم دون أن يحاسب أو يراقب من الدولة . وقد حكمت عدة مدن اغريقية فى أزمان مختلفة بحكام مطلقين كانوا سببا فى شهرة هذه المدن وعظمتها وثرائها . والواقع أن « بيزستراتوس » الذى أصبح الآن حاكما مطلقا على « أثينا » كان بلا نزاع يبغى مصلحتها وأراد أن يجعلها جميلة مثقفة قوية الجانب عزيزة السلطان ، فأعاد اصلاح معبد الالهة « أثينا » الذى كان على تل « الاكربوليس » ، وأعاد نشر أشعار « هومر » وقراءتها فى الأعياد العظيمة الخاصة بهذه الالهة . هذا وقد أمد المدينة بالماء النقى الصافى من التلال بواسطة قنوات ، كما شجع الأعمال فى الحقول ، وفى زمنه وصلت تجارة « أثينا » ومستعمراتها الى « الدردنيل » (هلسبونت) ، ولا بد أن المدن الاغريقية كانت تلاحظ بعين الحقد والغيرة السفن وهى محملة بالبضائع الى « أثينا » ومنها مما يدل على ثرائها وأهميتها المتزايدة .

ولا نزاع فى أن « بيزاسترتوس » كان له أعداء فى « أثينا » وهم الذين خرجوا عليه ونفوه مرتين ؛ ولكن أنصاره أعادوه كذلك مرتين . وفى النهاية مات عام ٥٢٧ق.م وقد خلفه ابنه «هبياس» حاكما مطلقا ولكن عندما أخذ يقسو على القوم وتحوم حوله الريب والشبهات نفى . وقد كان ذلك عملا مجيدا ، لان الاثينيين قد خلصوا أنفسهم من حكم الفرد المطلق وأصبحوا أحرارا .

« **كليستنيز** » **(Cliesthenes)** : رأينا فيما سبق أن « سولون » قد أنشأ المؤسسات وأقام الآلة التى تدار بها الديمقراطية الأثينية ، وقد رأينا كيف أن آلته لم يمكن ادارتها فقد كانت العقبة الخطيرة فى سبيل نجاحها هى القوة السياسية للعصبيات ، لأنه بابقاء « سولون » على العصبيات قد حافظ على نظام القبائل أساسا للدستور الذى وضعه ، ولكن لأجل أن تصبح الديمقراطية حقيقة واقعة كان لابد من حرمان العصبيات من القوة السياسية واحلال نظام جديد محلها . والرجل الذى قام بهذا

العمل العظيم هو « كليستنيز » الذى تولى زمام الحكم حوالى عام ٥٠٨ ق.م . فقد أضاف أشياء جديدة على قوانين « أثينا » مما جعل حكومتها ديمقراطية حقيقية ، وذلك أن تقسيم « سولون » البلاد طبقات قد وضع النفوذ الأعظم للدولة فى أيدى رجال المال وأصحاب الغنى فكان أول عمل قام به «كليستنيز» أنه غير هذا النظام فقسم الشعب مراكز مجمعة من قرى مؤلفة بطريقة جعلت الأقسام القديمة تتمزق وتجمع المواطنين الأحرار من كل الدرجات غنيهم وفقيرهم فى صعيد واحد لأداء واجبهم نحو الدولة ، وأصبحوا يعطون أصواتهم فى انتخاب « الاركون » وفى انتخاب المجلس المؤلف من خمسمائة عضو (خمسون عضوا لكل قبيلة) وهم الذين كانت قراراتهم لابد أن يصدق عليها من جمعية الشعب ، وعلى ذلك شعر كل مواطن بأن له نصيبا حقيقيا فى الحكومة ، وكان مفروضا على كل واحد أن يعطى ويأخذ . ولما كان المجلس مفتوحا لكل رجل يزيد عمره على الثلاثين ، فان كل واحد قد عرف أنه فى مقدوره أن يرقى الى مكانة عليا فى خدمة بلده .

وهذا النظام يقودنا الى زمن مدهش فى حياة « أثينا » . وذلك أنها بدلا من أن تبقى جامدة مثل « اسبرتا » قد تغيرت ونمت فى اتجاه الحرية الصحيحة ، وقد كان مهندسو العمارة والمثالون والصناع فى عمل مستمر أدى الى تجميل مدينتهم وتحسين حالة أهلها ، هذا بالاضافة الى أنها فى ذلك الوقت كانت قد شاركت المدن الاغريقية الأخرى فى الوقوف على المدهشات والأعاجيب التى كشف عنها فى تلك الفترة الأسفار التى قام بها أهل الفضل وأصحاب المخاطرات من رجالاتها الذين جابوا الأقطار المجاورة لبلادهم وبخاصة المستعمرات التى أسسها هالى بلاد اليونان فى آسيا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، هذا بالاضافة الى أهل العلم والمؤرخين الذين زاروا مصر وبلاد فارس وغيرها وتركوا لنا عنها المؤلفات الممتعة التى تصف أحوال تلك البلاد وتاريخها بشىء من التفصيل . وتدل البحوث العلمية الحديثة على أن فلاسفة اليونان وعلماءها قد نقلوا الكثير من العلوم المصرية الى بلادهم مما سنتحدث عنه فى فصل خاص يظهر فيه مقدار تأثير مصر فى العلوم الاغريقية .

الحروب التى وقعت بين الاغريق والفرس

مقدمة : ان حلقة اتصال بلاد اليونان بالعالم المتمـدين ترجع بنا الى القرن السابع قبل الميلاد فقد كانت متصلة بمصر منذ عهد الملك « بسمتيك الأول » كما بينا ذلك فى غير هـذا المكان كما أخذت تتصـــل بالشرق عن طريق ســاحل آسيا الصـــغرى الذى يدعى « أيونيـــا » وبخاصــة بدولة « ليـــديا » التى كانت تقع على مســــافة ألف ميل فى الشمال الغربى من بلاد « بابل » • وكانت « ليـديا » هـذه غنية بأرضها الخصبة ومناجم الذهب التى تحتويها كما كان موقعها من حيث التجارة عظيمـا جدا لدرجة أن ملـكها « كرســوس » كان يضرب به المثل فى الثراء ، والواقع أنه كان مسيطرا على الجزء الغربى من « آسيا الصغرى » بما فى ذلك المدن الاغريقية الأيونية التى كان قد استولى عليها •

وتقع بين بلاد « بابل » و «ليديا» دولة كبرى أخرى من دول الشرق تدعى «ميديا» وكانت حدودها وقتئذ تتاخم حدود مملكة « كرسوس » وهؤلاء الميديون وجيرانهم الفرس كان يربط بعضهم ببعض روابط ســلالية قوية ، وعندما اشتد ســاعد دولة الفرس الفتية فى عهد ملكها « كورش » الأكبر (٥٢٩ ق٠م •) وصارت أقوى من الميديين وفتحت بلادهم، فضل حاكم « ميديا » الذى كانت تربطه بملك الفرس قرابة دم أن تنضم المملكتان وتؤلفان دولة واحدة باسم مملكة الفرس ، وبعد ذلك أخذ ملك الفرس « كورش » يفتح الممالك الـكبرى المجـاورة له فى تلك الآونة ، وهى التى كانت أنهكتها الحروب ، واستولى على ممتلكاتها ، ففى الجهة الغربية من ممتلكاته كان الملك « كروسوس » ملك « ليديا » فقهر بلاده وبذلك أصبح المسـيطر على مملكته وامبراطوريته بمـــا فى ذلك مدن « ايونيا » الاغريقيـــة ، وفى الشرق هزم « بابل » وأصبحت امبراطوريتها فى قبضة يده • وفى « بابل » وجد هناك يهودا نفاهم بختنصر من «أورشليم » منذ ستين ســـنة مضت • ولما كان « كورش » هذا ملكا رحيما فانه

أصـدر منشـورا سـمح فيه لليهود بالعودة الى بلاد يهوذا التى أصبحت جزءا من امبراطوريته [1] .

وبعد موت « كورش » خلفه على العرش ابنه لبضع سنين استولى بعدها على صولجان الملك ملك عظيم يدعى « دارا » الأول الذى كانت امبراطوريته وقتئذ تشمل مصر وتمتد شرقا عبر حدود الهند . وسنرى ماذا يكون مصير بلاد الاغريق عندما يأتى دورها مع هذا الفاتح العظيم وبلاده المترامية الأطراف القوية البطش . والواقع أن الملك « دارا » (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) قد ربط أطراف امبراطوريتـه بشبكة طرق تؤدى الى « سوس » عاصمة ملكه . فمن مدينة «سرديس» مقر معسكره فى غربى ممتلكاته كانت توجد طريق طولها ١٥٠٠ ميل محروسة عند ممرات الجبال وعند مصاب الأنهار بجنود فارسية ، وكانت السياحة بين المدينتين تستغرق ثلاثة أشهر غير أن الرسائل المستعجلة كانت تنقل من « سوس » واليها فى أسبوع وذلك لأنه كانت توجد محاط بريد واصطبلات خيل لغيار البريد على مسافات تبعد الواحدة منها عن الأخرى أربعة عشر ميلا ، حيث كان ركاب خيل البريد على استعداد ليل نهار لحمل الرسائل بالتناوب على ظهور الخيل . وعندما كان آخر حامل بريد من هؤلاء يقترب من هدفه كان يرى أمامه سهلا خصبا ومياها غزيرة ، ويكتف السهل جبال على مسافة منه ، وفى هذا السهل الخصيب كانت تقع مدينة « سوس » العظيمة التى قدر محيطها بعض كتاب الاغريق بما بين خمسة عشر وعشرين ميلا ، والواقع أنها تؤلف طوارا هائلا أقيم عليه قصر الملك . وهناك كان الرسـول يرقى السلم العظيم ويمر بالجرس الملكى ثم يدخل قاعة ذات عمد شامخة حيث كان يتربع الملك العظيم على عرشه المصوغ من الذهب والفضة ، يحيط به مستشاروه وكتبته ، وهنا كان يتسلم من رعاياه ذهبا وفضة وبخورا وعاجا وأبنوسـا وجزية من كل نوع ، كما كان يستقبل السفراء من ممتلكاته وكذلك « الشطاربة » (وهم حكام الأقطار التى كان يسيطر عليها

---

(١) عزرا - الاصحاح الأول السطر ١ -

وعددهم عشرون حاكما أو «شطربا») وكان يستقبل موظفى احصاء يسمون عيون الملك وآذانه وهؤلاء الرجال كانوا يطوفون فى أنحاء البلاد ويرقبون « الشطاربة » وغيرهم من كبار رجال الدولة ليروا اذا كان هناك مايجب أن يعرفه مليكهم . والواقع أن كل شيء كان فى يد « دارا » وكان سيفه هو القانون ، ولكن على الرغم من سلطانه المطلق فانه كان حاكما عاقلا ومعتدلا فى معاملاته لقومه بالنسبة لعصره هذا اذ لم يثوروا عليه .

ولم يكن فى بلا الفرس معابد للآلهة كالتى فى بلاد « اليونان » و « مصر » و«بابل» و « أشور » ، وذلك لأن القوم كانوا يعبدون الها واحدا عظيما يمثل الخير وهو الاله « اهورامازدا » أو « أورموزد » الذى حدد طريق النجوم وحفظ الأرض والسماء وجعل القمر ينمو ويصغر ؛ وسخر الهواء والسحاب ، وخلق النور والظلام والنوم والصبح والظهيرة والليل [1] . وكانت توقد نار مقدسة على رءوس الجبال على مذابح ، وذلك لأنها كانت رمزا للآله . وكانت تناهضه قوة أخرى للشر تدعى « اهيرمان » وكان نصيبها فى النهاية الهزيمة على يد قوة الخير . وهذه كانت ديانة رفيعة المغزى ، اذا ما قرنت بالديانة الاغريقية لما فيها من معنى روحى أعلى وأرقى . ومعظم هذه التقاليد الدينية الفارسية تعزى للمفكر الدينى العظيم « زوروواستر » الذى انبثق من أرض « فارس » ، غير أننا لا نعلم على وجه التأكيد فى أى تاريخ ظهر ، والمحتمل أنه جاء حوالى ألف سنة قبل الميلاد .

تلك هى أحوال بلاد « الفرس » قبل دخولها فى الحروب الطاحنة التى دارت رحاها بينها وبين بلاد اليونان التى كانت لاتكاد تعادل مساحتها احدى مديرياتها الصغيرة

الحرب الأولى : وقد بدأت حرب « فارس » الأولى على بلاد اليونان عندما أخذت المستعمرات الأيونية تثور على الحكم الفارسى فيها بعد أن ضمها الى ممتلكاته . والواقع أن المدن الأيونية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى كانت تمارس تجارتها فى

(١) راجع Cambridge Ancient Hist. vol. IV p. 207

سلام فى عهد « دارا » وكان سكان هذه المدن أحرارا فى اتباع عاداتهم وقوانينهم ودياناتهم ، وتلك كانت من حسنات دولة « فارس » فى ذلك العهد اذ لم تكن تتدخل فى شئون مستعمراتها الخاصة مما جعلها تبقى مدة طويلة . فكانت على ذلك كل مدينة من مدن « ايونيا » تمارس أحوالها الخاصة ، ولكن كان على رأسها حاكم مطلق اغريقى نصبه الملك ، وهذا نوع من الحكم كان محببا عند « الفرس » ، ولكنه كان مبغضا عند الاغريق الذين جبلوا على حب الديمقراطية ، وفضلا عن ذلك كان على «الشطرب» (الحاكم للاقليم) أن يحقق ولاء هذه المدن للملك بأن تدفع ماعليها من جزية وتقوم بما عليها من خدمات عسكرية للجيش الفارسى وأسطوله عندما تدعو الحاجة لذلك . وقد أخذ السكان الاغريق فى هذه المدن يتذمرون لفقدان حريتهم ، وانتهى الأمر أن قاموا بثورة عام ٤٩٩ ق.م . وقد اندلع لهيبهـا من مدينة « ميليتوس » (Miletus) وهى أهم مدينة أيونية على ساحل « آسيا الصغرى » ، وبعد ذلك تتابعت الثورات فى المدن الأخرى والأمل مشتعل فى قلوبهم بغية التخلص من حكم الفرس . وقد طردوا فعلا حكامهم المستبدين وقد التجأت هذه المدن الى « اسبرتا » طالبة النجدة ولكنها رفضت فى حين أن « أثينا » أرسلت الى الثائرين عشرين سفينة كما أرسلت بلدة « أرتيريا » الواقعة فى جزيرة «ايوبوا» (Euboea) خمس سفن لتساعد الأيونيين على مهاجمة «سارديس» التى كانت تعد المركز الرئيسى للجيش الفارسى ، وقد استولوا على المدينة كلها الا قلعتها عندما أشعل جندى النار فى احدى بيوتها ـ وقد يكون ذلك من باب الصدفة ـ التى كانت مبنية بالغاب والقش المدهوك بالخلط . وكانت نتيجة ذلك أن شبت النار فى كل المدينة ، والظاهر أن أهلها قد وصلوا الى اتفاق مع الفرس ومن ثم عاد الآثينيون وأهل «أرتيريا» فى سفنهم الى وطنهم . وقد ترك لنا «هردوت» والد التاريخ صورة حية عن شعور الملك «دارا» عندما سمع بهذا الحادث ، اذ يقول : لم يعر أى التفات أهل « أيونيا » ـ لانهم لن يفروا من العقاب ـ ولكن قال : « من هم الآثينيون ؟ » وعندما

أخبر خبرهم طلب قوسه وركب فيه سهما وأطلقه فى السماء ودعا «زيوس» (يعنى « أورموزد » أكبر آلهة الفرس) أن يمنحه القدرة على الانتقام من الاثينيين ، وبعد ذلك أمرَّ أحد خدمه أن يقول له ثلاث مرات عند كل وجبة يتناولها : « سيدى اذكر الاثينيين » ـ ولا بد أن نلحظ هنا أن المؤرخين القدامى كان من عادتهم أن يصوغوا بأسلوبهم هم أقوال الشخصية التى يتحدثون عنها ، أو حتى يتخيلوها ، وهذه الكلمات كانت فى الواقع ثمينة . لأنها من جهة تشمل كثيرا من الحقيقة ومن جهة أخرى لأنها وهى صادرة من مؤلف ماهر تقدم لنا نظرة فاحصة عن عقول المتكلمين فى الازمان التى عاشوا فيها . وقد جمع «دارا» الاول جموعه ، وبعد أربع سنين نجح فى اخماد ثورة هذه المدن فعاقب «ميليتوس» أشد العقاب وأقساه ، اذ قتل رجالها ونفى النساء والاطفال الى «سوس» ووضع حامية فارسية فى قلعتها . وقد شعرت «أثينا» بأعمق الحزن وأمره عند سقوط «ميليتوس» وعلمت أن دورها سيكون التالى .

أول غزو فارسى لبلاد الاغريق :

باءت أول محاولة قام بها «دارا» لغزو بلاد الاغريق بالفشل ، وذلك لأن عاصفة هوجاء حطمت مائتين من سفن ملكها العظيم بعيدا من جبل « آتوس » أما باقى الجيش والاسطول فقد اضطروا الى التقهقر . وبعد مضى عامين على هذا الحادث كان «دارا» على استعداد لمحاولة غزو بلاد الاغريق ثانية ، وقد أرسل أولا رسلا لجزر بحر «ايجه» ومدن الاغريق طالبا منها ترابا وماء رمزا للخضوع له ، وقد أطاع معظم الجزر وأرسلوا له ما طلب الا «أثينا» و «اسبرتا» ومدن أغريقية أخرى فانها رفضت على الرغم من أنها كانت تعلم أن ذلك يعنى قيام حرب عليها . وعندئذ أرسل «دارا» أسطوله المؤلف من ستمائة سفينة الى «أرتريا» فى جزيرة «ايوبا» ونزل هناك جيشه . وقد حارب أهل المدينة ستة أيام صادين هجوم العدو الجبار ، ولكن خائنين من بين السكان فتحوا أبواب المدينة للعدو الذى استولى عليها ونهبها وحرق معابدها واغتصب الناس وساقهم الى العبودية وذلك على حسب أمر «دارا» .

وتحرك بعد ذلك الاسطول الفارسى الى بلدة «ماراتون» الواقعة على الشاطىء الشرقى «لا ُتيكا» على مسافة اثنين وعشرين ميلا من «أثينا» وأنزل جزءا من الجيش على سهل الساحل ، وقد ظن البعض أنهم فعلوا ذلك لأجل أن يحملوا الاثينين على سحب جنودهم من «أثينا» ، وذلك لانه كان يوجد حزب فى المدينة يريد أن يعيد الحاكم المطلق «هبياس» الذى أتى على أحد السفن الفارسية لمساعدتهم . وكان حزب «هبياس» يتا مر مع الفرس ليدخلوا المدينة التى لم تكن محصنة وقتئذ .

وعندئذ أرسلت «أثينا» الى «اسبرتا» بريدها السريع «فيديبيدس» الذى قطع مسافة مائة وأربعين ميلا فى ثمان وأربعين ساعة وسلم التماس النجدة العاجلة . وقد رجا أهل «أثينا» اللاسيديميين [1] ألا يقفوا على مقربة منهم ويشاهدوا أقدم مدينة فى بلاد الأيون تصبح أسيرة فى يد قوم همج ، وكانت «ارتريا» قد وقعت فى ذل العبودية وصارت بلاد الاغريق ضعيفة بفقدان مدينة عريقة فى المجد ، ولكن «اسبرتا» وقتئذ كانت تحتفل بعيد دينى تحرم قوانينه عليها أن تخرج من ديارها قبل تمام الفجر . والواقع أن «أثينا» كانت فى خطر ولذلك فان التأخر أو التردد من جانب الاهالى سيكون من نتائجهما أن يمكن الفرس من القيام بالهجوم وبخاصة أن المدينة لم تكن مسورة . وفى هذه الا ونة كان تحت قيادة القائد الاعلى للجيش المسمى «كاليماكوس» عشرة قواد يسمى واحد منهم «ملتياديز» . وقد كان من رأيه أن يقاوم العدو عند المكان الذى رسا فيه أسطول الفرس وقد اتبع رأيه ، وبعد مسيرة يوم واحد كان تسعة آلاف جندى يقفون على التلال القريبة من «ماراثون» مطلين على السهل الذى بينهم وبين البحر وقد كانوا وحدهم من الاثينيين ، ولم يكن يساعدهم الا ألف جندى أرسلتهم الى هناك مدينة صغيرة تدعى «بالاتيا» (Palataea) من أقليم «بوشيا» (Boeotia) ، وكانت قد وضعت نفسها تحت حماية « أثينا » منذ عشرين سنة مضت . وأسفل من الجيش الاثينى كانت ترسو السفن الفارسية على مسافة تتراوح

(١) وكلمة «لاسيدمون » تعبير آخر عن « أسبرتا » وتعنى كذلك أحيانا كما هى الحال هنا كل أقليم « لاكونيا » الذى كانت تؤلف منه « أسبرتا » جزءا

مابين ميلين وثلاثة . والرأى السائد هو أن الفرسان كانوا قد أنزلوا ثانية لأجل أن يقوموا بهجوم مفاجىء على «أثينا» . أما المشاة فقد اصطفوا فى السهل بالقرب من البحر فى خط طويل . وقد عقد «كاليماكوس» مجلسا حربيا وقد انقسم قواده فريقين فريق يحبذ التمهل وفريق يريد العمل فى الحال ، وكانوا خمسة ضد خمسة ، ولكن «ملتياديز» حث على ضرورة القيام بهجوم باسل سريع لأن «أثينا» كانت فى أعظم خطر يهدد حياتها ، وأن هذه اللحظة لابد أن تقرر مصيرها ، وعندئذ قرر «كاليماكوس» الهجوم ، فصف جنوده استعدادا للمعركة على العدو وقد جعل صفه بنفس طول الصف الفارسى وقواه فى الجناحين ولكن فى الوسط كان عمقه لا يتجاوز بضعة صفوف . وقد أعطيت اشارة الهجوم وعندئذ تقدم الجنود الاغريق الى الامام بسرعة على العدو ، وقد ظن الفرس أن هؤلاء الجنود قد أصابهم مس بلا ريب والتحموا معهم فى حومة الوغى ، وقد استولت عليهم الدهشة عندما رأوا أنفسهم مضطرين الى التقهقر نحو التلال . وكان الجناحان ـ جناحا الجيش الاغريقى ـ على حذر من أن يتابعوا عدوهم الى مسافة بعيدة ، بل التفوا حولهم وشتتوا شمل قلب الجيش الفارسى المنتصر فى هجوم سقط فيه كثير من جنود العدو صرعى وبعد ذلك هربت البقية الباقية من جيش الفرس الى سفنهم والاغريق يقتفون أثرهم ونشب بينهم صراع بالأيدى فقتلوا منهم عددا عظيما واستولوا على سبع سفن فى النهاية .

وقد اقتبس المؤرخ «هردوت» شائعة تقول ان الفرس فى أثناء اقلاعهم بسفنهم رئى درع يسطع من قمة جبل خلف «ماراثون» يقع بينها وبين «أثينا» . وقيل أن ذلك كانت اشارة من الخونة فى المدينة ليظهروا للفرس أنه يمكنهم أن يدخلوا «أثينا» .

وقد لف الفرس حول الساحل حتى وصلوا الى الميناء الشرقية «لأثينا» ، ولكنهم وجدوا الاثينيين قد ساروا بسرعة خاطفة من «ماراثون» ووقفوا هناك أمامهم . وقد كان نجاح الاثينيين فى ملاحقتهم بهذه السرعة على مايظهر سببا فى خيبة المؤامرة ، وعندما علم الفرس بانتظار جيش «أثينا» المفاجىء لمنازلتهم عادوا الى بلادهم يجرون ذيل الخيبة والهزيمة .

وبعد أن تمت كل هذه الاحداث جاء الى «أثينا» ألفان من جنود «اسبرتا» بعد تمام القمر ، ومن ثم ذهبوا الى «ماراثون» ليشاهدوا مكان الواقعة ، وهناك امتدحوا الجنود الاثينيين على ما أحرزوه من نصر مبين ، ثم عادوا ثانية الى «اسبرتا» . على أن هذا النصر لم يسحق الجيش الفارسى تماما ، وذلك لأنه لم يشترك فى المعركة الا جزء منه فضلا عن أن الفرس كان لديهم موارد كثيرة لتأليف الجيوش الجرارة ولكن النتيجة الهامة فى ذلك أن اسم «أثينا» أصبح مشهورا فقد كان فى استطاعتها دون مساعدة تقريبا أن تجبر جيش الفرس الرهيب الجانب على أن يتقهقر الى بلاده مقهورا .

غزوة الفرس الثانية لبلاد الاغريق سنة ٤٨٠ ق . م .

لم ينس الفرس الصدمة التى صدموها فى موقعة « ماراثون » ولذلك بيتوا لغزو بلاد الاغريق كرة أخرى . وقد بدأ الفرس غزوتهم بعد مضى عشرة أعوام على الغزوة الأولى ، ولم يكن هجوم الفرس هذه المرة موجها على « أثينا » و « أيوبوا » وحسب ، بل على كل بلاد الاغريق بأسرها . وكانت « أسبرتا » فى هذه الحرب الثانية هى الدولة القائدة للحرب . والواقع أنها قد أظهرت رغبتها فى أن تأخذ بنصيبها كاملا فى الحروب المقبلة . أما «أثينا» فانها على أية حال قد قدمت للقتال أسطولها ومالها من دراية بحرية، تلك الدراية التى جعلت النصر فى جانب الأغريق . وقد رأى أحد رجال سياستها هو « تمستوكليس » فى الوقت المناسب أن الخطر كان داهما وأن النصر سيكون فى جانب من تكون له السيادة البحرية . وكان فى «اتيكا» فى هذا الوقت منجم فضة يخرج كميات عظيمة من هذا المعدن ولذلك أغرى «تمستوكليس» الاثينيين على أن يكونوا بحارة ماهرين ، وأن ينفقوا هذه الثروة على بناء سفن حربية مجهزة بمجاديف كثيرة وشرع كبيرة ، وكانت « أثينا » فى هذه الآونة لها أسطول يفوق بكثير أى أسطول آخر فى بلاد الاغريق .

أما الفرس فكان ملكهم «دارا الأول» كذلك يستعد لحملة أخرى على بلاد اليونان ولكنه مات عام ٤٨٦ ق.م. وخلفه ابنه «اكزركزيس» الذى اشتهر بضعفه وغروره ،

ولم يرث شيئا من عظمة والده ، وقد استمر فى التعبئة للحرب على نطاق واسع . وقرر أن جيشه الذى جنده من الست والاربعين أمة التى تتألف منها امبراطوريته يجب ألا يعرض الى بحر ايجه العاصف بل يجب أن يسير حول ساحل بلاد الاغريق فى حين أن الأسطول يكون على اتصال معه بحرا . ومن أجل ذلك حفرت قناة للاسطول فى برزخ جبل « آثوس » (Athos) الذى كانت تصطدم فيه العواصف وهو الذى كانت قد غرقت فيه سفن «دارا الاول» منذ اثنتى عشرة سنة خلت . وكذلك أقيمت قنطرتان من السفن على مضيق «هلسبونت» (الدردنيل الحالى) لأجل مرور الجيش فى سلام . وفى خلال هذه التجهيزات كان جيش الفرس يتجمع عند «ساردیس» . وفى هذه المدينة جاءت الاخبار الى «اكزركزيس» بأن القنطرة الأولى التى أقيمت على «الدردنيل» قد حطمتها عاصفة . ويحدثنا «هردوت» هنا بأسلوبه القصصى البديع أن غضب «اكزركزيس» قد وصل الى حد كبير حتى أنه أمر بقطع رقاب المهندسين الذين أقاموا هذه القنطرة وأن تضرب مياه «الدردنيل» بالسوط مائة مرة ، هذا وقد نطق بالكلمات الجوفاء الآتية على المضيق : « أنت أيتها المياه المرة ، ان سيدك يوقع هذا العقاب عليك لأنك قد ارتكبت جرما فى حقه وهو لم يخطىء قط فى حقك ، وان الملك «اكزركزيس» سيعبرك سواء أردت أم لم تردى، وانه لمن الصواب ألا يضحى أى انسان لك لانك نهر ثائر أجاج ! » . وفى الحال أمر بعمل قناطر جديدة من مراكب حربية وقوارب أخرى يعلوها أمراس قوية ومغطاة بطريق مصنوعة من الألواح الخشبية ومكدسة بأغصان من الخشب والطين المثبت ، وقد أحيطت من كلا الجانبين بأوتاد من الخشب حتى لاتنزعج الخيل أو الحيوانات الأخرى من منظر البحر عند عبورها له .

وعندما تمت جميع الاستعدادات بدأ الجيش يزحف من «ساردیس» . وقد كان أول ماتحرك هو الامتعة والحيوانات ثم جيوش من أمم عدة ، وكان ذلك يؤلف أكثر من نصف الجيش كله . وقد تبع ذلك فرسان الفرس ورجال الحراب وقفوا بعشرة آلاف

حصان حجمها غير عادى ومطهمة بفاخر العدة ، وأتى بعد ذلك ثمانية جياد بيض والعربة المقدسة للاله « أور موزد » خالية يقودها سائس يمشى على قدميه ، لأنه كان محرما على أى بشر أن يجلس فيها • وبعد هذه العربة جاء «اكزركزيس» نفسه فى عربة يسير خلفها رجال حرابه وخيالة آخرون ، وكذلك عشرة آلاف فارس من المشاة مسلحين بأفخر العدد • ويقول لنا «هردوت» ان هؤلاء كانوا يسمون «المخلدين» لان كل من فقد من بينهم كان يحل محله آخر لأجل أن يبقى عددهم كاملا غيرمنقوص باستمرار • وقد وصل الجيش عند مضيق «هلسبونت» ، وأخيراً جاء يوم عبورهم له • وعند بزوغ الشمس استيقظ «اكزركزيس» من نومه وجلس على عرش من المرمر الأبيض مطلا على المضيق ودعا ووجهه نحو الشمس ألا يعوقه شيء عن فتح أوربا حتى أقصى حدودها • وبعد ذلك بدأ الموكب يتحرك عبر القنطرة فى حين أن المتاع وحيوانات الحمل كانت تعبر المضيق على قنطرة أخرى من السفن • وقد سار الجيش غربا حتى وصل الى سهل عظيم فى «تراقية» حيث أحصى «اكزركزيس» مشاته • ولما كان عددهم كبيرا لا يحصى فان عشرة آلاف منهم قد حشدوا فى مساحة تسعهم بالضبط ، وهذه المساحة قد فرغت ثم ملئت مائة وسبعين مرة • ولا بد أن تكون رواية « هردوت » مبالغا فيها • وعند هذه النقطة يصف لنا « هردوت » الجنود المختلفى المظاهر والاشكال فكان منهم الاشوريون مثلا بخوذاتهم البرنزية الملتوية وعصيهم ذات العقد الحديدية ، والكاسبيون بعباءاتهم المصنوعة من الجلود حاملين سيوفا مستقيمة قصيرة ، والهنود مرتدين ملابس قطنية ومسلحين بسهام من الغاب مركب فيها أسنة من الحديد ، والاثيوبيون السود لابسين جلود فهود أو جلود أسود على أجسامهم التى كانوا يصبغونها باللون الأحمر أو الابيض للمعركة ومسلحين بأقواس طول الواحد منها ست أقدام من جريد النخل ، والتراقيون مرتدين جلود ثعالب على رءوسهم وعباءات مختلفة ألوانها فوق قمصانهم وينتعلون اخفافا فى أقدامهم وعلى سيقانهم جلود الظباء ، والليسيون الذين كانوا يرتدون قبعات مزركشة بالريش ، واللوبيون

ذوو الشعر الملبد الذين كانوا يلبسون ملابس من الجلود وحرابهم من الخشب محروقة أطرافها ، وكثير غير هؤلاء من الذين كان يتألف منهم الجيش الفارسي .

ونجد في الوقت نفسه أن ممثلين لكثير من المدن الاغريقية قد عقدوا اجتماعا عند برزخ «كورنت» وقرروا أن يؤلفوا جيشا يكون تحت قيادة «ليونيداس» (Leonidas) أحد ملكي «اسبرتا» . وقد شعرت «أثينا» آنذاك أنها صاحبة الحق في قيادة كل الاسطول المتحد ، ولكن لما كان كثير من الحكومات الاغريقية ترغب في جعل القيادة «لاسبرتا» فان «أثينا» نزلت عن حقها بسبب الخطر الذي كان يهددهم جميعا .

موقعه « ترموبيلي » عام ٤٨٠ ق . م (Thermopylae)

بعد أن اخترق «اكزركزيس» «تراقيا» و «مقدونيا» اتجه جنوبا فاتحا كل مافي طريقه الى أن وصل الى المكان «المسمى» «ترموبيلي» وهو ممر ضيق بين البحر والجبل. وكان قد سمي «بوابة بلاد الاغريق» ولكن دهش اذ وجد أنه أقفل في وجهه بجنود « ليونيداس » الذين يبلغون حوالي سبعة آلاف اغريقي كان من بينهم ثلاثمائة محارب اسبرتيي الأصل ، وعدد كبير من جنود شبه جزيرة «بلوبونيز» ، وبعض جنود من أقليم «بوشيا» المجاور لأقليم «اتيكا» . وكان جنود «اسبرتا» قد اصطفوا أمام صف الجنود الاثينيين على حسب الرواية التي نقلها الجواسيس للملك «اكزركزيس» — ولم يظهروا من أجل ذلك أي وجل أو رعب ، بل كانوا اما منهمكين في اللعب والرياضة، واما منصرفين الى تسريح شعورهم الطويلة كما كانت عادتهم دائما قبل المعركة .

وقد استولت الدهشة على «اكزركزيس» عندما رأى ذلك فمكث أربعة أيام منتظرا العدو أن يتقهقر ، وبعد ذلك لما فرغ صبره أمر جنوده بالهجوم ، واتخذ مكانه على عرشه ولاحظ سير المعركة . وقد صدت الجنود الفارسية حتى «الخالدين» يومين متتالين ، وظل الممر في يد الاغريق ، وقد استولى الذعر على «اكزركزيس» حتى أنه قفز ثلاث مرات على مايقال من فوق عرشه خوفا على جنوده .

هذا وكلذ يحمي طريقا على الجبال جنوبي الممر ألف جندي من أهل «فوسيس»

وهى دويلة أغريقية صغيرة قامت بهذه الخدمة من تلقاء نفسها ، غير أن خائنا من أهل الاقليم يدعى «افيالتيز» (Ephialtes) انقلب على وطنه وأرشد الفرس الى الطريق عبر الجبال وفى فجر اليوم الثالث سمع أهل «فوسيس» وقع اقدام جنود العدو على أوراق شجر البلوط المتساقطة على الارض فهربوا واستمر جنود الفرس فى سيرهم • وعندما سمع « ليونيداس » بذلك صرف حلفاءه ــ ومن الجائز أنه كان يأمل من وراء ذلك أنه يكون فى مقدورهم أن يهاجموا الفرس عندما كانوا ينزلون من الجبال فى خلفه ــ وبقى هو وجنود « اسبرتا » معا مضافا الى ذلك بعض جنود « بوشيا » (ويبلغ عددهم حوالى ألف مقاتل) للمحافظة على الممر ، وقد ظنوا أن الفرس عندما يطلقون سهامهم ستحجب السماء نفسها من كثرتها وقد عقب واحد منهم على ذلك قائلا : وهذه أخبار سارة فسنحارب اذا فى الظل » • ذلك هو الروح الذى قابل به الجنود الاغريق الحرب الهائلة التى أعقبت ذلك ، فقتل « ليونيداس » وتقهقر رجاله شيئا فشيئا ثم أحيطوا وقتلوا وقد أقيم على مكان دفنهم فى ساحة الموقعة تذكار فيما بعد نقش عليه مايأتى :

« احمل الاخبار الى « اسبرتا » أيها الغريب المار هنا
بأننا نرقد طائعين لكلمتها هنا »

زحف بعد ذلك «اكزركزيس» على «أثينا» ولكنه وجدها تقريبا خاوية على عروشها فقد أبحر غير المحاربين من أهلها طلبا للتجارة الى جزيرتى « سلامس » و « أجينا » المجاورتين ، لأن ذلك كما قال « تمستوكليس » هو ماكان يقصده وحى « دلفى » الذى نصحهم بأن يتقوا فى جدرانهم الخشبية (أى سفنهم وسينتصرون بحرا) • وقد استولى « اكزركزيس » على المدينة من يد العدد الضئيل من الجنود الذين كانوا يدافعون عنها وحرق معابدها وبيوتها ، وأخيرا عوقبت «أثينا» وانتقم لمدينة «سارديس» وبعد ذلك أرسل خبر هذا النصر المبين الى « سوس » عاصمة ملكه فدوت شوارعها بأنغام الفرح ونثرت بأغصان الغار •

وفى خــلال ذلك كان كل من الأسـطولين الاغريقى والفـارسى يحارب بعضهما بعضا على مسافة من الشاطىء وكانت الحروب بينهما فى الجهـة الجنوبية . وكان عدد السـفن الذى أرسلته « أثينا » ثمانين ومائة سـفينة فى حين أنه لم يكن بين المدن الاغريقية الأخرى من أرسل أكثر من ثلاثين سفينة .

واقعه « سلامس » البحرية ٤٨٠ ق . م

تقع جزيرة « سلامس » غربى «أثينا» وتسد جونا يظهر كأنه بحيرة بخليج ضيق على كل من جانبيه ، وهنا تجمعت السفن الاغريقية . وكان « تمستو كليس » يعلم أن قواد البلوبونيز يرغبون فى أن ينسحبوا الى « كورنث » وينضمون الى قواتهم البرية التى كانت قد بنت بسرعة جدارا عبر البرزخ لحماية أنفسهم ، وذلك كان لايعنى فقط هلاك اللاجئين من الاثينيين بل كان فيه كذلك خراب بلاد الاغريق لأن أملها الوحيد كان تحطيم سفن الفرس ، ومن أجل ذلك أرسل « تمستوكليس » رسـولا الى الملك العظيم « اكزركزيس » مدعيا فيه بأنه على ود وصـفاء معه وحاثا اياه على أن يسرع فى الهجوم والا فان السفن الاغريقيـة التى فى الجون قد تهرب قبل حلول الليل وقد وقع « اكزركزيس » فعلا فى حبائل هذه المكيدة وقرر حصر سفن العدو فجلس على عرش وضع على منحدر جبل يطل على المضيق الشرقى يحيط به كتابه على أهبة تدوين الملاحظات عن النصر الذى كان ينتظره ؛ وفى غربى المضيق كان ينتظر آخرون وهم الهاربون من «أثينا» على جزيرة « سلامس » التى كان مصيرها معلقا على هذه الواقعة .

بدأ الاسطول الفارسى يتحرك الى الأمام عند انفلاق الصـباح وتقـدم الاغريق لمقابلتهم ، وكلما دخلت السفن الفارسية المياه التى كانت تأخذ فى الضيق اشتد ازدحامها وأصبحت لا ساعد لها ، وقد اضطرت أن تتلاصق بعضها ببعض وتقـابل أطرافهـا وسادت فى وسطها الفوضى بسبب كثرة عددها وبهجوم مراكب الاغريق عليها ، وقد غرق أو حطم أمام عينى « اكزركزيس » مائتا سفينة من سفنه وقتل رجالها أو غرقوا وعند غروب الشمس كان كل شىء قد انتهى ، وقبل الفجر هربت البقية الباقية من

الأسطول الفارسى الى « هلسبونت » . بعد ذلك عاد « اكزركزيس » الى بلاده بطريق البحر مع جنوده ، وقد مات كثير منهم من الجوع أو بالطاعون ، وما بقى منهم على قيد الحياة عبر «هلسبونت» ووقفوا ثانية فى آسيا . ومن ثم لم يحقق «اكزركزيس» حلمه بفتح أوروبا . وترك « اكزركزيس » خلفه أحد قواده لقيادة جيش عظيم ، ولكنه هزم فى واقعة كبيرة عند « بلاتا » (Platea) فى اقليم « بوشيا » فكانت هذه الضربة نهاية الفرس فى بلاد الاغريق . وقد انتصر الاغريق فى نفس السنة (٤٧٩ ق.م) على الأسطول الفارسى على ساحل آسيا الصغرى ، وقد كان هذا النصر هو بداية تحرير البلاد الأيونية من حكم الفرس . وهكذا نرى أن بلاد اليونان الحرة قد صدت بعيدا عنها الاستبداد الفارسى أو بعبارة أخرى الشرقى وهذه لحظة حاسمة فى تاريخ العالم .

هذه الحقائق التى دوناها هنا مأخوذة عن المؤرخ الاغريقى « هردوت » وهو أكبر مصدر لدينا عن حروب هذه الفترة ، وبخاصة أنه عاشرها وعاش فيها . وقد ترك لنا أحد شعراء الاغريق فى هذا العهد رواية تمثيلية تصف لنا الأحوال والحوادث كأنها الشاهد العيان . والتمثيلية للشاعر « اسكيلس » (Aeschylus) وقد سماها « الفرس » كتبها بعد واقعة « سلامس » بثمانية أعوام .

ومنظر الفصل الاول منها هو قصر مصيف الملك العظيم فى «سوس» على مقربة من قبر الملك «دارا الأول» ، وذلك بعد حدوث الواقعة ببعض الزمن ـ حلمت «أتوتا» أم الملك حلما مزعجا ينذر بموت «اكزركزيس» ، وكانت هى وشيوخ «سوس» فى انتظار أخبار عن الحرب ، فنشاهد رسولا يأتى مسرعا يحمل أخبارا مزعجة فيخبر كيف أن الاسطولين واجه الواحد منهما الآخر فى مياه « سلامس » وكيف أن الأغريق تقدموا الى المعركة ينشدون أنشودة النصر وهم يصيحون :

يا أبناء بلاد الاغريق

تقدموا حاربوا من أجل حرية أرضكم

وأطفالكم وأزواجكم ونجوا محاريب

أجدادكم الآلهة ، ان كل شيء في خطر

وبعد ذلك نرى في الموقعة التي نشبت بعد أن السفن الفارسية قد أغرقت أو استولى عليه وغرق الجنود أو قتلوا و«اكزركزيس» ينظر اليهم ، ترتدى بعد ذلك الملكة ملابس الحزن وتقدم قربانا للموتى وتأمر الشيوخ أن يدعوا «دارا» للعودة الى الارض ويسديهم النصح ، فيظهر شبحه ويندب جنون «اكزركزيس» الذى جلب مثل هذا الخراب على بلاده ، ثم يخبرهم ان أمل الفرس الوحيد هو ألا تهاجم مرة أخرى بلاد الاغريق ، أما عن عقابهم :

ذهبوا الى «هلاس» وكان عندهم الشجاعة

أن يسيئوا الى صور الآلهة ويحرقوا المحاريب

والمعابد ويهشموا الموائد

ومن أجل ذلك عوقبوا

يختفى الشبح بعد ذلك - وهو خيال ملك جبار - ويعود «اكزركزيس» بأثواب مهلهلة فى صورة حزينة تنقصها عظمة «دارا» ومهابة الملك وتنتهى التمثيلية بصيحات الحزن والخسارة .

وفى استطاعتنا أن نلمس شعور أهل «أثينا» عند رؤية هـــذه التمثيلية ، اذا تخيلنا تمثيلية تمثل أمام المصريين كسر فيها العدو وعاد بالخيبة والفشل كهزيمة الجيش الانجليزى مثلا عند « دمياط » فى عام **١٨٠٧** ميلادية أو هزيمتهم مع الفرنسيين فى بور سعيد هذا العام .

أثينا بعد الحروب الفارسية :

لا نزاع فى أن «أثينا» قد أصبحت ذات شهرة يشار اليها بالبنان وصارت مكانتها لا تدانيها مكانة بين دويلات بلاد الاغريق ، ولا غرابة فى ذلك فقـــد كانت بعض الدويلات الاغريقية الأخرى تنقصها الشجاعة الكاملة لمحاربة العدو أو قد امتنعت فعلا مفكرة فى مصيرها هى ، فى حين أن « أثينا » قد ألقت بنفسها فى أحضان الخطر

مظهرة أقصى ضروب الشجاعة والصبر رافضة الاستسلام الى اليأس ، فقد رأينا أنها قد خلصت بلاد الاغريق من الغزوة الأولى بطرد الفرس من «ماراثون»، وفى الغزوة الثانية بانتزاع السيادة البحرية من أيدى الفرس ، وبذلك كسبت الحرب • وهذا النصر المبين رفعها الى ذروة المجد والسلطان وعنفوان الحياة وتحيط بها السعادة والفلاح وتتحلى بالجمال وحسن الذوق بما نشأ فيها من فنون وعلوم كما سنرى بعد •

عندما عاد أهل «أثينا» بعد هذه الحرب الضروس الى وطنهم بعد التشريد والتشتيت وجدوا أراضيهم خرابا بلقعا وبيوت مدينتهم أثرا بعد عين ، فأخذوا فى اعادة بناء بيوتهم ، وفى اقامة جدار من جديد حول مدينتهم ، غير أن أهل «اسبرتا» أرسلوا اليهم رسولا فى الحال طالبين اليهم ألا يبنوا هذا الجدار لأن ذلك سيحول المدن الى حصن للفرس اذا عادوا اليها ثانية • وقد علم « تمستوكليس » أركون «أثينا» بأن هذا ليس هو السبب الحقيقى ، وعلى ذلك أخذ يعمل بكل مالديه من قوة فى اقامة هذا الجدارمستعملا الرجال والنساء والاطفال فى انجازه بما لديهم من المواد التى تقع تحت أيديهم • وقد ذهب هو بنفسه الى «اسبرتا» ولكنه عمل ترتيبه بألا يلحق به مبعوثو «أثينا» الآخرون الا بعد أن يكون بناء الجدار قد ارتفع بالقدر الذى يجعله حاميا للبلد وكانت النتيجة أنه فى الوقت الذى كان يتساءل فيه الاسبرتيون ويحتجون على اقامة هذا الجدار وكان «تمستوكليس» يفسر لهم كيف أنه كان مندهشا من تأخر المبعوثين ، كان الجدار قد أقيم فعلا ، ولم ير أهل «اسبرتا» بدا من قبول الحقيقة الواقعة • بعد ذلك أخذ «تمستوكليس» فى تحصين ميناء «بيروس» التى كانت تقع على مسافة خمسة أميال من الجنوب الغربى من «أثينا» وقد أصبحت الآن ميناءها الهامة •

سقوط « تمستوكليس » وتأليف حلف « ديلوس »

أظهر « تمستوكليس » أنه رجل يمتاز بعقل غاية فى حدة الذكاء وأنه سباق الى فهم ماقد تتمخض عنه الأيام ، ماهر فى مواجهة الأخطار ، لايعبأ بشىء فى سبيل الوصول الى أغراضه ، وقد رأيناه وهو فى أوج عظمته وسنراه الآن وهو يهوى الى الحضيض•

وقد كانت العادة فى «أثينا» أن الرجل اذا أصبح غير محبوب أو فقد ثقة الناس فيه كان لكل مواطن الفرصة لاسقاطه مرة كل عام بأن يكتب اسمه على قطعة من الفخار ، واذا حدث أن ستة آلاف أعطوا أصواتهم كذلك فان الرجل الذى تكون أغلبية الأصوات ضده على قطع الفخار هذه (وتسمى «أوستراكا») ينفى لعدة سنوات معلومة وهذا ماحدث للبطل «تمستو كليس» الذى نفى بعد ذلك الى «أرجوس» . وفى أثناء اقامته هناك اتهمه الاثينيون بأنه على اتصال بالفرس ، غير أن هذه التهمة لم تثبت عليه ولم يذهب الى «أثينا» ليدافع عن نفسه بل غادر بلاد الاغريق ، وبعد أن طاف كثيرا فى البلدان وصل به المطاف الى بلاط ملك الفرس حيث عومل باحترام ووهب موطنا فى آسيا الصغرى حيث مات هناك . وبعد نفى هذا الرجل العظيم ظهر فى أفق «أثينا» «ارستيدس» الذى كان يناهضه ولا يرى رأيه فى سياسة البلاد ، و«ارستيدس» هذا كان معروفا بين قومه بأنه يمثل العدالة نفسها وهو الذى وضع الحجر الاساسى فى بناء حلف «ديلوس» الذى تحول فيما بعد الى الامبراطورية الأثينية .

وسبب تكوين هذا الحلف هو أن الجزر الاغريقية والمدن التى على ساحل بحر «ايجه» كانت غير محمية من هجوم الفرس فى أية لحظة ، من أجل ذلك طلبت هذه المدن الى «أثينا» أن تصبح قائدتها فى حلف يتألف من حكومات ودويلات بحر «ايجه» وقد قبلت « أثينا » ذلك العرض عن طيب خاطر . وفى عام ٤٧٨ ق.م. تألف الحلف على أن يكون مقره جزيرة «ديلوس» وهى جزيرة صغيرة فى بحر «ايجه» . وقد قيل أنها مسقط رأس الاله «أبوللو» حيث كان يجتمع فيها كل أهل «ايونيا» لتعظيمه . وفى هذه الجزيرة كان يجتمع مجلس الحلف ويتشاور أعضاؤه فيما بينهم ، وكذلك كانت مالية الحلف تحفظ فيها . وكان على كل حكومة أن تسهم بسفينة أو أكثر فى تكوين الأسطول الاغريقى أما الحكومات التى لم تكن قادرة على ذلك فانها كانت تسهم بالمال سنويا على قدر الطاقة . وعلى مر الأيام أخذت «أثينا» تجبر البلدان الاغريقية الأخرى على الاشتراك فى هذا الحلف وتقهر التى كانت تحاول الخروج

منه ، ثم نقلت خزانة الحلف من «ديلوس» الى «أثينا» وسبب ذلك أنه على الرغم من أن «ديلوس» كانت جزيرة مقدسة للاله «أبوللو» ، ويمكن أن تكون بعيدة عن أى هجوم ، الا أن الاثينيين قالوا انه يحتمل أن يهاجمها الفرس ويغتصبوا مافيها ، وعلى ذلك فان الخزانة تكون فى أمان تحت حمايتهم ، وبسبب هذه التغيرات وغيرها من الأمور الهامة أصبح حلف «ديلوس» بعد مضى أربع وعشرين سنة من تأليفه يكون مانسميه بالامبراطورية «الاثينية»

عصر « بركليز »

والواقع أن «أثينا» بعد السيطرة على أعضاء هذا الحلف بلغت أوج رفعتها ، ولكن لم تلبث أن بدأت المتاعب تنتابها من أعضاء هذا الحلف ، اذ ثار عليها عدد من هذه الدويلات التى كانت خاضعة لسلطانها ، وقد تجاسر جيش اسبرتى على مهاجمة «اتيكا» وأخذ يقتل ويحرق ويخرب البلاد . وقد كان من حسن الحظ أنه كان على رأس «أثينا» وقتئذ قائد حكيم مثل «بركليز» فقد رأى بفكره الثاقب أنه على الرغم مما كانت تتمتع به «أثينا» من قوة فانه لن يكون فى استطاعتها أن تخمد الثورات فى البلاد الخارجة عليها وفى الوقت نفسه تحارب «اسبرتا» فعقد أولا صلحا مع «اسبرتا» لمدة ثلاثين سنة وأطلق عليه صلح «بركليز» .

وكان «بركليز» هذا رجلا يمتاز بالجد وضبط النفس وسمو العقل كما كان حاضر الذهن ، ارستقراطى النزعة ، ديمقراطى الميول ، وخطيبا مصقعا لا يجرى وراء الشهرة الشعبية بل كان يبتعد عنها بطريقة تدل على العزة والاحتشام حتى أن الناس أطلقوا عليه «الأُلمبى» وقد بقى ثلاثين عاما ممسكا بزمام الأمور فى «أثينا» بعزم واصالة رأى ، وقد بدأ أولا محاولة اغراء الحكومات الصغيرة الاغريقية فى بلاد اليونان نفسها فى أن تنضم الى «أثينا» لتكوين اتحاد مؤلف من مدن حرة ، وكذلك عمل على اعادة اصلاح المعابد التى خربها الفرس خلال حروبهم لتكون دليلا على اظهار شكر الاثينيين على ماوهبوهم من نصر على عدوهم الجبار ، وعندما رفضت حكومات البلوبونيز هذا

العرض حول «بركليز» أفكاره ومجهوداته الى اعادة بناء معابد «أثينا» . وقد استعمل جزءا من أموال حلف «ديلوس» فى النفقات اللازمة لذلك ، وعندما عارض نفر من الاثينين فى ذلك أجاب «بركليز» بأنه اذا كانت الجزر والمدن قد أصبحت فى مأمن من الفرس فان «أثينا» بوصفها رئيسة الحلف هى التى عملت كل ما يلزم للوصول الى هذا الأمن . ومن المحتمل أن يوافق الانسان مع المعارضين ، ولكن «بركليز» كانت له طريقته ، وشرع فى جعل «أثينا» أجمل مدن بلاد الاغريق قاطبة ففى مدى عشرين سنة تقريبا كان تل «اكروبوليس» الصخرى المنحدر قد توج بالمعابد الجميلة والتماثيل البديعة ، ولا بد أن منظرها وقتئذ كان غاية فى البهجة فى سماء وهواء «أثينا» الصافى وجبالها وبحرها ، وبخاصة أن هذه المبانى كانت مقامة من المرمر ولونت بعض أجزائها بالالوان الزاهية . وكان منحدر «اكربوليس» الغربى يؤدى فى أعلاه الى المبنى المسمى «بروبيلا» وهو بناء جميل مؤلف من عدة عمد له طريق ينفذ الانسان منها الى قمة التل وعن يمينه أقيم على ركن صخرى فيما بعد معبد النصر الصغير وهو مقدس للآلهة «أثينا» ويطل على جزيرة «سلامس» .

وكان يشمخ على قمة التل التمثال البرنزى العظيم للآلهة «بلاس أثينا» ، وكان شاهقا فى ارتفاعه حتى أن البحارة الذين كانوا يلفون حول أقصى نقطة جنوبية فى «أتيكا» كان فى استطاعتهم رؤيته . وخلفه أقيم مبنى من أهم مبانى العالم . وهذا هو «برثنون» (Parthenon) [1] معبد «أثينا» الآلهة العذراء ، وكان مقاما من الرخام الأبيض السمنى اللون وزينه الحفار الشهير «فدياس» وكان يرى من بابه المفتوح من نهايته الشرقية قاعة ذات عمد نصب فيها كذلك تمثال آخر للآلهة نحته «فدياس» أيضا . وكان مغطى بالعاج وسجف بالذهب ويرتدى خوذة ، وزردية وترسا . وهذا التمثال فى جماله السامى كان يعد عند الاثينين صورة مجسمة لآلهتهم واقفة على استعداد لحماية مدينتها .

---

(١) كلمة « برثنوس » Parthenos بالاغريقية معناها العذراء

ولم تكن المعابد الاغريقية تحتوى على منافذ ولكن كان الضوء يدخل اليها من الباب الشرقى العظيم - ومن المحتمل كذلك من أحجار المرمر الشفيفة التى يتألف منها السقف - فينتشر على الذهب الوهاج والعاج الذى كان يغطى التمثال . وخلف قاعة الآلهة كانت توجد حجرة صغيرة استعملت خزانة للآلهة «أثينا» وهى عند الاغريق آلهة الحكمة والنظام الشخصى ، ولذلك فان «فدياس» عندما أراد أن يعبر عن ذلك حفر على ترسها وعلى أماكن فى ظاهر المعبد مناظر تظهر انتصارات الاغريق على الأمازون المتوحشة و «سنتور» ، ومناظر آلهة منتصرة على شياطين جامحة فخورة ، كل ذلك كان المقصود منه التعبير عن روح الآلهة «أثينا» ومدينتها . وقد حفرت مناظر أخرى على جدران «برثنون» الخارجية لتقص علينا قصة هذه الآلهة . ففى مكان مرتفع فوق العمد كان يوجد فى كل طرف مساحة مثلثة تسمى « قوصرة » (واجهة) تحتوى على مجموعة تماثيل ، ويفسر لنا واحد منها كيف أن أنباء ولادتها قد انتشرت فى الخارج وتشاهد الالهة «اريس» آلهة قوس قزح وهى تنشر ألوانها لتحمل الأنباء السارة ، والقوصرات (الواجهات) الأخرى فسرت لنا كيف أن الآلهة «أثينا» قد انتصرت على مناهضها الآله «بوزيدون» وأصبحت الآلهة الحامية لمدينة «أثينا» ، وقد كسبت بذلك لمدينتها الينبوع الملح الذى كان رمزا لسيادتها فى البحر ، وكانت قد استولت على الزيتون الذى منحها زيته السيادة على التجارة . وكان يوجد أفريز فى داخل الصف الخارجى من عمد المعبد منقوش وهو يمثل الموكب العظيم الذى أقيم على شرف الالهة «أثينا» . ويخيل للناظر اليه أن صور الرجال والشبان والعذارى وحيوانات الضحية والخيل يسيرون الى الأمام بين العمد كلما تقدم الانسان فى طريقه خارج المعبد . والواقع أن كل المعبد كان يمثل الخدمة التى قدمها الاثينيون للآلهة اعترافا بعظمتها وهداياها وقوتها الحامية لهم .

الحياة الاجتماعية فى عهد « بركليز »

لقد خلق «بركليز» بالاصلاحات التى قام بها فى مدة حكمه الطويل جوا صالحا

الحياة ناعمة فى «أثينا» وما حولها من البلدان حتى أن الزائر «لأثينا» فى ذلك الوقت كان يرى فيها الحياة تعج بكل ما يدهش النظر ويستولى على اللب ، فعند ما كانت تطأ قدمه ميناء «بروس» العظيمة التى كان قد حصنها « تمستوكليس» بجدران قوية يبلغ ارتفاعها ستة عشر مترا وسمكها خمسة عشر مترا يراها مزدحمة بالسفن الحربية الأثينية وسفن الشحن وسفن التجارة . وفى هذه الميناء كانت السفن من كل الجهات القاصية والدانية تفرغ شحنتها من خشب وصوف ونبيذ وقمح وحديد ونحاس وعاج بمثـــابة مواد للصناعات ، وكذلك كانت تتدفق على تلك الميناء التى كانت تعد المركز الرئيسى لبلاد الاغريق السجاجيد من بلاد العجم والعطور من بلاد العرب وغيرها من المواد الأخرى التى لا تحصى . وقد قال «بركليز» فى هذا الصدد : « ان مدينتنا تجذب محاصيل كل العالم » ، ومعظم هذه التجارة كان يقوم بها أجانب يقطنون فى «أثينا» ولم يكونوا يحسبون ضمن المواطنين الاثينيين ، غير أنهم كانوا يصبحون غالبا أغنياء كما كانوا يجلبون الثروة الى «أثينا» فى الوقت نفسه .

وكان يصل الانسان من ميناء «بروس» الى «أثينا» بطريق عرضها حوالى مائتى متر يسير فيها الانسان بين جدارين من الحجر [1] مما جعل «أثينا» تسيطر على البحر ، كما كانت تحميها فى وقت الحرب . وعندما كان يصل الانسان الى المدينة من جهة الغرب فانه كان يمر فى شوارع بها صناع من كل صنف من الاسكاف وصانع الحبال الى الصائغ الماهر الذى يصوغ الذهب وينقش العاج وينحت الاحجار . وهؤلاء العمال كانوا يعملون لحساب أنفسهم ، وغالبا ماكان يساعدهم تلاميذ وعبيد ، والواقع أنه كان يوجد عدد عظيم من العبيد فى بلاد الاغريق غير أنهم كانوا غرباء عن «أثينا» اذ كان معظمهم قد جلبوا أسرى حرب أو اشتروا بالمال ، وعلى أية حال لم يكونوا يعاملون فى «أثينا» معاملة حسنة الا فى مناجم الفضة حيث كانوا يعملون فى أحوال قاسية .

---

(١) وهى الطريق الطويلة أما طريق « فالبروم » فقد أخذت تئول الى السقوط بسرعة .

على أن أهم صناع هم أولئك الذين كانوا فى حى صناعة الفخار اذ أن عجلة صانع الفخار كانت تخرج أوانى من الصلصال على كل الاشكال والانواع مثل جرار النبيذ والزيت والشهد وأقـــداح الشراب وأوانى الخلط ، وزجاجات العطور وصـــناديق المسوح • وكان صانع الفخار الاغريقى ذا عبقرية فى عمل أوان أنيقة الشكل وهى تقلد فى أيامنا هذه ، وكان يعمل معه مفتنون مشهورون فى تزيين الاوانى بمناظر من الأســـاطير الاغريقية أو مناظر من الحياة اليومية وكانت ترسم باللون الأسود على رقعة الآوانى المائلة للون الاحمر ، ومنذ زمن الحرب الفارسية تركت الاشكال بدون صباغة وكانت المسافات التى بين هذه الاشكال على رقعة الآنية تملأ بالصبغة السوداء • وكان صناع الفخار والرسامون يفخرون بأعمالهم وغالبا كانوا يضعون امضاءاتهم عليها، مثال ذلك ما كتبه اثنان منهما «ارجينوس» صنعنى أو «آسون» رسمنى ولا غرابة اذا وجدنا أن الأغريق كانوا يميلون الى استعمال هذه الأوانى فى حياتهم اليومية ، هذا الى أن هذه الاوانى كانت تصدر الى خارج بلاد اليونان بكميات كبيرة •

وكثير من مبانى «أثينا» الواقعة فى هذا الجزء الجنوبى كان يتألف البيت منها من طابق أو طابقين وله سقف مسطح وليس له نوافذ تطل على الشارع • وهذه كانت بيوت عامة الشعب ، وكان يدخل فيها الانسان من ممر مؤد الى ردهة مفتوحة لا سقف لها تحفها الخارجات والحجرات • وكانت هذه البيوت وأثاثها غاية فى البساطة لأن أهل «أثينا» كانوا لا ينفقون أموالهم على الكماليات على أنهم فى الوقت نفسه كانوا لا يرون أى اسراف فى تجميل مبانيهم العامة ومعابد الآلهة فقد كانوا ينفقون عليها كل ما يمكن انفاقه • وكانت ربة البيت تصرف معظم وقتها فى داخل بيتها تغزل وتنسج وتصنع ملابسها وملابس زوجها بيدها ، كما كانت تدير شئون خدم بيتها ، وكان تعليمها ضئيلا الى أقصى حد ، فكانت لا تعرف شيئا فى السياسة ، وكانت الفرص أمامها قليلة لتتعلم أى شىء عن العالم الخارجى أو لمقابلة الناس أو الاختلاط بهم ، وكانت لاتخرج قط من بيتها الا ومعهـــا تابع لها ، وكانت بناتهـــا يلزمن عقر دارهن

ويبـدأن حيـاتهن التى كانت لاتختلف فى شيء عن حيـاة أمهن ، أما أولادها الذكور فكانوا يرسلون الى المدرسة يوميا عندما كانوا يبلغون السادسة من عمرهم يصحبهم عبد يحمل لقب مرب ، وكانوا يتعلمون حتى الرابعة عشرة فى المدرسـة القراءة والـكتابة والحساب ، وكانوا يحفظون شعر « هومر » ، ويلقونه ويضربون على القيثارة ، ويمرنون أجسامهم فى «البالاستر» أو مدرسة المصارعة والرقص والتمارين الرياضية . واذا كان الوالدان من الأغنياء فان الأولاد كانوا يستمرون فى التعليم حتى يبلغوا السـابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمرهم ، وكان مثلهم بعد ذلك كمثل كل مواطن أثينى يدربون ويخدمون مدة سنتين فى الجيش .

أما حياة الزوج فكانت حافلة بالفوائد فقـد كان كل أثينى مغرما بالقيـام مبكرا من نومه ويخرج الى الهواء الطلق ويصرف فيـه معظم يومه . وكان يترك معظم التجارة للأجانب ، ولكن كان لديه مهام عظيمة غير ذلك مثل المناجم أو تجـارة الأخشـاب التى يمكن أن يكون له فيها فائدة ، هذا بالاضافة الى واجبـاته العامة فكان يأخـذ دوره بوصفه محكما فى المحاكم القضائية ، وعلى الرغم من أنه قدلا ينتخب عضـوا من أعضاء المجلس أو موظفا عاليا فانه كان ينتظر منه أن يحضر جمعية الهواء الطلق الخاصة بالشعب لأجل أن يعطى صوته فى المسائل العامة . والمواطنون الذين كانوا يتراخون فى تأدية هذا الواجب ويفضلون التسكع فى السوق كانوا يساقون منها الى الجمعية بوساطة عبيد ممسكين بحبل طويل مدهون بالزنجفر (لون أحمر) الذى كان يلون ملابسهم ويظهرهم بأنهم يميلون الى الكسل والبلادة . وقد أنشأ « بركليز » أجرا صغيرا للخدمة فى المحاكم القضـائية ، وذلك لأنه أراد أن يجعل كل مواطن قادرا على أن يقوم بنصـيبه فيختار محكما ، ولكن شيوخ « أثينا » هزوا رءوسهم استهزاء من أجل دفع مقـابل للناس على أداء واجبهم .

وبجانب حى صـناع الفخار كانت السـوق (أجورا) مزدحمـة قبل الظهر وذلك عندما كان سكان القرى يعرضون محصـولهم على دككهم فى حوانيتهم . فكانوا يبيعون

هنا خضرهم وفاكهاتهم وجبنهم ونبيذهم ودجاجهم وخنازيرهم ، وكذلك كانت توجد دكاك منوعة للفخار والأحذية والكتب ، وغير ذلك من المناظر المألوف رؤيتها في الأسواق ، ولكن موضع هذه السوق كان ذا جمال خارق لحد المألوف لأنه كان يشرف عليه تل « الاكربوليس » بمعابده وتماثيله التي كانت متعة للناظرين ، وبجانب « الأجورا » قاعة عمد ملونة بمناظر من موقعة « ماراثون » والاستيلاء على « طروادة » والواقع أن « الأجورا » كانت تقابل مانسميه الآن مقرا مدنيا لا مجرد سوق . اذ في هذا المكان كان في مقدور الاثينيين أن يناقشوا مع أصحابهم السياسة الحاضرة والأخبار أو الشائعات التي على الألسن وكذلك آخر رواية مثلت أو أحدث تمثال ظهر . والواقع أنه كان هناك شيء جديد يرى أو يسمع مما جعل الحياة شيقة متجددة لأهل «أثينا» المغرمين بالافاضة في الحديث . وكانت وجبة المساء تؤخذ في البيت ، وهي أهم وجبة عندهم في اليوم . وكان لايسمح للنساء على أية حال أن يشتركن في هذه الوجبة اذا كان فيها ضيوف . هذا ولم يكن مصرحا للنساء على أية حال بالذهاب الى المسرح لحضور الروايات التراجيدية أو الاشتراك في بعض الأعياد ، وبخاصة عيد « باناثنا » الكبير الذي كان يعقد في الصيف كل أربع سنوات على شرف الآلهة « باللاس أثينا » وكانت تختار عذارى أثينيات ليغزلن مدة تسعة أشهر قبل انعقاد هذا العيد الكبير قطعا مستطيلة من النسيج مصبوغة باللون الأصفر لأجل أن تكون ثوبا يقدم لهذه الآلهة . وكانت ستة الأيام الأولى من العيد تخصص للمباراة في الموسيقا والقاء القصائد والألعاب الرياضية . وفي اليوم الأخير كان يعمل سباق المشاعل الذي كان يتسابق فيه الشباب بشعلة متقدة من نار مذبح « بروميتوس » (Prometheus) [1] الى المدينة ، وكانت المكافأة يحظى بها الشاب الذي يصل أولا بالشعلة وهي لاتزال متقدة . وفي أعياد أخرى كان هذا السباق بالتناوب وذلك أن الشعلة كانت تسلم من شاب

---

(١) وهو اله كان يقدس في « أثينا » لأنه أحضر نارا الى الارض لاستعمال بني الانسان .

لآخر لكل أفراد الفرقة بالتتابع . والمكافآت على الألعاب كانت جرارا كبيرة تحتوى زيتا جيلا من شجر الزيتون المقدس عند الاثينيين . وهذه الأوانى كان مرسوما عليها باليد صور الآلهة على أحد جانبيهـا وعلى الآخر كانت غالبا تصـور صور الحادثة التى من أجلها كسبت الجائزة . وفى آخر يوم من أيام هـــذا العيد كان يقام موكب عظيم ، يفتتح أولا بسفينة تسير على أسطوانات والثوب الزعفرانى اللون منشور على ساريتها كأنه شراع ، ثم يتبع ذلك عذارى يحملن ســـلالات قربان وثيران بيضـاء للتضحية ، وشيوخ يحملون أغصان الزيتون ، وشبان يمتطون ظهور الخيل أو يقفون بجوار الجياد والعربات ـ وهذا الجزء الأخير من الموكب كان منقوشا فى افريز معبد « البرثنون » ـ وكان الموكب صـــاعدا المنحـدر الحـــاد « للاكروبول » فى داخل البوابات العظيمة ومارا « بالبرثنون » الى معبد كان يضم تمثـالا قديما من الخشب مقدسا للآلهة « باللاس أثينا » وعليه كان يوضـع الثوب الزعفرانى اللون . هـذا وكانت نهاية العيد سباق قوارب لانعرف شيئا عن تفاصيله .

الألعاب الرياضية والألعاب الأولمبية :

كانت تقام أعياد أخرى بالاضافة الى الاعياد الخاصة التى كانت يحتفل بها على شرف اله أو آلهة المدينة الواحدة ، وهذه الأعياد كانت تدعى الأعياد «البانهيلانية» أى لكل بلاد «هليوس» وهو الاسم الذى كان يطلق على العالم الاغريقى كله . وكان يحضرها اغريق من كل دنيا الاغريق . وكان يحتفل بواحد من هـــذه الأعيـاد فى « دلفى » وقد تحدثنا عنه فيما سبق ، وسنتناول بالوصف الآن أشهر هذه الأعياد العامة قاطبة وكان يقام فى « أولمبيا » فى « اليس » الواقعة على الســـاحل الغربى لشــــبه جزيرة « بلوبونيز » على شرف الاله « زيوس » أعظم آلهة الاغريق ، وكان صاحب شهرة فى كل العالم بسبب الألعاب والمباريات التى كانت تحدث فى هذا العيد .

ولابد لنا أن نفهم أولا أن الألعاب الرياضية كانت تؤلف جزءا من تربيـة كل شاب اغريقى بل من حياة الرجل الاغريقى ، وكانت كلمـا نمت المدن بنيت فيهـــا ملاعب

للرياضة البدنية ، ولم تكن هذه مسقوفة كما هى الحال عندنا ، بل كانت ملاعب كبيرة محاطة بعمد وتقع بجوار مجرى ماء وخميلة أشجار للتبريد •

وكان الرجل الرياضى يخلع ملابسه ثم يدلك جسمه بالزيت لتصير أطرافه لدنه ، وكان فى بعض التمارين مثل المصارعة يرش جسمه بالتراب أو البدرة ليحفظ جسمه باردا وجافا • وهذا الزيت وهذا التراب كانا يزالان من جســـمه فيما بعد بالكحت بوساطة آلة صغيرة • وكانت التمارين تحتوى على الجرى والمصارعة والنط والرماية بالحربة أو القرص — وهو قرص مسطح مستدير من الحجر أو المعدن — وكانت هناك ألعاب أخرى مثل لعب الكرة وهذه كانت تشبه لعبة الهوكى الآن • ولدينا صـــور على أوان نشاهد فيها المدربين واقفين بجوار اللاعبين وبيــد كل واحــد منهم قضيب وكذلك نشاهد رجلا ينفخ فى مزمار ليساعد التلميــذ ليتحرك بطريقــة ايقاعية جميلة لا بالقوة والسرعة فحسب ، وبعد انتهاء التمرينات كان ينغمس اللاعب فى ماء بارد أو يقف تحت (دش) ، ثم يدلك مرة أخرى بالزيت ويحك جلده بآلة خاصة ، وبكل هذا التدريب أصبحت الاغريق أمة رياضية • وكانت أجسامهم القوية الرشيقة موضوعات مغرية للمثالين المشهورين فى هذه الأيام • وكان الرسل يأتون كل أربعة أعوام الى كل مدينة من مدن « هيلاس » ليـــدعوا المواطنين الأحرار من الاغريق ليأتوا الى « أولمبيا » ليحتفلوا بالعيد الذى كان يعقد هنـــاك فى أواخر الصــيف • وكان هؤلاء يستقبلون فى كل مكان بنفس الترحاب العظيم سواء أكانت المدينــة فى بلاد الاغريق نفسها أم بعيدة فى ايطاليا أو مصر أو سواحل البحر الأسود • ولم يكن الرياضيون وحدهم هم الذين يستعدون للرحيل الى « أولمبيا » بل كان ينتخب رجال بمثابة وفود يمثلون مدينتهم فى كل الأحفال التى كانت تقــام فى « أولمبيــا » وذلك لأنه كان من المستحيل على كل المواطنين أن يذهبوا الى مكان بعيـــد كهذا ويتركون عملهم مدة طويلة كهذه •

وكان الرسل يعلنون باسم الاله « زيوس » هدنة مقدسة [١] . وبذلك تكون خمسة الأيام الخاصة بالعيد والرحلات برا وبحرا من كل أنحاء العالم الاغريقى فى مأمن من الحرب أو الخطر .

وكلما اقترب يوم الاحتفال ازدحمت الطرق البحرية والبرية المؤدية الى « أولمبيا » أكثر فأكثر بالاغريق الذين كانوا فى سبيلهم الى مكان العيد وهو سهل صغير محوط بالتلال ويرويه نهر جار . وكان كل المتنافسين قد سبقوا الى هذا المكان بمدة شهر أو أكثر ليتمرنوا فى مكان المسابقة على حسب قواعد الألعاب ، وكان هؤلاء والممثلون يقيمون فى أحياء خاصة ، ولكن بعض الزوار كانوا ينامون فى خيام أو فى اخصاص فى العراء . ولم يكن يسمح لأحد أن ينام فى البقعة المقدسة التى كانت تشمل المعابد والموائد الخاصة بالآلهة بما فى ذلك أقدس مكان وهو معبد « زيوس » نفسه . ففى هذا المعبد كان يجلس تمثال الاله المصنوع من الذهب والعاج على عرش منحوت من العاج والأبنوس ومزين بالذهب والأحجار الكريمة ، ومعه صورة « النصر » فى يده اليمنى وصولجان فى يده اليسرى . وهذا التمثال كان أعظم قطعة فنية أخرجتها يد المثال «فدياس» ، وكان التمثال ذائع الصيت لا لحجمه الذى كان يبلغ أربعين قدما بل لأن جلاله وجماله قد ملأ أذهان الناس بما يوحى من هيبة واحترام .

وهذا المعبد بالاضافة الى الأرض المقدسة التى كان مقاما عليها يعد المركز الهام للجزء الدينى فى هذا الاحتفال . فكان القضاة والمدربون والرياضيون يعقدون الأيمان عند مذبح «زيوس» العظيم الذى كان موضوعا خارج المعبد بالضبط فى اليوم الأول . على أن يكونوا معتدلين فى مسابقاتهم . وكان يقام فى اليوم الثالث موكب عظيم يسير فيه قضاة الألعاب مرتدين ملابس أرجوانية وكهنة وممثلون من المدن حاملين هدايا من الأوانى الذهبية والفضية . ويقفو هؤلاء خيالة بعرباتهم والرياضيون وأصحابهم . وكل هؤلاء كانوا يقدمون ضحية مقدسة ، وكان يهصر من شجرة الاله

---

(١) وهذا يعنى أن كل حرب أو قتال لابد أن يقف ومثل ذلك الأشهر الحرم عند العرب

المقدسة أغصان زيتون للأكاليل التى كانت تعطى مكافآت للانتصار فى الألعاب ، وفى اليوم الخامس كان المنتصرون يقدمون ضحية للاله « زيوس » وهم متوجون بهذه الأكاليل .

وخلافا لهذه الأحفال كانت هناك أشياء كثيرة تهم الزوار اذ كان فى استطاعتهم أن يجولوا فى وسط الاشجار المقدسة لهذه البقعة متفرجين على المعابد والتماثيل وعلى الهدايا التى أحضرت للاله ، وكان يمكنهم أن يسمعوا الفلاسفة والشعراء ، وكان المؤرخون يقرءون مؤلفاتهم ، ويصغون الى الرسل وهم يعلنون قوانين جديدة لهذه المدينة أو تلك أو معاهدة أبرمت بين اثنتين منها ، وكل هذه الاشياء كانت هامة عند الاغريق لما جبلوا عليه من حب الاستطلاع ، غير أن هذه لم تكن مثيرة لعواطفهم كالألعاب التى كانت تعقد فى الايام الثانية والثالثة والرابعة من أيام هذا العيد .

ولما كانت النساء المتزوجات لايسمح لهن بحضور هذه الألعاب فانهن كن يكتفين بألعابهن الخاصة فى عيد النسوة الذى كان يحتفل به على شرف الالهة « هيرا » ، وهذا العيد كان يعقد فى «أولمبيا» ولكن فى أعوام مختلفة عن عيد الألعاب العظيمة ، والظاهر أن النسوة اللائى كن يحضرنه هن اللائى كن يسكن بالقرب منه وهو عيد بسيط اذا ماقرن بعيد الرجال .

الألعاب : وكان أول سباق هو سباق العربات الذى كان يسبب انفعالات وضجة شديدة لدى المتفرجين عندما كانت العربات تنهب الأرض وهى تلف حول المضمار لقطع الشوط الذى كان يبلغ طوله تسعة أميال . وكان يتبع ذلك سباق الخيل غير المسرحة ، هذا الى عمل التجارب فى المضمار للرياضيين وهى التى كانت تتألف من الجرى والنط والرماية بالقرص والحربة . وكان هناك محكمون على وجه عام للمكافأة وفى اليوم الثالث كانت ألعاب الأولاد وتحتوى على الجرى على الأقدام والمصارعة والملاكمة . وفى اليوم الرابع كان سباق جرى الرجال الذى كان يختلف فى الطول بين مائتى ياردة الى ثلاثة أميال . ويمكن أن تشاهد حتى الآن العلامات التى فى الحجر

حيث كان المتسابقون يدوســون الخط الفاصل ، ويأتى بعد ذلك بعض المصـارعة ، والملاكمة القوية جـدا وكانت محببة بدرجة عظيمـة لدى المتفرجين ، وأخيرا تأتى مباراة السلاح . وكان آخر يوم ينتهى بالابتهاج وباقامة وليمـة عامة كان الفائزون يدعون لها .

وفى اليوم التالى لذلك يعود الـكل الى مدنهم ، وكان المهزومون على حسب قول الشاعر « بندر » يصلون الى أوطانهم خلسة مصابين بسـوء حظهم ، ولـكن الفائزين كانوا يسـتقبلون بالفرح لأنهم قد حملوا معهم الشرف لمدينتهم على مرأى من كل « هلاس » ، وكانت أناشيد النصر تكتب على شرفهم بقلم الشاعر « بندر » وغيره من شعراء العصر وكانت تنشدها الجماعات من الرجال والأولاد ، وذلك خـلال ماكان البطل الفائز يرتدى الثوب الأرجوانى ويسير فى عربة الى معبد الاله الرئيسى للمدينة ليقدم له اكليل نصره المصنوع من أغصـان الزيتون . وكان الفائز فى « أثينا » يمنح مكافأة كما كان له الحق فى أن يحتل مكانه شرف فى الأعياد العامة ويتناول وجبات بدون ثمن فى قاعة المدينة (بريتانيوم) اذا كان فى حاجة اليها . أما اذا كان الفائز قد انتصر فى ثلاثة ألعـاب فى المبـاريات فى ثلاث دورات متـاليات فانه كان يقـام له تمثاله فى « أولمبيا » نفسها .

والواقع أن هذا العيد كان غاية فى الأهمية فى أعين الاغريق ، حتى أنهم عندما كانوا يريدون أن يؤرخوا أية حادثة وقعت لهم كانوا يحسبونها من أول سنة ٧٧٦ ق.م . وهو تاريخ أول انعقـاد للعيـد الأولمبى - أى كما يؤرخ المسـيحيون بتاريخ عصر المسيح والمسلمون بهجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - والألعاب التى تقام فى هذا العيد كانت ولا تزال شهيرة حتى أطلقنا فى عصرنا على الدورات العالمية التى تعقد فى ممالك العالم المختلفة الحديثة اسم الألعاب الأولمبية » .

اول ظهور الدراما الاغريقية :

تدل شواهد الأحوال على أن الدراما الاغريقية لم تكن الاولى من نوعها فى العالم

فقد دلت البحوث والكشوف الحديثة على أن الدراما المصرية قد سبقتها فى هذا المضمار بآلاف السنين وقد شرحت هذا الموضوع فى غير هذا المكان (١) . وكما أن الدراما المصرية كانت خاصة بالاله « أوزير » فان الدراما الاغريقية كانت كذلك خاصة بالاله «ديونيسيس» . وتدل الموازنة على أن كل دور منهما كان واحدا لدرجة أن بعض المؤرخين يعتقد أن « ديونيسيس » مشتق من « أوزير » ، وعلى أية حال سنحاول هنا أن نفسر معنى كلمتى « تراجدى » (= مأساة) و «كومدى» (= تمثلية مضحكة) لا كما نفهمها نحن الآن بل كما كان يفهمها الاغريق فى بادىء الأمر فى مسارحهم وبخاصة فى مسرح « أثينا » فى عز مجدها .

ففى نهاية شهر مارس من كل سنة كان يعقد عيد عظيم للاله « ديونيسيس » اله الخمر وهو الذى على شرفه نمت الدراما . فكان فى كل يوم من أيام العيد الثلاثة يهرع الناس عند مطلع الفجر الى مكان فسيح مكشوف مستدير تقريبا يحتوى على مقاعد مدرجة نقرت فى جانب تل «الاكروبوليس» ، وهذا كان مسرح «ديونيسيس» وكانت مقاعده من غير ظهر وغير مقسمة وضيقة وخشنة . وكان من الخير لكل انسان أن يحضر معه وسادة وطعاما يكفيه يوما كاملا ، ولكن كان محرما عليه أن يحضر معه مظلة لأن ذلك كان يضايق الصف الذى خلفه . وكان المتفرجون الذين يبلغ عددهم حوالى خمسة عشر ألف نسمة يفدون على المكان شيئا فشيئا فكان منظرا بهجا ، اذ كان القوم يلبسون فى مثل هذه المناسبة ملابس مختلفة ألوانها زاهية كما كانوا يلبسون كذلك الملابس البيضاء المعتادة . وعندما كان وقت التمثيل يقترب كانت المقاعد التى فى الصف الأول وهى التى كانت محجوزة للأفراد الذين أرادت المدينة أن تكرمهم ، تملأ بالموظفين والكهنة والقواد والأطفال الذين سقط آباؤهم فى ميدان الشرف من أجل مدينتهم ، والسفراء من الحكومات الأجنبية ، أما مكان الشرف الأول فكان يتربع فيه كاهن الاله «ديونيسيس» وكان يوجد أسفل الصف

(١) راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الثانى ص ١ الى ص ٦٤

الأول من المقاعد مكان مسطح مستدير يدعى أوركسترا أى « مرقص » وفى وسطه مذبح الاله «ديونسيس» وخلف ذلك كان من المحتمـل طوار منخفض له ظهر كان يمثل عادة واجهة قصر وذلك لأن الروايات التمثيلية كانت غالبا تتناول الأسر الملكية غير أن الشـاعر لم يكن مرتبطا بمثل هـذا المنظر اذا كان يريد أن يمثل واجهـة معبـد أو منظرا طبعيا ولم يكن هناك سـتارة . وفى هـذا الوقت كان المحكمون الذين سيمنحون المـكافأة فى مقاعدهم وذلك لأن العيد كان مبـاراة لأحسن رواية تمثيلية كتبت ومثلت أحسن تمثيل . وقد كان ينتخب ثلاثة شعراء واحد لتمثيل يوم ، وكان هذا اليوم طويلا أيضا ، وذلك لان كل شاعر كان قد كتب ثلاث مآسى ــ وغالبا مايكون بعضها مرتبطا ببعض ارتباطا تاما فى الغرض وتكون فى الأغلب كأنهـا ثلاثة فصول طويلة لتمثيلية واحدة ــ وكان يأتى بعدها مباشرة رواية مضحكة تكون بمثابة تفريح للنظارة بعد مشاهدتهم تلك المآسى . وكان جوق هذه التمثيليات يمثل فى صور « بجن » وهى مخلوقات طروبة لها أنوف فطس وآذان مدببة وحوافر وذيول ، وكانوا متصلين بعبادة الاله « ديونيسيس » .

وأكبر كتاب المأساة (تراجدى) عند اليونان ثلاثة وهم «ايسكيلس» (٥٢٥ ــ ٤٥٦ ق.م.) وقداشترك فىحرب موقعة «ماراثون» . ثم «سوفوكليس»(٤٩١ـ٤٠٤ق.م.) وقد كان قائدا فى احدى حروب «أثينا» فيما بعد ، وأخيرا «يوربيديز» (٤٨٠ ــ ٤٠٦ ق.م.) . وهؤلاء الشعراء الثلاثة كانوا مختلفى المشارب اختلافا بينا فكان «ايسكيلس» خشنا فظا ولكنه كان عظيما . حقا كانت مآسيه غاية فى الجمال ولكنها كانت قد كتبت بصورة جدية حتى أنها بعد بضع سنين أخذ الناس يملونها وصوتوا للاجازة فى جانب « سوفوكليس » ، وذلك لأن أشخاص تمثيلياته لم يلبسوا صورا جدية ورسمية بل ظهروا كأنهم أناس حقيقيون ، ومن ثم نجد أن « سوفوكليس » كان أكثر تهذيبا منه كمـا كان أهدأ نفســا . أما ثالثهم وهـو « يوربيــديز » **Euripides** فانه على

ما يظهر كان يفهم الشعب الذى يكتب له أكثر من « سوفوكليس » وكان يحب الطبيعة ولذلك كانت رواياته تستهوى السامعين بسرعة وتحرك عواطفهم لأنها كانت مليئة بموضوعات انسانية كثيرة .

ولا نزاع فى أن هؤلاء الشعراء الثلاثة قد كتبوا بعض ما يفخر به الادب العالمى . وكانت موضوعات قصصهم مأخوذة من الأساطير عادة ، وأحيانا من التاريخ القديم المبكر أى من قصص الآلهة والابطال ، أو من موضوعات حروب «طروادة»ونتائجها. وقد ساعد ذلك كثيرا المتفرجين على فهم التمثيلية لأنها كانت من صميم تاريخهم القومى وخرافاتهم الشعبية .

وسنضع أمام القارىء هنا ملخصا لاحدى تمثيليات « سوفوكليس » ولتكن رواية « انتيجون » (Antigone) وهى تمثيلية شهيرة أخذ موضوعها من قصة « طيبة » ، احدى بلدان الاغريق التى كان لها شأن عظيم فى تاريخ هذه البلاد قد أتى عليها فترة كانت أقوى دولة فى بلاد الاغريق . وأهم أشخاص التمثيلية وكلهم من البيت المالك فى «طيبة» هم «أنتيجون» و«اسمين» وهما أختا «أوتوكليز» و « بولينيسس » اللذين كانا قد ماتا ثم كرون عمهما وكان وقتئذ ملك « طيبة » ، وكان ابنه المسمى « هامون » خطيب « انتيجون » . وتوجد جوقة مؤلفة من خمسة عشر طيبيا مسنا ، والمنظر هو واجهة قصر « طيبة » . ولم يكن على المسرح أكثر من ثلاثة ممثلين لهم أدوار يتكلمون فيها فى أى منظر من أية تمثيلية أغريقية ولكن كان يوجد على المسرح ممثلون كثيرون لا يتكلمون كالجنود ورجال البلاط وغيرهم ، وقد دخلت كل من «انتيجون» و «اسمين» ومثلتا برجلين أختيرا لقوتهما وجمالهما وصوتيهما وكانا يلبسان قناعين ليظهرا نوع الشخصية التى يمثلها كل منهما كما كانا يلبسان أحذية بنعال سميكة جدا لتزيد فى طولهما ـ وكانت الاختان ترتديان ملابس الحداد لموت أخويهما. وقبل بداية التمثيلية كان «أوتوكليز» قد نقض عهده فى أن يحكم «طيبة» بالتناوب مع « بولينيسس » الذى جاء وقتئذ بجيش من بلدة « أرجوس » ليحارب

مدينته «طيبة» . وقد هزم هذا الجيش وقتل الاخوان الواحد منهما الآخر فى مبارزة . وعلى ذلك اعتلى عمهما «كرون» عرش الملك وأصدر منشورا حرم على كل فرد دفن «بولينيسس» وحدد عقوبة الموت لكل من خالف ذلك بسبب أنه كان قد أتى لأجل

« أن يحرق بالنار أرض وطنه ومحاريب

أجداده الآلهة ويسفك دماء أقاربه »

وكان الاغريق يعتقدون أن روح المتوفى لا يستقر لها مكان حتى يدفن جسده . وفى المنظر الافتتاحى تخبر «انتيجون» أختها «اسمين» أنها عازمة على دفن جثة «بولينيسس» أو على الاقل تذر عليها الرماد لأن ذلك كان يقوم مقام الدفن . وقد حاولت «اسمين» عبثا صرفها عن عزمها . تترك الاختان بعد ذلك المسرح ويدخل بعدهما الجوقة المؤلفة من خمسة عشر مسنا من رجال «طيبة» ، وهنا ينشدون ويغنون عن الواقعة التى وقعت عند جدران المدينة . وفى أثناء غنائهم يقفون أو يتحركون فى رقصة مقدسة مظهرين فى حركاتهم وأوضاعهم رجفتهم واستبشاعهم للعمل الذى ارتكبه « بولينيسس » كما كانوا يظهرون فرحهم واغتباطهم لنجاة «طيبة» ـ وكذلك كانوا يغنون مقاطيع فرح وخوف وتحذير على فترات خلال التمثيلية ـ ثم يخرج «كرون» من القصر فيعرف بسهولة بملابسه الملكية الفاخرة وحاشيته ولم يمض طويل زمن حتى يدخل حارس ليخبره أن فردا ما قد ذر التراب على جثة « بولينيسس » ، وبعد أن تغنى المجموعة أغنية يدخل الحارس مرة أخرى ومعه «انتيجون» التى أمسك بها وهى تصب القربان على جثمان أخيها على الرغم من أمر الملك . يترك بعد ذلك «كرون» و «انتيجون» وجها لوجه . فهو يتمسك بما جاء فى منشوره لأن واجبه نحو دولته أن يقف خرق القانون بهذه الكيفية ولكنها من جانبها تفخر بعملها الصالح لأنها كانت قد قامت بواجبها نحو أخيها وهى عالمة تماما ان ذلك يعنى موتها :

« لا أعتقد أن مرسوم رجل

له القوة حتى يعلو قوانين السماء

التى لم تكتب وثابتة لأنها تعيش

لا الآن ولا أمس بل فى كل الازمان أبديا »

وهكذا لم يتحول كل منهما عن عزمه ، والواقع أن هذه لم تكن معركة بين شخصين كل منهما مصمم على ما عزم عليه ، بل ان هذا كان تصادما بين واجبين عظيمين لقوانين الانسان وقوانين الآلهة . وكانت « انتيجون » و «اسمين» قد اقتيـدتا الى القصر محروستين وكانت «اسمين» تريد أن تشاطر أختها مصيرها على الرغم من عدم رضا «انتيجون» بذلك . وقد أخلى سبيل «اسمين» أما «انتيجون» فقد سيقت الى الموت فى حجرة مسورة . وعلى الرغم من كلمات المجموعة التى فاهت بها لنصح الملك وتضرعات «هامون» ثم توبيخه المر للملك فانه لم يتزحزح عن قراره . ولكن فى نهاية الأمر خضع «كرون» لتحذيرات كاهن عجوز أعمى بعد أن سمع منه أنهومدينته سيحل بهما عقاب فظيع من الآلهة الذين غضبوا من أجل رفضه شعائر الدفن . وعلى ذلك دفن «كرون» جثمان «بولينيسس» وذهب ليخلص «انتيجون» من الموت ولكنه أتى متأخرا اذ وجد أنها قتلت نفسها بيدها وأن «هامون» قد انتحر فوق جثتهـا . وقد بقى «كرون» فى يأس وذهبت عنه كل سعادته ، وولت أيام نعيمه . والكلمات الأخيرة التى أنشدتها المجموعة تقدم لنا درسا عن مغزى التمثيلية :

« ان أهم نصيب من السعادة
هو أن تكون عاقلا ومحترما للآلهة
وكلمات الكبرياء العظيمة تعاقب بضربات شديدة
وهذه تعلم الناس أن يكونوا عقلاء فى سن الشيخوخة » .

التمثيلية الهزلية :

كان أعظم مؤلف للروايات الهزلية الشاعر «اريستوفانيس» الذى عاش بعد المؤلفين الثلاثة للمآسى الذين سبق ذكرهم . وقد كان مغرما بأن يسخر من مواطنيه وقد كانت سخريته لاذعة ومليئة بالنكتة لدرجة أن الاثينيين أنفسهم لم يستغنوا عن التمتع بها ، ولكنه كان يقصد من وراء هذه الهزليات اصلاحات معينة فكان يندد بالاخطاء التى يراها

فى نظام الديموقراطية وغير ذلك من الأمور الهامة فى نظام الحكم •

فنجد أنه فى احدى هزلياته التى سماها «العصافير» ـ والمجموعة فى هذه التمثيلية كانت تظهر بملابس فى صور عصافير ـ وموضوع الرواية هو بناء بلد خيالية فى الهواء العلوى ، وذلك أن اثنين من الاثينيين كانا قد ملا من كثرة القضايا فى مدينتهم فهربا من الناس الى الطيور وأغرياها لتبنى لهما مدينة فى السحاب ، وتلك كانت تسلية عظيمة للأثينيين ، لأنه كان لا يوجد لديهم على مايظهر تسلية الا الذهاب الى المحكمة والسماع الى القضايا والمحاكمات ولا بد أن المتفرجين قد ضحكوا بملء قلوبهم عندما قال أحد شخصيات الرواية :

« لأن الجنادب تجلس مدة شهر
تزقزق على الاغصان ولكن الأثينيين
يجلسون يزقزقون ويتناقشون طوال السنة
جاثمين على نقاط من البيان والقانون » •

وفى تمثيلية أخرى تسمى «الضفادع» ـ سميت كذلك بسبب أغنية الضفادع فى الجزء الأول من التمثيلية ـ قرن فيها بين «ايسكيلس» و «يوريبيديز» وذلك لأنه نصب ميزان على المسرح وضع فى كفتيه أبيات ذات وزن من شعر ايسكلس وأبيات فذة من شعر «يوريبيديز» ، وقد تقدم «ايسكلس» طالبا أن يوضع سطران من كلامه فى كفة مقابل « يوريبيديز » وكل مؤلفاته وجميع أسرته فى الكفة الأخرى • وقد حكم القاضى فى صالح « ايسكلس » ، وذلك لأن كلماته الرتيبة ورأيه الصائب تؤهله تماما ليقدم للدولة النصح فى متاعبها التى كانت تئن منها • وليس المجال هنا للتحدث أو لوصف هذه التمثيليات الهزلية وماكانت تنطوى عليه من خليط من الجمال والخشونة ، النقد الصائب والعبث الحسن • ومن المحتمل أنها كانت تمثل فى أوقات العصر فيختم بها يوميا الأعياد العظيمة •

وفى خلال القرن الذى تلا عهد «بركليز» تغير وجه الرواية الهزلية ، فقد استحالت الخشونة الى النعومة والرقة ، والشطط السياسى الى قصص من صميم الحياة اليومية •

وأعظم كتاب للروايات الهزلية الحديثة كما كانت تسمى هو «مناندر» الذى كانت رواياته الهزلية نموذجا للكتاب الهزليين من الرومان فيما بعد ، وهم الذين بدورهم أثروا على كتاب الروايات الهزلية الحديثة .

المؤرخون :

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه كان يعيش فى عهد «بركليز» مؤرخان عظيمان وهمــا «هردوت» و «ثوسيديدس» ويرجع الفضل الى «هردوت» فى معظم مانعرفه عن حروب الفرس ، فقد كانت الدنيا فى ذلك العصر مكانا صغيرا ولم يكن المتمدينون فيها يعرفون الا الشىء القليل عنها وعن أحوالها . وقد جال «هردوت» فى كل الانحاء التى كانت معروفة فى عهده ، فكان أينما حل يفتح عينيه وأذنيه كما كان يضــع الأسئلة الكثيرة للناس ، وبعد ذلك دون ما رأى وما سمع ، وكتابته كانت تحفة قصصية فمثلا عندما وصف مرور «اكزركزيس» على مضيق «هلسبونت» تجده يقف ويصف لنا القوم وصــفا شــيقا . والواقع أنه كان فى وصــفه يقف عند كل نقطة كأنه يســتمتع بقص قصته ، وكان متأكدا أن قراءه كانوا يحبون السماع اليه . ولدينا قصة حسنة فى ذاتها حتى لا يسع الانسان الا تصديقها ، وهى أنه قرأ تاريخه الذى ألفه فى المباريات الأولمبية ويقال أنه كان ضمن من استمع عليه صبى فى الخامسة عشرة من عمره يدعى «ثوسيديدس» ، وأنه عندما سمع صيحات الاستحسان المتكررة أغرورقت عيناه بالدموع وقال فى نفسه «وأنا كذلك سأكون مؤرخا» . وقد أصبح «ثوسيديدس» مؤرخا فى شهرة «هردوت» ولكنه لم يجعل قارئيه يشعرون كأنه يقص قصة كما وجد هو لذة كبيرة عند قراءة «هردوت» ، غير أنه كان واضحا فى كتابته معتدلا ، يرى بثاقب رأيه الأسباب التى دعت للحوادث التى يسردها ويذكرها بوضوح تام واهتمام حتى أن كثيرا من الكتاب قرءوا مؤلفاته مرارا ساعين فى أن يتعلموا أن يكتبوا كما كتب . واليه يرجع الفضل فى تدوين حروب «البلوبونيز» التى دارت بين «أثينا» و«اسبرتا» واشترك هو فيها .

النضال بين « اثينا » و« اسبرتا »
أو الحروب البلوبونيزية
٤٣١ - ٤٠٤ ق . م

فى الوقت الذى كانت فيه «أثينا» تنمو وتزدهر وتقوى فى جمال وروعة كانت «اسبرتا» لا تزال على ما كانت عليه قديما من عيشة خشنة ساذجة فلم يكن لها مبان فخمة ولا تماثيل هائلة ولا نقوش فاخرة ، هذا فضلا عن أن حلف «ديلوس» قد تطور الى امبراطورية أثينية ، كل هذا قد أهاج شعور الحقد والغيرة فى نفوس أهل «اسبرتا» . وقد رأت الآن أن مكانتها فى بلاد اليونان أصبحت مهددة ، وأن تجارتها فى خطر ، وأن بلاد الاغريق التى كانت فى نظرها فيما سبق حرة قد أصبحت مستعبدة فى قبضة الاثينيين . فأخذت تجمع حولها شيئا فشيئا حلفاء من دويلات أرض الاغريق كانت تشاطرها أفكارها وغيرتها من «أثينا» وتعهدت لها ألا تتركها دون مساعدة اذا حلت أية كارثة . وفعلا حدث أمر خطير عام ٤٣٣ ق.م. وذلك أن «كورسيرا» وهى جزيرة بعيدة عن ساحل «ابيروس» قد تشاجرت مع المدينة التابعة لها وهى «كورنث» فالتجأت الى «أثينا» لتساعدها . وقد كان حادث «كورسيرا» هو الشرارة التى أشعلت النار فى كمية من مواد الحقد التى كانت تتراكم بعضها فوق بعض منذ سنين عدة مضت ، فعندما أرسلت نجدة لجزيرة «كورسيرا» لجأت «كورنث» الى «اسبرتا» تطلب مساعدتها ، وبعد جدال طويل أنشبت الحرب أظفارها بين الفريقين . كان فى جانب «اسبرتا» كل بلاد البلوبونيز تقريبا ، هذا بالاضافة الى «كورنث» و «مجارا» الواقعة على برزخ «أثينا» وكل «بوشيا» عدا «بلاتيا» (Plataea) . وكانت تحتفظ بجيش قوى مدرب متمرن الى أقصى حد حتى أنه كان يمكن الاعتماد عليه تقريبا فى كسب موقعة جبارة . وكان فى جانب «أثينا» حلفاء قليلون ، هذا الى الخدمة الاجبارية التى كانت تقدمها الأحلاف التى تكون امبراطوريتها ؛ يضاف الى ذلك أموال كثيرة أدخرت للحرب ، وعدد كبير من الرجال

يمكن تجنيدهم فى جيشها ، وفوق كل ذلك كان لها أسطول قوى يديره بحارة ماهرون. وكما قال «بركليز» أن الملاحة فن لا يمكن استعماله فى الاوقات غير العادية مثل الهواية ، وقد كان الاثينيون يمارسون هذا الفن مدة خمسين سنة ، وكان لا بد «لاسبرتا» من أن تنفق زمنا طويلا لتلحق بهم فى فن الملاحة .

ومما تطيب الاشارة اليه هنا أن قصة هذه الحـــرب قد وضعها للتـــاريخ المؤرخ «ثوسيديدس» الذى يعد من أكبر مؤرخى العالم وقد عاش طوال مدة هذه الحرب كلها ، وكان أولا قائدا ثم مؤلفا يقظا لــكل الحوادث التى وقعت حتى عام ٤١١ ق.م . ويكاد يكون هو المصدر الوحيد لدينا عن هذه الحروب وقد سبقت الاشارة اليه هنا

غزو أتيكا :

فى نهاية شهر مايو عندما كان القمح قد نضج سارت قوات «اسبرتا» نحو «اتيكا» . وعندئذ أتى أهل الريف الى «أثينا» بنصيحة من «بركليز» لحمايتها حاملين معهم أولادهم وأزواجهم وأمتعتهم الشخصية ؟ أما أغنامهم وحيواناتهم فأرسلوها الى الجزر المجاورة ، وقد استولى الحزن على معظم هؤلاء الناس لأنهم كانوا يسكنون فى الارياف دائما ، فلما فارقوا أوطانهم ومزارعهم ومحاريبهم التى كانت دائما ملكا لهم الى مواطن مجهولة لهم فى المدينة شعروا بمرارة فرقة هذه الأوطان المحببة اليهم . ولم يجد منهم الا القليل مأوى يأوى اليه ولذلك فان سائرهم قد ذهبوا ليسكنوا فى المساحات الخالية من المدينة أو فى المعابد والمحاريب (غير «الاكروبوليس») ، وفى الابراج التى فى جدران المدينة . وفيما بعد أقيمت لهم أكواخ فى المساحة الواقعة بين الجدار الطويل وميناء «بيروس» . وقد زحف جيش «اسبرتا» حتى صار على مسافة سبعة أميال من «أثينا» مدمرين فى طريقهم الغلال والمزارع . وقد فكر معظم الناس الذين فى المدينة وبخاصة الشباب منهم أن يخرجوا لوقف هذا العبث فى الحال . وقد تجمعوا فعلا عصابات وتناقشوا بحدة ، وقد انفجر الغضب فى المدينة على «بركليز» ، لأنه لم يسر على رأسهم لمقابلة العدو والواقع أنه رفض عن حكمة أن يقودهم الى الاشتباك فى معركة برية ، ولكنه أرسل أسطولا مؤلفا من مائة سفينة لتنهب وتستولى على المدن الواقعة على شبه جزيرة «البلوبونيز» .

ولما نضب طعام الجيش الاسبرتى عادوا الى وطنهم ولكن غاراتهم وكذلك الهجمات المضادة لهم حول الساحل على يد الاثينيين كانت تحدث كل سنة تقريبا فى هذه الفترة من الحرب •

وفى نهاية السنة أقيم مأتم عام فى «أثينا» من أجل أولئك الذين سقطوا فى ميدان الشرف ، فكانت عظامهم تحمل فى موكب مؤلف من عشر عربات كما كانت يوجد تابوت خال مغطى بكفن جنازى على شرف أولئك الجنود المجهولين الذين فقدوا ، ولم يعثر لهم على أثر مميز لهم • وهذا الموكب تبعته خطبة رثاء ألقاها «بركليز» تحدث فيها بألفاظ متوهجة ممتدحا بها المدينة التى كانت تعد «مدرسة هلاس» ، وذلك لأن كل العالم الاغريقى كان يأخذ العلم عنها ، فهى المدينة التى تتألف من رجال أحرار محبين للجمال والحكمة • ولا غرابة فى ذلك فانها المدينة التى أنشأت هؤلاء الرجال الشجعان الذين اذا دعا داعى الحرب خرجوا ليموتوا تاركين وراءهم ذكرى لا تموت ولا تفنى •

الطاعون وسقوط « بركليز » :

وفى العام التالى لقيام الحرب ظهر الطاعون فى «أثينا» وانتشر بسرعة بين سكان المدينة المزدحمة والتى كانت فى حالة غير صحية ، وقد أسهب «ثوسيديدس» فى وصف هذا الطاعون الذى أصابه هو ونجا منه ، وقد عرف كيف أنه أتى على حين غفلة ، وكيف كانت حالته شديدة ، وكيف أن الاطباء قد وقفوا أمام هذا الوباء مكتوفى اليدين ، ويقول « ثوسيديدس » كذلك ان الناس الذين نجوا منه ظنوا أنه لا يمكن لأى مرض آخر أن يقضى على حياتهم ، وقد جرف هذا المرض ربع سكان المدينة ولم يعد قط عدد السكان الى ما كان عليه قبل هذا الطاعون •

ولما استولى اليأس والبؤس على السكان قاموا على «بركليز» ولاموه بغير حق على ما هم فيه وكان ابناه قد ماتا بالطاعون وقد مرض به هو نفســه ، ولكنه لم يقض عليه ، غير أنه لم يسترد صحته منه تماما • وعلى الرغم من أن الناس رضــوا عنه ثانية وانتخبوه

قائدا الا أنه مات فى السنة التالية أى عام ٤٢٩ ق٠م٠ وهكذا كانت نهاية «بركليز» وهو الرجل الذى أقام «أثينا» وبنى صرح حياتها بعد حروب الفرس كما أسس الامبراطورية الأثينية ٠

وفى خلال ثمانية السنين التالية كان الاثينيون بوجه عام منتصرين اذ كان فى مقدورهم أن يهزموا أسطول العدو ويحافظوا على أن تكون الطرق البحرية مفتوحة لاستيراد مؤنهم ؛ ولكنهم أخطأوا السيطرة الحكيمة التى كان يتصف بها «بركليز» فكان مثل الدولة كمثل عربة تجرها خيل تشد فى جهات مختلفة ٠ ولم يكن هناك رجل مثل «بركليز» ليقودها الآن فيمسك بخيله ويقودها الى النظام ويسهر على حراسة ومنع أى خطر حوله ، دون أن يحول نظره عن الهدف الذى يرمى اليه ٠

«كليون» (Cleon) : و«كليون» يقدم لنا مثلا من نوع جديد من القواد السياسيين فى «أثينا» فقد كان رجلا شعبيا وهذا هو نوع القائد الذى استطاع بلغو القول والعنف فى الرأى والكلام أن يهز مشاعر الشعب ويتسلط عليه ٠ والواقع أنه كان قاسى القلب ، واثقا بنفسه ، وماهرا ٠ وسنرى من الحوادث التالية صدق اتصافه بهذه الصفات ، وسنشاهد أى شخص هذا الذى كانت فى يده قيادة الشعب الاثينى فيما يلى :

١ ـ فقد كانت «ميتيلين» أهم مدينة فى جزيرة «لزبوس» التى كانت قد خرجت على «أثينا» ، وقد أغرى « كليون » الجمعية الاثينية بأن ترسل أمرا فى الحال بقتل كل الرجال واستعباد كل النساء والاطفال فى هذه المدينة ؛ ولكن الاثينيين فى اليوم التالى لذلك ندموا على اصدار هذا المرسوم وأرسلوا سفينة أخرى مسرعة عبر بحر « ايجه » ليلا ونهارا لسحب هذا المرسوم ، وقد وصلت السفينة فى الوقت المناسب ، ونجا القوم من هذا الحكم الجائر ٠ وقد ترك «كليون» فى «أثينا» ساخطا على هذا الضعف فى معاملة الثوار الذين يجب أن يعاملوا بما يستحقون مظهرا للكل أن العصيان معناه الموت ٠

٢ ـ ويروى لنا التاريخ حادثة أخرى عن تعنت « كليون » وذلك أن القائد

« دموستين » القوى البأس ـ وهو غير الخطيب الشهير الذى سنتكلم عنه فيما بعد ـ استولى على رأس من الأرض يسمى « بيلوس » عام ٤٢٥ ق٠م ٠ يقع على الساحل الغربى من جزيرة « سفاكتيريا » (Sphacteria) ، وبذلك سد الطريق فى وجه أربعمائة وعشرين لاسيدمونى فى جزيرة «سفاكتيريا» جنوبى « بيلوس » ٠ وقد حزن أهل « اسبرتا » على هذا الاستيلاء على جزء من أراضيهم وعلى حصار رجالهم لدرجة أنهم أرسلوا رسلا الى « أثينا » يعرضون عليها الصلح والمهادنة ، غير أن ذلك لم يرق فى عينى « كليون » وحزب الحرب ، قائلين بأنهم قد استولوا الآن على شىء فلا يمكن التخلى عنه ويطلبون المزيد طمعا وانتقاما فى مقابل فك الحصار عن هؤلاء التعساء أكثر مما يجب مما اضطر الرسل الى مغادرة « أثينا » دون الوصول الى نتيجة مرضية ٠ والآن يتساءل المرء كيف كان يمكن أن يصبح تاريخ «أثينا» مختلفا اذا كان على رأسها ناصح أعقل من « كليون » هذا ؟ نرى بعد ذلك « كليون » ثانية فى الجمعية العمومية موبخا القواد لجعلهم حادثة « سفاكتيريا » تجر فى أذيالها ببطء دون عمل حاسم ، ويقدم لنا المؤرخ « توسيديدس » بيانا حيا عن هذا المشهد ، فقد أشار « كليون » الى « نيسياس » ((Nicias)) أحد القواد مفاخرا بأنه هو الذى يمكنه أن يستولى على الجزيرة ، اذا كانت قيادة الجيش فى يده ٠ وقد دهش عندما أخذته الجمعية بكلمته ، وقد انفجروا بالضحك عندما أعلن أخيرا أنه سينهى هذا الحادث فى مدى عشرين يوما وكم كانت دهشتهم عندما عاد بالأسرى الاسبرتيين مما جعله بطل الساعة ٠ ولم تمدنا الأخبار عن هذا القائد «دموستين» الذى قام بمعظم عبء هذا العمل هل نال شيئا من الشكر ؟ ٠ وبعد ذلك بثلاثة أعوام قتل «كليون» والقائد الاسبرتى «براسيداس» الذى انتصر على الاثينيين فى موقعة حاسمة فى « مقدونيا » فى نفس الحرب ٠ وكان كل من « اسبرتا » و « أثينا » وقتئذ قد ملت الحرب وتعبت بعد استمرارها عشر سنين ، فعقد بينهم صلح يدعى صلح « نيسياس » على أن يسلم كل فريق ماعنده من الاسرى وما فتحه من أرض عام ٤٢١ ق٠م ٠٠ غير أن هذا كان

صلحا مضطربا فقد أعقب امضاءه مباشرة القلاقل والمشاحنات وعمل محالفات ونقضها وهذا ما ينافى السلام مع كل الوجوه •

الحملة على « صقلية » :

وعلى أية حال فان ماجلبه صلح « نيسياس » هذا هو اخماد نار الحرب لمدة سنتين أو ثلاث ، وفى خلالها كانت أحلاف ومحالفات كثيرة تعقـد بين حكومات بلاد الاغريق المختلفة حتى أنه كان من العجب أن حكومة من هـذه كان فى استطاعتها أن تعرف صديقها من عدوها من الحكومات الأخرى ، فكان حلفاء « اسبرتا » حانقين عليها لأنها عملت ماهو صالح لنفسها فى هذه المعاهدة ، ولم تهتم بمصالحها • هذا الى أن كثيرا من المدن المستولى عليها عارضت فى أن تعود ثانية الى حكامها السابقين كما نصت على ذلك المعاهدة • وقد عقدت كل من « اسبرتا » و « أثينا » فيمـا بينهما اتفاقا يقضى باجبـار حلفائهم على اطاعة ماجاء فى المعاهدة من شروط •

وتدل شـــواهد الأحوال على أن « أثينـا » كانت لاتهتم بشىء الا بزيادة أملاك امبراطوريتها ، وكانت تحكم وتشـذ الجزر التى فى شرقى بلاد الاغريق ، ولـكنها لم تكتف بذلك بل تطلعت الى جزيرة صقلية ، ومن ثم أخذت تفكر فى ذلك •

وقد رأينا فيما سبق كيف أن مدنا اغريقية قد أقيمت حول ساحل البحر الأبيض المتوسط وبخاصة حول « صقلية » وفى جنوب ايطاليا • وكانت «سرقوصة» مستعمرة أسستها « كورنث » فيما مضى هنـاك حوالى ٧٣٤ ق•م • وقد أصـبحت الآن أقوى مدينة فى صـقلية وكان حكامها المطلقون يعيشـــون فى بذخ وقوة كأنهم ملوك وقد اجتذبت كثيرا من عظماء بلاد الاغريق الى بلاطها ، ونخص بالذكر منهم «ايسكيلس» الذى وفد اليها من «أثينا» و «بندار» من «طيبة» ، هذا الى كثير غيرهما ، وكانت المدينة من القوة والتشـــجيع للفنون والعلوم بحيث أصبحت تلقب « أثينا الغرب » • وقد أدى كبرياء « سرقوصة » وغرورها الى أن أعلنت الحرب على بعض مدن « صقلية » ، وكانت معاملتها الغاشمة وطرقها التى لاتطاق ، قد جعلت أهل هـــذه المدن يحقدون

عليها بعد أن ظلوا سنين عدة أحرارا فى مدنهم . وكانت «أثينا» على ود ومصافاة مع بعض هذه المدن ، وبذلك انتهزت هذه الفرصة لتمد سلطانها ونفوذها على «سرقوصة» خوفا من ازدياد سلطان الأخير . ولكن يتساءل المرء هل كانت «سرقوصة» تهدد فعلا مواردها من الغلال الآتية اليها من « صقلية » ، وان هذه كانت الفرصة السانحة أمامها لمد امبراطوريتها نحو الغرب كما كانت تريد ؟ وجوابا على ذلك يجب أن نعود الى « أثينا » ونرى أى صنف من الرجال قد أخذوا على أنفسهم الاجابة على هذين السؤالين .

كان « نيسياس » الذى سمى باسمه الصلح الذى لم يدم الا مدة قصيرة رجل دين ثريا أمينا ومحترما ومحبا للسلام ، معتدلا فى تصريف الأمور . وقد أظهر براعته فى قيادة الجيش ، غير أنه كانت تنقصه القوة والعزيمة اللازمتان للقيام بالواجب الملقى على عاتقه . وكان عليه لانجاز هذا الواجب أن يعمل مع رجل على طرفى نقيض منه من حيث الأخلاق والأفكار .

هذا الرجل هو « السيبيادس » (Alcibiades) ، فقد كان شابا لامعا مشرق الطلعة ، وقد نشأ فى أحضان الحياة الناعمة والترف ، ولم يلبث بعد ذلك أن وقع تحت سحر المالقين الذين نفخوا فى أوداجه بأنه سيفوق كل القواد ورجال السياسة الآخرين حتى «بركليز» نفسه . ومن أجل هذا لم تستطع تعاليم الفيلسوف «سقراط» الذى كان يكن له احتراما حقيقيا ومحبة خالصة أن تتغلب على كل هذا الملق أو تثنى عقل « السيبيادس » عن عزمه . والواقع أنه كان لايتحول عن هدفه ولا يخضع لقانون ولا يعرف معنى أن يكون مستقيما وشريفا ؟ غير أن كثيرا من المواطنين قد أخذوا ببلاغته ومباهاته ، وكانوا على استعداد أن يتبعوه فى كل مشاريعه الجريئة . وكان فى تلك اللحظة يعمل لنقض السلام ويكون فى عقله فكرة القيام بحملة عظيمة على بلاد الغرب ، فقد كان يظن أنه فى مقدوره أن يضم الى امبراطورية « أثينا » تحت قيادته اللامعة القوية «صقلية» و «قرطاجنة» وساحل أفريقا وايطاليا . وقد انتهز

الفرصة المواتية . ففى عام ٤١٦ ق.م . نشب شجار بين بلدين من بلاد « صقلية » هما « سلينوس » (Selinus) التى كانت تعضدها « سرقوصة » و « سجستا » (Segesta) وكانت حليفة « أثينا » . وجاء الرسل من « سجستا » الى «أثينا» طالبين النجدة ، على أن يدفعوا كل مصاريف الحملة ، وجوابا على ذلك أرسل مبعوثون من « أثينا » ليروا ، اذا كانت « سجستا » يمكن أن تنفذ وعدها ، وقد احتفل بالبحارة فى بيوت المدينة الواحد بعد الآخر وأقيمت لهم موائد مجهزة بأقداح الشراب المصنوعة من الذهب والفضة وقد رأى الضيفان عددا عظيما من الأوانى المقدسة كذلك فى خزانة المعبد . وقد أخذ الأثينيون بكل هذا الثراء وأثروا على « السيبيادس » بما رأوه وصوتوا للحملة على « سرقوصة » . وقد رفضوا الاصغاء الى « نيسياس » عندما حذرهم من الشروع فى اشعال نار حرب أخرى ليس لها مايبررها ، وفى حين أن بلادهم كانت « لا تزال فى وسط الأمواج » . وقد وضعوا الحملة برياسة « نيسياس » و « السيبيادس » وقائد من الجنود العاملين المشهور لهم يدعى « لاماكوس » ((Lamachus)) . وفى أثناء أن كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق أزعج الاثينيون ذات صباح حينما وجدوا «هرما» [1] التى كانت منصوبة فى محاريب وعند أبواب بعض البيوت قد هشمت وجوهها وكسرت فى أثناء الليل بأيد مجهولة . وقد اشتبه فى أمر « السيبيادس » وصحبه ، وعد ذلك أنه هو نوع السلوك الجنونى الذى قد انغمسوا فيه ، وقد كان الهياج بسبب ذلك بالغا أشده ، وأن مثل هذا الانتهاك لحرمة الاله كان يعد فألا شؤما للحملة ، ومن الجائز أن ذلك العمل المشين كان جزءا من مؤامرة على الديموقراطية ؟ ومع ذلك فان الحملة قد تحركت نحو غرضها المنشود فى منتصف الصيف ومعها « السيبيادس » .

وقد وصف لنا «ثوسيديدس» تلك الحملة الشهيرة وصفا بارعا ، ففى فجر اليوم المحدد ذهب الاثينيون الى ميناء «بيروس» وأخذوا فى تجهيز السفن . وقد ذهب

---

(١) وهو تماثيل نصفية للاله « هرميس » على عمد مربعة

كل فرد من المدينة تقريبا كذلك ليودع الاصدقاء والأقارب والأبناء يحدوه الامل والاسى أما الأمل فكان للحصول على مغانم جديدة وأما الاسى فكان لخوف ألا يرى ذويه ثانية ؛ ولكن الجميع قد دبت فى نفوسهم الشجاعة عندما نظروا الى قوة أسطولهم وجماله ، وكان كل صاحب سفينة حربية يعمل جهده فى أن تظهر سفينته بأنها تفوق السفن الأخرى فى السرعة والجمال وفى رجالها المحاربين ، وكانوا رجالا منتخبين ، قد ينافس بعضهم بعضا فى حسن التسلح للحرب • وعندما جهزت السفن وكان كل شىء على ظهرها نفخ بوق ليسود السكون ثم قاد الجميع حاجب للقيام بالصلاة المعتادة قبل السفر ، وقد انضمت اليهم الحشود الذين كانوا متجمعين عند الشـاطىء فى اقامة هذه الصلاة • وبعد ذلك أنشد البحارة صلاة للاله « أبوللو » ، وسـاروا فى البحر يقودون مائة وأربعا وثلاثين سفينة حربية وسفنا أخرى كثيرة تحمل على ظهرها سبعة وعشرين ألف مقاتل • وقد أبحروا أولا فى صف واحد وتسابقوا حتى « أجيتا » ومن ثم أسرعوا الى « كورسيرا » حيث كانت سفن حلفائهم متجمعة ؛ ومن ثم أبحروا الى الغرب • وعندما اقتربوا من « صقلية » سمعوا أنه لم يكن فى « سجستا » الا القليل جدا من المال الذى وعدوا به ، وأن الأوانى الذهبية المقدسة كانت فضة مذهبة ، وأن أوانى الشراب من الذهب والفضة التى كانت معروضة على موائد مضيفيهم قد جمعت من « سجســتا » ومن غيرها من المدن ونقلت من بيت الى بيت للتمويه باعطاء فكرة كاذبة عن ثروة المدينة • حقا كانت هذه أخبار سيئة غير أنهم قرروا المضى فى القيام بحملتهم وقد عملوا بنصيحة « الســيبيادس » فلم يهاجموا « سرقوصــة » فى الحال بل اجتهدوا أولا أن يكسبوا الى جانبهم المدن الأخرى • وعلى أية حال فان هذا التصميم قد خاب لأنه لم يسـتقبلهم بالترحاب الا مدينــة « ناكســوس » (Naxos) فى حين كان لدى « سرقوصة » الوقت للاستعداد للدفاع عن نفسها • وقد حضر الى « ناكسوس » سفينة-شراعية على جناح السرعة من «أثينا» عادت «بالسيبيادس» لأجل أن يحاكم بسبب تهشيم تماثيل «هرما» ، ولكن الأسطول الاثينى أقلع الى «سرقوصة» ،

وعلى الرغم من كل هذه العوائق والمنغصات بقيادة « نيسياس » فانه أنزل جيشه وأخذ في تضييق الخناق على المدينة باقامة جدار من الجنوب والشمال وقد كان أهل «سرقوصة» في يأس تقريبا لأنهم عندما أرادوا أن يقطعوا الجدار ببناء جدران مضادة كان الاثينيون أسرع منهم فصارت أعمال البناء تمتد نحو الساحل الشمالي أقرب فأقرب ؛ وبالاضافة الى ذلك كان الأسطول الاغريقي الآن في مينائهم الكبير • وعلى أية حال فان الحظ انقلب على الاثينيين لانه في الحرب التي دارت حول الجـــدار الذي كان لم يتم ، قتل « لاماكوس » ، وممـا زاد الطين بلة أن « نيسياس » الذي تركه وحـده في القيـادة أصابه مرض •

وفي تلك الاثناء هرب « السيبيادس » من السـفينة التي كانت تحمله الى « أثينـا » واتخذ طريقه نحو «اسبرتا» • وهناك انقلب الى خائن على بلاده فقد أخبر الاسبرتيين كيف يمكنهم أن يلحقوا الأذى بالاثينيين فعملوا على حسب نصـيحته وأرسـلوا الى « سرقوصة » قائدهم « جليبيبوس » (Glypippus) • وقد عمل بقوة ونشـاط حتى أوقف الاثينيين عن اتمام جدارهم وهزمهم في القتال الذي دار حوله •

وقد أرسل الآن « دموستين » من « أثينا » بجيش وأسطول لمساعدة « نيسياس » وقد حثه على انزال رجاله في السفن الاثينية في الميناء الكبير • ولسوء الحظ حدث كسوف للقمر عندما كانوا قد بدأوا في انزال الجنود ، وقد ظن « نيسياس » المتشـائم أن هذه ظاهرة على أنه يجب عليهم أن ينتظروا حيث كانوا لمدة سبعة وعشرين يوما • وعندما حل الوقت الذي رضي أن يتحرك فيه بجيشه كان أهل « سرقوصة » قد سدوا مدخل الميناء وبذلك أصـبح الأمل الوحيـد الذي أمام الاثينيين هو أن يخترقوا الحاجز الى عرض البحر •

موقعة الميناء سبتمبر سنة ٤١٣ ق٠م٠ نزل الجيش الى السفن وجهزت ، ثم وقعت واقعة عظيمة في الميناء • ومن البدهي أنه في المياه الضيقة المزدحمة بالسفن كان لايمكن أن يوجد نظام في الحرب ، فقد اشتبكت سـفينة أخرى في كل أنحاء الميـناء ؛ وعندما

كانت الواحدة تلتصق بالأخرى كان بحارتها يتحاربون بالايدى فى وسط أصوات السفن المتصادمة والأصوات العالية المنبعثة من القيادة . وكان يقف على الشاطىء سكان المدينة كما كان الأثينيون يقفون فى معسكراتهم مراقبين المعركة بين الرجاء واليأس وفى النهاية أجلى الجيش السراقوصى مراكب الاثينيين الى الشاطىء واندفع البحارة طالبين النجاة فى معسكراتهم .

التقهقر :أخذ بعد ذلك الجيش الأثينىيتقهقرعلىاليابسة غربا ، ولكنهوجدطريقهقد سدت فى وجهه بالعدو ، فعادوا جنوبا وفى ليلة اليوم السادس من تقهقرهم فرق الظلام بين الفيلقين اللذين كان يتألف منهما الجيش . وقد كان هذا الحادث بداية النهاية . فحوصر « دموستين » فى خميلة من الزيتون وأجبر على التسليم أما «نيسياس» الذى كان على رأس فيلقه الثانى ، فقد شق طريقه محاربا حتى وصل الى مجرى ماء فوجد العدو أمامه على الشاطىء الثانى للنهر ؛ وقد هجم رجاله الى الماء ليطفئوا ظمأهم ولما كان كثير منهم بعيدا عن اخوانه فان العدو انقض عليه وقتله ، وكذلك قتل كلا من « دموستين » و«نيسياس» ، وسيق كثير من الأسرى ليعملوا فى قطع الأحجار من محاجر « سرقوصة » ، ومن بقى منهم على قيد الحياة بيعوا عبيدا . وقليل منهم حررهم أسيادهم فى مقابل أنهم ألقوا عليهم خطبا أو أناشيد من شعر « يوربيديز » ، ووصلت القلة القليلة منهم الى وطنهم ليقصوا قصة مصابهم . وعلى الرغم من الأخبار المخيفة التى حملوها فان « أثينا » رفضت أن تستسلم لليأس وبنت أسطولا جديدا .

وفى هذا الوقت كان « السيبيادس » قد تشاجر مع «اسبرتا» ، ثم ذهب عند الفرس الذين كانوا يشجعون حلفاء «أثينا» على القيام بثورة . ولم تلبث أن رأينا «السيبيادس» يقلب ظهر المجن للفرس وطلب أن يعود ثانية الى «أثينا» فاستدعته فعلا ، ولكن على الرغم من أنه قد ساعدها على أن تنال نصرا فى البحر فانه اتهم بالخيانة مرة أخرى فعزل ونفى ، ثم اعتزل فى قصره بالقرب من «هلسبونت» وفيما بعد ذهب الى «فريجيا» حيث حوصر بيته بأمر من « اسبرتا » بجنود من الفرس وقتل .

سقوط اثينا :

على الرغم من أن «أثينا» قد فقدت معظم حلفائها فانها استمرت فى الحرب بعد ذلك تسع سنوات أخرى وقد انتصرت بعض انتصارات هامة بحرا ، ولكن فى نهاية الأمر سارت كل من « اسبرتا » والفرس بأسطول عظيم لمحاربتها فى « أجوسبوتامى » (Aegospotami) الواقعة على « هلسبونت » عام ٤٠٥ ق٠م فهزماها شر هزيمة وقد أجبر «ليساندر» القائد الأسبرتى آخر حلفاء «أثينا» على أن يخضع له وحاصر «أثينا» نفسها ومنع عنها مواردها من الغلال حتى سلمت ، ولكنه لم يخرب المدينة لأنها قامت بخدمات عظيمة لبلاد الاغريق فى زمن محنتها فى الماضى ، غير أنه أجبرها على أن تنزل عن امبراطوريتها وكل سفنها الا اثنى عشرة سفينة ، كما جعلها تهدم جدرانها الطويلة وحصونها فى « بيراوس »(Piraeus) ، وكان على « أثينا » أن تكون حليفة «لاسبرتا» وما عدا ذلك فانها كانت فيه حرة •

وفى خلال مدة الثمانية عشر شهر التالية لم يكن هناك سلم أو أمان فى «أثينا» ، فقد قام حزب يرمى الى جعل « أثينا » تحكم بالاقلية ، وقد استولى ثلاثون من هذا الحزب على السلطات بقيادة « كريتياس » (Critias). • وفى مدة قصيرة أطلق عليهم اسم الحكام الثلاثين المستبدين • وفى خلال مدة حكمهم القاسى قتل مئات من الديموقراطيين ونفى كثير ، ولم يقض على هذه الفوضى وسفك الدماء الا بعد قتل «كريتياس» فى حرب مع أنصار الديمقراطية ، ثم أتى ملك «أثينا» ليصلح بين الحزبين وبمساعدته نفى الحكام المطلقون وأعيدت الديمقراطية الى ربوعها عام ٤٠٣ ق٠م •

العلوم الأغريقية

الفلسفة :

تحدثنا فيما سبق عن حروب بلاد الاغريق وامبراطوريتها وسنحاول فيما يأتى أن نضع صورة مصغرة عن حياتها العقلية وبخاصة ماخلفته للعالم من فلسفة ومبادىء علوم فى شتى الفروع مما كان الأساس الذى بنت عليه أوروبا حياتها العقلية والعلمية والأدبية . ولأجل أن نصل الى كنه الحياة العقلية ونموها فى بلاد الاغريق يجب أن نعود الى الوراء فى تاريخ نشأة هذه البلاد من حيث العلوم والمعارف أى قبل ظهور فيلسوفها العظيم « سقراط » بنحو مائتى سنة عندما كانت تلك البلاد ترقى سلم التقدم على يد رجال قد وقفوا حياتهم لا على الحرب بل الى تنمية الحياة الفكريه واذكاء روحها . والواقع أن الفضل فى ذلك يرجع الى الممالك المجاورة لبلاد الأغريق اذ قد بدأ نجم الاغريق يسطع فى وقت كانت فيه ممالك الشرق المتاخمة لها على جانب عظيم من العلوم والمعارف . وآية ذلك أن بلاد «أيونيا» الساحلية كانت مسكونة بمواطنين اغريق فى مقدورهم أن يختلطوا بأهل الامبراطوريات الشرقيه ويأخذوا عنهم معارفهم . والواقع أن هذه الجهة كانت نقطة بداية حسنة للأسفار والمخاطرات فى كل جهة من جهات العالم المعروف وقتئذ . وهذه الأسفار عادت على من قام بها بالمعارف الجديدة والأفكار الحديثة وبخاصة على أصحاب العقول التى تبحث وراء حب الوصول الى الحقيقة من أولئك الأيونيين ، وبذلك نرى أنه فى عصر مبكر جدا فى تاريخ هذه البلدان الاغريقية أنها أصبحت أكثر تقدما من بلاد الاغريق نفسها .

« **ثالس** » (Thales) : وكان أول وأعظم هؤلاء المفكرين من أهل «أيونيا» هو «ثالس» من أهالى « ميليتس » ولد عام ٦٢٤ ق٠م . ويقال أن أعماله الهندسية قد حملته على السفر الى مصر حيث أمضى فيها سنين عدة وقد عاد من بلاد الفراعنة يملؤه الاعجاب بالعلوم المصرية لدرجة أنه ترك التجارة وانقطع الى تحصيل

العلم فدرس الفلك وكان فى قدرته أن يتنبأ بوقوع الكسوف ، وخطا خطوات واسعة فى علم الهندسة وعلى الرغم من أن المصريين قد درسوها فان أشكالهم الهندسية كانت تتألف من خطوط أو زوايا ذات حجم خاص أو صورة خاصة فى حين أن «ثالس» قد كشف حقائق صالحة لأى شكل من النوع الذى كان يصفه ، مثال ذلك أنه عرف أن مجموع زوايا أى مثلث يساوى زاويتين قائمتين ، وان الزاويتين اللتين عند قاعدة مثلث متساوى الساقين متساويتان وأن الزاويتين المتقابلتين اللتين تكونان بأى خطين متقاطعين تكونان متساويتين . وكان كذلك فى مقدوره أن يطبق الهندسة على المسائل العملية كحساب ارتفاع هرم من ظله أو مسافة بعد سفينة فى البحر من اليابسة . هذا وكان «ثالس» يعرف شيئا عن المغنطيسية أو الجاذبية ، والكهربا التى تحدث من الاحتكاك (أى يحك مادة بأخرى) . وكان الكهرمان (وهو بالاغريقية = الكترون) ـ وهو العصارة المتجمدة المستخرجة من نوع من شجر الصنوبر تنمو على ساحل البحر البلطى ـ معروفا بجماله وقد استعملته السيدات الاغريقيات قلائد وحلى ـ كما هى الحال فى مصر وبخاصة فى الأرياف هذا فضلا عن أنه يستعمل مسابح فى كل العالم الاسلامى ـ وقد لاحظ «ثالس» أن الكهرمان عندما يحك بنسيج ملبس يجتذب اليه قطعة صغيرة من الشعر أو القش أو التراب وقد ظن أن ذلك يرجع الى روح خفى ، أو جن كامن فيه ، ووجد أن مادة واحدة أخرى كانت لها نفس هذه القوة الجاذبة للأشياء ، وهذه المادة هى حجر المغنطيس الذى وجد فى « ماغنيزيا » ببلاد آسيا الصغرى . وهناك قصة تروى عن صبى راع من « طراودة » كان يحتمى بصخرة من حرارة الشمس ، وقيل أن عصاة المعكوفة المصنوعة من الحديد قداجتذبت من يده وعلقت بالصخر فوق رأسه وقد فسر هذا ثانية بأن الحديد النفل كان يسكنه روح خفى أو جهرا .

وهذه الملاحظات التى لاحظها « ثالس » ـ وكانت قد بقيت ذكراها ولكن لم تأخذ تطورها العلمى فى الأزمان القديمة أو فى القرون الوسطى ـ قد استعملها فى عام

١٦٠٠ م . الدكتور « جلبرت » الانجليزى من « كولشستر » ((Colchester))
للمرة الأولى فى اجراء تجارب منظمة فى علوم المغناطيسية والكهربية .

وكانت كلمة « فلسفة » فى طورها الأول (حب الحكمة) تشمل العلوم والرياضيات وقد اجتهد بعض الفلاسفة فى أن يفكروا فى سبب وطبيعة العالم الذى رأوا عجائبه حولهم . وقد رأى « ثالس » أن الماء هو الذى ساعد على الحياة وامدادها ولذلك فكر فى أن الماء هو السبب الأول لكل هذه الأشياء ، وقد فكر آخر غيره فى أن السبب الأول هو النار وتوهم ثالث أنه هو الهواء وظن رابع أنه هو الضباب أو البخار الذى لم يكن فى الواقع الا صورة أسمك أو أرفع تتألف منه النار والماء والهواء والسحاب والأرض . وكشف بعض الفلاسفة حقائق أصبحت فيما بعد جزءا من الفكر العلمى مثال ذلك اعتقد أحد العلماء أن العالم يتألف من ذرات [1] ، غير أنه فى استعمال هذه الذرات لم يكن يسير على قواعد علمية صحيحة جدا ، وذلك لأنه ظن أن العالم ومشتملاته كان يتألف من هذه الذرات متصادمة معا عندما تسقط فى الفضاء . وكذلك قرن « ثالس » الدنيا بطبق مسطح عائم على الماء ، ولكن فى هذا الوقت ظن بعض العلماء أنه يمكن أن تكون كرة ، وأنه من المحتمل ألا تكون المركز الذى تدور حوله الأجرام السماوية وأن الشمس كانت أكبر مما نرى وأنها من المحتمل أكبر من كل شبه جزيرة «البلوبونيز» . وتدل شواهد الأحوال على أن ثالس قد نقل الكثير من أفكاره هذه عن المصريين فى زيارته لأرض الكنانة .

وفى حين كان العلماء يبحثون عن الحقائق بهذه الطريقة كانت « أثينا » تنمو من مدينة صغيرة الى مدينة هامة جدا . فعندما انتهت حروب فارس وأصبحت « أثينا » بقيادة «بركليز» صاحبة شهرة عظيمة بقوتها وفنونها وآدابها ، توجه اليها العلماء من أنحاء كثيرة من العالم الاغريقى ومن بين هؤلاء العلماء طبقة تعرف «بالسفسطائيين» الذين أخذوا على عاتقهم أن يعلموا بأجر أى فرد من أفراد البلاد وبخاصة الاجرومية

---

(١) وهى أجزاء لايمكن كسرها الى جزئيات .

والآداب والبلاغة ، وهذه الدراسات كانت تجعل الفرد أكثر تثقيفا وتساعده على أن يفكر بوضوح ويكون حسن الحديث فى المجتمع . ومثل هذا التعليم لم يكن الا تعليما الى حد ما ، وأن الغرض منه كان تدريب الشبان فقط على أن يسيروا فى الحياة ، وأن يعرضوا بطريقة خلابة معارفهم على الناس .

وفى هذا الوقت كان الفلاسفة قد أخذوا يملون التأملات عن طبيعة العالم وأصبحوا الآن يهتمون أكثر بالفلسفة البشرية وما يتبعها من درس العقل وسلوك الانسان . ومن أهم المفكرين فى هذا الحقل الفيلسوف « سقراط » .

« سقراط » وأثره فى الفكر الانسانى :

اذا كان الرجال يقدرون بآثارهم الخالدة فان « سقراط » يعد فى الطليعة بين عظماء العالم المفكرين الذين حملوا شعلة الفلسفة ، وجعلوا نورها يسطع على العالم الذى عاش فيه ، وعلى الأجيال التى لاتحصى من بعده . واذا كانت أعمال « بركليز » و «ليسندر» قد تركت أثرها أجيالا قليلة فى جزء صغيرة من العالم فان روح «سقراط» قد ترك أثرا لايمحى الى الأبد على الفكر الانسانى .

ولد هذا الفيلسوف بالقرب من « أثينا » عام ٤٦٩ ق.م وعاصر الحوادث الجسام التى وقعت فى بلاد الاغريق فى عهد « بركليز » ومن بعده ، فقد رأى « أثينا » فى عز نصرها وفى ذل سقوطها ، وكان يحبها حبا جما حتى أنه لم يغادرها الا عندما كان يناديه واجبه بوصفه مواطنا أثينيا ليحارب فى حرب « البلوبونيز » . وقد أظهر شجاعة وبديهة حاضرة فى الحرب ، فقد نجى « السيبيادس » مرة فى ساحة الميدان بوقوفه بجانبه عندما جرح وحماه من الأعداء . وكان صبورا على تحمل الجوع والبرد القارس حتى أنه فى شدة برد الشتاء القارس عندما كان الناس يقون أنفسهم من البرد بالملابس الدافئة كان يمشى عارى القدمين على الثلج . وفى ذات يوم حدث فى المعسكر أمر غريب ، وذلك أنه من الصباح المبكر حتى المساء رئى واقفا وحده فى فكر عميق كأنه يسأل نفسه ويجاوبها ، وقد بقى واقفا

طوال الليل الى أن طلعت الشمس فحياها بصلاة ثم ذهب ، وفى « أثينا » كان يلاحظ على « سقراط » كذلك أنه شاذ عن غيره من الناس ، وكان لايزال يهتم بأى شيء لراحته الشخصية ، وكان قبيح الخلقة رث الملبس وجهه منبسط ، أفطس الأنف ، جاحظ العينين ، ومع ذلك فانه كان يحيط به حشد من الناس فى السوق ، وفى أماكن أخرى من التى كان يتجمع فيها مواطنوه •

وفى عصره كان الناس قد بدءوا يهتمون بالانسان وعقله وسلوكه ومثله العليا • وقد وهب « سقراط » نفسه الى هذه الناحية من الفلسفة وهى الخاصة بالبحث عن الحقيقة والحكمة والتى ينبغى أن تقود سلوك الناس • وقد كان عبقريا بصورة غير منتظرة ، وبعيد النظر لدرجة أن كلماته قد استحوذت على آذان سامعيه وضربت باعراقها فى عقولهم أكثر من أى كلام بليغ • وكان « سقراط » لايأخذ أجرا مقابل تعليمه من الناس ، وذلك لأنه أدعى أنه ليس الا زميلا باحثا عن المعرفة مع أتباعه • وقد استولت عليه الدهشة البالغة عندماذهب صديقه «كايرفون»(Chaerephon) المندفع الى «دلفى» ليسأل الوحى اذا كان يوجد أى رجل أعقل من «سقراط» فأجيب أنه لايوجد من هو أعقل منه • وقدقال «سقراط» : ذهبت اولا الى رجل سياسى ولكنى وجدت أنه لم يكن أكثر عقلا على الرغم من أن كل انسان بما فيه هو نفسه فكر هكذا ، ثم ذهبت بعد ذلك أسأل الرجل تلو الرجل مكونا لى أعداء كل يوم ، وأخيرا ذهبت الى شعراء وصناع كانوا مهرة فى فنهم ، ولكنهم ليسوا عقلاء بالمعنى الحقيقى ، وعلى ذلك فانى فى نهاية الأمر قررت أن الوحى قصد من جوابه أن هؤلاء الناس الأرجح عقلا هم الذين يعرفون مثلى أن حكمتهم لاتصل الى شيء » •

وكان « سقراط » يظن أن الناس قد عملوا الشر لأنهم كانوا يجهلون الخير ، وعلى ذلك اجتهد فى أن يرشدهم الى الحقيقة بأمثلة مثل : ماهو الصلاح والعدل والشريف والوضيع والجميل والقبيح ؟ وأرشدهم بطريق السؤال والجواب ليعرفوا بأى كيفية كانت آراؤهم سطحية أو مرتبكة ، وأن يفكروا لانفسهم لأجل أن يصلوا الى أصول

الأمر الذى يبحثونه • ولم يحاضر تلاميذه أو يملى شيئا قط من أفكاره بل كان باحثا مثلهم • وقد تضايقت طبقة السفسطائيين منه عندما ادعى أنه فى حاجة الى التعلم منهم ، ثم أخذ يحرجهم بأسئلته ، ولكن الشباب الذين كانوا يتبعونه أحبوا فطنته وسحره كما كانوا مخلصين له أشد الاخلاص •

وبعد أن أمضى ثلاثين عاما على هذا النحو من التعليم أخذ بعض الأثينيين يظنون به الظنون حتى أنهم اتهموه بأنه أصبح مصدر خطر على الدولة • فقد قالوا أن أتباعه قد انقلبوا الى عناصر سوء وبخاصة « السيبيادس » الخائن و «كريتياس» الذى انقلب مستبدا ، هذا بالاضافة الى أنه كان هناك آباء تذمروا ، لأنهم ظنوا أن أولادهم كانوا يضيعون وقتهم معه وأصبحوا غير مستقرين ؟ وكذلك اضطربت عقول كثير من الناس بطرق وكلمات هذا الفيلسوف الغريب الأطوار • وقد شكوا فى آرائه عن الآلهة ، وذلك على الرغم من أنه كان يقوم بأداء الشعائر الخاصة بهم والصلوات الواجبة عليه ، فانه أنكر صراحة القصص القديمة الخاصة بحروبهم وأضغانهم ، وكثيرا ماكان يتحدث عن الله لا عن الآلهة ، وعن صوت خفى ، وعن وازع قدسى كان قد أتى اليه من وقت لآخر عندما كان يتأمل درس موضوع • وفى عام ٣٩٩ ق•م • اتهم بأنه لايعتقد فى آلهة المدينة ، وأنه جاء بآلهة جدد ، وأنه أفسد الشباب ، وكان العقاب على ذلك هو الموت • وعلى الرغم من أنه كان فى استطاعته أن يفر من « أثينا » فانه فضل أن يبقى فيها ويواجه محاكمته أمام محكمين مؤلفين من خمسة آلاف وواحدا من الأثينيين •

تحدث « سقراط » عن الوحى وعن صوته الخفى ، وعن رفضه تسلم أجر عن التعليم ، وعن خدمته « لأثينا » فى حث الناس على ألا يفكروا كثيرا فى جمع المال ولا فى آراء الآخرين ، بل يعتنوا بالأشياء التى لها وزن كالحكمة والصدق وكمال الروح وقال أنه لم يهرب من وظيفته فى وقت الحرب • وعلى ذلك كان يعد سلوكا غريبا منه اذا هرب الآن بسبب الخوف من الموت ، ومن عمل ماأمره الله به أن يفعل ، فقد قال : « لن أغير طريقة حياتى حتى لو كنت أموت من أجل ذلك مرات عدة » • وقد

انتهى دفاعه بقوله : « انى أعتقد فى الآلهة أكثر مما يعتقد فيهم أى واحد من متهمى وانى أسلم قضيتى اليكم ولله للحكم فيها بما هو خير لكم ولى » .

وقد اعتبر مذنبا بأغلبية ستين صوتا ، وعلى ذلك فانه على حسب القانون الأثينى قد سمح له أن يقترح نوعا آخر ليعاقب به فقال انه يستحق الشرف لا العقاب ورفض فكرة النفى لانه كان يرى أنه فى أى بلد آخر لا يجد من يتحدث اليهم كتلاميذه وبخاصة أنه كان قد بلغ من العمر مبلغا لا بأس به وقد قدم غرامة تافهة فلم تقبل وعلى ذلك حكم عليه بالموت فشرب الكأس وقضى وعلى شفته ابتسامة .

وقد سمح لأصدقاء «سقراط» بزيارته فى سجنه فأتوا اليه فى اليوم الأخير عند الفجر وهم يشعرون بأنهم سيفقدون فيه أبا ولكنه رفض أن يساعدوه على الهرب أو الحزن عند موته ، اذ كان ينظر الى ذلك بأنه رحلة لروحه الى عالم جديد مجهول .

والواقع من جواب «سقراط» الفعلى عند محاكمته لم يحفظ لنا ، ولكنا عرفنا نغمته وروحه وماكان ينطوى عليه وذلك لأن هذه المحاكمة قد أمدت رفيقه « افلاطون » الذى كان حاضرا بمادة لمؤلف منقطع القرين فى الأدب العالمى ذلكم هو دفاع « سقراط » وقد أفلح «أفلاطون» فى أنه لبس شخصية أستاذه ونقلها لقرائه . فقد وصف لنا تفسير حياته وأغراضه منها ولم يلق صعوبة فى اظهار أن كثيرا من الأشياء التى نسبت اليه كانت كاذبة . ولا نزاع فى أن اعدام « سقراط » كان يمثل احتجاج النظام القديم على قيام ونمو الفردية التى أخذت تظهر فى عالم الوجود وانه لمن النادر فى مجرى التاريخ أن نجد ضربات شديدة من هذا النوع قد خابت وانقلبت على الضارب وخدمت القضية التى أريد الاضرار بها فقد بقى « سقراط » مذكورا عند الأثينيين بالفخر والأسى ، وقد بدأت تعاليمه تقوم بتأثير زاد فى مفعولها مأساة موته ، فلم يغفر تلاميذه للديموقراطية حكمها عليه بالاعدام ، وقد عاش ونما فى درس مخيلاتهم ، وأمضوا حياتهم فى نشر تعاليمه ، وكان أكثرهم فى ذلك « افلاطون » وبخاصة نشر الفردية التى كان ينشرها بطريقة غير مباشرة دون علم منه .

ابقراط : نترك الآن قصة «سقراط» وعنايته بتربية عقول الناس وأفكارهم ونتحدث الآن عن شخصية أغريقية أخرى صاحبها يصغر «سقراط» بتسع سنين وقد خصص حياته للعناية بأجسام الناس ، هذا هو «أبقراط» وقد أطلق عليه والد الطب كما أطلق على «هردوت» والد التاريخ . ولد «أبقراط» حوالى عام ٤٦٠ ق.م. فى جزيرة ببحر «ايجة» تدعى «كوس» (Cos) كانت وقتئذ مركزا لدراسة الطب وكان والده وجده من بين الاطباء الذين عاشوا فى هذه الجزيرة ، ولا نعلم الا القليل عن حياة « ابقراط » ، وقد عاش الى أن بلغ من العمر أرذله ، وكانت له شهرة عالمية وساح فى كثير من البلدان بما فى ذلك « أثينا » يدرس ويمارس حرفته ولم يكن يرتكن فى طبه قط على الرقى وأمور السحر التى كان غالبا مايستعملها أطباء الماضى ولكنه لاحظ ودون بدقة أعراض المرض الذى أصيب به القليل ، وهكذا من عدة حالات بهذه الطريقة أقام أساسا لمعرفة المرض نفسه وعلاجه . وهذه الطريقة فى الاستنباط من الحالات التى صادفته أوصلته الى قاعدة عامة تسمى الطريقة الاستنباطية وهى طريقة علمية غاية فى الأهمية . عمل « ابقراط » ملاحظات عن كشوفه لأنه أراد أن يسلم لاولئك الذين أتوا بعده المعلومات التى حصل عليها بعناية كبيرة . وقد اعتقد أن المرض يرجع أصله الى أسباب طبعية وأن الطبيعة هى غالبا ماتحدث هذا السبب ، وقد اتبع قواعد معقولة للمعالجة أساسها الهواء النقى والغذاء الجيد وهما يساعدان عمل الطبيعة فى اعادة صحة المريض ويظهر أن «أبقراط» كان كما ينبغى أن يكون عليه الطبيب اذ كان هادئا ممتلئا حكمة ومعرفة ، كثير العناية بمصلحة مريضه وكان له تلاميذ عديدون والذين عاشوا بعده قد ساروا على طريقته بنفس الروح .

وعندما كانوا يبدءون عملهم بوصفهم أطباء كانوا يحلفون اليمين الذى يسمى اليمين الأبقراطى وذلك أن ينظروا الى من علمهم بمثابة والد وأن يعلموا أولاده بدون أجر ، وأنهم سيسلمون معرفتهم الى أبنائهم والى أبناء معلمهم وتلاميذهم على حسب قانون الاطباء ، وأن كل مهارتهم لا بد أن تستغل لمصلحة المريض وأنه ينبغى

عليهم ألا يتكلموا عنه لأناس آخرين وهذا اليمين الذى لايزال يعقده تلاميذ مدارس الطب يظهر لنا مقدار المستوى العالى الذى وضعه « أبقراط » وأتباعه لأعضاء مهنة الطب العظيمة .

وفضلا عن العلاج الطبى العادى الذى بدأ من عهد « أبقراط » ومابعده كان يوجد مايسمى علاج المعبد . ولا نعلم فى أى وقت بدأ تأسيس هذه المعابد للعلاج ولكن المعبد الذى سنصفه الآن يحتمل أنه لم يزدهر حتى القرن الخامس قبل الميلاد . وهذا النوع من العلاج قد استمر الى العصر الذى أصبحت فيه بلاد الاغريق جزءا من الدولة الرومانية .

وكانت توجد ثلاثة أماكن من هذا النوع فى العالم الاغريقى وسنأخذ مثلا من بينها وهو العلاج فى «ابيداروس» التى لم تكن بعيدة عن مدينة «أرجوس» وكانت مركزا حسنا لمعظم المدن الاغريقية فى الداخل . وهذا المستشفى يقع على سهل صغير تحميه تماما التلال المحيطة به ويحتوى على خمائل من الاشجار وماء غزير من حوض وعين مقدسة وفى هذا المكان البهج كان قد أقيم معبدا للاله « اسكلبيوس » اله الطب وكان العلاج يجرى على الاراضى المقدسة حوله . فكان المريض يظهر أولا ، ومن المحتمل ان ذلك كان بملح أو ماء بحر ، وكان ذلك يذكر المريض أنه ليس الجسم وحده الذى يحتاج الى النظافة فى المحراب «المكان المقدس» بل كذلك عقله وروحه . ففى داخل المعبد لابد أن يكون الانسان مظهرا ، والطهارة هى « أن يكون الفرد أفكاره بارة صالحة» هكذا تذكر لنا احدى قواعد الاله . وبعد ذلك يقدم المرضى قربانهم ويحتوى على فطائر سمينة من الشهد مغموسة فى الزيت ، هـذا اذا كانوا فقراء ، أما اذا كانوا أغنياء فتشمل القربان حملا أو خنزيرا أو خروفا . وكانت الموسيقا والغناء والصلوات تسمع فى أثناء تقديم هذه القربات للاله . وبعد أن يكون أحد الكهنة قد فسر عبادة هذا المكان ومعناه ، يسمح للمرضى بالدخول فى المحراب ولمس صورة الآله وهكذا يبتدىء العلاج فى جو من الهدوء والقداسة . وكان بجانب المعبد قاعات عمـد

مكشوفة استعملت احداها مكانا لنوم المرضى وعندما كان الظلام يخيم ، يقترب منهم الـكاهن ، وبعـد أن يأخذ منهم هداياهم للآلهة ، يترك المرضى ملفوفين فى أغطيتهم البيضاء الى سكون الليل وظلمته وقيل أن كثيرا قد شفوا بمعجزات قبل بزوغ الفجر ، ولكن فى أغلب الأحيان كان يسأل الكاهن المرضى أن يقصوا عليه أحلامهم التى رأوها وكان الكاهن بهذه الكيفية يصل الى بعض المعلومات عن عقلية المريض وصحته وبذلك كان فى استطاعته أن يذكر للطبيب الاحلام وتفسيره لها • وبذلك يكون لدى الطبيب شىء يعمل على حسبه لشفاء المرضى ومن ذلك نفهم أنه كان هنا كثير من أعمال الحدس والتخمين ، وان ماكان يقال عن حوادث الشفاء أكثر مما كان يقال عن فشلها ، ولكن الأطباء كانوا فى كل هذا الوقت يكتسـبون معرفة أكثر عن الطب وكانت معـالجاتهم تنمو شيئا فشيئا فى طريقها العلمى • وكان على المريض أن يصوم أو يتبع حمية خاصه وأن ينشق هواء نقيا ويتضمخ ويشرب ماء بكثرة ، هذا الى أن الاستحمام والتدليك والألعاب الرياضية كانت تؤلف جزءا هاما من العـلاج وذلك بالاضـافة الى الطب والجراحة ، ولكن الشـفاء بالايمان كما يطلق عليه الآن كان لايزال جزءا هاما من العلاج ولذلك فان عبادة الاله «اسكليبوس» اله الطب لم تهمل قط • وعلى مر الزمن نمت هذه المؤسسات وأصبحت تحتوى على مكتبة ومدرسـة ومضـمار سباق ومسرح كبير يمكن أن يسع آلاف المتفرجين وكان يقام عيد كل أربعة أعوام يحضره نظارة من كل أنحاء بلاد الاغريق ، وكانت المعابد تزين وتقدم الضحايا وتحمل صورة الاله « اسكليبوس » فى موكب فى هذه البقعة تسير على نغمات الكهنة والتابعين • وكانت تعلن معجزات الشفاء التى حدثت فى هـذا المكان • أما باقى الوقت فـكان يخصص للألعاب الرياضية وكذلك للمسابقات الموسيقية وتمثيل الروايات • كل هذه الأشياء كان بلا نزاع حسـنة للمرضى الذين كانوا فى دور النقاهة ، ويمكن أن نتصـور أن هؤلاء الذين كانوا بالفعل مرضى لن يدخل عليهم الحزن عندما تسـافر هـذه الجموع المحتشدة ويتركونهم فى هدوء وراحة •

بلاد الأغريق فى القرن الرابع قبل الميلاد

رأينا فيما سبق أن « أثينا » قد أصبحت تحت سلطان « اسبرتا » غير أن الأخيرة لم تقنع بذلك فأخضعت كل المدن الأخرى الاغريقية وفرضت عليها حكاما من عندها بعد أن كانت تمنيها بالاستقلال والحرية بعد هزيمة « أثينا » .

تدخل الفرس : وكانت بعض المدن الاغريقية وبخاصـة « اسبرتا » قد طلبت الى الفرس مد يد المساعدة ، وكانت لاتزال دولة قوية البطش ذات ثراء ضخم ، وكانت النتيجة أن صار فى مقدور «فارس» عام ٣٨٧ ق٠م ٠ أن تجبر بلاد الاغريق على عقد معاهدة معها هى و « اسبرتا » ٠ وهاك الكلمات التى فاه بها الملك « اكزوكزيس » ملك الفرس : « ان الملك « اكزركزيس » يعتقد أنه من العدل أن مدن آســيا [1] تكون ملكه ؛ وفضلا عن ذلك فان المدن الاغريقية الأخرى الصغيرة والكبيرة تكون حرة لتحكم نفسها ، واذا رفضت أية واحدة منها قبول هـذا الصلح فسأعلن عليها الحرب برا وبحرا بالسفن والمال » ٠ وهذا مايدعى « صلح الملك » ٠ وهذا الصلح كان يعد معرة لبلاد الاغريق لأنه سلم للفرس بلاد آسيا الصغرى التى كانت فى الواقع اغريقية الصبغة وكانت دائما على اتصال وثيق بأرض الوطن ، أما بلاد الاغريق نفسها وماتحتويه من حكومات فقد حاولت عبثا منع تسلط بعضهم على بعض ومن قيام أحلاف فيما بينها ولكن الحلف الهيلانى العـام على الفرس كان كالحلف الذى يدعو اليه باســتمرار « اسقراطيس » الخطيب فلم يلق قبولا قط ٠

وقد ظل الشجار بين مختلف المدن سائرا على قدم وساق ٠ فنجد أولا أن «اسبرتا» قد نالت القيادة وبعد ذلك فى عام ٣٧١ ق٠م أصبحت « طيبة » قوية السلطان تحت حكم ملـكها « ابا مينـوداس » (Epaminodas) لدرجـة أنه هزم « اســبرتا » هزيمة منكرة فى موقعة « لوكترا » (Leuctra) فى « بوشـيا » ٠ وبعد تسـع

(١) يقصد المدن التى على الشاطىء الغربى لما نسميه الآن آسيا الصغرى والجزر القريبة منها

سنين من ذلك قتل ملك « طيبة » فى واقعة وبموته ماتت كذلك قوة « طيبة » وانتهت سيادتها .

وقد بدأت فى تلك الفترة « أثينا » تسترد قيادتها فى بلاد الاغريق ، ولكن لما كانت حكومات مدن الأغريق لاتريد بأية حال الانضمام فى حلف مع « أثينا » أو غيرها فانه كان لابد من قيام حروب جديدة واضمحلال وضعف فى البلاد . وحقيقة الأمر أن زمن حكومات المدن المستقلة كان قد ولى وانقضى وحان عصر ظهور ممالك قوية فى عالم الوجود ففى شرقى بلاد اليونان كانت تقع احدى الدول العظمى وأعنى بلاد الفرس عدو اليونان القديم وكان يخشى بأسها ، فى حين كان فى الشمال مملكة « مقدونيا » الفتية وهى التي صارت بعد قليل من القوة بحيث لايمكن تجاهل أمرها وخطرها .

الحياةفى « أثينا » فى تلكالفترة :

من المدهش حقا أن نجد فى هذا الوقت المليء بالاضطرابات والحروب الداخلية أن الحياة فى « أثينا » كانت لامعة مزدهرة فسفنها كانت تمخر عباب البحار قاصيها ودانيها محملة بالسلع ، وهذه التجارة مع البلاد الاخرى كانت تدر عليها الثروة كما كانت تمدها بالمعلومات الجديدة والآراء المستحدثة حتى أنها أصبحت مركز الفكر والثقافة ، ووفد عليها الناس لدراسة فن الخطابة وتلقى الفلسفة .

« أفلاطون » و « أرسطو » :

وفى هذا العهد عاش كل من « أفلاطون » و « أرسطو » ، وكان « أفلاطون » أعظم تلميذ نهل الحكمة عن « سقراط » (٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م .) وهذا الفيلسوف كتب بلغة أغريقية جميلة بليغة حياة أستاذه وتعاليمه كما أضاف الكثير من فيض علمه فكتب أفكاره عن الحكومة والتعليم وعقل الانسان وروحه ، وعن طبيعة الصدق والطيبة والجمال ، وعن الاسباب الآلهية لكل الاشياء . ومن أحسن مؤلفاته الذائعة الصيت « الجمهورية » التى يصور لنا فيها حكومة مثالية وقد وضعها لتعبر عن آرائه

الفلســـفية (١) . وقد درس « أفلاطون » فى « الأكاديموس » (Academus) وهى مدرسة (جنازيوم) على مقربة من « أثينا » تحليها أشجار وارفة الظلال ومياه جارية وتعرف مدرسته باسم « اكاديمى » .

وبعد وفاة « أفلاطون » فى الستين من عمره كان تلميذه « أرسطو » قد اشتهر اسمه فى عالم الفلسفة وكان يعلم فى طرقات « ليسيوم » (Lyceum) الظليلة ، وهى مدرسة على مشارف « أثينا » . وكان يبحث فى كل نوع من المعرفة ، فضرب بسهم فى العلوم بكل فروعها ، وبخاصة علم النبات وعلم الحيوان وعلم الاخلاق وسلوك الانسان والمنطق والسياسة وصناعة الشعر . ولا نزاع فى أن العالم كان متـأثرا فى كل الأزمان بهذين المفكرين العظيمين فنعت « أفلاطون » بأنه والد الفلسفة الحديثة، ويلقب « أرسطو » بوالد العلوم الحديثة .

وفى هذه الفترة لم تقم مبان كثيرة فى«أثينا» ولكن نحتت تماثيل كبيرة غاية فى الجمال وكثيرا ماكان المفتنون الاغريق يسيحون فى الخـارج ويعملون فى المدن الأجنبيـة ، وبذلك نشروا الثقافة الاغريقية والفن الاغريقى .

وعلى الرغم من كل هذا الازدهار فان السخط وعدم الاســتقرار والفقر أمور كانت ضاربة أطنابها فى « أثينا » وغيرها من المدن الاغريقيـة ، وقد ترك كثير من الرجال المخاطرين مدنهم وانخرطوا جنودا مرتزقين فى جيوش بعض الامم المجاورة ونخص بالذكر من بينهـا مصر وفارس . وأشــهر فرقه من هؤلاء المرتزقة تلك التى قامت بأكبر مخـاطرة فى التاريخ القديم وهى المخـاطرة المعروفة « بموكب عشرة الآلاف» وهؤلاء كانوا يؤلفون فرقة من الاغريق فى خدمة أميرفارسى يدعى«كورش» كان قد أراد أن يستولى عنوة من أخيه على عرش فارس الذى كان يعتليه « كورش »

---

(١) وقد وضع الكتاب المحدثون كتبا خيالية على غرارها نذكر من بينهـــا كتاب « يوتوبيا » (أى لامكان)لصاحبه « سير توماس مور » وكتاب « أخبـــار من لامكان (News from Nowhere) لصاحبه « وليم موريس »

الاكبر » منذ مائة وخمسين سنة مضت . وقد حدثنا « اكزنوفون » أحد تلاميذ « سقراط » عن أعمالهم العظيمة فيخبرنا عن انتصارهم فى موقعة بالقرب من « بابل » على ملك الفرس ، ثم يذكر لنا هربهم من المكيدة التى كانت قد نصبت لهم بقيادة « اكزنوفون » وتقهقرهم فى أراض مجهولة لهم عابرين الانهار وسائرين على الثلوج الكثيفة وشاقين طريقهم فى مضايق الجبال التى كانت محروسة بأعدائهم ، وأخيرا عندما وصلت مقدمة هؤلاء الشجعان الى قمة جبل صاحوا على حين غفلة قائلين « البحر البحر ! وذلك لأنهم وقتئذ كانوا قد وصلوا فى سفرهم الشاق الى البحر الأسود ، ومن ثم وجدوا طريقهم بسهولة الى وطنهم . وهذه المخاطرة الهائلة قد برهنت مرة أخرى على أن الاغريق جنود أحسن من الفرس . وقد ترك لنا « اكزنوفون » نفسه تاريخ هذا الحادث فى كتاب ممتع .

المقدونيون

وهكذا نرى من النظرة العامة التى ألقيناها على تاريخ بلاد اليونان أن السيادة فى هذه البلاد كانت أولا فى يد « أرجوس » ثم انتقلت الى « أثينا » وبقيت فى يدها مدة طويلة ثم انتقلت من يدها الى قبضة « اسبرتا » وأخيرا كانت فى يد « طيبة » . ولا نزاع فى أن حب النفس والغيرة وتنازع السلطان بين هذه المدن قد انتهى باضمحلال البلاد جميعها وجعلها فريسة لرجل قوى الشكيمة حازم يعرف كيف يعمل بحذر ومهارة . وقد كان هذا البطل متربصا فى بلاده ينتظر الفرصة وأعنى به ملك بلاد « مقدونيا » الواقعة على حدود بلاد الاغريق الشمالية والشمالية الشرقية . وكان المقدونيون يعدون أنفسهم اغريقا ويتكلمون الاغريقية غير أن الاغريق كانوا لايفهمون كلامهم . ومن المحتمل أن هؤلاء المقدونيين كانوا جزئيا من دم اغريقى ، ولكنهم كانوا أقل تمدينا منهم بدرجة كبيرة . وكان على أية حال « أركلوس » ملكهم من سنة ٤١٣ الى ٣٩٩ ق . م . يعمل على ادخال الحضارة الاغريقية فى بلاده ، ولذلك فانه رحب فى بلاطه بالمفتنين والشعراء من الاغريق ومن بينهم « زوكسيس » (Zeuxis) الرسام العظيم و «يوربيدس» الشاعر الفحل . وكان «فيليب الثانى» أحد أخلافه من المعجبين بالثقافة الاغريقية ، وكان يرقب عن كثب كل التقلبات التى حدثت فى بلاد اليونان ، وكان صبيا فى سن الخامسة عشرة من عمره عندما حضر « بلوبيداس » الى مقدونيا وأخذه رهينة الى « طيبة » وقد مكث هناك ثلاث سنوات على ما يظن فى بيت والد « أبامينوداس » ملك « اسبرتا » . ومهما يكن فانه كانت لديه الفرصة بلا ريب ليتعلم كيف كان يعيش الاغريق وكيف كانوا يحاربون وكيف يمكن ملافاة الحرب أحيانا بالدبلوماسية . فلما عاد الى بلاده ألف جيش مشاته على غرار الجيش الطيبى وكان خيالته شرذمة من أشراف مقدونيا تعرف باسم « الرفاق » ، وهؤلاء هم الذين فيما بعد وصل عددهم الى ألفين بقيادة « الاسكندر الاكبر » ، وكانوا يهاجمون الاعداء معه فى المواقع الحربية ، وكان « فيليب » ثريا لأنه استولى على مناجم

ذهب « تراقيا » وهذه الثروة مضاف اليها قوة جيشه ساعدته على أن يهدد أو يعقد محالفة مع البلاد الاغريقية القريبة منه ، ويفتح أو يراقب المراكز التى حول الشمال أو الشمال الغربى من بحر «ايجه» ، وهذه القوة النامية كانت كالسحاب الثقيل المخيم على بلاد الاغريق من الشمال وقد لاحظها الأثينيون بانزعاج وذهول . وقد اتفق بعضهم مع « اسوكراتيس » على أن تنضم الحكومات الاغريقية معا وتقبل « فيليب » قائدا لها وأن يسير جنودها الى بلاد الفرس لمحاربتها ، غير أن كثيرا منها تبع رأى أشهر خطبائهم المسمى « دموستنيس » الذى هاجم « فيليب » فى عدة خطب تعرف باسم « الفلبيات » [1] (Philippics) . وقد تغلب رأى « دموستنيس » واتخذ الاغريق العدة لمقاومة « فيليب » الذى زحف على بلاد الاغريق وفتح « أثينا » و « طيبة » فى موقعة « كارونا » (Chaeronea) فى « بوشيا » عام ٣٣٨ ق.م. وبذلك جعل كل الحكومات الاغريقية تخضع لسلطانه عدا « اسبرتا » ، وبعد ذلك دعاهم الى مؤتمر كبير فى « كرنث » حيث لقب نفسه قائدهم لا ملكهم ، وأخبرهم عن تصميمه على فتح بلاد الفرس على رأس جيش من جنوده المقدونيين . وفى عام ٣٣٦ ق . م . عندما كان على أهبة الزحف على بلاد الفرس اغتيل وهو فى السادسة والاربعين من عمره وتولى عرش الملك بعده ابنه « الاسكندر » .

(الاسكندر الاكبر)

ولا نزاع فى أنه لا يوجد بين أبطال العالم القديم من محاربين أو رجال سياسة بما فيهم « يوليوس قيصر » نفسه من اشتهر مثل « الاسكندر » ، كما أنه لا يوجد من بينهم من غير بعمق مثاليات الناس فى تفكيرهم من وجهة حكومة الدول ومن وجهة حكومة العالم أو الشعوب أو الرجال أو الطبيعة أو الله ، كما لا يوجد من أثر بصورة قوية على خيال الذين أتوا بعده سواء أكانوا أمراء أو مفكرين أو كتابا أو قصاصين مثله . وأول شىء هو أن ندرك مقدار عظم التغيرات التى قام بها وكيف وصل الى

(١) وهذه الكلمة قد استعملت فيما بعد لتعبر عن خطبة شديدة مع أى فرد .

تنفيذها وبعد ذلك يأتي السؤال الذى يعد أصعب وأشد تعقيدا وهو : مانوع هذا الرجل الذى أنجز كل ذلك ؟ وليس بكاف أن نضع جوابا على ذلك قائمة بصفاته ثمينها وغثها كأننا نضع تقريرا عن أخلاق تلميذ فى المدرسة ، لأنك عندما تحصى كل صفاته الحسنة فماذا أنت صانع بنقائصه ؟ هل تضاف الى صفاته الاخرى أو تطرح منها ؟ أليس من البدهى أن عظماء رجال التاريخ قد أنجزوا ماأنجزوه لانهم بشر مثلنا كذبوا وطمعوا ولأنهم كان لهم لحظات خرقهم مثلنا ولأنهم أفرطوا فى الشراب أو أهملوا واجبهم ؟ والواقع انه كلما كثر عدد أخطاء الرجل العظيم وكلما أصبحت نقط ضعفه ظاهرة فان ذلك يكون حافزا أكبر لك لتبحث عن القوة الحقيقية التى ساعدته على أن يصل الى كل ما وصل اليه من أعمال جبارة ولكن يحتمل بعد كل مايقال أنه لابد أن نعترف أننا لانعرف ماهى العبقرية وأن العبقرية فى الرجل هى التى تعمل معظم مايأتيه من عظيم الأمور . ويمكننا حقا أن نتعرف على العبقرية ، وأحيانا نرى أنه حتى أخطاء صاحبها تنبع منها وتساعده على ذلك الاتفاق الغريب مع الناس مما جعلهم يعتقدون فيه ويتحولون الى مساعدين متهيئين الى انجاز خططه العظيمة .

وكان من بين مربى « الاسكندر » « أرسطو » الفيلسوف الذائع الصيت ، فقد دعاه « فيليب » والده الى بلاطه لتربية ابنه وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، ومكث يلقنه العلم حتى الخامسة عشرة وكان ذلك من الامور الهامة جدا ، لأن «الاسكندر» أخذ يميل الى العلوم البحتة على يد «أرسطو» وبخاصة الطب وعلوم الطبيعة كما شغف كذلك بالأدب الأغريقى ويقال أن « الاسكندر » كان ينام وملحمة « الالياذة » وخنجر تحت مخدته ، وأرسل الى بلاد الاغريق لاحضار نسخ من كتب المآسى العظيمة التى وضعها فحول الشعراء فى أثناء قيامه بحملاته فى آسيا . ولكن كان اعجابه فوق كل شىء ينحصر فى الالياذة وكان ينظر الى « أخيل » الذى كانت تدعى والدة « الاسكندر » أنها منحدرة من أصلابه نظرته الى بطله العظيم ولم يعش « الاسكندر » على أية حال للدرس وحده ففى صباه راض جوادا من « نسليا » لم يكن فى مقدور والده «فيليب» وأتباعه أن يكبحوا من جماحه ، اذ أنه

عندما لاحظ أن الحصان خاف وانغمس فى ظل نفسه هدأه وبعد أن أداره الى الضحى قفز على ظهره وأرخى له العنان ليجرى بمنتهى سرعته ، وهـذا هو الجواد الشـهير المسمى « بوسفالوس » (**Bucephalus**) الذى كان يركبه فى حملاته

ولما بلغ « الاسكندر » السادسة عشرة من عمره ، وكان والده غائبا بسبب الحرب جعله والده يقوم بأعباء مملكته ، وفى تلك الفترة شن « الاسكندر » حربا صغيرة كان رائده فيها النصر على قبيلة ثائرة ، لانه كان فعلا تواقا للفتح كما كان يخاف أن والده « فيليب » لن يترك له من البلاد مايفتحها ، وفى موقعة «كارونا» (**Chaeronea**) سار على رأس الفرسان على الأعداء . وعندما تولى العرش وهو فى العشرين منعمره رأى القوم أن رجلا عظيماكان يدخلفىمسرح تاريخ العالم ليلعبدورهالمنقطعالنظير .

التعبئة لمحاربة الفرس :

أمضى «الاسكندر» السنتين الأولين بعد موت والده فى تحصين تخوم بلاده وجعلها فى مأمن من أى غارة مفاجئة ، ثم جعل كل الحكومات الاغريقية تعترف وتقبل قيادته لها . وكان عندئذ قادرا وهو فى سن الثانيـــة والعشرين على أن يزحف على الشرق لتنفيذ خطة والده « فيليب » الذى كان محط آماله غزو بلاد الفرس .

وكان « دارا الثالث » ملك الفرس وقتئذ شخصية جميلة لها وقع على النفس ، غير أنه كان لايقرن « بدارا العظيم » الذى قام بالحروب الفارسية الأولى على بلاد اليونان وغيرها . وكانت ثروته تصل الى حد الخرافة فى ضخامتها وكان أسطوله عظيما ذا شهرة واسعة وجيشه البرى عظيما غير أنه كانت تنقصه خفة الحركة ، وامبراطوريته تمتد من مصر وآسيا الصغرى الى الهند . وفى مقابل ذلك كان « الاسـكندر » لايملك الا جيشا صغيرا نسبيا ، ولكنه كان جيشا حسن النظام يشد ظهره أسطول صغير ، ودخل معتدل من مناجم الفضة فى بلاده ، والمراعى والغابات ، وعلى أية حال فان هذا البطل كان عنده من الشجاعة وحسن القيادة وقوة الايمان بنفسه ومصيره ماجعله يقدم على تنفيـذ مقاصده دون خوف أو وجل . ألم توح اليه كاهنة « دلفى » مرة قائلة : يابنى انك لاتقهر . ».

حملته على آسيا الصغرى :

كان أول عمل قام به « الاسكندر » بعد عبر مضيق « هلسبونت » هو الذهاب الى « طروادة » ، وهناك وضع اكليلا على قبر « أخيل » ، ثم سار بعد ذلك الى نهر « جرانيكوس » ، حيث وجد الفرس معسكرين على الشاطىء المقابل له على استعداد لصده بالحراب والسهام ، فهاجم العدوبعد أن عبر النهر على ظهرجواده«بوسوفالوس» وهو يقود رفاقه الذين ميزوا عن باقي جنوده بخوذاتهم البيضاء المجنحة ، وقد جعله الفرس هدفهم حتى أن واحدا منهم كاد أن يرميه قتيلا بسيفه لولا أن صديقه « كلينوس » صد الضربة ونجاه من الموت . وبعد ذلك شتت « الاسكندر » ورجاله شمل الاعداء الذين وقفوا فى وجههم ، حتى أنه بقوة هجمته ونضال كتيبته المستمر الثابت كسب اليوم ، وبهذا النصر وما تبعه من انتصارات سيطر على آسيا الصغرى ، وسد الموانى فى وجه الأسطول الفارسى . وبعد مدة وجيزة جمع « الاسكندر » بعد ذلك لزحفه نحو الشرق جنوده عند « جورديوم » الواقعة فى الهضبة الوسطى لهذه البلاد . وفى هذا المكان كانت توجد عربة « جورديوس » [1] الشهيرة وكان نيرها موثوقا بعقد من الحبال معرقلة ، وقد قال الوحى أن حلها سيكون بيد من سيحكم على آسيا . ولما لم يكن فى مقدور « الاسكندر » أن يحلها فانه قطع العقدة بسيفه . وقد أظهر له ماحدث من برق ورعد فى الليلة التالية ان الوحى قد صدق ومن ثم فان عبارة قطع العقدة الجوردنية » لاتزال تستعمل لحل صعوبة معقدة بطريقة مباشرة سهلة [2] .

وأصبح الآن طريق « الاسكندر » يتجه داخل بوابات « سليسيه » - وهو ممر فى الجبال غاية فى الضيق حتى أنه قيل أن جلالته لايمكنه أن يمر فيه الا بعد رفع ماعليه من أثقال - وكان هذا الممر محروسا بحامية هربت عند اقتراب « الاسكندر » تاركة الطريق مفتوحة الى « ترسوس » ومن ثم الى سوريا .

---

(١) وهو ملك قديم (٢) وهو كمثل « كولمبس » والبيضه

دخول سوريا :

وفى خلال ذلك كان « دارا » زاحفا لصد تقـدم « الاسـكندر » وفى الحال تقابل الجيشان عبر نهر فى سهل « اسوس » عام ٣٣٣ ق٠م ٠ وبخطط « الاسكندر » الماهرة أمكنه أن يجعل الجيش الفارسى يصطف فى مساحة ضيقة جدا بالنسـبة لعظم عدده الضخم ٠ ولكن مع ذلك فانه قد دارت حرب قاسية ، استمرت الى أن أعلن أن «دارا» قد ولى هاربا وعندئذ أخذ كل الجيش الفارسى فى التقهقر ، فاستولى « الاسـكندر » وجنوده على معسكرهم وانقض الجيش المنتصر على الغنيمة غير أن سرادق « دارا » وعربته حفظتا « للاسكندر » ٠ ويقول « بلوتارخ » : وهنا عندما رأى « الاسكندر » أحواض الاستحمام وصناديق العطور كلها من الذهب المشـغولة شـغلا عجيبا ، واستنشق عبير الروائح التى عطر بها كل المثات تعطيرا جميلا ، ومن ثم انتقل الى ايوان عظيم الحجم شاهق الارتفاع ، حيث كانت الأرائك والموائد والاستعداد لوليمة غاية فى الأبهة والعظمة ، عند ذلك التفت الى من حوله وقال : « هـذه هى على مايظهر الملكية » ٠ وسمع « الاسـكندر » ولولة فى السرادق الملاصق ، وعندما علم أنها آتية من أم الملك « دارا » وزوجه وابنتيه ارسل رسولا ليخبرهن أن « دارا » لايزال على قيد الحياة ، وأنهن أنفسهن لا خطر عليهن » ٠ لم يقف « الاسـكندر » أثر « دارا » فى هربه شرقا بل ولى وجهه جنوبا شطر سوريا ثم انحدر الى ساحل « صور » وهى قاعدة بحرية قوية على جزيرة تبعد نصف ميل من الشاطىء فحاصرها ، وبعد مقاومتها سبعة أشهر مقاومة اليائس استولى عليها بالهجوم ٠

غزو مصر :

وبعد أن فتح سوريا وفلسطين زحف على مصر التى كانت وقتئذ تؤلف جزءا من أملاك الفرس فسلمت له واعترفت به فرعونا على مصر ٠ وفى أثنـاء احدى سفراته فى هذه البلاد المصرية مر بقرية صيد أسماك على دلتا النيل ، وهنا أسس مدينةاغريقية أسماها « الاسكندرية » وهى احدى المدن العديدة التى منحها اسـمه ، ولكنها تفوق

بكثير سائر المدن التى لقبت بهذا الاسم من حيث العظمة والشهرة وحسن الموقع . وكان يوجد فى غربى النيل معبد شهير بوحى للاله المصرى «آمون» . وبعد سفر ثمانيه أو عشرة أيام فى الصحراء وصل « الاسكندر » الى واحة « سيوة » المشهورة بعيون مائها وينابيعها ونخيلها وزيتونها ، وهناك كان مقر الوحى ، فاستقبله الكهنة بوصفه « ابن الاله » وذلك لان كل الفراعنة كانوا يعدون من أصل الهى ، ولم يكشف « الاسكندر » لأى فرد ما قيل له فى المحراب ، غير أنه قد سمع ماقيل له وحده والظاهر أن ترحيب الكهنة وما أوحى به الوحى كان صدى مايشعر به فى قرارة نفسه وهو أنه كان صاحب قوة ومستقبل يفوقان ما لأهل البشر العاديين ، والواقع أنه قد حطم سلطان الفرس حول البحر الابيض المتوسط . والآن أخذ على عاتقه أن يفتح امبراطوريتها الى أقصى حدودها .

سار « الاسكندر » شرقا وعبر الفرات الى نهر الدجلة حيث هزم « دارا » فى واقعة «جاوجاملا» (٣٣١ق.م) وهى قرية على مقربة من«أربلا» ، وهرب «دارا» ودخل «الاسكندر»عواصم بلاده فاستولى على«بابل» ثم «سوسا» ومن ثم الى «برسبوليس»التى أخذها بالهجوم عنوة . وقد أصبح بعد ذلك ماتحتويه هذه المدن العظيمة من ثروة مدهشة ملكا له فقد استولى منها على ثمانين ومائة ألف تلنت من الذهب والفضة مسكوكة وغير مسكوكة ، وعلى كميات من صبغة الأرجوانى وكنوز أخرى . ويقول «بلوتارخ» « ان الغنائم من « برسوبوليس » كانت عظيمة لدرجة أنه كان يلزم لحملها مالا يقل عن ألف بغل وخمسة آلاف جمل . وقد طارد « دارا » ولحق به فى الاقليم الواقع جنوبى بحر قزوين ولكنه وجد أنه جرح جرحا مميتا بيد أحد شطاربته ورفاقه المتآمرين معه ، وقد احتفل « الاسكندر » بدفن « دارا » احتفالا يليق بملك ومن ذلك الوقت أخذ يعد نفسه ملك الفرس .

كان جيش « الاسكندر » حتى هذه اللحظة طوع بنانه وكان هو من جانبه يشاطرهم متاعبهم وعنى بما فيه اسعادهم فمنحهم مكافآت وأقام لهم المسابقات والأعياد وكان

يهيىء لهم أسباب الراحة بين أوقات الزحف والمعارك ، ولكن الآن كان «الاسكندر» يدبر فى عقله خطة عظيمة لم يكن فى استطاعتهم فهم مغزاها أو مراميها .

وكان « الاسكندر » يحب الثقافة الاغريقية ويعجب بها ــ لغتها وآدابها وفنها وكل العلوم الخاصة بها مما لقنه أياها «أرسطو» فى صباه ــ فأراد أن ينشر هذه الثقافة فى كل مكان وكذلك رأى أنه لايمكن اعتبار الفرس مجرد قوم همج وأراد أن يضم معا الفرس والاغريق بما فى ذلك أحسن مافى الأمتين من ثقافة وعرفان ويؤلف منهما ملكا واسعا يكون هو ملكا على رأسه . فملأ أولا الثغرات فى جيشه بجنود من الفرس وأعطى اشرافهم نصيبا فى حكم المديريات المقهورة ولكن ذلك أغضب كثيرا من أتباعه ومن ثم ظهر أول تذمر وعدم رضا بين جنوده . وكان رجاله قد جمعوا غنيمة كبيرة وأخذ الملل من الحرب يتسرب الى نفوسهم واشتاقوا الى العودة الى أوطانهم التى تركوها منذ أربعة أعوام مضت ، وكرهوا الرعاية والاكرام اللذين أظهرهما الملك للفرس كما كرهوا طرقهم الشرقية وسجودهم على وجوههم أمام الملك كأنه اله ، وكذلك لم يستسيغوا الملابس الشرقية الفاخرة التى كان يقابلهم بها . وكان الناس قد أظهروا عدم الرضا ، حتى ان بعض أصدقاء « الاسكندر » قد اتهم بالعصيان الذى من أجله حكم عليه بالاعدام . ولا نزاع فى أن المعارك وزحف الجيوش من مكان الى مكان ، والتنظيم الذى كان لا نهاية له ، وتأسيس المدن ، وكذلك تأثير جروحه كان له مفعول عظيم على أعصابه وقد ظهرت نتيجة ذلك فيما بعد فى ساعة انفعال نفسى . فقد قتل صديقه « كليتوس » فى وليمة سرت نشوة الخمر فيها على لبيهما ، وذلك بسبب بعض كلمات ازدراء ، ولكن « الاسكندر » لم يغفر لنفسه هذه الزلة فيما بعد

الزحف على الشرق الاقصى والعودة الى الوطن :

عبر بعد ذلك « الاسكندر » جبال « هندوكوش » المغطاة بالثلوج الى أعالى وادى « نهر السند » ، وقد قام هناك بالعجائب التى يطول شرحها وسنذكر واحدة من مخاطراته هناك ، تلك هى المعركة التى دارت بينه وبين «بوروس» ملك أحد أجزاء

البنجاب الحالية . فيحدثنا «بلوتارخ» : « ان ارتفــاع قامته كان حوالى سبع أقدام ، وأنه عندما ركب فيله الضخم ظهر أنه كان متناسبا مع ركوبته كتناسب الفارس مع جواده » . وقد تغلب « الاسكندر » عليه بعد مصاعب كبيرة فى واقعة حمى وطيسها ، وعندما أخذ « بوروس » أسـيرا وسأله « الاسـكندر » عما يريد أن يعامل به أجابه : « كملك » . وعلى الرغم من أن بلاده كانت ستصبح وقتئذ جزءا من أملاك مقـدونيا فان « الاسكندر » نصبه ملكا على بلاده وفوق ذلك أعطاه أراضى أوسع ليحكمها . وبعد ذلك مباشرة مات جواد « الاسكندر » الشهير المسمى «بوســفالوس» فأسس مدينة تذكارا لاسمه تسمى « بوسفالوس » بالقرب من مكان واقعته التى حاربها على نهر السند .

وكانت المملكة التى خلف نهر السند معروفة بصورة مبهمة ، ولم يكن لدى «الاسكندر» فكرة عن أن بلاد الهند تمتد جنوبا ، وان آسيا تمتد بعيدا الى جهة الشرق فقد تاقت نفسه الى كشف مجاهلها حتى نهر « الكنج » ليرى ماءه يصب فى المحيط الذى يحيط بالأرض ؛ وكذلك كان يرغب فى أن يعرف شيئا عن المناجم ، والنباتات والحيوانات ويفتح طريق تجارة وكذلك يخضع هذه البلدان لحكمه . عند هذه النقطة أبى رجاله أن يسيروا معه الى أبعد من ذلك ، فقـد كانت الحرب الأخير مع « بوروس » قد قضت على ما كان عندهم من شجاعة وبخاصة أنهم قد سمعوا أن نهر الـكنج البعيد يبلغ عرضـه أربعة أميال وعمقه ستمائة قدم وان الشاطىء المقابل كان مزدحما بالجنود ، هذا فضلا عن ستة آلاف ميل . والواقع أن هؤلاء الجنود قد قطعوا على الأقدام مايقرب من اثنى عشر مائة ميل فى ثمانية أعوام ، وصمموا على أنهم لن يسيروا خطوة واحــدة أبعد من ذلك ، فاضطر « الاسكندر » أمام ذلك الى أن يخضع وأعطى الأوامر بالتقهقر . وقد ذهب هو وحرسه فى جولة طويلة للارتياد حتى وصل الى مصب نهر السـند ، ومن ثم عبر صحراء « جدروسيان » ، وفى النهـاية تقابلت كل قواته عند « بابل » ؛ ولـكن هنا أصيب « الاسكندر » بالحمى ، وبعد اثنى عشر يوما مات فى صيف عام ٣٢٣ ق.م وهو فى الثانية والثلاثين من عمره تقريبا .

ويحدثنا المؤرخ « اريان » (Arrian) عن آخر أيامه مظهرا كيف أنه كان لايزال محبوبا وموضع الاعجاب من كل جيشه : « فى اليوم السادس من اصابته بالحمى كان فى شدة المرض ، وحمل الى القصر ، وكان فى استطاعته أن يتعرف على ضباطه ولكنه كان فاقد النطق وفى هذه الليلة كانت الحمى مرتفعة وكذلك فى اليوم التالى والليلة التى بعدها ، وكذلك فى اليوم التالى ، وقد ألح جنوده فى أن يروه ، ورغب بعضهم فى أن يروه وهو لايزال حيا ، وآخرون رغبوا فى رؤيته لأنه قد أعلن أنه كان قد مات فعلا وأن موته قد أخفى بوساطة حرسه ، أما الكثرة فقد سبب حزنهم عليه وشوقهم اليهم أن اقتحموا الطريق ووقفوا فى حضرته فرأوا أنه فاقد النطق ، ولكنهم مروا أمامه واحدا فواحدا فحياهم برفع رأسه قليلا مرة واحدة ومشيرا اليهم بعينيه . وفى المساء التالى فارق الحياة فأخذ أحد قواده الذى أعطاه خاتمه تسلم قيادة الجيش ورجع الكل الى بلاد الاغريق » .

فماذا نصنع فى « الاسكندر » وأعماله المدهشة ؟ ولدى الاغريق حكمة محببة وهى : « لاشىء فى الافراط » ، وقد كان « الاسكندر » فى أعينهم فوق المبالغة والافراط ، وتلك نقيصة نمت فيه فى فتوحه الأخيرة ، ولكن مع ذلك لايمكن لأحد أن ينكر عليه حبه للثقافة الاغريقية وقوته الخارقة لحد المألوف ، وهى التى كان يمكن أن تستعمل فى توحيد كل العالم الاغريقى بروابط السلام لولا أن الموت اختطفه . وعلى أية حال فان الحرب كانت فى أيامه قضية مسلما بها ، وكانت أفكاره بطبيعة الحال متجهة اليها . و « الاسكندر » لم يكن قائدا عبقريا وحسب ، بل كان له عقل فاق عقول رجال آخرين من حيث القوة وسرعة الفهم بالاضافة الى الحيوية والشجاعة فى ابراز خططه البعيدة المدى الى حيز العمل . ويمكن أن يسمى بحق « الاسكندر الأكبر » لا لأنه كان واحدا من أعظم قواد التاريخ بل لأنه نشر الثقافة الاغريقية والآراء الاغريقيه فى كل العالم الشرقى ، ولأنه لو عاش لوحد العالم تحت لواء الحب والاخاء تحت حكمه الذى دلت كل الظواهر على أنه كان عادلا يرمى الى تكوين أمة عالمية رائدها المحبة والسلام وما أحوجنا الى ذلك الآن .

العصر الهيلانى

لم يترك الاسكندر وارثا شرعيا للفرس ، ومن أجل ذلك تحارب قواده فيما بينهم مدة أربعين سنة سعيا وراء أن يكون كل واحد منهم أميرا على الاقليم الذى كان تحت أمرته . وقد قامت عدة ممالك بعده على أنقاض امبراطوريته وأهمها وأطولها عمرا مصر وسوريا ومقدونيا ، أما الشرق الاقصى فقد عاد الى حكم نفسه بنفسه فى الوقت المناسب وبقيت المدن الاغريقية تحت الحكم المقـــدونى ، ولكنها كانت تتمتع بحرية كبيرة ، « فأثينا » على الرغم من أن أيام عزها قد مضت كانت لاتزال مركز ثقـــافة عظيمة أما الحروب بين المدن الاغريقية فقد استمرت . ونميل الى التساؤل ما الجديد الذى أتى به « الاسكندر » بعد كل ذلك الى العالم ؟ والجواب عن ذلك هو كل جديد اذ أن العالم لم يعد نفس العالم الذى كان قبله بل لبس حلة جديدة ، وسنرى ذلك اذا نظرنا الى تاريخ مئتى السنة التالية . وهذه المدة تسمى « العصر الهيلانى » بسبب الطريقة المدهشة التى بوساطتها أثرت آراء بلاد الاغريق العظمى - أى كل «هيلاس» - على كل العالم المتمدين .

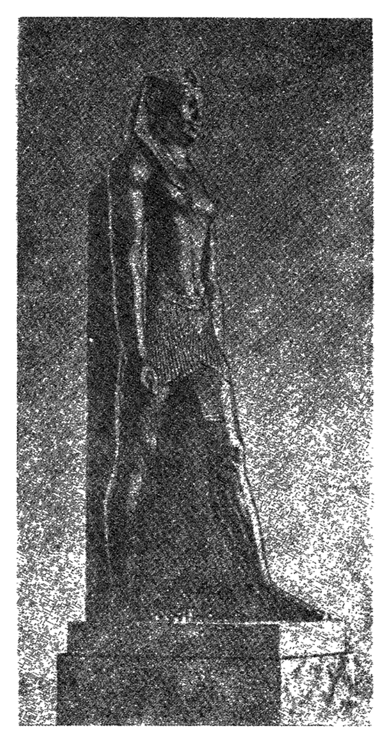
فهرس الأشكال

صورة رقم (١)



بسمتيك الأول

صورة رقم (٢)



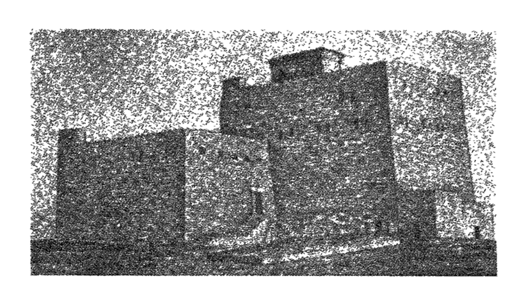
تمثال بسمتيك الأول

صورة رقم (٣)



صورة تمثل الجنـود الأغريق فى الحــرب

صورة رقم (٤)



قلعة دفنى (أدفينا) فى العهد الساوى

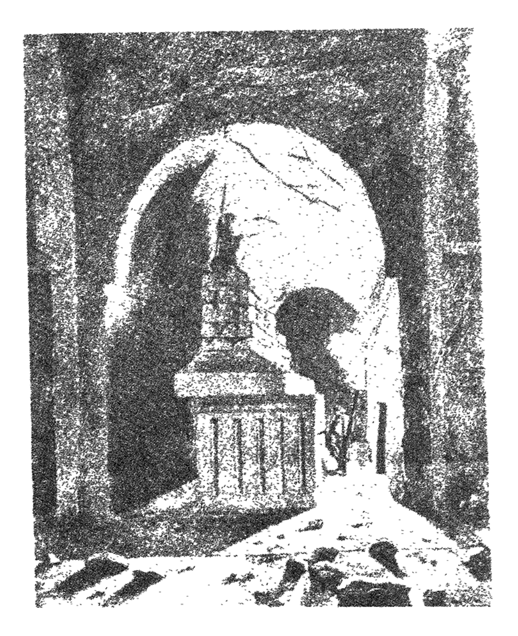
صورة رقم (٥)



الدهليز العظيم لمدفن العجول بسقارة

(السربيوم)

صورة رقم (٦)



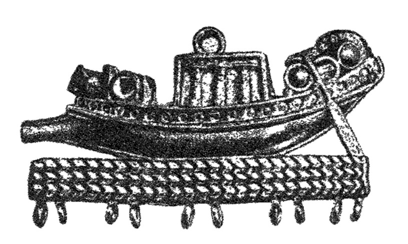
حجرة دفن العجل أبيس وبها تابوت

صورة رقم (٧)



جعران عليه متن يشـــير الى انتصارات الملك نيكاو الثـــانى على الاسيويين

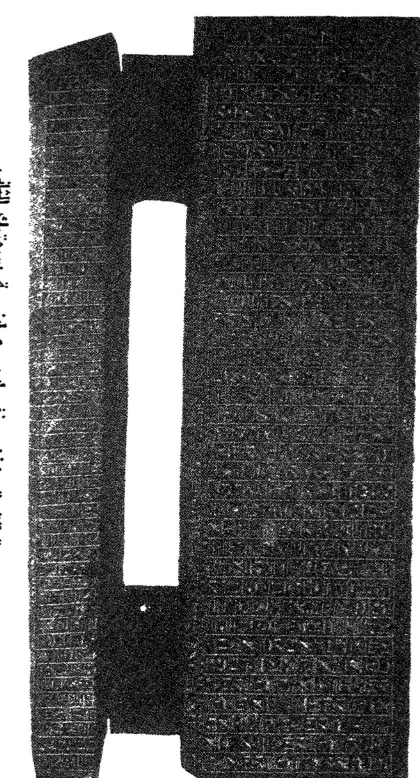
صورة رقم (٨)



ســـفينة مصرية من العصر الساوى

(انظر صفحة ١٩٢)

صورة رقم (٩)



تابوت المتعبدة الالهية عنخنس نفر اب رع ابنة بسمتيك الثانى

صورة رقم (١٠)



تمثال بولهول يمثل الملك ابريز

صورة رقم (١١)



صورة تمثل نبات السلفيوم

صورة رقم (١٢)



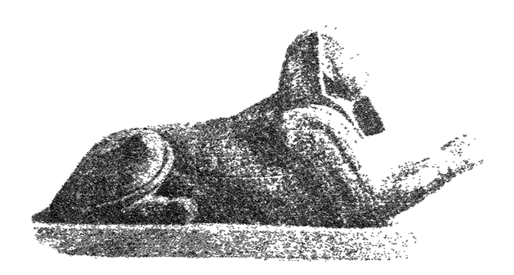
صور تمثل وزن محصول شجر السلفيوم فى حضرة الملك أركسيلاس اللوبى

صورة رقم (١٣)



منظر يمثل خرائب مدينة سايس القديمة (صا الحجر الحالية)

صورة رقم (١٤)



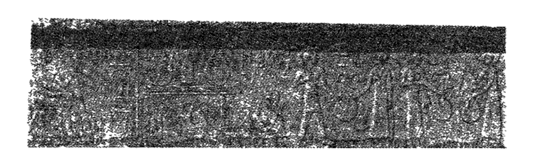
تمثال يمثل أحمس الثانى على هيئة بولهول

صورة رقم (١٥)



صورة تمثل أحمس الثانى

صورة رقم (١٦)



منظر من مدينة منف فى العصر الساوى

صورة رقم (١٧)



رأس بسمتيك الثالث

صورة رقم (١٨)



صـورة تمثل السيدة تانفرت باست وامامها ابنتها وقد مثلتا بملابس غير مصرية

فهرس الموضوعات

عصر النهضة ولمحة فى تاريخ اليونان

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس
أسماء الأعلام والبلدان والآلهة

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ش)

(ص)

(ط)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

ملحوظة : حدثت بعض اخطاء فى صلب الكتاب صححت فى الفهرس

المصادر الأفرنجية

١ – مختصر أهم أسماء الدوريات الأفرنجية المستعملة فى هذا الجزء :

A. F. O. = Archiv fur Orientforschung. Berlin.

A. J. S. L. = The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Chicago and New York.

Ancient Egypt, London.

A. R. = Archeaological Report. Egypt Exploration Fund.

A. S. = Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, Caire.

A. S. N. Bull. = Survey Department, Arbhaeological Survey of Nubia, Cairo.

A. Z. = Zietschrift fur Agyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig.

B. B. M. F. A. = Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston.

B. C. H. = Bulletin de Correspondence Hellénique, Paris.

B. I. F. A. O. = Bulletin de l'Institut Français d'Archaeologie Orientale, Cairo.

Chronique d'Egypte, Brüssel.

E. EM. M. = The Bulletin of the Egyptian Expedition Metropolitan Museum of Art New York.

J. A. = Journal Asiatique.

J. E. A. = Journal of Egyptian Archaeology, London.

J. H. S. = Journal of Hellenic Studies, London.

Kemi, Revue de Philologie et d'Archaeologie, Egyptienne et Coptes. Paris.

L. A. A. A. = Annals of Archaeology and Anthropology issued by the, Institute of Archaeology. University of Liverpool, Liverpool.

Mem. Inst. Fr. = Memoires publies par les membres de l'Institut Français d'Archaeologie Orientale du Cairo.

Mém. Miss Fr. = Mémoires publiés par les Membres de la Mission Française au Caire, Paris.

Mitt. D. Inst. = Mittelungen des Deutschen Instituts fur ägyptische Altertumskunde in Kairo, Berlin.

N. G. A.W. = Nachrichten der Göttinger Akademie des Wissensch.

N. GG W. = Nachrichten der Ges. der Wissensch. zu Gottingen.

O. L. Z. = Orientalistische Literaturzeitung, 1898 ff.

P. S. B. A. = Proceedings of the Society of Biblical Archaeology; London.

Rec. Trav. = Recueil de Travaux relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptienne et Assyriénne, Paris.

Rev. Archaeol. = Revue Archaeologique.

Rev. EG. = Revue Egyptologigue, Paris.

Rev. Eg. Anc = Revue de l'Egypte Ancienne; Paris.

Sphinx, Revue Critique Embrassant la Domaine Entier de L'Egyptologie, Upsala.

Sudan Notes ane Secords, Khartoum.

T. S. B. A. = Transactions of the Society of Biblical Archàology, London.

W. O. = Die Welt des Orients. Wissenschaftliche Beitràge zur Kunde des Morgenlandes. Wuppertal.

Z. A. = Zeitschrift fu Assyriologie und verwandte Gebiete.

Z. D./M. G. = Zietschrift der Deutschen Morgenlandischen Gessellschaft, Leipzig.

٢ – المراجع الأفرنجية :

Amelineau, Nouvelles Fouilles.

Avedief, Y., The Origin and Developement of Trade and Cultural Relations of Ancient Egypt with Neighbouring Countries (Papers presented by the Soviet Delegationn at the 23rd International Congress of Orientalism, 1954).

Borchardt, L., Die Mittel Zur zeitlichen Festlegung von Punkten der agyptischen Geschichte, Kairo, 1935.

Boreaux, Antiquités Egyptiennes, Guide Catalogue Sommaire.

Breasted J.' H., Ancient Records of Egypt.

British Museum, A Guide to the Egyptian Galleries, Sculptures, etc. 1909

British Musenm, Hiereglyphic Texts from Egyptian Stelae, 1911.

Brugsch, H. K.,Thesaures Inscript. Aegy. Altaegvpt. Inschrift.

Brugsch, H. K.,Gesch. Aegypt.

Budge, E. A. W., Book of Kings.

Busolt, G., Griechische Geschichte bis zur Schlacht bei Chaeroneia.

Buttles, Miss, The Queens of Egypt.

Cambridge Ancient History.

Campell, The Sarcophagus of Pabasa.

Catalogue Général du Musée du Caire, 1901.

Champollion, F., Monuments de l'Egypte et de la Nubie, Paris.

Champollion, F., Notices Descriptives, Paris, 1844.

De Laporte, Le Proche Orient.

Diodorus Siculus, Loeb. Ed..

Evans, A., The Palace of Minos at Knossoss, London, 1921.

Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Egypte Caire 1907f, IV.

Cauthier, H., Dictionaire des Noms Geographiques contenus dans les Textes Hieroglyphiques, Caire 1925 ff., 1-VII.

Griffith, E. Ll., Catalogue of the Demotic Pabyri in the Rylands Library at Manchester, I-III, Manchester, 1909.

Hall, H. R., The Ancient History of the Near East, London, 1913.
Herodotus, Book I-V.

Hieratiche Papyrus aus den Koniglichen Mussen zu Berlin, Leipzig, 1911.

Kees. H., Handbuch der Altertumswissenschaften.

Kientz, F. K., Die politische Geschichte Agyptens vom. 7. bis zum 4 Jahrhundert vor der Zeitwende.

Lepsius. C. R., Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien, Berlin, 1894.

Luckenbill D. D., Ancient Records of Assyria and Babylnia, I-II.

Marriette, Monuments Divers Recueillis en Egypte et en Nubie, Paris, 1889.

Marriette, Le Serapeum de Memphis, Paris, 1857.

Maspero, G., Guide du Visiteur au Musée du Caire, aire, 1015.

Meyer E., Geschichte des Altertums.

Meyer E., Geschichte des Alten Agyptens, Berlin, 1887.

Meyer E., Forschungen zur alten Geschichte, III.

Meyer E., Kleine Schriften, I-II.

Meyer, E., Der Papyrusfund von Elephantine, Leipzig, 1192.

Moret, A., Histoire de L'e orient.

Muller, C., Fragmenta Historicorum Graecorum.

Newberry, P.E., Egyptian Antiquities, Scarabs. 1906.

Otto, M, W., Priester und Tempel im hellenitischen Agypten, I-II.

Pauly-Wissowa, Real-Encyklopädie der klassischen Altertumswissenschaft.

Petrie, W. M. F., Ihnasya.

Petrie, W. M. F., A History of Egypt, London.

Petrie, W. M. P., Kahun.

Petrie, W. M. P. , Memphis.

Petrie, W. M. P. , Naukratis.

Porter, B. and Moss, R., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings, I-VI.

Posner, G., La Premiére Domination Perse en Egypte. Recueil d'Inscriptions Hiéroglyphiques, Kairo 1936.

Reisner,G.A., The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1907, 1908

Rosellini. I., Monumenti dell, Egitto e della Nubie, 1832-1844,

Scharff, A., Handbuch der Altertumswissenschaften, herausgeg. von W. Otto 6, Abteilung. I. Textband, Handbuch der Archäologie, S. 433—642 A. Scharff, Agypten.

Schrader, E., Keilinschriftliche Bibliothek, I-VI.

Spiegelberg, W., Die sog. Demotiche Chronik des Pap. 215 der Bibliothepue Nationale zu Paris nebst den auf der Ruckseite des Papyrus stehenden Texten, herausgeg. und erklärt von W. Spiegelberg, Leipzig, 1914.

Steindorff. G., Urkunden des Agyptischen Altertums, herausgeg Leipzig, 1905.

Wiedemann, A., Geschichte Agyptens von Psammetich I. bis auf Alexander d. GR., Leipzig, 1880.

Wiedemann, A., Agyptische Geschichte, Gotha, 1884, Supplement hierzu, 1888.

Wiedemann, A., Herodots zweites Buch mit sachlichen Erlauterungen, 1890.

كتب للمؤلف

بالعربية :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسى .
(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الاهنـاسى .
(٣) مصر القديمة : الجزء الثـالث فى العصـر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيا .
(٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية .
(٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليهـا وأول عقيـدة للتوحيد بالله .
(٦) مصر القديمة : الجزء السادس فى عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانيـة .
(٧) مصر القديمة : الجزء السابع فى عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث .
(٨) مصر القديمة : الجزء الثامن فى نهـاية عصر الرعامسـة وقيـام دولة الكهنة فى طيبة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين .
(٩) مصر القديمة : الجزء التاسع فى نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهـد الأثيوبى ولمحـة فى تاريخ العبرانيين .
(١٠) مصر القديمة : الجزء العاشر فى تاريخ السودان المقارن الى أوائل عهد بيعنخى .
(١١) مصر القديمة : الجزء الحادى عشر تاريخ مصر والسـودان من أول عهـد بيعنخى الى نهاية الأسرة الخامسـة والعشرين ولمحة فى تاريخ آشـور .
(١٢) مصر القديمة : الجزء الثانى عشر فى عصر النهضـة المصرية ولمحة فى تاريخ الأغريق .
(١٣) جغرافية مصر القديمة : (محلاة باحدى وأربعين خريطة) .
(١٤) الأدب المصرى القـديم او ادب الفراعنـة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .
(١٥) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

بالفرنسية :

1 Hymnes Religieux du Moyen Empire: 199 pages (1923 Cairo)
2. Le Poems dit de Pantaour et la Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh 162 plates. Universite Egyptienne. Faculte des Lettres, (1929, Caire).
3. Le Sphinx à la Lumière des Fouillese Récentes.

بالانجليزية :

1. "EXCAVATIONS AT GIZA", Vol. I, (1929-1930); 119 pages, 81 Plates. 187 Illustrations in the Text Plan (Oxford 1932).

2. " " " , Vol. II, (1930-1931); 225 pages, 83 Plates, 251 Illustrations in the Text 2 Plans (Cairo 1936).

3. " " " , Vol. III, (1931-1932); 229 pages, 71 Plates, 227 Illustrations in the Text, 2 plans (Cairo. 1941).

4. " " " , Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 Plates 159 Illustrations in the Text, 3 plans (Fourth Pyramid) (Cairo 1943).

5. " " " , Vol. V, (1933-1934) 325 Pages, 79 Plates, (3 coloured), 169 Illustrations in the Text, 2 Plans (Cairo, 1944).

6. " " " , Vol. VI. Part I. "The Solar Boats" (1934-1935) (Cairo, 1947).

7. " " " , Vol. VI, Part II, "The Offering-List in the Old Kingdom", 504 pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the Text, (Cairo 1948).

8. " " " , Vol. VI, Part III, a Description of the Mastabas and their Contents (1936-1939).

9. " " " , Vol. VII, (1935-1936).

10. " " " , Vol. VIII, "The Great Sphinx and its Secrets" (1936-1937), (Cairo, 1954).

11. " " " , Vol. IX, (In Print).

12. " " " , Vol. X, (In Print).

13. " " Saqqara, Vol I, (In Print).

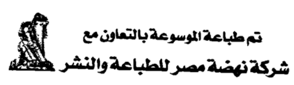
14. " " " , Vol. II, (In Print).

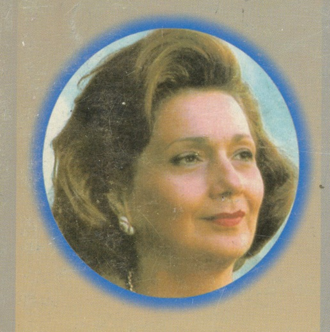
15. " " " , Vol. III, (In Print).

16. "The Sphinx. Its History in the light of Recent Excavations".

٢٠٠٠/١٠٥٨٣

I.S.B.N. 977-01-6783-5


تم طباعة الموسوعة بالتعاون مع
شركة نهضة مصر للطباعة والنشر





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة 2001
مهرجان القراءة للجميع



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

سعر رمزى
خمسة جنيهات